تأويلات القرآن

١٤٢٥

لابى منصور محمد بن محمد الماتريدى السمرقندى

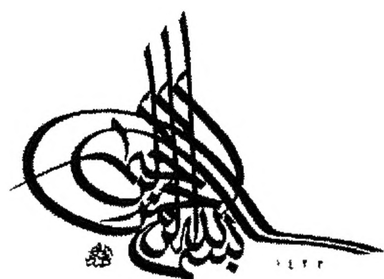
تحقيق
خديجة بوينوقالين

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلى

الجزء السابع

يونس - ابراهيم

دار الميزان



ISBN 975-9048-01-9 (Tk.)
ISBN 975-9048-07-8

الكتابة والتنسيق

علي حيدر أولوصوي
عيسى يوجل

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

استانبول ٢٠٠٦

تأويلات القرآن

١٤٢٥

لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
خديجة بوينوقالين

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلى

الجزء السابع

يونس - ابراهيم

استانبول ٢٠٠٦

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ك: نسخة كوبريلي – مكتبة كوبريلي، تحت رقم ٤٧، ٤٨.

ن: نسخة نور عثمانية – مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ع: نسخة عاطف أفندي – مكتبة عاطف أفندي، تحت رقم ٧٦، ٧٧.

م: نسخة مهرشاه – مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ١٧٦.

شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة حميدية – مكتبة سليمانية، قسم حميدية، تحت رقم ١٧٦.

الاختصارات:

صح هـ: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ك هـ: هامش النسخة الخطية بمكتبة كوبريلي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

– : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[١]

وقوله عز وجل: **الر تلك آيات الكتاب الحكيم**، قد ذكرنا الوجه في الحروف المقطّعات في صدر الكتاب.[١] وقوله:[٢] **تلك آيات الكتاب الحكيم**، قال بعضهم: **الحكيم**، هو الله. كأنه قال: ذلك[٣] الكتاب آيات الله. وقال بعضهم: **الحكيم**، هو صفة القرآن والكتاب. ثم يحتمل[٤] وجهين. / يحتمل أنه سماه حكيما، فعيلا بمعنى إنه مُحكَم، وجائز تسمية[٥] المفعول باسم الفعيل، نحو قتيل بمعنى مقتول،[٦] وجريح بمعنى مجروح، ونحو ذلك.[٧] فيه الحلال والحرام والأمر والنهي. أو مُحكَم مُتقَن مُبرَم من الباطل والكذب والاختلاف. وهو ما وصفه تعالى: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ،[٨] الآية. والثاني سماه[٩] حكيما لِما أنّ من[١٠] تأمّل فيه ونظر وفهم ما أُودِع فيه وأُدرِج صار حكيما. وهو ما وصفه وسمّاه مجيدا،[١١] أي من تأمّله ونظر فيه صار مجيدا شريفا. والحكيم هو المصيب في الحقيقة إن كان صفة القرآن أو صفة الله. [٣٢٣ظ]

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ١/٢.

[٢] ك ن: قوله.

[٣] ع م – ذلك.

[٤] م: والكتاب يحتمل.

[٥] م: تسميته.

[٦] ك: المقتول.

[٧] ك + ونحو ذلك.

[٨] ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤٢/٤١).

[٩] م – سماه.

[١٠] ع: أن أن.

[١١] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ق والقرآن المجيد﴾ (سورة ق، ١/٥٠)؛ وقوله تعالى:﴿بل هو قرآن مجيد﴾ (سورة البروج، ٢١/٨٥).

فإن كان صفة الله[1] فهو حكيم[2] واضع كل شيء موضعه. فإن كان صفة[3] للقرآن فهو كذلك أيضا واضع كل شيء موضعه.

وقوله: **آيات**، يحتمل آيات الكتاب المعروف. ويحتمل الحجج والبراهين، أي حجج الكتاب وبراهينه[4] أو أعلامه. وقد تقدم ذكر الآيات في غير موضع. ***والله أعلم***.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **أكان للناس عَجَبا**، يحتمل وجهين. يحتمل أي قد[5] عجبوا، **أن أوحينا إلى رجل منهم**. ويحتمل أيعجبون، **أن أوحينا إلى رجل منهم**، على الاستنكار.[6] كانوا يعجبون من ثلاث: من إنزال[7] القرآن على رجل منهم يَعجز الخلائق عن إتيان مثله. و[كانوا] يعجبون من الوحي إلى رجل منهم وإرساله رسولا مِن بين الكل أو من البشر، كقوله:[8] أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا،[9] وكقوله:[10] أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا.[11] وكانوا يعجبون من البعث، كقوله:[12] أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا،[13] الآية. ثم يحتمل قوله: **إلى رجل منهم**، أي من البشر، أي لا يعجبوا[14] **أن أوحينا إلى رجل**، من البشر. فإن الإيحاء[15] إلى من هو من البشر أبلغ في الحجاج

[1] م – فإن كان صفة الله.
[2] ع: حكم.
[3] ع – فإن كان صفة.
[4] ك: والبراهين.
[5] ك: أن قد.
[6] جميع النسخ: على الاستئناف. وعبارة السمرقندي هكذا: «وقوله تعالى: ﴿أكان للناس عَجَبا﴾، حرف الاستفهام متى كان من الله يحتمل وجهين. أحدهما حقيقة الإخبار، أي قد عجبوا أن أوحينا إلى رجل منهم. والثاني يحتمل على الاستنكار، أيعجبون أن أوحينا إلى رجل منهم، أي لا تعجبوا أن أوحينا إلى رجل من البشر» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٤ظ).
[7] ع م: من أنزل.
[8] ك ن: كقولهم.
[9] ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[10] ك ن ع: أو كقوله.
[11] سورة ص، ٨/٣٨.
[12] ك ن م: كقولهم.
[13] ﴿قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون﴾ (سورة المؤمنون، ٨٢/٢٣).
[14] ك: لا تعجبوا؛ ع م: لا يعجبون.
[15] ع: الإيجاء.

وأقطع للعذر وأقرب إلى الرأفة والرحمة؛ لأن البشر يعرفون خروج ما هو خارج عن طَوْق البشر ووُسعهم،[١] ولا يعرفون ذلك من غير جوهرهم وغير جنسهم، ويألف كل جنس بجنسه وكل جوهر بجوهره، ولا يألف غيرَ جوهره ولا غيرَ جنسه. فإذا كان ما وصفنا كان بعث الرسل[٢] من جنس المبعوث إليهم[٣] وجوهرهم أبلغ في الحجاج وأقطع للعذر وأقرب إلى الرأفة والرحمة.

ويحتمل قوله: **أن أوحينا إلى رجل منهم**، أي من الأُمّيين، أي لا يعجبوا[٤] **أن أوحينا إلى رجل منهم**، أي أُمّي، فإن ذلك أبلغ في التعريف والحجاج؛ لأنه بعث أُمّيًا لم يَعرفوه بدراسته الكتب المتقدمة أو تلاوة شيء منها، ولا عرفوه اختلف إلى أحد منهم في تعلّم[٥] كتبهم، ولا عُرِف[٦] أنه كتب شيئا أو خطّ[٧] خطًّا قط، ثم أخبر عما في كتبهم[٨] على موافقة ما فيها، وكانت كتبهم بغير لسانه. دل أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى. فذلك أبلغ في إثبات الرسالة والحجاج. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أنْ أَنذِر الناس**، قال بعضهم: الإنذار يكون في كل مكروه مرهوب، والبِشارة في كل محبوب مرغوب. وقال بعضهم: **أنْ أَنذِر الناس**، يعني الكفار بالنار.

وبشِّر الذين آمنوا أنّ لهم قَدَمَ صِدْقٍ عند ربهم. ثم[٩] اختلفوا في قوله: **قَدَمَ صِدْقٍ عند ربهم**، قال بعضهم: **أن لهم**، الجنة، **عند ربهم**. وقيل: **أن لهم**، الأعمال الصالحة يَقْدَمون عليها. وقيل: **قَدَمَ صِدْقٍ**: محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم، **عند ربهم**.[١٠] وقيل: **أن لهم**، ثواب[١١] أعمالهم[١٢] الصالحة التي[١٣] قدّموها بين أيديهم **قَدَمَ صِدْقٍ**، أي سَلَفَ خيرٍ أو سَلَفَ وعدٍ وُعِد لهم بذلك.

---

[١] ع: وسعهم.
[٢] م: الرسول.
[٣] ع م - إليهم.
[٤] ك: لا تعجبوا.
[٥] م: في تعليم.
[٦] ن: ولا أنه عرف.
[٧] ك: ولا خط.
[٨] ع م: عما كتبهم.
[٩] م - ثم.
[١٠] ك ع م + وقيل ان لهم الجنة عند ربهم.
[١١] ع م - ثواب.
[١٢] ع م: الأعمال.
[١٣] م - التي.

وكأن أصله من القَدَم. قال أبو عَوْسَجَة: يقال في الكلام: لفلان عندي قَدَمُ صِدق ويَدُ صِدق، أي نعمةٌ قد أسلفها إليّ. وقال القُتَبي: **قَدَمَ صِدْقٍ**، يعني عملا صالحا قدّموه.[1] وعن ابن عباس رضى الله عنه قال: سبق لهم السعادة في الذكر الأول.[2] مَن قال: **قدم صدق**، هو الشفاعة، فالقَدَم كناية عن الشفاعة، والصِدق أي واقعة.[3] ومَن قال: وَعْد ثواب[4] أعمالهم، أي تُقدّم لهم وَعْدَ حقٍ وصدقٍ. ويحتمل **قَدَمَ صِدْقٍ**، أي ثبتت[5] قدمهم لا تزلّ،[6] على ما وصف مِن ثبوت قدم المؤمنين والقرار فيه،[7] وتزلّ قدم الكافرين كقوله: فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا.[8]

وقوله عز وجل: **قال الكافرون إن هذا لَساحر مبين**، ومَن قرأ: لَسِحْر، عنى [بـ]"هذا" القرآن. ومَن قرأ: **لَساحر**، بالألف، عنى به النبي.[9] ثم السحر هو الذي يتراءى في الظاهر أنه حق وهو في الحقيقة باطل لا شيء. ثم هو يأخذ الأبصار ويأخذ العقول. فأما الذي يأخذ الأبصار هو[10] ما يتراءى الشيء على غير ما هو في الحقيقة، والذي يأخذ العقول هو أن يَذهب بعقله فيصير مجنونا. وقال فرعون لموسى:[11] إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا،[12] أي مجنونًا. لكن هؤلاء لم يريدوا بقوله: **لساحر مبين**، السحر الذي يأخذ العقول، ولكن أرادوا السحر الذي يأخذ الأبصار. يقولون:[13] إنه وإن كان أخذ الأبصار في الظاهر فهو لا شيء في الحقيقة. ولكن في قولهم: **إن هذا لساحر مبين**، دليل أنهم عجزوا عن رده وعرفوا[14] أنه حق.

---

[1] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٩٤.

[2] تفسير *الطبري*، ٨٢/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٤١/٤.

[3] ن: والصدق واقعة.

[4] ك: وثواب.

[5] ن: أي تثبت؛ ع: أي ثبت.

[6] ن: لا نزل.

[7] ع م – فيه.

[8] ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دَخَلا بينكم فتزِلَّ قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم﴾ (سورة النحل، ٩٤/١٦).

[9] قراءتان متواترتان. قرأ من الأئمة العشرة نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: لسحر؛ وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخَلَف: لساحر. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٥٦/٢.

[10] ك: وهو.

[11] ك: موسى.

[12] سورة الإسراء، ١٠١/١٧.

[13] ن ع م: يقول.

[14] م: وعرفوه.

لكنهم[1] أرادوا التمويه على الناس كقول فرعون لسحرته حيث آمنوا برب موسى: إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ،[2] أراد أن يموّه على الناس. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أنّ القوم[3] كانوا يعبدون الأصنام والأوثان ويتخذون الأحبار والرهبان أربابا من دون الله، يقول: **إن ربكم**، الذي / يستحق العبادة والألوهية هو الذي خلقكم و **خلق السماوات والأرض**، لا الذي تعبدونه. [٣٢٤و]

وقوله عز وجل: **في ستة أيام ثم استوى**، قد تقدّم ذكره في صدر الكتاب.[4]

وقوله عز وجل: **يدبر الأمر**، هو[5] أيضًا على الأول، أن الذي يستحق صرف العبادة إليه وتوجيه[6] الشكر إليه هو الذي **يدبر الأمر**، في مصالح الخلق في جرّ المنافع إليهم ودفع المضارّ عنهم، لا الذين لا يملكون جرّ[7] المنافع إلى أنفسهم أو دفع المضارّ عنهم[8] فضلا أن يملكوا جرّها[9] إلى من يعبدهم أو دفع المضارّ[10] عنهم. وقال[11] بعض أهل التأويل: **يدبر الأمر**، أي يقضيه.[12] والتدبير والقضاء واحد. وقال بعضهم: **يدبر**، يقدّر، وهو ما ذكرنا؛ التدبير والتقدير سواء.

وقوله عز وجل: **ما من شفيع إلا من بعد إذنه**، الشفيع هو[13] ذو المنزلة والقدْر عند الذي يشفع إليه. لا أحدَ[14] في الشاهد يشفع لآخر إلى آخر إلا بعد أن يكون الشفيع عند الذي يشفع إليه ذا منزلة وقدْر.

---

[1] م: ولكن هم.
[2] سورة طه، ٧١/٢٠؛ وسورة الشعراء، ٤٩/٢٦.
[3] أي لأن القوم...
[4] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٥٤/٧.
[5] م: وهو.
[6] م: توجيه.
[7] م – جر.
[8] ن – عنهم.
[9] م: أجرها.
[10] ع: مضار.
[11] ع م: قال.
[12] ع: أي يقبضه.
[13] ك – هو.
[14] ع: لأحد.

فإذا كان كذلك فمع ذلك أيضا لا يشفع إلا مِن بعد ما أُذِن له بالشفاعة لمن جاء بالتوحيد.

وقوله: **ذلكم الله ربكم فاعبدوه**، يقول: **ذلكم**، الذي يستحق العبادة هو **ربكم**، الذي خلقكم وخلق السماوات والأرض ودبّر أموركم، **فاعبدوه**،[1] ولا تعبدوا الذي لا يملك شيئا من ذلك.

أفلا تذكَّرون، أنه هو المستحق للعبادة وهو المستوجب للشكر، لا الذين تعبدون أنتم. أو أن يقول: **أفلا تذكَّرون**، أن الذي خلقكم وخلق السماوات والأرض هو ربكم، وهو يدبّر أمور الخلائق في مصالحهم: ما يرجع إلى مصالحهم في دنياهم ودينهم،[2] لا الذي يعبدون.[3] *والله أعلم.*

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إليه مرجعكم جميعا**، إليه مرجع الخلائق كلهم في جميع الأوقات، لكنه خصّ ذلك اليوم بالمرجع إليه لِما أن الخلائق كلهم يعلمون يومئذ أنهم راجعون إليه. وكذلك قوله: وَبَرَزُوا لِلهِ جَمِيعًا،[4] هم بارزون له في الدنيا والآخرة، لكنهم يومئذ[5] يَعرفون ويُقِرّون بالبروز له. وكذلك قوله:[6] اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ،[7] الملك لله في الدنيا والآخرة وفي الأوقات جميعا، لكنه خصّ ذلك اليوم لِما لا يُنازَع في الملك في ذلك اليوم، ويُقِرّون بالملك له في ذلك اليوم،[8] وفي الدنيا مَن قد نازع في ملكه. هذا -والله أعلم- وجه التخصيص لذلك اليوم بالملك وإن كان الملك له[9] في الدارين جميعا، فعلى ذلك المرجع. أو سَمّى البعث رجوعا إليه لِما [أن] المقصود من إنشائه الرجوع،[10]

---

[1] م - فاعبدوه.

[2] م - لا الذين تعبدون أنتم أو أن يقول أفلا تذكرون أن الذي خلقكم وخلق السماوات والأرض هو ربكم وهو يدبر أمور الخلائق في مصالحهم ما يرجع إلى مصالحهم في دنياهم ودينهم.

[3] ع + الله؛ م + من دون الله.

[4] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.

[5] ن + بارزون.

[6] ك ع م - قوله.

[7] سورة الحج، ٥٦/٢٢.

[8] ع م - ويقرون بالملك له في ذلك اليوم.

[9] ك - له.

[10] جميع النسخ: البعث.

فسماه بذلك لما ذكرنا؛[1] لأنه لو لم يكن المقصود من إنشائه[2] إياهم سوى الإنشاء والإفناء كان خلقه إياهم[3] عبثا باطلا،[4] كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[5]

وقوله عز وجل: **وَعْدَ الله حقا**، يحتمل **وَعْدَ الله حقا**، البعث الذي ذكر: **إنه يبدأ الخلق ثم يعيده**. ويحتمل **وَعْدَ الله حقا**، من الثواب والعقاب في الآخرة، الثواب للمحسن منهم والعقاب للمسيء.

وقوله: **إنه يبدأ الخلق ثم يعيده**، أي عرفتم أنه هو الذي بدأكم والخلق جميعا، فكذلك[6] هو يعيدكم بعد إفنائكم؛ إذ بَدْء الشيء على غير مثال أشدّ عندكم[7] من إعادته على مثال، كقوله: وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ،[8] أي إعادة الشيء أهون عندكم من بدئه.

وقوله عز وجل: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط**، قيل: بالعدل. لكن ما يجزيهم إنما يجزيهم إفضالا وإحسانا لا استيجابا[9] واستحقاقا. ثم يحتمل قوله: **بالقسط**، وجوها. أحدها أنه يجزي المحسن[10] جزاء الإحسان والمسيء جزاء الإساءة، ويفصل بين الولي والعدو[11] في الآخرة في الجزاء، ويجعل[12] للولي علامة وأثرا يُعرَف بها من العدو؛ إذ لم يفصل في الدنيا بين الأولياء والأعداء في الرزق وما يُساق إليهم من النعيم، ولا يجعل علامة يُعرَف بها الولي من العدو. وجعل في الآخرة ذلك حتى يُعرَف هذا من هذا. فهذا العدل الذي ذكرنا يشبه أن يكون هو ذلك. ويحتمل القسط الوزن، أي يجزيهم بالوزن على تعديل النوع بالنوع، لا على القَدْر، أي [لا] يجزي بالحسنة قَدْرا لا يزيد على ذلك، ولكن يجزي للخير خيرا وللحسنة حسنة وللسيئة سيئة. ويحتمل قوله: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات** بالعدل،

---

[1] ع: لما ذكرها.
[2] ن + إنشائه.
[3] ع م – إياهم.
[4] ك: وباطلاً.
[5] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[6] ك: فلذلك؛ م: وكذلك.
[7] ع: عنكم.
[8] سورة الروم، ٢٧/٣٠.
[9] ع: لا استحسانا.
[10] ك: المحسنين.
[11] ك: بين العدو والولي.
[12] م: وتجعل.

أي يجزي[١] الذين عملوا بالعدل، لم يجوروا[٢] فيه ولا جاوزوا الحدّ الذي حدّ لهم، ولكن عملوا بالعدل فيه. ويشبه أن يكون على تقديم العدل: **ليجزي الذين آمنوا**، بالعدل، أي لا يعذبهم في النار إذ [هم قد] آمنوا.[٣] ثم الذين عملوا الصالحات يوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله.[٤] والله أعلم بالصواب من ذلك.

وقوله عز وجل: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط**، أي يجزيهم في الآخرة بما أقسطوا في الدنيا وعدلوا. فيكون[٥] القسط على هذا التأويل نعتا لهم. وإن كان ما ذكر من القسط راجعا إلى الله ووصفا له فهو يخرج على وجوه. أحدها يجزي فريقا من المؤمنين بالعدل. يجزي لإحسانهم جزاء[٦] الإحسان ولإساءتهم جزاء الإساءة، فيكون جزاء بالعدل. ويجزي فريقا آخر منهم بالفضل والإحسان. يجزي لحسناتهم جزاء الحسنة،[٧] ويكفّر[٨] عن سيئاتهم. وهو كقوله: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا،[٩] الآية، وقوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ،[١٠] الآية. والثاني يجزيهم بالفضل؛ إذ العدل هو وضع الشيء موضعه. أي يضع الفضل في أهله، لا يضعه في غير أهله. ووضع الفضل في أهل الإيمان عدل؛ إذ هم أهل له. *والله أعلم*.
[٣٢٤ظ] / وهو كقوله:[١١] وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ.[١٢] والثالث العدل الذي هو مقابل الإحسان، وهو الفضل، لا العدل الذي هو ضد الجور. كقوله: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ،[١٣] الآية.

---

[١] ن: أي ليجزي.
[٢] ع: لم يجوزوا.
[٣] جميع النسخ: إذا آمنوا.
[٤] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ (سورة النساء ١٧٣/٤).
[٥] م: ويكون.
[٦] ع م: جزاءهم.
[٧] ع م – ولإساءتهم جزاء الإساءة فيكون جزاء بالعدل ويجزي فريقا آخر منهم بالفضل والإحسان يجزي لحسناتهم جزاء الحسنة.
[٨] ن ع: ونكفر.
[٩] ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة﴾ (سورة الأحقاف، ١٦/٤٦).
[١٠] ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (سورة النساء، ٤٨/٤، ١١٦).
[١١] م: كقولهم.
[١٢] ﴿وأنِ استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يُمَتِّعْكم متاعا حسنا إلى أجل مسمًّى ويُؤْتِ كلَّ ذي فضلٍ فضلَه﴾ (سورة هود، ٣/١١).
[١٣] ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذَروها كالمعلّقة﴾ (سورة النساء، ١٢٩/٤).

لا يحتمل أن يقول: لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء، في العدل الذي هو ضد الجور. [فإنهم] في مثل هذا يستطيعون أن يعدلوا بينهم. فعلى ذلك قوله: **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات**، بالعدل الذي هو مقابل الإحسان، وهو[١] الفضل؛ إذ للفضل درجات. وأصله أن جزاء الآخرة كلّه إفضال وإحسان وإنعام لا استحقاق واستيجاب.[٢]

وقوله عز وجل: **والذين كفروا لهم شراب من حميم**، قيل: الحميم هو الشراب الذي انتهى[٣] حرّه [إلى] غايته.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا**، ذكر في الشمس الضياء وفي القمر النور. فهو -والله أعلم- لأن الليل مُظلِم، يَظهر نور القمر فيه ويَغلب على ظُلمة الليل ويَقهرها؛ وأما النهار فهو مُبصِر على ما ذكره[٤] عز وجل: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[٥] جعل فيه النور. فلو جعل في الشمس النور خاصة لكان لا يَظهر نور الشمس ولا غلب نورها على نور النهار، فكانت تذهب المنافع التي جعل فيها للخلق. فجعل[٦] عز وجل بلطفه فيها ضياء ليَظهر نورُها على نور النهار[٧] ويغلبه ويقهره، ليُظهِر المنافع التي جعل فيها. ولو كان نورا مثله لم يَظهر نورُ هذا مِن هذا، و لم يُوصَل إلى المنافع التي جُعلت فيها[٨] للخلق. وهو ما ذكر أنه مد الظل وأخبر أنه لو شاء لجعله ساكنا. ولو كان ساكنا ممتدا على ما جعل، بقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ،[٩] لكان لا يُعرَف الظل. ثم أخبر أنه جعل الشمس دليلا عليه ليُعرَف بها الظل، فنسخ الشمسَ ذلك الظلُّ الممدود شيئا[١٠] بعد شيء،

---

١ ع م: هو.

٢ جميع النسخ: لا استحقاقا وإيجابا.

٣ ع: النهي.

٤ ك: ما ذكر.

٥ ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ١٠/٦٧).

٦ م: وجعل.

٧ ك – فكانت تذهب المنافع التي جعل فيها للخلق فجعل عز وجل بلطفه فيها ضياء ليظهر نورها على نور النهار.

٨ ع م – ولو كان نورا مثله لم يظهر نور هذا من هذا و لم يوصل إلى المنافع التي جعلت فيها.

٩ ﴿ألم تَرَ إلى ربك كيف مَدَّ الظِّلَّ ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا. ثم قَبَضْناه إلينا قَبْضا يسيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٤٥).

١٠ م: وشيئا.

فصارت الشمس بها يُعرَف[1] الظل وبها يظهر. فعلى[2] ذلك [كان] الضياء الذي في الشمس.[3] به يُعرَف نورُها مِن نور النهار، وبه يُوصَل إلى منافع الشمس. ولو كان نورا لكان[4] لا يُعرَف ولا يَظهر؛ إذ لا[5] يَغلب أحدهما صاحبه -والله أعلم- ولا يُعرَف آية الشمس من آية النهار. ثم جعل آية الشمس غالبة على جميع الآيات حتى[6] لا يُبصَر النجومُ بالنهار أصلا. والقمرُ وإن كان يُبصَر ويُرَى بحالٍ فإن نور الشمس قد يغلبه ويقهره حتى لا يظهر أبدًا.

وقوله عز وجل: **وقدّره مَنازلَ لتعلموا عدد السنين والحساب**، يشبه أن يكون التقدير الذي ذكر لهما جميعا، ويُعرَف الحساب وعدد السنين بهما جميعا. وكذلك ذكر في حرف حفصة: وقدّرهما منازل. وجائز أن يكون جعل الشمس بالذي يُعرَف بها أوقاتُ الصلوات والأزمنةُ من الشتاء والصيف، لا يُعرَف ذلك بالقمر. وجعل في القمر معرفة الشهور والسنين، وفي الشمس معرفة أوقات الصلوات[7] والأزمنة، لا يُعرَف بها[8] الشهور والسِنُون إلا بعد جهد، وبالقمر لا يُعرَف أوقات الصلوات والأزمنة. جعل الله في الشمس منفعتين: منفعة التقلُّب ومعرفة الأزمنة، ومنفعة[9] نضج الأشياء ويَنْعها؛[10] وفي القمر منفعتين أيضا: أحد هما معرفة حساب الأيام والشهور والسنين، ومنفعة[11] نضج الأَنْزال[12] والأشياء.

وقوله عز وجل: **لتعلموا عدد السنين والحساب**، ليس أنْ يُعرَفُ هذا بهما ولا يُعرَف غيره، بل يُعرَف ما ذُكر وأشياءُ[13] كثيرة.

وقوله: **ما خلق الله ذلك إلا بالحق**، قال أبو بكر الأصم الكيساني:[14] **ما خلق الله ذلك إلا بالحق**، أي ما خلق الله ذلك إلا وقد جعل فيه دلالة معرفته. وقال قائلون: **ما خلق الله ذلك إلا بالحق**،

---

[1] م: يعرف بها.
[2] ك: فعل.
[3] جميع النسخ + كان.
[4] ن - لكان.
[5] ع: إذا لا.
[6] ع م - حتى.
[7] ع: الصلواة.
[8] ع م - بها.
[9] ك: ومعرفة.
[10] ع: وبيعها.
[11] ك: ومعرفة.
[12] الأنْزال جمع النُزُل، وهي الأرزاق. وأصل النُزُل ما يَنزل الضيف عليه ويُهَيَّأ له (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»).
[13] ع م: ما ذكروا شيئا.
[14] م: الكسائي.

أي ما خلق الله ذلك إلا وقد جعل فيه[١] الشهادة له على الخلق، وهي شهادة الوحدانية والألوهية. وقال بعضهم: **ما خلق الله ذلك** إلا بالأمر الكائن لا محالة، وهو البعث. ويحتمل قوله: **ما خلق الله ذلك إلا بالحق**، أي بالحكمة لم يخلق ذلك عبثا باطلا، وهو كقوله: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا،[٢] ولكن بحكمة.

وقوله عز وجل: **يفصّل الآيات لقوم يعلمون**، قيل: يبين أو يصرفها[٣] لقوم ينتفعون بعلمهم. إنما ذكر الآيات فيما ذكر لقوم يعقلون، ولقوم يتفكرون، ولقوم يفقهون الآيات التي ينتفعون بها ويعقلون الشيء. إنما[٤] يكون[٥] الشيء[٦] للذي[٧] يَنتفع به لا للذي لا يَنتفع به.

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون**، إن في اختلاف الليل والنهار آية[٨] البعث ودلالةَ تدبير صانعهما. أما دلالة البعث أنّ كل واحد منهما إذا جاء ذهب الآخر وفني حتى لا يبقى له الأثر، ثم يتجددان ويحدثان. على ذلك أمرهما. ويُتلِف كل واحد منهما صاحبه حتى لا يبقى له الأثر. فمن قَدَر على ما ذكرنا قَدَر على بعثهم وإنشائهم بعد الموت بعد ما صاروا ترابا. وأما دلالة التدبير هو جريانهما وسيرهما على سَنن واحد وتقدير واحد من غير تغيير يقع فيهما أو تفاوت أو نقصان يقع فيهما أو زيادة وإن كان أحدهما يدخل في الآخر. دل ما ذكرنا -أنهما إنما[٩] يجريان ويختلفان[١٠] على سَنن واحد وجريان واحد- أن فيهما تدبيرا[١١] غير ذاتي وعِلما أزليّا،[١٢] وأنه واحد.

[١] ك + معرفة.
[٢] سورة ص، ٣٨/٢٧.
[٣] جميع النسخ: نبين أو نصرفها.
[٤] ع م + يعقلون.
[٥] م: بكون.
[٦] ك: للشيء؛ ن ع م - للشيء.
[٧] ك: الذي.
[٨] جميع النسخ + آية.
[٩] م - إنما.
[١٠] م: وتختلفان.
[١١] جميع النسخ: تدبير.
[١٢] جميع النسخ: وعلم أزلي.

[٣٢٥و] إذ لو كان التدبير فيهما لِعَدَد[١] لكانا يختلفان[٢] ولا يجريان على قدر واحد / من غير تفاوت فيهما[٣] أو نقصان أو زيادة. دل أنه واحد. *وبالله التوفيق*.

وفي ذلك[٤] دلالة وحدانية منشئهما وخالقهما؛ لأنه أنشأهما وبينهما مِن البُعد ما بينهما،[٥] وجعل منافع أحدهما متصلة بمنافع الآخر على بُعد ما بينهما. دل أن منشئهما واحد؛ إذ لو كان فِعل عددٍ منع كلُّ فِعله عن الوصول[٦] إلى الآخر[٧] على ما هو فعل ملوك الأرض.

وقوله: **لقوم يتقون**، مخالفة الله، ويتقون جميع الشرور والمساوئ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾[٧] **﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٨]

وقوله عز وجل: **إن الذين لا يرجون لقاءنا**، قال قائلون: **لا يرجون لقاءنا**، من الرَّجاء. أي لا يرجون ما وعد للخلق من الثواب ولا يرغبون فيما يُرجَى ويُطمَع من الرغائب. وقال بعضهم: **لا يرجون لقاءنا**، أي لا يخافون لقاءنا. وما مِن خوف إلا وفيه رجاء، وما مِن رجاء إلا وفيه خوف؛ لأن الخوف الذي لا رجاء فيه هو إياس، والرجاء الذي لا خوف فيه أَمْن.[٨] لكن الغالب في الحسنات والخيرات الرجاء، وفيه خوف، والغالب في السيئات والشرور الخوف، وفيه أدنى الرجاء. وهو ما ذكرنا في الشكر والصبر أنهما واحد؛[٩] لأن الصبر هو كفّ النفس عن الشهوات واللّذّات،[١٠] والشكر هو استعمالها في الخيرات. فإذا كفّها عن الشهوات استعملها في الخيرات. لذلك قلنا: إنهما في الحقيقة[١١] واحد. ولأن[١٢] الشكر هو القبول،

---

١ ع: العدد؛ م: فيها العدد.
٢ ك: مختلفين.
٣ ع م: أن فيهما، + تدبير.
٤ ك – ذلك.
٥ ك + من البعد؛ ع – من البعد ما بينهما.
٦ ع: عن الأصول.
٧ جميع النسخ: بالآخر.
٨ أي أَمْن مِن مكر الله.
٩ انظر تفسير الآية من سورة الأنفال، ٨/٦٦.
١٠ ع م: واللهوات.
١١ ن: في الخيرات.
١٢ ع م: لأن.

وكذلك الصبر أيضا، غير أن الشكر في قبول النعم، والصبر في قبول البلايا والمصائب. ***والله أعلم.***
يصير كأنه قال: إن الذين لا يؤمنون بالآخرة.

وقوله عز وجل: **ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها**، أي اختاروا المُقام فيما عملوا له[١] كأنهم[٢] مقيمون فيها أبدا. **والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون**، من ردهم الآيات وكفرهم بها.[٣] وقوله:[٤] **ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها**، يحتمل وجهين. أحدهما سُرُّوا بها وآثَرُوا[٥] ثواب محاسن الدنيا على ثواب الآخرة. والثاني رضاهم بالدنيا والطمأنينة فيها مَنَعهم عن التفكر والنظر في أمر الآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم**، يحتمل[٦] وجوها. يحتمل **يهديهم ربهم بإيمانهم**، في الدنيا طريق الجنة في الآخرة. وهو معنى ما ذكر في القصة: إن المؤمن إذا خرج[٧] من القبر يُصوَّر له عمله في صورة حسنة.[٨] والثاني **يهديهم ربهم بإيمانهم**،[٩] فيصيرون مهتدين[١٠] بهدايته إياهم. ويشبه **يهديهم ربهم بإيمانهم**، أي يدعوهم[١١] إلى الخيرات في الدنيا بإيمانهم. ***والله أعلم.*** فهذا على المعتزلة؛ لأنهم يمتنعون عن تسمية[١٢] صاحب الكبيرة مؤمنا ومعه إيمان،

---

[١] ك ن: لها؛ ع م: بها.
[٢] ع: كانوا.
[٣] ع م - بها.
[٤] ن - وقوله.
[٥] ن: وأشروا.
[٦] ن: يحتمله.
[٧] ك ن ع: إذا اخرج.
[٨] روي عن قتادة في قوله: ﴿يهديهم ربهم بإيمانهم﴾، قال: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن إذا خرج من قبره صُوّر له عمله في صورة حسنة وريح طيبة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ صِدْق، فيقول له: أنا عملك، فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة. وأما الكافر فإذا خرج من قبره صُوّر له عمله في صورة سيئة وريح منتنة، فيقول له: ما أنت؟ فوالله إني لأراك امرأ سوء، فيقول: أنا عملك، فينطلق به حتى يدخله النار» (*تفسير الطبري*، ٨٨/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٤٤/٤). وهو مرسل، فقتادة من التابعين.
[٩] ك ن + أي يهديهم ربهم بإيمانهم.
[١٠] م: مهتدون.
[١١] ع م: أو يدعوهم.
[١٢] م: عن تسميته.

فيلزمهم أن يمتنعوا عما وعد له وإن كان معه إيمان. فإذ ذكر له الوعد مع هذا لزمهم أن يسموه مؤمنا لما معه من الإيمان.[1]

وقوله عز وجل: **تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم**، يقول أهل التأويل: من تحت أهل[2] الجنة. وقد ذكرنا هذا.[3]

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **دعواهم فيها سبحانك اللهم**، قال قائلون: قوله: **دعواهم**، دعوى الإيمان. أي يدّعون[4] في الآخرة من الإيمان والتوحيد لله والتنزيه[5] له كما ادّعوا في الدنيا وحدانية الله ونزّهوه. وقوله: **سبحانك اللهم**، هو حرف تنزيه وتبرئة[6] الرب عن الأشباه[7] وجميع الآفات التي وصفته المشبّهة الملحدة.[8] فهذا يدل أن ما خرج مخرج الدعوى فإنه لا يختلف باختلاف الدُّور.[9] وقال عامة أهل التأويل: هو من الدعاء لا من الدعوى. يقولون: إنهم إذا اشتهوا طعاما أو شرابا أو تمنّوا[10] شيئًا فيدْعون بقوله:[11] **سبحانك اللهم**، فيُؤتَوْن ما تمنّوا واشتهوا. لكن ذُكر أنْ لا تنقطع[12] اللذّات في الجنة. ولو كان ما يقولون لكان فيه انقطاع اللذّات والشهوات. إلا أن يقال: إنهم[13] يُلهَمون شهوات وأماني،[14] فيشتهون. وقال الله عز وجل: وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ،[15]

---

[1] ن – الإيمان.
[2] م + أهل.
[3] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٢٥؛ ومن سورة الأعراف، ٧/٤٣.
[4] ع: أن يدعون.
[5] ع: والتنزية.
[6] ن: وتنزيه.
[7] ع: عن الأشياء.
[8] ع: المتحدة.
[9] والدور: جمع الدار. أي لا يختلف بأن تكون الدار دار دنيا أو الدار الآخرة.
[10] ع م: وتمنوا.
[11] ع م: بقول.
[12] ن ع م: لا ينقطع.
[13] ن + طمعوا.
[14] ع: وأما في.
[15] سورة فصلت، ٤١/٣١.

وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ.[١] ولا نعلم ما أراد به.[٢] وقوله:[٣] **سبحانك اللهم**، يخرج على وجوه. أحدها يخبر أنه ليس على أهل الجنة من العبادات شيء سوى التوحيد، وهو كلمة التوحيد. والثاني يقولون ذلك لعظيم[٤] ما رأوا من النعيم وعجيب ما عاينوا. والثالث شكرا لما أعطاهم من ألوان النعيم والأطعمة.[٥]

وقوله عز وجل: **وتحيتهم فيها سلام**، قال أهل التأويل: إن الملائكة يأتون من ألوان النعيم[٦] بما اشتهوا، ويسلمون عليهم ويردون السلام على الملائكة، فذلك قوله: **وتحيتهم فيها سلام**. فإذا طَعِموا وفرغوا قالوا عند ذلك: **الحمد لله رب العالمين**. وهو قول ابن عباس وغيره من أهل التأويل.[٧] ويشبه أن يكون قوله: **وتحيتهم فيها سلام**، الكلام[٨] الذي لا عيب فيه ولا مطعن.[٩] أي كلام بعضهم لبعض كلام[١٠] منزه منفي عن جميع العيوب والمطاعن، كقوله: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا،[١١] الآية، وقوله: إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا،[١٢] ونحوه.

وقوله: **وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**، قال أهل التأويل: يقولون على إثر فراغهم من الطعام والشراب ذلك. / وقال الحسن: إن الله رضي من عباده[١٣] بالشكر [٣٢٥ظ] لما أنعم عليهم في الدنيا والآخرة بالحمد لله رب العالمين. ويشبه أن يكون قوله: **وآخر دعواهم**، أي دعواهم[١٤] في الآخرة **الحمد لله رب العالمين**، كما كان دعواهم في الدنيا الحمد لله رب العالمين.

---

[١] سورة الواقعة، ٥٦/٢٠-٢١.
[٢] أي لا نعلم ذلك على سبيل القطع.
[٣] ن: قوله.
[٤] ن: لعظم.
[٥] ع: ولا طعمة.
[٦] ك ن - من ألوان النعيم.
[٧] ع: من أهل القلم وبل. روي عن ابن جريج؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١١/٨٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٣٤٦.
[٨] ع م: والكلام.
[٩] ع: أو لا مطعن.
[١٠] ك م - كلام.
[١١] سورة مريم، ١٩/٦٢؛ وسورة الواقعة، ٥٦/٢٥؛ وسورة النبأ، ٧٨/٣٥.
[١٢] سورة الواقعة، ٥٦/٢٦.
[١٣] ك: عن عباده؛ ع: من عبادة.
[١٤] م - أي دعواهم.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١١]

وقوله عز وجل: **ولو يُعجِّل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لَقُضِي إليهم أجلهم**، كأن الآية على الإضمار. كأنه قال: **ولو يُعَجِّل الله للناس الشر** إذا استعجلوه كما يُعَجِّل لهم الخير إذا استعجلوه[١] **لَقُضِي إليهم أجلهم**؛ لأنه ليس يذكر في ظاهر الآية استعجالهم الشر، إنما يذكر تعجيله. ولكن فيه ما ذكرنا[٢] من الإضمارِ إضمارِ الاستعجال.[٣] وهو ما ذكر في غير آيٍ من القرآن استعجالهم العذاب، كقوله: أَتَى أَمْرُ اللهِ،[٤] الآية، وقوله:[٥] فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً،[٦] الآية، ونحو ذلك. كانوا يستعجلون العذاب استعجال تضرع. فيقول: لو عجّل لهم العذاب إذا استعجلوه كما يعجّل لهم الخير إذا استعجلوه[٧] لقضي أجلهم. يقول: لهلكوا وفَنُوا.[٨] هذا التأويل في أهل الكفر خاصة عند استعجالهم العذاب استعجال تضرع وسؤال. ويشبه أن يكون هذا في جملة الخلق على غير تصريح سؤال، ولكن عند ارتكابهم الشر. يقول: **ولو يعجّل الله للناس الشر**، باكتسابهم الشر وبارتكابهم إياه وقت اكتسابهم كما يعجّل لهم الخير وقت اكتسابهم الخير **لقضي إليهم أجلهم**، أي لو عجّل[٩] لهم جزاء شرهم وقت اكتسابهم الشر كما يعجّل لهم جزاء خيرهم لكان[١٠] ما يستوجبون بارتكابهم الشر وقتَ فعلِهم إياه [و]لقضي إليهم أجلهم، لكنه لم يجعل لهم[١١] ذلك، وأخره إلى المدة التي جعل لآجالهم. ويمكن وجه آخر، وهو ما يدعو[١٢] بعضهم على بعض باللعن والخزي.

---

[١] ع – كما يعجل لهم الخير إذا استعجلوه.

[٢] ك: ما ذكر.

[٣] ن + لقضي إليهم أجلهم لأنه ليس يذكر في ظاهر الآية استعجالهم الشر إنما يذكر تعجيله ولكن فيه ما ذكرنا من الإضمار إضمار الاستعجال.

[٤] ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ (سورة النحل، ١/١٦).

[٥] ك ن: وقولهم.

[٦] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).

[٧] م + كما يعجل لهم الخير إذا استعجلوه.

[٨] ك: أو فنوا.

[٩] ع م – أي لو عجل.

[١٠] ك ن + ما ذكر.

[١١] جميع النسخ: له.

[١٢] ع: ما يدعوا.

يقول الرجل عند شدة الغضب: اللهم العن فلانا، اللهم أَخْزِه، ونحو ذلك من الدعوات. يقول: لو عجّل لهم هذا كما يعجّل لهم عند دعاء بعضهم لبعض بالرحمة والسعة **لقضي إليهم أجلهم**، لهلكوا وفَنُوا، ويكون ذلك انقضاء أجلهم.[١] يكون هذا على وجوه ثلاثة. أحدها استعجال سؤال وتضرع [على] الذي ذكرنا. والثاني[٢] بأفعالهم وارتكابهم الشر وقت ارتكابهم. والثالث في الأسباب التي بها يرتكبون ويفعلون.

وقوله: **لَقُضِيَ إليهم أجلهم**، يحتمل لقضي أجلهم قبل المدة التي جُعل لهم. والثاني لقضي أجلهم، أي يُجعل أجلهم ذلك. ففيه دلالة أنْ لا يهلك أحد قبل أجله،[٣] لا يقدّم ولا يؤخّر. وهو ما ذكر: لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.[٤]

وقوله عز وجل: **فَنَذَرُ الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون**، هو ما ذكرنا أنّ مِن حكمه[٥] أن لا يعاقب أحدا من الكفرة في الدنيا[٦] بصنعه[٧] الذي صنع. وقد يعجّل لهم جزاء خيراتهم في الدنيا لما ساق إليهم من أنواع النعم. ولكن مِن حكمه[٨] أن يؤخر عقوبتهم إلى يوم القيامة. فذلك تأويله. ***والله أعلم***. **فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون**، أي نتركهم يتردّدون في عماهم[٩] وحيرتهم إلى الوقت الذي وعد لهم العذاب. ***والله أعلم***.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وإذا مسّ الإنسان ضُرّ دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما**، قال بعض أهل التأويل: إن[١٠] جميع ما ذكر في القرآن [من] "الإنسان" فالمراد منه الكافر. مِن ذلك قوله:

---

[١] ك: آجالهم.
[٢] ع: والذي.
[٣] ع م – أجلهم قبل المدة التي جعل لهم والثاني لقضي أجلهم أي يجعل أجلهم ذلك ففيه دلالة أن لا يهلك أحد قبل أجله.
[٤] ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة الأعراف، ٣٤/٧؛ وسورة النحل، ٦١/١٦).
[٥] ع: من حكمة؛ م: من حكمته.
[٦] ع: في الكفرة؛ م: في الكفر.
[٧] م: بصنيعه.
[٨] ع: من حكمة.
[٩] ع: في عملهم؛ م: في أعمالهم.
[١٠] ع م – إن.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ،[1] وقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ،[2] وقوله: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ،[3] ونحوه. لكن هذا لا نعلم أنه أراد به الكافر. فَلَئِنْ كان ما ذكروا فإن أهل الإيمان يدخلون في هذا[4] الخطاب إذا كان منهم ما يكون من الكفرة؛ لأن من أهل الإيمان من يُقبِل على الدعاء والتضرّع إلى الله عند مَسّ[5] الحاجة والشدة، فإذا انجلى ذلك وانكشف عنه ترك ذلك الدعاء الذي كان دعا وذلك التضرّع الذي كان يتضرّع إليه، فدخل في ذلك.

ثم قوله:[6] **دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما**، ليس على إرادة حقيقة الجنب والقعود والقيام، ولكن على الدعاء[7] في كل حال، أي يدعوه في كل حال.[8] لمّا عرفوا أن الذين[9] كانوا يعبدون من دون[10] الله لا يملكون دفع ما حلّ بهم من الشدائد والمضارّ أقبلوا على الله بالتضرّع والدعاء إليه في كشف ذلك عنهم.

ثم أخبر عن سفههم وشدة تعنّتهم وعودهم إلى الحال[11] التي كانوا من قبل، فقال: **فلما كشفنا عنه ضُرّه مَرّ كأنْ لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسّه**، يقول -والله أعلم- **مَرّ كأنْ لم يَدْعُنا**، قد نَسِيَنَا في الرخاء كأنْ لم يعرفنا واستمرّ على ترك الدعاء في الرخاء.

وقوله:[12] **كذلك زُيّن للمسرفين ما كانوا يعملون**، الإسراف هو العدوان[13] والتعدي[14] عن الحد الذي جُعِل له. وهو وضع الأموال والأنفس في الموضع الذي لا ينتفعون بها، في عبادة الأصنام وغيرها. *والله أعلم*.

---

[1] ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كَدْحا فمُلاقيه﴾ (سورة الانشقاق، ٨٤/٦).
[2] سورة الانفطار، ٨٢/٦.
[3] سورة العصر، ١٠٣/١-٢.
[4] ك ن: ذلك.
[5] ك ن ع: عند مسه.
[6] ن: وقوله؛ ع: ثم وقوله.
[7] ن: مع الدعاء.
[8] ع م - في كل حال.
[9] ع م: أن الذي.
[10] ك ن: يعبدون دون.
[11] ع: إلى الحلال.
[12] ن - وقوله.
[13] ع م - واستمر على ترك الدعاء في الرخاء وقوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون الإسراف هو العدوان.
[14] ع م: وإن التعدي.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا.**

فإن قيل: قد أهلك من قد ظلم ومن لم يظلم، فما يُعلَم[١] أنّ مَن[٢] أهلك[٣] من الظلمة أنه إنما أهلكهم لظلمهم أو أهلك لصلاح من لم يظلم؟

قيل: إنه[٤] أهلك الظلمة إهلاك استئصال وعقوبة،[٥] وأهلك من لم يظلم لا إهلاك عقوبة واستئصال، إنما هو إهلاك بآجالهم التي جعل لهم.[٦] ويحتمل قوله: **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات،** [أنه] إنما أهلك أولئك لسؤالهم الذي سألوا -سؤالَ تعنُّتٍ رسلِهم- الآيات، فإذا جاءوا بتلك الآيات كذّبوها، فأُهلِكوا عند ذلك. فأنتم يا أهل مكة إذا سألتم رسولكم[٧] الآية ثم كذّبتموها يعذّبكم[٨] كما عذّب أولئك؛ إذ مِن حُكمه[٩] الإهلاك على إثر السؤال. كأنه ينهى أهل مكة عن سؤال الآيات، / فإن على إثره [٣٢٦ر] الإهلاك إذا لم يقبلوها.

وقوله عز وجل: **وجاءتهم رسلهم بالبينات،** يحتمل[١٠] البينات التي تبين ما يؤتَى وما يُتّقَى.[١١] وقد ذكرناها في غير موضع.[١٢] **وما كانوا ليؤمنوا،** يخبر رسوله أنهم وإن سألوك الآيات فإذا جئت[١٣] بها فإنهم لا يؤمنون، يعني أهل مكة. **كذلك نجزي القوم المجرمين،** كل مجرم.

---

[١] ك: نعلم.
[٢] م: يعلم من.
[٣] ع – من قد ظلم ومن لم يظلم فما يعلم أن من أهلك.
[٤] م: له.
[٥] ن: أو عقوبة.
[٦] ن – لهم.
[٧] ن + الآيات فإذا جاءوا بتلك الآيات كذبوها فأهلكوا عند ذلك فأنتم يا أهل مكة إذا سألتم رسولكم.
[٨] ن ع ن: لعذبكم.
[٩] ع: من حكمة.
[١٠] ك: تحتمل.
[١١] م: نبقى.
[١٢] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٨٧، ٩٩.
[١٣] ع: وجبت.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم**، يحتمل قوله: **خلائف**، أي جعل أنفسكم خَلَف أنفس أولئك الذين لم يهلكهم. يخرج هذا مخرج تذكير[١] النعمة والامتنان والرحمة. يذكّرهم أنه لو شاء أهلك الكل، فلا يكون هؤلاء خَلَف أولئك، ولكن بفضله ورحمته أبقاكم. ويحتمل قوله: **جعلناكم خلائف** أولئك في المحنة[٢] والعبادة. أي جعل عليكم من المحنة والعبادة كما كان على آبائكم من المحنة والعبادة. ويشبه أن يكون قوله: **جعلناكم خلائف** الذين لم يظلموا، فكيف لا تتبعونهم؛ لأن الذين ظلموا قد أهلكهم فأنتم خلائف أولئك الذين لم يظلموا ولم يكذّبوا[٣] الرسل، فكيف لا تتبعونهم؟ كأنهم ادّعوا أن آباءهم كانوا على ما هم عليه وأنهم على مذاهب آبائهم. يقول: **جعلناكم خلائف** الذين لم يظلموا، إذ الذين ظلموا قد أُهلِكوا، فقد تركتم مذهب آبائكم. وجائز أن يكون قوله: **جعلناكم خلائف**[٤] **في الأرض من بعدهم**، أي لست أنا بأول رسول أُرسِلت إليكم، بل لم يَزَل الله يرسل[٥] رسلاً[٦] في الأمم، فكان فيهم[٧] لهم أتباع يتبعون رسلهم إلى ما يدعونهم إليه ويجيبونهم، فاتبعوني[٨] أنتم يا أهل مكة فيما دُعِيتم إليه.

وقوله عز وجل: **لننظر كيف تعملون**، لم يَزَل الله تعالى عالما بما كان ويكون منهم من المعصية والطاعة، ولكن لِيَعلمهم عُصاةً ومطيعين؛ لأن المعصية إنما تكون[٩] بعد ما يكون النهي، والطاعة إنما تكون بالأمر. فيبتليكم فيعلمكم عصاة كما علم أنه يكون منكم[١٠] معصية، ويعلمكم مطيعين كما علم أنه يكون منكم الطاعة. وقد ذكرنا أمثال هذا فيما تقدم.[١١]

والله أعلم.

---

١ م: تذكر.

٢ م: في محنة.

٣ م: ويكذبوا.

٤ ع م – الذين لم يظلموا إذ الذين ظلموا قد أهلكوا فقد تركتم مذهب آبائكم وجائز أن يكون قوله جعلناكم خلائف.

٥ ع م: يزل.

٦ م: رسولا.

٧ م: فيه.

٨ ك: فاتبعون؛ ن: فا فاتبعوني.

٩ ن: يكون.

١٠ ع: منهم.

١١ انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ١٤٣/٢.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات**، البينات قد ذكرنا في غير موضع.[١] والبينات هي التي تبين أنها آيات نزلت من عند الله لم يخترعها أحد من الخلق. وقد ذكرنا قوله أيضا: **قال الذين لا يرجون لقاءنا**.[٢]

وقوله عز وجل: **ائت بقرآن غير هذا أو بَدِّلْه**، يشبه أن يكون قولهم: **ائت بقرآن غير هذا أو بدله** [متوجها إلى التبديل]، [لأن إتيان غير هذا القرآن وتبديله واحد، فيكون "أو" بمعنى الواو، كأنهم قالوا: ائت بقرآن غير هذا وبَدِّلْه].[٣] ألا ترى أنه قال: **قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي**، إنما أجابهم في التبديل؛ دل أن السؤال كان سؤال تبديل، ولكن كانوا يسألون سؤال استهزاء وتكذيب. ثم اختلف أهل التأويل في التبديل الذي سألوا. قال بعضهم: سألوا أن يبدّل ويجعل مكان آية العذاب آية الرحمة، أو يبدّل[٤] أحكامه. ويحتمل قوله: **ائت بقرآن غير هذا**، أي بدّل أحكامه واترك[٥] رسمه. ويحتمل ما ذكرنا أنهم سألوا أن يتلو[٦] مكان آية العذاب آية الرحمة ومكان ما فيه سب آلهتهم مدحها[٧] ونحو ذلك. *والله أعلم*. ونحن لا نعلم ما أراد بالتبديل تبديل الأحكام أو تبديل[٨] الرسم والنظم. إنما نعلم ذلك بالسماع. ثم أخبر أنه لا يقول ولا يتبع[٩] إلا ما يوحَى إليه[١٠] ويؤمَر به بقوله: **قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتّبع إلا ما يوحَى إليَ**.

وقوله عز وجل: **إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**، إن تركت تبليغ[١١] ما أُمِرت بالتبليغ إليكم.

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/٨٧، ٩٩.
[٢] انظر تفسير الآية من سورة يونس، ١٠/٧.
[٣] سقط ما بين المعقوفتين الأخيرتين من جميع النسخ؛ فأكملناه من *الشرح*، ورقة ٣٦٦ظ.
[٤] ك ن ع: أو بدل؛ م: لو بدل.
[٥] ع م: وانزل. واترك رسمه: أي أبق نظمه ولا تبدله.
[٦] ع م: أن يتلوا.
[٧] ع: مدحا.
[٨] ع م: وتبديل.
[٩] ن: ولا تبع.
[١٠] م: الله.
[١١] ن: بتبليغ.

وهكذا[١] كل مَن عرف ربه خافه إن عصاه وخالف[٢] أمره ونهيه، ومن لم يعرف ربه لم يخفه إن عصاه وخالف.

وقوله: **ائت بقرآن غير هذا أو بَدِّله**، سؤالهم سؤال تعنّت واستهزاء؛ لأنه لا منفعة[٣] لهم لو أتى بغيره وبدّله سوى ما في هذا. ولو جاز لهم هذا السؤال جاز ذلك في كل ما أتى به[٤] واحدا بعد واحد.[٥] فذلك مما لا ينقطع أبدا ولا غاية ولا نهاية [له]. فهو سؤال[٦] تعنّت واستهزاء.

﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به**، هو صلة ما تقدم من قوله حيث قالوا: ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ.[٧] قد ذكرنا أن هذا يحتمل وجهين. يحتمل أنهم سألوه أن يبدّل أحكامه على ترك رسمه ونظمه. ويحتمل قوله: ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ، أي ارفع[٨] رسمه ونظمه وأحكامه، كأنهم ادّعوا على رسول الله اختراع هذا القرآن من نفسه واختلاقَه من عنده. فقال: **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم**، تأويله -والله أعلم- لو شاء الله أن لا يُظهِرَ دينَه فيكم ولا يُلزِمَكم[٩] حجته[١٠] ولا يبعثني[١١] إليكم رسولا **ما تلوته عليكم**[١٢] **ولا أدراكم به**، أي ولا أعلمكم به. ويحتمل قوله: **ولا أدراكم به**، ولا أعلمكم ما فيه من الأحكام. أو يقول: لو شاء الله لم يوحِ إليّ ولا أمرني بتبليغ[١٣] ما أوحي إليّ إليكم ولا بالدعاء إلى ما أمرني أن أدعوكم إليه.

---

[١] م: وهذا.
[٢] م: خالف.
[٣] ع م: لأنه منفعة.
[٤] ع م – به.
[٥] م – بعد واحد.
[٦] ع م: فسؤال.
[٧] الآية السابقة.
[٨] ع: أي رفع.
[٩] ك ن: ولا ألزمكم؛ ع م: ولا ألزمه.
[١٠] م: حجة.
[١١] جميع النسخ: ولا بعثني.
[١٢] ع م + تأويله والله أعلم لو شاء الله.
[١٣] ك: بالتبليغ.

وفي قوله: **لو شاء الله ما تلوته عليكم**، دلالة أن الله إذا شاء شيئا كان وما لم يشأ لم يكن؛ لأنه أخبر أنه لو شاء ما تلوته عليكم،[١] فلو لم يشأ أن يتلوه ما تلاه.[٢] دل أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وذلك يرد على المعتزلة قولهم: شاء الله أن يؤمن الخلائق كلهم، لكنهم[٣] لم يؤمنوا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فقد لبثتُ فيكم عُمُرا من قبله أفلا تعقلون**، أي **فقد لبثت فيكم عمرا من قبله**، فلم أَدَّعِ ما أدّعي[٤] للحال ولا تلوت ما أتلو.[٥] **أفلا تعقلون**، أني لم أخترع هذا من نفسي، ولكنه[٦] وحي أوحي إليّ؛ إذ لو كان اختراعا مني لكان ذلك مني فيما مضى من الوقت وكنت لابثا[٧] فيكم. فإذ[٨] لم يكن مني ذلك **أفلا تعقلون**، أني لم أخترع [ذلك] من نفسي. يحتمل هذا الكلام وجوها. أحدها / أنهم لما ادّعوا عليه الاختراع من عنده قال: إني قد لبثت فيكم[٩] من قبله، أي قبل أن يوحَى[١٠] هذا إليّ، فلم تروني خطَطْت بيميني ولا اختلفت[١١] إلى أحد في التعلّم والدراسة، فكيف أخترع [هذا] من عندي؟ إذ التأليف[١٢] لا يلتئم[١٣] ولا يتم إلا بأسباب تتقدم.[١٤] [٣٢٦ظ]

والثاني فقد لبثت عمرا سِنين لم تعرفوني ولا رأيتموني كذبت قط. فكيف أفتري على الله وأخترع القرآن من عند نفسي؟ ألا ترى أنه قال على إثر[١٥] هذه:[١٦] فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا،[١٧] أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا.

---

[١] ع م – دلالة أن الله إذا شاء شيئا كان وما لم يشأ لم يكن لأنه أخبر أنه لو شاء ما تلوته عليكم.
[٢] ع: من تلاه.
[٣] ع م – لكنهم.
[٤] م – ما أدعي.
[٥] م: ما أتلوا.
[٦] جميع النسخ: ولكن.
[٧] ع م: لابسا.
[٨] م: فإذا.
[٩] ن – فيكم.
[١٠] ن: أن حى.
[١١] ن: ولا اختلف.
[١٢] ع م: أو التأليف.
[١٣] التأم أي اتّفق واجتمع (*لسان العرب* لابن منظور، «لأم»).
[١٤] ع م: متقدم.
[١٥] ع م: على إثره.
[١٦] ع م – هذه.
[١٧] الآية التالية.

والثالث يحتمل قوله: **فقد لبثت فيكم عمرا من قبله**، فلم أسمع أحدا ادّعى البعث ولا أقام حجة عليه. وأنا قد ادّعيت البعث وأقمت على ذلك حجة. **أفلا تعقلون**،[1] أني لم أخترع [هذا] من عند نفسي.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾[١٧]

وقوله: **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته**، يشبه أن [يكون] هذا صلة قوله: اِئْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ،[2] أي كيف تطلبون مني[3] إتيان غيره وتبديل أحكامه وقد تعرفون[4] قبح الكذب وفحشه. فكيف تسألونني الافتراء على الله وتكذيب آياته؟ ويحتمل أن يكون صلة ما ادّعوا عليه[5] أنه افتراه من عند نفسه.[6] يقول: إنكم لم تأخذوني[7] بكذب قط وقد[8] لبثت فيكم عمرا، فكيف تنسبونني[9] إلى الكذب على الله وقد عرفتم قبح الكذب على الله وفحشه؟ ويحتمل على الابتداء. ثم قد ذكرنا أن قوله: **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا**، استفهام. فجوابه ما قاله أهل التأويل: لا أحد أبين ظلما ولا أفحش[10] ممن افترى على الله كذبا، لا أنّ تفسيره[11] ما قالوه.[12] وقد ذكرنا هذا في غير موضع.[13]

أو كذب بآياته؛ الافتراء على الله تكذيب بآياته، وتكذيب آياته افتراء على الله.

---

[1] جميع النسخ + هذا.
[2] سورة يونس، ١٠/١٥.
[3] ع: حتى.
[4] ع: تعرفوني.
[5] م: إليه.
[6] ك: من نفسه.
[7] ع: لم تأخذوني.
[8] م: فقد.
[9] جميع النسخ: تنسبوني.
[10] ع م: ظلما وأفحش.
[11] ع م: لأن تفسيره.
[12] وعبارة الشارح هكذا: «ويحتمل على الابتداء. وقد ذكرناه في غير موضع أن قوله: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾، هو استفهام يقتضي الجواب. وجوابه ما قال أهل التأويل: لا أحد أبين ظلما ولا أفحش ممن افترى على الله كذبا، فيكون ما قاله أهل التأويل جواب الاستفهام الذي أضمر في الكلام، لا أنه تفسير الآية وتأويلها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٧و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٤٠٩ظ).
[13] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٩٣/٦.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم،**[١] يحتمل وجهين. **ما لا يضرهم،**[٢] لو تركوا عبادته، **ولا ينفعهم،** إن عبدوه. والثاني **ما لا يضرهم،** أي ما لا يملكون الضرر بهم، **ولا ينفعهم،** لو تركوا عبادته.[٣] أي ولا يملكون جر[٤] النفع إليهم. يسفّههم[٥] في عبادتهم من لا يملك بهم دفع الضر[٦] ولا يملك جر النفع، وتركِهم عبادة من به يكون جميع منافعهم وغذائهم ومنه يكون كل خوف وضر. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله،** يحتمل هذا القول منهم تقليدا لآبائهم، كقولهم: وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا.[٧] ظنوا أن آباءهم لمّا تُركوا وما هم عليه [و] لم يعذّبوا أنهم على الحق وأن الله قد رضي بذلك. أو قالوا ذلك لِما لم يروا[٨] أنفسهم أهلا لعبادة الله والقيام بخدمته. وقد يكون مثل هذا في ملوك الأرض أن كل أحد[٩] لا يرى نفسه يصلح لخدمة الملك، فيخدم من دونه المتصلين به رجاء أن يكون مَن خَدَمَه[١٠] شفيعا له عند الملك. فعلى ذلك هؤلاء طمعوا أن عبادتهم هؤلاء تقرّبهم إلى الله زُلْفَى[١١] ويكونون لهم شُفَعاء عند الله. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض،** يقول **أتنبئون الله،** أتخبرون الله،[١٢] **بما لا يعلم،** أي تَعلمون[١٣] أنه عالم. أي أ تُعلِّمون[١٤]

---

[١] ن + أي ولا يملكون جزاء النفع.

[٢] م + ولا ينفعهم يحتمل وجهين ما لا يضرهم.

[٣] ن ع م – لو تركوا عبادته.

[٤] ن: جزاء.

[٥] ع م: بسفههم.

[٦] ك: الضرر.

[٧] يقول الله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٨).

[٨] ع: لما يروا.

[٩] ع: أحدا.

[١٠] ع م: من خدمة.

[١١] يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليُقرّبونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).

[١٢] ع م – أتخبرون الله.

[١٣] ك: أي أتعلمون.

[١٤] ن: أي تعلمون.

من تَعلمون[1] أنه يَعلم ما ذُكر وأنتم لا تَعلمون ذلك، وقد تعلمون أنه لو كان كذلك لكان هو أعلم به منكم. والثاني أي أتقولون[2] ما لا يعلم، أي يعلم[3] أنه ليس كما تقولون. كقول الناس:[4] ما شاء الله كان وما لا يشاء[5] لا يكون، أي ما شاء[6] أن لا يكون لا يكون.[7]

وقوله: [**سبحانه وتعالى عما يشركون**]؛ **سبحانه**، كلمة جُعِلت لإجلال الله عما يحتمله غيره[8] من الأشكال والأضداد ومن العيوب والآفات. وهو في هذا الموضع يتوجه إلى وجهين. إذ كانوا[9] يعبدون ما ذكر ويقولون هم شفعاؤنا عند الله. فيقول: **سبحانه**، أن يجعل لأمثال[10] أولئك شفاعة عنده؛ إذ الشفيع إنما[11] يكون من له منزلة وقدر عند من يشفع له. والمنزلة تكون للعبيد[12] بما يتعبّدهم[13] فيقومون بتوفير ما يحتمل وُسعهم من العبادة. فأما من لا يحتمل التعبّد فهو بعيد عما ذكر. يعني[14] **سبحانه** أن يجعل[15] الشفاعة لمن ذُكر دون[16] الأنبياء والرسل وهم قد أخبروا أنها لا تملك ضررا ولا نفعا، وفي الشفاعة ذلك. والثاني أن يكون عما أشركوا في العبادة. فسبحانه عن أن يكون معه معبودٌ أو يأذنَ لأحد بعبادة غيره. ***والله أعلم***.

---

[1] م: من يعلمون.

[2] جميع النسخ: والثاني أن تقولوا.

[3] أي على إسقاط "لا".

[4] ك: للناس.

[5] ن ع م: لم يشأ.

[6] ع: ما يشاء؛ م: وما يشاء.

[7] وعبارة الشارح هكذا: «وقوله تعالى: ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض﴾، يحتمل وجهين. أحدهما أن هذا وإن كان نفي العلم عن نفسه فيما ادّعوا من كون الأصنام شفعاء عند الله بقوله: ﴿بما لا يعلم﴾، لكن في الحقيقة نفي ما ادّعوا. يقول أتخبرون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض. أي تَعلمون أنه عالم بما في السماوات وما في الأرض، ولو كان ما تدّعون من كون الأصنام شفعاء عند الله لكان هو أعلم به منكم. فيكون نفيا لما ادّعوا. والثاني قريب من هذا. يقول: ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم﴾، أي تُعلِمون من يَعلم أنه ليس كما تدّعون. وهو كقول الناس: ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون، أي ما شاء الله كان وما شاء أن لا يكون لا يكون» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٧و-ظ).

[8] ع م: غير.

[9] م: إذا كانوا.

[10] م: الأمثال.

[11] جميع النسخ: انه؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٦٧ظ.

[12] م: للعبد.

[13] ع م: يتبعه هم.

[14] ن ع: بمعنى؛ م – بمعنى.

[15] جميع النسخ: أي يجعل.

[16] ع: دونه.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا**، اختلف[١] فيه. قال بعضهم: قوله: **وما كان الناس إلا أمة واحدة**، أي أهل مكة كانوا كلهم أهلَ شرك، عُبّادَ الأصنام والأوثان،[٢] لم يكن فيهم اليهودية ولا النصرانية ولا شيءٌ من اختلاف المذاهب. فلما بُعِث محمد[٣] صلى الله عليه وسلم اختلفوا. فمنهم من آمن به وصدّقه وأخلص دينه لله. ومنهم من[٤] عاند وكابر في تكذيبه بعد أن عرف أنه رسول الله.[٥] ومنهم من شكّ فيه.[٦] ومنهم من لم ينظر في أمره قط ولا تفكّر فيه. فصاروا أربع فرق. وقال[٧] بعضهم: قوله:[٨] **وما كان الناس إلا أمة واحدة**، بالفطرة. أي كانوا جميعا على الفطرة.[٩] وفي فطرة كل أحد[١٠] الشهادة على وحدانية الله تعالى وألوهيته، كقوله: وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا،[١١] وقوله: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا.[١٢] في[١٣] خلقة[١٤] كل أحد الشهادة لله بالوحدانية له والألوهية. **فاختلفوا**، فمنهم[١٥] من كان على تلك الفطرة، ومنهم من كذّب واختار الكفر. وهو ما روي: «كل مولود يولد على الفطرة إلا أنّ أبَوَيه يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه».[١٦] أخبر أنهم على الفطرة لو تُرِكوا على ذلك، لكن أبَوَيه يمنعانه عن الكون[١٧] عليها.

---

[١] ع م – اختلف.
[٢] ن ع: الأوثان والأصنام.
[٣] م: محمدا.
[٤] م + كان.
[٥] ك ن – الله.
[٦] ع – فيه.
[٧] ع: قال.
[٨] ن ع م – قوله.
[٩] ع – أي كانوا جميعًا على الفطرة.
[١٠] ع م – أحد.
[١١] سورة آل عمران، ٨٣/٢.
[١٢] ﴿فأَقِمْ وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (سورة الروم، ٣٠/٣٠).
[١٣] م – في.
[١٤] ن: في خلقته.
[١٥] ك: منهم.
[١٦] «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه...» *صحيح البخاري*، الجنائز ٩٢؛ وصحيح *مسلم*، القدر ٢٢.
[١٧] ن: على الكون.

[٣٢٧و] وقيل: / **وما كان الناس إلا أمة واحدة**، أي كان الخلائق جملةَ أُمَمٍ. كقوله: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ.[١] كأنه يعاتب هذه الأمة. يقول: إن الأمم مع اختلاف جواهرها وأجناسها كانوا خاضعين لله مخلصين له. فأنتم أيها الناس أمة من تلك الأمم. فكيف اختلفتم[٢] وأشركتم غيره في ألوهيته وربوبيته مع ما ركّب فيكم من العقول[٣] والتمييز بين ما هو حكمة وما[٤] هو سَفَه؟ وقد فضّلكم على غيرها من الأمم في خلق[٥] ما خلق في السماوات وما في الأرض لكم، وسخّر لكم ذلك كله،[٦] ما لم يفعل ذلك بغيرها من الأمم. ومنهم من قال من أهل التأويل في قوله: **وما كان الناس إلا أمة واحدة**، زمن نوح[٧] ومن دخل معه في السفينة. كانوا على دين واحد. فاختلفوا بعد ما خرجوا. ومنهم من قال: آدم، فاختلف أولاده. ومنهم من قال: زمن[٨] إبراهيم. لٰكِنّا لا تشهد[٩] كيف كان الأمر. فلا نعلم إلا بخبر[١٠] عن الله تعالى.

وقوله عز وجل: **ولولا كلمة سبقت من ربك لَقُضِي بينهم فيما فيه يختلفون**، قيل: لولا أنّ مِن حُكمه[١١] أن لا يعذّب هذه الأمة عند تكذيبهم الآيات إذا سألوها وإلّا لأهلكها[١٢] كما أهلك الأمم الخالية بتكذيبهم الآيات عند السؤال. ولكن أخّر تعذيب هذه الأمة إلى يوم القيامة. والثاني **سبقت من ربك**، أن لا يستأصل هذه الأمة عند تكذيبهم[١٣] الرسل والعناد لهم. أحد التأويلين في ترك استئصالهم. والآخر في تأخير العذاب عنهم[١٤] إلى وقت. وقوله: **لَقُضِي بينهم**، ببيان يضطرّهم إلى القبول.

---

[١] سورة الأنعام، ٣٨/٦.
[٢] ع: إذا اختلفتم.
[٣] ع م: من القول.
[٤] ك: وبين ما.
[٥] ك: في ظن.
[٦] يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ (سورة البقرة، ٢٩/٢)؛ وقوله: ﴿ألم تَرَوْا أن الله سخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسْبَغَ عليكم نِعَمَه ظاهرةً وباطنةً﴾ (سورة لقمان، ٢٠/٣١)؛ وقوله: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾ (سورة الجاثية، ١٣/٤٥).
[٧] ك ع + نوح.
[٨] ع م – زمن.
[٩] ع م: لكنا نشهد.
[١٠] ع: إلا بخير.
[١١] ع: من حكمة.
[١٢] ك ن ع: وإلا لأهلك؛ م – وإلا لأهلك.
[١٣] م: تكذيب.
[١٤] م – عنهم.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾[٢٠]

وقوله: **ويقولون لولا أُنزِل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله**، جوابه -والله أعلم- ما ذكر: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ،[١] أن لا يعذّب هذه الأمة بتكذيبهم[٢] الآيات عند سؤالها وإلّا لَعُذِّبتم أنتم كما عُذِّبت الأمم الخالية بتكذيبهم الآيات عند السؤال.

وقوله عز وجل: **فقل إنما الغيب لله**، أي إنكم تعلمون أن علم الغيب لله. وقد أنزل من الآيات ما يبيّن ويدل على رسالتي.

وقوله: **فانتظروا إني معكم من المنتظرين**، قيل:[٣] انتظروا هلاكي، إني منتظر[٤] هلاككم. لأنهم كانوا يُوعِدونه الهلاك. وقيل: انتظروا مواعيد الشيطان، إني منتظر[٥] مواعيد الله. وهو حرف وعيد. ***والله أعلم***.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[٢١]

وقوله: **وإذا أذقنا الناس رحمة مِن بَعد ضرَاء مسّتهم إذا لهم مكر في آياتنا**، قال أهل التأويل: **أذقنا الناس**، يعني أهل مكة. إذا أصابهم سَعة وفرح ونجاة مما يخافون عادوا إلى ما كانوا من التكذيب وعبادة الأصنام. ولكن [يشمل] أهل مكة وغيرهم. إنهم إذا أَيِسوا[٦] عما يعبدون من الأصنام[٧] والأوثان فَزِعوا إلى الله ويخلصون له الدين؛ كقوله: فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ،[٨] الآية، وقوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا،[٩] الآية،[١٠]

---

١ الآية السابقة.
٢ م: بتكذيب.
٣ م: وقيل.
٤ ع: منتظرين.
٥ م + في.
٦ ك: إذ أيسوا.
٧ م: يعبدون الأصنام.
٨ ﴿فإذا ركبوا في الفُلْك دَعَوُا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٦٥).
٩ ﴿وإذا مسّ الإنسانَ الضُّرُّ دعانا لِجَنْبِه أو قاعدا أو قائما فلمّا كشفنا عنه ضُرَّه مر كأنْ لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مَسَّه كذلك زُيِّنَ للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٢).
١٠ م - الآية.

وقوله: وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ،[١] الآية، وغير ذلك من الآيات مما يكثر عددها. كانت عادتهم الفزع إلى الله عند إصابتهم الشدائد والبلايا لِعلمهم أن الأصنام التي كانوا يعبدونها لا يدفعون عنهم ذلك.

وقوله عز وجل: **إذا لهم مكرٌ في آياتنا،** المكر في الآيات تكذيبها وردّها. فيشبه أن يكون الآية هاهنا محمدا. كان هو[٢] من أول أمره[٣] إلى آخره آية. فمكروا به لما همّوا بقتله غير مرة، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[٤] الآية. ويحتمل سائر الآيات والحجج. مكروا فيها، أي كذّبوها وردّوها.

قل الله أسرع مكرا، المكر الأخذ مِن غير أن يعلم هو به. يقول: **الله أسرع** أخذا. يأخذكم وأنتم لا تعلمون به. ولا تقدِرون أن تأخذوا رسول الله وتمكروا[٥] به إلا وهو يعلم بذلك. فهو[٦] أسرع أخذا منكم.

إن رسلنا يكتبون ما تمكرون، فهم الحَفَظة. ويحتمل قوله: **قل الله أسرع مكرا،** أي أسرع لجزاء المكر منكم. أو أسرع أخذا[٧] من حيث لا تعلمون أنتم. وقال بعض أهل اللغة: المكر بالآيات هو الردّ والجحود لها، وقال بعضهم: استهزاء بها، فهو واحد. ***والله أعلم.***

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **هو الذي يُسَيِّركم في البر والبحر،** اختلف فيه. قال بعضهم: قوله: **هو الذي يُسَيِّركم،** أي هو الذي سخر لكم ما به تَسِيرون[٨] في البر والبحر. وهو الدوابّ والسُّفُن التي يُقطَع بها البراري والبحار. وهو كقوله: لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ.[٩]

---

[١] ﴿وإذا مسّ الناسَ ضُرٌّ دَعَوْا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٣٣).

[٢] م – هو.

[٣] ك: الأمر.

[٤] ﴿وإذ يَمْكُرُ بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يقتلوك أو يُخرجوك ويَمْكُرُون ويَمْكُر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).

[٥] م: ويمكروا.

[٦] م: وهو.

[٧] ع: أخذ.

[٨] ع: يسرون.

[٩] ﴿وجعَل لكم من الفُلْكِ والأنعام ما تركبون. لِتَسْتَوُوا على ظهوره ثم تَذكُروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مُقْرِنِين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/١٢-١٣).

وقيل: قوله:[١] **هو الذي يُسَيِّركم في البر والبحر**، أي سخّر لكم البر والبحر[٢] وهما[٣] مكانا[٤] الخوف والهلاك. أي حَفِظكم فيهما[٥] حتى قضيتم فيهما حوائجكم. وليس في وُسع الخلق حفظ البراري والبحار عما فيهما من الأهوال. فتولّى الله بفضله حفظ السائرين فيهما حتى قَضَوا فيهما حوائجهم. وهو كقوله: وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا،[٦] إلى آخر ما ذكر من أنواع[٧] المنافع. فلو لا أنّ الله سخر لهم ذلك وحَفِظهم فيه وإلّا لم يكن في وُسعهم[٨] القيام بذلك وحِفظُ أنفسهم فيه من الأهوال التي فيه. يُذَكِّرهم نعمه ومِنَنَه التي أنعمها عليهم[٩] لِيُوجِّهوا شكر نعمه إليه.

ثم قوله:[١٠] **يُسَيِّركم في البر والبحر**، يحتمل يخلق وينشئ سَيْركم في البر والبحر. وهو كقوله: وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ،[١١] الآية. والتقدير هو التخليق.[١٢] والمقدَّر المخلوق. ففيه دلالة خلق أفعال الخلق؛ لأن السير هو فعل / الخلق، أضافه إلى نفسه. دلّ أنه منشئُ فعلِهم. ***والله أعلم***. [٣٢٧ظ]

ويشبه أن يكون قوله: **هو الذي يُسَيِّركم في البر والبحر**، لم يرد به[١٣] البر والبحر نفسه. ولكنه أراد تذكير نعمه عليهم في كل حال وكل وقت ليشكروا له في كل حال. وهو كقوله: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،[١٤] لم يُرِد به البر والبحر أنفسهما،[١٥] ولكن أراد المكان الذي فيه المياه والمكان الذي لا مياه فيه. أي ظهر الفساد في الأماكن كلها. فعلى ذلك الأول، يُذَكِّرهم نعمه التي أنعمها عليهم في الأماكن كلها والأحوال جميعا. ***والله أعلم***.

---

[١] م – قوله.
[٢] ن – أي سخر لكم البر والبحر.
[٣] م: وهو.
[٤] ن: مكان.
[٥] م: فيها.
[٦] ﴿وترى الفلك مَوَاخِرَ فيه ولِتَبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (سورة النحل، ١٦/١٤).
[٧] م: ذكر أنواع.
[٨] م: في وسعه.
[٩] ع م – عليهم.
[١٠] ع: وقوله.
[١١] ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرىً ظاهرةً وقدّرنا فيها السَّيْر سِيرُوا فيها لياليَ وأياما آمنين﴾ (سورة سبأ، ٣٤/١٨).
[١٢] ع: التخلق.
[١٣] ك: لم به.
[١٤] سورة الروم، ٣٠/٤١.
[١٥] ع: أنفسه ما.

وقوله عز وجل: **حتى إذا كنتم في الفُلْك**، أي ركبتم الفُلْك. **وجَرَيْن بهم بريح طيبة**، أي تجري[١] بهم السفن بريح طيبة. يخبر أن السفن ليست تجري في البحار بجريان الماء، لأن ماءها راكد[٢] في الظاهر، ولكن[٣] الريح هي التي[٤] تُجرِيها وتُسَيِّرها. وكذلك الأمواج التي تكون فيها ليست لشدة جريان الماء، ولكن[٥] الريح هي التي تُهيج الأمواج وتُزعجها لا نفس[٦] الماء. **وفرحوا بها**، قيل: **فرحوا بها**: سُرُّوا بها. ويحتمل **فرحوا بها**، أي بَطِروا بها وأَشِروا.

وقوله عز وجل: **جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان**، أخبر أنّ مِن الريح[٧] ما هي[٨] طيبة[٩] تَجري بها السفن، ومنها ما هي عاصفة قاصفة تكسر وتفرّق السفن، وتُهلك أهلها، لِيُعلَم أن الأشياء تُصلِح مرة[١٠] وتُفسِد تارة لا لأنفسها ولكن لحفظ الحدود فيها. وكذلك النار تُحرق مرة[١١] وتُفسد، ومرةً تُصلح. وذلك لحفظ الحدود[١٢] فيها. وكذلك الماء مرة يُصلح ومرة يُفسد. وذلك إذا حُفظ فيه[١٣] الحدُّ أَصلح[١٤] وإن لم يُحفَظ أفسد.[١٥] وإلّا لا[١٦] يحتمل الشيء الواحد لنفسه يُصلح مرة ويُفسد تارة، ولكن لحفظ الحدود فيه.[١٧] *والله أعلم*.

---

[١] ك: أي يجري.
[٢] ك – راكد.
[٣] م: لكن.
[٤] ع – هي التي.
[٥] ك: لكن.
[٦] ك ن: لا بنفس؛ ع: إلا نفس.
[٧] ن ع م: أن الريح.
[٨] ع م: اما هي.
[٩] ع م + هي.
[١٠] ك: تارة.
[١١] م: تارة.
[١٢] م – الحدود.
[١٣] ن: فيها؛ م: في.
[١٤] ع: وأصلح.
[١٥] جميع النسخ: أفسده.
[١٦] ن: وإلا لا لا.
[١٧] قال الشارح: «...فيدل أنّ غيرًا يَحفظ الحدّ فيها على ما يرى من المصلحة والحكمة، فيدل على إثبات صانع حكيم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٨و).

وقوله عز وجل: **وظنّوا أنهم أُحيط بهم**، قيل: أيقنوا أنهم مُهلَكون. ولكن الإيقان بالشيء الذي يصيب[١] في حادث الأوقات إنما يكون بالخبر [الصادق].[٢] لأنه لا يُدرَى[٣] لعل الله[٤] يصرف ذلك عنهم، فلا يقع به الإيقان. ولكن جُعِل غالبُ الظن[٥] في كثير من الأشياء كالإيقان به. ألا ترى أن الله أباح الميتة في حال الضرورة لغالب[٦] الظن. إذ قد يجوز أن لا يَهلك بذلك. وكذلك[٧] ما أُبيح للمكرَه بالقتل أن[٨] يُجري كلمةَ الكفر على لسانه لغالب الظن. وإلا ليس يَعلم بالإحاطة أنه يَقتله لا محالة. لكن جُعل لغالب الظن في بعض المواضع حُكمُ اليقين والإحاطة. فعلى ذلك قولهم: أيقنوا أنهم أحيط بهم، لغالب الظن به.[٩]

وقوله[١٠] عز وجل: **دَعَوا الله مخلصين له الدين**. إنهم لمّا أَيِسوا عن الأصنام التي عبدوها في دفع ما حلّ بهم عنهم فَزِعوا إلى الله وأخلصوا الدعاء له وقالوا: **لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين**.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢٣]

ثم أخبر عن سفههم[١١] بعودهم إلى ما كانوا من قبل: **فلما أنجاهم إذا هم يَبْغُون في الأرض بغير الحق**. وهكذا كانت عادتهم. كانوا يفزعون إلى الله عند[١٢] خوف الهلاك والإياس[١٣] عن آلهتهم التي عبدوها ويخلصون الدعاء له،[١٤] فإذا كشف ذلك الكرب عنهم ودفع عادوا إلى ما كانوا عليه[١٥] من قبل. والبغي في الأرض هو الفساد فيها.

---

[١] جميع النسخ + به.
[٢] من *الشرح* ورقة ٣٦٨و.
[٣] م: لا ندري.
[٤] ك – الله.
[٥] جميع النسخ + فيه.
[٦] ن: للغالب.
[٧] ع م: وكذا.
[٨] ك: أني.
[٩] ك – به.
[١٠] ن: قوله.
[١١] م: عن بسفههم.
[١٢] ك: إلى عند.
[١٣] م: والايس.
[١٤] م – له.
[١٥] ك ع م – عليه.

وقوله[1] عز وجل: **يا أيها الناس إنما بَغْيُكم على أنفسكم متاعَ الحياة الدنيا**، يحتمل قوله: **على أنفسكم**، أي بعضكم على بعض. ويحتمل **على أنفسكم**، أي حاصل بَغيِكم يرجع على أنفسكم. والبغي هو الظلم. فإن كان التأويل من قوله: **إنما بَغْيُكم على أنفسكم**، أي حاصل بَغيِكم يرجع على أنفسكم[2] في العاقبة، فيكون الوعيد لهم في ذلك بعينه. وإن كان التأويل: مِن أنفسكم[3] بعضكم على بعض، فيكون الوعيد في قوله: **ثم إلينا مرجعكم**.

وقوله عز وجل: **ثم إلينا مرجعكم فننبِّئكم بما كنتم تعملون**، هذا قد ذكرنا.[4] وهو حرف وعيد. *والله أعلم.*

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **إنما مَثَل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض**، الآية، قيل[5] في ضَرْب مَثَل الحياة الدنيا[6] بالزرع الذي ذكر بوجوه. قال بعضهم: قوله: **إنما مَثَل الحياة الدنيا**، في سرعة فنائها وانقطاعها ووَحْيَة[7] زوالها مثل ذلك الزرع الذي ذكر في سرعة هلاكه وانقطاعه وزواله عن صاحبه. أو أنْ يُقال: **إنما مَثَل الحياة الدنيا**، فيما يُسَرّ [بها] ويُبتهَج[8] مَثَلُ صاحب الزرع الذي ذكر[9] فيما سرّ به[10] وابتهج ثم كان ما ذكر **كأنْ لم تَغْنَ بالأمس**. وقال بعضهم: **إنما مَثَل الحياة الدنيا**، فيما ينفقون فيها للحياة الدنيا[11]

---

[1] ن: قوله.
[2] ن + والبغي هو الظلم فإن كان التأويل من قوله إنما بغيكم على أنفسكم أي حاصل بغيكم يرجع على أنفسكم؛ م: إلى أنفسكم.
[3] م: التأويل أنفسكم.
[4] انظر تفسير الآية من سورة المائدة، ٥/١٠٥؛ وسورة التوبة، ٩/١٠٥.
[5] م – قيل.
[6] ن ع – الدنيا.
[7] الوَحَى: العجلة والإسراع. ووَحَى وتَوَحَّى: أسرع. وشيءٌ وَحِيٌّ: عَجِل مُسرِع. ووَحَّاه تَوْحِيَة: عَجَّله (*لسان العرب* لابن منظور، «وحى»).
[8] ع م: ويتهيج.
[9] ع – ذكر.
[10] ع: شربه.
[11] جميع النسخ: للحياة الدنيا فيما ينفقون فيها.

مَثَلُ صاحب الزرع الذي ذكر ينفق عليه لِما يَأْمُل من المنافع ويطمع منه ثم كان ما ذكر.[١] ولو عَلم في الابتداء أنّ أَمْرَ زرعِه يئول ويصير إلى ما صار لكان لا ينفق. فعلى ذلك صاحب الحياة الدنيا لو علم أن عاقبة أمر نفقته تصير حسرة عليه وندامة ما أنفق. كما أن صاحب الزرع الذي ذكر وبَلّغ المَبْلَغ الذي ذكر[٢] لو عَلم أن عاقبته كما كان ما أنفق عليه. أو لو علم[٣] أنه لا ينتفع به ما أنفق تلك النفقة، أي لو[٤] علم أن سروره وابتهاجه به[٥] لا يبقى ولا يدوم إلى آخره ما تكلّف ذلك. أو لو علم أنها تزول عنه وتنقطع عن تلك السرعة ما أنفق ذلك وما تكلّف الذي تكلّف.[٦] ويحتمل ضَرْب مَثَل الحياة الدنيا بما ذكر من النبات وجهين. أحدهما يخبر عن سرعة زوالها وانقطاعها كالنبات الذي ذكر أنه يتسارع إلى الزوال والانقطاع لما يصيبه من الآفة، فعلى ذلك الدنيا. والثاني يخبر عن تغيّرها[٧] وانقلاب أمرها[٨] كالنبات الذي يتغيّر في أدنى مدة ووقت.

وقوله عز وجل: **حتى إذا أخذت الأرض زُخْرُفَها**، قيل: حُسْنَها، **وازَّيَّنت**،[٩] وحَسُنَت، فأنبتت من ألوان النبات. وقال أبو عَوْسَجَة: **زخرفها**: زينتها من النَّبْت. و **حَصِيدًا**، / أي محصودا كما يُحصَد الحَصَاد. والحصاد:[١٠] الزرع. **كأنْ لم تغْنَ**، أي لم تَعِش. والمَغَاني هي[١١] المواضع التي يَعيش فيها[١٢] الناس. قال: وواحد المَغَاني مَغْنَىً. وقال القُتَبي: وأصل الزُّخْرُف الذهب. يقال للنَّقْش والزَّهْر[١٣] وكل شيء زُيِّن [به]: زُخْرُف.[١٤] وقال: **كأنْ لم تَغْنَ بالأمس**، والمَغَاني المنازل، واحدها مَغْنَىً. [٣٢٨و]

[١] ع م – ما ذكر.
[٢] ع م – وبلغ المبلغ الذي ذكر.
[٣] ع: لم علم.
[٤] ن: التي لو.
[٥] ن – به.
[٦] ع م – الذي تكلف.
[٧] ن: عن تغييرها.
[٨] ع م – كالنبات الذي ذكر أنه يتسارع إلى الزوال والانقطاع لما يصيبه من الآفة فعلى ذلك الدنيا والثاني يخبر عن تغيرها وانقلاب أمرها.
[٩] ع م – قيل حسنها وازينت.
[١٠] ع م – والحصاد.
[١١] م: هو.
[١٢] ن ع م: منها.
[١٣] جميع النسخ: والذهبة. والتصحيح من *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٥.
[١٤] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٥.

وقال بعضهم: **كأنْ لم تَغْنَ بالأمس**، أي لم تَنْعَم. وقيل: لم تُعمَر.[1] وقال بعضهم: هو من الغِنَى، أي كأن لم تكن غنيا بالأمس. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وظنّ أهلُها أنهم قادرون عليها**، أي ظنّ أهلُ الدنيا فيما ينفقون أنهم قادرون على تلك النفقة كما ظنّ[2] صاحب الزرع أنه قادر على ذلك الزرع.

وقوله: **أتاها أمرُنا**، قيل: عذابنا. سُمّي أمرا لأنه بأمره أتاه. وفيه أنه لم يأته عن غفلة وسهو ولكن عن علمٍ وأمرٍ عِظَةً لهم وتنبيها. ألا ترى أنه قال: **كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون**، كأن الآيات في هذا الموضع المواعظ. أي فيما[3] ذكر مِن ضَرْب مَثَل الحياة الدنيا[4] بالنبات والزرع الذي ذكر عِظَةً وتنبيهً لمن تفكّر فيه. ***والله أعلم***.

﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **والله يدعو إلى دار السلام**، اختلف فيه. قيل:[5] الجنة. والسلام: الله، أضافها إلى نفسه، كقوله: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[6] فأضاف الجنة إلى السلام. إن كان **دار السلام** هي الجنة فهو -والله أعلم- لأن المساجد هي أمكنة يقام فيها القُرَب، والجنة هي مكان اللذة وقضاء الشهوة. فأضافها إلى السلام لِما يَسلَم أهلُها عن جميع الآفات. والمساجد خُصّت بالإضافة إلى الله لأنها أمكنة يقام فيها القُرَب. وقال بعضهم: **دار السلام**: الإسلام. ثم يحتمل كل واحد من التأويلين وجهين بما سمى الإسلام دار السلام والجنة كذلك. سمى الإسلام **دار السلام** لأنه يَأمَن[7] ويَسلَم كل من دخل فيه عن جميع الأهوال والآفات التي تكون. والثاني سمى الإسلام دار **السلام**.[8] أضاف إلى نفسه، كقوله: أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ،[9] الآية.[10] أخبر أنه على نور من ربه. فعلى ذلك إضافة الإسلام إليه. ومن قال: **دار السلام**: الجنة،

[1] ن ع: لو تعمر.
[2] ع م – ظن.
[3] ك ن: أن فيما.
[4] ن – الدنيا.
[5] ن: قال. أي قيل: دار السلام هي الجنة.
[6] سورة الجن، ١٨/٧٢.
[7] ن: لأنه لا يأمن.
[8] ك ن ع: سمي السلام الدار الإسلام.
[9] ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ (سورة الزمر، ٢٢/٣٩).
[10] ن – الآية.

سمى دار السلام لأن كل من دخل الجنة سَلِم وأَمِن عن الأهوال كلها والآفات جميعا. والثاني الدار:[١] الجنة، والسلام: الله. أضاف[ها] إليه[٢] لأنها دار أوليائه. وقد يضاف[٣] [الشيء] إلى الله على إرادة أوليائه. *والله أعلم*. وروي في بعض الأخبار عن أبي قِلَابَة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قيل لي: لِتَنَمْ عينُك[٤] وليَعقِلْ قلبُك ولتسمعْ[٥] أذنُك. فنامت عيني وعقل قلبي وسمعت أذني. ثم قيل لي:[٦] سيدٌ بَنَى دارا[٧] وجعل مَأْدُبَة[٨] وأرسل داعيا. فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المَأْدُبَة[٩] ورضي[١٠] عنه السيد. ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار و لم يأكل من المَأْدُبَة[١١] و لم يرض عنه السيد. فالله[١٢] السيد، والدار الإسلام، والمَأْدُبَة[١٣] الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم».[١٤] إن ثبت هذا الخبر ففيه أن الدار الإسلام على ما قاله بعض أهل التأويل. وفي خبر[١٥] آخر عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقال: «رأيت في المنام كأن[١٦] جبريل عند رأسي وميكائيل[١٧] عند رجلي. قال أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا. قال: اسْمَعْ سَمِعَتْ أذنُك، واعْقِلْ عَقَلَ قلبُك. إنما مَثَلك ومَثَل أمتك كمَثَل مَلِك اتخذ دارا. ثم بنى فيها بنيانا فأتمّ. ثم جعل فيها مائدة.[١٨] ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه. فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه. فالله المَلِك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول.

---

١ جميع النسخ: دار.
٢ ع: إليها.
٣ ك: تضاف.
٤ م: أنتم عبيد.
٥ جميع النسخ: وليسمع.
٦ ن – لي.
٧ ن ع: دار.
٨ ن ع م: مائدة.
٩ ن ع م: من المائدة.
١٠ ن: رضي.
١١ ن ع م: من المائدة.
١٢ ن: والله.
١٣ ن ع م: والمائدة.
١٤ *سنن الدارمي*، المقدمة ٤؛ و*تفسير الطبري*، ١١/١٠٣-١٠٤.
١٥ ع م: في خبر.
١٦ ك + عند؛ م: وكان.
١٧ ن: وميكائل.
١٨ ك: مادبه؛ ن: مائدة.

من أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل ما فيها».[1] هذا[2] يدل أيضا –إن ثبت– أن الدار التي ذكر في الآية هو الإسلام. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **والله يدعو إلى دار السلام**، الآية، ذكر الاستثناء في الهداية،[3] ولم يذكر في الدعاء لِيُعلَم أن لا[4] كل من يدعو[5] إلى دار السلام يهديه. وإنما يهدي[6] من يعلم منه أنه يختار الهُدَى. وذلك على القَدَرِيّة. ثم الهُدَى على وجوه ثلاثة. أحدها الدعاء، كقوله: وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ.[7] والثاني هو البيان، كقوله: هُدًى وَرَحْمَةً،[8] يعني القرآن. والثالث التوفيق والعصمة. إذا وُفّق اهتدى. والهُدَى هاهنا هو[9] التوفيق.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **للذين أحسنوا الحُسْنَى وزيادة**، اختلف فيه. قال بعضهم: **للذين أحسنوا**، في الدنيا لهم **الحسنى**، في الآخرة جزاءَ ذلك الإحسان. وهي الجنة. سمى الجنة الحسنى لأنها جزاء الإحسان،

---

[1] *سنن الترمذي*، الأدب ٧٦. وقال الترمذي عقب رواية الحديث: «وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد أصحّ من هذا... هذا حديث مرسل. سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله. وفي الباب عن ابن مسعود». وقد رواه البخاري بلفظ آخر: «جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مَثَلا، فاضربوا له مَثَلا. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: مَثَله كمَثَل رجل بنى دارا وجعل فيها مَأْدُبَة وبعث داعيا. فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المَأْدُبَة. ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المَأْدُبَة. فقالوا: أَوِّلُوها له يَفقهها. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم. فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله. ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله. ومحمد صلى الله عليه وسلم فَرْقٌ بين الناس» (*صحيح البخاري*، الاعتصام ٢).

[2] ع م – هذا.

[3] والاستثناء هو قوله: ﴿من يشاء﴾ في الآية.

[4] ك: ليعلم لا؛ ن ع: ليعلم الا.

[5] ع م: من يدعوا.

[6] جميع النسخ: يهديه.

[7] سورة الرعد، ٧/١٣.

[8] ورد ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتابٍ فصّلناه على علمٍ هدى ورحمةً لقوم يؤمنون﴾ (سورة الأعراف، ٥٢/٧). وانظر: سورة الأنعام، ١٥٧/٦؛ وسورة الأعراف، ٢٠٣/٧؛ وسورة يونس، ٥٧/١٠ وغير ذلك.

[9] ك م – هو.

كما سمى النار السُّوءَى، [كقوله: هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ،][١] [و] كقوله: أَسَاءُوا السُّوءَى؛[٢] لأنها[٣] جزاء[٤] السوء. **وزيادة**، قيل: محبة[٥] في قلوب العباد، يحبه كل محسن، وهيبةٌ له في قلوب الناس، يهابه كل أحد على غير سلطانٍ له ولا يَد.[٦] وقال قائلون: قوله: **للذين أحسنوا الحُسْنَى وزيادة**، أي مِثْلُ تلك الحسنة وزيادة التضعيف حتى تكون عشرا أو سبعمائة[٧] وما شاء الله. يدل على ذلك قوله: وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا.[٨] وقال قائلون:[٩] الزيادة: الرؤيةُ، رؤيةُ[١٠] الرب والنظر [إليه]، كقوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.[١١] وقال قائلون: الزيادة هو[١٢] قبول حسناته مع ما فيها من الخلط بالسيئات، / يَقبل حسناته بفضله وإن كانت [٣٢٨ظ] تشوبها السيئات، ورِضاه منه. وذلك طريقة الفضل والإحسان؛ إذ قد سبق من الله تعالى إليه[١٣] من النعم ما لا يقدر القيامَ على وفاءِ نعمةٍ منها طولَ عمره. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة، لها أربعة أبواب.[١٤] فلا ندري ما الزيادة التي ذكرها عز وجل في الآية إلا بالخبر عن الله. وقال قائلون: الحُسْنَى ما تقدّرها[١٥] العقول وتدركها وتصوّرها الأوهام، وأما الزيادة فهي التي لا تقدّرها[١٦] العقول ولا تدركها ولا تصوّرها الأوهام،

---

[١] سورة الرحمن، ٥٥/٦٠. وقد وقع ما بين المعقوفتين في جميع النسخ بعد قول المؤلف: السوء، في آخر الجملة.
[٢] ﴿ثم كان عاقبةَ الذين أساءوا السُّوءَى أنْ كذَّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾ (سورة الروم، ٣٠/١٠).
[٣] ن – ذلك الإحسان وهي الجنة سمي الجنة الحسنى لأنها جزاء الإحسان كما سمي النار السوءى كقوله أساءوا السوءى لأنها، صح هـ.
[٤] ن – جزاء.
[٥] جميع النسخ: المحبة.
[٦] ع م: ولابد.
[٧] ك ن ع: وسبعمائة.
[٨] الآية التالية.
[٩] ع م + قوله.
[١٠] ن: رؤيته.
[١١] سورة القيامة، ٧٥/٢٢-٢٣. روي عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ: إن لكم عند الله موعدا. قالوا: ألم يُبيِّض وجوهَنا ويُنجِنا من النار ويُدخِلنا الجنة؟ قالوا: بلى. -قال- فينكشف الحجاب -قال- فوالله ما أعطاهم شيئا أحبَّ إليهم من النظر إليه» (*صحيح مسلم*، الإيمان ٢٩٧؛ و*سنن ابن ماجة* المقدمة ١٣؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ١٠).
[١٢] م – هو.
[١٣] ع م – من الله تعالى إليه.
[١٤] *تفسير الطبري*، ١١/١٠٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٣٥٨.
[١٥] جميع النسخ: ما يقدره.
[١٦] ن: لا تدركها.

كقوله صلى الله عليه وسلم: «ما لا[1] عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».[2]

وقوله عز وجل: **ولا يَرْهَق وجوههم قَتَرٌ ولا ذلة**، قيل: لا يَغشى وجوههم الغبار[3] والرَّهْج على ما وصف وجوه أهل النار، وهو قوله: وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ،[4] ولكن على ما وصف وجوه أهل الجنة بقوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ.[5] وذلك -والله أعلم- آثار إحسانهم الذي[6] أحسنوا في الدنيا ولِما لم يروا النعم التي كانت لهم مِن سواه ولم يصرفوا شكرها إلى غيره. والغَبَرَة والقَتَرَة التي ذكر لأهل النار هي آثار السيئات التي عملوها في الدنيا من عبادتهم دون الله وصَرْفِهم شكر النعم إلى غيره ونحو[7] ذلك من صنيعهم الذي صنعوا في الدنيا. *والله أعلم*. **أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون.**

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٧]

وقوله: **والذين كسبوا السيئات جزاءُ سيئةٍ بمثلها، جزاءُ سيئةٍ** مما يوجبه الحكمة أن يُجزَى بمثلها. وأما جزاء الإحسان والخير طريق وجوبه الإفضال والإحسان، ليس طريق وجوبه الحكمة؛ إذ سبق[8] من الله إلى كل أحد من النعم ما ليس في وسعه القيامُ بمكافأة واحدة منها عمرَه[9] وإن طال واجتهد كل جهده فَضْلاً أن يستوجب قِبَلَه جزاءَ ما كان منه من الخيرات.

وقوله: **وتَرْهَقهم ذلة**، هو ما ذكرنا من آثار السيئات التي عملوها في الدنيا ذُلًّا وهَوَانا لهم. **ما لهم من الله من عاصم**، وذلك أنهم -والله أعلم- كانوا يعبدون الأصنام رجاء أن يكونوا شفعاء لهم[10] عند الله،

---

[1] ك ما الا.

[2] «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» (*صحيح البخاري*، التفسير ٣٢/١؛ وصحيح *مسلم*، الجنة ٢).

[3] م: النار. الرَّهْج والرَّهَج: الغبار (*لسان العرب* لابن منظور، «رهج»).

[4] سورة عبس، ٤٠/٨٠-٤١.

[5] سورة عبس، ٣٨/٨٠-٣٩.

[6] جميع النسخ: التي.

[7] ع م: نحو.

[8] م: إذا سبق.

[9] ع: عمرة.

[10] ن ع م: لهم شفعاء.

فأخبر أنْ ليس لهم من عذاب الله[1] مانع يمنع ذلك[2] عنهم، كقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[3]

وقوله عز وجل: **كأنما أُغْشِيَتْ وجوهُهم**، قيل: أُلبِست وأُغطِيت، **قِطَعًا**: مُثقّلا، ومخفّفا: قِطْعا.[4] قيل: القِطَع بالتثقيل هو جمع القِطْعة. والقِطْع بالتخفيف جزء من الليل. يقال: سِرْنا بقِطْع من الليل، أي بجزء من الليل. وقوله: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ،[5] أي بجزء منه. **والله أعلم**. ثم شبه وجوههم بظلمة الليل ولم يشبّه بسواد الوجوه على ما يكون من سواد الوجوه[6] في الدنيا. فذلك -والله أعلم- أن سواد الوجوه على ما يكون في الدنيا لا يبلغ من القبح غايتَه؛ إذ قد يَرغَب مَن كان جنسه ونوعه في ذلك، ويَحسُن ذلك عنده. فإذا كانت الرغبة قد تقع[7] لبعضهم في بعض لم يبلغ في القبح نهايته.[8] وأما ظلمة الليل فإن الطباع تنفر عنها ولا تقع الرغبة فيها بحال. لذلك شبّه وجوه أهل النار بها. **والله أعلم**.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾[٢٨]

ويوم نحشرهم جميعا، قال أهل التأويل: يعني العابد والمعبود الذي[9] عبدوا[10] دونه. ولكن [معناه عندنا] نحشر الخلائق جميعا. **ثم نقول للذين أشركوا مَكانَكم أنتم وشركاؤكم**. وقوله عز وجل: **مَكانَكم أنتم وشركاؤكم**، هذا الحرف هو حرف وعيد. يقال: مَكانَك أنت كذا. وإن[11] كان هذا الحرف يجوز أن يُستعمل في الكرامات وبِرّ[12] بعضهم[13] بعضا

---

[1] ن: من الله.

[2] م – ذلك.

[3] سورة يونس، ١٨/١٠.

[4] قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب بإسكان الطاء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٨٣/٢.

[5] ن – وقوله فأسر بأهلك بقطع من الليل. وانظر: سورة هود، ٨١/١١؛ وسورة الحجر، ٦٥/١٥.

[6] ع – على ما يكون من سواد الوجوه.

[7] ن: قد تنعع.

[8] م: غايته.

[9] ن ع م: الذين.

[10] ع – عبدوا.

[11] م: أو إن.

[12] م: دبر.

[13] ع: وبعضهم.

ولكن إنما يُعرَف ذا مِن ذا بالمقدِّمات. فما تقدّم هاهنا يدل أنه لم يرد به الكرامة، ولكن أراد به الوعيد. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فزَيَّلْنا بينهم**، قيل: فرّقنا بينهم وميّزنا[1] بينهم،[2] أي بين العابد والمعبود. ثم يحتمل التفريق بينهم وجوها. أحدها فرّقنا بينهم في الحساب مما عَمل ومما صَحِب.[3] والثاني يحتمل فرّقنا بينهم لِما طمعوا بعبادتهم إياها الشفاعة،[4] أن يكونوا لهم شفعاء عند الله. ففرّق بينهم في الشفاعة. ويحتمل فرّقنا بينهم فيما ضلّ عنهم ما كانوا يَفْتَرُون.[5] فصار ما عبدوا ترابا، وهم في النار.

وقوله عز وجل: **وقال شركاؤهم**، يحتمل قوله: **شركاؤهم**،[6] سماهم[7] شركاء وإن لم يكونوا شركاء في الحقيقة[8] لِما عندهم[9] أنهم شركاء. كما سمى الأصنام آلهة لِما عندهم أنها[10] آلهة. والثاني **شركاؤهم**، لِما أشركوها في العبادة فهم شركاؤهم. ***والله أعلم.***

وقوله: **وقال شركاؤهم ما كنتم إيّانا تعبدون**، يُنطِق الله عز وجل هذه الأصنام يوم القيامة وإن لم يكن في خِلقَتها النطق في الدنيا. كقوله: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا،[11] وقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ،[12] الآية. أنطقهم ليشهدوا عليهم. وقوله:[13] **ما كنتم إيانا تعبدون**، يحتمل الملائكة أن يكونوا هم[14] الذين أنكروا؛ لأن منهم من يعبد[15] الملائكة.

---

[1] ع: وميزانا.

[2] م – وميزنا بينهم.

[3] قال الشارح السمرقندي: «يحتمل فرّقنا بينهم في وقت الحساب مع الكفرة [عندما يُسألون] ماذا عملتم، ولمن عملتم، ومن صحبتم في الدنيا؟ وهم صحبوا الأصنام وما عبدوهم، وقد عملوا لهم. فيفرّق بينهم وبين معبوديهم الذين عبدوهم في الدنيا في هذا الوقت» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٦٩و).

[4] ك: والشفاعة.

[5] يشير إلى قوله تعالى: ﴿هنالك تَبْلُو كل نفس ما أَسْلَفَتْ ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق وضَلّ عنهم ما كانوا يَفترون﴾ (سورة يونس، ٣٠/١٠).

[6] م – يحتمل قوله شركاؤهم.

[7] ع – سماهم.

[8] ك ن: في الحقيقة شركاء.

[9] ع: لما عندنا.

[10] م – أنها.

[11] سورة الزلزلة، ٤/٩٩.

[12] سورة النور، ٢٤/٢٤.

[13] ن ع م – وقوله.

[14] ع م: عليهم.

[15] ع: من يعبدوا.

أنكروا أن يكونوا عبدوهم،[١] لأن العبادة لآخر إنما تكون عبادة إذا كان من المعبود أمرٌ بها. وكانت عبادتهم الأصنام عبادةً للشيطان لأنه هو الآمر لهم بالعبادة للأصنام. كقوله: يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ.[٢] ولا أحد يقصد قَصْدَ عبادة الشيطان. لكنه لمّا كان الآمر لهم / بالعبادة [٣٢٩و] للأصنام[٣] صار كأنهم عبدوه وإن لم يقصدوه بها. ويحتمل ما ذكر من الإنكار من الأصنام.

﴿فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم**، أي كفى الله[٤] القاضي والحاكم بيننا وبينكم أنّا لم نأمركم[٥] بعبادتنا، وهو العالم بأنّا كنا عن عبادتكم[٦] إيّانا غافلين.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **هنالك تَبْلُو كل نفس**، قيل: عند ذلك. وقيل: يومئذ، أي يوم القيامة. وقوله: **تبلو** وتتلو، بالباء والتاء.[٧] قيل:[٨] [تتلو، أي] تَقْرأ في الصحف ما كُتِب مِن أعمالهم. و **تبلو**، بالباء، من الابتلاء. يقال: بَلَوْتُه وابتليته واحد. وخَبَرْته واختبرته أيضا. وقيل: **تبلو**، تجد وتعلم كل نفس ما قدّمت من الأعمال. وقيل: تُجزَى كل نفس بما عملت. وقيل: تتلو،[٩] بالتاء أيضا: تتبع كل نفس ما قدّمت من الأعمال.[١٠] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق**، قيل: مَلِكِهم الحق. لأن غيره من الآلهة التي عبدوها قد يطل عنهم وضلّ في الآخرة. ويحتمل **ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق**، أي حقٌّ ما تجد كل نفس ما قدّمت من أعمالها. أو حقٌّ أن تَقرأ كل نفس ما عملت. **وضلّ عنهم ما كانوا يفترون**،

---

[١] م: يعبدونهم.
[٢] سورة مريم، ١٩/٤٤.
[٣] م: بالأصنام.
[٤] ك - الله.
[٥] ع: لم تأمركم.
[٦] جميع النسخ: بعبادتكم.
[٧] قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاءين من التلاوة. وقرأ الباقون بالتاء والباء من البلوى. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٣.
[٨] ع م: وقيل.
[٩] ن: تبلوا.
[١٠] ع م - وقيل تجزى كل نفس بما عملت وقيل تتلو بالتاء أيضا تتبع كل نفس ما قدمت من الأعمال.

من العبادة للأصنام وقول الكفر. وقوله:[١] **وردُّوا إلى الله مولاهم الحق**، يحتمل وجهين.[٢] أي رُدُّوا إلى ما[٣] أَعَدّ لهم **مولاهم الحق**. والثاني أي رُدُّوا[٤] إلى أمر **مولاهم الحق**، لا إلى أمر الأصنام التي كانوا يعبدونها.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار**، الآية، يُحاجُهم -يعني أهل مكة- في التوحيد والربوبية. وكأن هذه السورة نزلت في محاجة أهل مكة في التوحيد،[٥] لأنها مكية. وقوله عز وجل: **قل من يرزقكم من السماء والأرض**، أي من يدبر الرزق في السماء، ومن يدبر في الأرض.[٦] يحتمل وجهين. أي من ينزل[٧] لكم الرزق من السماء، ومن يستخرج لكم الرزق من الأرض.[٨] والثاني **من يرزقكم من السماء والأرض**، أي من يدبّر الرزق في السماء، ومن يدبر الرزق في الأرض. ولا أحد[٩] يملك استنزال الرزق من السماء واستخراج الرزق من الأرض. وكذلك لا أحد يملك تدبيره في السماء والأرض سواه. ولا أحد[١٠] يملك إنشاء السمع والبصر. ولا أحد[١١] أيضا يملك إخراج الحي من الميت ولا إخراج[١٢] الميت من الحي ولا تدبير الأمر. لا يعرفون[١٣] حقيقة ماهية[١٤] السمع والبصر ولا[١٥] كيفيتهما،[١٦]

---

١ م – وقوله.
٢ م: الوجهين.
٣ ع م: ردوا ما.
٤ ن ع م: والثاني ردوا.
٥ ع م – والربوبية وكأن هذه السورة نزلت في محاجة أهل مكة في التوحيد.
٦ ك ن – أي من يدبر الرزق في السماء ومن يدبر في الأرض.
٧ م: من نزل.
٨ ع م – من الأرض.
٩ ك ن: لا أحد.
١٠ ن: أحدا.
١١ ن: أحدا؛ م: لا أحد.
١٢ ع م – الحي من الميت ولا إخراج.
١٣ م: الأمر يعرفون.
١٤ ك: مايية؛ ن: مائية؛ ع: مائيته.
١٥ ن + ولا.
١٦ م: يكتفيهما.

فكيف يملكون إنشاء السمع والبصر ونَصْبَهما. ولا يملك[١] أحد سواه إصلاح ما ذكر إذا فسد ذلك. فأقرّوا أنه لا يملك أحد[٢] سوى الله ذلك. وهو قولهم: **فسيقولون الله فقل أفلا تتقون.** يقول –والله أعلم– إذا عرفتم وأقررتم أنه لا يملك ما ذكر سواه وعرفتم أن له السلطان والقدرة على ذلك **أفلا تتقون**[٣] بوائقه ونقمته. أو يقول: **أفلا تتقون** عبادة غيره دونه وإشراكَ غيره في ألوهيته وربوبيته.[٤] أو يقول:[٥] **أفلا تتقون،** صرف شكره إلى غيره وقد أقررتم أنه هو المنعم عليكم هذه النعم[٦] لا من تعبدون[٧] دونه. أو يقول –والله أعلم– إذا عرفتم ما ذكر[٨] **أفلا تتقون** مخالفته وعصيانه. فإذا أقرّوا أن الذي[٩] يملك تدبير ما بين السماء والأرض هو[١٠] الذي له[١١] السماوات والأرض عرفوا الذي يستحق العبادة والقيام بشكره. فإذا ضيّعوا ذلك جمعهم عليه اسم الضلال. فذلك قوله: فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ.[١٢]

﴿فَذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[٣٢]

وقوله: **فذلكم الله ربكم الحق،** أي ذلكم الذي ذُكِر ربُّكم بالحجج والبراهين. **فماذا بعد الحق،** الذي هو حق بالحجج والبراهين، **إلا الضلال؛** لأن ما لا حُجة[١٣] له ولا برهان فهو ضلال.[١٤] وقوله عز وجل: **فأنّى تُصرَفون،** عن عبادته إلى عبادة غيره. أو **فأنّى تُصرَفون،** عن شكر المنعم إلى شكر غير[١٥] المنعم.[١٦] أو يقول: فأنّى تَعدِلون من لا يملك ما ذكر بمن يملك. ***والله أعلم.***

---

[١] م: يملكون.
[٢] ع: إحدى.
[٣] ع م – يقول والله أعلم إذا عرفتم وأقررتم أنه لا يملك ما ذكر سواه وعرفتم أن له السلطان والقدرة على ذلك أفلا تتقون.
[٤] ك – أو يقول أفلا تتقون عبادة غيره دونه وإشراك غيره في ألوهيته وربوبيته.
[٥] م: أو يقولون.
[٦] ع م – النعم.
[٧] ع: من لا تعبدون.
[٨] ك: ذلك.
[٩] ن – أن الذي.
[١٠] ع م: وهو.
[١١] ع م + ملك.
[١٢] الآية التالية.
[١٣] جميع النسخ: لا حجج.
[١٤] م: الضلال.
[١٥] ن ع: إلى غير شكر؛ م: أي غير شكر.
[١٦] ن + إلى غير شكر المنعم.

﴿كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣٣]

وقوله: **كذلك حقّت كلمة ربك**، حَقّت: وجبت. وقيل: **كذلك حقّت كلمة ربك**،[١] على الذين خُتموا بالفسق، **أنهم**[٢] **لا يؤمنون**، أي لا ينتفعون بإيمانهم بعد ذلك.

وقوله: **كلمة ربك**، يحتمل[٣] وجهين. يحتمل[٤] **كلمة ربك**، مواعيد ربك، **على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون**؛ فإن كان على هذا فهو في قومٍ عَلِم الله أنهم لا يؤمنون. ويحتمل[٥] **كلمة ربك**، حجج ربك وبراهينه، **على الذين فسقوا**.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّٰهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[٣٤]

وقوله: **قل هل من شركائكم من يَبدأ الخلق ثم يعيده**، قال عامة أهل التأويل: **ثم يعيده**، البعث بعد الموت. أي لا أحد من شركائكم الذين تعبدون يملك بَدْءَ الخلق ولا بعثه. وقال[٦] بعضهم: قوله: **ثم يعيده**، لا يحتمل البعث؛ لأنهم كانوا لا يُقِرّون[٧] بالبعث، فلا يحتمل الاحتجاج عليهم بذلك. ولكن[٨] قوله: **ثم يعيده**،[٩] ما سوى البشر؛ لأنهم إنما ينكرون[١٠] إعادة البشر، فأما إعادة غيره من الأشياء لا ينكرونه نحو إعادة الليل والنهار وإعادة الأنْزال والنبات[١١] ونحو الأشياء التي يشاهدونها. أي ثم يعيد[١٢] مِثْلَه، الليلَ ليلا مثله، والنهارَ[١٣] نهارا مثله. وكذلك الخلائق تَفنَى ثم يعيد[١٤] مِثلَه. فإذا ثبت في غير البشر ثبت في البشر.

---

١ ع – حقت وجبت وقيل كذلك حقت كلمة ربك.

٢ ن: لأنهم.

٣ ك: تحتمل.

٤ ك: تحتمل.

٥ ن ع م – كلمة ربك مواعيد ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون فإن كان على هذا فهو في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ويحتمل.

٦ ع: قال.

٧ ع: لا يقرؤن.

٨ ع + ولكن.

٩ ن + قال عامة أهل التأويل ثم يعيده البعث بعد الموت أي لا أحد من شركائكم الذين تعبدون يملك بدء الخلق ولا بعثه وقال بعضهم قوله ثم يعيده لا يحتمل.

١٠ ن – ما سوى البشر لأنهم إنما ينكرون.

١١ ع: والنباة.

١٢ ع م: ثم يعيده.

١٣ ع: والنها.

١٤ ع: ثم يعيده.

ويحتمل الأمرين جميعا عندنا، البعثَ وأشياءَ مثله؛ لأنه تعليم منه لهم. ألا ترى أنه قال: **قل الله يَبدأ الخلق ثم يعيده فأنىّ تؤفكون**، قيل: تكذّبون بتوحيد الله وقد عرفتم أنه هو[١] بدأ الخلق ثم هو[٢] يعيده، لا أحد يملك ذلك. ألا ترى أنه احتج[٣] عليهم بما يلزمهم[٤] ذلك بقوله: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ،[٥] الآية.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق**، يحتمل قوله: **يهدي إلى الحق**، يدعو[٦] إلى الحق. فإذا كان هؤلاء الأصنام التي تعبدونها[٧] لا يملكون الدعاء إلى شيء فلا يملكون الضر والنفع. ومن الخلائق من لا يملك النفع والضر[٨] ويملك الدعاء إلى خير أو إلى[٩] نفع.[١٠] فهؤلاء دون الخلائق جميعا إذ لا يملكون الدعاء؛ فكيف يملكون النفع والضر؟[١١] يبيّن / عز وجل [٣٢٩ظ] سَفَهَهم بعبادتهم هؤلاء الأصنام لعلمهم أنهم لا يملكون نفعا ولا ضرا. ويحتمل قوله: **من يهدي إلى الحق**، أي يبيّن ويقيم الدلائل والبراهين على استحقاق العبادة لهم. فإذا[١٢] لم يملكوا الدعاء إلى العبادة لهم فكيف يملكون نصب الدلائل والحجج على استحقاق العبادة؟

قل الله يهدي للحق، أخبر أن الله هو الذي يهدي للحق. ثم يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا: هو يملك الدعاء إلى الحق ويقيم[١٣] الدلائل والحجج على ما دعا[١٤] إليه. وهو يستحق العبادة له والربوبية.

---

[١] ع - هو.
[٢] م - هو.
[٣] ك + به.
[٤] جميع النسخ: ما يلزمهم.
[٥] ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٨).
[٦] ع: يدعوا.
[٧] م + كيف.
[٨] ع - ومن الخلائق من لا يملك النفع والضر.
[٩] م: وإلى.
[١٠] ك: أو نفع.
[١١] م: الضر والنفع.
[١٢] ع: وإذا.
[١٣] م: ويقيموا.
[١٤] ن ع م: ما دعاه.

أفمن يهدي إلى الحق، الذي يبيّن البراهين والحجج، **أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ أم مَن لا يَهِدِّي**، أي لا يبيّن ولا يدعو، **إلا أن يُهْدَى**. فإن قيل: ما معنى[١] الاستثناء والصنم[٢] وإن هُدِي لا يهتدي؟ قيل: يشبه أن يكون هذا صلة ما تقدم من قوله: مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ.[٣] يُنْطِقهم الله عز وجل يوم القيامة، فيشهدون عليهم أنهم لم يأمروهم بالعبادة لهم ولا دَعَوْهم[٤] لإشراكهم في العبادة. فيكون قوله: **إلا أن يُهْدَى**، لِما أنْ يجعلُهم الله بحيث يهتدون إذا هُدُوا، ويجيبون إذا دُعُوا. **فما لكم كيف تحكمون**، بالجور[٥] وصرف العبادة والشكر إلى من لا يملك ما ذكر.[٦]

وقوله عز وجل: **أم من لا يَهِدِّي إلا أن يُهْدَى**، قال بعضهم: **إلا أن يُهْدَى**، لا يحتمل الصنم والوثن الاهتداء وإن[٧] هُدِي، ولكن المراد منه الإنسان. وقال بعضهم: **إلا أن يُهْدَى**، إلا أن يُحمَل الصنم ويُوضَع. فأمّا أن يهتدي هو بنفسه فلا. لكن يحتمل ما ذكرنا أنه[٨] إذا صيّره بحيث يتكلم ومن جنس ما ينطق وأذن له في النطق احتمل الإجابة والاهتداء. ***والله أعلم***.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **وما يتّبع أكثرهم إلا ظنا**، قال بعضهم: هذا في الأئمة والرؤساء منهم حيث عبدوا الأصنام والأوثان وقالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[٩] وقالوا: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[١٠] ونحو ذلك من القول. يقول: ما يتبع[١١] أكثرهم في عبادتهم الأصنام[١٢] بأنهم يكونون لهم شفعاء[١٣] عند الله إلا ظنّا ظنّوه. وقال بعضهم: هذا في الأتباع والعوام ليس في الأئمة.

---

[١] ع: ما معنا.

[٢] جميع النسخ: وهي؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠و.

[٣] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مَكَانَكُم أنتم وشركاؤكم فزَيَّلْنَا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيّانا تعبدون﴾ (سورة يونس، ٢٨/١٠).

[٤] م: ادعوهم.

[٥] ع: بالجوز.

[٦] ك: ذلك.

[٧] ن: أو إن.

[٨] ع م – أنه.

[٩] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[١٠] سورة يونس، ١٨/١٠.

[١١] ن: ما يقع.

[١٢] ن ع م – الأصنام.

[١٣] ع: شفعائنا.

وذلك أن الأئمة قد عرفوا البراهين والحجج التي قامت عليهم والآيات التي جاء بها رسول الله. لكن ما قالوا: إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[١] و مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[٢] و إِنْ هٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ،[٣] ونحو ذلك من الكلام أرادوا أن يُلَبِّسوا على العوام ويُشَبِّهوا عليهم، فاتبع العوام الأئمة[٤] فيما قالوا: إنه كذا[٥] وإنه كذا، وصدّقوهم. يقول: **وما يتبع أكثرهم**، الأئمة في ذلك، **إلا ظنا**، ظنوا. ويشبه أن يكون قوله: **وما يتبع أكثرهم**، يعني أهل مكة. أي ما يتبع أكثر أهل[٦] مكة[٧] الأوائل والأسلاف في عبادة الأصنام والأوثان، **إلا ظنا**؛ لأنهم عبدوا الأصنام ويقولون: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ،[٨] الآية، و [وَجَدْنَا] آبَاءَنَا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ.[٩]

ثم أخبر: **إن الظن لا يغني من الحق شيئا**، أي الظن لا يدرَك به الحق. إنما يدرَك الحق[١٠] باليقين. **إن الله عليم بما يفعلون**، وهو حرف وعيد، ليكونوا[١١] أبدا على حَذَر.

﴿وَمَا كَانَ هٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **وما كان هذا القرآن أن يُفْتَرَى من دون الله**، قال بعضهم: هو صلة قوله: قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ.[١٢] فيقول: **وما كان هذا القرآن أن يُفْتَرَى من دون الله**، كقوله: قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ -أي ما أتبع-[١٣] إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ.[١٤] وقال بعضهم: إن كفار قريش قالوا: إن محمدا افترى هذا القرآن من عند نفسه وتقوّله[١٥] من نفسه، فقال: **وما كان هذا القرآن أن يُفْتَرَى من دون الله**، أن يُضاف إلى غيره أو يُختَلَق.

---

[١] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٧/٦.
[٢] سورة سبأ، ٤٣/٣٤.
[٣] سورة ص، ٧/٣٨.
[٤] ع م: العوام إلى الأئمة.
[٥] م - إنه كذا.
[٦] ع - ما يتبع أكثر أهل؛ م - مكة أي ما يتبع أكثر أهل.
[٧] ع م + أهل.
[٨] سورة الزخرف، ٢٢/٤٣.
[٩] سورة الشعراء، ٧٤/٢٦. والآية وإن كانت في قوم إبراهيم عليه السلام فإن شأن المشركين واحد في كل زمان.
[١٠] ع م - إنما يدرك الحق.
[١١] ك: لتكونوا.
[١٢] سورة يونس، ١٥/١٠.
[١٣] ن ع - أي ما أتبع.
[١٤] سورة يونس، ١٥/١٠.
[١٥] م: وتقول.

[٣٢٩ظ س ٣١ *وقوله عز وجل: **وما كان هذا القرآن أن يُفتَرَى من دون الله**، يخرج على وجهين. أحدهما ما كان هذا القرآن بالذي يحتمل الافتراء من دون الله لخروجه عن طَوْق[١] البشر ووُسعهم، فذلك[٢] بالذي يُحِيله كونَه مفترى بجوهره. والثاني لِما أودع فيه من الحكمة[٣] والصدق [الذي] يدل على كونه من عند الله. إذ كلام غيره يحتمل السفه والكذب
٣٢٩ظ س ٣٤] ويحتمل الاختلاف.*

ولكنْ تصديقَ الذي بين يديه، أي يصدّق هذا القرآن الكتب التي كانت من قبل. ولو كان محمد هو الذي افتراه واختلقه[٤] من عند نفسه لكان خرج هو وسائر الكتب المتقدمة[٥] مختلفا.[٦] إذ لم[٧] يعرف محمد سائر الكتب المتقدمة؛ إذ كانت بغير لسانه. ولم يكن له اختلاف إلى من يعرفها ليتعلم. ثم خرج هو أعني القرآن مصدِّقا وموافقا لتلك[٨] الكتب.[٩] دل أنه من عند الله جاء. كقوله: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ،[١٠] الآية.*

وتفصيلَ الكتاب لا ريب فيه، قيل: فيه بيان الكتب التي نزلت قبله. وتمامه[١١] أن هذا وإن كان في اللفظ مختلفا فهو في الحكمة والصدق مبيّن موافق للأول. وقيل: **وتفصيل الكتاب**، أي تفصيل[١٢] ما كتب لهم وما عليهم. أو أن يُقال: إلى الله[١٣] تفصيل الكتب ليس إلى غيره،[١٤] **لا ريب فيه**، أنه، **من**، عند، **رب العالمين**. أو يقول: مُفَصَّل من اللوح المحفوظ.

---

[١] ع: عن طول.
[٢] ك + فذلك.
[٣] م: فيه الحكمة.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٢٩ظ/سطر ٣١-٣٤.
[٤] م: واختلفه.
[٥] م: المقدمة.
[٦] ك ن: مختلقا.
[٧] م: إذا لم.
[٨] م – لتلك.
[٩] م: للكتب.
[١٠] ﴿وما كنتَ تَتلُو مِن قَبْلِه من كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذًا لَارْتاب المُبْطِلون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٤٨).
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٢٩ظ/سطر ٣١-٣٤.
[١١] أي وتمام هذا الكلام. انظر: شرح *التأويلات*، ٣٧٠ظ.
[١٢] ك – أي تفصيل.
[١٣] ن – إلى الله.
[١٤] ك: إلى الله.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٣٨]

وقوله عز وجل: **أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله**، يقول: إن كان محمد[١] افتراه من عند نفسه، **فأتوا**، أنتم، **بسورة مثله**؛ إذ لسانه ولسانكم واحد. فأنتم قد عُرِفتم بالفِرْيَة والكذب، ومحمد لم يُعرَف به قط، ولا أُخِذ عليه بكذب قط.[٢] فأنتم أولى أن تأتوا **بسورة مثله**.

[٣٣٠و] **وادعوا / من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**، اختلف فيه. قال بعضهم: ادعوا بآلهتكم التي تعبدونها ليعينوكم على إتيان مثله. وقال بعضهم: **ادعوا من استطعتم**، أي بمن لسانه مثل لسانكم ليعينوكم على ذلك. أو يقول: استعينوا بدراسة[٣] الكتب لتقدروا[٤] على مثله، **إن كنتم صادقين**، أن محمدا افتراه من نفسه. فدل ترك اشتغالهم بذلك على أنهم قد عرفوا أنه ليس بمفترى[٥] وأنه سماوي.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [٣٩]

وقوله عز وجل: **بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه**، قال بعضهم: ما لم يحفظوا نظمه ولا لفظه ولا نظروا فيه ولا تدبّروا ليعلموا معناه، بل كذّبوه[٦] بالبديهة. والشيء إنما يُعرَف كذبه وصدقه بالنظر فيه والتفكّر والتدبّر لا بالبديهة. فذلك –والله أعلم– تأويل قوله: **بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه**. والثاني **بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه**،[٧] أي كذّبوا[٨] على علمٍ منهم أنهم كَذَبَة فيما يقولون ويتقوّلون[٩] أنه مُفْتَرَى[١٠] ليس بمُنْزَل.

ولمّا يأتهم تأويله، أي ولمّا يأتهم العلم بتأويله، أي بتأويل القرآن. ومعناه –والله أعلم– أنهم كذّبوه من غير أن حفظوا نظمه ووَعَوْا لفظه ولا أتاهم العلم بعاقبته وآخره. وقيل:[١١]

---

[١] ع م: محمدا.
[٢] ع – ولا أخذ عليه بكذب قط.
[٣] ع م: بدراسته.
[٤] جميع النسخ: ليعينوكم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[٥] ع م: بمفتر.
[٦] ن: بل كذبوا.
[٧] ك – والثاني بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه.
[٨] م: بعلمه كذبوا.
[٩] م: وينقلون.
[١٠] م: مفتر.
[١١] م: قيل.

التأويل هو رد كل شيء إلى أوّليّة الأمر. وقالت الحكماء: التأويل آخِرُ كل فعلٍ هو قُصِدَ في أوّله، وقَصْدُ كل شيء في أوّله[1] هو آخِر في فعله، أو نحوه.[2] وقال بعضهم: **ولمّا يأتهم تأويله،** قال: ما وعد الله أن يكون قبل أن يكون. وقال ابن عباس رضي الله عنه: تأويل القرآن بما يكون منه في الدنيا[3] وبما يكون منه يوم القيامة؛ وهو العذاب الذي وعد.[4] وقال بعضهم: **تأويله:** ثوابه؛ وقيل: عاقبته. وقال الواقدي:[5] أي لم[6] يأتهم عاقبةُ بيانِ ما وعد الله في القرآن في الآخرة من الوعيد. وأصل التأويل[7] هو النظر إلى ما يَئُول [إليه] عاقبةُ الأمر.

وقوله عز وجل: **كذلك كذّب الذين من قبلهم،** أي كذلك كذّب[8] الأمم السالفة رسلهم كما كذّب كفار مكة رسولهم. أي لست أنت بأوّل مُكذَّب، بل كُذِّب من كان قبلك من إخوانك. ليكون له التسلّي عما هو فيه من تكذيبهم إياه وردّهم عليه[9] أنه ينزل بهم ما نزل بأولئك إن هم أقاموا على ما هم عليه. والثاني أن يكون الخطاب وإن[10] كان خارجا لرسول الله فهو راجع إلى قومه، يأمرهم بالنظر فيما نزل بالأمم السالفة وأن يتأمّلوا أحوالهم، ليكون ذلك سببا لزجرهم عما هم فيه.

وقوله عز وجل: **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين،** بالتكذيب. أي كيف [كانوا] يعاقَبون ويعذَّبون. ***والله أعلم.***

---

[1] ع + في أوله.

[2] لعل المقصود أن التأويل هو الغاية والنتيجة التي يريدها الإنسان ويتوقع حصولها من الفعل قبل أن يفعل ذلك الفعل.

[3] ع + وبما يكون منه في الدنيا.

[4] روي مختصرا. انظر: *تفسير الطبري*، ٣/١٨١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/١٤٧.

[5] هو محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني. نَزيل بغداد. صاحب التصانيف. وهو رأس في علم المغازي والسير. كان من أوعية العلم، لكنه لا يتقن الحديث. وكان يروى عن كل ضَرْب، فلذلك ضعفه المحدثون. ولي قضاء بغداد. وكانت له رئاسة وجلالة. ت. ٢٠٧هـ/٨٢٢م. انظر: *تذكرة الحفاظ* للذهبي، ١/٣٤٨؛ وسير *أعلام النبلاء* للذهبي، ٩/٤٥٤-٤٦٩؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٤٩٨.

[6] ك: إن لم؛ م: الواقدي لم.

[7] ن: لتأويل.

[8] ن: أي كذب.

[9] ن – عليه.

[10] ع: فإن.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **ومنهم من يؤمن به**، قيل: من أهل مكة،[١] **ومنهم من لا يؤمن به**، يحتمل بالرسول،[٢] ويحتمل بالقرآن.[٣] ثم يحتمل قوله: **من يؤمن به**، أي من قد آمن به،[٤] **ومنهم من لا يؤمن به**،[٥] أي من لم يؤمن به. ويحتمل على الوعيد[٦] فيما يستقبل، أي **منهم**: مِن أهل مكة، **من يؤمن** بهذا القرآن، **ومنهم من لا يؤمن به**. وهم كذلك كانوا، منهم من قد آمن به، ومنهم من لم يؤمن به. وقال بعضهم: هي[٧] في اليهود، ليست في أهل[٨] مكة. وظاهره أن يكون[٩] في كفار[١٠] مكة. وعلى ذلك قول عامة أهل التأويل. كأن[١١] هذا[١٢] يخرج على البِشارة أنّ منهم من يؤمن به، لئلا يقطع[١٣] ويمنع دعاءهم. وأخبر أن منهم من لا يؤمن به، يُؤيِسُه[١٤] حتى لا يشتد حزنه على كفرهم. وجائز أن يكون هذا: أي منهم من قد يولَد من بعد ويؤمن،[١٥] ومنهم من يولد فلا يؤمن.

وقوله عز وجل: **وربك أعلم بالمفسدين**، يشبه[١٦] أن يكون معناه أي على علمٍ بما يكون منهم من الفساد. خَلَقَهم وأنشأهم وليس عن غفلة وجهل بالفساد ولكن عن علمٍ بذلك. لِما لا يضره فسادُ مُفسِد ولا ينفعه صلاحُ مُصلِح. إنما عليهم ضرر فسادهم ولهم منفعة صلاحهم. ويحتمل أن يكون على الوعيد. أي عالمٌ بفسادهم، فيجزيهم جزاء فسادهم.[١٧] *والله أعلم*.

---

[١] م + من يؤمن بهذا القرآن ومنهم من لا يؤمن به وهم كذلك كانوا منهم من قد آمن به.
[٢] جميع النسخ: الرسول.
[٣] جميع النسخ: القرآن.
[٤] م – ومنهم من لا يؤمن به يحتمل الرسول ويحتمل القرآن ثم يحتمل قوله من يؤمن به أي من قد آمن به.
[٥] ك – يحتمل الرسول ويحتمل القرآن ثم يحتمل قوله من يؤمن به أي من قد آمن به ومنهم من لا يؤمن به.
[٦] ك: على الوعد.
[٧] م: وهي.
[٨] م: من أهل.
[٩] ك: أنه يكون.
[١٠] ع: في كفارة.
[١١] ك: كأنه.
[١٢] ع: ذلك.
[١٣] ع: لا تقطع.
[١٤] ن: يؤنسه.
[١٥] ع م: ومن يؤمن.
[١٦] م: ويشبه.
[١٧] م: الفساد.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٤١]

وقوله: **وإن كذّبوك فقل لي عملي ولكم عملكم**، تأويله -والله أعلم- أي إن[1] كَذَّبتُ فيما أخبرتكم أنه جاء من عند الله فلي عملي،[2] أي فعليَّ عملي فيما أبلغكم. أي فعليَّ وزر عملي. **ولكم عملكم**، أي فعليكم جرم ما رددتم عليَّ فيما بلّغتكم عن الله. وهو كقوله: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ،[3] أي عليَّ جرم ما افتريت إن افتريت، وعليكم جرم ما رددتم عليَّ فيما بلّغتكم عن الله.[4] ويحتمل ما قاله[5] أهل التأويل: **لي عملي**، أي لي ديني، **ولكم عملكم**، أي لكم دينكم.

أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون، تأويله -والله أعلم- أي أنا لا أؤاخذ بما دِنْتُم أنتم ولا أنتم تؤاخذون[6] بما دِنْتُ أنا وعملت.[7] وهو كقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[8] الآية، وكقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ -الآية- وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ،[9] الآية، وكقوله: لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا،[10] الآية.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾[٤٢]
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **ومنهم من يستمعون إليك**، أخبر أن منهم من يستمع إليه، يعني إلى رسول الله وإلى ما يتلو من القرآن، لكنه لا يؤمن.[11] يخبر[12] أنه لا كل مستمع إلى شيء ينتفع بما يستمع أو يعقل ما يستمع ويفهم. إنما ينتفع بالاستماع ويعقل على قَدْر[13] المقصود والحاجة إليه.

[1] ن: أعلم إن.
[2] ع: فعلي عمل.
[3] سورة هود، ٣٥/١١.
[4] ك ن - علي فيما بلغتكم عن الله.
[5] ن: ما قال.
[6] ن ع م: مؤاخذون.
[7] م: عملت.
[8] ﴿ولا تَطْرُدِ الذين يدعون ربهم بالغَداة والعَشِيِّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردَهم فتكونَ من الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٥٢/٦).
[9] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولّوا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).
[10] ﴿قل لا تُسألون عما أجرمنا ولا نُسأل عما تعملون﴾ (سورة سبأ، ٢٥/٣٤).
[11] م - لا يؤمن.
[12] ك: أخبر؛ ع: بخير.
[13] م: ويعقل قدر.

فهم[١] كانوا يستمعون لمَعانٍ: مرةً يستمعون لقبول[٢] القول منهم والمنزلة. ومنهم من كان يستمع إليه ليُسمِع غيرَه، كقوله: سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ.[٣] ومنهم من كان يستمع[٤] ويطيعه في ذلك، / فإذا خرج[٥] من عنده غيّره وبدّله، كقوله: وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا [٣٣٠ظ] مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ.[٦] ومنهم من كان[٧] يستمع إليه استهزاءً منه وطلبَ الطعن فيه والعيب. كانوا مختلفين في الاستماع.

ثم نفى عنهم السمع والعقل والبصر لوجهين. أحدهما ما ذكرنا أنهم لمّا لم ينتفعوا بأسماعهم وعقولهم وأبصارهم وبهذه الحواس انتفاعَ من ليست له هذه الحواس نفى عنهم ذلك؛ إذ هذه الحواس[٨] إنما جعلت لينتفع بها لا لتُترَك سُدًى[٩] لا يُنتفع بها. والثاني كأن العقل والسمع والبصر وهذه منها ما يكون[١٠] مكتسبا بالاكتساب، ومنها ما يكون غريزة. فهم تركوا اكتساب الفعل الذي جعل مكتسبا، فنفى عنهم لما تركوا اكتساب ذلك. يحتمل نَفْي هذه الحواس لهذين الوجهين اللذين ذكرتهما. *والله أعلم*.[١١]

ثم نفى عمن لا يستمع العقل، حيث قال: **لا يعقلون**، ونفى عنهم الاهتداء والإبصار بترك النظر، فقال:[١٢] **أفأنت تهدي العُمْيَ ولو كانوا لا يبصرون**، لأن[١٣] بالبصر يُوصَل إلى اهتداء الطرق والسلوك فيها. ألا ترى أن البهائم قد تبصر الطرق وتسلك فيها[١٤] وتتقي بها المهالك، ولا تعقل لما ليس[١٥] لها سمع العقل. فلا تعقل لِما يَسمع القلبُ بعقلٍ، وبظاهر البصر تُبصِر الأشياء.[١٦]

---

[١] جميع النسخ: ومنهم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٧٠ظ.
[٢] م: بقبول.
[٣] ﴿ومن الذين هادوا سمّاعون للكَذِب سمّاعون لقومٍ آخرين لم يأتوك﴾ (سورة المائدة، ٤١/٥).
[٤] ك ن: يسمع؛ م: يسمعه.
[٥] ع: فأخرج.
[٦] سورة المائدة، ٨١/٥.
[٧] ن: من قال.
[٨] ع م - نفى عنهم ذلك إذ هذه الحواس.
[٩] م: هدى.
[١٠] جميع النسخ: وهذه يكون منها.
[١١] ن - والله أعلم.
[١٢] ن ع م: وقال.
[١٣] ك: كان.
[١٤] جميع النسخ: بها.
[١٥] م: ما ليس.
[١٦] وعبارة الشارح هكذا: «فلا تعقل لِما يَسمع القلبُ بالعقل ويبصر به. وبظاهر البصر تُبصِر الأشياء، وبظاهر السمع تسمع الألفاظ» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧١و).

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْـًٔا وَلٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون**، يخبر أن ما حلّ بأولئك من عذاب استئصال وعقوبة إنما حلّ[1] بظلمهم لا بظلم[2] من الله تعالى.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار**، قال: في قبورهم. **يتعارفون بينهم**، إذا خرجوا من قبورهم. وقال بعض أهل[3] التأويل: **كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار**، في الدنيا. وأصله: كأنهم استقلّوا طول مقامهم في الدنيا وما أُنعِموا فيها لما عاينوا من أهوال ذلك اليوم وشدائده. أو استقلّوا لُبْثَهم في الدنيا[4] ومُقامهم لطول مقامهم[5] في الآخرة في العذاب.[6] وفيه وجه ثان؛ وهو أنه يَذكر من شدة سَفَهِهم وغاية جهلهم أن [استقلّوا][7] ما يَعِدُهم من الحشر والعذاب الأبد كأنهم لا يلبثون[8] فيها إلا ساعة من النهار، حتى لا يُبالون ما يلحقهم من ذلك وما يستوجبون عليه من العذاب باكتسابهم تلك الأسباب.

وقوله عز وجل: **يتعارفون بينهم**، أي يعرف بعضهم بعضا على قدر ما يلعن بعضهم بعضا،[9] كقوله: وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا،[10] وعلى قدر ما يتبرّأ بعضهم من بعض.[11] ثم يفرق بينهم، كقوله: فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ،[12] أي فرّقنا بينهم.

---

[1] ع – حل.

[2] م – لا بظلم.

[3] جميع النسخ: بعضهم من أهل.

[4] ك – في الدنيا.

[5] ع – لطول مقامهم.

[6] جميع النسخ + واستقلوا.

[7] من *الشرح*، ورقة ٣٧١و.

[8] ع: لا يلبثوا؛ م: لا يلبسون.

[9] م: بعضهم على بعض.

[10] ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مَوَدَّةَ بينِكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٢٥).

[11] ن – على قدر ما يلعن بعضهم بعضا كقوله ويلعن بعضكم بعضا وعلى قدر ما يتبرأ بعضهم من بعض.

[12] ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مَكانَكم أنتم وشركاؤكم فزَيَّلْنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ (سورة يونس، ١٠/٢٨).

وقوله عز وجل: **قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله**، أي خسروا ما وُعِدوا[١] في الآخرة من النعم الدائمة بترك اكتسابهم إياها؛ إذ قد[٢] أُعطوا ما يكتسبون به نعم الآخرة، فاكتسبوا ما به خسروا ذلك. فهو كقوله: فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ،[٣] أي ما أصبرهم على اكتساب ما به يستوجبون النار.[٤]

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **وإمّا نُرِيَنَّك بعض الذي نَعِدُهم أو نتوفّينك**، حرف[٥] "إمّا" حرف شك، وكذلك حرف "أو". لكن يكون تأويله -والله أعلم- على حذف "إمّا" وإضمار حرف "إن"، كأنه[٦] يقول: إن أريناك إنما نُرِيَنَّك بعض ما نَعِدُهم لا كل ما نَعِدُهم أو نتوفّينك ولا نُرِيَنَّك شيئا. أو أن يكون قوله [بمعنى]: إنْ نُرِيَنَّك بعض ما نَعِدُهم، أي لقد نُرِيك بعض ما نَعِدُهم. وهو كقوله: إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً.[٧] فعلى هذا التأويل يُرِيه بعض ما يَعِدهم[٨] ولا يُرِيهم كل ما وعدهم.[٩] وعلى التأويل الأول إن أراه إنما يُرِيه بعض ذلك أو لا[١٠] يُرِيه شيئا.

فإن قيل: حرف "إمّا" حرف شك، وكذلك حرف "أو". كيف يستقيم[١١] إضافته[١٢] إلى الله وهو عالم بما كان ويكون، وإنما يستقيم إضافته إلى من يجهل العواقب؟

قيل: جميع حروف الشك الذي أضيف إلى الله هو على اليقين والوجوب، نحو حرف[١٣] "عسى" و"لعل"، ونحو ذلك. فعلى ذلك[١٤] حرف "إما" و"أو". وهو لم يزل عالما بما كان ويكون في أوقاته.

---

[١] جميع النسخ: بما وعدوا.
[٢] م: إذا قد.
[٣] ﴿أولئك الذين اشتَرَوُا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أَصْبَرَهم على النار﴾ (سورة البقرة، ١٧٥/٢).
[٤] ك ع + والثاني خسروا؛ ن م + والثاني قد خسروا. ويوجد بعده في نسخة ك و ن بياض بمقدار عدة كلمات. لكن لا يوجد في الشرح إلا الوجه الأول، ولا توجد إشارة إلى وجه آخر. انظر: شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧١و.
[٥] ك - حرف.
[٦] ع م: كان.
[٧] ﴿ويقولون سبحان ربنا إنْ كان وعدُ ربنا لمَفعولا﴾ (سورة الإسراء، ١٠٨/١٧).
[٨] م: ما نعدهم.
[٩] ع: وعد لهم.
[١٠] ك م: ولا.
[١١] ك: يستقتم.
[١٢] أي إضافة الشك.
[١٣] م: حروف.
[١٤] ع - فعلى ذلك.

وأما حرف[1] الاستفهام والشك يخرج على مخرج الإيجاب[2] والإلزام على ما ذكرنا في حرف التشبيه.[3] أو أن يكون رسول الله وعد لهم أن يُرِيَهم شيئا، فقال عند ذلك [فيما معناه]: إمّا نُرِيَنَّك بعض ما نَعِدُهم أو نتوفّينك فلا نُرِيَنَّك شيئا، كأنه[4] يقول: ليس إليك ما وعدتهم، إنما ذلك إلينا، كقوله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ.[5]

وقوله عز وجل: **فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون**، هذا يحتمل **ثم الله شهيد**، لك يوم القيامة على ما فعلوا من التكذيب بالآيات وردها. وهو كقوله: قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ،[6] الآية. ويحتمل أنه عالم بما يفعلون[7] لا يغيب عنه شيء. وهو وعيد، كقوله تعالى: وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ،[8] وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ،[9] ونحوه. ***والله أعلم.***

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٤٧]

وقوله[10] عز وجل: **ولكل أمة رسول**، أي لكل أمة فيما خلا رسولٌ[11] بُعِث إليهم، لست أنا أول رسول بُعِثت[12] إليكم، كقوله تعالى: قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ.[13]

---

[1] ك: حرم.

[2] ك: على الإيجاب.

[3] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢١٠/٢. ويقول السمرقندي رحمه الله شارحا: «وهذا لأن الألفاظ [و]إن كانت موضوعة لغة لذلك لكنها تستعمل عند أرباب اللسان أيضا للوقوع والإيجاب دون الشك أيضا. فإذا أضيفت إلى الله يجب حملها على ما يليق به. وهو كما ذكرنا في نسبة ألفاظ الى الله توجب التشبيه من حيث الظاهر من العين واليد والإتيان والمجيء ونحو ذلك. [فهذه الألفاظ] وإن كانت في وضع اللغة لمعان لا تجوز على الله تعالى ولكنها لما استعملت لمعان على المجاز تجوز إضافتها إليه وتليق بصفاته صُرفت إلى ما يُحتمل [عليها]. فهاهنا كذلك. والله أعلم. (شرح *التأويلات*، ورقة ٢٧١و).

[4] ع م − كأنه.

[5] ﴿ليس لك من الأمر شيءٌ أو يتوبَ عليهم أو يعذبَهم فإنهم ظالمون﴾ (سورة آل عمران، ١٢٨/٣).

[6] ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ (سورة الأنعام، ١٩/٦).

[7] ع م: يفعل.

[8] سورة البقرة، ٩٦/٢؛ وسورة آل عمران، ١٦٣/٣؛ وسورة المائدة، ٧١/٥.

[9] سورة البقرة، ٢٩/٢؛ وسورة الأنعام، ١٠١/٦؛ وسورة الحديد، ٣/٥٧.

[10] ع: قوله.

[11] م + الله.

[12] ع م: بعث.

[13] سورة الأحقاف، ٩/٤٦.

فإذا جاء رسولهم قُضِيَ بينهم بالقسط، يحتمل هذا وجهين. يحتمل **فإذا جاء رسولهم قُضِيَ بينهم بالقسط**، أي يُقضَى[١] بين الرسل[٢] وبين الأمم بالعدل بما كان من الرسل من تبليغ الرسالة إليهم والدعاء إلى دين الله، ومن الأمم من التكذيب للرسل والرد للآيات. **قُضِيَ بينهم**، بالعدل، **وهم لا يظلمون**، لا يُزاد على ما كان ولا يُنقَص. ويحتمل قوله: **قُضِيَ بينهم**، أي يُهلَك المكذّبون منهم ويُنجى[٣] الرسل[٤] ومن صدّقهم،[٥] كقوله تعالى: ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا،[٦] الآية. ويجوز أن يُقضَى / بين المعرضين وبين المجيبين والمطيعين يوم القيامة. [٢٣١و]

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**، وذلك أنه لمّا أوعدهم العذاب حين[٧] قال: وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ،[٨] من العذاب، فقالوا: **متى هذا**، العذاب[٩] الذي تُوعِدنا[١٠] يا محمد إن كنت صادقا بأن العذاب نازل بنا في الدنيا. وهو على التأويل الثاني الذي ذكرنا: لقد نُرِيَنَّك بعض ما وعدناهم.[١١]

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٤٩]

فقال: **قل لا أملك لنفسي ضَرّا**، أي دفعه[١٢] عنها،[١٣] **ولا نفعا**، ولا أملك أيضا جرّ منفعة إليها. يقول: لا أقدر على أن أدفع عن نفسي سوء[١٤] حين ينزل بي، ولا أملك

---

[١] ع: أي قضي.
[٢] ك: بين المرسل.
[٣] ع: ينجى.
[٤] ع م – الرسل.
[٥] ك ن: صدق منهم.
[٦] سورة يونس، ١٠٣/١٠.
[٧] ع م – حين.
[٨] سورة يونس، ٤٦/١٠.
[٩] م: الوعد.
[١٠] ك + هذا.
[١١] م: ما وعدتهم.
[١٢] ن: أو دفعه.
[١٣] ك ع م – أي دفعه عنها.
[١٤] ن ع: سواء.

على أن أسوق إليها خيرا[1] البتّة. فإذا لم أملك هذا كيف أملك إنزال العذاب عليكم؟[2] إنما ذلك إلى الله، هو المالك عليه والقادر على ذلك، لا يملك[3] أحد ذلك سواه. وهو[4] كقوله: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ.[5]

[٣٣١و س١٦] *ويذكر[6] عجزه في إنزال[7] العذاب عليهم في قوله: **قل لا أملك لنفسي ضَرًا ولا نفعا**.*

وقوله عز وجل: **لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، أي إذا جاء أجلهم لا يقدرون على تأخيره، **ولا يستقدمون**، أي لا يقدرون[8] على تقديمه. ليس على أنهم لا يطلبون[9] تأخيره ولا تقديمه فيسألون ذلك. ولكن لا يؤخَّر إذا جاء ولا يقدَّم قبل أجله. وفيه دلالة أنْ لا يَهلِك أحد قبل انقضاء أجله. وهو[10] رد على المعتزلة، حيث قالوا: مَن قَتَل آخر فإنما قتله قبل أجله. والله يقول: **فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، وهم يقولون: يستقدمون. *والله الموفق*.

[٣٣١و س١٤ *ويخبر في قوله: **فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**، أن عذاب الله إذا نزل[11] وجاء وقته لا يملك أحد[12] تقديمه ولا تأخيره، ولا يحتمل[13] استقدامه ولا استئخاره[14] بالقدر[15] والمنزلة

٣٣١و س١٦] كما يحتمل[16] ذلك في الدنيا، [أي] التقديم والتأخير بالشفاعة والفداء.*

---

[1] ع: خير.
[2] ك: عليهم.
[3] ك: لا يقدر.
[4] ك: وذلك.
[5] سورة الكهف، ١٨/١١٠؛ وسورة فصلت، ٤١/٦.
[6] ع: ويذكره.
[7] ع: في انزل.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣١و/سطر ١٦-١٧.
[8] ع م: لا يقدرونه.
[9] م: لا يبطلون.
[10] ك: فهو.
[11] ع م: إذا ترك.
[12] ع: أحدا.
[13] ك: ولا يملك أحد.
[14] م: ولا استيئاخاره.
[15] ع: بالقدرة.
[16] ع م: كما لا يحتمل.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣١و/سطر ١٤-١٦.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون**، يقول –والله أعلم– أيّ منفعة لكم إن أتاكم عذابه؟ لا منفعة لكم في ذلك، بل فيه ضرر لكم. فاستعجال ما لا منفعة فيه سَفَه وجهل. يُسفِّههم[١] في سؤالهم العذاب.*

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **أَثُمَّ إذا ما وقع آمنتم به الآن**، قيل: أي العذاب إذا نزل[٢] بكم، **آمنتم به الآن؟** يخبر عنهم أنهم إذا نزل بهم العذاب يؤمنون به.[٣] ثم يحتمل قوله: **آمنتم به**، أي بالله وبرسوله، كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ.[٤] ثم أخبر أن إيمانهم لا ينفعهم عند معاينتهم العذاب، وهو كقوله: فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[٥] وقوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ.[٦] ويحتمل قوله: **آمنتم به**، أي بالعذاب،[٧] لأنهم يكذّبون رسول[٨] الله فيما يُوعِدهم[٩] العذاب، وهم يستعجلون به استهزاءً وتكذيبا، فإذا نزل[١٠] بهم آمنوا، أي صدّقوا بذلك العذاب. يقول:[١١] **آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون**، استهزاءً وتكذيبًا أنه غير نازل بكم ذلك.[١٢] ***والله أعلم.***

---

[١] ع: يسفههم.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآية السابقة، فقدمناهما إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣١و/سطر ١٤-١٦، وسطر ١٦-١٧.

[٢] ع: إذا أنزل.

[٣] ع م – به.

[٤] سورة المؤمن، ٤٠/٨٤.

[٥] سورة المؤمن، ٤٠/٨٥.

[٦] ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٨).

[٧] ك: أي العذاب.

[٨] ن: برسول.

[٩] ع م: يدعوهم.

[١٠] ع: فإذا أنزل.

[١١] ع: بقول.

[١٢] ك: ذلك بكم.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ثم قيل للذين ظلموا**، قيل: أشركوا في ألوهيته وربوبيته وعبادته غيره. **ذوقوا عذاب الخلد**، لأنهم يخلَّدون فيه. يقال ذلك بعد ما أُدخِلوا النار. **هل تُجْزَوْن إلا بما كنتم تكسبون**، أي لا تُجْزَوْن إلا بما[1] كسبتم في الدنيا.

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **ويَستنبِئُونك**، أي يستخبرونك، **أَحَقٌّ هو**. يحتمل هذا وجوها. يحتمل قوله: **أَحَقٌّ هو**، العذاب الذي كان يُوعِدهم أنه ينزل[2] بهم على ما قاله[3] عامة أهل التأويل. ثم قال: **قل إي وربي إنه لحق**، أي **قل**، نعم، **وربي إنه لحق**،[4] أنه نازل بكم. **وما أنتم بمعجزين**، أي بفائتين عنه ولا سابقين له. ويحتمل قوله: **أَحَقٌّ هو**، ما يدعوهم إليه من التوحيد، كقولهم لإبراهيم: أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ،[5] الآية. فعلى ذلك قولهم: **أَحَقٌّ هو**. ثم أخبر أنه لحق بقوله: **قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين**، غائبين فائتين عنه. ويحتمل الآيات أو محمدا أو القرآن.

أحق هو قل إي وربي، قل[6] نعم، **إنه لحق**، كقوله: [وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ] إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ،[7] أخبر أن ما يأمرهم به ويدعوهم إليه ليس هو هزوا[8] ولا لعبا، ولكنه[9] حقٌّ أمرٌ من الله تعالى. فعلى ذلك قوله: **أَحَقٌّ هو**.

وقوله عز وجل: **ويَستنبِئُونك أَحَقٌّ هو**، هذا الحرف يحتمل أن يكون من الشاكّين منهم[10] في ذلك طلبوا منه أنه حقٌّ ذلك أو لا، ومن المعاندين استعجال العذاب

[1] ك + كنتم.
[2] ع: نزل.
[3] ع: ما قوله.
[4] م – أي قل نعم وربي إنه لحق.
[5] سورة الأنبياء، ٢١/٥٥-٥٦.
[6] ن – قل.
[7] سورة البقرة، ٢/٦٧.
[8] ك: هزأ.
[9] ن ع م: لعب ولكن.
[10] ك – منهم.

الذي كان يُوعِدهم رسول الله استهزاءً به وتكذيبًا له، ومِن المتبعين له والمطيعين التصديق[١] له[٢] والإيمان به، كقوله: يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا.[٣] كانوا فرقا ثلاثا:[٤] فرقة قد آمنوا[٥] به، وفرقة قد شكّوا فيه، وفرقة قد كذّبوه.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **ولو أنّ لكل نفسٍ ظَلَمت ما في الأرض لَافْتَدَت به**، يخبر عنهم أنهم يَفْدُون[٦] ويَبْذُلون جميع ما في الأرض لو قدروا عليه عند نزول العذاب بهم لشدة العذاب وإن كان الذي منعهم عن الإيمان هو حبهم الدنيا وبخلهم عليها وما فيها بقوله: وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا.[٧]

وقوله عز وجل: **وأَسَرّوا الندامة لمّا رأوا العذاب**، / **الندامة** لا تكون إلا سرا[٨] بالقلب؛ [٣٣١ظ] فكأنه قال: حقَّقوا الندامة في قلوبهم على ما كان منهم من التكذيب بالآيات والعناد في ردها. وقال بعضهم: **وأَسَرّوا الندامة**، أي أظهروا الندامة،[٩] وهو مما يستعمل في الإظهار والإخفاء، كقولك:[١٠] شَعَب: جَمَع، وشَعَب: فَرَّق، ونحوه.[١١] وبَعدُ، فإنه إذا أسرّ في نفسه لا بدّ من أن يضع ذلك في آخر ويخبره[١٢] بذلك، فذلك منه إظهار.

وقوله عز وجل: **وقُضِيَ بينهم بالقسط**، يحتمل قوله: **وقُضِيَ بينهم بالقسط**، ما يوجبه الحكمة؛ لأن الحكمة توجب تعذيب[١٣] كلِّ كافرِ نعمةٍ وكلِّ قائل في الله ما لا يليق به.

---

[١] ع: الصديق.
[٢] ن - له.
[٣] ﴿يستعجِل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مُشفِقون منها ويعلمون أنها الحق ألَا إنّ الذين يُمَارُون في الساعة لَفِي ضلال بعيد﴾ (سورة الشورى، ١٨/٤٢).
[٤] جميع النسخ: ثلاثة.
[٥] م: فرقة آمنوا.
[٦] ع: يعذبون.
[٧] ﴿إن الذين لا يَرجُون لقاءنا ورَضُوا بالحياة الدنيا واطْمَأَنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون. أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يونس، ٧/١٠-٨).
[٨] ع م: الإسرار.
[٩] ع + أي أظهروا الندامة.
[١٠] ع م: كقوله.
[١١] أي قد يأتي اللفظ الواحد لمعنيين متضادين مثل شَعَب. وانظر: *لسان العرب* لابن منظور، «شعب».
[١٢] ع: ويخبر.
[١٣] ك - تعذيب.

أو أن يكون تفسير قوله: **بالقسط**، ما ذكر: **وهم لا يُظلَمون**. ويحتمل قوله: **بالقسط**، ما ذكر: اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ،[1] الآية. والقِسْط هو العدل. وهم يومئذ عرفوا أنه كان يقضي بالعدل في الدنيا والآخرة. *والله أعلم*.

﴿أَلَا إِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **أَلَا إنّ لله ما في السماوات والأرض**، أي إن ما في السماوات والأرض كلهم عبيده وإماؤه ومِلْكُه،[2] لا لمن تعبدون[3] دونه[4] من الأصنام والأوثان. فمِن عند من يملك[5] الدنيا والآخرة اطلبوا ذلك،[6] لا مِن[7] عند من لا يملك. يُبيّن سَفَهَهم في طلبهم الدنيا مِن عند من يعلمون[8] أنه لا يملك ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أَلا إنّ وعد الله حق**، في كل وعد ووعيد أنه كائن لا محالة عذابا أو رحمة. **ولكن أكثرهم لا يعلمون**، أي لا ينتفعون بعلمهم. فنفى عنهم العلم وإن عَلِموا لما لم ينتفعوا به. ويحتمل قوله: **لا يعلمون**، أي لم يكتسبوا سبب العلم، وهو التأمّل[9] والنظر في آياته وحججه. ويحتمل نفي العلم عنهم لِما [لم] يُعطَوْا أسباب العلم،[10] فلم يعلموا. فإن كان على هذا فيكونون معذورين. وإن كان على الوجهين الأولين فلا عذر لهم في ذلك.

وفي قوله: **أَلَا إنّ لله ما في السماوات والأرض**، دلالة إثبات البعث من وجهين. أحدهما فيما يذكر[11] مِن قدرته مِن خَلْقِ السماوات والأرض وما بينهما بغِلَظِها[12] وكثافتها[13] وشدتها وعظم خلقها[14]

---

[1] ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٤).
[2] ك: وملكه وإماؤه.
[3] ك: تعبدونه.
[4] ك – دونه.
[5] ن – من يملك.
[6] جميع النسخ + منه.
[7] ن ع م: لأن من.
[8] ن ع م: من تعلمون.
[9] ع م: التأويل.
[10] ك – وهو التأمل والنظر في آياته وحججه ويحتمل نفي العلم عنهم لما يعطوا أسباب العلم.
[11] ع: تذكر.
[12] ن ع م: بغلظهما.
[13] ع م: وكثافتهما.
[14] ع م: خلقتهما.

وأن تلك القدرة خارجة عن وُسع[١] البشر وتوهمهم.[٢] فمَن قدر على ذلك فهو قادر على إحياء الخلق بعد فنائهم. والثاني يخبر عن حكمته من تعليق منافع الأرض بالسماء على بُعد ما بينهما، والإفضال على الخلق بأنواع النعم التي تَكْثُر[٣] الإحصاءَ، وأنّ كل شيء منها قد وضع مواضعها. فلا يحتمل مَن هذا وصفُه في الحكمة يخلق شيئا[٤] عبثا باطلا. ولو كانوا[٥] للفناء لا حياة بعده كان يكون خارجا عن الحكمة. فظهر أنه خلقهم لأمرٍ أراد بهم. ***والله أعلم.***

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٥٦]

وقوله عز وجل: **هو يحيي ويميت وإليه تُرجعون**، أي تعلمون أنه هو أحيا الأحياء وهو يميت[٦] الأموات أيضا. وهو كقوله:[٧] فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.[٨] فإذا عرفتم أنه هو يحيي[٩] الأحياء وهو يميت[١٠] الأموات لا غير فاعلموا أنه هو يبعثكم **وإليه تُرجعون**. ألزمهم الحجة أوّلا[١١] بالكائن، ثم أخبر[١٢] عما يكون[١٣] بالحجة التي ذكر.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم**، وهو هذا القرآن. قال بعضهم: الموعظة النهي، كقوله: يَعِظُكُمُ اللّٰهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا،[١٤] قيل: نهاكم أن تعودوا لمثله.[١٥]

---

١ ع: في وسع.

٢ م: وتوهم.

٣ كَثَر الشيءَ وكَثَّره بمعنى غلبه في الكثرة (*لسان العرب* لابن منظور، «كثر»).

٤ ن ع م: بخلق الشيء.

٥ م: ولو كان.

٦ م: ويميت.

٧ ع م – وهو كقوله.

٨ ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (سورة البقرة، ٢٨/٢).

٩ ك ن م: محيي.

١٠ ك ن: مميت.

١١ ع: ولا؛ م: دلالة.

١٢ ك: ثم أخبرهم.

١٣ ن + عما يكون.

١٤ سورة النور، ١٧/٢٤.

١٥ ك + أبدًا؛ ع – قيل نهاكم أن تعودوا لمثله.

وقال آخرون: الموعظة هي التي تدعو إلى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب. وقال بعضهم: العظة[1] هي التي[2] تُلين كل قلبٍ قاسٍ وتُجلي كل قلبٍ[3] مُظلِم. وفي القرآن جميع ما ذكرنا.[4] فيه النهي، وفيه الدعاء إلى كل مرغوب والزجر عن كل مرهوب، وهو يُلين القلوب القاسية ويُجلي القلوب المُظلِمة إذا تأمّلوا فيه ونظروا وتفكّروا[5] تفكُّر[6] المسترشد وطالب الحق. وقيل: الموعظة[7] هي التي تُلين القلوب القاسية وتُدمع العيون اليابسة وتُجلي الصدور المُظلِمة.

وقوله عز وجل: **وشفاءٌ لما في الصدور**، إن للدين[8] آفات وأَدْوَاء[9] تضرّ به وتُتلفه كما لهذه الأبدان آفات وأمراض تعمل في إتلافها وإهلاكها. ثم جُعلت لآفات[10] الأبدان وأمراضها أدوية يُشفَى بها الأبدان المَئُوفَة[11] المريضة. فعلى ذلك جُعل هذا القرآن شفاء[12] لهذا الدين ودواء[13] يداوَى به،[14] فيذهب بآفات الدين وأمراضه، كما تعمل[15] الأدوية في دفع آفات الأبدان وأمراضها. لذلك سمّاه موعظة وشفاء لما في الصدور.[16] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وهدى ورحمة**، قيل: **هدى** من الضلالة **ورحمة** من عذابه. أو يقول: **وهدى ورحمة**، **هدى** أي يدعو[17] إلى كل خير ويهديه إليه،[18] **ورحمة** لمن اتبعه.[19]

---

[1] ك – العظة.
[2] ك – التي.
[3] ع م: قاس.
[4] ع م: ما ذكر.
[5] ع – وتفكروا.
[6] م – تفكر.
[7] ع م + التي.
[8] ن: في الدين.
[9] ك ن م: وداء؛ ع: دواء.
[10] ع: لاقاب.
[11] المَئُوف أي الذي أصابته الآفة (*لسان العرب* لابن منظور، «أوف»).
[12] م – شفاء.
[13] م: دواء.
[14] م – به.
[15] ن ع م: يعمل.
[16] ن ع: وشفاء للصدور.
[17] م: أي يدعوا.
[18] ك – إليه.
[19] م: تبعه.

هو هدى[١] ورحمة لمن اتبعه وتمسك به، وعَمًى وضلال لمن خالفه وترك اتباعه. وهو ما ذكر: وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى،[٢] وقال: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[٣] أي زاد للمؤمنين إيمانا إلى إيمانهم، و فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا،[٤] أي زاد للكافرين رجسا[٥] إلى رجسهم، ونحوه.[٦] *والله أعلم*.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **قل بفضل الله وبرحمته**، قال[٧] بعضهم: فضل الله ورحمته القرآن. وقال قائلون:[٨] فضل الله القرآن، ورحمته الإيمان. وفيه أنه[٩] بإنزال القرآن مُفْضِل؛ إذ له أن لا يُنزِل. وفيه أن أهل الفترة يؤاخذون في حال فترتهم.[١٠] *والله أعلم*.

[٣٣٢و] وقوله عز وجل: **فبذلك / فلْيفرحوا هو خير مما يجمعون**، أي فرحكم[١١] بما ذكر[١٢] خير[١٣] مما تجمعون[١٤] من الدنيا. وقال بعضهم: قوله: **قل بفضل الله وبرحمته**، إنما خاطب[١٥] المؤمنين، يقول: **قل**، للمؤمنين، **بفضل الله**، الإسلام، **وبرحمته**، يعني القرآن، **فبذلك**، يعني فبهذا[١٦] الفضل والرحمة، **فليفرحوا**، يعني المؤمنين، **هو خير مما يجمعون**، يعني مما يجمع الكفار من الأموال من الذهب والفضة[١٧] وغيره.

---

[١] م – هدى.

[٢] ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عَمًى﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٤).

[٣] ﴿وإذا ما أُنزِلَتْ سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤).

[٤] ﴿وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٥).

[٥] ع – أي زاد للكافرين رجسا.

[٦] م – ونحوه.

[٧] ع: وقال.

[٨] ك – قائلون، صح هـ.

[٩] ع: آية.

[١٠] زاد الشارح رحمه الله: «...لأنه لما كان مُفضِلا في إنزال القرآن دل أنه قد أقام حججا عقلية قَبْله يتوجه التكليف بها. وإلا فيكون إنزال القرآن أمرًا حتمًا لا يؤاخذون بدونه. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧٢و).

[١١] م: أي في حكم.

[١٢] ع م + هو.

[١٣] ن: هو.

[١٤] ن ع: يجمعون.

[١٥] ن + إنما خاطب.

[١٦] ع م: فبذلك.

[١٧] ن – والفضة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق**، يحتمل **ما أنزل الله لكم من رزق**،[١] أضاف إنزاله إلى السماء وإن كانت الأرزاق إنما تخرج من الأرض لما كانت أسبابها متعلقة بالسماء، [بها] يكون نضج الأنزال ويَنْع الأعناب[٢] وإصلاح الأشياء كلها. أعني أسباب الأرزاق مِن نحو المطر[٣] الذي به تُنبِت الأرض النبات، وبه تُخرِج جميع أنواع الخارج مما يكون فيه غذاء البشر والدواب، ومِن نحو الشمس الذي بها تَنضُج[٤] الأنزال وبها تَينَع[٥] الأعناب وجميع الفواكه ونحوه. أضاف[٦] ذلك إلى السماء لما ذكرنا. وكذلك قوله: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ،[٧] أي أسباب ذلك في السماء، لا أن عين ذلك في السماء. ويحتمل قوله: **ما أنزل الله لكم من رزق**، أي ما خلق الله لكم.[٨] وكذلك جميع ما يُضاف إلى الله إنما يُضاف إليه[٩] بحق الخلق. أي خَلَقَه مُنْزِلا، كقوله: وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ،[١٠] ونحو ذلك، أي خلق لكم من الأنعام[١١] ما ذكر.[١٢] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فجعلتم منه حراما وحلالا**، قال[١٣] بعضهم: ما حرموا من البَحِيرة والسائبة والوَصِيلة وما ذكر في سورة الأنعام والمائدة.[١٤] وقال بعضهم: ما حرموا للآلهة[١٥] التي كانوا عبدوها،

---

[١] ك - يحتمل ما أنزل الله لكم من رزق.
[٢] ع م: الأعشاب.
[٣] م: مطر.
[٤] جميع النسخ: ينضج.
[٥] ع م: ينبع.
[٦] ن + أضاف.
[٧] سورة الذاريات، ٢٢/٥١.
[٨] م - لكم.
[٩] م: إلى الله.
[١٠] سورة الزمر، ٦/٣٩.
[١١] ك - من الأنعام.
[١٢] ع: ما ذكروا.
[١٣] ع م: وقال.
[١٤] يقول الله تعالى: ﴿ما جعل الله من بَحِيرة ولا سائبة ولا وَصِيلة ولا حَامٍ ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥). ويقول تعالى: ﴿وقالوا هذه أنعام وحرثٌ حِجْرٌ لا يَطعمها إلا من نشاء بِزَعْمهم وأنعام حُرِّمَت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراءً عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون. وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرَّم على أزواجنا وإن يكن ميتةً فهم فيه شركاء سيجزيهم وَصْفَهم إنه حكيم عليم﴾ (سورة الأنعام، ١٣٨/٦-١٣٩).
[١٥] م: الآلهة.

أي جعلوها[١] للأصنام؛ وهو ما ذكر في الأنعام،[٢] وهو قوله: وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا،[٣] الآية، نحو[٤] ما ذكرنا في الآية. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قل آلله أَذِنَ لكم أم على الله تَفْتَرون**، أي أالله[٥] أَذِن لكم في تحريم ما حرّمتم[٦] وتحليل ما أحللتم، **أم على الله تَفْتَرون**، بل[٧] على الله تَفْتَرون.[٨] وذلك أن هذه السورة[٩] نزلت في محاجّة أهل مكة. وهم لم يكونوا مؤمنين بالرسل والكتب. وإنما يُوصَل إلى معرفة المحرَّم والمحلَّل[١٠] بالرسل والكتب والخبر عن الله. وهم[١١] لم يكونوا مؤمنين بواحد مما ذكرنا. فكيف جعلتم منه حراما وحلالا وأنتم لا تؤمنون ما به يُعرَف الحلال من الحرام؟[١٢] فكيف حرّمتم ما أحلّ لكم أو أحللتم ما حرّم عليكم؟ يخبر عن سفههم وعنادهم وافترائهم على الله. فإذا اجترءوا أن يفتروا على الله [فهم] على غيره[١٣] أجرأ.[١٤] *والله أعلم*.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **وما ظَنُّ الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة**. فإن قيل: كيف أُوعِدوا بيوم القيامة وهم كانوا لا يؤمنون بالبعث؟ قيل: قد ألزمهم الحجة بكون البعث بما أظهر من كذبهم[١٥] وافترائهم على الله في التحريم والتحليل. فكذلك[١٦] يظهر كذبهم بتكذيبهم البعث.

---

[١] م: أي بعلوها.
[٢] ن: في سورة الأنعام والمائدة.
[٣] ﴿وجعلوا لله مما ذَرَأ مِن الحَرْث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يَصِل إلى الله وما كان لله فهو يَصِل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٣٦).
[٤] ع: ونحو.
[٥] م: أي الله.
[٦] ن + وتحليل ما حرمتم.
[٧] ن: بلى.
[٨] ع م – بل على الله تفترون.
[٩] ن – السورة.
[١٠] ك: المحلل والمحرم.
[١١] ع: وهي.
[١٢] ن ع م: والحرام.
[١٣] جميع النسخ: فعلى غيره.
[١٤] ن ع: أجره.
[١٥] ع: ما كذبهم.
[١٦] ن ع م: فذلك.

وبَعدُ، فإنه قد يُوعَد المرء بما لا يتيقّن به[١] ويُخَوَّف[٢] عليه ويُحَذَّر وإن لم يُحِط علمه به، فكذلك هذا. وبَعدُ، فإنه قد جعل في عقولهم ما يُلزِمهم الإيمانَ بالبعث والجزاء للأعمال؛ إذ ليس من الحكمة خلق الخلق للفناء خاصة. ويحتمل وجها آخر؛ وهو أن يقول: **وما ظنُّ الذين يفترون على الله الكذب**، لو خرج الأمر حقا وكان صدقا على ما أخبر رسول الله وقاله[٣] من البعث والجزاء لما اكتسبوا.

وقوله عز وجل: **إن الله لَذُو فضل على الناس**، هو ذو فضل على جميع الناس من جهة[٤] ما ساق إلى الكل من الرزق –كافرِهم ومؤمنِهم– وأنواعِ النعم وما أخّر عنهم العذاب إلى وقت. أو لِما بعث إليهم الرسل والكتب مِن غير أنْ كان منهم إلى الله سابقةُ صُنْعٍ يستوجبون به ذلك. ومنه[٥] خُصوصُ فضلٍ على المؤمنين، ليس ذلك على الكافرين. **ولكن أكثرهم لا يشكرون**، لفضله وما أنعم عليهم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **وما تكون في شأن**، قال بعض أهل[٦] التأويل: **في شأن**، من أمرك[٧] وحالاتك، **وما تتلو منه من قرآن**، تبلّغهم به[٨] الرسالة. وقال بعضهم: قوله: **وما تكون في شأن**، أي في عبادة، **وما تتلو منه من قرآن**، تبلّغهم به الرسالة، **ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا**، يخاطب[٩] تنبيه تنبيها منه وإيقاظا،[١٠] والمراد منه هو وغيره. ألا ترى أنه قال: **ولا تعملون من عمل**، عَمَّهم[١١] جميعا في ذلك،

---

[١] ك: ويتخوف.
[٢] ك: ويتخوف.
[٣] م: وقال.
[٤] ك ن ع + وهو.
[٥] م + ذلك.
[٦] جميع النسخ: بعضهم من أهل.
[٧] ك ع: في أمرك؛ م: شأن أمرك.
[٨] م – به.
[٩] ع – يخاطب.
[١٠] ع: وإيقاضا.
[١١] ك ع م: عملهم.

يخبر أنكم في كل أمر يكون بينكم وبين ربكم وفي كل أمر بينكم وبين الناس فالله لكم وعليكم شاهد.[١] وكل عمل تعملون لكم وعليكم **إلا كنا عليكم شهودا**، ينبّههم[٢] ويوقظهم ليكونوا على حذرٍ أبدا منتبهين متيقظين. **إذ تُفِيضون فيه**، قال بعضهم: **تُفِيضون فيه**، تأخذون فيه، وقيل: تخوضون فيه، وقيل: تقولون فيه،[٣] وقيل: تُكثِرون[٤] فيه. وكله واحد. ثم يحتمل قوله: **فيه**، في الحق،[٥] ويحتمل في الدين، ويحتمل في القرآن، ويحتمل في رسول الله. يقول: أنا شاهد فيما تخوضون وفيما تقولون في رسول الله أو في دينه أو فيما يتلو[٦] عليكم.

[٣٣٢ظ س٥] *وقال أبو بكر الأصم في قوله: **إذ تُفِيضون**[٧] **فيه**، أي تنتشرون فيه. وتأويله: **ولا تعملون من عمل**، تنتشرون فيه، **إلا كنا عليكم شهودا**.* [٣٣٢ظ س٦]

وما يَعْزُب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ لا يَعْزُب،[٨] أي لا يغيب عنه[٩] ما في الأرض[١٠] ولا في السماء فيما لا أمر فيه ولا[١١] / نهي ولا كُلْفَة، فالذي فيه [٣٣٢ظ] السؤال والأمر والنهي والكُلْفَة أحرى وأولى أن لا يغيب عنه شيء. وقوله عز وجل: **وما يَعْزُب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض**، هو تحذير وتخويف بتمثيل لا وعيد بتقرير وتصريح؛ لأن الوعيد على وجهين. أحدهما على التمثيل،[١٢] والآخر على التقرير في عينه والتصريح.[١٣] وقوله عز وجل: **إلا في كتاب مبين**، قيل: ما قلّ[١٤] وما كَثُر **إلا في كتاب**،

---

[١] جميع النسخ: شهودا.

[٢] ن: ينبهم؛ ع م: بينهم.

[٣] ع م – متيقظين إذ تفيضون فيه قال بعضهم تفيضون فيه تأخذون فيه وقيل تخوضون فيه وقيل تقولون فيه.

[٤] ن ع م: يكثرون.

[٥] ع:فيه الحق.

[٦] م: يتلوا.

[٧] ن – وقال أبو بكر الأصم في قوله إذ تفيضون.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٢ظ/سطر ٥-٦.

[٨] م + عن ربك من مثقال ذرة.

[٩] ن + بيان.

[١٠] م – أي لا يغيب عنه ما في الأرض.

[١١] م + ولا.

[١٢] ن ع م: على التمثال.

[١٣] جميع النسخ: وتصريح.

[١٤] م: ما قال.

أي إلا في اللوح المحفوظ.[١] ويحتمل **إلا في كتاب مبين،** في[٢] الكتب المنزلة من السماء. *والله أعلم.*[٣]*

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٦٢] **﴿اَلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾**[٦٣]

وقوله[٤] عز وجل: **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون [الذين آمنوا وكانوا يتقون]،** قالت المعتزلة: دلت الآية على أن أصحاب الكبائر ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم لو كانوا[٥] مؤمنين لكانوا أولياء الله، وإذا كانوا أولياء الله لكان لا خوف عليهم ولا حزن.[٦] فإذا كان لا شك أن على أصحاب الكبائر خوفا وحزنا[٧] دل أنهم ليسوا بمؤمنين، ولا لهم ولاية الإيمان. لكن التأويل عندنا -والله أعلم- **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون،**[٨] في وقت دون وقت.[٩] ويجوز أن يكون[١٠] لأصحاب الكبائر لا خوف عليهم ولا حزن في وقت. وليس في الآية أنْ ليس على أولياء الله خوف ولا حزن من أول الأمر إلى آخره. ويحتمل قوله:[١١] **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون،** على ما يكون لأهل الدنيا في الدنيا من الخوف والحزن، إنما خوفهم وحزنهم لعاقبتهم.[١٢] ويشبه أنْ **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،** في الجنة. وهكذا يكون إذا دخلوا الجنة، يَأمَنون عن جميع ما يُنَغِّصهم.[١٣]

---

[١] ع م + مبين.

[٢] م: مبين أي في.

[٣] ن – في اللوح المحفوظ ويحتمل إلا في كتاب مبين في الكتب المنزلة من السماء والله أعلم.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية ما بين النجمتين متأخرة عن موضعها، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٣٢ظ/سطر ٥-٦.

[٤] ن: قوله.

[٥] ع: لأنهم كانوا.

[٦] ك: ولا هم يحزنون.

[٧] جميع النسخ: خوف وحزن.

[٨] ك – ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون؛ ع م – دل أنهم ليسوا بمؤمنين ولا لهم ولاية الإيمان لكن التأويل عندنا والله أعلم ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون.

[٩] ع – دون وقت.

[١٠] م – أن يكون.

[١١] ك ن – في وقت دون وقت ويجوز أن يكون لأصحاب الكبائر لا خوف عليهم ولا حزن في وقت وليس في الآية أن ليس على أولياء الله خوف ولا حزن من أول الأمر إلى آخره ويحتمل قوله.

[١٢] ع: لغافيتهم.

[١٣] ع م: ما ينفعهم.

وقال بعضهم: **أولياء الله**، هم أهل التوحيد. لكن تلك البشارة وذلك الوعد لأهل[1] التوحيد في الاعتقاد والوفاء جميعا، لا لأهل الاعتقاد خاصة.[2]

* وقال بعض أهل[3] التأويل: **لا خوف عليهم**، من النار، **ولا هم يحزنون**، أن يخرجوا من الجنة أبدا. والوجه[4] فيه ما ذكرنا. ***والله أعلم.**** [٣٣٢ظ س٢٩ ٢٣٢ظ س٣٠]

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٦٤]

وقوله عز وجل: **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**، قال[5] بعضهم: **لهم البشرى في الحياة الدنيا**، الرؤيا الصالحة. وعلى ذلك رويت[6] الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن هذه الآية، ففسّر بالرؤيا الصالحة.[7] فإن ثبت فهو[8] الحق. وقال[9] بعضهم:

---

[1] ع م: كأهل.

[2] قال الشارح رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾، قالت المعتزلة: دلت الآية على أن أصحاب الكبائر ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين لكانوا أولياء الله، وإذا كانوا أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وإذا كان لا شك أن على أصحاب الكبائر خوفا وحزنا دل أنهم ليسوا بمؤمنين ولا لهم ولاية الإيمان. لكن التأويل عندنا -والله أعلم- ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾، أي في وقت دون وقت. وليس في الآية أنْ ليس على أولياء الله خوف ولا حزن من أول الأمر إلى آخره أو في الأحوال كلها. ويجوز أن يكون لأصحاب الكبائر لا خوف عليهم ولا حزن في وقت، وهو وقت التوبة أو حال ما يعفو الله تعالى عنهم أو في الجنة إذا ختموا على الإيمان وعُذِّبوا بالنار على قدر ذنوبهم. والمطلق يجوز تقييده بالدليل. ويحتمل قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾، ليس لأولياء الله على ما يكون لأهل الدنيا من الخوف والحزن بسبب الأموال والأولاد، إنما خوفهم وحزنهم لعاقبتهم. والمراد من الأولياء هاهنا هو الخواصّ من المؤمنين على ما يستعمل هذا الاسم فيهم بحكم العرف وإن كان كل مؤمن وليا ولاية الإيمان. والعام يجوز تخصيصه بالعرف واستعمال أهل اللسان. وقال بعضهم: إن أولياء الله اسم لأهل التوحيد جملة. لكن البشارة والوعد لأهل التوحيد في الاعتقاد والوفاء جميعا، لا لأهل الاعتقاد خاصة. عرفنا ذلك بدلائل. فكان المراد من هذا العام هو الخاص. والله أعلم. ويشبه أنْ ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، في الجنة، لقوله: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ وهكذا يكون إذا دخلوا الجنة، يأمنون عن جميع ما يُنَغِّصهم ويحزنهم. والله أعلم» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٧٢ظ، ونسخة المدينة، ورقة ٤١٥ظ-٤١٦و).

[3] جميع النسخ: بعضهم من أهل.

[4] م: الوجه.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٦٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٢ظ/سطر ٢٩-٣٠.

[5] ن ع م: وقال.

[6] ع: رؤيت.

[7] «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرَى له» (*سنن ابن ماجة*، تعبير الرؤيا ١؛ وسنن *الترمذي*، الرؤيا ٣). وحسّنه الترمذي. وانظر لتفصيل طرق الحديث ورواياته: *الدر المنثور* للسيوطي، ٣٧٤/٤.

[8] ع: هو.

[9] م: قال.

لا تحتمل الرؤيا الصالحة، لأنه نَسَق البشرى في الآخرة على البشرى في الحياة الدنيا، ولا شك أنه لا يكون في الآخرة الرؤيا الصالحة.[1] ولكن إن ثبت ما ذكرنا من الخبر[2] فهو ذلك. ويشبه أن يكون البشارة التي ذكر هاهنا نحو قوله: فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ،[3] الآية، وقوله: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ،[4] وقوله: ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[5] وأمثال ذلك. وقال بعض أهل التأويل: **لهم البشرى في الحياة الدنيا**، يبشرهم الملائكة عند الموت، **وفي الآخرة**، الجنة. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لا تبديل لكلمات الله**، يحتمل **لا تبديل لكلمات الله**، من وعده ووعيده، وذلك مما لا تبديل له ولا تحويل. ويحتمل **لا تبديل لكلمات الله**، القرآن، لا تبديل لما فيه من الوعد والوعيد وغيره. ويحتمل لا تبديل لما مضى من سننه في الأولين والآخرين من الهلاك والاستئصال بتكذيبهم الرسل والآيات،[6] كقوله: فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً و تَحْوِيلاً،[7] وقوله: فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ.[8] ويحتمل قوله: **لا تبديل لكلمات الله**، أي لا تبديل[9] للبشرى التي[10] ذكر هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم. ويحتمل لا تبديل لحجج الله وبراهينه. أو لا تبديل لوعد الله ووعيده،[11] ونحوه.[12] ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ذلك هو الفوز العظيم**، أي **ذلك**، البشرى، **هو الفوز العظيم**. أو **ذلك**، الذين لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ،[13] **هو الفوز العظيم**؛ إذ لا خوف بعده.*

---

[1] ك - لأنه نسق البشرى في الآخرة على البشرى في الحياة الدنيا ولا شك أنه لا يكون في الآخرة الرؤيا الصالحة.

[2] ن ع م: في الخبر.

[3] ﴿فبشر عبادِ. الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ (سورة الزمر، ١٧/٣٩-١٨).

[4] سورة يونس، ٢/١٠.

[5] سورة الشورى، ٢٣/٤٢.

[6] ن: الآيات والرسل.

[7] ﴿استكبارًا في الأرض ومَكْرَ السَّيِّئِ ولا يَحِيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ (سورة فاطر، ٤٣/٣٥).

[8] ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفَرْ لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مَضَتْ سنة الأولين﴾ (سورة الأنفال، ٣٨/٨).

[9] ك: لا لا تبديل.

[10] ك: لبشرى الذي؛ ن ع م: لبشرى الذين.

[11] ك: لوعيد الله ووعده.

[12] م: وفوه.

[13] سورة يونس، ٦٢/١٠.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية السابقة برقم ٦٢، فقدمناها إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٢٣٢ظ/سطر ٢٩-٣٠.

﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **ولا يحزنك قولهم**، يحتمل **قولهم**،[١] ما قالوا في الله بما لا يليق به من الولد والشريك. يقول: لا يحزنك ذلك، فإن العزة لله جميعا. ويحتمل قوله: **ولا يحزنك قولهم**، الذي قالوا في القرآن: إنه سحر[٢] وإنه مفترى، أو قالوا في رسول الله: إنه ساحر وإنه يفتري على الله كذبا. ويشبه أن يكون قوله: **ولا يحزنك قولهم**، مكرهم الذي مكروا به وكيدُهم الذي كادوه. ويؤيد[٣] ذلك[٤] قوله: **إن العزة لله جميعا**، أي **إن العزة**، في المكر والكيد، **لله**. وهو كقوله: وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا،[٥] أي مكره ينقض مكرهم ويمنعه، وكيده يفسخ كيدهم.[٦] فعلى ذلك قوله: **إن العزة لله جميعا**، أي ينقض جميع ما يمكرون بك ويكيدونك. والعزة: القوة. يقول: إن القوة لله ينصرك على أعدائك ويدفع عنك كيدهم ومكرهم الذي همّوا بك. **وهو السميع**، لقولهم[٧] الذي قالوا،[٨] **العليم**، بمصالحهم. أو **السميع**: المجيب للدعاء، **العليم**، بما يكون منهم.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض**، أي تعلمون أن **من في السماوات ومن في الأرض** كلهم عبيده وإماؤه، فكيف قلتم: إن فلانا ولده وإن له شريكا، ولا أحد منكم يتخذ من / عبيده وإمائه ولدا ولا شريكا، كقوله: ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ،[٩] الآية. فعلى ذلك [٢٣٣و]
هذا. أو كيف يحتمل أن يتخذ ولدا وله ملك ما في السماوات والأرض. وإنما يُتَّخذ في الشاهد الولد لإحدى خصال ثلاث: إمّا للاستنصار على غيره، وإمّا لحاجة[١٠] تمسه، وإمّا لوحشة[١١] أصابته.

---

[١] ن - يحتمل قولهم.
[٢] ع: إن سحروا.
[٣] ك ن ع: يؤيد.
[٤] ع: بذلك.
[٥] سورة الرعد، ٤٢/١٣.
[٦] م - كيدهم.
[٧] ك - لقولهم.
[٨] ك: قالوه.
[٩] ﴿ضَرَبَ لكم مَثَلًا مِن أنفسكم هل لكم مِن ما ملكت أيمانكم مِن شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواءٌ تخافونهم كخيفتِكم أنفسَكم كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون﴾ (سورة الروم، ٢٨/٣٠).
[١٠] ع: الحاجة.
[١١] ع: الوحشة.

فهو غني له ملك السماوات والأرض، لا حاجة تمسّه. فكيف نسبتم الولد إليه والشريك وما قلتم[١] فيه مما لا يليق به. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم. أو يخبر[٢] عن غناه[٣] عما يأمرهم وينهاهم ويتعبّدهم. أي ليس يأمر وينهى ويتعبّد بأنواع العبادات ويمتحنهم بأنواع المحن لحاجة له أو لمنفعة له في ذلك، ولكن لمنفعة لهم في ذلك.

وقوله عز وجل: **وما يتّبع الذين يدعون من دون الله شركاء [إن يتبعون إلا الظن]**، أي ما يتّبعون فيما يدعون من دون الله من الشركاء الحجج[٤] والبراهين أو اليقين بكتاب[٥] أو رسول، إنما[٦] يتّبعون بالظن والحذر. **وإن هم إلا يَخْرُصون**، أي ما هم إلا يَكْذِبون[٧] فيما يتّبعون بدعائهم دون الله؛ لأنهم كانوا أهل شرك، لم يكونوا أهل كتاب ولا آمنوا برسول. فهم[٨] قد عرفوا أنهم مفترون كاذبون في اتّباعهم دون الله؛ إذ سبيل معرفة ذلك الكتاب أو الرسول، ولم يكن لهم واحد من ذلك. ***والله أعلم***.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبصِرا**،[٩] يُبصَر فيه. وقال في آية أخرى: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ -يعني في الليل- وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ،[١٠] يعني في[١١] النهار. فهو في موضع الامتنان وتذكير[١٢] النعم، يَستأدي بذلك شكر ما أنعم عليهم.[١٣] وفيه أن الليل والنهار يجريان على التدبير والتقدير؛ لأنهما لو كانا يجريان على غير تدبير ولا تقدير لكانا لا يجريان على تقدير واحد ولا سَنَن واحد،[١٤]

[١] جميع النسخ: قالوا.
[٢] م: أو يخبره.
[٣] ن: عن غنائه.
[٤] جميع النسخ: بالحجج.
[٥] م: أو الكتاب بيقين.
[٦] ع + إنما.
[٧] ع: لا يكذبون.
[٨] ن – فهم.
[٩] ن ع + مبصرا.
[١٠] سورة القصص، ٧٣/٢٨.
[١١] ع م – الليل ولتبتغوا من فضله يعني في.
[١٢] ع: ويذكر.
[١٣] جميع النسخ: عليه.
[١٤] ع – ولا سنن واحد.

ولكان[١] يدخل فيهما الزيادة والنقصان ولا يجريان على تقدير واحد. ولكان[٢] يدخل بعضه في بعض. فدلّ جريانهما على تقدير واحد أنهما يجريان على تدبيرِ آخر فيهما؛ إذ لو كان على غير تدبير [لكانا] يجريان على الجُزاف:[٣] على الزيادة والنقصان[٤] وعلى القلة[٥] والكثرة. وفيه أيضا أن مدبرهما واحد؛ لأنه لو كان مدبرهما عددا لكان إذا غلب أحدهما الآخر[٦] دام غلبته،[٧] ولا يصير الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا. فإذا صار ذلك ما ذكرنا دل أن مدبرها واحد لا عدد.

وفيه دلالة البعث بعد الموت؛ لأن كل واحد منهما إذا جاء أتلف صاحبه تلفا حتى لا يبقى له أثر ولا شيء منه، ثم يكون مثله حتى لا يختلف[٨] الذاهب من الحادث ولا الأول[٩] من الثاني. فدل أن الذي قَدَرَ على إنشاء ليل قد ذهب أثره وأصله لَقادرٌ[١٠] على البعث، ومن قدر على إحداث نهار وقد فني وهلك لقادر على إحداث ما ذكرنا من [الحياة بعد][١١] الموت.

وفيه أن الشيء إذا كان وجوبه لشيئين لم يجب إذا عُدِم أحدهما؛ لأنه قال: **والنهار مُبصِرا**، وإنما يُبصَر بنور البصر ونور النهار جميعا. لأنه إذا فات أحد النورين لم يُبصِر [الإنسان] شيئا من النور، نور البصر أو نور النهار. دل أن الحكم إذا وجب بشرطين لا يُوجَب إلا باجتماعهما جميعا. والليل يستر وجوه الأشياء، لا أنه لا يُرَى[١٢] نفسه، والنهار يكشف وجوه الأشياء. وفي الليل فيما[١٣] يستر وجوه الأشياء دلالة أنّ الحكم إذا كان وجوبه بشرطين يجوز منعه[١٤] بعلة واحدة؛ لأنه يستر نور النهار ونور البصر جميعا.

---

[١] جميع النسخ: ولكن.
[٢] جميع النسخ: وان كان.
[٣] ع: على الخراف. وعلى الجُزاف أي بدون حساب ولا تقدير دقيق.
[٤] م – ولا يجريان على تقدير واحد ولكان يدخل بعضه في بعض فدل جريانهما على تقدير واحد أنهما يجريان على تدبير آخر فيهما إذ لو كان على غير تدبير يجريان على الجزاف على الزيادة والنقصان.
[٥] ع م: على القلة.
[٦] ن: أحدهما على الآخر.
[٧] ع: غلبة.
[٨] م: حتى يختلف.
[٩] م: لا الأول.
[١٠] م: قادر.
[١١] مستفاد من *الشرح*، ورقة ٣٧٣و.
[١٢] ع: ألا يرى.
[١٣] م – فيما.
[١٤] ع م: صنعه.

وفي قوله: **جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبصِرا**، وجوه من الدلالة. أحدها ما ذكرنا من تذكير النعم، يدعوهم به إلى الشكران[1] وينهاهم عن الكفران. وفيه تذكير القدرة له حيث أنشأ هذا وأحدثه وأتلف الآخر؛ فمن قدر على هذا لا يعجزه شيء. وفيه دليل السلطان حيث يأخذهم الليل[2] ويستر عليهم الأشياء شاءوا أو أبَوْا. وكذلك النهار يأتيهم[3] حتى يكشف وجوه الأشياء ويُجلي شاءوا أو أبَوْا. وفيه دليل التدبير والعلم لما ذكرنا من اتّساق جريانهما على سنن واحد ومجرى واحد. وفيه دلالة وحدانية منشئهما.[4]

بيّن هاهنا فيما جعل الليل حيث قال: **لتسكنوا فيه**، أخبر أنه جعل الليل للسكون والراحة. فدل ذكر السكون في الليل على أنه جعل النهار[5] للسعي وطلب العيش. ألا ترى أنه قال في النهار: **مُبصِرا**، أي يُبصِرون فيه ما يتعيّشون[6] [به]. وهو ما ذكر في آية أخرى: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ [وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ]،[7] الآية.

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**، ولم يقل: يبصرون. فظاهرُ ما سبق من الذكر يجب أن يقال: لقوم يبصرون؛ لأنه قال: **والنهار مُبصِرا**. لكن يحتمل قوله: **يسمعون**، أي يعقلون، كقوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ.[8] ويحتمل[9] قوله: **يسمعون**، ما ذكر من الآيات من أول السورة إلى هذا الموضع، **لآيات لقوم يسمعون**، ينتفعون بسماعهم. أو **يسمعون**،[10] أي يجيبون،[11] كقوله [عليه الصلاة والسلام]: «سمع الله لمن حمده»،[12] أي أجاب الله.

---

[1] ن ع: إلى الشكر؛ م: إلى شكره.
[2] م – الليل.
[3] ع م: تأتيهم.
[4] ع: منشئيهما.
[5] ن + مبصرا.
[6] ك ع م: ما يعيشون.
[7] سورة القصص، ٢٨/٧٣.
[8] سورة يونس، ١٠/٤٢.
[9] ع: يحتمل.
[10] ع م – ما ذكر من الآيات من أول السورة إلى هذا الموضع لآيات لقوم يسمعون ينتفعون بسماعهم أو يسمعون.
[11] ع: أي يجيبون.
[12] *صحيح البخاري*، الأذان ١٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ٧١.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني**، قال بعضهم: أرادوا بقولهم: **اتخذ الله ولدا**، حقيقة الولد، كقوله: وَيَجْعَلُونَ لِلهِ الْبَنَاتِ،[١] وقوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ -كذا- وَقَالَتِ النَّصَارَى،[٢] كذا. فنزّه عز وجل نفسه عما قالوا بقوله: **سبحانه هو الغني**، إنه لم يَلد أحدا ولا وُلِد هو مِن أحد. ولهذا قال: لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ؛[٣] إذ في الشاهد لا يخلو[٤] إمّا أن يكون وُلِد مِن آخر أو [يكون] والدا.[٥] والخَلق كله لا يخلو[٦] من هذا. فأخبر أنه لم يَلد هو أحدا[٧] ولا وُلِد مِن أحد.

وقوله: **سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما / في الأرض**، تأويله -والله أعلم- أن في الشاهد من اتخذ ولدا إنما يتخذ لأحد وجوه ثلاثة: إمّا لحاجةٍ تمسّه أو لشهوةٍ تَغلبه أو لما يَستنصر به على آخر ممن يخافه. فإذا كان له ملك السماوات والأرض وملك ما فيهما، كلهم عبيده[٨] وإماؤه، فلا حاجة تقع له إلى الولد؛ إذ هو الغني، وله ملك ما في السماوات والأرض. ومَن هذا وَصفُه فلا يحتاج إلى الولد. ولأنه لا أحد[٩] في الشاهد يحتمل طبعه اتخاذ الولد من عبيده وإمائه. فإذا كان الله[١٠] سبحانه الخلائقُ كلهم عبيده وإماؤه كيف احتمل اتخاذ[١١] الولد منهم لو جاز؟ وقد بيّنا إحالة[١٢] ذلك وفساده. ولأن الولد يكون من شكل الوالد ومن جنسه، كالشريك يكون من شكل الشريك ومن جنسه، فكان في نفي الشريك نفي الولد؛ لأن معناهما واحد. وكل ذي شكل له ضد، ومن له ضد[١٣] أو شكل فإنه لا ربوبية له ولا ألوهية. [٣٣٣ظ]

---

[١] في نسخة ك و ن بياض بمقدار عدة كلمات. يقول الله تعالى: ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ (سورة النحل، ١٦/٥٧).
[٢] ﴿وقالت اليهود عُزَير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٠).
[٣] سورة الإخلاص، ١١٢/٣.
[٤] ك: لا يخ؛ ع م: لا يخلوا.
[٥] ن: ووالدا؛ ع م: أو والد.
[٦] ك: لا يخ؛ ع: لا يخلوا.
[٧] ع م: أحد.
[٨] م: عبده.
[٩] ع: ولا أنه لأحد.
[١٠] ن م: لله.
[١١] ن: اتخذ.
[١٢] م: إحالته.
[١٣] ع م – ومن له ضد.

وقال بعضهم: قولهم: **اتخذ الله ولدا**، لم يريدوا حقيقة الولد، ولكن أرادوا منزلة الولد وكرامته. فهو أيضا منفي عنه؛ لأن مَن لا يحتمل الحقيقة أعني حقيقة الولد امتنع عن منزلته وكرامته. لأن الحقيقة انتفت لعيب يدخل فيه، فإذا ثبت له منزلة تلك الحقيقة والكرامة دخل[١] فيه عيب[٢] الحقيقة.[٣]

وقوله عز وجل: **إنْ عندكم مِن سلطان بهذا**، قيل: ما عندكم مِن حجة على ما تقولون [من] أن له ولدا.[٤] لأنهم كانوا أهل تقليد لآبائهم وأسلافهم، وكانوا لا يؤمنون بالرسل والكتب والحجج. وإنما يستفاد ذلك من جهة الرسالة والكتب. وهم كانوا ينكرون ذلك.

وقوله عز وجل: **أتقولون على الله ما لا تعلمون**، أي تقولون على الله: إنه[٥] اتخذ الولد،[٦] ما تعلمون[٧] أنه لم يتخذ.[٨]

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[٦٩]

قل إن الذين يفترون على الله الكذب، هو ما ذكرنا أنهم علموا أنه لم يتخذ ولدا،[٩] لكن قالوا[١٠] ذلك افتراء[١١] على الله، **لا يفلحون**، في الآخرة لِما طمعوا في الدنيا بعبادتهم دون الله الأصنام بقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[١٢] وقولهم:[١٣] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[١٤] **لا يفلحون**، أي لا يظفرون بما طمعوا في الآخرة.

---

١ ن: ودخل.

٢ ن ع م: عبيد.

٣ ك – وقال بعضهم قولهم اتخذ الله ولدا لم يريدوا حقيقة الولد ولكن أرادوا منزلة الولد وكرامته فهو أيضا منفي عنه لأن من لا يحتمل الحقيقة أعني حقيقة الولد امتنع عن منزلته وكرامته لأن الحقيقة انتفت لعيب يدخل فيه فإذا ثبت له منزلة تلك الحقيقة والكرامة دخل فيه عيب الحقيقة.

٤ م: ولد.

٥ ع – إنه.

٦ ك – الولد.

٧ ع: ما لا تعلمون.

٨ أي أتقولون على الله ما تعلمون أنه ليس كذلك.

٩ انظر تفسير الآية السابقة.

١٠ م: لكن من قالوا.

١١ ع: افترى.

١٢ سورة الزمر، ٣/٣٩.

١٣ ك ع: وقوله؛ م – وقولهم.

١٤ سورة يونس، ١٨/١٠.

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾[٧٠]

متاع في الدنيا، أي ذلك هم **متاع في الدنيا**، ليس لهم متاع في الآخرة، **ثم إلينا مرجعهم**، يخاطب رسوله بذلك، لم يخاطبهم[١] [قائلا:] إلينا مرجعكم. فهو -والله[٢] أعلم- لِما اشتد على رسول الله ما افترَوْا به على الله. يقول:[٣] **إلينا مرجعهم**، فنجزيهم جزاء فِرْيَتِهم.[٤] والثاني يقول: **إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد**، لا ما طمعوا من الشفاعة عندنا والزُّلْفَى. **والله أعلم**.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾[٧١]

وقوله عز وجل: **واتل عليهم نبأ نوح**، أي خبره وحديثه.

[٣٣٣ظ س٢٣] *وفي قوله:[٥] **واتل عليهم نبأ نوح**،[٦] وجوه. أحدها اتل مُنابذةَ نوحٍ قومَه وما أرادوا به من الكيد والمكر به. والثاني اذكر عواقب قوم نوح وما حلّ بهم من سوء معاملتهم رسولهم. والثالث اذكر لهؤلاء[٧] عواقب متّبعي قومه ومخالفِيه.[٨]* [٣٣٣ظ س٢٥]

إذ قال لقومه يا قوم إن كان كَبُرَ عليكم مَقامي وتذكيري بآيات الله، قال بعضهم: **إن كان كَبُرَ عليكم**، طول، **مَقامي**، ومُكثي فيكم ودعائي[٩] إياكم إلى عبادة الله والطاعة له، **وتذكيري**، إياكم[١٠] بآياته. قال بعضهم: **وتذكيري**، بعذابه بتَرْكِكم إجابتي ودعائي. ويحتمل قوله: **إن كان كَبُرَ عليكم مَقامي**، بما أدّعي من الرسالة، **وتذكيري بآيات الله**، أي بحجج[١١] الله على ما ادّعيت من الرسالة.*

---

[١] ع: لم يخاطب.
[٢] م: الله.
[٣] ع: يقولون.
[٤] ع: قرينهم.
[٥] ع م: في قوله.
[٦] ن ع م + فيه.
[٧] ع م: لهم لا.
[٨] جميع النسخ: ومخالفه.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٣ظ/سطر ٢٣-٢٥.
[٩] م: دعائي.
[١٠] م - إياكم.
[١١] ع م: أي لحجج.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٣ظ/سطر ٢٣-٢٥.

وقوله عز وجل: **فأَجْمِعوا أمرَكم وشركاءَكم**، قال بعضهم: أي اجتمعوا أنتم وشركاؤكم ثم كِيدونِ، **ثم لا يكن أمرُكم عليكم غُمَّةً**، أي اجعلوا ما تسرّون[1] من الكيد والمكر بي ظاهرا غير ملتبس ولا مشتبه.[2] وقال بعضهم: قوله:[3] **فأَجْمِعوا أمرَكم**، أي أَعِدُّوا أمرَكم وادعوا شركاءكم. وكذلك روي في حرف أُبيّ: فأجمعوا أمركم وادعوا[4] شركاءكم. **ثم اقْضُوا إليَّ ولا تُنظِرونِ**، أي اقْضُوا ما أنتم قاضون. وقال بعضهم: قوله: **ثم لا يكن أمرُكم عليكم غُمَّةً**، أي لا يَكبُرْ عليكم أمرُكم. وقال الكسائي:[5] هو من التغطية واللَّبْس، أي لا تغطّوه ولا تَلْبِسوه،[6] اجعلوا كلمتكم ظاهرة واحدة. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: لا يكن أمركم اغتماما عليكم، أي فرّجوا عن أنفسكم، كقوله: مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ،[7] الآية.

وقوله عز وجل: **ثم اقْضُوا إليَّ ولا تُنظِرونِ**، أي اعملوا بي ما تريدون **ولا تُنظِرونِ**. وهو كقوله: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ.[8] وقال الكسائي:[9] هو من الإنهاء[10] والإبلاغ. وهو كقوله: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إسْرائِيلَ،[11] الآية، وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذٰلِكَ الْأَمْرَ،[12] أي أَنْهَيْنا إليه وأَبلغنا إليه. وقال أبو عَوْسَجَة: إن شئت جعلتها ظُلْمَةً فلا يبصرون أمرَهم، يعني **غُمَّةً**، وإن شئت[13] جعلتها شكّا. واشتقاق الغُمّة من غَمّ يَغُمّ غمّا، أي غطّى يغطّي. تقول: غَمَمْت رأسه، أي غطّيته. **ثم اقْضُوا إليَّ**، أي افعلوا بي ما أردتم.

---

[1] ع م: ما تريدون.
[2] ك: ولا مشبه.
[3] ع م – قوله.
[4] م – وادعوا.
[5] ع: الكيساني.
[6] ن: تلبسوا.
[7] ﴿من كان يَظنّ أنْ لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فلْيَمْدُدْ بسببٍ إلى السماء ثم لْيَقْطَعْ فلْيَنْظُرْ هل يُذْهِبَنّ كيدُه ما يَغِيظ﴾ (سورة الحج، ١٥/٢٢).
[8] ﴿قالوا لن نُؤْثِرَك على ما جاءنا من البينات والذي فَطَرَنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ (سورة طه، ٧٢/٢٠). القائلون لهذا الكلام هم سحرة فرعون بعدما آمنوا وهددهم فرعون بالقتل.
[9] ن ع: الكيساني.
[10] ع: من الانهار.
[11] ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لَتُفْسِدُنّ في الأرض مرّتين ولَتَعْلُنّ عُلُوّا كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ٤/١٧).
[12] ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أنّ دابرَ هؤلاء مَقطوعٌ مُصبِحين﴾ (سورة الحجر، ٦٦/١٥).
[13] م: إن شئت.

*وقال بعضهم في قوله: **ثم اقْضُوا إليّ**، أي[1] فافرغوا إليّ. يقال:[2] قضى[3] [أي] فرغ. [٣٣٣ظ س ٣٩
وهو قول أبي بكر[4] الأصم. / وقال بعضهم:[5] **ثم اقْضُوا إليّ**، أي امضُوا إليّ،[6] كقوله: فَرَاغَ [٣٣٤و]
إِلَى أَهْلِهِ،[7] و فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ،[8] ونحوه.* ٣٣٤و س ١]

وفي قول نوح لقومه: **فأَجْمِعوا أمرَكم وشركاءَكم** -إلى قوله- **ولا تُنظِرونِ**، وقول هود: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ،[9] وقول رسول الله: قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ،[10] دلالة إثبات رسالتهم؛ لأنهم قالوا ذلك لقومهم وهم بين أظهرهم ولم يكن معهم أنصار ولا أعوان. دلّ أنهم[11] إنما[12] قالوا ذلك اعتمادا على الله واتّكالا على معونته[13] ونصره إياهم.*

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **فإن تولّيتم فما سألتكم من أجر**، التولي اسم لأمرين. اسم للإعراض والإدبار، كقوله: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ.[14] واسم للإقبال والقبول أيضا، كقوله: وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا،[15] الآية، ونحوه. فهاهنا يحتمل الأمرين[16] جميعا.

---

[1] ن – أي.
[2] م: إلى أن يقال.
[3] ك ن – قضى.
[4] ن – أبي بكر.
[5] م: وبعضهم.
[6] ع م – أي امضوا إلي.
[7] ﴿فراغَ إلى أهله فجاء بعجلٍ سَمِين﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٢٦).
[8] ﴿فراغَ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٩١).
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٩ظ/سطر ٣٩- ورقة ٣٣٤و/سطر ١.
[9] سورة هود، ١١/٥٥.
[10] سورة الأعراف، ٧/١٩٥.
[11] ن – أنهم.
[12] م – إنما.
[13] جميع النسخ: بمعونته.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٩ظ/سطر ٣٩- ورقة ٣٣٤و/سطر ١.
[14] ﴿وإذا تولى سَعَى في الأرض ليفسد فيها ويُهلِكَ الحَرْثَ والنسل والله لا يحب الفساد﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٠٥).
[15] ﴿ومن يَتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ (سورة المائدة، ٥/٥٦).
[16] م: أمرين.

أي **فإن توليتم**، أي أقبلتم وقبلتم ما أَعرِضه عليكم وأدعوكم إليه، **فما سألتكم من أجر**، أي ما أجري إلا على الله. وإن كان في الإعراض فكأنه يقول: كيف أعرضتم عن قبوله ولم أسألكم على ذلك أجرا فيكون لكم عذر في الإعراض والرد؟ كقوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا،[1] الآية،[2] أي لم أسألكم على ما أَعرِضه عليكم وأدعوكم إليه غُرْما حتى يَثقُل عليكم ذلك الغُرْم فيمنعكم ثِقَل الغُرْم عن الإجابة.

ففي هذه الآية وغيرها دلالة منع أخذ الأجر على تعليم[3] القرآن والعلم؛ لأنه لو جاز أخذ الأجر على ذلك لكان لهم عذر أن لا يبذلوا ذلك ولا يتعلموا شيئا من ذلك. وفي ذلك هدم شرائع الله وإسقاطها. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وأمرت أن أكون من المسلمين**، أي مسلما نفسي إلى الله، أي سالما[4] لا أجعل لأحد سواه فيها حقا ولا حظا. أو أمرت[5] أن أكون من المخلصين لله[6] والخاضعين له. هو[7] يحتمل ذلك كله.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **فكذّبوه**، يعني نوحا، كذّبه قومه فيما ادّعى من الرسالة أو ما أتاهم[8] من الآيات أو ما أوعدهم[9] من العذاب بتكذيبهم إياه. **فنجيناه**، يعني نوحا، **ومن معه في الفلك**، أي من ركب معه الفلك[10] من المؤمنين. **وجعلناهم خلائف**، يحتمل **خلائف**،[11] خلفاء في الأرض وسكّانا يَخلُف بعضهم بعضا. ويحتمل **جعلناهم خلائف**، أي خَلَف قومٍ أُهلِكوا واستُؤصِلوا[12] بالتكذيب.

[1] ﴿أم تسألهم أجرا فهم من مَغرَمٍ مُثقَلُون﴾ (سورة الطور، ٥٢/٤٠؛ وسورة القلم، ٦٨/٤٦).
[2] ك + أي لم أسألكم على ذلك أجرا فيكون لكم عذر في الإعراض والرد كقوله أم تسألهم أجرا الآية.
[3] ن: على تعلم.
[4] م: إلى الله سالما؛ ن + لما.
[5] ع: ولا خطاء وأمرت؛ م: وأمرت.
[6] ك – لله.
[7] ع م – هو.
[8] م: ما أتاكم.
[9] م: ما أودهم.
[10] ع: الملك.
[11] ن – يحتمل خلائف.
[12] ع: أو استوصلوا.

وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا، يحتمل الآيات الحجج[١] والبراهين التي أقامها على ما ادّعى من الرسالة. ويحتمل قوله: **كذبوا بآياتنا**، العذاب الذي أوعدهم بتكذيبهم إياه فيما وعد.

وقوله عز وجل: **فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين**، كان أنذر[٢] الفريقين جميعا، المؤمن والكافر جميعا، كقوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ.[٣] فإذا[٤] كان ما ذكرنا فيكون تأويله: **فانظر كيف كان عاقبة** من أجاب ومن لم يجب. عاقبة من أجاب الثواب، وعاقبة من لم يجب العذاب. ويحتمل **المنذَرين**، الذين لم يقبلوا الإنذار ولم يجيبوا، أي انظر كيف كان عاقبتهم بالهلاك والاستئصال. ويكون تأويل قوله: إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ، أي إنما يقبل الإنذار من اتبع الذكر، أو إنما[٥] ينتفع بالإنذار من اتبع الذكر، وأمّا من لم يتبع الذكر لم ينتفع. ***والله أعلم.***

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **ثم بعثنا من بعده رسلا**، أي من بعد نوح رسلا، **إلى قومهم**، أي بعثنا إلى كل قوم رسولا، لا أنه[٦] بعث الرسل جملة[٧] إلى قومهم، ولكن واحدا على إثر واحد. **فجاءوهم بالبينات**، يحتمل البينات الحجج والبراهين التي أقاموها على ما ادّعوا من الرسالة والنبوة. ويحتمل البينات بيان ما عليهم أن يأتوا ويتقوا. ويحتمل البينات ما أخبروهم[٨] وأنبئوا قومهم بالعذاب أنه نازل بهم في الدنيا.

وقوله عز وجل: **فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل**، قال[٩] بعضهم: ما كان كفار مكة ليؤمنوا وليصدّقوا[١٠] بالبينات[١١] كما لم يصدّق به أوائلهم. وقال بعضهم: قوله: **بما كذّبوا به من قبل**،

---

[١] ك: والحجج.
[٢] م: إنذار.
[٣] ﴿إنما تُنذِر مَن اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبَشِّره بمغفرة وأجر كريم﴾ (سورة يس، ١١/٣٦).
[٤] ع: فإن.
[٥] م: وإنما.
[٦] م: ألا أنه.
[٧] ع م – جملة.
[٨] جميع النسخ: بما أخبروهم.
[٩] م: وقال.
[١٠] ن ع + بالآيات.
[١١] ن ع: والبينات.

أي قبل بعث الرسل. ففيه دلالة أن أهل الفترة يؤاخذون بالتكذيب في حال الفترة. ويحتمل قوله: **بما كذّبوا به من قبل**، أي من قبل[1] إتيان البينات، أي ما كانوا ليؤمنوا[2] بعد ما جاءوا بالبينات بما كذّبوا به من قبل مجيء البينات.

كذلك نطبع على قلوب المعتدين، أي هكذا نطبع على قلوب أهل مكة كما طبعنا على قلوب أوائلهم؛ إذ عَلم أنهم لا يقبلون الآيات ولا يؤمنون بها. والاعتداء هو الظلم مع العناد والمجاوزة عن الحد الذي جعل.

وقوله عز وجل: **فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل**، هو يخرج على وجهين. أحدهما ما كانوا ليؤمنوا بالبينات إذا جاءتهم البينات على السؤال. وهكذا عادتهم أنهم لا يؤمنون بالآيات إذا أتاهم على السؤال. والثاني ما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا على علم منهم أنها آيات وأنه رسول. ***والله أعلم***.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾[٧٥]

وقوله: **ثم بعثنا من بعدهم**، أي من بعد من ذكرنا من الرسل، **موسى وهارون إلى فرعون ومَلَئِه**، بعثهما إلى الملأ وغير الملأ، **بآياتنا**، يحتمل الوجوه التي ذكرنا. **فاستكبروا**، هذا يدل أنهم قد عرفوا أن ما جاءهم الرسل[3] من الآيات أنها آيات، لكنهم عاندوا وكابروا و لم يخضعوا في قبولها، **وكانوا قوما مجرمين**.[4]

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين**، قال بعضهم: قوله: **فلما جاءهم الحق من عندنا**، أي الحجج والآيات من عندنا، **قالوا إن هذا**، يعنون الحجج والبراهين التي جاءهم[5] بها[6] موسى، **لسحر مبين**، يسمّون الحجج والبراهين سحرا لِما أن السحر عندهم باطل.

---

[1] ع م – أي من قبل.

[2] ع م: يؤمنوا.

[3] م: الرسول.

[4] ع – وقوله ثم بعثنا من بعدهم أي من بعد من ذكرنا من الرسل موسى وهارون إلى فرعون وملئه بعثهما إلى الملأ وغير الملأ بآياتنا يحتمل الوجوه التي ذكرنا فاستكبروا هذا يدل أنهم قد عرفوا أن ما جاءهم الرسل من الآيات أنها آيات لكنهم عاندوا وكابروا و لم يخضعوا في قبولها وكانوا قوما مجرمين.

[5] ك ن: جاء.

[6] ن: بهم؛ ع م – بها.

لذلك قالوا / للحجج: إنها سحر. وذلك تمويه منهم، يُمَوِّهون على الناس لئلا يظهر الحق [٣٣٤ظ]
عندهم فيتبعوه.[١] وقال بعضهم: **الحق**، هو الإسلام والدين، كقوله: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ.[٢]
قالوا إن هذا لسحر مبين، يعنون الحجج والآيات التي جاءهم بها للدين؛ لأنه جاءهم[٣] بالدين،
وجاءهم أيضا بحجج الدين وآياته. قالوا لحجج[٤] الدين والإسلام: سِحْر.[٥] ففي التأويلين جميعا
سَمَّوْا الحجج سحرا. وقوله: **جاءهم الحق من عندنا**، أي بأمرنا. وكذلك قوله: إِنَّ الدِّينَ
عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ، أي الإسلام هو الدين[٦] الذي أمر الله به. لا أنه يُفهَم للعِنْد مكان، [وأن الله]
ينتقل من مكان إلى مكان، ولكن معنى العِنْد معنى الأمر. وعلى هذا يخرج قوله: إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ -يعني الملائكة- لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ،[٧] أي إن الذين[٨] بأمر[٩] ربك يعبدونه
ولا يستكبرون[١٠] عن عبادته. لِما أنه لم يُفهَم مِن مجيء الحق من عنده مكان فعلى ذلك لا يجوز
أن يُفهَم مِن قوله: إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ، المكان أو قُرب[١١] المكان منه. ولكن التأويل ما ذكرنا
أن المفهوم مِن عِنْد الله أمره. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **قال موسى أتقولون للحق لمّا جاءكم أسحر هذا**، والحق ما ذكرنا.[١٢]
ولا يفلح الساحرون، الإفلاح هو الظفر بالحاجة. يقول: **ولا يفلح الساحرون**، أي لا يظفر[١٣]
الساحر[١٤] بالحاجة ولا يَغلب؛ لأن السحر باطل، ولا يغلب الباطل الحق،[١٥] بل الحق هو الغالب،

[١] جميع النسخ: فيتبعونه.
[٢] سورة آل عمران، ١٩/٣.
[٣] م: جاء.
[٤] ن: الحجج.
[٥] جميع النسخ: سحرا.
[٦] ك – الدين.
[٧] سورة الأعراف، ٢٠٦/٧.
[٨] ك: أي الذين.
[٩] ع: يأمر.
[١٠] ك ن ع: لا يستكبرون.
[١١] ع م: أقرب.
[١٢] انظر تفسير الآية السابقة.
[١٣] م: لا يظفرون.
[١٤] م – الساحر.
[١٥] ع م – الحق.

والسحر هو المغلوب، على ما غَلب[1] الحق الذي جاء به موسى السحر الذي جاء [به] سَحَرة فرعون. أو يقول: **ولا يفلح الساحرون**، في الآخرة بسحرهم في الدنيا. ويحتمل قوله: **ولا يفلح الساحرون**، بسحرهم في حال سحرهم، كقوله: لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ،[2] و لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ،[3] أي لا يفلحون بظلمهم في حال ظلمهم. وأمّا إذا تَركوا الظلم فقد أفلحوا. فعلى ذلك السَّحَرة إذا تركوا السحر فقد أفلحوا. *والله أعلم*.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **قالوا أجئتنا لِتَلْفِتَنا**، قيل: لتَصرِفنا وتَصُدّنا. قال القُتَبي: لَفَتّ فلانا عن كذا إذا صرفته، والالتفات منه، وهو الانصراف.[4] وقال أبو عَوْسَجَة: **لِتَلْفِتَنا**، أي تردّنا وتصرفنا[5] على ما ذكر القُتَبي. قال: يُقال: لَفَتَه يَلْفِته لَفْتا.

وقوله عز وجل: **عما وجدنا عليه آباءنا**، من عبادة الأصنام والأوثان. ويحتمل **عما وجدنا عليه آباءنا**، من عبادة فرعون والطاعة له.

وتكونَ لكما الكبرياء في الأرض، قال عامة[6] أهل التأويل: **الكبرياء**: المُلْك[7] والسلطان والشرف. أي الملك الذي كان لفرعون والسلطان يكون لكما باتباع الناس لكما، لأن كل متبوع مطاع معظَّم مشرَّف. ويحتمل قوله:[8] **وتكون لكما الكبرياء في الأرض**، أي الألوهية التي كان[9] يدّعي فرعون لنفسه [تكون] لكما؛ لأن عندهم أن كل من أُطِيع[10] واتُّبِع فقد عُبِد ونُصِب إلها.

وما نحن لكما بمؤمنين، أي بمصدّقين[11] فيما تدعوننا إليه أو ما تدعون من الرسالة.

---

[1] ع: ما أغلب.
[2] سورة الأنعام، ٢١/٦، ١٣٥؛ وسورة يوسف، ٢٣/١٢؛ وسورة القصص، ٣٧/٢٨.
[3] سورة المؤمنون، ١١٧/٢٣؛ وسورة القصص، ٨٢/٢٨.
[4] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ١٩٨.
[5] ن – وتصدنا قال القتبي لفت فلانا عن كذا إذا صرفته والالتفات منه وهو الانصراف وقال أبو عوسجة لتلفتنا أي تردنا وتصرفنا.
[6] ع م – عامة.
[7] ك ن ع: والملك.
[8] ك ن – قوله.
[9] م: كانت.
[10] ع: من أطيع.
[11] ن: أي مصدقين.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم،** هذا من فرعون ينقض ما ادّعى من الألوهية حيث أظهر الحاجة إلى غيره، ولا يجوز أن يكون المحتاج إلها.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾[٨٠] ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٨١]

وقوله عز وجل: **فلمّا جاء السحرة قال لهم موسى أَلْقُوا ما أنتم مُلْقُون فلمّا أَلْقَوْا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيُبْطِلُه،** أي سيُبْطِل عَمَل السحر الذي قصدوا به. أي يجعله[١] مغلوبا، كقوله: وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ،[٢] أي لا يَغلب الساحرون[٣] ولا يَظفرون بالحاجة.

إن الله لا يصلح عمل المفسدين، أي لا يُصلِح ما أفسدوا من أعمالهم فيجعلهم صالحين. وقوله: **إن الله لا يصلح عمل المفسدين،** هو ما ذكرنا، أي لا يجعلهم بأعمالهم الفاسدة صالحين. أو لا يجعل أعمالهم الفاسدة صالحة. وقال بعضهم: **لا يُصلِح،** أي لا يرضى بعمل المفسدين.

﴿وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **ويُحِقّ الله الحق بكلماته ولو كَرِه المجرمون،** ذكر أن يُحِق الحق، والحق حق وإن لم يُحِق الحق. وكذلك ذكر[٤] في الباطل: وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ،[٥] والباطل[٦] باطل وإن لم يُبطِل. ولكن يحتمل قوله: لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ، أي ليجعل الحق في الابتداء حقا فيصير حقا،[٧] ويجعل الباطل في الابتداء[٨] باطلا فيكون باطلا. أي[٩] بإبطاله الباطل يكون باطلا، وبتحقيقه الحق يكون حقا. وهو ما يقال:[١٠] هَداه فاهتدى، وأَضلّه فضلّ. أي بهدايته اهتدى وبإضلاله ضلّ. فعلى ذلك بإبطاله الباطل بَطَل، وبتحقيقه[١١] الحق حَقّ. ***والله أعلم.***

---

[١] م: أي يجعلوه.
[٢] سورة يونس، ٧٧/١٠.
[٣] ع: الساحر.
[٤] ع م: وذكر كذلك.
[٥] ﴿لِيُحِقّ الحق ويُبْطِلَ الباطل ولو كَرِه المجرمون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٨).
[٦] ن – والباطل.
[٧] م – فيصير حقا.
[٨] ع – حقا فيصير حقا ويجعل الباطل في الابتداء.
[٩] م – أي.
[١٠] م: وهو يقال.
[١١] ك: وتحقيقه.

وقوله: **بكلماته**، يحتمل وجوها. يحتمل **ويُحِقّ الله الحق بكلماته**، أي برسله؛ إذ بالرسل يظهر الحق، وبهم يظهر بطلان الباطل. وهم حجج الله في الأرض، وبالحجج يظهر الحق، وكذلك الباطل. ويحتمل ما ذكر أهل التأويل: **بكلماته**، آياته التي أنزل عليه. بها ظهر حقيقة ما أتى به موسى، وبها ظهر بطلان ما أتى به السَّحَرة من السحر. ويحتمل كلماته[1] ما وَعد موسى قومَه من العذاب وما[2] وَعد من الظفر بأعدائهم والنصر عليهم وغير ذلك [و]ما وَعد[3] من النعمة لهم، كقوله:[4] أُذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.[5]

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه**، يحتمل قوله: **من قومه**، من قوم موسى. لِما قيل: إن موسى كان من أولاد إسرائيل، فهم من ذريته من هذا الوجه. يقال: أهل بيت فلان، وإن لم يكن[6] البيت له. ويحتمل قوله:[7] **إلا ذرية من قومه**،[8] من قوم فرعون، فهو نسب إليه لما ذكرنا. وقال أهل التأويل: أراد بالذرية القليل منهم، أي ما آمن منهم إلا القليل.[9] ولكن لا ندري ذلك.

وقوله: **فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون ومَلَئِهم**، يحتمل:[10] ما آمن مَن آمن مِن قومه إلا **على خوف من فرعون ومَلَئِهم**، أي آمنوا وإن خافوا من فرعون ومَلَئِهم.[11] ويحتمل: ما ترك مِن قومه الإيمان بموسى مَن ترك إلا على / خوف من فرعون، [٣٣٥و]

[1] ع م – أي برسله إذ بالرسل يظهر الحق وبهم يظهر بطلان الباطل وهم حجج الله في الأرض وبالحجج يظهر الحق وكذلك الباطل ويحتمل ما ذكر أهل التأويل بكلماته آياته التي أنزل عليه بها ظهر حقيقة ما أتى به موسى وبها ظهر بطلان ما أتى به السحرة من السحر ويحتمل كلماته.

[2] جميع النسخ: التي.

[3] ع م – من الظفر بأعدائهم والنصر عليهم وغير ذلك ما وعد.

[4] ع – كقوله.

[5] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٠).

[6] م: وإن لم تكن.

[7] ك ن – قوله.

[8] م – من قومه.

[9] م: إلا قليل.

[10] ع م + قوله.

[11] ك: وملائه.

أن يَفْتِنَهم،[١] أي يقتلهم ويعذبهم. ففيه دلالة أن الخوف لا يُعذَر المرء [به] في ترك الإيمان حقيقة، وإن كان يُعذَر [به] في ترك إظهاره؛ لأن الإيمان هو التصديق، والتصديق[٢] يكون بالقلب. ولا أحد من الخلائق يطّلع على ذلك. لذلك لم يُعذَر في ترك إتيانه؛ لأنه يقدر على إسراره. ألا ترى إلى قوله: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ.[٣] كان مؤمنا فيما بينه وبين[٤] ربه[٥] وإن لم يُظهِر [ذلك].

وقوله عز وجل: **وإن فرعون لَعالٍ في الأرض،** وهو ما قال عز وجل: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ،[٦] أي قهر وغلب على أهل الأرض، **وإنه لمن المسرفين.**

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[٨٤]

وقوله[٧] عز وجل: **وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين،** فيه دلالة أن الإيمان والإسلام واحد في الحقيقة؛ لأنه بدأ بالإيمان بقوله: **إن كنتم آمنتم بالله،** وختم بالإسلام بقوله: **إن كنتم مسلمين.** دل أنهما واحد. [الإيمان] هو اعتقادُ تركِ تضييعِ كلِّ حق. والإسلام اعتقادُ تسليمِ[٨] كلِّ حق وتركِ تضييعه. ***والله أعلم.*** والإسلام[٩] هو جَعْل كلّيّة الأشياء لله سالمة. والإيمان هو التصديق بكلّيّة الأشياء فيما فيها من الشهادة لله بالربوبية له والألوهية.

وقوله: **فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين؛** يحتمل هذا وجهين. يحتمل أن يكون قال ذلك لما خافوا مواعيد فرعون وعقوباته، كقوله للسحرة لما آمنوا: لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ،[١٠] الآية، فقال عند ذلك: **فعليه توكلوا،** في دفع ذلك عنكم.[١١]

---

[١] ن: أن يفتلهم.
[٢] ع – والتصديق؛ م: لأن التصديق.
[٣] سورة المؤمن، ٢٨/٤٠.
[٤] م – وبين.
[٥] م: وربه.
[٦] سورة القصص، ٤/٢٨.
[٧] ن: قوله.
[٨] م – تسليم.
[٩] ع – والإسلام.
[١٠] سورة الأعراف، ١٢٤/٧؛ وسورة الشعراء، ٤٩/٢٦.
[١١] ن: عنهم؛ م – عنكم.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٨٥]

فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين. وقوله:[١] **لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين**، يحتمل ما قاله: عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ،[٢] ما قيل:[٣] أي يقتلهم ويعذبهم. *والله أعلم*. هذا يخرج على وجهين. أحدهما أي لا تجعل لهم علينا الظفر والنصر، فيظنوا[٤] أنهم على هدى وعلى حق[٥] ونحن على ضلال وباطل. والثاني لا تجعلنا تحت أيدي الظَّلَمَة[٦] فيعذّبونا،[٧] فيكون ذلك فتنة لنا ومحنة، على ما فعل فرعون بالسحرة لما آمنوا.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **ونجّنا برحمتك من القوم الكافرين**، فيه أن قوله:[٨] الظَّالِمِينَ،[٩] و **الكافرين**، واحد. *والله أعلم*.[١٠]

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **وأوحينا إلى موسى وأخيه أنْ تَبَوَّآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة**، الآية، يحتمل[١١] وجهين.[١٢] يحتمل[١٣] قوله: **أنْ تَبَوَّآ لقومكما**، أي اتَّخِذا لقومكما مساجد[١٤] يصلّون فيها، **واجعلوا بيوتكم**، أي اجعلوا في بيوتكم التي اتخذتم مساجد،[١٥] **قبلةً**.

---

[١] ن ع م: قوله.
[٢] سورة يونس، ٨٣/١٠.
[٣] ع: ما قبل.
[٤] جميع النسخ: فيظنون.
[٥] م: خوف.
[٦] م + الظلمة.
[٧] م: فيعذبون.
[٨] م: فيه قوله.
[٩] الآية السابقة.
[١٠] ن - والله أعلم.
[١١] ن م: تحتمل.
[١٢] م + أحدهما.
[١٣] ن: تحتمل.
[١٤] ن ع: مساجدا.
[١٥] ن ع: مساجدا؛ م: المساجد.

أنْ تَبَوَّآ لقومكما بمصر بيوتا، الأمر باتخاذ المساجد. ويكون في قوله: **واجعلوا بيوتكم قبلةً**، الأمر باتخاذ القبلة في المساجد التي أمر ببنائها.[١] والثاني قوله: **أن تَبَوَّآ لقومكما بمصر بيوتا**، أي اتخذا[٢] لقومكما بمصر مساجد،[٣] على ما ذكرنا.

*وقال أبو عَوْسَجَة: قوله: **أنْ تَبَوَّآ لقومكما**، تَهَيَّآ،[٤] مِن التَّهْيِئَة، / أي هَيِّآ لهم موضعا، [٣٣٥و س٣٩
كقوله: وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ،[٥] أي هيّأنا لهم مُهَيَّأَ صِدْق.* ٣٣٥ظ س١]

وقوله عز وجل: **واجعلوا بيوتكم قبلةً**، أي اجعلوا في بيوتكم التي بنيتم لأنفسكم قبلة تتوجّهون إليها. ويكون فيه دلالة أنّ نَصْب الجماعة واتخاذ المساجد والقبلة مُتوارَثة مَسنُونة،[٦] ليست ببديعة لنا وفي شريعتنا خاصّة. ويؤيد ما ذكرنا أن فيه الأمر باتخاذ المساجد. وقوله: **وأقيموا الصلاة**، دل الأمر بإقامة الصلاة على أن الأمر بتَبْوِئَة[٧] البيوت أمرٌ باتخاذ المساجد واتخاذ القبلة. فإن قيل: هذا في الظاهر أمرٌ باتخاذ المساجد،[٨] والآية التي ذكر فيها اتخاذ المساجد تخرج مخرج الإباحة لنا، وهو قوله: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ.[٩] هو في الظاهر إباحة.[١٠] قيل: هو أمرٌ في الحقيقة وإن كان في الظاهر إباحة. ألا ترى أنه قال: وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا، الآية. ولا شك أنّ ذِكر اسمه والتسبيح له أمرٌ فيه.[١١] دل أنه ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

---

[١] ع: ببنائها.
[٢] ع م: أي اتخذ.
[٣] ك ن ع: مساجدا.
[٤] ك: تهيبا.
[٥] سورة يونس، ٩٣/١٠.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٥و/سطر ٣٩- ورقة ٣٣٥ظ/سطر ١.
[٦] ع م – مسنونة.
[٧] م: بتوية.
[٨] ع م – واتخاذ القبلة فإن قيل هذا في الظاهر أمر باتخاذ المساجد.
[٩] ﴿في بيوتٍ أَذِنَ اللهُ أن تُرفَع ويُذكَر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغُدُوّ والآصال. رجالٌ لا تُلْهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾ (سورة النور، ٢٤/٣٦-٣٧).
[١٠] في نسخة ك بياض بمقدار عدة كلمات، وفي هامشها: كذا في الأصل بياض.
[١١] يقول الشارح رحمه الله تعالى: «فإن قيل: هذا في الظاهر أمرٌ باتخاذ المساجد، وفي الآية التي ذكر فيها اتخاذ المساجد، وهي قوله: ﴿في بيوتٍ أذِنَ الله أنْ تُرفَعَ ويُذكَرَ فيها اسمه﴾، دلالة الإباحة، حيث قال: ﴿أَذِنَ الله﴾. قيل: معناه: في بيوتٍ أَمَرَ الله أنْ تُرفَع ويُذكَر فيها اسمه. ألا ترى أنه قال: ﴿ويُذكَرَ فيها اسمه يُسبِّحُ له فيها بالغُدُوّ والآصال﴾. ولا شكَّ أنّ ذِكر اسمه والتسبيح له فيها والصلاة مأمور به على الوجوب، فكذلك المعطوف عليه» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧٥و).

وأما أهل التأويل فإنهم قالوا: إنهم كانوا يخافون فرعون وملأه، فأُمِروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجدَ[١] مُستقبِلةً[٢] الكعبة، يصلّون فيها سرّا خوفا من فرعون. هذا يحتمل إذا كان[٣] قبل هلاك فرعون وقبل أن يستولوا على مصر. وإذا كان بعد هلاكه وبعد ما استولَوْا وملكوا على مصر وأهله فالأمر فيه -ما ذكرنا- أمرٌ باتخاذ المساجد ونَصْبِ الجماعات فيه وإقامةِ الصلاة فيها. وقال بعض أهل[٤] التأويل: وَجِّهوا بيوتكم ومساجدكم نحو القبلة. لكن هذا بعيد؛ لأنه لا يكون بيتا إلا ويكون جهة من جهاته إلى القبلة، فلا معنى له. والوجه فيه ما ذكرنا. ويحتمل الأمر بتَبْوِئَة[٥] البيوت لقومهما بمصر وجَعْلِ البيوت قِبلةً وجهين. أحدهما الأمر بالانفصال من فرعون وقومه حتى إذا أرادوا الخروج من عندهم قَدَروا على ذلك ولا يكون المرور عليهم. وكأن ذلك الانفصال إنما كان من جهة القبلة. والثاني ما ذكرنا:[٦] أرادوا أن يعتزلوهم حتى[٧] يتهيأ لهم الصلاة فيها، وكان لا يتهيأ[٨] لهم[٩] في بيوت فرعون.

وقوله عز وجل: **وبشّر المؤمنين**، يحتمل البِشارة في الآخرة بالجنة وأنواع النعم.[١٠] ويحتمل أن يبشّرهم بالمُلْك في الدنيا والظفر على فرعون وأنواع النعم بعد ما أصابوا الشدائد من فرعون، كقوله: اُذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.[١١] *

---

١ ن ع م: مساجدا.

٢ ن: مستقبل.

٣ م: إذ كان.

٤ جميع النسخ: بعضهم من أهل.

٥ م: بتوبة.

٦ ع م: ما ذكر.

٧ ن - حتى.

٨ ك: لا يتهنا.

٩ ع - الصلاة فيها وكان لا يتهيأ لهم.

١٠ ك: النعيم.

١١ ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين﴾ (سورة المائدة، ٥/٢٠).

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٥و/سطر ٣٩- ورقة ٣٣٥ظ/سطر ١.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة**، يحتمل قوله: **زينة**،[١] مِن أنواع ما آتاهم من الأنزال والنبات، كقوله: حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ،[٢] ونحوه. ويحتمل الزينة الزينة[٣] التي كانوا يتزيّنون بها من المَرْكَب[٤] والمَلْبَس وما يَتحلَّوْن بها من أنواع الحُلِيّ. **وأموالا**، كثيرة سِوى ذلك.

وقوله عز وجل: **ربَّنا لِيُضِلُّوا عن سبيلك**؛[٥] قالت المعتزلة: تأويل قوله: **ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربَّنا لِيُضِلُّوا عن سبيلك**، أي آتاهم لئلا يُضلوا الناس عن سبيله، ولكن أضلّوهم عن سبيله.[٦] وقالوا: هذا كما يقال: لم أُوتِك[٧] كذا لِتفعل كذا ولكن فعلتَ، ونحوه من الكلام. ولكن عندنا هو ما ذكر: آتاهم[٨] الأموال وما ذكر لِيُضلوا عن سبيله؛ لأنه إذا عَلم[٩] منهم[١٠] أنهم يُضلون الناس عن سبيله آتاهم[١١] ما آتاهم لِيُضلوا. وهو كما ذكرنا في قوله: إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا،[١٢] وقوله: نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ،[١٣] الآية، وأمثاله. فكذا هذا.[١٤] *والله أعلم*.

---

[١] ن – يحتمل قوله زينة.
[٢] سورة يونس، ٢٤/١٠.
[٣] ن ع م – الزينة.
[٤] ن ع م: من المراكب.
[٥] ن + الآية.
[٦] م – عن سبيله.
[٧] ك: لم أتل؛ ن ع: لم أتك؛ م: لم تك؛ ع م + هذا.
[٨] م: ما ذكرناهم.
[٩] ن ع: إذ علم.
[١٠] م – منهم.
[١١] م – آتاهم.
[١٢] ﴿ولا يحسَبنّ الذين كفروا أنمَا نُملِي لهم خير لأنفسهم إنما نُملِي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مُهين﴾ (سورة آل عمران، ١٧٨/٣).
[١٣] ﴿أ يحسَبون أنما نُمِدُّهم به مِن مالٍ وبَنِين. نُسارِع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ (سورة المؤمنون، ٥٥/٢٣-٥٦).
[١٤] ع م – هذا.

[٣٣٥ظ س ١٨ * [**ربنا اطْمِس على أموالهم**]، والطَّمْس قال أبو عَوْسَجَة: هو الذهاب بها، أي اذْهَبْ بها. وقال[١] القُتَبي: قوله: **ربنا اطْمِس**، أي أَهْلِكْها. وهو من قولك: طَمَس الطريقُ، إذا عَفَا ودَرَس.[٢] وقال غيره: الطَّمْس، هو المَسْخ، كقوله:[٣] فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ،[٤] أي مسخناهم. وقال بعضهم: الطَّمْس[٥] هو التغيير عن جوهرها.* ٣٣٥ظ س ٢٠]

وقوله عز وجل: **ربنا اطْمِس على أموالهم واشْدُدْ على قلوبهم**؛ يحتمل هذا وجهين. يحتمل أي **اطْمِس على أموالهم**، واجعل في قلوبهم قساوةً وغِلظةً تُنَفِر الأَتْباع ومن يُقلِّدهم[٦] عن اتّباعهم وتقليدهم، فيكون ذلك أَهْوَن علينا في استنقاذ الأَتْباع منهم[٧] وأَدْعَى لهم إلى الإيمان، أعني الأَتْباع ومن يُقلِّدهم،[٨] ويكون ذلك سببا لإبعادهم عن اتّباعهم وتقليدهم إياهم.[٩] هذا وجه. والثاني قوله: **ربنا اطْمِسْ على أموالهم واشْدُدْ على قلوبهم**، أي اجعل ذلك آيةً تَضطرِهم إلى الإيمان؛ فإنهم لم يؤمنوا بالآيات التي أرسلتَها عليهم من الطوفان والجراد وما ذكر من البلايا.[١٠] فيكون قوله: **فلا يؤمنوا حتى يَرَوُا العذاب الأليم**، هذا مِن طَمْس الأموال وقساوة القلوب وشدّتها. *والله أعلم*.

وقال[١١] بعض أهل التأويل: **واشْدُدْ على قلوبهم**، واطْبَعْها، **فلا يؤمنوا حتى يَرَوُا العذاب الأليم**، وهو الغرق، فعند ذلك يؤمنون. وأما[١٢] بهذه الآيات فلا. هذا[١٣] يحتمل إذا كان الله عز وجل

---

[١] م: قال.
[٢] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ١٩٨.
[٣] ع م: وكقوله.
[٤] ﴿ولقد رَاوَدُوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونُذُر﴾ (سورة القمر، ٣٧/٥٤). والآية في قوم لوط عليه السلام.
[٥] م: اطمس.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٥ظ/سطر ١٨-٢٠.
[٦] م: يقلد.
[٧] م – منهم.
[٨] ع م: من يقلدهم.
[٩] م: آباءهم.
[١٠] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين﴾ (سورة الأعراف، ١٣٣/٧).
[١١] ع م: قال.
[١٢] م: أما.
[١٣] م – هذا.

أخبر موسى أنهم لا يؤمنون فيَسَع[١] له هذا الدعاء. وأما قَبْل[٢] أن يخبره بذلك فلا يَسَع له أن يدعو بهذا وهو إنما أرسله إليهم[٣] ليدعوهم إلى الإيمان.*

دعا[٤] موسى بهذا الدعاء عليهم[٥] لما[٦] أيس من إيمانهم، وهو كقول نوح: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ،[٧] الآية، عند الإياس منهم. فعلى ذلك موسى. ***والله أعلم.***

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **قال قد أُجيبت دعوتكما**، قال بعضهم: إن موسى كان يدعو وهارون يؤمِّن على دعائه، فقال الله[٨] عز وجل: **قد أُجيبت دعوتكما**، سمى كليهما دعاء. ولهذا[٩] قال محمد بن الحسن رحمه الله في بعض كتبه: إن الإمام يدعو[١٠] في القنوت[١١] في الوتر، والقوم يؤمِّنون.[١٢]

وقوله عز وجل: **فاستقيما**، على الرسالة وما أمرتكما به،[١٣] **ولا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون**، وهو كقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم: وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ،[١٤] وكقوله: وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ،[١٥] ونحوه، وإن كان العلم محيطا أن الأنبياء صلوات الله عليهم لا يتبعون سبيل أولئك، ولا يتبعون أهواءهم لِما عصمهم عز وجل. ولكن ذكر هذا -والله أعلم- لِيُعلَم أن العصمة لا تُزيل النهي والأمر، بل تزيد حَظْرا ونهيا. ***والله أعلم.***

---

[١] ع: فيسع.
[٢] ع م: وأما ما قبل.
[٣] م: عليهم.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٥ظ/سطر ١٨-٢٠.
[٤] ن: ودعا.
[٥] ك ن ع: بالامر؛ م: بالأمراء.
[٦] م - لما.
[٧] سورة نوح، ٧١/٢٦-٢٧.
[٨] ك - الله.
[٩] ع: لهذا.
[١٠] ع: يدعوا.
[١١] م: في القوت.
[١٢] انظر للتفصيل: *بدائع الصنائع* للكاساني، ١/١٧٤.
[١٣] ك: أمر بكتابه.
[١٤] ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/١٨).
[١٥] سورة المائدة، ٥/٤٨، ٤٩؛ وسورة الشورى، ٤٢/١٥.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٩٠]

وقوله عز وجل: **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأَتْبعهم فرعونُ وجنوده**، هذا ظاهر. وفي قوله: **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر**، دلالةُ خلقِ أفعال العباد؛ لأنه أضاف إلى نفسه أنه[1] جاوز بهم، وبنو[2] إسرائيل هم الذين تجاوزوا. دل[3] ذلك أنه خالق فعلهم.

وأما قوله: **حتى إذا أدركه الغرق**، أي حتى إذا غرق؛ لأنه ذُكر في بعض القصة أنّ فرعون لمّا انتهى إلى[4] ساحل البحر فرأى البحر مُنفرِجا طُرُقًا[5] فقال: إنما انفرج البحر لي، فلما دخل غرق. فعند ذلك **قال** غريقا: **آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنتْ به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين**. ثم إيمانه لم يُقبَل في ذلك الوقت لوجهين. أحدهما لِما يحتمل أن يكون إيمانه عند رؤية البأس وخوف الهلاك. فهو إيمان دفع البأس لا إيمان حقيقة. وهو على ما أخبر عن إيمان الكفرة في الآخرة لمّا عاينوا العذاب كقوله:[6] رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ،[7] وكقوله تعالى: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ،[8] وكقولهم:[9] نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ،[10] وأمثاله، وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ؛[11] فما عاينوا هم[12] من العذاب أكبر وأشد مما عاين فرعون. ثم أخبر أنهم لو رُدُّوا لعادوا[13] إلى ما كانوا يعملون، لكنهم قالوا ذلك قول دفع. فعلى ذلك إيمانُ فرعون إيمانُ دفعِ البأس عن نفسه لا إيمانُ حقيقةٍ واختيار.

---

[1] ع م – أنه.
[2] ك ع: وبنوا.
[3] ع: اول.
[4] م – انتهى إلى.
[5] م – طرقا.
[6] جميع النسخ: كقولهم.
[7] يقول الله تعالى: ﴿وأَنذِرِ الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أَخِّرنا إلى أجل قريب نُجِبْ دعوتك ونتّبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٤٤).
[8] ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعونِ. لعلّي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩٩-١٠٠).
[9] جميع النسخ: كقولهم.
[10] يقول الله تعالى: ﴿وهم يَصطرِخون فيها ربنا أَخرِجنا نعملْ صالحا غيرَ الذي كنا نعمل أَولم نُعَمِّرْكم ما يَتذكَّر فيه مَن تَذكَّر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ (سورة فاطر، ٣٥/٣٧).
[11] ﴿ولو ترى إذ وُقِفُوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآيات ربنا ونكونَ من المؤمنين. بل بَدا لهم ما كانوا يُخفون مِن قبل ولو رُدُّوا لَعادوا لِما نُهُوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٧-٢٨).
[12] ن م: فما عاينوهم.
[13] ع م + لما نهوا.

والثاني أن الإيمان والإسلام هو تسليم النفس إلى الله؛ فإذا آمن في وقتٍ خرجت نفسه من يده
لم يصر مسلما نفسَه إلى الله، إذ نفسه / ليست في يده. ولذلك لم يُقبَل الإيمان في ذلك الوقتِ وقتِ [٣٣٦و]
الإشراف على الهلاك. ويحتمل وجها آخر؛ وهو أن الإيمان بالله إنما[١] يكون بالاستدلال بالشاهد على الغائب. ولا يمكن الاستدلال بالشاهد[٢] على الغائب[٣] في ذلك الوقت؛ إذ لا يكون ذلك إلا بالنظر والتفكر، وفي ذلك الوقت لا يمكن النظر والتفكر.[٤] لذلك لم يكن إيمان حقيقة. *والله أعلم*.

﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٩١] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[٩٢]

وقوله:[٥] **فاليوم ننجّيك ببدنك**، قيل فيه[٦] بوجوه. قيل:[٧] قوله: **ننجّيك**، من النَّجْوَة، أي نُلقِيك على النَّجْوة، وهو مكان الارتفاع والإشراف، ليراه كل أحد أنه هلك [و]ليظهر لهم أنه لم يكن إلها على ما ادّعى.[٨] وأما سائر أبدان قومه لم تُلْقَ على النَّجْوة، ولكن بقيت في البحر. والثاني قيل: **ننجّيك**، أي نخرجك من البحر ولا نتركك فيه، **لتكون لمن خلفك آية**. والثالث **ننجّيك ببدنك**، ولا نُتبِع بدنك روحك؛ لأنه ذُكر في القصة أنهم لمّا غَرِقوا هَوَوْا[٩] غَرْقَى[١٠] إلى النار، كقوله: مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا.[١١] أخبر أنه لم يَهْوِ جسدُه بروحه إلى النار، ولكن أخرج بدنه[١٢] [من البحر][١٣] وهَوَتْ روحُه إلى النار مع سائر قومه -والله أعلم-[١٤] ليُرَى جسدُه ويَظهر كذبُه ولا يَشتبه أمره عليهم.

---

[١] ك + هو.
[٢] ع - بالشاهد.
[٣] م - ولا يمكن الاستدلال بالشاهد على الغائب.
[٤] ع - وفي ذلك الوقت لا يمكن النظر والتفكر.
[٥] ك ع م: وأما قوله.
[٦] م - فيه.
[٧] ع م - قيل.
[٨] ك + لعنه الله.
[٩] ن ع م: هو.
[١٠] ك: هم واغرق؛ ن م: هووا غرق؛ ع: هو واغرق.
[١١] سورة نوح، ٧١/٢٥.
[١٢] ع م: بدونه.
[١٣] من *الشرح*، ورقة ٣٧٥ظ.
[١٤] ن - أعلم، صح هـ.

وقوله عز وجل: **لتكون لمن خلفك آية**، يحتمل وجهين. يحتمل ليكون هلاكك آية. فلا يدّعي أحد الربوبية والألوهية مثل ما ادّعى هو. أو يقول: **لتكون لمن خلفك آية**، أي مَن شاهدك كذلك غريقا مُلقًى كان آية له.

وقوله عز وجل: **وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون**، قال بعض أهل التأويل: يعني أهل مكة **عن آياتنا لغافلون**، عن هلاك فرعون وقومه لما قالوا: مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى،[1] و مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ.[2] يقول: هم غافلون عما[3] أصاب أولئك؛ إذ مثل هذا لا يُفترَى، أعني هذه[4] القِصص.[5] ويحتمل **وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون**، أي [إن] كثيرا منهم كانوا غافلين عما أصابهم. والغفلة تكون[6] على وجهين. أحدهما غفلة إعراض وعناد بعد العلم به[7] ومعرفة أن ذلك حق. والثاني يَغفل بترك النظر والتفكر. فكلا الوجهين مذموم.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٩٣]

وقوله عز وجل: **ولقد بَوَّأْنا بني إسرائيل مُبَوَّأَ صِدْقٍ**، قال عامة أهل التأويل: **بَوَّأْنا**، أنزلنا، **بني إسرائيل**، منزل، **صِدق**. وقال بعضهم: **بَوَّأْنا**، هيّأنا[8] لبني إسرائيل **مُبَوَّأَ صِدْقٍ**، **مُهَيَّأَ صِدق**، حَسَنًا. كقوله: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ،[9] الآية، أي تهيّئ[10] للمؤمنين. وقال بعضهم: قوله:[11] **بَوَّأْنا بني إسرائيل مُبَوَّأَ صِدْقٍ**، أي مكّنّاهم تمكين صِدق.

---

[1] يقول الله تعالى: ﴿وإذا تُتلَى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ (سورة سبأ، ٤٣/٣٤).

[2] في نسخة ك بياض بمقدار عدة كلمات. يقول الله تعالى: ﴿فلمّا جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مُفترًى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ (سورة القصص، ٣٦/٢٨).

[3] ن – فرعون وقومه لما قالوا ما هذا إلا إفك مفترى وما هذا إلا سحر يقول هم غافلون عما.

[4] م: هذا.

[5] ن + عن هلاك فرعون وقومه لما قالوا ما هذا إلا إفك مفترى وما هذا إلا سحر يقول هم غافلون عما أصاب أولئك إذ مثل هذا لا يفترى أعني هذه القصص.

[6] ك ن: يكون.

[7] ن ع م – به.

[8] ك: بيانا.

[9] ﴿وإذ غَدوتَ مِن أهلك تُبَوِّئُ المؤمنين مَقاعدَ للقتال والله سميع عليم﴾ (سورة آل عمران، ١٢١/٣).

[10] م: أي نهيئ.

[11] ع م + من أهلك تبوئ المؤمنين الآية أي تهيئ للمؤمنين وقال بعضهم قوله.

وهو كقوله: وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ،[١] الآية. يحتمل ما ذكر من التَّبْوِئَة[٢] التمكين[٣] الذي ذكر في هذه الآية. وقوله: **مُبَوَّأَ صِدْقٍ**، قال[٤] بعضهم: منزل **صِدق**، أي كريم.[٥] وقيل:[٦] منزل صِدق، أي حَسَن. ويحتمل وجهين آخرين. أحدهما أنه وعد لهم أن يمكّن لهم في الأرض، فأنجز ذلك الوعد، فهو **مُبَوَّأ صِدْق**، أي تمكين صِدق، حيث أنجز ذلك الوعد وصَدَق الوعد [على] ما ذكر: وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ،[٧] الآية. والثاني **مُبَوَّأ صِدْق**، أي مُبَوَّأ أهل صِدق؛ لأن الشام كان لم يَزَلْ منزل أهل صِدق. وعلى هذا يخرج قوله: رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ،[٨] الآية، أي أخرجني مخرج أهل صِدق وأدخلني مدخل أهل صِدق. *والله أعلم*.

وقوله: **ورزقناهم من الطيبات**، قال أهل التأويل: يعني المَنّ والسَّلْوَى. ولكن الطيبات هي التي[٩] طابت بها[١٠] الأنفس مما حلّ بالشرع، مما لا تَبِعَة على أربابها مما لم يُغْصَ فيها.

وقوله: **فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم**، أي **فما اختلفوا**، في الدين، **إلا من بعد ما جاءهم العلم**، أنه حق. وقيل: **فما اختلفوا**، في محمد في أنه رسول الله، **إلا من بعد ما جاءهم العلم**، أنه رسول الله. وقيل: **فما اختلفوا**، في القرآن والآيات التي أنزلها على رسوله، **إلا من بعد ما جاءهم العلم**،[١١] أنه مُنزَل من عند الله. ويحتمل قوله: **فما اختلفوا**، في موسى أنه رسول الله، **إلا من بعد ما جاءهم العلم**، أنه رسول الله.

---

[١] ﴿ونُمَكِّنَ لهم في الأرض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ (سورة القصص، ٢٨/٥-٦)
[٢] ن: من التوبة.
[٣] م: التمكن.
[٤] م: وقال.
[٥] جميع النسخ: كريمة.
[٦] جميع النسخ: وقال.
[٧] ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعَفون مَشارق الأرض ومَغاربها التي باركنا فيها وتمّت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يَعرِشون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٣٧).
[٨] ﴿وقل رب أدخلني مُدْخَلَ صِدقٍ وأخرجني مُخْرَجَ صِدقٍ واجعل لي مِن لَدُنْكَ سلطانا نَصيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨٠).
[٩] ن - التي.
[١٠] ن: به.
[١١] ك - أنه رسول الله وقيل فما اختلفوا في القرآن والآيات التي أنزلها على رسوله إلا من بعد ما جاءهم العلم.

وقوله عز وجل: **إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون**، الآية ظاهرة من الوجوه التي ذكرنا.[1] وقوله: **إن ربك يقضي بينهم**، يحتمل وجهين. أحدهما الجزاء والثواب. والثاني في تبيين[2] المُحِق من المُبْطِل.[3]

﴿فَإِنْ كُنتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[٩٤]

وقوله عز وجل: **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب**، اختلف فيه. قال بعضهم: الخطاب به لرسول[4] الله، والمراد منه غيره. وقال بعضهم: المخاطَب[5] به والمراد [به] جميعا غيره. وقال بعضهم:[6] المخاطَب[7] به والمراد به[8] رسول الله. [أي] ما كنت في شك مما أخبرتهم وأنبأتهم.[9] فمَن قال: الخطاب لرسول الله والمراد به غيره، فهو[10] ما ظهر في الناس أنهم يخاطبون من هو أعظم منزلةً عندهم وقَدْرًا ويريدون[11] به غيره.[12] وإلّا لا يحتمل أن يكون رسول الله يشك فيما أنزل إليه قط أو يرتاب. كقوله: إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا،[13] الآية، ومعلومٌ أنه في وقتٍ ما خاطب به لم يكن أبواه أحياء. دل أنه أراد به غيره، فعلى ذلك الأول. ومَن قال: المخاطَب[14] والمراد به مَن حَضَر[15] رسول الله.

---

[1] ع م: ذكر.
[2] ك ن: في تبين.
[3] ع م: والمبطل.
[4] ك: رسول.
[5] ك: الخطاب.
[6] ن ع م – الخطاب به لرسول الله والمراد منه غيره وقال بعضهم المخاطب به والمراد جميعا غيره وقال بعضهم.
[7] جميع النسخ: الخطاب.
[8] ن – والمراد به، صح هـ.
[9] أي على نفي الشك. وهو قول أبي بكر الأصم كما سيأتي قريبا.
[10] جميع النسخ: وهو.
[11] ن: أيريدون.
[12] ع – به غيره.
[13] ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلّا إياه وبالوالدين إحسانا إمّا يَبْلُغَنَّ عندك الكِبَرَ أحدُهما أو كِلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تَنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾ (سورة الإسراء، ٢٣/١٧).
[14] جميع النسخ: الخطاب.
[15] ك: من حض.

يقول: إن الوفود[١] من الكفرة كانوا يَقْدَمُون[٢] [على] رسول الله فيسألونه شيئا،[٣] فيخاطب / الذي[٤] يَقْدَم[٥] [منهم]. وقد كان[٦] يحضره الوُحْدَان[٧] والجماعة. يقول: **فإن كنت في شك** [٣٣٦ظ] **مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب**. وقوله: **أنزلنا إليك**، على هذا التأويل هو مُنزل إليه؛ إذ كل مُنْزَل على رسول الله مُنْزَل[٨] عليه وإليه وإلى كل أحد. كقوله:[٩] اِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ،[١٠] أمرهم[١١] باتباع ما أنزل إليهم. دل أن كل مُنْزَل على رسول الله مُنْزَل[١٢] عليهم. ومَن قال: الخطاب لرسول الله[١٣] والمراد به غيره لِما لا يحتمل أن يكون رسول الله يشك في شيء مما أنزل إليه. ولكنه يريد به التقرير عنده لقول الكفار: إن الذي[١٤] يُلقِي على محمد شيطان، فيريد به التقرير عنده. أو يخاطب به كل شاك، كقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ،[١٥] هو يخاطب إنسانا واحدا، ولكن المراد به كل إنسان مغرور وكل كافر. وذلك جائز -وفي القرآن[١٦] كثير- أنْ يخاطب به كُلًّا في نفسه. ومَن قال: خاطب به رسوله وأراده[١٧] أيضا فهو[١٨] كان[١٩] في الابتداء على غير يقين أنه يوحي إليه أو لا،

[١] ع: إن الوقود.
[٢] جميع النسخ: يتقدمون.
[٣] ك + فشيء؛ ن ع + فشيئا.
[٤] م: الذين.
[٥] جميع النسخ: يتقدم.
[٦] م: وكان.
[٧] ع: الواحدان؛ م: الوفد. والوُحْدَان جمع الواحد (*لسان العرب* لابن منظور، «وحد»).
[٨] م - منزل.
[٩] ع م: لقوله.
[١٠] سورة الأعراف، ٣/٧.
[١١] م: أمر.
[١٢] ن - عليه وإليه وإلى كل أحد كقوله اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم أمرهم باتباع ما أنزل إليهم دل أن كل منزل على رسول الله منزل؛ م: نزل.
[١٣] ك ن ع - لرسول الله.
[١٤] ع م: الكفار الذي.
[١٥] سورة الانفطار، ٦/٨٢.
[١٦] ع م: في القرآن.
[١٧] جميع النسخ: وأراد هو.
[١٨] جميع النسخ: وهو.
[١٩] ع: ما كان.

كقوله: وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ،[1] وقوله: مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ.[2] فقال: **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب**، ليخبروك أنه نزل إليك. وقال أبو بكر الأصم: تأويله: ما كنت **في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب**،[3] الأنباء التي أخبرتهم وأنبأتهم وادّعيت أنها أُوحِيَتْ إليك ليخبروك على ما أخبرتهم.[4]

وقوله: **فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك**، قال بعضهم: **فاسأل الذين يقرءون الكتاب**، يعني مَن آمن منهم. وقال بعضهم: سل أهل الكتاب منهم يخبرونك؛ لأنه مكتوب عندهم، كقوله: يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ،[5] الآية.

وقوله عز وجل: **لقد جاءك الحق من ربك**، قيل: **الحق**، القرآن[6] جاء من ربك.[7] وقيل: جاء البيان أنه مِن عند الله. وقوله: **فلا تكوننّ من المُمْتَرين**، الشاكّين.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٩٥]

ولا تكوننّ من الذين كذّبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين، هو ما ذكرنا أنه يريد بالخطاب غيره. وإلّا لا يحتمل أن يكون رسول الله يكون من الشاكّين[8] أو يكون من الذين يكذّبون[9] بآيات الله أو يكون من الخاسرين.

---

[1] ﴿وما كنتَ تتلو مِن قَبله مِن كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذًا لَارْتاب المُبْطِلُون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩).

[2] ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا مِن أمرِنا ما كنتَ تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (سورة الشورى، ٥٢/٤٢).

[3] ك ع م – ليخبروك أنه نزل إليك وقال أبو بكر الأصم تأويله ما كنت في شك مما أنزلنا إليك فسأل الذين يقرءون الكتاب.

[4] قال الشارح رحمه الله تعالى: «وقال أبو بكر الأصم: تأويله: ما كنت في شك مما أنزلنا إليك، لكن فاسأل الذين يقرءون الكتاب، الأنباء التي أخبرتهم وأنبأتهم وادّعيت أنها أُوحِيَتْ إليك وكذّبوك في ذلك، ليخبروك على ما أخبرتهم، ليزيدك تقريرا وطمأنينة وتثبيتا. والزيادة في التثبيت ليس مما يدل على الشك والوهن في العلم، كقوله في حق إبراهيم: ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ (سورة البقرة، ٢٦٠/٢)، وكقوله لموسى وهارون: ﴿ولا تتبعانِّ سبيل الذين لا يعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٨٩/٧)، وقال لنوح: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ (سورة هود، ٤٦/١١). فعلى ذلك هذا. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٧٦و).

[5] ﴿الذين يتّبعون الرسول النبي الأُمّي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحِلّ لهم الطيبات ويُحَرِّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصْرَهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعَزَّرُوه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزِل معه أولئك هم المفلحون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).

[6] ن: القرآن ان.

[7] ك: جاء ربك.

[8] ع: من الشاكرين.

[9] ك: كذبوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **إن الذين حَقَّتْ عليهم كلمة ربك لا يؤمنون**، قوله: **حَقَّتْ عليهم كلمة ربك**، هو قوله عز وجل: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.[١] هذا يكون في الخَتْم، مَن يُختم به يعني بالكفر فقد حَقَّتْ [عليه] كلمة ربك:[٢] لأملأنّ جهنم. أو **حَقَّتْ عليهم كلمة ربك**، ما ذكر في آية أخرى: أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ،[٣] الآية. أو **كلمة ربك**، ما ذكر: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ.[٤] وقوله: **حَقَّتْ عليهم كلمة ربك**، أي عِلمُ ربك بأحوالهم. أي مَن كان في علمه[٥] أنه لا يؤمن فلا يؤمن[٦] وقت اختياره الكفر، كقوله: مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ،[٧] أي من يضلل الله فلا هادي له وقت اختياره[٨] الكفر. وكذلك قوله: وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ،[٩] وقت اختيارهم[١٠] الظلم، ونحو ذلك. فالتأويل الأول يرجع إلى الختم به، والثاني[١١] إلى وقتٍ. [أي] مَن ثبت[١٢] عليه علم ربه أنه لا يؤمن إلى وقتٍ فإنه[١٣] لا يؤمن[١٤] إلى ذلك[١٥] الوقت.

---

[١] سورة هود، ١١٩/١١؛ وسورة السجدة، ١٣/٣٢.

[٢] ن - هو قوله عز وجل لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين هذا يكون في الختم من يختم به يعني بالكفر فقد حقت كلمة ربك.

[٣] ﴿فمن أظلم ممّن افترى على الله كَذِبا أو كَذّب بآياته أولئك يَنالُهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يَتوفَّوْنهم قالوا أين ما كنتم تَدْعون من دون الله قالوا ضَلُّوا عنا وشَهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ (سورة الأعراف، ٣٧/٧).

[٤] ﴿ولو أنّنا نَزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيءٍ قُبُلاً ما كانوا لِيؤمنوا إلّا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٧).

[٥] م: كان علمه.

[٦] م - فلا يؤمن.

[٧] سورة الأعراف، ١٨٦/٧.

[٨] ع: اختباره.

[٩] سورة البقرة، ٢٥٨/٢؛ وسورة آل عمران، ٨٦/٣؛ وسورة التوبة، ١٩/٩، ١٠٩؛ وسورة الصف، ٧/٦١؛ وسورة الجمعة، ٥/٦٢.

[١٠] ن ع م: اختياره.

[١١] ع: والثالث.

[١٢] م: من يثبت.

[١٣] ك ن ع: انه.

[١٤] م - إلى وقت انه لا يؤمن.

[١٥] جميع النسخ: في ذلك.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **ولو جاءتهم كل آية حتى يَرَوُا العذاب الأليم**، قيل: في الآخرة،[١] [فيؤمنون] إيمانَ دفعِ العذاب. ويحتمل في الدنيا. وقد ذكرنا هذا.[٢]

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾[٩٨]

وقوله عز وجل: **فلولا كانت قريةٌ آمنت فنَفَعَها إيمانها إلا قوم يونس لمَا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي**، الآية، أي لم تكن القرى آمنت عند معاينة البأس إيمانا[٣] نَفَعَها إلا إيمانَ قوم يونس، فإنهم آمنوا إيمانَ حقيقة، وعَلِم الله صدقهم من إيمانهم، فنفعهم إيمانهم. هذا يخرج على وجوه. أحدها إن سائر القرى كان إيمانها عند إقبال العذاب إليهم ووقوعه[٤] عليهم، فلم ينفعهم إيمانهم[٥] **إلا قومَ يونس**، فإن إيمانهم إنما كان لتخويف العذاب، فنفعهم.[٦]

والثاني يحتمل أن يكون قوم يونس[٧] كان نزول العذاب بهم على التخيير والتمكين، إن قبلوا الإيمان وآمنوا دفع العذاب عنهم، وإن لم يقبلوا نزل[٨] بهم.

والثالث كان إيمان سائر القرى بعد ما عاينوا مقامهم في النار، فآمنوا، فيكون إيمانهم إيمان اضطرار. وقوم يونس آمنوا قبل أن يعاينوا[٩] ذلك.

ويشبه أن يكون قوله: **فلولا كانت قريةٌ آمنت**، بعد وقوع العذاب والبأس، **فنَفَعَها إيمانها إلا قوم يونس**، فإنهم آمنوا إذ عاينوا[١٠] العذاب قبل أن يقع بهم. وإيمان فرعون وقومه إنما كان بعد ما غرقوا وبعد ما خرجت أنفسهم من أيديهم، فلم يُقبَل. وإيمان قوم يونس كان قبل أن يقع العذاب بهم وأنفسهم في أيديهم بَعدُ، فقُبِل. وهو ما ذكر عز وجل:

[١] جميع النسخ: في الدنيا.
[٢] ن – هذا. وانظر تفسير الآية من سورة يونس، ٩٠/١٠.
[٣] ن ع م: إيمانها.
[٤] ع م: وقوعه.
[٥] ك ن – إيمانهم.
[٦] م: فينفعهم.
[٧] ك – فإن إيمانهم إنما كان لتخويف العذاب فنفعهم والثاني يحتمل أن يكون قوم يونس.
[٨] ع: وإن يقبلوا أنزل؛ م: أنزل.
[٩] ن + قبل.
[١٠] جميع النسخ: إذا عاينوا.

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ،[١] الآية، آمنوا عندما[٢] عاينوا قبل أن يقع بهم. وسائر الأمم الخالية كان منهم الإيمان بعد وقوع العذاب بهم من نحو عاد وثمود وأمثاهم.[٣] وأصله ما ذكرنا آنفا.

[٣٣٧و س٢٨ *وقال بعضهم في قوله: **فلو لا كانت قريةٌ آمنت فنفعَها إيمانها**، أي لم تكن[٤] **قريةٌ آمنت فنفعَها إيمانها**، عند نزول العذاب، **إلا قومَ يونس**. وقال بعضهم: فهلّا كانت آمنت إذا رأت بأسنا فكانت مثل قوم يونس. فإنهم آمنوا حين رأوا[٥] العذاب. وأصله ما ذكرنا[٦] أنه لا يحتمل أن يكون الله تعالى يَعلم مِن خلقه اختيار عداوته والخلاف له [ثم] يشاء لهم[٧] الولاية، لأنه يخرج ذلك[٨] مخرج العجز. لأن في الشاهد [أن] مَن اختار[٩] عداوة أحد والآخر[١٠] يختار ولايته[١١] أنه إنما يختار [ذلك] لِضَعفه وعجزٍ[١٢] فيه.[١٣] *والله أعلم*.* ٣٣٧و س٣٣]

وقوله عز وجل: **لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا**؛ قوله: **كشفنا عنهم**، الوعد بحلول العذاب بهم. و **عذاب الخزي** هو العذاب الفاضح، وإلّا[١٤] الخزي هو العذاب.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[٩٩]

وقوله[١٥] عز وجل: **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا**.

---

[١] ﴿وإذ نَتَقْنَا الجبل فوقهم كأنه ظُلَّةٌ وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ (سورة الأعراف، ٧/١٧١).

[٢] ك: بعدما.

[٣] جميع النسخ: وأمثاله.

[٤] ن: لم يكن.

[٥] ن ع م: يروا.

[٦] انظر تفسير الآية من سورة يونس، ١٠/١٠٠.

[٧] ن: يشابهم؛ ع م: يسألهم.

[٨] ن – ذلك.

[٩] م: من اختيار.

[١٠] جميع النسخ: فالآخر.

[١١] ع م + إنه إنما يختار ولايته.

[١٢] ع: وعجزه؛ م: ولعجزه.

[١٣] م – فيه.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ١٠٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٧و/سطر ٢٨-٣٣.

[١٤] ع: ولا.

[١٥] ن: قوله.

قالت المعتزلة: قوله: **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض،**[1] مشيئة القهر والقسر. لو شاء لأجبرهم[2] وقهرهم جميعا فيؤمنوا. وإلّا فقد شاء أن يؤمنوا مشيئة الاختيار، لكنهم لم يؤمنوا. [٣٣٧و] / واستدلوا على ذلك بقوله: **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين.**

فيقال لهم: إن مشيئة الاختيار هي الظاهرة عندكم، ومشيئة الجبر والقهر غايته. فإذا وُجِد منه مشيئة الاختيار فلم يؤمنوا و لم تَنفُذْ[3] مشيئته فيهم كيف يُصَدَّق هو في الإخبار عن المشيئة التي هي غايته أنها لو كانت لآمنوا. هذا فاسد على قولهم. وبَعدُ، فإن المشيئة لو كانت مشيئة القهر لكانوا مؤمنين بتلك المشيئة. وهي خِلْقَة؛[4] لأن كل كافر مؤمن[5] بخلقته؛ لأن خلقة كل أحد تشهد على وحدانية الله. فإذا كانوا[6] مؤمنين بالخلقة ثم[7] ذَكَر أنه لو شاء لآمنوا دل أنه لم يرد به مشيئة القهر، ولكنه أراد مشيئة الاختيار. وتأويله عندنا هو أنّ عند الله تعالى لُطْفا[8] لو أعطاهم كلهم لآمنوا جميعا. لكنه إذ عَلِم أنهم لا يؤمنون لم يعطهم، وهو التوفيق والعصمة. لكنه إذ عَلِم منهم أنهم لا يؤمنون[9] شاء أن لا يؤمنوا. ثم لا يحتمل أن يتحقق الإيمان بالجبر والقهر؛ لأنه عمل القلب، والجبر[10] والإكراه مما[11] لا يعمل على القلب. فهو وإن تكلم بكلام الإيمان فلا يكون مؤمنا حتى يؤمن بالقلب. فيكون التأويل على قولهم: **ولو شاء ربك** فلا يؤمنوا. فهذا[12] متناقض[13] فاسد. وبَعدُ، فإن الإيمان لا يكون في حال الإكراه والإجبار؛[14] لأن الإكراه يُزيل الفعل عن المكرَه كأنْ لا فعل له في الحكم.

وقوله: **أفأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين.**

---

[1] ن – جميعا قالت المعتزلة قوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض، صح هـ.
[2] ن: لأجبروهم.
[3] ن ع: ينفذ.
[4] م: حلقه.
[5] ك: ومؤمن.
[6] ع: كان.
[7] م + إنه.
[8] جميع النسخ: لطف.
[9] ن + لكنه إذ علم أنهم لا يؤمنون لم يعطهم وهو التوفيق والعصمة لكنه إذ علم منهم أنهم لا يؤمنون.
[10] ع – لأنه عمل القلب والجبر.
[11] م – مما.
[12] ع – فهذا.
[13] ن: تناقض.
[14] ع: والإخبار.

فإن قيل: أليس قال الله[1] عز وجل: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ،[2] أي[3] حتى يسلموا.[4] وذلك إكراه.[5] وقال رسول الله[6] صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله».[7] فذلك إكراه. فكيف يُجمَع بين الآيتين؟[8]

قيل: لوجهين. أحدهما ما ذُكِر أن هذه السورة مكية. وقوله: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ، مدنية. فيحتمل قوله: **أ فأنت تُكرِه الناس حتى يكونوا مؤمنين**، أي لا تُكرِههم. ثم أمر بالمدينة بالقتال[9] والحرب والإكراه عليه.

والثاني يجوز أن يُجمَع بين الآيتين. وهو أن يكون قوله: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ، أي تقاتلونهم حتى يقولوا قول إسلام ويتكلموا بكلام الإيمان. دليله[10] ما روي: «حتى يقولوا: لا إله إلا الله». والقول[11] بلا إله[12] إلا الله على غير حقيقة ذلك في القلب ليس بإيمان. وفي هذه الآية: **حتى يكونوا مؤمنين**. وبالإكراه لا يكونون[13] مؤمنين حقيقة، لأنه عمل القلب، والإكراه مما لا يعمل عليه. ***والله أعلم***.

وتأويل[14] قوله: **أفأنت تُكرِه الناس**، أي لا تملك أن تُكرِههم. وكان رسول الله لشدة حرصه ورغبته في إيمانهم كاد أن يُكرِههم على الإيمان إشفاقا عليهم، كقوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ.[15]

---

[1] ك – الله.
[2] ﴿قل للمُخلَّفين من الأعراب ستُدْعَوْن إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ (سورة الفتح، ١٦/٤٨).
[3] م – أي.
[4] جميع النسخ: حتى يسلمون.
[5] ن + فكيف.
[6] ك – رسول الله.
[7] *صحيح البخاري*، استتابة المرتدين ٣؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٢.
[8] ن ع م: آيتين.
[9] ك: بالقتال بالمدينة.
[10] ك: حتى.
[11] م + بقول.
[12] م: لا إله.
[13] ك: لا يكونوا.
[14] ع م: وتأويله.
[15] سورة الشعراء، ٣/٢٦.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **وما كان لنفسٍ أن تؤمن إلا بإذن الله**، قيل: بمشيئة الله، وقيل: بعلم الله، وقيل: بأمر الله وبإرادته. وهو ما ذكرنا: لا تؤمن نفس إلا بمشيئة الله وإرادته في ذلك. ولا يحتمل قوله: **إلا بإذن الله**، سوى المشيئة والإرادة؛ لأنه كم من مأمور بالإيمان لم يؤمن، فلم يحتمل الأمر. ولا يحتمل الإباحة، لأنه[١] لا يباح ترك الإيمان في حال. وأصله ما ذكرنا أنه[٢] لا يحتمل أن يكون الله[٣] عز وجل يعلم مِن خَلْقِه اختيارَ[٤] عداوته والخلاف له [ثم] يشاء لهم[٥] الولاية؛ لأنه[٦] يخرج ذلك مخرج العجز. لأن في الشاهد [أن] مَن اختار عداوة أحد والآخر[٧] يختار ولايته أنه إنما يختار [ذلك] لِضَعفه وعجزٍ[٨] فيه.

وقوله عز وجل: **ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون**، قيل: الإثم **على الذين لا يعقلون**.[٩] وقيل: **ويجعل**، العذاب، **على الذين لا يعقلون**، أي لا يستعملون عقولهم حتى يعقلوا.[١٠] أو على الذين لا ينتفعون بعقولهم.*

وقوله عز وجل: **وما كان لنفسٍ أن تؤمن إلا بإذن الله**، قيل: **وما كان لنفسٍ**، في علم الله أنها لا تؤمن فتؤمن، أي لا تؤمن نفس في علم الله[١١] أنها لا تؤمن، إنما يؤمن مَن في[١٢] علم الله أنه يؤمن. وأمّا مَن في علم الله أنه لا يؤمن فلا يؤمن. وقيل: **وما كان لنفس**،[١٣] أي لا تؤمن[١٤] نفس إلا بمشيئة الله، أي إذا آمنت إنما تؤمن بمشيئة الله، ما يفعل إنما يفعل بمشيئة الله،

---

[١] ع م – لأنه.
[٢] ع م: لأنه.
[٣] م – الله.
[٤] ع م: اختياره.
[٥] ن: يشايهم؛ م: شيئا لهم.
[٦] ع م – لأنه.
[٧] جميع النسخ: فالآخر.
[٨] ع: وعجزه.
[٩] ع – قيل الإثم على الذين لا يعقلون.
[١٠] ع م: حتى يعقلون.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٩٨، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٧و/سطر ٢٨-٣٣.
[١١] ع – الله.
[١٢] ن ع م: يؤمن في.
[١٣] ن + ألا تؤمن نفس.
[١٤] ن ع: ألا تؤمن.

كقوله: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.[١] وقال بعضهم: قوله:[٢] **إلا بإذن الله**، أي بأمر[٣] الله. فمعناه إذا آمنت إنما تؤمن بأمره، لا تؤمن[٤] بغير أمره.[٥] فالأول أقرب. ***والله أعلم.***

وقوله: **ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون**، أي يجعل جزاء الرجس، أي جزاء الكفر، **على الذين لا يعقلون**، أي الذين لا ينتفعون بعقولهم. ***والله أعلم.***

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **قل انظروا ماذا في السماوات والأرض**، تأويله -والله أعلم- أي انظروا إلى آثار نعمه وإحسانه التي في السماوات والأرض / لكي تشكروه. أو يقول:[٦] انظروا إلى آثار[٧] ربوبيته وألوهيته [٣٣٧ظ] في السماوات والأرض فتوحّدوه وتؤمنوا به. أو يقول: انظروا إلى آثار سلطانه وقدرته فتخافوا نقمته وعقابه. أو انظروا إلى أجناس الخلق واتّساقه على تقدير واحد ليدلكم على وحدانيته ونحو ذلك. ليس[٨] شيء في السماوات والأرض يقع عليه البصر إلا وفيه دلالة الربوبية حتى طرفة العين ولحظةَ البصر.

وقوله عز وجل: **وما تغني الآيات والنُّذُر عن قوم لا يؤمنون**، يحتمل وجوها. يحتمل **وما تغني الآيات والنذر عن قومٍ**، هِمّتهم المكابرة والمعاندة. إنما تغني الآيات مَن هِمّته القبول والانقياد، وأمّا مَن هِمّته[٩] المكابرة والعناد فلا تغني. وهو كقوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى،[١٠] الآية. ويحتمل **وما تغني الآيات والنُّذُر**، في الآخرة، **عن قوم لا يؤمنون**، في الدنيا. إنما تنفع وتغني لقوم يؤمنون، فأمّا[١١] من لا يؤمن فلا تغني. والثالث **وما تغني الآيات والنُّذُر**...[١٢] ثم النُّذُر يحتمل الرسل. ويحتمل المواعيد[١٣] التي أُوعِدوا والأحوال التي تغيرت على أوائلهم. ***والله أعلم.***

---

[١] سورة الإنسان، ٣٠/٧٦؛ وسورة التكوير، ٢٩/٨١.
[٢] ك ن - قوله.
[٣] ن: أي إلا بأمر.
[٤] ن: ولا تؤمن.
[٥] ك: بأمر غيره.
[٦] م: تشكروه يقول.
[٧] م - آثار.
[٨] م - ليس.
[٩] م: من همة.
[١٠] ﴿ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٦).
[١١] ع م: وأما.
[١٢] كذا في جميع النسخ.
[١٣] ع م: الوعيد.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[١٠٢]

وقوله عز وجل: **فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خَلَوْا من قبلهم**، أي **فهل ينتظرون**، بي يوما من الهلاك، **إلا مثل أيام الذين خَلَوْا من قبلهم**، أي إلا مثل ما انتظر[١] الذين خلوا من قبلهم[٢] برسلهم من الهلاك. فهو يخرج على التوبيخ لانتظارهم هلاكَ الرسل وذهابَ أمرهم. ويحتمل وجها آخر: **فهل ينتظرون**، مِن نزول العذاب بهم إلا مثل ما انتظر أولئك من نزول العذاب بهم، إلى هذا يذهب بعض أهل التأويل. ويحتمل قوله: **فهل ينتظرون**، مِن تأخيرهم الإيمان إلى وقت نزول العذاب بهم إلا مثل ما أَخّر أولئك الذين خَلَوْا من قبلهم الإيمانَ إلى وقت نزول العذاب بهم.[٣] فهذا يخرج على الإياس من إيمانهم. أي لا يؤمنون إلى ذلك الوقت الذي لا ينفعهم إيمانهم. والوجه الأول على التوبيخ والتعيير.

وقوله: **قل فانتظروا**، بي ذلك، **إني معكم من المنتظرين**، ذلك.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **ثم ننجّي رسلنا والذين آمنوا**؛ قوله: **ننجّي**، أي أنجينا الرسل، **والذين آمنوا**؛ لأنه لم يكن بعده رسول. وتأويله -والله أعلم- أنه وَعَده أن ينجي الرمل والذين آمنوا. **كذلك حقا علينا**، أن نُنجز ما وَعَدْنا أن ننجي[٤] الرسل والذين آمنوا. ***والله أعلم***.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني**؛ قوله: **إن كنتم في شك من ديني**، الذي أدين به، أو **إن كنتم في شك من ديني**، الذي أدعوكم إليه، **فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله**. إذا شككتم[٥] في ديني الذي أدعوكم إليه[٦] كنتم شاكّين في دينكم الذي[٧] أنتم عليه.

---

[١] ع م: ما انظروا.

[٢] ن – أي فهل ينتظرون بي يوما من الهلاك إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم أي إلا مثل ما انتظر الذين خلوا من قبلهم.

[٣] ع م – إلا مثل ما أخر أولئك الذين خلوا من قبلهم الإيمان إلى وقت نزول العذاب بهم.

[٤] ن: أن ينجي.

[٥] ك: إذاذا شككتم؛ ع: إذاذا شكلتم.

[٦] ن + فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله.

[٧] ن – دينكم الذي، صح هـ.

فتركتم ديني الذي أنا عليه بالشك، ثم تدعونني إلى دينكم[١] الذي أنتم عليه بالشك. يذكر سَفَهَهم بتركهم إجابته[٢] بالشك ودعائهم إياه بالشك إلى دينهم؛ لأن الشك[٣] يوجب الوقف في الأشياء ولا يوجب الدعاء إليه. إنما يوجب الدعاء إليه[٤] بطلان غيره لا الشك. هذا -والله أعلم- محتمل. وهو يخرج على وجهين أيضا.[٥] أحدهما على الإضمار، والآخر على المنابذة. والإضمار ما ذكرنا: **إن كنتم في شك من ديني**، الذي أدين[٦] به وأدعوكم إليه فأنا لا أشك فيه، هذا وجه الإضمار. ووجه المنابذة يقول: **إن كنتم في شك**، مما أعبد وأدين به فلا تعبدون ذلك ولا تدينون[٧] به[٨] فأنا لا أعبد ما تعبدون ولا أدين ما تَدينون به.[٩] وهو كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.[١٠]

وقوله عز وجل: **ولكن أعبد الله الذي يتوفّاكم**، والتوفي هو النهاية والغاية في الإضرار. وما تعبدون من الأصنام دونه لا يملكون[١١] تَوفِّيَكم[١٢] ولا الإضرار بكم[١٣] إن لم تعبدوها. يذكر سَفَهَهم ويُلزِمهم الحجة أن الذي يتوفّاهم هو المستحق للعبادة لا الأصنام[١٤] التي تعبدونها.

وقوله عز وجل: **وأُمرت أن أكون من المؤمنين**، يشبه أن يكون قوله: **من المؤمنين**، من المرسلين، كقوله:[١٥] وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ،[١٦] وقال: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ.[١٧]

---

[١] م – الذي أنا عليه بالشك ثم تدعونني إلى دينكم.
[٢] ك: إجابتهم.
[٣] ع م – إلى دينهم لأن الشك.
[٤] ن – إليه؛ ع م – إنما يوجب الدعاء إليه.
[٥] م – أيضا.
[٦] ن: أودين.
[٧] ع م: يدينون.
[٨] ن – به.
[٩] م – به.
[١٠] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[١١] ك + العبادة.
[١٢] ع م – توفيكم.
[١٣] ع م: لكم.
[١٤] ع: ولا الأصنام.
[١٥] ن – كقوله.
[١٦] سورة الصافات، ١٧١/٣٧.
[١٧] سورة الصافات، ٨١/٣٧، ١١١، ١٣٢. وقد وردت هذه الآيات في نوح وإبراهيم وإلياس عليهم السلام.

فعلى ذلك هذا. ويحتمل[1] الإيمان نفسه على ما نهي أن يكون من المشركين أو الشاكّين. فعلى ذلك أُمر أن يكون من المؤمنين المخلصين له المسلمين أنفسهم. *والله أعلم*.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **وأنْ أَقِمْ وجهك للدين حنيفا**، أي أُمرت أن أقيم نفسي لله خالصة سالمةً لا أُشرك فيها غيره ولا أجعل لسواه فيها نصيبا. أو أن يقول: إني أُمرت أن أقيم نفسي[2] على ما عليها شهادةُ خِلقتِها،[3] إذ خِلقةُ كل نفس تَشهد على وحدانية الله وألوهيته.[4] أو يقول: **أقم وجهك**، وَجْهَ أمرِك لِما تدين به وتقيم عليه. **ولا تكوننّ من المشركين**، هذا ما ذكرنا.[5] *والله أعلم*.

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١٠٦]

وقوله عز وجل: **ولا تَدْعُ مِن دون الله ما لا ينفعك**، إن أطعته وأجبته، **ولا يضرك**، إن تركت إجابته وطاعته. وقوله: **ولا تَدْعُ مِن دون الله**،[6] يحتمل لا تعبد مِن دون الله ما لا يملك جَرَّ المنفعة. ويحتمل الدعاء نفسه، أي لا تُسَمِّ مَن دون الله إلها.

وقوله عز وجل: **فإن فعلتَ فإنك إذًا من الظالمين**، ذكر هاهنا[7] الظلم إن فعل ما ذكر، والمراد منه الشرك. وذكر في قصة آدم وحواء: وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ،[8] وقد قَرِبَاها و لم يكونا[9] مشركين، إنما كانا عُصَاةً، لِيُعلَم أنْ ليس في الموافقة في الأسماء موافقةٌ في الحقائق والمعاني. إنما تكون[10] الموافقة في الحقائق في موافقة الأسباب. لذلك كان ما ذكر.[11] *والله أعلم*.

---

[1] ن: يحتمل.
[2] ن + لله خالصة.
[3] ع م: خلقها.
[4] ع: وألوهية.
[5] انظر تفسير الآيتين من سورة يونس، ١٠/٩٤-٩٥.
[6] ن - إن أطعته وأجبته ولا يضرك إن تركت إجابته وطاعته وقوله ولا تدع من دون الله.
[7] ك: هاهنا ذكر.
[8] سورة البقرة، ٢/٣٥؛ وسورة الأعراف، ٧/١٩.
[9] ع: يكونوا.
[10] ن ع م: يكون.
[11] ع م: ما ذكروا.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **وإن يَمْسَسْك الله بضُرٍّ فلا كاشف له إلا هو**، فيه نهي الرجاء والطمع / إلى مَن دونه، إذ أخبر[١] أنه لا يوجد ذلك من عند غيره.[٢] [٢٣٨و]

وقوله عز وجل: **وإن يُرِدْك بخير فلا رادَّ لفضله**، أخبر أنه إن أراد[٣] خيرا وفضلا[٤] فلا رادّ لذلك الفضل والخير. والإيمان من أعظم الخيرات وأفضلها، فإذا أراده[٥] لإنسانٍ[٦] كان، ولا يملك[٧] أحد دفع ما أراد ولا ردّه. دل أنه إذا أراد الإيمان لأحد كان مؤمنا. فهو ينقض على المعتزلة حيث قالوا: إنه أراد الإيمان للخلق كلهم، لكنهم لم يؤمنوا، إذ أخبر أنه إذا أراد[٨] به خيرا فلا رادّ لذلك[٩] الفضل.[١٠] وهم يقولون: بل يملك العبد ردّ ما أراد له[١١] ودفعه. *وبالله العصمة*.

وفيه أنْ ليس على الله فِعل،[١٢] أعني فِعل الخير؛[١٣] لأنه سماه فضلا. والفضل هو فعل ما ليس عليه. وهو المفهوم في الناس أنّ ما عليهم من الفعل لا يسمون فضلا. إنما يسمون الفضل ما ليس عليه. *والله أعلم*.[١٤]

وقوله عز وجل: **يصيب به من يشاء من عباده**، يصيب[١٥] به من يشاء من الفضل والخير أو من الشر. وفيه دلالة تخصيص بعض على بعض حيث قال: **يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم**، لا يَعْجَل بالعقوبة.

---

[١] ع: وإذا أخبر.
[٢] ن: غير.
[٣] ع: إذا أراد.
[٤] م: فضلا.
[٥] ع م: أراد.
[٦] ن ع م: الإنسان.
[٧] م: لا يملك.
[٨] م: أنه أراد.
[٩] ع م – لذلك.
[١٠] ع م: لفضله.
[١١] ن – له.
[١٢] م + هذا.
[١٣] ع: الخيرات.
[١٤] ن – والله اعلم.
[١٥] ع: ويصيب.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم**، قيل: **الحق**، محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: **الحق**، القرآن الذي أنزل عليه. وأمكن أن يكون **الحق** هو الدين الذي كان[١] يدعوهم[٢] رسول الله إليه؛ لأنه قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي.[٣] فيشبه أن يكون **الحق** هو الدين الذي[٤] شكوا فيه. أي **قد جاءكم**، ما يُزيل عنكم ذلك الشك إن لم تُكابِروا لِما أقام عليهم الحجج والبراهين. ويحتمل **الحق**، محمدا صلى الله عليه وسلم على ما ذكره[٥] بعض أهل التأويل. وكان[٦] رسول الله من أول[٧] نشوئه إلى آخره آية.[٨] ويحتمل **الحق**، القرآن[٩] على ما ذكره بعضهم. وهو ما ذكر: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.[١٠] سماه بأسماء مختلفة. سماه حقا وسماه نورا وشفاء ورحمة وهدى ونحوه. وفيه كل ما ذكر لمن تأمّله[١١] وتفكّر فيه وتمسّك به.

وقوله عز وجل: **فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها**، أي من اهتدى فإنما منفعة اهتدائه له في الدنيا والآخرة، ومن ضل فإنما يرجع ضرر ضلالته إليه وخيانته عليه. أي ما يأمر[١٢] وينهى ليس يأمر وينهى لمنفعة تحصل له أو لحاجة نفسه، إنما يأمر وينهى لمنفعة للخلق ولحاجتهم.

وقوله عز وجل: **وما أنا عليكم بوكيل**، أي بمسلَّط. قال بعض أهل التأويل: هو منسوخ، نسخته آية القتال. لكنه لا يحتمل؛ لأنه[١٣] وإن كان مأمورا بالقتال فهو ليس بوكيل ولا مسلَّط على حفظ أعمالهم،

---

[١] م: كانوا.
[٢] ع: يدعو لهم.
[٣] سورة يونس، ١٠٤/١٠.
[٤] ع م – الذي.
[٥] م: ما ذكر.
[٦] ع م: كان.
[٧] جميع النسخ: في أول.
[٨] م – آية.
[٩] ع م – القرآن.
[١٠] سورة فصلت، ٤٢/٤١.
[١١] جميع النسخ: من تأمله.
[١٢] ن ع: ما يؤمر.
[١٣] م – لأنه.

إنما عليه التبليغ، كقوله: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ،[١] وكقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[٢] وكقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ،[٣] الآية.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **واتبع ما يوحَى إليك**، يحتمل القرآن وغيره من الوحي.[٤]

وقوله عز وجل: **واصبر حتى يحكم الله**، أي اصبر على[٥] أذاهم، لأنهم كانوا يؤذونه ويقولون فيه بما لا يليق به. يقول: اصبر على أذاهم ولا تعجل عليهم[٦] بالعقوبة **حتى يحكم الله**، عليهم بالعقوبة[٧] وقت عقوبته، **وهو خير الحاكمين**. أو اصبر[٨] على تكذيبهم إياك **حتى يحكم الله**، بينك وبين مكذِّبيك، **وهو خير الحاكمين**. أو اصبر[٩] على تبليغ الرسالة والقيام لِما أُمرتَ به.[١٠] *والله الموفق*.[١١]

---

[١] ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إنْ عليك إلّا البلاغ﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٨).

[٢] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولَّوْا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٢٤/٥٤).

[٣] ﴿ولا تَطردِ الذين يَدْعُون ربهم بالغَدَاة والعَشِيِّ يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردَهم فتكونَ من الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٥٢).

[٤] جميع النسخ + غير القرآن.

[٥] م: اصبر حتى على.

[٦] ك – عليهم.

[٧] ع – حتى يحكم الله عليهم بالعقوبة.

[٨] ع م: واصبر.

[٩] م: واصبر.

[١٠] م – به.

[١١] ك: أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[١]

قوله عز وجل: **الر كتابٌ أُحكِمَتْ آياته ثم فُصِّلَتْ**، قال الحسن: **أُحكِمَتْ آياته**، بالأمر والنهي، **ثم فُصِّلَتْ**، بالوعد والوعيد.[١] وقال بعضهم: **أُحكِمَتْ آياته**، بالوعد والوعيد، **ثم فُصِّلَتْ**، بالأمر والنهي. وقال بعضهم: **أُحكِمَتْ آياته**،[٢] حتى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ولا يملك أحد التبديل، **ثم فُصِّلَتْ**، بَيَّنت ما يؤتَى وما يُتَّقَى.[٣] أو بَيَّنت ما لهم وما عليهم وما لله عليهم. وقال بعضهم: **أُحكِمَتْ آياته**، فلم تُنسَخ، **ثم فُصِّلَتْ**، بالحلال والحرام. وقيل: **فُصِّلَتْ**، أي فُرِّقَتْ في الإنزال؛ أُنزِل[٤] شيء بعد شيء على قدر النوازل والأسباب، فلم ينزل[٥] جملة؛ لأنه لو أُنزِل جملة لاحتاجوا إلى أن يَعْرِفُوا الكلِّ[٦] سببَه وشأنَه وخصوصَه وعمومَه. فإذا أُنزِل متفرِّقا في أوقات مختلفة على النوازل والأسباب عرفوا ذلك على غير إعلام ولا بيان. والتفصيل هو[٧] اسم التفريق واسم التبيين. وذلك يحتمل المعنيين جميعا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **أُحكِمَتْ آياته**، أي **أُحكِمَتْ** حتى لا يَرِد عليها[٨] النقض[٩] والانتقاض. أو **أُحكِمَتْ** حتى لا يملك أحد التبديل والتغيير. أو **أُحكِمَتْ** عن أن يقع فيها الاختلاف. وقال بعضهم: **أُحكِمَتْ آياته**، بالفرائض، **ثم فُصِّلَتْ**، بالثواب والعقاب. ثم الآيات تحتمل[١٠] وجوها.

---

[١] *تفسير الطبري*، ١٧٩/١١؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٣٩٩/٤.
[٢] ن – بالوعد والوعيد ثم فصلت بالأمر والنهي وقال بعضهم أحكمت آياته.
[٣] ك: ويتقى.
[٤] م: إنزال.
[٥] ك: لم ينزل.
[٦] ع: الكل.
[٧] م: هم.
[٨] م: عليه.
[٩] ك: النقيض.
[١٠] ع م: يحتمل.

أحدها العِبَر، والثاني الحجج، والثالث العلامة. ثم الآية كل كلمة في القرآن تمت؛ فهي حجة أو عبرة[1] أو علامة، لا تخلو عن أحد هذه الوجوه الثلاثة.

[٣٣٨ظ] وقوله عز وجل: **مِن لَدُنْ حكيم خبير**، مِن عند / حكيم عليم[2] جاءت هذه الآيات.

[٣٣٨ظ س ١٢] * وقال[3] بعض أهل الفقه: في قوله: **الر كتاب أُحكِمَتْ آياته ثم فُصِّلَتْ**، دلالة تأخير البيان؛ لأنه قال: **أُحكِمَتْ آياته ثم فُصِّلَتْ**، وحرف ثم[4] من حروف الترتيب، ففيه جواز تأخير[5] البيان.

٣٣٨ظ س ١٤] *والله أعلم*.*

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **أنْ لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير**، أي من الله[6] يُنذِر مَن يُنذِر ومِن عندِه يبشر مَن يبشر. يبشّر[7] من اتّبع وينذر من خالف. وقوله: **أنْ لا تعبدوا إلا الله**، في شهادة خِلقتكم [أنه] هو المستحق للعبادة. ويحتمل **أنْ لا تعبدوا**،[8] أي لا[9] توحِّدوا إلا الذي في شهادة خِلقتكم وحدانيته.[10]

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وأنِ استغفروا ربكم ثم توبوا إليه**، إن كانت الآية في الكفار فيكون قوله: **استغفروا ربكم**، أي أسلموا، **ثم توبوا إليه**، أي ارجعوا إليه عن كل معصية وكل مأثم[11] تأتونه.[12] وإن كان في المسلمين فهو ظاهر. فيكون قوله: **استغفروا**، و **توبوا**، واحدا.

---

[1] ع م: عبرة أو حجة.
[2] م: عليهم.
[3] م: قال.
[4] ك: وحرف الثم.
[5] ع: اما خير.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٨ظ/سطر ١٢-١٤.
[6] ع + أي من الله.
[7] ع م - من يبشر يبشر.
[8] ك - في شهادة خلقتكم هو المستحق للعبادة ويحتمل أن لا تعبدوا.
[9] ن ع م: أن لا.
[10] ع: وحدانية.
[11] ع: ثم.
[12] جميع النسخ: تأتونها.

وقوله عز وجل: **يُمَتِّعْكم متاعا حسنا**، أي **يُمَتِّعْكم**، في الدنيا، **متاعا**، تستحسنون في الآخرة ذلك التمتُّع. وأما الكفار فإنهم لا يستحسنون في الآخرة ما مُتِّعوا [به] في الدنيا؛ لأن تمتُّعهم في الدنيا للدنيا. والمؤمن ما يَتمتّع [به] في الدنيا يتمتع لأمر الآخرة والتزوُّد لها. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويؤتِ كل ذي فضلٍ فضلَه**، يحتمل قوله: **ويؤتِ كل ذي فضلٍ**، في الدنيا جزاء فضله في الآخرة. ويحتمل **يؤتِ**، بمعنى آتى. أي ما آتى كل ذي فضل في الدنيا إنما آتاه بفضله. وقوله: **ويؤتِ كل ذي فضلٍ فضلَه**، أي **ويؤتِ كل ذي فضلٍ**،[1] في دينه في الدنيا، **فضلَه**، في الآخرة. أو يقول: **ويؤتِ كل ذي فضلٍ**، في الدنيا والآخرة، **فضلَه**؛ لأن أهل الفضل في الدنيا هم أهل الفضل في الآخرة.

وإن تَولَّوْا، و لم تسلموا،[2] **فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير**، الآية ظاهرة. وقال: عَظِيمٍ،[3] في موضع آخر. وهذا[4] لِما يَكبُر على الخلق ويعظُم ذلك اليوم.*

﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إلى الله مرجعكم**، أي إلى ما أَعَدَّ لكم مرجعكم مِن وَعْدٍ ووعيد. **وهو على كل شئ قدير**، أي **وهو على كل**، ما وعد وأوعد، **قدير**.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ألَا إنهم يَثْنُون صدورهم لِيَسْتَخْفُوا منه**، عن عبد الله بن شداد قال:[5] كان أحدهم إذا مر بالنبي تَغشَّى بثوبه[6] وحَنَى[7] صدره.[8] وقال قتادة: كانوا يَحْنُون[9] صدورهم

---

[1] م – فضله أي ويؤت كل ذي فضل.

[2] جميع النسخ: و لم يسلموا.

[3] ﴿قل إني أخاف إنْ عَصيتُ ربي عذابَ يومٍ عظيمٍ﴾ (سورة الأنعام، ١٥/٦؛ وسورة الزمر، ١٣/٣٩).

[4] م: هذا.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٨ظ/سطر ١٢-١٤.

[5] ع م – قال.

[6] ع: بثوته.

[7] ن: وحنى.

[8] ع: صدوره. وانظر: *تفسير الطبري*، ١٨٣/١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٠٠/٤.

[9] ن: يحنون؛ ع م: يخفون.

لكيلا يسمعوا كتاب الله وذِكْرَه.[1] وقال[2] بعضهم: نزلت الآية في رجل[3] يقال له: الأَخنَس بن[4] شُرَيْق الثقفي.[5] كان يجالس النبي ويُظهِر له أمرا حسنا، وكان حَسَن المنظر حسن الحديث. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه حديثه ويُقَرِّبُه [في] مجلسه. وكان يُضمِر خلاف ما يُظهِر.[6] فأنزل الله: **أَلَا إنهم يَثْنُون صدورهم.**[7] يقول: يكتمون ما في صدورهم ويستترون، وهو قول ابن عباس.[8] وأصل تثنية الصدور هو أن يُضَمَّ أحدُ طرفَي الصدر إلى الطرف[9] الآخر ليكون ما أُضمِر وأُسِرَّ أَخفَى.[10] ويشبه ما ذكر مِن ثَنْي الصدور أن يكون كناية عن ضيق الصدور، كقوله: وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا.[11] أو عبارة عن الكِبْر، كقوله: ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ،[12] الآية. وكأن أصله الميل إلى غيره. وهو ما قال أبو عَوْسَجَة: **يَثْنُون صدورهم**، أي يميلون إلى غيره. وكذلك قوله: ثَانِيَ عِطْفِهِ.

وقوله: **لِيَستَخْفُوا منه**، قال بعضهم: من الله، وقال بعضهم: **منه**، أي من رسول الله. لكن إن كانت الآية في المنافقين على ما ذكره بعض أهل التأويل فهو الاستِسْرار والاستِتار من رسول الله؛ لأنهم كانوا يظهرون الموافقة ويضمرون الخلاف[13] له والعداوة. وإن كانت الآية[14] في المشركين فهو على الاستِسْرار والاستِتار من الله؛ لأنهم لا يُبَالُون الخلاف لرسول الله وإظهارَ العداوة له.[15]

---

[1] *تفسير الطبري*، ١١/١٨٤؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٠١.

[2] م: قال.

[3] ع م + له.

[4] ك: الأخنس ابن.

[5] الأَخنَس بن شُرَيْق الثقفي اسمه أُبَيّ، وإنما لُقِّب الأخنس لأنه رجع ببني زُهْرَة مِن بَدْر لمّا جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعِير. فقيل: خَنِس الأخنس ببني زُهْرَة، فسُمِّي بذلك. ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلَّفة قلوبهم. وشهد غزوة حُنَيْن. ومات في أول خلافة عمر. انظر: *الإصابة* لابن حجر العسقلاني، ١/٣٨.

[6] م: ما يظهره.

[7] ذُكر بغير إسناد؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٩/٥؛ *وروح المعاني* للآلوسي، ١١/٢٠٩.

[8] «عن ابن عباس قوله: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾، يقول: يكتمون ما في قلوبهم» (*تفسير الطبري*، ١١/١٨٥).

[9] ع م: إلى طرفي.

[10] جميع النسخ: واخفى.

[11] ﴿فمَن يُرِدِ الله أن يَهديه يَشرحْ صدره للإسلام ومَن يُرِدْ أن يُضلّه يجعل صدره ضيّقا حَرَجا كأنما يَصَّعَّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٥).

[12] ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مُنير. ثانِيَ عِطْفِه لِيُضِلَّ عن سبيل الله له في الدنيا خِزْيٌ ونُذِيقُه يوم القيامة عذاب الحَرِيق﴾ (سورة الحج، ٢٢/٨-٩).

[13] ع م – الخلاف.

[14] ن – الآية.

[15] ع م – له.

وعندهم أن الله لا يَطَّلِع على ما يُسِرّون ويضمرون في قلوبهم. فأخبر أنه يعلم ما أسرّوا وما أعلنوا. ففيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم[١] كانوا يُسِرّون ذلك عنه[٢] ويضمرونه.[٣] فأخبرهم بذلك لِيُعلَم [أنه] إنما عَلِم ذلك بالله تعالى.

وقوله عز وجل: **ألَا حين يَستَغْشُون ثيابهم**، أي يستترون بها. قال الحسن: **ألَا حين يَستَغْشُون ثيابهم**، في ظلمة الليل وفي أجواف بيوتهم، **يعلم**، تلك الساعة، **ما يُسِرّون وما يُعلنون**.[٤] وأصله أنهم يعلمون أن الله هو الذي أنشأ هذه الصدور والقلوب، والثيابُ هم الذين نَسَجوها[٥] واكتسبوها. ثم لا يملكون الاستِتار بما كسبوا هم،[٦] فلئلا يملكوا[٧] الاستتار بما تولّى هو إنشاءه أَحَقُّ. وقوله: **ألَا حين يَستَغْشُون**، **ألَا**، إنما هو تأكيد الكلام، وهو قول أبي عُبَيدة[٨] وغيره.

وقوله عز وجل: **إنه عليم بذات الصدور**، قال أهل التأويل: عليم بما في الصدور. لكن[٩] يشبه أنّ قوله: **عليم بذات الصدور**، عبارة عن صدور لها تدبير وتمييز، وهي[١٠] [في] البشر.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [٦]

وقوله عز وجل: **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**، قال بعضهم: عَنَى بالدابة الممتحَن منها،[١١] وهو [جنس] البشر. وأما غيره من الدواب فقد سخّرها للممتحَن منها.[١٢] وقال قائلون: أراد كل دابة تَدِبّ على وجه الأرض من الممتحَن[١٣] وغيره. وتمامه: ما من دابة في الأرض جُعِل قِوامُها

---

١ ن: أنهم.
٢ م - عنه.
٣ م: ويضمرون.
٤ *تفسير الطبري*، ١١/١٨٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٠٠.
٥ ن ع: نسموها.
٦ م: كسبوهم.
٧ ن ع م: لا يملكون.
٨ يقول أبو عبيدة: «﴿ألا حين يَستَغْشُون﴾ والعرب تدخل "ألا" توكيدا وإيجابا وتنبيها» (*مجاز القرآن*، ١/٢٨٥).
٩ ك: ولكن؛ م: لكنه.
١٠ جميع النسخ: وهو.
١١ ك ن: به؛ ع م: بها.
١٢ جميع النسخ: به.
١٣ جميع النسخ + به.

وحياتها بالرزق إلا على الله إنشاء[1] ذلك الرزق لها. ثم من الرزق ما جعله بسبب، ومنه ما جعله بغير سبب.

وقوله عز وجل: **إلا على الله رزقها**، اختلف فيه[2] أيضا. قال بعضهم: قوله: **على الله رزقها**، أي على الله إنشاء رزقها وخلقُه لها الذي به / قِوامها وحياتها. وهو كقوله: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ،[3] [٣٣٩و] أي ينشئ ويخلق رِزقَنا بسبب من السماء من المطر وغيره. فعلى ذلك قوله: **على الله رزقها**، أي على الله إنشاء رزقها وخلْقُه لها. وقيل: **على الله رزقها**، أي على الله أن يبلّغ إليها رزقها وما قدر لها وما به معاشها، كقوله: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا،[4] الآية، [أي] عليه تبليغ رزقها وما به معاشها.[5] ثم قوله: **على الله**، قال بعضهم: ما جاءها من الرزق إنما جاء من الله لم يأتها من غيره. و **على الله**، بمعنى من الله. وذلك جائز في اللغة، كقوله: اِكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ،[6] أي من الناس.[7] وهو قول مجاهد.[8] ويحتمل قوله: **على الله رزقها**، أي على الله وفاء ما وعد. وقد كان وعد أن يرزقها، فعليه وفاءُ وعدِه[9] وإنجازُه. ويحتمل وجها آخر، وهو أنه لمّا خلقها[10] ليُبقِيها[11] إلى وقتٍ فعليه[12] تبليغ ما به تعيش إلى ذلك الوقتِ والأجلِ؛ [لأنه هو][13] الذي خلقها ليُبقِيَها إلى ذلك. وبعضه قريب من بعض.

وقوله عز وجل: **ويعلم مُستقَرّها ومُستَوْدَعها**، اختلف فيه. قال بعضهم: **مستقرها**، بالليل، **ومستودعها**، بالنهار في معاشها. وقال بعضهم: المستقر الرَّحِم، والمستودع الصُّلْب. وقال بعضهم: المستقر الصُّلْب،[14] والمستودع الرَّحِم. وقال بعضهم: المستقر المتقلَّب في الدنيا،

---

[1] ك: إن شاء.
[2] ع م – فيه.
[3] ﴿وفي السماء رزقُكم وما توعدون﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٢٢).
[4] ﴿قل أ إنكم لَتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسيَ مِن فوقها وبارك فيها وقَدّر فيها أَقْوَاتَها في أربعة أيام سواءً للسائلين﴾ (سورة فصلت، ٤١/٩-١٠).
[5] ع م – كقوله وقدر فيها أقواتها الآية عليه تبليغ رزقها وما به معاشها.
[6] ﴿الذين إذا اكْتَالُوا على الناس يَستَوْفُون﴾ (سورة المطففين، ٨٣/٢).
[7] ن ع م: عن الناس.
[8] *تفسير الطبري*، ١٢/١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٠١.
[9] ع: وعد.
[10] ع – أنه لما خلقها؛ جميع النسخ + انه.
[11] جميع النسخ: يبقيها.
[12] جميع النسخ: عليه.
[13] والتصحيحات مع الزيادة مستفادة من *الشرح*، ورقة ٣٧٨و.
[14] م – وقال بعضهم المستقر الصلب.

والمستودع مثواها في الآخرة،[١] كقوله: وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ،[٢] [أي يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ][٣] في الدنيا وتحرُّكَكم في معاشكم، وَمَثْوَاكُمْ، أي قراركم ومقامكم في الآخرة. وقال بعضهم: **مُستقرَها**، في الدنيا، **ومُستَودعَها**، في القبر. ويشبه أن يكون هذا إخبارا[٤] عن العلم بها في كل حالٍ، في حال[٥] سكونها وفي حال حركتها؛[٦] لأنها لا تخلو إما أن تكون ساكنة قارّة[٧] أو متحركة. أي يعلم عنها كلَّ حالها. ويشبه أن يكون صلة ما تقدم، وهو قوله: أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ،[٨] الآية. يخبر أنه إذ لم[٩] يَخْفَ عليه كونُ كل دابة في بطن الأرض وما تَغِيض[١٠] به الأرحام وما استودع في الأصلاب كيف يخفى عليه أعمالكم التي عليها العقاب ولكم بها الثواب وفيها الأمر والنهي. ***والله أعلم.***

كلٌّ في كتاب مبين، أي مبيَّن في كتابه. قيل: في اللوح المحفوظ. ويحتمل القرآن وغيره.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام**، وقال في موضع آخر: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ،[١١] وقال في موضع آخر: قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ -وقال- وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ -وقال-

---

١ ن - في الآخرة.

٢ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم مُتَقَلَّبكم ومَثْوَاكم﴾ (سورة محمد، ١٩/٤٠).

٣ من *الشرح*، ورقة ٣٧٨و.

٤ ن ع م - إخبارا.

٥ ع م - في حال.

٦ ن: حركاتها.

٧ ن ع م: تارة.

٨ الآية السابقة.

٩ ن م: إذا لم.

١٠ يشير إلى قوله تعالى: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تَغِيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾ (سورة الرعد، ٨/١٣). وغاض الماء يَغِيض غَيْضا أي نقص أو غار فذهب (*لسان العرب* لابن منظور، «غيض»).

١١ سورة الفرقان، ٥٩/٢٥؛ وسورة السجدة، ٤/٣٢.

فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ.[1] يجوز أن يكون جَعل للأرض يومين، يوما لوجودها ويوما لعدمها. وكذلك السماء جَعل يوما لوجودها ويوما لعدمها، كقوله: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ،[2] الآية،[3] وكقوله: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ،[4] وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ.[5] وكذلك ما بينهما جَعل يوما لوجوده ويوما لعدمه. فيكون اليوم[6] السابع يوم البعث. يكون لكلٍّ مِن ذلك يومين، يوما لوجوده ويوما لعدمه.[7] وقد ذكرنا شيئا في ذلك مما احتمل وُسْعُنا في سورة الأعراف.[8] وفي هذه[9] الآية دلالة أنّ السماء[10] والأرض دخلتا تحت الأوقات بقوله: **في ستة أيام**؛ إذ الأيام عند الناس إنما هو مُضِيّ الأوقات. فإذ[11] دخلتا تحت الأوقات فليستا[12] بأزليّتين على ما يقول بعض الملحدة أنهما أزليّتان،[13] كانا كذلك. *والله أعلم*. وجائز أن يكون اليوم السابع هو اليوم الذي أنشأ[14] الممتحَن فيه؛ وهو المقصود في خلْقِ ما ذكر من الأشياء، أعني البشر.[15]

وقوله عز وجل: **وكان عرشه على الماء**؛ إن كان العرش اسم الملك والسلطان على ما قال بعض أهل التأويل فتأويله -والله أعلم- كان أَظْهَرَ مُلكَه عن الماء. على[16] بمعنى عن.

---

[1] جميع النسخ: وقال فقضاهن سبع سماوات في يومين وقال وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام. وهذا مخالف لترتيب الآيات. يقول الله تعالى: ﴿قل أإنكم لَتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسيَ مِن فوقها وبارك فيها وقَدّر فيها أَقْوَاتَها في أربعة أيام سواءً للسائلين. ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائْتِيا طَوْعا أو كَرْها قالتا أتينا طائعين. فقضاهُنّ سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماءٍ أمرَها وزيّنّا السماء الدنيا بمصابيح وحِفْظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (سورة فصلت، ٤١/٩-١٢).

[2] ﴿يومَ تُبَدَّلُ الأرض غيرَ الأرض والسماواتُ وبَرَزُوا لله الواحد القهار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٤٨).

[3] ن - الآية.

[4] ﴿يومَ نَطْوِي السماء كطَيِّ السِّجِلِّ للكتب كما بدأنا أوّلَ خَلْقٍ نُعيده وَعْدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١٠٤).

[5] ﴿ويومَ تَشَقَّقُ السماء بالغَمَام ونُزِّل الملائكةُ تنزيلا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٢٥).

[6] جميع النسخ: يوم.

[7] م: لوجودها ويوما لعدمها.

[8] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٥٤.

[9] ع م - هذه.

[10] ن: أن السماوات.

[11] ع م: فإن.

[12] جميع النسخ: ليستا.

[13] جميع النسخ: أزليين.

[14] م - أنشأ.

[15] ك: أعني من البشر.

[16] ع م - على.

وذلك[١] جائز في اللغة، لأنه بالماء ظهور[٢] كل شئ وبَدْؤُه، كقوله: وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ.[٣] وإن كان العرش اسم السرير والكرسي على ما قاله بعض الناس فهو عرش المُلك وسريره، خَلَقَه[٤] لِيُكرِم به أولياءَه [و]لِيَمتحن ملائكته بحمله والخدمة له على ما يكون لملوك الأرض سرير يستخدمون خَدَمَهم في ذلك. وهو خَلْقٌ من خلائقه أضافه إليه كما تُضاف[٥] الأشياء إلى الله.[٦] لكنه يضاف الأشياء[٧] إليه مرة بالإجمال[٨] جملة، ومرة بالإشارة والإفراد. لكن[٩] ما أضاف إليه بالإشارة فهو على تعظيم ذلك الشيء. وما أضيف إليه [من] الأشياء بالإجمال والإرسال فهو على ذكر عظمته وكبريائه، كقوله: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[١٠] و خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،[١١] ونحوه، فيه ذِكرُ سلطانِه وعظمتِه؛ وقوله: بَيْتِيَ،[١٢] وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ،[١٣] ونحوه،[١٤] هو[١٥] يخرج على ذكر تعظيم البيت والمساجد. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **لِيَبْلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملا**، أي خلق السموات والأرض وما فيهما للممتحَن، لم يخلق هذه الأشياء لأنفسها، إنما خلقها للممتحَن فيهما، كقوله: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا؛[١٦] لأن خلقها لأنفسها عبث. لأنها مخلوقة للفناء خاصة. فكل مخلوق للفناء خاصة[١٧] فهو عبث. لذلك كان ما ذكر. **والله أعلم**.

---

١ ع: ذلك.
٢ ع: طهور.
٣ سورة الأنبياء، ٢١/٣٠.
٤ ن + خلقه.
٥ ن ع م: يضاف.
٦ ع – الله.
٧ م – الأشياء إلى الله لكنه يضاف الأشياء.
٨ ك + مرة.
٩ م: ولكن.
١٠ سورة البقرة، ٢/١٠٧؛ وسورة المائدة، ٥/٤٠؛ وسورة الأعراف، ٧/١٥٨؛ وغيرها.
١١ سورة الأنعام، ٦/١، ٧٣؛ وسورة الأعراف، ٧/٥٤؛ وسورة التوبة، ٩/٣٦؛ وغيرها.
١٢ ﴿وعَهِدْنا إلى إبراهيم وإسماعيل أنْ طَهِّرا بيتيَ للطائفين والعاكفين والرُّكَّعِ السُّجُود﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٥).
١٣ سورة الجن، ٧٢/١٨.
١٤ ك – فيه ذكر سلطانه وعظمته وقوله بيتي وأن المساجد لله ونحوه.
١٥ م: وهو.
١٦ ﴿وسَخَّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكّرون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/١٣).
١٧ ن – فكل مخلوق للفناء خاصة.

وقوله عز وجل: **ولَئِنْ قلتَ إنكم مبعوثون من بعد الموت لَيقولَنّ الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين**؛ قوله:[1] **ولَئِنْ قلتَ إنكم مبعوثون من بعد الموت**، هذا القول نفسه **إنكم مبعوثون من بعد الموت**، ليس يقولون: هذا سحر، ولكن إذا أخبرهم أنهم / مبعوثون [٣٣٩ظ] من بعد الموت وأقام الحجج والبراهين على البعث فحينئذ قالوا لحجج[2] البعث وبراهينه: ما هذا إلا سحر. ويحتمل وجها آخر؛ وهو أنْ يَذكر سفههم أنهم اعتادوا نسبة كل شئ إلى السحر حتى الأشياءَ التي[3] لا تحتمل السحر، وهي[4] الأخبار؛ لأن السحر إنما يكون في تقليب الأشياء، وأما فيما يخبر عن شئ يكون فلا.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **ولَئِنْ أَخّرْنا عنهم العذاب إلى أُمّة مَعدودة**، قيل: إلى وقت معلوم، وهو[5] البعث. ذَكر **أُمّة** –والله أعلم– لأنه وقتٌ به ينقضي[6] آجال الأمم جميعا. **لَيقولُنّ ما يَحبِسه**، أي كانوا يقولون: ما يحبس عنا العذاب الذي يَعِدنا؟ لم تَزَلْ[7] عادتهم استعجال العذاب استهزاءً بهم.

وقوله عز وجل: **ألَا يومَ يأتيهم ليس مصروفا عنهم**، ذلك العذاب[8] إذا جاء[9] لا يملك أحد صَرْفَه عنهم، كقوله: لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ،[10] وقوله: وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ،[11] ونحوه. وقوله: **وحاق بهم**، قيل: نزل بهم، وقيل: لحق[12] بهم.[13] **ما كانوا به يستهزئون**،

---

[1] ك: وقوله.
[2] ك ن: بحجج؛ ع م: الحجج.
[3] ع – التي.
[4] جميع النسخ: وهو.
[5] م: هو.
[6] ك: ينقضي به.
[7] م: لم يزل.
[8] ع م – العذاب.
[9] ع م: إذ جاء.
[10] ﴿وأنذِرْ به الذين يخافون أن يُحشَروا إلى ربهم ليس لهم من دونه وليٌّ ولا شفيعٌ لعلهم يتقون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٥١).
[11] سورة الرعد، ١٣/٣٤.
[12] ع: يحق؛ م: بحق.
[13] ك: به.

جزاء استهزائهم[1] بالرسول والكتاب. وقوله: **ألَا يومَ يأتيهم ليس مصروفا عنهم**، أي لا يُصرَف عنهم بشفاعة مَن طَمِعوا شفاعتَه،[2] كقوله: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا،[3] أي لا يكون، ردًّا على ما طَمِعوا ورَجَوْا لعبادتهم، وقوله: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً[4] لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ،[5] ونحو ذلك، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام رَجاءَ أن تَشفع لهم.

﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ**﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ولَإِنْ أَذَقْنا الإنسان منا رحمة**، قيل: سَعَة في المال ونعمة، **ثم نزعناها منه إنه لَيَئُوس**، أَيْأَسَه ذهابُ ذلك المال عنه ونَزْعُه منه عن عَوْد[6] ذلك إليه وأَقْنَطَه.[7] والإياس قد يكون كفرا، كقوله: إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.[8] ويحتمل قوله: **إنه لَيَئُوس**، في حال ذهاب النعمة، والكُفُور في حال النعمة والسَّعَة. **كَفُور**، لما رأى نَزْع ذلك المال والسَّعَة منه جَوْرا وظلما، فهو كَفُور. وعن ابن عباس قال: **ولَإِنْ أَذَقْنا الإنسان**، يعني الكافر، **منا رحمة**، يقول: نعمةَ العافية وسَعَةً في المال[9] وما يُسَرُّ به، **ثم نزعناها منه**، يعني الرحمة، **إنه لَيَئُوس**، يعني قَنُوط، [أي] أَيِس وأَقْنَطَه [ذلك] من رحمة الله. وهو كقوله: وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ.[10]

*ويحتمل قوله: **لَيَئُوس**، في حال الشدة، **كَفُور**، لله في نِعَمِه في الرَّخاء.[11] وأصلُ ذلك[12] [٣٣٩ظ س٢٢] أنهم كانوا لا ينظرون في النعم إلى من أنعم عليهم، إنما ينظرون إلى أَعْيُن[13] النعم[14] وأنفسها.

---

[1] ع: استهزاء بهم.

[2] ك ن: بشفاعته؛ ع: بشفاعة؛ م: شفاعة.

[3] ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزّا. كَلّا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضِدّا﴾ (سورة مريم، ٨١/١٩-٨٢).

[4] ع م – ليكونوا لهم عزا كلا أي لا يكون ردا على ما طمعوا ورجوا لعبادتهم وقوله واتخذوا من دون الله آلهة.

[5] سورة يس، ٧٤/٣٦.

[6] جميع النسخ: عن العود.

[7] جميع النسخ: ويقنطه.

[8] سورة يوسف، ٨٧/١٢.

[9] م: وسعة المال.

[10] سورة الروم، ٣٦/٣٠.

[11] ع م: والرخاء.

[12] جميع النسخ: وأصله وذلك.

[13] م: على أعين.

[14] ع – إلى من أنعم عليهم إنما ينظرون إلى أعين النعم.

لذلك حملهم نَزْع ما أُعطوا[1] منهم على الإياس والقُنوط، وإعطاؤها إياهم على الكفران والفرَح والفخر. ولو نظروا في تلك النعم إلى المُنعِم لم يقع لهم الإياس[2] عند النَّزْع ولا الكفران والفرَح
٣٣٩ظ س٢٦] عند النَّيْل، بل يصبرون عند النَّزْع من أيديهم ويشكرون[3] للمُنعِم عليهم في حال النَّيْل.*

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[١٠]

ولَإِنْ أَذَقْناه نَعْماءَ بعد ضَرَّاءَ مسَّتْه لَيقولَنَّ ذهب السيئات عني إنه لَفرِح فَخور، الفرَح هو الرضاء، كقوله: وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[4] أي رَضُوا بها. وقيل: الفرِح البَطِر. يَبطِر في حال السَّعَة والرَّخاء، كقوله: إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ.[5] والفرَح قد يبلغ كفرا، و[قد] يكون الفرَح سرورا ولا يكون كفرا. **فخور،** يفتخر على الفقراء بالمال الذي أُعطي، أو يفتخر على الأنبياء والرسل بالتكذيب. وكذلك كان عادة رؤسائهم أنهم كانوا ذوي مال[6] وسَعة، فلا[7] يرون الرسالة تكون فيمن دونهم[8] في المال والسَّعة،[9] كقولهم: لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[10] وكقولهم: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا،[11] ونحوه.*

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[١١]

ثم استثنى فقال: **إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات،** قال بعض أهل التأويل: **إلا الذين صبروا،** على البلايا والشدائد، **وعملوا الصالحات،** يعني الطاعات. ويشبه أن يكون قوله: **إلا الذين صبروا،**[12]

[1] ن: مما أعطوا.
[2] جميع النسخ: إياس.
[3] م: وتشكرون.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٣٩ظ/سطر ٢٢-٢٦.
[4] ﴿الله يَبسُط الرزق لمن يشاء ويَقدِر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ (سورة الرعد، ٢٦/١٣).
[5] سورة القصص، ٧٦/٢٨.
[6] م: ذو مال.
[7] ك + بد.
[8] ع: دونه.
[9] م – والسعة.
[10] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[11] ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذَّبين﴾ (سورة سبأ، ٣٥/٣٤).
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٣٩ظ/سطر ٢٢-٢٦.
[12] ع م – على البلايا والشدائد وعملوا الصالحات يعني الطاعات ويشبه أن يكون قوله إلا الذين صبروا.

أي آمنوا على ما ذكر في غير[١] واحد من الآيات: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[٢] كقوله: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا.[٣] ويكون قوله: **إلا الذين صبروا**، عن المعاصي فلم يرتكبوها، **وعملوا الصالحات**، أي الطاعات. والإيمان نفسه هو اعتقادُ الانتهاءِ عن المعاصي كلها والاتِّقاءِ عن جميع ما يُدخِل نقصاً[٤] فيها وإتيانِ الطاعات جميعا. وهكذا يعتقد كل مؤمن أن يتقي وينتهي[٥] [عن] كل معصية ويأتي بكل طاعة ويعمل بها. هذا اعتقاد كل مؤمن. وحقيقته الوفاء بذلك[٦] كله.

وقوله عز وجل: **أولئك لهم مغفرة وأجر كبير**، يشبه أن يكون قوله: **لهم مغفرة**، لما ارتكبوا من الصغائر[٧] من الذنوب وانتهَوْا عن الكبائر منها، **وأجر كبير**، على ما أَتَوْا وعملوا من الكبائر من الطاعات. ويحتمل قوله:[٨] **لهم مغفرة**، الستر في الدنيا. ستَرَ عليهم تلك الذنوب في الدنيا فلم يطلع عليها الخلق. **وأجر كبير**، بما أظهر منهم ما كان من الطاعات والخيرات حتى نظر الناس إليهم بعين التعظيم[٩] بما ظهر منهم من الخيرات وخَفِي عليهم ما ارتكبوا[١٠] من المعاصي. هذا[١١] التأويل يكون في الدنيا. والأول في الآخرة.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **فلعلّك تاركٌ بعضَ ما يوحَى إليك**، حرف "لعل" يحتمل وجهين. [**الأول**] يحتمل على النهي، أي لا تترك[١٢] **بعض ما يوحَى إليك**،[١٣] وإن كان معلوما[١٤] أنه لا يترك،[١٥]

---

[١] ك: في غيره.
[٢] سورة الشعراء، ٢٦/٢٢٧؛ وسورة ص، ٣٨/٢٤؛ وسورة الانشقاق، ٨٤/٢٥؛ وسورة التين، ٩٥/٦؛ سورة العصر، ١٠٣/٣.
[٣] سورة العصر، ١٠٣/١-٣.
[٤] ع: نقصا.
[٥] ك ن: ينتهي ويتقي.
[٦] م: ذلك.
[٧] ك ن: على الصغائر؛ ع: عن الصغائر.
[٨] ك ن ع – قوله.
[٩] جميع النسخ: عظيم.
[١٠] جميع النسخ: بما ارتكبوا.
[١١] م: وهذا.
[١٢] ن: لا تنزل.
[١٣] ك – حرف لعل يحتمل وجهين يحتمل على النهى أي لا تترك بعض ما يوحى إليك.
[١٤] ك: معلوم.
[١٥] ن: لا ينزل.

كقوله: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[١] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[٢] وأمثاله. نهاه وإن كان معلوما[٣] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعل ذلك. وإنما احتمل النهي كما يقول[٤] الرجل لآخر: لعلك تريد أن تفعل كذا، فهو ينهاه عن ذلك. والثاني يقال عند القُرْب إلى الفعل والدُّنُوّ[٥] منه، كقوله: لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً،[٦] فاستعمل[٧] حرف كاد عند الميل / إليهم[٨] والقرب [٣٤٠و] منهم[٩] طمعا منه في إيمانهم، وذلك[١٠] فيما يَحِلّ له الترك. وذلك ما قيل مِن نحو سَبِّ آلهتهم وذِكر العيب فيها، ويَحِلّ[١١] له ترك سَبّ آلهتهم وشَتْمها. وكذلك[١٢] يخرج قوله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[١٣] على هذين[١٤] الوجهين: على المنع أن لا يحمل على نفسه -إشفاقا على أنفسهم أن لا يؤمنوا- ما يوجب تَلَفَه. والثاني على التخفيف، كقوله: وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ،[١٥] الآية، وقوله:[١٦] وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي،[١٧] هو على التخفيف ليس على النهي. وفي قوله: **فلعلّك تاركٌ**، الآية، وجه آخر؛ وهو نهي يخرج مخرج البِشارة له[١٨] مما كان يخاف من ضِيق صدره واشتغال قلبه عند سوء معاملتهم إياه فيقع له[١٩] تأخير[٢٠] في إبلاغ ما أُمِر بتبليغه، فأَمَّنه الله عن ذلك وعَصَمَه.

---

[١] سورة الأنعام، ١٤/٦؛ وسورة يونس، ١٠٥/١٠؛ وسورة القصص، ٨٧/٢٨.
[٢] سورة البقرة، ١٤٧/٢؛ وسورة الأنعام، ١١٤/٦؛ وسورة يونس، ٩٤/١٠.
[٣] ك: معلوم.
[٤] ن ع م: كما يقال.
[٥] ن: في الدنو.
[٦] ﴿ولولا أنْ ثبّتناك لقد كِدْتَ تَرْكَنُ إليهم شيئا قليلا﴾ (سورة الإسراء، ٧٤/١٧).
[٧] جميع النسخ: يقال.
[٨] جميع النسخ: إليه.
[٩] جميع النسخ: منه.
[١٠] م: ذلك.
[١١] ع: ولا يحل.
[١٢] ع: وذلك.
[١٣] ﴿لعلّك باخعٌ نفسَك أن لا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء، ٣/٢٦).
[١٤] ن: على هذا.
[١٥] سورة الحجر، ٨٨/١٥؛ وسورة النحل، ١٢٧/١٦؛ وسورة النمل، ٧٠/٢٧.
[١٦] ع م - وقوله.
[١٧] ﴿وأوحينا إلى أم موسى أنْ أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليَمّ ولا تخافي ولا تحزني إنا رادُّوه إليكِ وجاعلوه من المرسلين﴾ (سورة القصص، ٧/٢٨).
[١٨] ن ع م - له.
[١٩] ك ع م + فيه.
[٢٠] ع م - تأخير.

والوجه الثاني في النهي عن ذلك هو ما يقع له فيه الرجاء. وذلك أن الأخيار إذا ابتُلُوا بالأشرار قد يؤذَن لهم بمفارقتهم وترك الأمر فيهم. فلعلّه كان يقع له في مثله الرجاء أنه[١] قد يؤذَن له في حال من الأحوال بتأخير التبليغ. فأيْأَسه عن ذلك وكلّفه بتبليغ ما أُمِر[٢] في جميع أحواله. و **بعض ما يوحَى إليك**، يحتمل ما ذكر أهل التأويل مِن سَبِّ آلهتهم وعيبها وما تدعو[٣] إليه.

وقوله عز وجل: **وضائقٌ به صدرك**، يضيق صدره بما يقولون له استهزاء. وكذلك[٤] الحق أنّ كل مَن استهزئ به[٥] [يمكن] أن يضيق صدره. أو يضيق صدره لما لا يقدر على إتيان ما طلبوا منه من الكنز[٦] وإنزال الملك وقد وَعَدوا أن يؤمنوا لو فَعَل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **لولا أُنزِل عليه كنز أو جاء معه مَلَك**، لأن للكنز والمَلَك محل في قلوب أولئك وقَدْر. فقالوا: **لو لا أُنزِل عليه كنز**، فيعظّموه[٧] فيُصَدَّق على ما[٨] يوحَى [إليه] ويدّعي.[٩] وكذلك[١٠] المَلَك له محل عظيم عندهم، إذا كان معه عظّموه وصدّقوه.

وقوله عز وجل: **إنما أنت نذير**، على إثر قولهم: **لولا أُنزِل عليه كنز أو جاء معه مَلَك**، أي **إنما أنت نذير**، ليس عليك إتيان ما سألوا، إنما ذلك[١١] تحكُّم منهم على الله وأماني. فعليك إبلاغ ما أُنزِل إليك، كقوله: إنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.[١٢] **والله على كل شئ وكيل**، أي حفيظ لكل ما يقولون فيك ويتفوّهون به. أو هو الوكيل والحفيظ لا أنت،[١٣] كقوله: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ،[١٤] وقوله: وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ،[١٥] ونحوه. ***والله أعلم***.

---

[١] ع م – قد يؤذن لهم بمفارقتهم وترك الأمر فيهم فلعله كان يقع له في مثله الرجاء أنه.
[٢] جمي النسخ + له.
[٣] ن ع: تدعوا.
[٤] ك ن: وكذا.
[٥] ع: من استهزائه؛ م: من استهزاء به.
[٦] ع م: من الملك.
[٧] م: فيعضمونه.
[٨] م: فيصدق ما.
[٩] ك ن: على ما يدعي.
[١٠] ن: وكذا.
[١١] ن – ذلك؛ صح ﻫ.
[١٢] سورة الشورى، ٤٢/٤٨.
[١٣] ن: إلا أنت.
[١٤] سورة الغاشية، ٨٨/٢٢.
[١٥] سورة الأنعام، ٦/١٠٧؛ وسورة الزمر، ٣٩/٤١؛ وسورة الشورى، ٤٢/٦.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٣]

وقوله عز وجل: **أم يقولون افتراه**، أي قالوا: إنه افتراه، أي محمد افترى هذا القرآن من عند نفسه. **قل**، يا محمد إن كان افتريته[١] على ما تقولون، **فأتوا**، أنتم، **بعشر سورٍ مِثلِه مُفترَيَات**، لأنكم أقدر على الافتراء من محمد، لأنكم قد عوّدتم أنفسكم الكذب والافتراء، ومحمد لم تأخذوه بكذب قط ولا ظهر منه افتراء. فمن عوّد نفسه الافتراء والكذب أقدر عليه[٢] ممن لم يُعرَف به[٣] قط.[٤] **فأتوا بعشر سور مثله... وادعوا**، أيضا شهداءكم من الجن والإنس ممن استطعتم[٥] من دون الله يُعينوكم على إتيان مثله، **إن كنتم صادقين**، أنه افتراه من عنده. أو يقول: **فأتوا بعشر سورٍ مِثلِه مُفترَيَات**، أي إن محمدا قد جاء بسُوَر فيه أنباءُ ما أَسْرَرْتم وأخفيتم ما لا سبيل إلى معرفة ذلك والاطِّلاع عليه إلا مِن جهة الوحي من السماء وإطْلاع الله إياه؛ **فأتوا**، أنتم بسورة مفتراة[٦] فيها أنباءُ ما أَضْمَرَ هو وأَسَرَ وتُطْلِعون أنتم على سرائره كما[٧] أَطْلَعَ هو على سرائركم. **وادعوا من استطعتم**، من تعبدون مِن دون الله من الآلهة،[٨] **إن كنتم صادقين**، أنه افتراه. أو يقول: إن لسانكم مثل لسان محمد، فإن قَدَر هو على الافتراءِ افتراءِ[٩] مثلِه من عنده فتَقدِرون أنتم على افتراء[١٠] مثله؛ فأتوا به وادعوا أيضا ممن لسانه مثل لسانكم حتى يعينوكم على ذلك، **إن كنتم صادقين**، أنه افتراه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فأتوا بعشر سورٍ مِثلِه مُفترَيَات**، وقال في موضع آخر: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ.[١١] قال بعضهم: بِعَشْرٍ، نزل قبلُ، ولم يقدروا على مثله،[١٢] [ثم نزل] قوله:[١٣] فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ.

---

[١] م: افتريه.
[٢] ك – عليه؛ صح هـ.
[٣] ن م – به.
[٤] ك – قط.
[٥] ع م: من استطعتم.
[٦] ن: مفتريات؛ ع: مفترات.
[٧] ك ن ع: ما؛ م – كما.
[٨] م: من آلهة.
[٩] ك: افترى؛ ع: افتراه.
[١٠] ع م: على الافتراء.
[١١] ﴿وإن كنتم في رَيبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة مِن مِثلِه وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٣).
[١٢] ن: على إتيان مثله.
[١٣] جميع النسخ: وقوله.

دُعُوا أوّلا أن يأتوا بعشر سور، فلما عجزوا عن ذلك، عند ذلك قيل لهم: ائتوا بسورة من مثله.

وقوله: **بعشر سورٍ مِثلِه مُفترَيَات**؛ فإن قيل: كيف ذكر: فأتوا بسور مفتريات؟ قيل: معناه إن كان هذا مما يحتمل[١] الافتراء على ما تزعمون فأتوا بمثله أنتم، لأنكم أقدر على الافتراء من محمد، فإن[٢] لم تقدروا لم يقدر أحد[٣] على ذلك.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **فإن لم يستجيبوا لكم**، أي فإن لم تقدروا[٤] أنتم و لم يجيبوكم أولئك على الإعانة على إتيان[٥] مثله، **فاعلموا**، أنه[٦] إنما، **أُنزل بعلم الله**، وبأمره أتاه ومن عنده نزل، ليس بمفترى[٧] على ما تزعمون، **وأن لا إله إلا هو**، لا ألوهية لمن تعبدون دونه من الأصنام والأوثان. والثاني **فإن لم يستجيبوا لكم**، يا أصحاب رسول الله و لم يقدروا[٨] على مثله، **فاعلموا**، أنتم أنه إنما، **أنزل بعلم الله**، ومن عنده نزل؛ على التنبيه والتذكير لهم وإن كانوا علموا أنه من عنده نزل، كقوله: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ،[٩] على التنبيه والتذكير ليس على أنه لا يعلم،[١٠] فعلى ذلك الأول. وقوله عز وجل: **فهل أنتم مسلمون**، خاضعون له مخلصون. وعلى التأويل الأول على حقيقة الإسلام والإيمان.[١١] ***والله أعلم.***

*وقوله عز وجل: **فاعلموا أنما أُنزل بعلم الله**، فيه دلالة نقض قول الجهمية[١٢] والمعتزلة [٣٤٠ظ س١٥] بنفيهم العلم عن الله، وفي الآية إثبات العلم له بقوله: **أُنزل بعلم الله**.*

---

[١] ع: مما لا يحتمل.
[٢] ك: فإذ.
[٣] ع: واحد.
[٤] م: فإن تقدروا.
[٥] م: على البيان.
[٦] ك - أنه.
[٧] ن: بمفتر.
[٨] ك: و لم تقدروا.
[٩] سورة محمد، ١٩/٤٧.
[١٠] م: أنه يعلم.
[١١] ك: الإيمان والإسلام.
[١٢] ع: الجهيمية.
* وقع ما بين النجمتين بعد تفسير الآية الآتية برقم ١٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٤٠ظ/سطر ١٥-١٧.

٣٤٠ظ س١٧] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾[١٥]

[٣٤٠ظ] وقوله عز وجل: **من كان يريد الحياة / الدنيا وزينتها**، الآية، اختلف فيه. قال بعضهم: الآية في أهل الإيمان الذين[١] عملوا الصالحات مراءاة[٢] للخَلْق. يقول: **نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها**، من الذكر فيها والشرف؛ وما طلبوا بأعمالهم في الدنيا من المُباهاة[٣] وغيرها[٤] آتاه الله في الدنيا جزاءً لتلك[٥] الأعمال التي عملوها، وبَطَلَ ما صنعوا، وَبَاطِلٌ[٦] مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؛[٧] لأنهم عملوا لغير[٨] الله، فلا يُجزَون في الآخرة بأعمالهم تلك. وإلى هذا يذهب ابن عباس.[٩] وروي في بعض الأخبار أن نبي الله صلى الله عليه وسلم سئل: ما بال العبد المعروف بالخير يشدَّد عليه عند الموت، والرجلِ المعروف بالشر يهوَّن عليه الموت؟ فقال: «المؤمن تكون له ذنوب فيُجازَى بها عند موته، فيُفضِي إلى الله في الآخرة ولا ذنب عليه. والكافر يكون له الحسنات فيُجازَى بها[١٠] عند الموت يخفَّف عنه بها[١١] كَرْب الموت ثم يفضي إلى الآخرة وليست له حسنة»،[١٢] أو كلام نحوه.[١٣] وقال بعضهم: الآية في أهل الكفر يعملون أعمالا هي[١٤] في الظاهر صالحة،

---

[١] ن ع م: الذي.

[٢] ك: مرآة؛ ع م: مراءات.

[٣] ن ع: من المباهات؛ م: من المباحات.

[٤] جميع النسخ: وغيره.

[٥] ك: لذلك.

[٦] ن: وبطل؛ ع م – ما صنعوا وباطل.

[٧] من الآية التالية.

[٨] م: الغير.

[٩] روي عن ابن عباس في قوله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾، الآية، وهي ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم، وذلك أنهم لا يُظلَمون نَقِيرا. يقول: من عمل صالحا التماسَ الدنيا صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لا يعمله إلا إلتماس الدنيا يقول الله: أُوفيه الذي التمس في الدنيا من المَثابة وحَبِط عمله الذي كان يعمل التماسَ الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين» (*تفسير الطبري*، ١١/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٠٧/٤).

[١٠] ع م – بها.

[١١] ع م – بها.

[١٢] روي نحو ذلك: «عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن نَفْس المؤمن تخرج رَشْحا، وإن نَفْس الكافر تَسيل كما تخرج نَفْس الحمار. فإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدَّد بها عليه عند الموت ليكفَّر بها، وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهَّل عليه عند الموت ليُجزى بها». رواه الطبراني في *الكبير*، وفيه القاسم بن مُطَيَّب، وهو ضعيف (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٣٢٦/٢).

[١٣] ن: نحو هذا.

[١٤] م – هي.

نحو التصدّق على الفقراء وعِمارات الطرق واتخاذ القناطر[١] والرباطات، هي في الظاهر صالحة. يقول: **نُوَفِّ إليهم**، جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا لا ننقص[٢] منها شيئا. فهو ما وسّع عليهم الدنيا. وجائز أن يكون قوله: **نُوَفِّ إليهم أعمالهم**، أي تردّ إليهم أعمالهم التي عملوها[٣] فلا نقبلها،[٤] ويكون إيفاء أعمالهم الرد.

وقوله عز وجل: **وهم فيها لا يُبخَسون**، أي لا يُنقَصون ما قدّر لهم من الرزق إلى انقضاء مدتهم وآجالهم بشركهم بالله.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار**، على هذا التأويل ظاهر. ليس لأهل الكفر في الآخرة إلا النار.[٥] وعلى التأويل الأول[٦] الذي قال: إنها في أهل الإيمان، أي لا يستوجبون بتلك الأعمال التي عملوها مراءاة إلا النار؛ لأنه إذا راءى فيها لم يخلصها لله[٧] وضيّع أمره. وكل من ضيّع أمر الله وفريضته يستوجب التعذيب عليه. وله العفو. وليس في الآية أنه لا محالة[٨] يعذبهم بعملهم المراءاة. *والله أعلم*.*

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه**؛ قوله: **أفمن**، حرف يقتضي الجواب. لكن الجواب[٩] له لم يخرج في الظاهر؛ لأن جوابه أن يقول: **أفمن كان على بينة من ربه**،

---

١ ع: القناطير.
٢ ن ع: لا تنقص.
٣ ن – عملوها.
٤ ك: ولا يقبلوها؛ ن ع م: فلا يقبلوها.
٥ م – ظاهر ليس لأهل الكفر في الآخرة إلا النار.
٦ ع م – الأول.
٧ ع: الله.
٨ ع: لا بحالة.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٤، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٤٠ظ/سطر ١٥-١٧.
٩ ع م – لكن الجواب.

كمن ليس على بينة من ربه، كما قال في آية أخرى: أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ،[1] وكقوله: أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى،[2] [أي] لا يعلم. فعلى ذلك جواب قوله: **أفمن كان على بينة من ربه،** كمن لا يكون على بينة من ربه. لكن الجواب عندنا يكون على وجوه. مرة يكون بالتصريح، وهو ما ذكرنا. ومرة بالإشارة، ومرة بالكناية على غير تصريح. ثم منهم من يجعل جوابه ما تقدم. وهو قوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا،[3] الآية. يقول: **أفمن كان على بينة من ربه،** كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها،[4] أي لا يكون كذلك. ومنهم من يجعل جوابه فيما تأخر؛ وهو قوله: **ومن يكفر به من الأحزاب،** كأنه يقول: **أفمن كان على بينة من ربه،** كمن يكفر به من الأحزاب،[5] أي لا يكون كذلك. وقالوا: يجوز تقديم الجواب وتأخيره، كقوله: أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ،[6] لم يخرج لهذا أيضا جواب التصريح. ثم اختلفوا في جوابه. قال بعضهم: جوابه فيما تأخر في قوله: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. [فقوله:] أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ، وَصْفُ الذين يعلمون.[7] فكأنه يقول:[8] أفمن يعلم[9] كمن لا يعلم. ومنهم من يجعل جوابه في قوله: وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ،[10] يقول: أفمن[11] جعل لله أندادا وضلّ[12] عن سبيله وصار من أصحاب النار كمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما، أي ليسا بسواء. وقال مقاتل: ليس الذي على بيان من ربه كالذي موعده النار.[13] *والله أعلم.*

---

[1] سورة النحل، ١٦/١٧.

[2] سورة الرعد، ١٣/١٩.

[3] سورة يونس، ١٠/١٥.

[4] ع م - يقول أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها.

[5] م: به الأحزاب.

[6] ﴿أم مَن هو قانتٌ آناءَ الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكّر أولو الألباب﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٩).

[7] ك: الذين لا يعلمون.

[8] ك: قال.

[9] ع + يعلم.

[10] سورة الزمر، ٣٩/٨.

[11] جميع النسخ: من.

[12] ع م: وأضل.

[13] يقول مقاتل بن سليمان: «ليس الذي عمل على بيان من ربه كالكافر بالقرآن موعده النار، ليسوا بسواء» (*تفسير مقاتل*، ٢/٢٧٦).

وجائز أن يكون على طرح الألف: فمن **كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى**، الآية، يقول: فمن كان على بيان من ربه،[١] **أولئك يؤمنون به.** ثم قوله:[٢] **بينةٍ من ربه ويتلوه شاهد منه**، قال بعضهم: دينٍ مِن ربه، أي [هل يكون] مَن كان على دين من الله، **ويتلوه شاهد منه**، أي يتلو[٣] لما هو عليه مِن الدين[٤] **شاهد منه** كمن كان على دين الشيطان ولا شاهد[٥] له عليه؟ وقال بعضهم: قوله: **أفمن كان على بينة من ربه**، أي على برهان من ربه وحجج، **ويتلوه شاهد منه**، على ذلك كمن لا على برهان من ربه ولا[٦] حجج[٧] ولا[٨] شاهد[٩] له على ذلك. ثم[١٠] قال بعضهم: قوله: **يتلوه شاهد منه**، جبريل أو ملك غيره يتلو[١١] عليه القرآن. وقال بعضهم: **يتلوه شاهد منه**، لسانه. وقال بعضهم: **يتلوه شاهد منه**،[١٢] هو القرآن[١٣] ونحوه. ثم قوله:[١٤] **أفمن كان على بينة من ربه**، يحتمل أصحاب عيسى الذين آمنوا به، **ومن قبله كتاب موسى**، أصحاب التوراة الذين آمنوا به،[١٥] **أولئك يؤمنون به**،[١٦] أي هؤلاء الذين آمنوا بهؤلاء هم الذين يؤمنون بمحمد عليه أفضل الصلوات وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله عز وجل: **ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة**، قيل فيه بوجوه. قيل: ومن قبل[١٧] القرآن **كتاب موسى**، جاء به جبريل إلى موسى كما جاء بهذا القرآن، **إماما**، يُقتدَى به، **ورحمة**،

[١] م – كالذي موعده النار والله أعلم وجائز أن يكون على طرح الألف فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى الآية يقول فمن كان على بيان من ربه.
[٢] ن م: وقوله.
[٣] ع م: منه يتلو.
[٤] ع: من الذين.
[٥] ع: وله شاهد.
[٦] ك – ولا.
[٧] ك: وحجج.
[٨] عم – ولا.
[٩] ع م: وشاهد.
[١٠] ع – ثم.
[١١] ع: يتلوا.
[١٢] م – لسانه وقال بعضهم يتلوه شاهد منه.
[١٣] ع – وقال بعضهم يتلوه شاهد منه لسانه وقال بعضهم يتلوه شاهد منه هو القرآن.
[١٤] ن: وقوله.
[١٥] ك – به.
[١٦] ع + أي هؤلاء الذين آمنوا به أولئك يؤمنون به.
[١٧] ن ع – قبل.

[٣٤١و] من العذاب لهم. ويحتمل قوله: **ومن قبله**، يعني قبل القرآن، **كتاب موسى**، التوراة، / **إماما**، فيها أنباء هذا القرآن وأنباء محمد أنه رسول، كقوله: يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ،[١] وقوله: يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ،[٢] وأمثاله.[٣] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **إماما ورحمة**، كان كتاب موسى وهو التوراة إماما يُقتدَى به، وكان رحمة. **أولئك يؤمنون به**، قال: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا به من أهل الكتاب وغيرهم. ويحتمل قوله: **أولئك يؤمنون به**، أي مؤمنو[٤] أهل التوراة، يؤمنون بالقرآن ويقتدون به كما آمنوا بالتوراة واقتدَوْا بها.

وقوله عز وجل: **ومن يكفر به**، أي بالقرآن، **من الأحزاب**، الأحزاب: الفِرَق والأصناف. يحتمل **ومن يكفر به**، أي بالقرآن مِن الفِرَق. ويحتمل **يكفر به**، أي بمحمد. ويحتمل الدين الذي هو عليه ويدعوهم إليه. **فالنار مَوعِده**، إن مات على ذلك.[٥] وأما إذا أسلم[٦] ومات على الإسلام فلا تكون[٧] النار موعده.

وقوله عز وجل: **فلا تكُ في مِريَة منه**، يحتمل قوله:[٨] [منه] الوجوه الثلاثة التي[٩] ذكرنا من الدين والقرآن والنبي.[١٠] [ثم الخطاب] يحتمل للنبي[١١] نفسه. ويحتمل الخطاب غيره لما ذكرنا في قوله: فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ،[١٢] وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[١٣] فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ،[١٤]

---

[١] ﴿الذين يتّبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصْرَهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ (سورة الأعراف، ١٥٧/٧).
[٢] ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ (سورة البقرة، ١٤٦/٢؛ وسورة الأنعام، ٢٠/٦).
[٣] جميع النسخ + ويحتمل قوله إماما ورحمة.
[٤] جميع النسخ: أي مؤمني.
[٥] م – على ذلك.
[٦] ع: إذا سلم.
[٧] ن ع م: يكون.
[٨] ع م: في قوله.
[٩] ع م: الذي.
[١٠] ك ن: والنهي.
[١١] جميع النسخ: هو.
[١٢] سورة البقرة، ١٤٧/٢؛ وسورة الأنعام، ١١٤/٦؛ وسورة يونس، ٩٤/١٠.
[١٣] سورة الأنعام، ١٤/٦؛ وسورة يونس، ١٠٥/١٠؛ وسورة القصص، ٨٧/٢٨.
[١٤] ﴿وإن كان كَبُر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغيَ نَفَقا في الأرض أو سُلّما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكوننّ من الجاهلين﴾ (سورة الأنعام، ٣٥/٦).

وأمثاله، فكذلك هذا. وقد ذكرنا[١] أن العصمة لا تُزِيل النهي والأمر، بل تزيدهما؛ لأن بالعصمة تَظهر[٢] موافقة[٣] الأمر ومخالفة النهي والمحظور.

وقوله عز وجل: **إنه الحق من ربك**، يحتمل القرآن، ويحتمل الدين الذي عليه ويدعوهم إليه. ويحتمل هو نفسه الحق من ربه،[٤] **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون**.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا**، هو ما ذكرنا[٥] أنْ لا أحد أظلم على نفسه ممن أخذ نفسه من معبوده[٦] وشغلها في عبادة من لا يملك له نفعا إن عبده، ولا ضُرًا إن ترك عبادته. أو يقول: لا أحد أظلمَ على نفسه ممن ألقى نفسه الطاهرة[٧] في عذاب الله ونقمته أبدا بافترائه على الله. ***وبالله العصمة والقوة.*** وفي التأويل: لا أحد أظلم على نفسه **ممن افترى على الله**[٨] **كذبا**. وفي المعنى: لا أحد أفحشَ ظلما **ممن افترى على الله كذبا**، بعد معرفته أن جميع ما له من الله.

وقوله عز وجل: **أولئك يُعرَضون على ربهم**، أي أولئك الذين تُعرَض[٩] أعمالهم على أنفسهم عند ربهم. فإن وافقت أعمالهم ما في شهادةِ خِلْقَتهم أُدخِلوا الجنة، وإن خالفت أعمالهم شهادةَ خِلْقَتهم أُدخِلوا النار. تُعرَض أعمالهم[١٠] على أنفسهم عند ربهم، لأن الله عز وجل عالم بما كان منهم من الأعمال والأقوال. **على ربهم**، أي عند ربهم، كقوله: وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ،[١١] أي عند ربهم. وتأويله ما ذكرنا: **يُعرَضون على ربهم**، لأنفسهم،

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة النساء، ١٠٥/٤.

[٢] ن ع م: يظهر.

[٣] م: بموافقة.

[٤] أي يكون الضمير في "إنه" ضمير الشأن ويفيد معنى التحقيق.

[٥] انظر تفسير الآية من سورة الأنعام، ٢١/٦، ٩٣.

[٦] أي منع نفسه من عبادة ربه.

[٧] ن: الظاهرة.

[٨] ن – ونقمته أبدا بافترائه على الله وبالله العصمة والقوة وفي التأويل لا أحد أظلم على نفسه ممن افترى على الله.

[٩] ع: تعرضوا.

[١٠] ع م – أعمالهم.

[١١] ﴿ولو تَرَى إذ وُقِفُوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ (سورة الأنعام، ٣٠/٦).

لأنهم إنما يؤمرون ويُنهَون ويُمتَحَنون لأنفسهم ولمنفعة أنفسهم. فيكون عَرْضُهم[1] لهم.[2] أو أن يكون قوله [بمعنى] **أولئك يُعرَضون** على ما وعدهم ربهم في الدنيا. أو يقول:[3] **أولئك يُعرَضون**، لأنفسهم، **على ربهم**، من غير غيبة كان منه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ويقول الأَشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم**، اختلف فيه. قيل: **الأَشهاد** الرسل والأنبياء. وقال بعضهم: **الأَشهاد** الملائكة، وقال بعضهم: **الأشهاد** المؤمنون. فمن قال: هم الأنبياء والمؤمنون، فهو كقوله:[4] لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا،[5] وكقوله: وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هٰؤُلَاءِ شَهِيدًا.[6] ومن قال: هم الملائكة، [فهو] كقوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،[7] وقوله: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ،[8] الآية، ونحوه. ومعناه -والله أعلم- أنه[9] تُعرَض أعمالهم وأقوالهم[10] على أنفسهم؛ فإن أقروا بها بُعثوا إلى النار، وإن أنكروا تَشهد عليهم ما ذكر من الشهداء، فإن أنكروا يقال لهم:[11] اِقْرَأْ كِتَابَكَ،[12] الآية، فإن أنكروا ذلك فعند ذلك تَشهد عليهم جوارحهم، كقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ،[13] الآية. ويحتمل أن يكون[14] الملائكة نادَوْا في ملأ الخلق قبل أن يدخلوا النار: **هؤلاء الذين كذبوا على ربهم**. ويحتمل [أن يكون] ما ذكر في شهادة[15] الذين كانوا مُوَكَّلين بكتابة أعمالهم وأقوالهم[16] يخبرون مما كتبوا في الكتب.

---

[1] ع: غرضهم.
[2] ن – لهم.
[3] ن + أو يقول أولئك يعرضون على ما وعدهم ربهم في الدنيا.
[4] ع م: لقوله.
[5] ﴿وكذلك جعلناكم أمة وَسَطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (سورة البقرة، ١٤٣/٢).
[6] ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (سورة النساء، ٤١/٤).
[7] سورة ق، ١٨/٥٠.
[8] ﴿وإنّ عليكم لحافظين. كِرامًا كاتبين. يعلمون ما تفعلون﴾ (سورة الانفطار، ٨٢/١٠-١٢).
[9] ع م: أن قوله.
[10] ك: أقوالهم وأعمالهم.
[11] جميع النسخ: له.
[12] ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ (سورة الإسراء، ١٤/١٧).
[13] ﴿يومَ تَشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (سورة النور، ٢٤/٢٤).
[14] ن ع: أن تكون.
[15] ك: من شهادة.
[16] م: وأقوالكم.

وقوله عز وجل: **ألَا لعنة الله على الظالمين**؛ اللعنة قال بعضهم: هي الطرد عن جميع المنافع والإبعاد عن رحمة الله في الدنيا [أي] عن دينه[١] وفي[٢] الآخرة[٣] عن ثوابه. وقال بعضهم: اللعنة هي العذاب.

﴿اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **الذين يَصُدّون عن سبيل الله**؛ **يصدون** يحتمل وجهين. يحتمل[٤] أنْ أعرضوا هم[٥] بأنفسهم عن دين الله، ويحتمل [أنهم] صرفوا[٦] الناس عن دين الله. لكنه يتبين ذلك بالمصدر أنه أراد ذا أو ذا. يقال في الإعراض بنفسه: صَدّ يَصُدّ صُدودا، كقوله: يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا.[٧] ويقال في صرف غيره: صَدّ يَصُدّ صَدّا.

وقوله عز وجل: **يبغونها عِوَجا**، قال بعضهم: هم[٨] بُغاة على دين الله بالجَوْر. وقال بعضهم: يبغون من الناس[٩] الميل عن دين الله إلى دينهم، فذلك هو بَغْي العِوَج. كل سبيل غير سبيل الله فهو عِوَج وبَغْي، كأنه قال: يبغون سبيلا غير سبيل الله. **وهم بالآخرة هم كافرون**، في الدنيا.[١٠]

﴿أُولٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[٢٠]

[٣٤١ظ] وقوله عز وجل: **أولئك لم يكونوا / مُعْجِزين في الأرض**، أي أولئك لم يكونوا مُعْجِزي الله في الدنيا مِن أنْ يعذبهم وينتقم منهم إن شاء. والثاني أولئك لم يكونوا سابقي الله في الآخرة في دفع العذاب عن أنفسهم. وجائز أن تكون[١١] الآية في الأئمة منهم والجبابرة، يخبر أنهم غير معجزي[١٢] الله فيما يريد منهم من التعذيب لهم.

---

[١] ن ع م – عن دينه.
[٢] ع – وفي.
[٣] ع: والآخرة.
[٤] ع م – يحتمل.
[٥] م: إذا عرضوهم.
[٦] م: صرف.
[٧] ﴿وإذا قيل لهم تعالَوْا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يَصُدّون عنك صُدُودا﴾ (سورة النساء، ٦١/٤).
[٨] م – هم.
[٩] ك: من الناء؛ ن ع م: من النساء.
[١٠] م – في الدنيا.
[١١] ك ن م: أن يكون.
[١٢] ك ع م: غير معجزين.

وقوله عز وجل: **وما كان لهم مِن دون الله مِن أولياء**، هم حسبوا أن أولئك الذين عبدوهم[1] دون الله يكونون لهم أولياء؛ لأنهم يقولون: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[2] و مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى.[3] كانوا يطمعون في شفاعة الأصنام التي كانوا يعبدونها، أو الذين[4] اتّبعوهم يكونون لهم أولياء. فأخبر أنْ ليس لهم أولياء على ما ظنّوا وحسبوا، بل يكونون لهم أعداء، كقوله: وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً،[5] الآية، وأمثاله كثير، وكقوله: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا،[6] وكقوله: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا -أي لم يكن لهم ما طمعوا، وقوله- سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا،[7] صاروا لهم أعداء على ما ذكر. ويحتمل **وما كان لهم مِن دون الله مِن أولياء**، أي لا ينفعهم ولاية من اتخذوا أولياء، كقوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[8] ونحوه.

وقوله عز وجل: **يُضاعَف لهم العذاب**، هذا يدل على أن قوله: اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ،[9] في الأئمة الذين صرفوا الناس عن دين الله؛ لأنه أخبر أنه **يُضاعَف لهم العذاب**. وهو يحتمل وجهين. أحدهما لِما ضلّوا هم[10] بأنفسهم، والآخر لِما صرفوا الناس عن دين الله.

وقوله عز وجل: **ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون**، قالت[11] المعتزلة فيه بوجهين. أحدهما أنهم كانوا يسمعون ويبصرون، لكنه أخبر[12] [أنهم] لا يستطيعون السمع[13]

[1] ن ع م: عبدوا.
[2] ﴿ويعبدون مِن دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٠).
[3] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا لِيُقَرِّبونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[4] م: والذين.
[5] ﴿وإذا حُشِر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ (سورة الأحقاف، ٦/٤٦).
[6] ﴿وقال إنما اتخذتم مِن دون الله أوثانا مودّةَ بينِكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).
[7] ﴿واتخذوا مِن دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزّا. كلّا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضِدّا﴾ (سورة مريم ٨١/١٩-٨٢).
[8] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.
[9] الآية السابقة.
[10] م: لما ضلوهم.
[11] م: قال.
[12] ك ع: قال؛ م: قالوا.
[13] ن – وما كانوا يبصرون قالت المعتزلة فيه بوجهين أحدهما أنهم كانوا يسمعون ويبصرون لكنه أخبر لا يستطيعون السمع.

ولا يبصرون استثقالا منهم لذلك. وهو كما يقول الرجل:[١] ما أستطيع أن أنظر إلى فلان ولا أسمعَ كلامه، وهو ناظرٌ إليه سامعٌ كلامَه، لكنه يقول ذلك لاستثقاله النظرَ إليه وسماعَ كلامِه. فعلى ذلك الأول، كانوا يسمعون ويبصرون، لكنهم كانوا يستثقلون السمع والنظر إليهم. فنفى عنهم[٢] ذلك. والثاني **ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون**، أي كانوا كأنهم لا يستطيعون السمع ولا النظر. وهو ما أخبر أنهم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ.[٣] كانوا يَتصامّون ويتعامَوْن [عن] الحق.

وأما عندنا فالجواب[٤] للتأويل الأول أنهم كانوا[٥] لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون السماعَ سمعَ الرحمة والنظرَ إليه بعين الرحمة والقبول، فهم من ذلك الوجه كانوا لا يستطيعون. والثاني يحتمل سمع القلب وبصر القلب. وهم كانوا لا يستطيعون السمع سمعَ القلب وبصرَ القلب، كقوله: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ.[٦] وهذه الاستطاعة عندنا هي استطاعة الفعل لا استطاعة[٧] الأحوال، إذ جوارحهم كانت سليمة صحيحة. فدل أنها الاستطاعة التي بها يكون الفعل لما ذكرنا. وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه: يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع. ثم سئل الحسن عن ذلك فقال: هو قول الله: اَلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا،[٨] إذا سمعوا الوحي تَقنّعوا[٩] في ثيابهم، فلم يستطيعوا احتمال ذلك. وفي حرف حفصة: وما كانوا يستطيعون السمع، بالواو. وأما في حرف ابن مسعود فظاهرٌ[١٠] تأويله، أي **يضاعف لهم العذاب**، بما كانوا[١١] يستطيعون السمع، فلم يسمعوا عنادا وإبطاءً. وأصله ما كانوا يستطيعون السمع[١٢] المُكتسَب والبصر المُكتسَب.

---

[١] ع م – الرجل.
[٢] جميع النسخ: فنفاهم.
[٣] سورة البقرة، ١٨/٢، ١٧١.
[٤] جميع النسخ: الجواب.
[٥] ع م – كانوا.
[٦] سورة الحج، ٤٦/٢٢.
[٧] ع – الفعل لا استطاعة.
[٨] سورة الكهف، ١٠١/١٨.
[٩] ن: تعتعوا.
[١٠] ك ن ع: ظاهر.
[١١] ع: ما كانوا.
[١٢] م – بالواو وأما في حرف ابن مسعود ظاهر تأويله أي يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلم يسمعوا عنادا وإبطاء وأصله ما كانوا يستطيعون السمع.

فعندنا[١] ما ذكر[٢] من السمع والبصر هو السمع المُكتسَب والبصر المُكتسَب والحياة المُكتسَبة؛ لأن سمع الآخرة وحياتها مكتسَبة،[٣] وحياةَ الدنيا وسمعها وبصرها[٤] مخلوقة.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **أولئك الذين خسروا أنفسهم**، في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فعبادتهم[٥] غير معبودهم الذي كان منه جميع النعم والمنافع، وما لحقهم بذلك من الذُّل والصَّغار. وأما في الآخرة فالعذاب والهَوَان الدائم بَدَلا عن النعم الدائمة. **وضَلَّ عنهم**، أي بطل عنهم، **ما كانوا يفترون**، [كقوله:] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٦] و مَا نَعْبُدُهُمْ.[٧] الآية، وأمثاله.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **لا جَرَم أنهم في الآخرة هم الأخسرون**، قال أبو عَوْسَجة: **لا جَرَم**، واجب من الكلام، أي لَحَقٌّ[٨] **أنهم في الآخرة هم الأخسرون**. وقال بعضهم: **لا جَرَم**، أي نَعَمْ، **أنهم في الآخرة هم الأخسرون**. وقال الفَرّاء: قوله: **لا جَرَم**، أي لا بُدّ، لكن[٩] الناس أكثروا استعماله، فصار في مُتعارَفهم:[١٠] حقًا.[١١] و"لا بُدّ" في الحقيقة "حقًا"، لأنه إذا كان لا بُدّ فهو حَقّ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأَخبَتُوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة**، تأويله -والله أعلم- **إن الذين آمنوا**، بالله وبجميع ما أنزل على رسوله، **وعملوا الصالحات**،

---

[١] جميع النسخ: عندنا.
[٢] م: وما ذكر.
[٣] ك: مكتسب؛ ن ع م: مكتسبا.
[٤] جميع النسخ: والسمع والبصر.
[٥] جميع النسخ: عبادتهم.
[٦] ﴿ويعبدون مِن دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[٧] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا لِيُقَرِّبونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣).
[٨] ن: أي بحق.
[٩] ع م: ولكن.
[١٠] ع: فصا في معارفهم.
[١١] *معاني القرآن* للفراء، ٣٢٨/١.

ولزموا ذلك حتى صاروا إلى الله، **أولئك أصحاب الجنة**. وهو كقوله: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى،[١] أي من تاب من الشرك وآمن بالله وعمل صالحا ثم اهتدى، أي ثم لزم ذلك حتى صار[٢] إلى الله هكذا. فعلى ذلك قوله: **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأَخْبَتُوا إلى ربهم**، أي[٣] لزموا ذلك كله / حتى صاروا إلى الله. ويحتمل قوله: ثُمَّ اهْتَدَى، [٣٤٢و]
سنن الذين أولئك كذا.

وقوله عز وجل: **وأَخْبَتُوا إلى ربهم**، اختلف فيه. قال بعضهم: الإخبات التخشُّع والتواضع، أي تخشَّعوا وتواضعوا فَرَقا مِن ربهم. وقال بعضهم: **أَخْبَتُوا**، أي اطمأنوا على ذلك، أولئك كذا. وعن ابن عباس رضى الله عنه: **أَخْبَتُوا**، قال: خافوا من ربهم.[٤] وقال القُتَبي: **أَخْبَتُوا**، أي تواضعوا لربهم. وقال: الإخبات التواضع والوقار.[٥] وقال أبو عَوْسَجة: الإخبات التوبة، والمُخْبِت التائب. وقال غيرهم: الإخبات الإنابة، **أَخْبَتُوا**، أي أنابوا إلى الله. وبعضه قريب من بعض. ومن قال: الإخبات هو التواضع والخشوع، فمعناه -والله أعلم- أي تواضعوا وخشعوا بالإجابة إلى ما دعاهم إليه ربهم وندَبَهم إليه.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **مَثَل الفريقين**، أي الصنفين اللذين[٦] سبق وصفهما. وهو قوله: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا،[٧] الآية، فهو وصف الكافر. والفريق الآخر قوله: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ،[٨] إلى آخر ما ذكر، وفيه وصف المؤمن. أو يكون وصف الكافر ما ذكر: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ -إلى قوله- وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ.[٩] هو وَصْفُ أحد الفريقين، وهم الكفار. والفريق الآخر ما ذكر:

---

[١] سورة طه، ٨٢/٢٠.
[٢] ك: حتى صاروا؛ ع: حتى صارو.
[٣] م - أي.
[٤] *تفسير الطبري*، ٢٤/١٢.
[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٢.
[٦] ن م: الذين.
[٧] سورة هود، ١٥/١١.
[٨] سورة هود، ١٧/١١.
[٩] سورة هود، ١٨/١١-٢١.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ.[1] هذان[2] -والله أعلم- الفريقان[3] اللذان[4] ضُرِب مَثَلُهما بالأعمى والأصمّ[5] والبصير والسميع.[6] ثم وَجْهُ ضَرْبِ مَثَلِ[7] الكافر بالأعمى والأصمّ والمؤمن بالبصير والسميع[8] فهو -والله أعلم- أن الكافر أعمى القلب وأصمّ السمع، لم يبصر ما غاب عنه من الموعود، ولا سَمِع ما غاب عنه من الموعود.[9] إنما أبصر[10] ظواهر الأمر، وكذلك إنما سمع ظواهرَ مِن الأمور وبادِيَها. لم ينظر إلى الغائب من الموعود، ولا سَمِع ذلك. وهو لم يُخْلَق لمعرفة ذلك الظاهر خاصة، إنما خُلِق لِما وُعِد وأُوعِد في الغائب. والمؤمن أبصر ذلك الغائب، وسمع ما غاب من الموعود. فيقول: كما لم يَستوِ[11] عندكم في الظاهر البصير والأعمى والسميع[12] والأصمّ لم يَستوِ من كان أعمى[13] القلب بما غاب[14] [و]بصير[15] القلب بذلك. ولم يَستوِ أيضا مَن به صَمَم القلب [و]من كان سميعا بذلك.

أفلا تَذَكَّرون، أنهما لا يستويان.[16] أو يقول: **أفلا تَذَكَّرون**، أي أفلا تتّعظون[17] بما نزل من القرآن وتَنتهُون[18] عما تُنهَون.[19] *والله أعلم*.

---

[1] سورة هود، ٢٣/١١.
[2] ن ع م: هذا.
[3] ك – وهم الكفار والفريق الآخر ما ذكر إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم هذان والله أعلم الفريقان؛ ن ع م: الفريقين.
[4] ك ن ع: اللذين؛ م: الذين.
[5] ع م – والأصم.
[6] ك: والسميع والبصير.
[7] م – مثل.
[8] ع: بالسميع والبصير.
[9] م – ولا سمع ما غاب عنه من الموعود.
[10] م: وإنما أبصر.
[11] ع م: كما يسبق.
[12] ن ع: والسمع.
[13] ن ع م: عمى.
[14] ن ع م: كان.
[15] ن ع م: بصر.
[16] ن ع م: لم يستويان.
[17] ن: فلا تعظون.
[18] ع م: وتنهون.
[19] ن ع م: تنتهون.

وفي قوله: **مَثَل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع هل يستويان مَثَلا أفلا تذكَّرون**، وجوه من الأسئلة.[١] أحدها أنْ يقال: كيف احتجّ عليهم وهو ما ذكر أنهم عُمْيان وصُمّ أو كالعُمْيان والصُّم، ولا يُكَلَّف[٢] الأعمى الإبصار والنظرَ، ولا الأصمُّ[٣] السماعَ؟ والثاني يقولون: إنا بُصَراء سُمَعاء[٤] ليس بنا صَمَم ولا عَمَى، بل أنتم العُمْيان والصُّمّ؟ والثالث كيف ذكر المَثَل لهم وهم لا يتفكّرون ولا ينظرون في المَثَل ولا يلتفتون إليه؟

أما جواب الأول بأنه احتج عليهم لأنهم تركوا اكتسابَ بصرِ الآخرة وسَمْعَ سماعِ الآخرة. فنفى عنهم السمع والبصر والحياة؛ لأنه[٥] بالبصر[٦] المخلوق يكتسب بصرًا في الدين وسمعًا في أمر الدين وحياةَ الدين، فيصير بذلك مُكتسِبا للحياة[٧] الدائمة والبصر الدائم والسمع الدائم. فيكونون في الآخرة بُصَراء سُمَعاء[٨] أحياء، كقوله: اِسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ.[٩] والثاني نفى عنهم هذه الحواسّ لأنهم لم ينتفعوا بها؛ لأن هذه الحواسّ إنما أُنشِئت لهم وخُلِقت لينتفعوا بها، وهو المقصود[١٠] بإنشائها، فإذا تركوا الانتفاع بها فكأنها[١١] ليست لهم.

وأما جواب ما قالوا: إنّا بُصَراء وسُمَعاء وأنتم العُمْيان والصُّمّ؛ فيقال لهم: إن أهل الإسلام إذا سمعوا ذلك قد اشتغلوا بالتفكُّر فيما قَرَع أسماعَهم من الآيات والنظرِ فيها، وأنتم لا، بل تَعَامَوْا عنها وتَصامُّوا. فدل تفكُّرهم ونظرهم فيها على أنهم بُصَراء وأحياء وسُمَعاء،[١٢] وأنتم يا أهل الكفر العُمْيان والصُّمّ والأموات. والثاني أن هذه الآيات إنما نزلت في محاجّة أهل مكة، وهم قد علموا أن آباءهم لم يكونوا حُكَماء ولا علماء،[١٣] فلم يكونوا ما ذكر: بُصَراء ولا أحياء ولا سُمَعاء،

---

[١] ن ع م: من الأسوِلة.
[٢] ع: ولا تكلف؛ م: ولا يتكلف.
[٣] م: ولا الصمم.
[٤] ك: إنا سمعاء بصراء.
[٥] أي لأن الإنسان.
[٦] ك: ببصر؛ ن ع م: يبصر.
[٧] جميع النسخ: مكتسب الحياة.
[٨] ع: وسمعاء.
[٩] ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (سورة الأنفال، ٨/٢٤).
[١٠] م – المقصود.
[١١] ن ع م: كأنها.
[١٢] ن: وسموا؛ ع م: وسمعاء وأحياء.
[١٣] م: ولا عالما.

فصاروا صُمّا عُمْيانا أمواتا. ولأن أحد[1] الفريقين لا محالة ما ذكر: نحن أو هم، ثم قد استوَوْا في هذه الدنيا، وفي العقل والحكمة التفريق بينهما،[2] فدل أنهم بما ذكر أولى.

وأما جواب ذِكر المَثَل لهم على علمٍ منهم أنهم لا يقبلون المَثَل ولا ينظرون، بأنه إنما ذكر لأهل الإسلام، ولأن ذِكر المَثَل به ربما يبعثهم على النظر فيه والتفكُّر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه**، أخبر أنه أرسله إلى قومه ولم يُفهَم منه الإرسال[3] من مكان إلى مكان. وكذلك قوله: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ،[4] ولم يكن مجيئه من مكان إلى مكان. فهذا يدل أنه لا يُفهَم مِن ذِكر المجيء الانتقال من مكان إلى مكان، وكذلك الإرسال.[5]

وقوله عز وجل: **إني لكم نذير مبين**، أي نذير لمن عصى بالنار وبعقابه، بَيِّنُ الإنذار.

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **أن لا تعبدوا**، أي لا تجعلوا عبادتكم إلا لمعبود هو معبود بشهادة خلقتكم؛
[٣٤٢ظ] لأن خلقتكم[6] تشهد على أنه هو المستحق للعبادة، / لا مَن تعبدون من الأصنام والأوثان. ويحتمل قوله: **أن لا تعبدوا إلا الله**، أي وحِّدوا الله ولا تَصرفوا الألوهية إلى غيره. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم**، أضاف الألم إلى اليوم واليوم ليس بمؤلِم. لكنه[7] -والله أعلم- أضاف إليه [لأن] ما فيه[8] يؤلم. وهو[9] كقوله:[10] وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا،[11]

---

[1] ع: إحدى.
[2] أي بين الفريقين.
[3] ك: الإمسال.
[4] سورة التوبة، ١٢٨/٩.
[5] لعل المؤلف رحمه الله يريد أن يشير إلى بعض الصفات الإلهية التي تشير بظواهر معناها إلى أفعال البشر، كقوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب... فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ (سورة الحشر، ٢/٥٩)، وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩)، وقوله: ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ (سورة نوح، ١/٧١).
[6] ك ن: خلقتهم؛ ع م - لأن خلقتهم.
[7] ك: ولكنه.
[8] جميع النسخ: لما فيه.
[9] م - وهو.
[10] م: وكقوله.
[11] سورة الأنعام، ٩٦/٦.

والليل لا يَسكُن ولا يوصف به،[١] لكنه يُسكَن فيه. وكذلك قال: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[٢] والنهار لا يُبصِر، لكنه يُبصَر فيه. فعلى ذلك قوله: **يومٍ أليم**، لما فيه يكون العذاب الأليم.

وقوله عز وجل: **إني أخاف عليكم**؛[٣] الخوف على غيره[٤] لا يكون في الحقيقة خوفا، وكذلك الرجاء في غيره لا يكون في الحقيقة[٥] رجاء. وعلى[٦] نفسه يكون في الحقيقة خوفا ورجاءً لِما يلحقه ضرر في نفسه إن حَلّ[٧] به ذلك[٨] ويلحقه نفع. فيكون الخوف على نفسه[٩] حقيقةَ خوفٍ والرجاءُ حقيقةَ رجاءٍ. وأما على غيره[١٠] [فلا] لِما لا يلحقه ضرر وإن حَلّ ذلك بغيره،[١١] ولا ينال من النفع في الرجاء إن نال[١٢] ذلك الغير. لكنه يخرج على وجهين. أحدهما على العلم، أي إني أعلم أنه ينزل بكم العذاب، نحو قوله: وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا،[١٣] أي علمتم، وقوله: فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ،[١٤] أي فإن علمتم أن يُضيِّعا حدود الله. والثاني يخاف عليهم[١٥] إشفاقا منه؛ لأن الخَلْق جُبِلوا على أن يتألم بما يحلّ بغيرٍ حتى لا يكون في وُسْع بعضٍ أن يَروا ذلك في غيرهم.[١٦] على هذين الوجهين يخرج الخوف على غيره.[١٧] وفي الخوف رجاء، وفي الرجاء خوف، لأن الخوف إذا لم يكن فيه رجاء فهو إياس.

---

[١] ع م – به.
[٢] سورة يونس، ٦٧/١٠؛ وسورة النمل، ٨٦/٢٧؛ وسورة المؤمن، ٦١/٤٠.
[٣] جميع النسخ + أي.
[٤] جميع النسخ: في غيره.
[٥] ن – خوفا وكذلك الرجاء في غيره لا يكون في الحقيقة.
[٦] جميع النسخ: وفي.
[٧] م: إن جعل.
[٨] م + لغيره.
[٩] جميع النسخ: في نفسه.
[١٠] ك ن م: في غيره؛ ع – لا يكون في الحقيقة رجاء وعلى نفسه يكون في الحقيقة خوفا ورجاء لما يلحقه ضرر في نفسه إن حل به ذلك ويلحقه نفع فيكون الخوف على نفسه حقيقة خوف والرجاء حقيقة رجاء وأما على غيره.
[١١] ن ع م: لغيره.
[١٢] ع: أي نال.
[١٣] ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها﴾ (سورة النساء، ٣٥/٤).
[١٤] ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فإن خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افْتَدَتْ به﴾ (سورة البقرة، ٢٢٩/٢).
[١٥] م: عليكم.
[١٦] جميع النسخ: في غيره.
[١٧] ن: في غيره.

قال[1] الله عز وجل: إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.[2] والرجاء إذا لم يكن فيه خوف[3] فهو أَمْن. قال[4] [الله عز وجل]: فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.[5]

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **فقال الملأ الذين كفروا من قومه**، قيل: أشراف قومه وأئمتهم، **ما نراك إلا بشرا مثلنا**؛ وكذلك قال عامة القوم لرسلهم الذين بُعِثوا إليهم: مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا.[6] كان هذا احتجاجهم في رد الرسالات.[7] يحتجّون على الرسل فيقولون -والله أعلم- إن الرسل في الشاهد إنما يجيئون[8] مِن عند المرسِل، وأنتم نشأتم[9] بين أظهُرنا، لم تأتونا مِن أحد في الظاهر. والرسول هو الذي يأتي مِن عند غيرٍ. ويكون للرسول[10] خصوصية[11] عند المرسِل، ولا نرى لك خصوصية لا في الخلقة ولا في القدرة والمال وغيره. فكيف بُعثتم إلينا رسلا دون أن نُبعَث[12] نحن إليكم رسلا، إذ أنتم ونحن في الخلقة سواء، وفي الأمور الظاهرة سواء؟ أو نحوه[13] من الكلام. احتجوا[14] على رسلهم في رد الرسالة. وكذلك كان عادة الكفرة يقولون للرسل. إذا لزمتهم الحجة وأقيم عليهم نسبوها إلى السحر، ونسبوا الرسل [إلى] أنهم بشر مثلهم. فجواب هذا كله ما ذكر: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ،[15]

---

[1] ع م: وقال.
[2] سورة يوسف، ٨٧/١٢.
[3] ن – فهو إياس قال الله عز وجل إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون والرجاء إذا لم يكن فيه خوف.
[4] ن ع م: وقال.
[5] سورة الأعراف، ٩٩/٧.
[6] ﴿قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ (سورة يس، ١٥/٣٦).
[7] م: الرسالة.
[8] ن ع م: يجيبون.
[9] ع م + من.
[10] م: للرسل.
[11] ن: خصوصيته.
[12] ن: أن يبعث.
[13] ع: أو نحو.
[14] ع م: واحتجوا.
[15] ﴿قالت لهم رسلهم إنْ نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يَمُنُّ على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (سورة إبراهيم، ١١/١٤).

وما قال لهم نوح: يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ،[١] أي آتاني رحمة من عنده[٢] وجعل لي بينة وبرهانا[٣] على ما آتاني رحمةً مِن عنده. بمثل هذا يُحتَجّ عليهم. ويقال أيضا: إنكم لا تنكرون فضل الله وتخصيص بعض على بعض لِما جعلكم أئمة ورؤساء بأمور الدنيا على غيركم.[٤] فكيف تنكرون فضل الله وتخصيص بعض على بعض بفضل الدين والرسالة؟

وقوله عز وجل: **وما نراك اتبعك إلا الذين هم أَرَاذِلُنا بادِيَ الرأي**، احتجوا أيضا في رد الرسالة، يقولون: إن الأَراذِل هم أتْباع لكل مَن دعاهم وأهلُ طاعةٍ لكل متبوع. فليس في اتّباع الأراذل إياك والضعفاء دلالة ثبوت رسالتك، إذ هم يتبعون بلا دليل ولا حجة. وهم فروع وأتْباع لغيرٍ، و لم يتبعك أحد من الأصول. لكن يقال: إن هؤلاء الأراذل لمّا اتبعوا الرسل[٥] و لم يتبعوا الأئمة[٦] والرؤساء الذين معهم الأموال والدنيا و لم يكن في أيدي الرسل ذلك ثم تركوا اتّباع أولئك وفي أيديهم ما يدعوهم إليه واتّبعوا الرسل دل أنهم إنما اتّبعوا[٧] الرسل بالحجة والبراهين[٨] التي أقاموها عليهم، أو نحوه.

والأراذل قيل: هم السَّفَلة[٩] والضعفاء. وقال القُتَبي: **أراذلنا**: شرارنا.[١٠] و **بادي الرأي**، قال[١١] بعضهم: ظاهر الرأي، مِن قولك: بَدَا لي ما كان خفِيا. وقال بعضهم: **بادي الرأي**، خفيف الرأي، لا يعرفون حقائق الأمور، إنما يفهمون[١٢] ظواهرها. كأنهم يقولون: إنما اتّبعك[١٣] من كان خفيف الرأي وباديَه، لم يتّبعوك من يعرف حقائق الأمور والأصول. وقد قُرِئ: بادئ الرأي، بالهمز.[١٤] وقد قرئ بغير همز.[١٥] ومن قرأ بالهمز فهو من الابتداء، أي في أول الرأي وابتدائه،

---

[١] الآية التالية.
[٢] ع م – أي آتاني رحمة من عنده.
[٣] م: وبرها.
[٤] جميع النسخ: على غيرهم.
[٥] ك ن ع: الرسول.
[٦] ن: الرسل.
[٧] ن: لما اتبعوا.
[٨] ع م: والبرهان.
[٩] ك: السفهاء.
[١٠] ن: أشرارنا. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٣.
[١١] ع: وقال.
[١٢] م: يعرفون.
[١٣] ك: اتبعوك.
[١٤] قرأ أبو عمرو بالهمز. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٨٨/٢.
[١٥] ع: بغيرهم.

لا ينظر في عواقب الأمور. ومن قرأ بغير همز فهو من الظهور، أي ظاهر الرأي[١] على غير تفكُّر[٢] ونظر فيه.

وقوله عز وجل: **وما نرى لكم علينا مِن فضل**،[٣] يحتمل هذا[٤] فضلا في الخلقة أو في[٥] ملك أو مال أو لا[٦] في شيء. لكن جواب هذا ما سبق.

وقوله عز وجل: **بل نظنكم كاذبين**، هكذا كانت عادة[٧] الكفرة، يردّون دلالات الرسل والحجج بالظن، لم يردّوا لحقيقةٍ[٨] ظهرت.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[٢٨]

[٣٤٣ر] وقوله عز وجل: **قال يا قوم أرأيتم** / **إن كنتُ على بينةٍ مِن ربي**، أي على بيان من ربي، أو على حجة من ربي وبرهان، فيما آتاني من رحمته. والرحمة تحتمل النبوة؛ لأنهم كانوا ينكرون رسالته لِما أنه بشر مثلهم، فكيف خُصّ هو بها دونهم وهو مثلهم؟ فيقول: **وآتاني رحمة**، أي النبوة، وآتاني أيضا على ذلك بينة وحجة. وتحتمل[٩] الرحمة الدين الذي كان يدعوهم إليه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فعُمِّيَتْ عليكم**، قُرِئ بالتخفيف والتشديد.[١٠] أي لُبِّسَتْ[١١] أو الْتَبَسَ عليكم حيث أعرضتم عنه. ومن قرأ بالتشديد: **فعُمِّيَتْ عليكم**، يرجع إلى الأَتْباع والسَّفَلة، أي عَمَّتْ[١٢] عليهم القادة والرؤساء منهم ولَبَّسَتْ. وعَمِيَتْ بالتخفيف، أي الْتَبَسَ وعَمِيَ على القادة والرؤساء.

---

[١] ن ع م: بالرأي.
[٢] ع م: على تفكر.
[٣] ع م+ الآية.
[٤] جميع النسخ + أي.
[٥] ع: وفي.
[٦] جميع النسخ: ولا.
[٧] ع + عادة.
[٨] ع: بحقيقة؛ م: بحقيقته.
[٩] ن ع م: ويحتمل.
[١٠] قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بضم العين وتشديد الميم: فعُمِّيَتْ. وقرأ الباقون بفتح العين وتخفيف الميم: فعَمِيَتْ. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٨٨.
[١١] ع: أي ليست.
[١٢] م: أي عميت.

وقوله عز وجل: **أَنُلْزِمُكُمُوها**، أي أنوجبها[١] عليكم؟ وهي [النبوة] التي ذكر أنه آتاها إياه، أو البينة[٢] التي ذكر أيضا، أو الدين[٣] الذي كان يدعوهم إليه. أي لا نوجبها[٤] عليكم[٥] ولا نُلزِمها **وأنتم لها كارهون**، بلا حجة ولا برهان،[٦] أي لا نُلزِمها لكم بلا حجة شئتم أو أبيتم، ولكن بحجة. وفيه أن الدين لا يُقبَل بالإكراه.

[٣٤٣و س٣٣ * وما روي في حرف أبي بن كعب: أنلزمكموها شطر أنفسنا،[٧] فمعناه أنلزمكموها نحو[٨] أنفسنا وأنتم قوم معاندون. وفي حرف[٩] ابن عباس: أنلزمكموها مِن شطر أنفسنا،[١٠] أي مِن تلقاء أنفسنا، أي لا نقدر أن[١١] نُلزِمكم ذلك من تلقاء أنفسنا وأنتم[١٢] كارهون لذلك.* ٣٤٣و س٣٦]

﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً**، على تبليغ الرسالة إليكم،[١٣] أو على إقامة الحجة على ما أدَّعي من الرسالة، أو على[١٤] الدين الذي يدعوهم[١٥] إليه. أي لا أسألكم على ذلك أجرا، فلماذا تُعرِضون عما أدعوكم إليه وأقيمه عليكم ليكون لكم الاحتجاج أو الاعتذار.

---

[١] ن م: أي أنوحيها، ع: أي نواحيها.
[٢] ع: والبينة؛ م: إياه البينة.
[٣] ع م: والدين.
[٤] ع: لا نواحيها.
[٥] ن – وهي التي ذكر أنه آتاها إياه أو البينة التي ذكر أيضا أو الدين الذي كان يدعوهم إليه أي لا نوجبها عليكم، صح هـ.
[٦] جميع النسخ + وأنتم لها كارهون.
[٧] روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قرأ: أنلزمكموها مِن شطر أنفسنا، كما روي عنه أنه قرأ: أنلزمكموها مِن شطر قلوبنا. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٩/١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤١٦/٤.
[٨] ع م: نحن.
[٩] ن – أبي بن كعب أنلزمكموها شطر أنفسنا فمعناه أنلزمكموها نحو أنفسنا وأنتم قوم معاندون وفي حرف، صح، هـ.
[١٠] *تفسير الطبري*، ٢٩/١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤١٦/٤.
[١١] ع – أن.
[١٢] ع: وهم.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٣٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٤٣و/سطر ٣٣-٣٦.
[١٣] ن: عليكم.
[١٤] ن: وعلى.
[١٥] ك: ويدعوهم.

وكذلك يخرج[١] قوله: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ،[٢] أي لا تسألهم أجرا على ما تبلّغه إليهم[٣] وتدعوهم[٤] إليه فيمنعهم[٥] ثِقَل ذلك الغُرْم إجابتهم لك،[٦] فعلى ذلك الأول. ذكر هذا لأن ما يلحق الإنسان من الضرر إنما يمنعه عن الإذعان بالحق والإقبال إليه والقيام بوفائه، أو يمنع ذلك لما[٧] لا يتبين له الحق، لئلا يكون لهم الاحتجاج والاعتِلَال عند الله وإن لم يكن لهم حجة. وهو[٨] كقوله:[٩] لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ.[١٠] ليس على أنه إذا سألهم على ذلك أجرا يكون لهم عذر في رد ذلك وترك الإجابة له؛ إذ لله أن يكلفهم الإجابة والطاعة له بالمال وبغير[١١] المال. والثاني [أي] يقول:[١٢] **لا أسألكم**، على ما أدعوكم إليه وأبلغه إليكم،[١٣] **مالاً**، مع حاجتي وقلة مالي، فيقع عندكم أنّي أدعوكم إليه رغبةً فيما في أيديكم[١٤] من الأموال أو لمنفعة نفسي. بل إنما أدعوكم إلى ما أدعوكم[١٥] إليه لمنفعة أنفسكم.

وقوله عز وجل: **إنْ أجريَ إلا على الله**، أي ما أجري إلا على الله في ذلك، ليس عليكم.

وقوله عز وجل: **وما أنا بطاردِ الذين آمنوا**، فيه دلالة أنهم[١٦] كانوا[١٧] سألوا رسولهم أن يتخذ لهم مجلسا على حِدَةٍ ويُفرِد لهم ذلك دون الأراذل والضعفاء الذين اتبعوه ويَطردَ الضعفاء، وهو كقوله: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ،[١٨] الآية.

---

[١] ن – يخرج.
[٢] سورة الطور، ٥٢/٤٠؛ وسورة القلم، ٦٨/٤٦.
[٣] ن ع م: ما نبلغه إليكم.
[٤] ك: ويدعوكم؛ ن ع م: وندعوكم.
[٥] ك: فيمنعكم؛ ن ع م: فتمنعكم.
[٦] جميع النسخ: إجابتكم إياه.
[٧] ع م: بما.
[٨] ع م – وهو.
[٩] ع م: وكقوله.
[١٠] ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ (سورة النساء، ٤/١٦٥).
[١١] م: وغير.
[١٢] جميع النسخ: بقوله.
[١٣] ك: وأبلغكم إياه.
[١٤] م: فيما أيديكم.
[١٥] ع – إلى ما أدعوكم.
[١٦] م – أنهم.
[١٧] م: كأنهم.
[١٨] ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغَدَاة والعَشِيِّ يريدون وجهه ما عليك مِن حسابهم مِن شيء وما مِن حسابك عليهم مِن شيء فتطردَهم فتكونَ مِن الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٦/٥٢).

وقال أهل التأويل: **وما أنا بطارد الذين آمنوا**، أي ما أنا بالذي لا يقبل[1] الإيمان من الأراذل والضعفاء عندكم، لقولهم[2] حيث قالوا: وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ،[3] [أي] ظاهر الرأي؛[4] لأنهم يقولون: اتّبعوك الأراذل ظاهرا، وأما في الباطن فليسوا على ذلك. ولذلك قال: وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اَللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ،[5] يعني ما في قلوب السَّفَلة. فيقول: **وما أنا بطارد الذين آمنوا**، ظاهرا، الله أعلم بما في قلوبهم.

وقوله عز وجل: **إنهم مُلَاقُوا ربهم**، يحتمل وجهين. أي **مُلَاقُوا ربهم**، فيَشكُون[6] مِنِّي إليه في رد إيمانهم ويخاصمونني في ذلك ويطالبونني في طردي إياهم. والثاني **إنهم مُلَاقُوا ربهم**، بإيمانهم،[7] ظاهرا كان إيمانهم أو باطنا. أي في أي حالٍ هم يلاقون ربهم فيجزيهم بما هم عليه. كقوله: إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ.[8]

وقوله عز وجل: **ولكنّي أراكم قوما تجهلون**، يحتمل **تجهلون** ما أدعوكم إليه. أو **تجهلون** في قولكم:[9] إنهم إنما آمنوا واتبعوا في ظاهر الحال، وأما[10] في السر فلا. أو **تجهلون** ما يلحقني في طردهم.

﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **ويا قوم مَن ينصرني مِن الله**، أي مَن يمنعني مِن عذاب الله، **إن طردتهم**، على ما تدعونني إليه. أو مَن يمنعني مِن عذاب الله إن لم أقبل منهم[11] الإيمان. **أفلا تذكّرون**، أنه لا يسع لي ما تدعونني إليه[12] مِن طرد هؤلاء أو ردّ إيمانهم. أو **أفلا تذكّرون**، فتؤمنون.*

---

[1] ن ع: لا أقبل.
[2] ع: لقوله.
[3] سورة هود، ٢٧/١١.
[4] ع م - ظاهر الرأي.
[5] سورة هود، ٣١/١١.
[6] ك: فيشكوا.
[7] م - بإيمانهم.
[8] ﴿قالوا أنؤمن لك واتّبعك الأرذلون. قال وما عِلْمِي بما كانوا يعملون. إنْ حسابهم إلا على ربي لو تشعرون. وما أنا بطارد المؤمنين. إنْ أنا إلا نذير مبين﴾ (سورة الشعراء، ١١١/٢٦-١١٥).
[9] ع: في قلوبكم.
[10] ع: وما.
[11] ع: من.
[12] ن - إليه.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٠، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٤٣و/سطر ٣٣-٣٦.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٣١]

وقوله: **ولا أقول لكم عندي خزائن الله**، يخرج على وجوه. أحدها يقول: ليس عندي خزائن الله والسّعة فأبذل لكم لتؤمنوا رغبةً في المال والسّعة. والثاني يقول: ليس عندي سَعة فيقع عندكم أني أدعوكم إلى ما أدعوكم إليه افتعالاً رغبةً في المال على ما يفعل المُفتعِلون للرغبة في المال، ولكن لتعلموا أني مكلّف في ذلك. والثالث يحتمل ما ذكرنا من أسئلةٍ كانت منهم.

وقوله: **ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني مَلَك**، هذا القول منه لهم يحتمل الوجهين.[١] أحدهما / أنه قال ذلك لهم على إثر أمور وأسئلة كانت منهم من نحو [٣٤٣ظ] قولهم: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ،[٢] وقولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ -وقولهم- أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ،[٣] وأمثال ما كان منهم. فيقول لهم: ليس ذلك عندي وبيدي، إنما ذلك عند الله وبيده. **ولا أعلم الغيب**، يحتمل أن يكونوا[٤] سألوه أن يخبرهم عن أمورٍ تَستقبلهم قَبْل أن يستقبلهم. إن كان شرا فيُعِدّوا له في دفعه، وإن كان منافع فيستقبلوا[٥] لها ويتأهّبوا. فيقول لهم: ذا غيبٌ، وأنا[٦] لا أعلم الغيب، إنّما العلم في ذلك إلى الله.

ولا أقول إني مَلَك، أعلم أخبار السماء والأمور التي فيها، إنما أنا بشر مثلكم. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال:[٧] **ولا أقول لكم عندي خزائن الله**، أي مفاتيح الله في الرزق. فهذا كأنهم سألوه السّعة فيتبعونه، فيقول: ليس عندي ذلك. ويحتمل أن يكون قال لهم الرسول هذا لدفع الشُّبه عنهم.

---

[١] أي يحتمل أنه نزل جوابا على أسئلتهم، ويحتمل غير ذلك.

[٢] سورة هود، ١١/١٢.

[٣] ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض يَنبُوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتُفَجِّرَ الأنهار خلالها تفجيرا. أو تُسقِطَ السماء كما زعمت علينا كِسَفًا أو تأتِيَ بالله والملائكة قَبِيلا. أو يكونَ لك بيت من زُخرف أو تَرقى في السماء ولن نؤمن لرُقِيّك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٩٠-٩٣).

[٤] ن ع م: أن يكون.

[٥] ن: فليستقبلوه.

[٦] ن ع ن: فأنا.

[٧] ع – قال.

وذلك أنّ مِن الكفار مَن اتخذ الرسول إلهًا فعبدوه بعد ما عاينوا أنه من البشر. ومنهم من قال: إنه ابن الله،[١] ومنهم من قال:[٢] إنه مَلَك -وكانوا يعبدون الملائكة- وكانوا يخبرونهم عن أشياء غابت[٣] عنهم. فظنوا[٤] أنه إنما عَلِم ذلك لأنه إله. فيقول لهم ذلك ليدفع عنهم[٥] تلك الشُّبَه ويتبرّأ من ذلك. ولذلك قال عيسى: إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا.[٦] هو[٧] عليه السلام كان يعلم في نفسه أنه عبد الله، ولكن يقول لهم[٨] [ذلك] لئلا ينسبوه إلى الألوهية والربوبية على ما نسبوا إليه، فأقر بالعُبُودَة له. *والله أعلم بذلك*.

وقال بعض أهل التأويل: **ولا أقول لكم عندي خزائن الله**، أي مفاتيح الله بأنه يَهدي السَّفَلة دونكم، **ولا أعلم الغيب**، أي لا أقول:[٩] إن عندي علم[١٠] ذلك [من] أنّ الله يهديهم وهم مؤمنون في السر. وذلك كقوله: وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ،[١١] وقولِه: **الله أعلم بما في أنفسهم**، مِن الصدق. **ولا أقول إني مَلَك**، أي إنما أنا[١٢] بشر، لقولهم: مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا،[١٣] إلى آخر الآية.

ثم قال: **ولا أقول للذين تَزْدَرِي أعينكم**، قيل: الذين حقرتموهم، يعني السَّفَلة والأَتْباع. وقال ابن عباس: الذين لم تأخذهم أعينكم. **لن يؤتيهم الله خيرا**، يعني إيمانا،[١٤] **الله أعلم بما في أنفسهم**، مِن الصدق، **إني إذًا لمن الظالمين**، لهم إن لم أقبل منهم الإيمان أو طردتهم. *والله أعلم*.

---

[١] م - ومنهم من قال إنه ابن الله.
[٢] ك: من قالوا.
[٣] ع: غايب.
[٤] ك: وظنوا.
[٥] ك: عنكم.
[٦] ﴿قال إني عبد الله آتانيَ الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دُمتُ حيا﴾ (سورة مريم، ١٩/٣٠-٣١).
[٧] أي نوح.
[٨] م - لهم.
[٩] ك: ولا أقول.
[١٠] ن ع م: غيب.
[١١] سورة الشعراء، ٢٦/١١٢.
[١٢] ك - أنا.
[١٣] سورة هود، ١١/٢٧.
[١٤] ع: إيما.

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا**، قالوا ذلك لأنه قد كان طال عمره وهو بين أظهرهم ويدعوهم إلى الإيمان، فأكثرَ حِجاجَه[1] ومجادلته إياهم، فقالوا: **فأكثرت جدالنا فأتنا بما تَعِدُنا إن كنت من الصادقين**، وكان يَعِدُهم العذاب إن لم يجيبوه، كقوله: إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ،[2] وما كان وعد لهم في غير آية من القرآن إن لم يجيبوه، فقالوا: ائتنا بما تَعِدُنا من العذاب.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[٣٣]

قال إنما يأتيكم به الله إن شاء، أي ليس إليّ[3] إتيان ذلك، إنما ذلك إلى الله، إن شاء عجّل، وإن شاء أخّر إلى ما بعد الموت. وهو كقول رسول الله لقومه: لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.[4]

وقوله عز وجل: **وما أنتم بمُعجِزين**، أي لا تُعجِزون الله عن تعذيبكم فتفوتون[5] عنه. وقيل: وما أنتم بسابقي الله بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها. وهو واحد. *والله أعلم*.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣٤]

وقوله: **ولا ينفعكم نُصْحِي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يُغوِيَكم**، تأويله -والله أعلم- لا ينفعكم دعائي إلى ما به نجاتكم **إن كان الله يريد أن يُغوِيَكم**. ثم اختلف في وقت ذلك. قال بعضهم: لا ينفعكم نُصْحِي عند إقبال العذاب عليكم[6] إن كان مِن حُكم الله أن تكونوا مِن الغاوين في ذلك الوقت. وقال بعضهم: قوله: **ولا ينفعكم نُصْحِي... إن كان الله يريد أن يُغوِيَكم**،[7]

---

[1] ع: حجاجة.

[2] سورة هود، ٢٦/١١.

[3] م: لي.

[4] سورة الأنعام، ٥٨/٦.

[5] ك: فيفوتون.

[6] ن: إليكم.

[7] ع م – ثم اختلف في وقت ذلك قال بعضهم لا ينفعكم نصحي عند إقبال العذاب عليكم إن كان من حكم الله أن تكونوا من الغاوين في ذلك الوقت وقال بعضهم قوله ولا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم.

أي لا ينفعكم نُصْحِي إن كان الله يريد[١] أن يعذبكم في نار جهنم، ويقول: الغَيّ العذاب، كقوله: فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا،[٢] أي عذاب جهنم، ونحوه[٣] من الكلام. وأما عندنا[٤] فهو على ما أخبر. إن كان الله يريد إغواء قوم أبدا فهم في الغِواية أبدا.[٥] وأصله أن الله أراد غِواية مَن في علمه أنه يختار الغِواية، وأراد ضلال كل مَن في علمه أنه يختار الضلال؛ لأن مَن في علمه أنه يختار الغِواية[٦] والضلال اختار عداوته.[٧] ولا يجوز أن يريد هو هداية مَن يعلم أنه يختار عداوته؛ لأن ذلك يكون من الضَّعْف أن يختار المرء ولاية من يختار هو[٨] عداوته. فدل أنه لم يرد الهداية لمن علم منه اختيار الغِواية والضلال.

ثم إضافة الإغواء والإزاغة والإضلال إلى الله يخرج على وجهين. أحدهما أنه ينشئ ذلك الفعل منهم غيًّا وزَيْغًا وضلالًا، لأن[٩] فِعلَهم فِعلُ غِواية وزَيْغ. والثاني أنه خذَلهم فلم[١٠] يوفِّقْهم ولم يرشدهم ولم يَعصمهم ولا سَدَّدهم. فمِن ذا الوجه ليس فِعلُه فِعلا يُذَمّ[١١] عليه حتى يُتَحَرَّج[١٢] بالإضافة إليه. ومِن [وَجه] الإضافة إلى الخلق يكون على الذم، لأن فِعلَهم نفسَه فِعلُ غِواية وضلال.[١٣] فاستوجبوا الذمّ عليه بذلك. والإغواء من الخلق هو الدعاء إلى ذلك أو الأمر[١٤] به، فهو مذموم، يُذَمُّون على ذلك.[١٥] وليس مِن الله مِن هذا الوجه، ولكن على الوجهين اللذين ذكرناهما.

---

[١] ع م – يريد.

[٢] ﴿فخلَفَ مِن بَعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غَيًّا﴾ (سورة مريم، ٥٩/١٩).

[٣] ن ع – ونحوه.

[٤] ن ع م: وما عندنا.

[٥] ن ع م – أبدا.

[٦] ع م – وأراد ضلال كل من في علمه أنه يختار الضلال لأن من في علمه أنه يختار الغواية.

[٧] ن: عداته.

[٨] ع م – هو.

[٩] ك + لأن.

[١٠] جميع النسخ: ولم.

[١١] ن ع م: فعل الذم.

[١٢] ع: حتى يتخرج.

[١٣] م: الغواية والضلال.

[١٤] م: والأمر.

[١٥] ع م + وليس على ذلك.

وفي قوله: **ولا ينفعكم نُصْحِي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يُغْوِيَكم**، دلالة تعليق الشرط على الشرط.[1]

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾[٣٥]

[٣٤٤و] وقوله عز وجل: **أم يقولون**، أي بل يقولون[2] إنه، **افتراه**، مِن عند / نفسه، **قل إن افتريته فعليّ إجرامي وأنا بريء مما تجرمون**، اختلف فيه. قال بعضهم: قال قوم نوح لنوح عليه السلام: إنه افترى على الله أنه رسول إليهم من الله على ما سبق من دعائه[3] قومَه إلى دين الله. فقالوا له: إنه افتراه. وقال بعضهم: هو قول[4] قوم محمد صلى الله عليه وسلم. قالوا: افترى محمد هذا القرآن من نفسه، ليس هو من الله على ما يزعم. وهو ما قال في صدر السورة، وهو قوله: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ،[5] إلى آخر ما ذكر. فعلى ذلك هذا هو قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه افترى هذا القرآن -الذي يقول: هو مِن الله- مِن نفسه. فقال: **قل إن افتريته فعليّ إجرامي وأنا بريء مما تجرمون**، أي إن افتريته فعليّ جُرم افترائي وجزاؤه، **وأنا بريء مما تجرمون**، معناه -والله أعلم- أي لا تؤاخذون أنتم بجُرم افترائي إن افتريتُه، وأنا لا أؤاخذ بإجرامكم،[6] كقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[7] وكقوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ.[8] فعلى ذلك **إجرامي**. وأمكن أن يكون هذا القول لهم لما أيس من إيمانهم، كقوله: لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،[9]

---

[1] قال أبو السعود العمادي رحمه الله تعالى: «"إن اردت أن أنصح لكم"، شرط حُذِف جوابُه لدلالة ما سبق عليه. والتقدير: إن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي. وهذه الجملة دليل على ما حُذف من جواب قوله تعالى: "إن كان الله يريد أن يغويكم". والتقدير: إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي. هذا على ما ذهب إليه البصريون من عدم تقدم الجزاء على الشرط. وأما على ما ذهب إليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا: "ولا ينفعكم نصحي"، جزاء للشرط الأول. والجملة جزاء للشرط الثاني. وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الأول، وتعلُّقه به مُعلَّق بالشرط الثاني» (*إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم* لأبي السعود، (٢٠٤/٤).

[2] ك: تقولون.

[3] ع: من عائه.

[4] ع: بعضهم وقول.

[5] سورة هود، ١٣/١١.

[6] ع: لا أؤاخذنا جرامكم.

[7] ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تَوَلَّوْا فإنما عليه ما حُمِّل وعليكم ما حُمِّلْتُم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (سورة النور، ٥٤/٢٤).

[8] سورة الأنعام، ٥٢/٦.

[9] ﴿فلذلك فادْعُ واستَقِمْ كما أُمِرتَ ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأُمِرتُ لأعدِلَ بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ (سورة الشورى، ١٥/٤٢).

لمّا أيس عن إيمانهم وانقطع طمعه ورجاؤه عن[١] إسلامهم قال لهم ذلك أنْ لا محاجّة[٢] بيننا وبينكم بعد هذا. *والله أعلم.*

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**، قال بعضهم: إن نوحًا عليه السلام لم يَدْعُ على قومه بالهلاك ما دام يرجو[٣] ويطمع من قومه الإيمان، فلما[٤] أيس وانقطع رجاؤه وطمعه[٥] فحينئذ دعا عليهم بالهلاك، كقوله: رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا -أي أحدا- إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ،[٦] الآية. وعَرَف الإياس عن إيمانهم بقوله: **وأوحي إلى نوح**، الآية. وكذلك سائر الأنبياء والرسل لم يؤذَن لهم[٧] بالدعاء على قومهم بالهلاك والخروج مِن بين[٨] أظهرهم ما داموا يَرجون ويطمعون منهم الإيمان والإجابة لهم. فإذا[٩] أيسوا وانقطع رجاؤهم وطمعهم عن ذلك فعند ذلك أُذِن لهم بالدعاء عليهم بالهلاك والخروج مِن بين أظهرهم. وعلى ذلك عوتب يونس بالخروج مِن بين أظهرهم قبل أن يؤذَن له بالخروج مِن بينهم.[١٠]

وفي قوله: **لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**، دلالة أن للإيمان حكم التجدُّد والابتداء في كل وقت وكل حال؛ لأنه أخبر أن الذي قد آمن قد يؤمن في حادث الوقت. وعلى ذلك يخرج الزيادات التي ذكرت في الإيمان: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[١١] ونحوه. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فلا تَبْتَئِس بما كانوا يفعلون**، قيل: لا تحزن[١٢] بما كانوا يفعلون. فهو يحتمل وجهين. أحدهما لا تحزن بكفرهم بالله وتكذيبيهم[١٣] إياك. ليس على النهي عن الحزن في ذلك،

---

[١] م + عن.
[٢] ع: لا محالة.
[٣] ع: يرجوا.
[٤] جميع النسخ: فإذا.
[٥] ع م – وطمعه.
[٦] سورة نوح، ٧١/٢٦-٢٧.
[٧] ك – لهم.
[٨] ع: والخروج بين.
[٩] ع م: إذا.
[١٠] ع م – وعلى ذلك عوتب يونس بالخروج من بين أظهرهم قبل أن يؤذن له بالخروج من بينهم.
[١١] يقول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (سورة الأنفال، ٨/٢).
[١٢] ع: لا يحزن.
[١٣] ع: تكذيبهم.

ولكن[1] على رفع الحزن عنه والتسلّي به؛ لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يحزنون بكفر قومهم بالله وجَعلِهم[2] أنفسَهم أعداء له، كقوله لرسول الله: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[3] الآية، وقوله:[4] فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[5] وأمثاله. كان الأنبياء عليهم السلام أشد الناس حزنا بكفر قومهم بالله وتكذيبهم آياته، وأشدّهم رغبةً في إيمانهم. وكان حزنهم لم يكن على هلاكهم. ألا ترى أن نوحًا دعا عليهم بالهلاك، وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام. دل[6] أن حزنهم كان لمكان كفرهم بالله وتكذيبهم آياته، لا لمكان هلاكهم إشفاقا على أنفسهم.

والثاني قوله: **فلا تبتئس بما كانوا يفعلون**، يحتمل أنهم كانوا همّوا قتله والمكر به، فقال: لا تحزن بما كانوا يَسْعَوْن في هلاكك، فإني أُكَافِئُهم.[7] قال أبو عَوْسَجة: قوله: **فلا تبتئس**، هو من الحزن، يقال: ابتأس يبتئس ابتئاسا. قال الكسائي[8] أيضا: **لا تبتئس**، أي لا تحزن. هو من البائس. يقال: لا تبتئس بهذا الأمر.

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا**، قال بعض أهل التأويل: **بأعيننا**: بأمرنا ووحينا. وقال بعضهم: بمَنْظَرنا ومَرْأى مِنّا. ولكن عندنا يحتمل وجهين. أحدهما قوله: **بأعيننا**، أي بحفظنا ورعايتنا. يقال: عين الله عليك، أي حفظه عليك. ثم لا يُفهَم من قوله: **بأعيننا**، نفس العين على ما لا يُفهَم من قوله:[9] ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ،[10] و كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ،[11] [نفس الأيدي]. ولكن ذكر الأيدي لما في الشاهد إنما يُقدَّم باليد ويُكتسَب باليد. فعلى ذلك ذكر العين لما[12] بالعين يُحفَظ في الشاهد.

---

[1] ك: بل.
[2] ك: وجعل.
[3] ﴿لعلّك باخِعٌ نفسَك أن لا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء، ٣/٢٦).
[4] ك – وقوله.
[5] ﴿أفمَن زُيِّن له سُوءُ عملِه فرآه حَسَنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تَذْهَبْ نفسُك عليهم حَسَرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ (سورة فاطر، ٨/٣٥).
[6] ع م – دل.
[7] م: كافيهم.
[8] ن ع: الكيساني.
[9] ك – قوله.
[10] ﴿ذلك بما قَدَّمت أيديكم وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد﴾ (سورة آل عمران، ١٨٢/٣).
[11] ﴿وما أصابكم مِن مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ (سورة الشورى، ٣٠/٤٢).
[12] ك + في.

والثاني قوله: **بأعيننا**، أي بإعلامنا إياك؛[١] لأنه لو لا تعليم الله إياه اتخاذ السفينة ونَجْرَها لم يكن ليعرف أنْ كيف يتخذ وكيف يَنْجُر.[٢] إنما عرف ذلك بتعليم الله إياه. ***والله أعلم.***

وقوله تعالى: **ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُغرَقون**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل أي لا تشفع إليّ في نجاة[٣] الذين ظلموا، فإنهم مُغرَقون في حُكم الله. والثاني لا تخاطبني في هداية الذين هم في حُكم الله أنهم يموتون ظَلَمَة، أي لا تسألني إيمان مَن في علم الله أنه لا يؤمن. وفيه نهي السؤال عما في علم الله أنه لا يكون؛ لأنه إذا أخبر أنه لا يكون أو لا يفعل فإذا سأله كأنه[٤] يسأله أن يُكذِّب خبره الذي أخبر أنه لا يكون. وفيه أن مَن أراد الله إيمانه[٥] آمن، / ومَن لم يُرد إيمانه لا يؤمن.[٦] [٣٤٤ظ]

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **ويصنع الفُلْكَ وكلما مرّ عليه ملأ مِن قومه**، الملأ هم الأشراف والرؤساء من قومه، **سخروا منه**، هم الذين سخروا منه. قال بعضهم: سخريتهم منه أن قالوا: صار نجّارا بعد ما ادّعى لنفسه الرسالة. وقال بعضهم: سخريتهم منه[٧] لِما رأوه يتخذ الفُلك ولم يكن هنالك بحر ولا واد ولا مياه جارية، إنما هي آبار لهم.[٨] فقالوا: يتخذ[٩] السفينة ليسيّرها في البَرَاري والمَفاوِز، ونحوه من الكلام.

قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم، وقالوا: سخريتهم[١٠] منهم أنه إذا ركبوا الفُلك [و]رأوهم يغرقون[١١] قالوا: كنتم على حق وعلى هدى، ونحوه من الكلام. لكن هذا [مما] لا نعلم.

---

[١] ع: أيدك.

[٢] النَّجر: القطع. ومنه نَجْر النجار. وقد نَجَر العود نَجْرا. والنَّجر عمل النجار ونَحْته. والنَّجر نَحْت الخشبة. نَجَر الخشبة يَنْجُرها نَجْرا: نَحَتها. والنجار صاحب النَّجر. وحرفته النِّجارة (*لسان العرب* لابن منظور، «نجر»).

[٣] ع: من نجاة.

[٤] ع م: كان.

[٥] جميع النسخ: إيمان أحد.

[٦] ك: لم يؤمن.

[٧] م - منه أن قالوا صار نجارا بعد ما ادعى لنفسه الرسالة وقال بعضهم سخريتهم منه.

[٨] ك: لكم.

[٩] م: يتخذوا.

[١٠] جميع النسخ: سخريته.

[١١] ع: يعرفون؛ م: رأوا هم يعرفون.

ولا حاجة لنا إلى معرفة سخريتهم أنْ كيف كانت سِوى أنّ فيه أنهم[1] سخروا منه. ويحتمل قوله: **فإنا نسخر منكم**، أي نجزيهم[2] جزاء سخريتهم.

﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **فسوف تعلمون**، هو وعيد. أي سوف تعلمون أن حاصل سخريتكم يرجع[3] إليكم، كقوله: وَمَا يَخْدَعُونَ،[4] الآية. أي سوف تعلمون إذا نجونا نحن وغرقتم[5] أنتم **من يأتيه عذاب يخزيه**، أي عذاب يفضحه ويهلكه، وهو الغرق. **ويَحِلّ عليه عذاب مُقيم**، أي عذاب يدوم. وقال بعضهم: **عذاب مُقيم**، هو عذاب الآخرة، كقوله: أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا.[6] وأما قول أهل التأويل: إن سفينة نوح كان طولها كذا وعرضها كذا وقامتها كذا،[7] فليس لنا بذلك علم، ولا حاجة لنا إلى معرفة ذلك. فإن صح ذلك فهو ما قالوا. وقولهم: كان لها ثلاثة أبواب وثلاثة أطباق، فذلك أيضا لا نعرفه. ***ولا قوة إلا بالله***.

﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **حتى إذا جاء أمرنا وفار التنُّور**، قوله: **جاء أمرنا**، أي جاء وقت أمرنا بالعذاب[8] الذي استعجلوه، كقولهم: فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ.[9] وكذلك كانت عادة الأمم السالفة استعجال العذاب من رسلهم. وسمي[10] العذاب أمر الله لما لا صنع لأحد فيه. وكذلك المرض سمي أمر الله لما لا صنع لأحد من الخلائق فيه، وسمي الصلاة أمرَ الله لما بأمره يصلّى.

---

[1] م – أنهم.
[2] ع م: أي يجزيهم.
[3] جميع النسخ: رجع.
[4] ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (سورة البقرة، ٩/٢).
[5] ع م: وعرفتم.
[6] ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا﴾ (سورة نوح، ٢٥/٧١).
[7] ع – وقامتها كذا.
[8] ن + بالعذاب.
[9] سورة هود، ٣٢/١١.
[10] م: سمي.

وقوله عز وجل: **وفار التنُّور**، قال أبو عَوْسَجَة: **وفار التنُّور**، يقال: فار الماء، أي خرج، يفور فورًا، أي غلى كما تَغلِي القِدْر. وتصديقه قوله: وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ.[١] قالوا: فار، أي خرج وظهر. **والتنُّور** اختلف فيه. قال بعضهم: التنُّور هو وجه الأرض. قالوا: إذا رأيت الماء خرج[٢] ونبع وظهر على وجه الأرض فاركب. وقال بعضهم: **التنُّور** هو التنُّور الخابزة التي يُختَبز فيها. قالوا: إذا رأيت الماء نبع من تنُّورك فاركب. قالوا: كان الماء ينزل من السماء وينبع من الأرض، كقوله: فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا.[٣] لكن جعل علامة وقت ركوبه السفينة هو خروج الماء من الأرض ونَبْعه منها.

وقوله عز وجل: **قلنا احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين**، يحتمل[٤] هذا وجهين. يحتمل أنْ كنا قلنا له إذا فار التنُّور **احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين.**[٥] ويحتمل أنْ قلنا له وقت فَوْر الماء من التنُّور **احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين.**[٦] وقوله عز وجل: **من كلٍ زوجين اثنين**، الزوج هو اسم فردٍ لذي شَفْع. ليس هو اسم الشَّفْع حتى يقال عند[٧] الاجتماع[٨] ذلك. ولكن ما ذكرنا أنه اسم فَرْد لذي شَفْع. كان الإناث صنفا وزوجا[٩] والذكور صنفا وزوجا.[١٠] فيكون الذكر والأنثى زوجين. ***والله أعلم.***[١١] وقوله عز وجل: **زوجين اثنين**، أي من ذكر وأنثى. ثم يحتمل زوجين من ذوي الأرواح التي تكون[١٢] لها[١٣] النسل لئلا ينقطع نسلهم. ويحتمل ذوي الأرواح وغيره. ***والله أعلم.***

---

[١] ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير. إذا أُلقُوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور. تكاد تَمَيَّزُ من الغيظ﴾ (سورة الملك، ٦٧/٦-٨).

[٢] ع م: وخرج.

[٣] ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء مُنْهَمِر. وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قُدِر﴾ (سورة القمر، ٥٤/١١-١٢).

[٤] ع م: ويحتمل.

[٥] ك – يحتمل هذا وجهين يحتمل أن كنا قلنا له إذا فار التنور احمل فيها من كل زوجين اثنين، صح هـ.

[٦] ك + ويحتمل.

[٧] ك: هذا.

[٨] ع: الإجماع.

[٩] جميع النسخ: صنف وزوج.

[١٠] جميع النسخ: صنف وزوج.

[١١] ك – والله أعلم.

[١٢] ك ن: يكون.

[١٣] جميع النسخ: لهم.

وقوله عز وجل: **وأهلَك إلا من سبق عليه القول**، قال بعضهم: قوله: **وأهلك**، أراد أهله والذين آمنوا معه. يقول: **احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين**، واحمل أهلك أيضا، **إلا من سبق عليه القول**، أي إلا من كان في علم الله أنه لا يؤمن. أو إلا[1] من كان في علم الله أنه يهلك. وقال بعضهم: قوله: **وأهلك**، أراد أهله خاصة، ثم استثنى من سبق عليه القول، وهو ابنه وزوجته، وهما من أهله. ألا ترى أنه ذكر[2] مِن بعدُ[3] مَن آمن معه. وهو قوله: **ومن آمن**، أي احمل أهلك الذين آمنوا معك، **إلا من سبق عليه القول**، مِن أهلك وغيره أنه في الهالكين. أو يقول: **إلا من سبق عليه القول**، أنه لا يؤمن. فهذا يدل أن في أهله من كان ظالما كافرا حيث استثنى مِن أهله. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وما آمن معه إلا قليل**، يذكر هذا -والله أعلم- تذكيرًا لرسول الله[4] صلى الله عليه وسلم بمِنَنِه[5] ونعمه التي أنعمها عليه؛ لأن نوحا عليه السلام مع طول مُكثه بين أظهُر قومه وكثرة دعائه قومَه إلى دين الله ومواعظه لم يؤمن من قومه إلا القليل منهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع قلة مُكثه وقِصَر[6] عمره آمن من قومه الكثير؛ يُعرِّفه نعمه عليه. وفيه دلالة ردّ قول من يقول: إن المواعظ إنما تنفع الموعوظ على قدر استعمال الواعظ.[7] وليس هكذا. ولكن على قدر قبول الموعوظ إياها وقدر الإقبال إليها؛ لأن نوحا عليه السلام كان أشد الناس استعمالا للمواعظ وأكثرهم دعاء،[8] ثم لم يؤمن من قومه إلا القليل. دل أنه ليس لِما فهموا، ولكن لِما ذكرنا. وأما ما ذكر أهل التأويل أنه حمل
[٣٤٥و] في السفينة حبّات العِنَب، فأخذها[9] إبليس، فلم يعطه إلا أنْ أعطى له / الشركة.[10] فذلك شيء لا علم لنا به. فإن ثبت ذلك فيكون فيه دلالة أنْ ليس له في سائر الأنبذة والأشربة نصيب،

---

[1] ع م: وإلا.
[2] ك: ذلك.
[3] ع م - بعد.
[4] ن ع م - الله.
[5] ك ن م: منته؛ ع: ومنته.
[6] ك: وقطر.
[7] أي اتعاظ الواعظ بما يقول والعمل به.
[8] ن ع م - دعاء.
[9] جميع النسخ: فأخذه.
[10] روي في ذلك بعض الآثار. منها ما أخرجه النسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نوحا عليه السلام نازعه الشيطان في عُود الكَرْم. قال هذا: لي، وقال هذا: لي. فاصطلحا على أن لنوح ثلثها، وللشيطان ثلثها. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٢٣، ٤٢٥.

إنما يكون له فيما يخرج من العنب. وتقدير الثلث والثلثين إنما يكون في عصير العنب خاصة، ليس في غيره.[١] *والله أعلم*.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **وقال اركبوا فيها باسم الله مَجْراها ومُرْساها**؛ يحتمل قوله: **باسم الله مَجْراها**، أنه لِما قال لهم نوح: **اركبوا فيها**، [و]قولوا: **باسم الله مَجْراها ومُرْساها**. وهو كقول الناس: باسم الله مِن أوّله، على ما يقال ويُذكَر اسم الله[٢] في افتتاح كل أمر وكل عمل من ركوب ونزول وغيره. ويحتمل[٣] قوله: **باسم الله مَجْراها ومُرْساها**، أي بالله **مَجْراها ومُرْساها**، أي به تَجْري وبه تَرْسُو. أو إنه ليس كسائر السفن التي بأهلها تجري وبهم تقف، وهم الذين يتولّوْن ويتكلّفون إجراءها ووُقوفها.[٤] وأما سفينة نوح كانت جِرْيَتُها بالله، وبه رَسْوُها، لا صنع لهم في ذلك. *والله أعلم*.

*وقال القُتَبي: **مُرْسَاها**، أي تَقِف.[٥]* [٣٤٥و س٣٣]

وقوله[٦] عز وجل: **إن ربي لغفور رحيم**، هو ظاهر لمن آمن به وصدّق رسولَه، يُنجيه من الغرق والهلاك.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وهي تجري بهم في موج كالجبال**، هذا يدل على ما ذكرنا أنها كانت بالله تجري وبه تَرسُو حيث لم يخافوا الغرق مما كان[٧] من الأمواج. وأما سائر السفن فإن أهلها خافوا من أمواجها لما كانوا هم الذين يتولّوْن ويتكلّفون إجراءها ووَقْفَها. *والله أعلم*.

---

[١] زاد الشارح رحمه الله تعالى: «فيكون حجة لأبي حنيفة رحمه الله في المثلَّث. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨٣ظ). والمقصود بالمثلَّث هو ما ذكره المَرْغِيناني: «وعصير العنب إذا طُبِخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه حلال وإن اشتدّ. وهذا عند أبي حنيفة وأبي يوسف. وقال محمد ومالك والشافعي رحمهم الله: حرام» (*الهداية في شرح البداية* للمرغيناني، ٤/١١٢).

[٢] ك – اسم الله.

[٣] ع: يحتمل.

[٤] ن ع م: ووقفوها.

[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٤.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٤٤، فقدمناه إلى هنا. انظر ورقة ٣٤٥و/سطر ٣٣.

[٦] ن: قوله.

[٧] جميع النسخ: ما كان.

وقوله: **وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال**، هذا يدل على أنها كانت آية؛ لأن الأمواج تمنع عن جَرَيان السفينة وسَيْرها، فإذ[1] أخبر أنها لم تمنع هذه من جَرَيانها دلّ أنه أراد أنْ تصير آية لهم.[2]

وقوله عز وجل: **ونادى نوح ابنه وكان في مَعْزِل**؛ يحتمل قوله: **وكان في مَعْزِل**، أي بمَعْزِل مِن نوح. أو كان بمَعْزِل مِن السفينة أو ما كان.

وقوله عز وجل: **يا بُنَيَّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين**، يحتمل[3] لا تكن مع الكافرين لتغرق. أو لا تكن من الكافرين[4] لنعم الله.

﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **قال سَآوِي إلى جبل**، أي سأنضمّ إلى جبل، **يَعْصِمُني من الماء**، ظن المسكين[5] أن هذا الماء كغيره[6] من المياه[7] التي يُسْلَم منها[8] بالالتجاء إلى الجبال. فأخبر عليه السلام أنه لا مانع اليوم **مِن أمر الله**، أي من عذاب الله. سمى عذابه أمر الله لما ذكرنا.[9] أمر الله، أمر تكوين؛ لأنه هو النهاية في الاحتجاج، كقوله: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ،[10] الآية.[11] وهو كما يُسمَّى البعث لقاء الله، لأنه هو النهاية في الاحتجاج على من ينكر البعث. فعلى ذلك سُمِّي عذابه أمر الله. وهو أمر تكوين، لأنه هو النهاية في الاحتجاج على من ينكر العذاب.

وقوله عز وجل: **إلا مَن رَحِم**، الله[12] بهدايته إياه. أو[13] إلا مَن سبقت له الرحمة من الله بالهداية له والنجاة.

---

[1] ع م: فإذا.
[2] ك: لهم آية.
[3] م – يحتمل.
[4] ع م: مع الكافرين.
[5] جميع النسخ: مسكين.
[6] م: لغيره.
[7] ع: في المياه.
[8] ك – منها؛ ن ع م: إليها.
[9] ك: ذكر. وانظر تفسير الآية من سورة هود، ١١/٤٠.
[10] ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (سورة النحل، ١٦/٤٠).
[11] ن – الآية.
[12] ك ن – الله.
[13] ع م – أو.

*وقوله عز وجل: **يَعْصِمُني من الماء**، يمنعني من الماء. وقال: **لا عاصم اليوم من أمر الله**، [٣٤٥و س٣٣
قال القُتَبي: لا معصوم اليوم من عذاب الله، كقوله: مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ،[1] أي مدفوق.[2] وأصله: **لا عاصم اليوم من أمر الله**،[3] أي لا شيء يمنع اليوم من نزول عذاب الله عليهم، ولا دافع لهم منه.* ٣٤٥و س٣٥]

وقوله: **وحال بينهما الموج**، يحتمل قوله: **بينهما**، بين ابنه وبين نوح. ويحتمل بينه وبين السفينة. **فكان من المُغرَقين**،[4] يحتمل: صار من المُغرَقين، ويحتمل: كان في علم الله أنه يغرق. وهذا يدل على أن قوله في إبليس: وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ،[5] أنه يخرج على وجهين. أحدهما أنه كان في علم الله أنه يكفر. أو صار من الكافرين، كما ذكر: **فكان من المُغرَقين**، إذ لم[6] يكن من المُغرَقين في الأزل.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [٤٤]

وقوله: **وقيل يا أرضُ ابلَعِي ماءَكِ ويا سماءُ أَقْلِعِي**، قال بعضهم: عاد كل ماء إلى مِن حيث خرج. ما أُرسِل من السماء عاد إليها، وما خرج من الأرض غاض في الأرض[7] وغار فيها. وقال بعضهم: لا، ولكن أمسكت[8] السماء من إرساله وأمسكت الأرض من نَبْعِه.

وقوله عز وجل: **وقيل يا أرضُ ابلَعِي ماءَكِ ويا سماءُ أَقْلِعِي**، ليس على القول لهما،[9] ولكن الله أمسكهما من إرساله ونَبْعِه. ويحتمل على القول منه[10] لهما[11] باللُّطف، وجَعَل[12] فيهما[13] ما يفهم هذا.[14]

---

[1] ﴿ فلينظر الإنسان مِمَّ خُلِق. خُلِق من ماء دافق﴾ (سورة الطارق، ٨٦/٥-٦).

[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٤.

[3] ك ن – اليوم من أمر الله.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٤٤، فقدمناه إلى هنا. انظر: ورقة ٣٤٥و/سطر ٣٣-٣٥.

[4] ك ن + وقوله فكان من المغرقين.

[5] سورة البقرة، ٢/٣٤؛ وسورة ص، ٣٨/٧٤.

[6] ن: إذا لم؛ م: و لم.

[7] ع – غاض في الأرض.

[8] جميع النسخ: أمسك.

[9] جميع النسخ: لهم.

[10] ن ع م: منهم.

[11] جميع النسخ: لهم.

[12] ك ن ع: جعل.

[13] جميع النسخ: فيهم.

[14] ن – هذا. وعبارة الشارح هكذا: «ويحتمل على القول منه لهم باللُّطف جَعَل فيهم ما يفهم به أمره من الحياة وغيرها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨٤و).

وغِيض الماء، أي غار[1] الماء في الأرض. **وقُضي الأمر**، بهلاك قوم نوح. ويحتمل على التكوين على ما ذكر. **واستوَتْ على الجُودِيّ**، أي استقرّت على الجُودِيّ.[2] وهو جبل. **وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين**، أي هلاكا. ويحتمل **بُعْدًا للقوم الظالمين**، مِن رحمة الله.*

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[٤٥] ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **ونادى نوحٌ ربَّه فقال ربِّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وَعْدك الحق**، الآية، فقال: **يا نوح إنه ليس مِن أهلك**، هذا -والله أعلم- كان عند نوحٍ أنّ ابنه كان على دينه لِما لعلّه كان يُظهِر الموافقة له، وإلا لا يحتمل أن يقول: **إن ابني من أهلي**، ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي في سؤال مثله حيث قال:[3] وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ.[4] ولا يحتمل أن يكون يعلم أنه على غير دينه ثم يسأل له النجاة بعد ما نهاه عن المخاطبة في الذين [٣٤٥ظ] ظلموا. / فقال: **إنه ليس من أهلك**، في الباطن والسر، وإلا خرج هذا القول مخرج تكذيب رسوله. لكن الوجه فيه ما ذكرنا أنه كان في الظاهر عنده أنه على دينه لِما كان يُظهِر له الموافقة، وكان لا يعرف ما يُضمِره، فسأله على الظاهر الذي عنده. وكذلك أهل النفاق كانوا يُظهِرون الموافقة[5] لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويُضمِرون[6] الخلاف له، وكانوا لا يعرفون نفاقهم إلا بعد إطّلاع الله إياه. فعلى ذلك نوح كان[7] لا يعرف ما يُضمِر[8] هو، لذلك خرج سؤاله، فقال: **إنه ليس من أهلك**، الذي وعدت[9] النجاة لهم. أو **ليس من أهلك**، لأنه لم يؤمن بي ولم يصدّقك فيما أخبرت.*

---

[1] ع: أي غاز.

[2] ع - أي استقرت على الجودي.

* وقع هنا مقطعان من تفسير الآيتين السابقتين برقم ٤١، ٤٣؛ فقدمناهما إلى موضعهما. انظر: ورقة ٣٤٥و/سطر ٣٣-٣٥.

[3] م - قال.

[4] سورة هود، ٣٧/١١.

[5] ع م + وكان لا يعرف ما يضمره فسأله على الظاهر الذي عنده وكذلك أهل النفاق يظهرون.

[6] ع: يضمرون.

[7] ن: أن.

[8] ك: ما كان يضمر.

[9] م: وعد.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآيتين متقدما على موضعه، فأخرناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٣٤٥ظ/سطر ٧-١١.

وقوله: **إن ابني من أهلي**، ثم قال: **إنه ليس من أهلك**، هذا في الظاهر[1] يخرج على التكذيب له. لكن الوجه فيه أنه مِن أهلك على ما عندك، وليس هو[2] من أهلك فيما بَشَّرتُك مِن نجاة أهلك.

وقوله: **وإنّ وَعْدَك الحق**، يحتمل وجهين. يحتمل **وإنّ وَعْدَك**، بإغراق الظَّلَمة حق. والثاني **وإنّ وَعْدَك**، بنجاة المؤمنين حق، **وأنت أَحْكَمُ الحاكمين**.

[٣٤٥ظ س ٧ * **إنه عَمَلٌ غيرُ صالح**؛ روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ: عَمِلَ غيرَ صالح، بغير تنوين.[3] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ: **عَمَلٌ غيرُ صالح**، بالتنوين. فمن قرأ بالنصب: عَمِل[4] غيرَ صالح، أي إن ابنك عَمِل غيرَ صالح.[5] ومن قرأ: **عَمَلٌ**، يكون معناه -والله أعلم- إن سؤالك **عَمَلٌ غيرُ صالح**.[6] وكلا[7] القرائتين يجوز أن يُصرَف إلى ابنه؛ أي إنه عَمِل غيرَ صالح، وهو عَمِل الكُفر. و **عَمَلٌ غيرُ صالح**، أي الذي كان[8] عليه عَمَلٌ غيرُ صالح. ***والله أعلم***.* ٣٤٥ظ س ١١]

وقوله عز وجل: **فلا تَسألنِ ما ليس لك به علم**، يحتمل هذا نهيا عن سؤال ما لم يؤذَن له مِن بَعدُ؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا لا يسألون شيئًا إلا بعد الإذن لهم في السؤال وإن كان يَسَع لهم السؤال. أو أن يكون عتابا لِما سبق. والأنبياء عليهم السلام كانوا يُعاتَبون في أشياء تَحِلّ[9] لهم،[10] نحو قوله لرسول الله: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا.[11] وقد كان منه الأمر بالقعود[12] والنهي عن الخروج بقوله: فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا،[13] ونحوه.

---

[1] ن: في الظ.

[2] ع م - هو.

[3] سنن *أبي داود*، الحروف والقراءات ١؛ وسنن *الترمذي*، القراءات ٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٣٨-٤٣٩. وهي قراءة الكسائي ويعقوب. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٨٩.

[4] ع م: على.

[5] ع - أي إن ابنك عمل غير صالح.

[6] ع م + بالتنوين.

[7] ن ع: وكل.

[8] م: كانوا.

* وقع ما بين النجمتين متقدما على موضعه في تفسير الآيتين، فأخرناه إلى هنا. انظر: ورقة ٣٤٥ظ/سطر ٧-١١.

[9] ن ع م: يحل.

[10] جميع النسخ + ذلك.

[11] سورة التوبة، ٩/٤٣.

[12] ع: والقعود.

[13] ﴿فإن رَجَعَكَ الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ (سورة التوبة، ٩/٨٣).

وقوله عز وجل: **إني أَعِظُك أن تكون من الجاهلين**، هو كما نهى رسولَ الله: فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ،[١] وأمثاله، وإن كان معلوما[٢] أنه لا يكون من الجاهلين. وهو ما ذكرنا[٣] أن العصمة[٤] لا تمنع النهي عن الشيء، بل بالنهي تَظهر[٥] العصمة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم**، [أي] إني أعوذ بك أن أعود إلى سؤالي لا أعلم بالإذن في [ذلك] السؤال. هذا[٦] يحتمل.

وقوله: **وإلّا تغفرْ لي وترحمْني أكنْ من الخاسرين**، أي[٧] إن لم ترحمني[٨] بالعصمة عن العود[٩] إلى مثله **أكن من الخاسرين**، هذا يشبه أن يكون. ويحتمل أن يكون[١٠] ذكر هذا لِما لا يستوجبون المغفرة والرحمة إلا برحمة الله وفضله، على ما روي عن رسول الله أنه قال: «لن يدخل أحد[١١] الجنة إلا برحمة الله».[١٢] قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته».[١٣] وقوله عز وجل: **وإلّا تغفرْ لي وترحمْني**، هو طلب المغفرة[١٤] بالكناية. وهو أبلغ وأكبر من قوله: اللهم اغفر لي؛ لأن[١٥] في قوله: **وإلّا تغفرْ لي وترحمْني**،

---

١ ﴿وإن كان كَبُر عليك إعراضهم فإن استطعتَ أن تبتغي نَفَقا في الأرض أو سُلَّما في السماء فتأتيَهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونَنّ من الجاهلين﴾ (سورة الأنعام، ٣٥/٦).

٢ ك ن: معلوم.

٣ انظر تفسير الآية من سورة النساء، ١٠٥/٤.

٤ ع: عن العصمة.

٥ ن ع م: يظهر.

٦ ن: وهذا.

٧ ع م – أي.

٨ ع م: لم تغفر لي.

٩ ع م: من العود.

١٠ ع م – ويحتمل أن يكون.

١١ م – أحد.

١٢ ع – الله.

١٣ روي الحديث بألفاظ متقاربة، وهذا لفظ أحمد. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٥٢/٣. وللروايات الأخرى انظر: *صحيح البخاري*، المرضى ١٩؛ و*صحيح مسلم*، صفة القيامة ٧١-٧٥.

١٤ ن: الرحمة.

١٥ ن ع م: كان.

قَطْعُ رجاء[1] المغفرة من غيره، وإخبار أنْ لا يملكُ أحد ذلك. وليس في قوله: اغفر لي، قَطْعُ كونِ ذلك من غيره، لذلك كان ذلك أبلغ من هذا. وكذلك سؤال آدم وحوّى المغفرة حيث قالا: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا،[2] الآية، هو سؤال بالكناية، فهو أبلغ في السؤال.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **قيل يا نوحُ اهْبِطْ**، قال بعضهم: أي انزل من الجُودِيّ إلى قرار الأرض. وقال بعضهم: قوله: **اهبط**، أي[3] انزل وأَقِمْ، على المُقام والمكث في المكان، ليس على الهبوط من مكان مرتفع إلى مكان منحدر.

وقوله عز وجل: **اهبِطْ بسلامٍ مِنّا وبركاتٍ عليك**، السلامة هو أن يَسلم عن الشرور والآفات. والبركة هي نَيْل كل خير وبِرّ على غير تَبِعة. ثم هما في التحصيل واحد، لأنه إذا سَلِم عن كل شر وآفة نال[4] كل خير وبر. وإذا نال كل خير سَلِم عن كل شر وآفة. هما في الحقيقة واحد، لكنهما في العبارة مختلفان.[5] وهو كالبرّ والتقوى مِن العبد؛ البر هو كسب كل خير، والتقوى هو اتّقاء كل شر ومعصية. هما في العبارة مختلفان وفي الحقيقة واحد؛ لأنه إذا اتّقى كل شر ومعصية عَمِل كل خير وبر،[6] وإذا كسب كل خير وبر اتّقى كل شر ومعصية.[7] وعلى ذلك يخرج الشكر والصبر. الصبر هو كَفُّ النفس عن كل مأثم، والشكر هو استعمال النفس في كل طاعة. هما أيضا في العبارة مختلفان، وفي الحقيقة واحد؛ لأنه إذا كَفَّ نفسه عن كل[8] مأثم استعملها[9] في الطاعة، وإذا استعملها في الطاعة كَفَّها عن كل مأثم ومعصية. وعلى ذلك يخرج الإسلام والإيمان. الإسلام هو تسليم النفس لله خالصةً سالمةً[10] لا يجعل[11] لغيره فيها حقا،

[1] ع م – رجاء.
[2] ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾ (سورة الأعراف، ٢٣/٧).
[3] ك ن ع – أي.
[4] ن: قال.
[5] جميع النسخ: مختلف.
[6] م: بر وخير.
[7] م: معصية وشر.
[8] ع م: من كل.
[9] ع: استعمالها.
[10] ن – سالمة.
[11] ن ع م: لا تجعل.

[٣٤٦و] والإيمان هو أن يُصدّق[١] الله بالربوبية في نفسه وفي كل شيء. / وهما في الحقيقة واحد، وفي العبارة مختلفان؛ لأنه إذا جعل نفسه وكلَّ شيء لله سالما[٢] أقر بالربوبية له[٣] في نفسه وفي كل شيء. وإذا صدّقه وأقر له بالربوبية في نفسه وفي[٤] كل[٥] شيء جعلها لله وكلَّ شيء له. هذه أشياء[٦] في العبارة مختلفة، وفي التحصيل واحد.

ثم قوله: **اهْبِطْ بسلامٍ مِنا**، جائز[٧] أن يكون جواب قوله: وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي.[٨] آمَنه عما خاف وطلب منه المغفرة والرحمة. والثاني السلام له منه[٩] هو الثناء الحسن، كقوله: سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ.[١٠]

وقوله عز وجل: **وبركاتٍ عليك**، يحتمل أن يكون جواب قوله: أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا.[١١] والبركة هي اسم كل خير لا انقطاع[١٢] له،[١٣] أو اسم كل شيء لا تَبِعة له عليه فيه.[١٤]

ثم قوله:[١٥] **بسلامٍ مِنا وبركاتٍ عليك وعلى أُمَمٍ ممن معك وأُمَمٌ سنُمَتِعهم**، على قول بعض أهل التأويل ذلك السلام[١٦] وتلك البركات في الدنيا. السلام لِما سَلِموا من الغرق، والبركات ما نالوا في الدنيا من الخيرات والمنافع. وعلى قول بعضهم السلام والبركات جميعا في الآخرة. ثم جعل عز وجل المؤمن والكافر مشتركين في منافع الدنيا وبركاتها، وجعل منافع الآخرة وبركاتها للمؤمنين خاصة، بقوله: وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ،[١٧] وبقوله: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

---

١ ن: أن تصدق؛ ع: أن يتصدق.
٢ م: سالما لله.
٣ ع م – له.
٤ ن ع م – وفي.
٥ ن ع م: وكل.
٦ ع: الأشياء.
٧ ع م: وجائز.
٨ الآية السابقة.
٩ م: السلامة منه.
١٠ سورة الصافات، ٣٧/٧٩.
١١ ﴿وقل رب أنزلني مُنْزَلا مباركا وأنت خير المنزلين﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٢٩).
١٢ م: لانقطاع.
١٣ ن – له.
١٤ م – فيه.
١٥ ع: وقوله.
١٦ م: الإسلام.
١٧ ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُوًّا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ (سورة القصص، ٢٨/٨٣).

-ثم قال- قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[١] أشرك[٢] المؤمن والكافر في زينة الدنيا ثم جعلها للمؤمنين خالصة[٣] يوم القيامة. فذلك قوله: **وأُمَمٌ سنُمَتِّعهم ثم يمسُّهم منا عذاب أليم**، أخبر أنه يمتعهم ثم يصيبهم عذاب أليم. ويمتع المؤمن أيضا في هذه الدنيا بأنواع المنافع، ثم أخبر: إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ؛[٤] ثم جعل العاقبة للمتقين[٥] بازاء ما جعل لهم عذابا أليما، أعني الكفرة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وعلى أمَمٍ ممن معك**، ولم يكن مع نوح أمم يومئذ، إنما كانوا معه نَفَرا. لكنه أراد -والله أعلم- الأمم التي كانوا مِن بَعده، كأنه قال: وعلى أمم يكونون[٦] من بعدك. فهذا يدل أن دين الأنبياء والرسل عليهم السلام جميعا[٧] دين واحد[٨] وإن اختلفت[٩] شرائعهم؛ لأن تلك الأمم لم يكونوا بأنفسهم مع نوح، ولا كانوا معه في العبادات التي كان فيها نوح. دل أنهم كانوا جميعا على دينه، وهو واحد. وعلى ذلك يخرج دعاؤه: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ،[١٠] لأنه[١١] دعاء بالمغفرة منه[١٢] لكل مؤمن ومؤمنة يكون من بعده. وكذلك يلحق على كل كافر دعاؤه: وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا.

* وقال بعض أهل التأويل: في قوله: **اهبط**، من السفينة، **بسلام مِنّا**، فسلّمه الله ومَن [٣٤٦و س٢٣] معه من المؤمنين[١٣] من الغرق، **وبركاتٍ عليك وعلى أُمَمٍ ممن معك**، يعني بالبركة أنهم تَوالَدوا وكَثُروا بعد ما خرجوا من السفينة. وعن ابن عباس رضى الله عنه في قوله:

[١] سورة الأعراف، ٣٢/٧.
[٢] ع م: شرك.
[٣] ك: خالصة للمؤمنين.
[٤] الآية التالية.
[٥] ع م - للمتقين.
[٦] ع: يكون.
[٧] ع م - جميعا.
[٨] جميع النسخ: دينا واحدا.
[٩] م: اختلف.
[١٠] ﴿رب اغفر لي ولوالدَيَّ ولمن دخل بيتِيَ مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تَزد الظالمين إلا تَبارا﴾ (سورة نوح، ٢٨/٧١).
[١١] ن ع م: الآية.
[١٢] جميع النسخ: له.
[١٣] ع: معه المؤمنين.

وبركاتٍ عليك وعلى أُمَمٍ ممن معك، ممن سبق[1] له في علم الله البركات والسعادة
٣٤٦و س٣٦] من النبيين[2] وغيرهم.[3]*

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك**؛ يحتمل قوله: **تلك**، أي قصة نوح، **من أنباء الغيب**،[4] غابت عنك، لم تشهدها، و لم تعلمها **أنت ولا قومك من قبل هذا**. إن كان[5] المراد من قوله: **تلك من أنباء الغيب**، قصةَ نوح خاصة وأنباءَه كان يجيء أن يقول: هذه من أنباء الغيب نوحيها إليك. لكنه كأنه على الإضمار، أي هذه الأنباء تلك الأنباء التي ذُكرت في كتبهم. وإن كان المراد هذه وغيرها من الأنباء يصير كأنه قال: هذه من تلك الأنباء. ويحتمل[6] قوله: **تلك من أنباء الغيب**، القِصص كلها، قصة نوح وغيره من الأنبياء عليهم السلام، **من أنباء الغيب**، غابت عنك، لم تشهدها ولا تعلمها **أنت ولا قومك**. خص قومه لأن غيره من الأقوام قد كانوا عرفوا تلك الأنباء، فيخبرونهم، فيعرفون به صِدْقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيه دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبرهم على ما أخبر أولئك الذين عرفوا تلك الأنباء بكتبهم، لِيُعلَم أنه إنما عرف ذلك بالله. إذ تلك الأنباء كانت بغير لسانه،[7] و لم يُعرَف أنه اختلف إلى أحد[8] منهم. دل أنه إنما عرف ذلك[9] بالله تعالى.

وقوله عز وجل: **فاصبر**؛ يحتمل قوله: **فاصبر**، على تكذيبهم إياك وعلى أذاهم، أو اصبر على ما أُمرت ونُهيت،[10] أو اصبر على ما صبر إخوانك من قبل، كقوله: كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[11] ونحوه.

---

[1] ع: من سبق.
[2] ن ع: من البنين.
[3] روي نحو ذلك عن الضحاك؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٥٥.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٤٦و/سطر ٣٣-٣٦.
[4] ع + نوحيها إليك يحتمل قوله أي قصة نوح من أنباء الغيب؛ م + نوحيها إليك يحتمل قوله تلك أي قصة نوح من أنباء الغيب.
[5] ع - كان.
[6] ن: يحتمل.
[7] ع: لسان.
[8] م: لأحد.
[9] ن ع م - ذلك.
[10] ن: ما نهيت وأمرت.
[11] ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغٌ فهل يُهلَك إلا القوم الفاسقون﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).

وقوله عز وجل: **إن العاقبة للمتقين**؛ يشبه أن يكون قوله: **للمتقين**، الذين اتّقوا الشرك، وأمكن الذين اتّقوا الشرك والمعاصي كلها. والأشبه أن يكون المراد منه اتّقاء الشرك؛ لأنه ذكر بازاء قوله: وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ،[1] فهو في العَقْد[2] أشبه.*

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **وإلى عاد أخاهم هودا**، هذا[3] -والله أعلم- صلة قوله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ،[4] فيقول: وقد[5] أرسلنا هودا إلى عاد أخاهم. ثم يحتمل قوله: **أخاهم**،[6] [وجوها]. فالأخوّة[7] تكون على وجوه. أخوة جنس، يقال: / هذا أخو هذا، نحو مِصْراعَي الباب يقال لأحدهما: هذا أخو هذا، ونحو أحد زوجي الخُفّ وأمثاله. وأخوة في النسب، وأخوة في الدين،[8] كقوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.[9] فهو[10] لم يكن أخا لهم في الدين. فهو يحتمل أنه أخوهم في الجنس وفي النسب؛ لأن الناس كلهم يُنسَبون إلى آدم، فيقال: بنو[11] آدم، مع[12] بُعد ما بينه وبينهم.[13] فعلى ذلك يكون بعضهم لبعض إخوة مع بُعد النسب الذي بينهم. *والله أعلم*. [٣٤٦ظ]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**، يُعبَد، أي الذين تَعبدون ليسوا بآ لهة، لا يستحقون العبادة؛ إنما الإله الذي يستحق العبادة اللهُ الذي خلقكم وخلق لكم أشياء.[14]

---

[1] الآية السابقة.
[2] أي في الاعتقاد.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٤٦و/سطر ٢٣-٣٦.
[3] ع م - هذا.
[4] سورة هود، ٢٥/١١.
[5] ع: ولقد.
[6] ن - ثم يحتمل قوله أخاهم، صح هـ.
[7] جميع النسخ: الأخوة.
[8] ك: وأخوة النسب وأخوة الدين.
[9] سورة الحجرات، ١٠/٤٩.
[10] أي هود عليه السلام.
[11] ك ع: بنوا.
[12] ع - فيقال بنو آدم مع.
[13] ن - وبينهم.
[14] م: الأشياء.

وقوله عز وجل: **إنْ أنتم إلا مُفتَرُون**، أي ما أنتم إلا مُفتَرُون. لا يحتمل أن يكون هود قال لهم هذا في أول ما دعاهم إلى التوحيد وفي أول ما ردّوا إجابته وكذّبوه؛ لأنهم[1] أُمروا بليّن القول لهم وتذكير النعمة عليهم، كقوله لموسى وهارون حيث بعثهما إلى فرعون بقوله: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا،[2] الآية. ولكن كأنه[3] قال لهم ذلك بعد[4] ما سبق منه إليهم دعاءً غير مرة، وأقام عليهم الحجة والبراهين فردّوها. فعند ذلك قال لهم هذا حيث قالوا: يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ،[5] الآية.[6]

وقوله عز وجل: **إنْ أنتم إلا مُفتَرُون**، يحتمل في تسميتهم الأصنام التي عبدوها آلهة،[7] يقول: **إنْ أنتم إلا مُفتَرُون**،[8] في ذلك. ويحتمل أنه سمّاهم: **مُفتَرُون**، فيما قالوا: الله أمرهم بذلك،[9] يقول:[10] أنتم مُفتَرُون فيما ادّعيتم الأمر بذلك؛ أو **مُفتَرُون**، في إنكارهم البعث أو الرسالة.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **يا قوم لا أسألكم عليه أجرًا إنْ أجريَ إلا على الذي فطرني**، هذا قد ذكر[11] في غير موضع.[12] يقول لهم -والله أعلم- أي لا أسألكم[13] على ما أدعوكم إليه أجرا يمنعكم ثِقَلُ ذلك الأجر وغُرْمُه عن الإجابة. فما الذي[14] يمنعكم عن الإجابة لي ويحملكم على الرد؟ بل أَعِدُكم[15] على ما أدعوكم إليه ما ترغبون فيه.[16] فكيف يمنعكم [ذلك] عن الإجابة والنظر فيما أدعوكم إليه؟

---

[1] أي الأنبياء عليهم السلام.

[2] ﴿فقُولا له قَوْلا لَيِّنًا لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾ (سورة طه، ٢٠/٤٤).

[3] أي هود عليه السلام.

[4] م - بعد.

[5] سورة هود، ١١/٥٣.

[6] ع - الآية.

[7] ع م - آلهة.

[8] ك: يقول أنتم مفترون.

[9] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٨).

[10] ع: يقولون.

[11] ك ن: قد ذكرنا.

[12] انظر مثلا تفسير الآية من سورة هود، ١١/٢٩.

[13] ك: لأسألكم.

[14] م: فا الذي.

[15] جميع النسخ: بل أدعوكم.

[16] وهو الثواب الأخروي.

أفلا تعقلون، أني رسولٌ إليكم بآيات وحججٍ جئتُ بها. أو[1] **أفلا تعقلون**، أنها آيات وحجج ونحوه. أو يقول: **أفلا تعقلون**، أن الله واحد وأنه رب كل شيء وخالقُ كل شيء ومُنشِئُه.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه**، يحتمل أن يكون قوله: **استغفروا ربكم ثم توبوا إليه**، واحدا.[2] ويحتمل على التقديم والتأخير: توبوا إليه ثم استغفروا لما كان[3] منكم من المساوئ. أي أَقْبِلوا إلى طاعة الله واندَموا على أفعالكم. وقوله: **استغفروا ربكم**، معلومٌ[4] أنّ هودا لم يُرِدْ بقوله: **استغفروا**، أن يقولوا: نستغفر الله. ولكن أمرهم أن يطلبوا السبب الذي به[5] يجب لهم المغفرة وتحق،[6] وهو[7] التوحيد. كأنه قال: وَحِّدوا ربكم فآمنوا به ثم توبوا إليه. أو يقول: اطلبوا المغفرة بالانتهاء عن الكفر، كقوله تعالى: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.[8]

وقوله عز وجل: **يُرْسِلِ السماء عليكم مِدْرَارًا ويَزِدْكم قوة إلى قوتكم**، قال بعض أهل التأويل: إنه قد كان[9] انقطع عنهم المطر وانقطع نسلهم،[10] فأخبر أنكم إن تبتم إلى الله واستغفرتم[11] ربكم **يُرسل السماء عليكم مدرارًا**، الآية، حتى تتناسلوا[12] وتتوالدوا. ويحتمل قوله: **ويَزِدْكم قوة**، أي يَزِدْكم قوةَ أفعالِكم إلى قوة أبدانكم؛ لأنهم[13] كانوا أهل قوة وأهل بطش،

[1] م – أو.
[2] ع: واحد.
[3] جميع النسخ: ما كان.
[4] ن ع: معلوما.
[5] م – به.
[6] ن ع م: ويحق.
[7] ع: هو.
[8] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[9] م + قد.
[10] ع: نسأهم.
[11] ن م: واستغفروا.
[12] ع م: حتى تناسلوا.
[13] ك: لأنها.

بقوله:[١] وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.[٢] ويحتمل[٣] على الابتداء: **يُرسل السماء عليكم مدرارًا ويزدكم قوة إلى قوتكم**. فقوله: **ولا تتولَّوْا**، مما أدعوكم إليه فتكونوا، **مجرمين**. المجرم[٤] قال أبو بكر: هو الوَثَّاب في الإثم.[٥] وقيل: هو المُكتَسِب المسيء.[٦]

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة**، على ما تدعونا إليه، أو على ما تدَّعي[٧] من الرسالة. فعند ذلك قال لهم هود:[٨] إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ.[٩]

وما نحن بِتَارِكِي آلهتِنا، أي ما نحن بتاركي عبادةِ آلهتنا، **عن قولك**، أي بقولك. كان لا يدعوهم هود[١٠] إلى ترك عبادة[١١] آلهتهم بقوله خاصة، ولكن قد دعاهم وأقام على فساد ذلك الحجج والبراهين. لكنهم قالوا[١٢] متعنِّتين مكابِرين:[١٣] **وما نحن لك بمؤمنين**، فيما تدعونا إليه وتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **إن نقول إلا اعْتَرَاكَ بعضُ آلهتنا بسوء**، قيل: هو كان[١٤] يسبّ آلهتهم ويَذكرهم بالعيب، فيقولون: إنه يَعتريك مِن بعض آلهتنا سوءٌ،[١٥] أو يصيبونك[١٦] بجنون أو تخيّل،

---

[١] جميع النسخ: بقولهم.
[٢] سورة فصلت، ١٥/٤١.
[٣] ع: يحتمل.
[٤] ن – المجرم.
[٥] ع: الثواب في الاسم.
[٦] ك ن ع – المسيء.
[٧] ن + إليه.
[٨] ك: قال هود لهم.
[٩] سورة هود، ٥٠/١١.
[١٠] ن – إن أنتم إلا مفترون وما نحن بتاركي آلهتنا أي ما نحن بتاركي عبادة آلهتنا عن قولك أي بقولك كان لا يدعوهم هود.
[١١] ن: عبادتهم.
[١٢] ن: كانوا.
[١٣] م: متكابرين.
[١٤] ك: قيل كان هو.
[١٥] ن ع م: بسوء.
[١٦] جميع النسخ: أو يصيبوك.

فلا نحب أن يصيبك منها [ضرر]، فاجتَنِبْها سالمًا. فذلك يخرج منهم مخرج الامتنان، أي إنّا إنما ننهاك عن سب آلهتنا وذكر العيب فيها إشفاقا عليك لئلا يصيبك منها شيء.[١] وقال ابن عباس رضي الله عنه: قالوا: شتمت آلهتنا فخَبَّلَتْك وأصابتك بالجنون.[٢] فتأويله -والله أعلم- إنك إنما تدعونا إلى ما تدعونا[٣] إليه وتدّعي ما تدّعي لما أصابتك آلهتنا بسوء واعتَرَتْك بجنون. كانوا يخوّفونه أن تصيبه[٤] آلهتهم بسوء بتركه عبادتَها، على ما كانوا يَرجون ويطمعون بعبادتهم إياها شفاعتَها لهم.[٥]

*وقال أبو عَوْسَجة: الاعتراء هو الأخذ. يُقال: اعْتَرَتْه الحُمّى، أي أخذته. وقال القُتَبي: الاعتراء: الإصابة. يقول: **إلا اعتراك**، أصابك. يُقال: اعتريت: أصبت.[٦] وهو ما ذكرنا.* [٣٤٧و س١٦ ٣٤٧و س١٧]

قال إني أُشهِدُ الله واشهَدُوا أني بريء مما تشركون، به وتعبدونه[٧] من الآلهة. واشهدوا /أنتم أيضًا بأني بريء من ذلك. [٣٤٧ظ]

﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾[٥٥]

[من دونه] فكِيدُوني جميعًا، أنتم وآلهتكم بما تَعِدُوني[٨] من الهلاك أو السوء. **ثم لا تُنظِرُونِ**، أي ثم لا تُمهِلُونِ في ذلك. ويحتمل قوله: **فكِيدُوني جميعًا**، أنتم وآلهتكم. يقول: اعملوا أنتم وآلهتكم جميعًا التي تزعمون أنها خَبَّلَتْني وأَجَنَّتْني، **ثم لا تُنظِرُونِ**، أي لا تُمهِلُونِ. وهذا مِن أشدّ آيات النبوة؛ لأنه يقول لهم [ذلك] وهو بين أَظْهُرِهم وحيدًا. فلولا أنه يقول ذلك لهم بقوة من الله والاعتماد منه[٩] عليه والانتصار به وإلا ما اجترأ[١٠] أحد أن يقول مثل هذا بين أعدائه، عُلِم أنه قال ذلك بالله تعالى. وكذلك قول رسول الله: قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ،[١١] الآية،

---

[١] م: لا يصيبك شيء منها.
[٢] *تفسير الطبري*، ٥٩/١٢.
[٣] ع: ما تدعوننا.
[٤] ك: أن يصيب؛ ن ع م: أن تصيب.
[٥] ع: عبادتهم إياها شفاعتهم الهم؛ م: شفاعتهم لهم.
[٦] يقول ابن قتيبة: «﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ أي أصابك بخَبَل. يقال: عراني كذا وكذا واعتراني: إذا ألمّ بي» (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٤).
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٥٦، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٤٧و/سطر ١٦-١٧.
[٧] ن: وتعبدون.
[٨] جميع النسخ: فيما تدعوني.
[٩] جميع النسخ: له.
[١٠] ع: ما اخبر.
[١١] ﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدونِ فلا تُنظِرونِ﴾ (سورة الأعراف، ١٩٥/٧).

وقول نوح: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾[1] الآية،[2] وقول شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾[3] الآية، وأمثاله. قالوا ذلك بين أَظْهُر الأعداء ولم يكن معهم أنصار[4] ولا أعوان. دل أنهم إنما[5] قالوا ذلك بالله. وذلك من آيات النبوة.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٦]

وقوله[6] عز وجل: **إني توكلت على الله**، أي فوّضت أمري إليه، أو وَكَّلت في جميع عملي إليه، أو وَثِقت به واعتمدت عليه فيما تُوعِدونني من الهلاك، أو توكّلت عليه في دفع ما أَوْعدتموني. **ربي وربكم**، أي كيف تُوعِدونني[7] بآلهتكم التي تعبدون ولا تخافون الذي[8] تعلمون أنه هو[9] ربي وربكم؟[10] وهو كما قال إبراهيم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ﴾[11] الآية.

وقوله عز وجل: **ما من دابة إلا هو آخِذٌ بناصيتها**، يميتها متى[12] شاء. وقوله: **آخِذٌ بناصيتها**، أي في ملكه وسلطانه. يقال: فلان آخِذٌ بحُلْقُوم[13] فلان، وفلان[14] في قبضة فلان، ليس أنه في قبضته بنفسه أو آخِذٌ[15] بحُلْقُوم[16] فلان، ولكن يُراد أنه في سلطانه وملكه[17] وفي قبضته.

---

[1] ﴿واتْلُ عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كَبُر عليكم مَقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأَجْمِعُوا أَمْرَكم وشركاءكم ثم لا يكن أَمْرُكم عليكم غُمَّةً ثم اقْضُوا إليَّ ولا تُنظِرونِ﴾ (سورة يونس، ٧١/١٠).

[2] ك – الآية.

[3] ﴿ويا قوم اعملوا على مكانَتِكم إني عامل سوف تعلمون مَن يأتيه عذاب يُخْزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب﴾ (سورة هود، ٩٣/١١).

[4] ن: أنصارا.

[5] م – إنما.

[6] ن: قوله.

[7] جميع النسخ: توعدوني.

[8] م: الذين.

[9] ع م – هو.

[10] ع م + أي كيف توعدوني.

[11] سورة الأنعام، ٨١/٦.

[12] ك + ما.

[13] ع م: بخلقوم.

[14] ع: فلان بن فلان.

[15] ع م: وآخذ.

[16] م: بخلقوم.

[17] م: وفي ملكه.

إن ربي على صراط مستقيم، أي على الذي أمرني ربي ودعاني إليه. أو يكون قوله: **إن ربي على صراط مستقيم**، أي إن الذي أمرني ربي ودعاني إليه هو صراط مستقيم، كقوله: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ.[1]*

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **فإن تَوَلَّوْا فقد أَبلغتكم ما أُرسِلت به إليكم**، يحتمل على الإضمار، أي فإن تَوَلَّوْا عن إجابتك وطاعتك فقل: قد أبلغتكم[2] رسالات ربي؛[3] لأن قوله: **تَوَلَّوْا**، إنما[4] هو خبر، وقوله عز وجل: **أَبلغتكم**، خطاب. وأمكن أن يكونا جميعًا على الخطاب؛ يقول: فإن تَوَلَّيْتم عن إجابتي فيما أدعوكم إليه **فقد أَبلغتكم ما أُرسِلت به إليكم**، وليس عليّ إلا تبليغ الرسالة إليكم، كقوله: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ،[5] وكقوله: إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.[6] يقول: إنما عليّ إبلاغ رسالته[7] إليكم، ليس عليّ جُرْمُ تَوَلِّيكم عن إجابتي، كقوله: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[8] ونحوه. ***والله أعلم***.

وقوله: **وَيستخلف ربي قومًا غيركم**، فيه وجهان. أحدهما الخبر عن هلاكهم؛ لأنه أخبر أنه يستخلف **قوما غيركم**، لأنه ما لم يهلك هؤلاء لا يكون غيرهم[9] خَلَفَهم، لأنهم كانوا يقولون: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.[10] يقول -والله أعلم- إن قوة أبدانكم وبَطْشكم[11] لا تُعجِز[12] الله عن إهلاككم. [الثاني] وفيه أن عادا ليسوا هم النهاية في العالم، بل يكون بعدهم قوم غيرهم. ***والله أعلم***.

---

[1] سورة الفجر، ١٤/٨٩.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٥٤، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٤٧و/سطر ١٦-١٧.

[2] ع م: قد أبلغتك.

[3] ك ن: رسالاتي.

[4] ع - إنما.

[5] سورة المائدة، ٩٩/٥.

[6] سورة الشورى، ٤٨/٤٢.

[7] م: الرسالة.

[8] سورة النور، ٥٤/٢٤.

[9] ع م - فيه وجهان أحدهما الخبر عن هلاكهم لأنه أخبر أنه يستخلف قوما غيركم لأنه ما لم يهلك هؤلاء لا يكون غيرهم.

[10] سورة فصلت، ١٥/٤١.

[11] ن + ويطشكم.

[12] ع م: لا يعجز.

وقوله عز وجل: **ولا تَضُرّونه شيئًا**، أي لا تَضُرّونه بتَوَلّيكم[1] عن إجابتي وردِّكم رسالةَ الله إليكم. ليس كملوك الأرض إذا تولىّ عنهم خَدَمُهم وحَشَمُهم[2] ضَرَّهم ذلك. والثاني لا تَضُرّونه كما يَضُرّ ملوكُ الأرض بالقتال والحرب بعضَهم بعضًا. والثالث لا تَضُرّونه؛ لأنه لا منفعة له[3] فيما يدعوكم حتى يضره[4] ذلك، إذ ليس يدعوكم إلى ما يدعو[5] لحاجة نفسه ولا لمنفعةٍ له،[6] إنما يأمركم ويدعوكم لحاجة أنفسكم والمنفعة لكم. ويحتمل أن يكون: **ولا تَضُرّونه شيئًا**، جواب قوله: فَكِيدُونِي جَمِيعًا،[7] الآية.[8]

إنّ ربي على كل شيءٍ حَفِيظ، لا يخفى عليه شيء وإن لَطُف، فكيف يخفى عليه أعمالكم وأحوالكم[9] مع ظهورها وبُدُوِّها؟ أو يقول: **إن ربي على كل شيءٍ حَفِيظ**، فيجزيه عليه، أي لا يَذهب عنه شيءٌ ولا[10] يفوته. *والله أعلم*.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **ولمّا جاء أَمْرُنا نجّينا هودًا**، قوله: **جاء أَمْرُنا**، أَمْرُ تكوين لا أَمْرٌ يقتضي الساعة، كقوله: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.[11] فعلى ذلك هذا هو أَمر تكوين.[12] وقد ذكرناه.[13]

وقوله عز وجل: **نجّينا هودًا والذين آمنوا معه برحمة منا**، هذا يدل أنّ مَن نجا إنما نجا برحمة[14] منه لا بعمله.[15] وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

[1] ن ع م: بتوليتكم.

[2] ع: وتحشمهم.

[3] ع م + فيه.

[4] ك ن + عند.

[5] ن: إلى ما يدعوكم؛ ع: إلى ما يدعوا.

[6] ع م – له.

[7] سورة هود، ١١/٥٥.

[8] ن – الآية.

[9] ك ن: وأموالكم.

[10] ع م: أي لا.

[11] سورة يس، ٣٦/٨٢.

[12] قال الشارح رحمه الله تعالى: «وقوله تعالى: ﴿ولمّا جاء أمْرُنا نجّينا هودًا والذين آمنوا معه برحمة منا﴾، أي أمْر تكوين. وقوله: "جاء"، أي ظهر أثره الساعة؛ وهو التكوين لا نفس الأمر؛ فإنه أزلي. وهو كقوله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾. فعلى ذلك هذا أن المراد منه العذاب» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٨٥ظ).

[13] ع: ذكرنا. انظر تفسير الآية من سورة هود، ١١/٤٣.

[14] ع: برحمته.

[15] ع م: لا بعلمه.

«لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله». قيل: ولا أنت يا رسول[١] الله؟ قال: «ولا أنا إلّا أنْ يتغمّدني الله برحمته».[٢] لا على ما يقوله[٣] المعتزلة: إنّ مَن نجا إنما ينجو بعمله[٤] لا برحمته. ثم يحتمل قوله: **برحمة منا**، وجوها. تحتمل[٥] الرحمة هاهنا هودا، أي رَحِمَهم به حيث بُعث إليهم رسولا فنجا من اتّبعه. فإن كان هذا ففيه أن أهل الفترة مُعاقَبون في حال فترتهم؛[٦] لأنه أخبر أنّ مَن نجا إنما نجا بهود. فدل أنهم مُعاقَبون قبل بَعْث الرسل إليهم. ويحتمل قوله: **برحمة منا**، أي بتوفيقٍ منا إياهم نجا من نجا منهم. والثالث [**برحمة منا**: بفضلٍ منا لا بعملهم].[٧]

ونجّيناهم من عذاب غليظ، قال بعضهم: نجّيناهم من العذاب الذي أهلك هؤلاء. ويحتمل أن يكون على الوعد، أي ينجيهم في الآخرة من عذاب / غليظ. [٣٤٧ظ]

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **وتلك عادٌ جحدوا**، أي وتلك أهل قرية عاد. **جحدوا بآيات ربهم وعَصَوْا رُسُلَه**، الكفر بالآيات كفر بجميع الرسل.[٨] والكفر بواحد من الرسل كفر بالرسل جميعًا وبالله؛[٩] لأن كل واحد من الرسل يدعو[١٠] إلى الإيمان بالله وبجميع الرسل. فالإيمان بواحد منهم إيمان بالله وبجميع الرسل والآيات، والكفر بواحد من هذا[١١] كفر بالله وبجميع الرسل. وإنما كان الكفر بالآيات كفرا بالله لأن الله[١٢] إنما يُعرَف من جهة الآيات، فالكفر[١٣] بالآيات كفر به.[١٤]

---

[١] ك: برسول.

[٢] روي الحديث بألفاظ متقاربة. وأقربها إلى ما هنا لفظ أحمد؛ انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ٥٢/٣. وللروايات الأخرى انظر: *صحيح البخاري*، المرضى ١٩؛ و*صحيح مسلم*، صفة القيامة ٧١-٧٥.

[٣] م: ما يقول.

[٤] ع م: ينجى بعلمه.

[٥] ن ع م: يحتمل.

[٦] ع م - فترتهم.

[٧] من *الشرح*، ورقة ٣٨٥ظ.

[٨] ن + والواحد.

[٩] ع م + التوفيق.

[١٠] ك ع: يدعوا.

[١١] م: منها.

[١٢] ن: الآيات.

[١٣] جميع النسخ: والكفر.

[١٤] ع - به.

وقوله عز وجل: **واتبعوا أمْرَ كلِّ جبّارٍ عَنِيد**، قيل: أخبر أنهم اتبعوا أمر الجبابرة وأطاعوهم وتركوا اتّباع الرسل وطاعتهم. قيل: الجبار[1] هو[2] المُتَجَبِّر الذي يتجبّر على الرسل ويتكبّر عليهم؛ لأن الرؤساء منهم كانوا يتجبّرون على الرسل ويتكبّرون. ثم الأَتْباع اتّبعوا الرؤساء في عملهم. قال أبو عَوْسَجَة: الجبار هو المُتَجَبِّر، والعَنِيد هو المُعانِد المُخالِف. وقال القُتَبي: العَنُود والعَنِيد والعَانِد: المُعارِض لك بالخلاف عليك.[3] وقال أبو عُبَيدة: العَنِيد والعَنُود[4] والعَانِد[5] هو الجائر.[6]

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾[٦٠]

وقوله عز وجل: **وأُتبِعُوا في هذه الدنيا لعنةً ويومَ القيامة**، قال بعضهم: اللعن هو العذاب، أي أُتْبِعُوا في الدنيا وفي الآخرة بالعذاب،[7] كقوله: أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ،[8] أي عذاب الله.

وقوله عز وجل: **وأُتبِعُوا**، أي أُلحِقُوا. وقيل: إن اللعن هو الطَّرد؛ طُرِدُوا[9] عن رحمة الله حتى لا ينالونها[10] لا في الدنيا ولا في الآخرة.

أَلَا إنّ عادًا كفروا ربهم أَلَا بُعْدًا لِعادٍ قومِ هود، أي أَلَا بُعْدًا لهم[11] مِن رحمة الله.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **وإلى ثمود أخاهم صالحًا**، هو ما ذكرنا،[12] أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا.[13] وقوله: **أخاهم**، قد ذكرنا أيضا[14] أن الأُخُوّة تتجه إلى وجوه ثلاثة: أخوة في الدين،

---

[1] ع م – الجبار.
[2] ن: قيل.
[3] م – عليك. *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٥.
[4] ع م – والعنود.
[5] ك ن: والمعاند.
[6] ع م: الجابر. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ١/٢٩٠.
[7] ع م – بالعذاب.
[8] سورة هود، ١١/١٨.
[9] ع: وطردوا.
[10] ن: لا ينالوانها.
[11] ن ع م – لهم.
[12] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٦٥.
[13] ن – هو ما ذكرنا أي أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا.
[14] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٦٥.

وأخوة في الجنس، وأخوة في النسب. فهو لا يحتمل أن يكون أخاهم في الدين، لكنه يحتمل أن يكون أخاهم من الوجهين الآخرين في الجنس والنسب.[1]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**. إن الرسل جميعًا[2] صلوات الله عليهم أوّلَ ما دَعَوْا قومهم إنما دَعَوْا إلى توحيد الله وجَعْل العبادة له، لأن غيره من العبادات إنما يقوم بالتوحيد. فكان[3] [ذلك] أوّل ما دَعَوْا[4] قومهم إليه. [و] لم يَزَل عادة الرسل وعملهم[5] الدعاء إلى توحيد الله والعبادة له.

وقوله عز وجل: **هو أنشأكم من الأرض**، قال[6] بعض أهل التأويل: **هو أنشأكم من الأرض**، يقول: هو خلقكم من آدم، وخلق آدم من الأرض. لكنه أضاف خَلْقَ الخلائق إليها كما أضاف في قوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ،[7] الآية، أخبر أنه خلقنا من نفسه، أي آدم وإن لم تكن أنفسنا فيه. فعلى ذلك إضافته إيانا بالخَلْق من الأرض وإن لم يَخلق أنفسَنا منها. أي خَلَق أصلَنا وأنشأه من الأرض، فأضاف[8] إنشاءنا إلى ما أنشأ أصلنا. ويشبه أن يكون قوله: **هو أنشأكم من الأرض**، أي جعل نَشْءَ الخلائق كلهم ونماءهم وحياتهم ومعاشهم بالخارج من الأرض؛ إذ به نَشْؤُهم[9] ونماؤهم وحياتهم، وقوامهم منها.

وقوله عز وجل: **واستَعْمَرَكم فيها**، قال بعضهم: أسكنكم فيها، وقال بعضهم: استخلفكم فيها. وقال غيره: قوله: **واستَعْمَرَكم فيها**،[10] أي جعلكم عُمَّارَ الأرض، تَعمُرونها لمعادكم ومعاشكم.[11] جعل عمارة هذه الأرض إلى الخَلْق، هم الذين يقومون بعمارتها وبنائها وأنواع الانتفاع بها. ويرجع كله إلى واحد. وقال بعضهم في قوله: **واستَعْمَرَكم**، أي جعل عُمركم طويلا.

---

[1] ع م - فهو لا يحتمل أن يكون أخاهم في الدين لكنه يحتمل أن يكون أخاهم من الوجهين الآخرين في الجنس والنسب.
[2] ك - جميعا.
[3] ع م: وكان.
[4] جميع النسخ: ما دعاهم.
[5] ع م: وعلمهم.
[6] م: وقال.
[7] سورة الأعراف، ١٨٩/٧.
[8] ع: وأضاف.
[9] ن ع: نشأهم؛ م: نشايهم.
[10] ك - قال بعضهم أسكنكم فيها وقال بعضهم استخلفكم فيها وقال غيره قوله واستعمركم فيها.
[11] ن ع م: لمعادهم ومعاشهم.

وقوله عز وجل: **فاستغفروه ثم توبوا إليه**، هذا قد ذكرنا فيما تقدم في قصة هود،[1] أي كونوا بحالٍ يغفر لكم. وهو[2] كقوله: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ،[3] كأنه قال: فإن انتهوا عن الكفر يغفر لهم.[4]

وقوله عز وجل: **إن ربي قريب**، لحفظ الخلائق، أو **قريب**، لمن أنعم عليهم، وأمثاله، أو **قريب**، إلى كل من يَفزع[5] إليه. **مجيب**، لدعاء كل داع استجاب له، كقوله: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي،[6] الآية، وكقوله: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي،[7] الآية.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **قالوا يا صالحُ قد كنتَ فينا مَرْجُوًّا قبل هذا أتنهانا أن نَعبد ما يَعبد آباؤنا**، قال بعضهم: قولهم: **قد كنتَ فينا مَرْجُوًّا**، كنتَ تَرحم الضعفاء وتعود المرضى -ونحوه[8] من الكلام- فالساعةَ صِرتَ على خلاف ذلك. وقال بعضهم: **كنتَ فينا مَرْجُوًّا**، كنا نرجو[9] أن ترجع إلى ديننا قبل هذا الذي تدعونا[10] إليه، فالساعةَ صِرتَ تَشتم آلهتنا وتَذكرها بعَيب. **أتنهانا أن نَعبد ما يَعبد آباؤنا**، أي ما كنا نعرف أن آباءنا[11] عندك سفهاء من قبل هذا، فالساعةَ تُسَفِّهُ[12] أحلامهم في عبادتهم الأصنام. **وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مُريب**. أو كانوا يذكرون هذا له احتجاجا لهم عليه[13] فيما دعاهم إلى توحيد الله وعبادتهم إياه. فقالوا: إنا على يقين أن آباءنا قد عبدوا هذه الأصنام،

---

[1] جميع النسخ: في قصة نوح. وانظر تفسير الآية من سورة هود، ٥٢/١١.
[2] م: هو.
[3] سورة الأنفال، ٣٨/٨.
[4] ن ع م: لكم.
[5] ع: من نفرع.
[6] ﴿وإذا سألك عبادي عنّي فإني قريب أُجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ فليستجيبوا لي وَلْيؤمنوا بي لعلهم يَرْشُدُون﴾ (سورة البقرة، ١٨٦/٢).
[7] ﴿وأَوْفُوا بعهدي أُوفِ بعهدكم﴾ (سورة البقرة، ٤٠/٢).
[8] ك: ونحو ذلك.
[9] ن ع م: نرجوا.
[10] ع: تدعوننا.
[11] ع م: أن آباؤنا.
[12] ن: تسفههم.
[13] ن – عليه.

وإنا على شك **مما تدعونا إليه مُريب**،[١] أي يُرِيبنا أمرُك ودعاؤك لنا إلى هذا الدين. قد قيل هذا. ولكنا[٢] لا نعلم ما كانوا[٣] يرجون فيه، وما معنى[٤] الذي قالوا له: **قد كنتَ فينا مَرْجُوًّا**، سوى أنا نعلم أنه كان مَرْجُوًّا فيهم بالعقل[٥] والدين والعلم والبصيرة ونحوه، فكان مَرْجُوًّا فيهم بالأشياء التي ذكرنا. هذا نعلم، ولا نعلم ما عَنَى أولئك بقولهم: **قد كنتَ فينا مَرْجُوًّا قبل هذا**. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي**، أي إن كنت على حجة وبرهان وبيان من ربي فيما أدعوكم إلى توحيد الله وصرف العبادة إليه. والثاني قوله: **أرأيتم إن كنت على بينة من ربي**، أي قد كنت على بينة من ربي.[٦]

وآتاني منه رحمة، يحتمل قوله: **رحمة**، أي آتاني هدى ونبوة من عنده.

/ **فمن ينصرني من الله**، أي من يمنعني من عذاب الله، **إن عصيته**، ورجعت إلى دينكم. أي لا أحد [٣٤٨و] ينصرني لو أجبتكم[٧] إلى ما دَعَوْتموني إليه. أي لا أحد ينصرني دون الله لو أجبتكم وأطعتكم فيما دَعَوْتموني إليه. ثم الذي دَعَوْه إليه يحتمل ترك[٨] تبليغ الرسالة إليهم، أو دعوة إلى عبادة الأصنام التي عبدوها.

وقوله عز وجل: **فما تزيدونني غير تخسير**، قيل فيه بوجوه. قيل: **فما تزيدونني**، بمجادلتكم إياي فيما تجادلونني إلا خسرانًا. وقال بعضهم: فما تزدادون[٩] بمعصيتكم إياي إلا خسرانًا لأنفسكم. وقال القُتَبي: **غير تخسير**، أي غير[١٠] نقصان.[١١] وقال أبو عَوْسَجَة: **غير تخسير**، هو من الخسران. يُقال: خَسَّرته، أي ألزمته الخسران.

---

[١] م – أو كانوا يذكرون هذا له احتجاجا لهم عليه فيما دعاهم إلى توحيد الله وعبادتهم إياه فقالوا إنا على يقين أن آباءنا قد عبدوا هذه الأصنام وإنا على شك مما تدعونا إليه مريب.

[٢] ع: وكنا.

[٣] م: ما كان.

[٤] ك ن م: المعنى.

[٥] م: في العقل.

[٦] ع م – أي قد كنت على بينة من ربي.

[٧] ك: إن أجبتكم.

[٨] ن – ترك.

[٩] م: فما تزيدون.

[١٠] ع م: أو غير.

[١١] تفسير *غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٥.

﴿وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[٦٤] ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **ويا قوم هذه ناقة الله لكم آيةً فذَرُوها تأكل في أرض الله**، قال لهم هذا حين سألوا منه الآية. فقال: **هذه ناقة الله لكم آيةً**، على صدق صالح فيما ادّعى من الرسالة. أو **هذه ناقة الله لكم آيةً**،[1] أي لكم الآية[2] التي سألتموها من [صاحب] الرسالة.

وقوله عز وجل: **ناقة الله**، أضاف إليه لخصوصيةٍ كانت فيها نحن لا نعرف ذلك. ليست تلك الخصوصية في غيرها من النُوق لِما جعلها آية لرسالته ونبوته خارجةً عما عاينوا من النُوق وشاهدوها. وهكذا كانت آيات الرسل، كانت خارجةً عن وُسع البشر وطَوْقهم لِيُعلَم أنها سماوية. ثم لا نعرف[3] أيّة[4] خصوصيةٍ كانت لها [غير] عِظَم جسمها وغِلَظ بدنها حيث قُسِم الشِّرْب بينهم وبينها حتى جُعل يوما لها ويوما لهم، بقوله: لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ.[5] ولم يُقسَم مراعيها بينها وبينهم، بقوله: **فذَرُوها تأكل في أرض الله**. وأما ما قاله بعض الناس: إنها خرجت من صخرة كذا، وإنها كانت تُحلَب كل يوم كذا، وأشياء أخرى[6] ذكروها، فإنا لا نعرف ذلك ولا نقطع القول فيه أنه كان كذلك، سوى أنا نعرف أنها كانت لها[7] خصوصية ليست تلك الخصوصية لغيرها من النُوق. ولو كانت لنا إلى تلك الخصوصية حاجة لبيّنها لنا. وأصله ما ذكرنا[8] أنه إذا أضيف جزئية الأشياء إلى الله فهو على تعظيم تلك الجزئيات المضافة إليه، وإذا أضيف[9] إليه[10] كلية الأشياء فهو على إرادة التعظيم لله والتبجيل له، نحو قوله: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[11] وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ،[12] ونحوه.

---

[1] ع م + فذروها تأكل في أرض الله قال لهم هذا حين سألوا منه الآية فقال هذه ناقة الله لكم.
[2] ك ن م: آية؛ ع – أي لكم آية.
[3] ع م: لا يعرف.
[4] م: أنه.
[5] سورة الشعراء، ١٥٥/٢٦.
[6] جميع النسخ: اخر.
[7] جميع النسخ: نعرف أن لها كانت.
[8] انظر تفسير الآية من سورة هود، ٧/١١.
[9] ع: أضيفت.
[10] م: إلى.
[11] سورة البقرة، ١٠٧/٢؛ وسورة المائدة، ٤٠/٥؛ وسورة الأعراف، ١٥٨/٧؛ وغيرها.
[12] سورة النمل، ٩١/٢٧.

وقوله عز وجل: **ولا تَمَسُّوها بسوء**، نهاهم أن يَمَسُّوها[١] بسوء، ولم يبيّن ما ذلك السوء. فيحتمل أن يكون ذلك شيئا[٢] عَرفوا هم ونهاهم[٣] عن ذلك. وقال بعض أهل التأويل: **ولا تَمَسُّوها بسوء**، أي لا تَعْقِروها، **فيأخذَكم عذاب قريب**، لِما كان ذلك على إثر عَقْرِهم الناقة بثلاثة أيام؛ حيث قال:[٤] **فعَقَرُوها فقال تَمَتَّعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وَعْدٌ غيرُ مَكْذُوب**. وما ذُكر أيضا أنّ وجوههم اصفرّت في اليوم الأول ثم احمرّت في اليوم الثاني ثم اسودّت في اليوم الثالث ثم نزل بهم العذاب في اليوم الرابع فذلك أيضا مما لا نعرفه. وقوله عز وجل: **عذاب قريب**، قيل: [يقع] سريعا، لا تُمْهَلون[٥] حتى تُعَذَّبوا. وقوله: **ذلك وَعْدٌ**، من الله، **غيرُ مَكْذُوب**، ليس فيه كذب. وكان عذابهم إنما نزل[٦] على إثر سؤال[٧] الآية. سألوا ذلك، فلمّا أنْ جاءهم بها كذّبوها، فنزل بهم العذاب. وهكذا السُّنة في الأمم السالفة، أنهم إذا سألوا الآية فجاءتهم فلم يؤمنوا[٨] بها نزل بهم العذاب. وهو قوله: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا،[٩] الآية. ***والله أعلم***.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **فلمّا جاء أمرنا**، أي جاء ما أُمَر به، كما يُقال: جاء وَعْد ربنا، أي جاء مَوْعُود ربنا؛ لأن وعده وأمره لا يجيء، ولكن جاء ما أُمَر به وما وَعَد[١٠] به؛ وهو العذاب. أو يقول:[١١] **جاء**، أي أتى[١٢] وقتُ وقوعِ ما أُمَر به ووَعَد؛[١٣] وهو العذاب الذي وَعَد وأَمَر به. ***والله أعلم***.

---

[١] ع م: أن يمسوا.
[٢] جميع النسخ: شيء.
[٣] ن ع: فنهاهم.
[٤] ع: قالوا.
[٥] جميع النسخ: لا تمهلوا.
[٦] ع – نزل.
[٧] م: السؤال.
[٨] ع: تؤمنوا.
[٩] ﴿وما مَنَعَنا أن نرسل بالآيات إلا أنْ كَذَّب بها الأوّلون وآتينا ثمود الناقة مُبصِرةً فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا﴾ (سورة الإسراء، ٥٩/١٧).
[١٠] ك: ووعد.
[١١] ك: أو تقول.
[١٢] ع: أي إلى.
[١٣] ع م: وعد.

نجّينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا، بنعمة منا، أو بفضل[1] منا. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[2]

وقوله عز وجل: **ومِن خِزْيِ يومِئذ**، قيل: الخِزْي هو العذاب الذي يَفضحهم. وقيل: كل عذاب فهو خِزْي، أي نجّاهم مِن خِزْي ذلك اليوم.

وقوله عز وجل: **إن ربك هو القوي العزيز**، قيل: **القوي**، هو الذي لا يُعجِزه شيء. والعزيز هو الذي يُذِلّ مَن دونه. وقيل: **القوي**، هو[3] المنتقم المنتصر لأوليائه من أعدائه. **العزيز**، هو المَنِيع في ملكه وسلطانه الذي لا يُعجِزه شيء.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **وأَخَذَ الذين ظلموا الصيحةُ**، قيل: عذابهم كان صيحةً صاح بهم جبريل. وقيل: الصيحة: الصاعقة. و[قيل:][4] كل عذاب فهو صيحة. لكن لا ندري كيف كان. أو أن يكون عذابهم قَدْرَ صيحةٍ لسرعة وقوعه بهم. أو يُسمِّي ذلك العذاب صيحة [لأنهم] لمّا رأوه [كانوا] يصيحون[5] فيما بينهم، أو ما ذكرنا.

وقوله[6] عز وجل: **فأصبحوا في ديارهم جاثمين**، قال هاهنا: **ديارهم**، وقال في سورة الأعراف: دَارِهِمْ،[7] والقصة واحدة. قال بعضهم: دارهم: قُراهُم، وديارهم: منازلهم. ولكن هو واحد. أصبحوا جاثمين في دارهم ومنازلهم سواء. وقوله: **جاثمين**، قيل: خامدين موتى. وأصل قوله: / **جاثمين**، أي [٣٤٨ظ] مُنْكَبِّين على وجوههم. يُقال: جَثَم الطائر، إذا انْكَبَّ[8] على وجهه مخافة الصيد. وقد ذكرنا فيما تقدم.[9]

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴾[٦٨]

وقوله عز وجل: **كأنْ لم يَغْنَوْا فيها**، قيل: كأنْ لم يعيشوا فيها. وقيل: كأنْ لم يسكنوا فيها.[10] وقيل: كأنْ لم يَعمُروا فيها. وأصله أنهم صاروا كأنْ لم يكونوا فيها لِما لا يُذكَرون بعد هلاكهم،

---

[1] ك: وبفضل.
[2] انظر تفسير الآية من سورة هود، ٥٨/١١.
[3] ع م – هو.
[4] من *الشرح*، ورقة ٣٨٦ظ.
[5] جميع النسخ: ما يصيحون.
[6] ن: قوله.
[7] ﴿فأخذتهم الرَّجْفَة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ (سورة الأعراف، ٧٨/٧).
[8] ع: إذا نكب.
[9] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧٨/٧.
[10] ن – وقيل كأن لم يسكنوا فيها.

فصاروا مِن حيث لا يُذكَرون كأنْ لم يكونوا. وأما الأخيار والأبرار فإنهم وإن ماتت أبدانهم وصارت كأنْ لم تكن ففي الذكر كأنهم أحياء حيث يُذكَرون[١] بعد موتهم.

وقوله عز وجل: **ألَا إنّ ثمود كفروا ربهم**، قيل: كفروا[٢] نعمة ربهم،[٣] أو كفروا بآيات ربهم. فذلك كله كفر بالله.

وقوله عز وجل: **ألَا بُعْدًا لثمود**، أي ألَا بُعْدًا[٤] لثمود مِن رحمة الله.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى**، اختلفوا في هذه البِشارة. قال بعضهم: جاءوهم[٥] ببشارة[٦] إسحاق وحافد،[٧] وهو قوله: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ.[٨] وقال بعضهم: جاءوا ببشارة إهلاك قوم لوط وإنجاء لوط وأهله. قيل: لأن لوطا كان ابن أخي[٩] إبراهيم. وكان لوط فَزِع إلى الله بسوء عمل قومه وصنيعهم[١٠] ودعا بالنجاة منهم، وهو قوله: إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ،[١١] الآية. حتى ذُكِر في بعض القصة أن سارة قالت لإبراهيم: ضُمّ ابن أخيك إلى نفسك، فإن قومه يُعَذَّبون. كأنها عَرفت أنه[١٢] لا يتركهم على ما هم عليه بسوء عملهم. قالوا: جاءوا[١٣] بالبشارتين جميعا: ببشارة[١٤] الولد والحافد، وبشارة هلاك[١٥] قوم لوط ونجاة لوط وأهله. إلى هذا يذهب بعض أهل التأويل.

---

١ ع: أحياء يذكرو؛ م: يذكر.
٢ ن - قيل كفروا.
٣ ع - قيل كفروا نعمة ربهم.
٤ ع: ألا بعد.
٥ ك: جاؤا هم.
٦ ع: بشارة.
٧ الحافد والحفيد: ولد الولد (*لسان العرب* لابن منظور، «حفد»).
٨ سورة هود، ٧١/١١.
٩ ن: أخ.
١٠ م: وصنعهم.
١١ سورة الشعراء، ١٦٨/٢٦.
١٢ أي عرفت أن الله تعالى...
١٣ ع - جاءوا.
١٤ م - ذكر في بعض القصة أن سارة قالت لإبراهيم ضم ابن أخيك إلى نفسك فإن قومه يعذبون كأنها عرفت أنه لا يتركهم على ما هم عليه بسوء عملهم قالوا جاءوا بالبشارتين جميعا ببشارة.
١٥ ع: هلاكهم.

وقوله عز وجل: **قالوا سلاما قال سلام**، هذا يدل أن[1] السلام هو[2] سنة الأنبياء والرسل والملائكة في الدنيا والآخرة، ولم تُخَصّ[3] هذه الأمة به،[4] بل كان سنة الرسل الماضية والأمم السالفة. وكذلك[5] هو تحية أهل الجنة بقوله:[6] سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ،[7] ونحوه. هذا يدل على[8] ما ذكرنا. ثم انتصاب قوله: **سلاما**، وارتفاع الثاني، لأن الأول انتصب لوقوع[9] القول[10] عليه،[11] كقولك:[12] قال قولا، والثاني حكاية لقولهم.

وقوله عز وجل: **فما لَبِثَ أنْ جاء بعِجْلٍ حَنِيذ**. وقوله: **فما لَبِثَ أنْ جاء**، أي ما لَبِثَ عندهم حتى اشتغل بتقديم شيء إليهم. وإلّا قد يكون في ذبح العِجْل وشَيِّه[13] لُبْثٌ إلّا أن يكون العِجْل مَشْوِيًا. فإن لم يكن مَشْوِيًا فتأويله ما ذكرنا أنْ لم يَلبث عندهم في المؤانسة والحديث معهم على ما يُفعَل مع الأضياف[14] حتى جاء بما ذكر. وفيه ما ذكرنا من الأدب. وفيه دلالة فيمن نزل به ضيف أنْ لا يَشتغل بالسؤال عن أحوال ضيفه من أين وإلى أين[15] وما حاجتهم، ولكن يَشتغل بقِرَاهم[16] وإزاحة حاجتهم؛ لأن إبراهيم صلوات الله عليه إنما اشتغل بقِرَاهم، لم يَشتغل بالسؤال عن أحوالهم، ولكن اشتغل[17] بما ذكرنا، فجاء بعِجْلٍ حَنِيذ. وهذا هو الأدب في الضيف.[18]

---

[1] ع – أن.
[2] م – هو.
[3] ن ع م: لم تخص.
[4] ن ع: له؛ م – به.
[5] ن ع م – وكذلك.
[6] ك: لقوله.
[7] ﴿وسِيقَ الذين اتَّقَوْا ربهم إلى الجنة زُمَرا حتى إذا جاءوها وفُتِحَتْ أبوابها وقال لهم خَزَنَتُها سلام عليكم طِبْتُم فادخلوها خالدين﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٧٣).
[8] ن ع م – على.
[9] ن + لوقوع؛ م: لوع.
[10] ك: الفعل.
[11] أي وقعت كلمة "سلاما" مقول القول، وهي مفعول الفعل "قال".
[12] م: كقوله.
[13] جميع النسخ: وشويه. وهو مصدر شَوَى اللحم، يَشْوِيه شيًا (*لسان العرب* لابن منظور، «شوى»).
[14] ع: مع الأصناف.
[15] ع: من ابن وإلى ابن؛ م: إلى أين.
[16] أي بتقديم ما ينبغي تقديمه للضيف.
[17] ع + بقراهم لم يشتغل بالسؤال عن أحوالهم ولكن اشتغل.
[18] م: بالضيف.

ألا ترى أنه لو كان سأل عن أحوالهم فعرف أنهم من الملائكة لكان لا يَشتغل بما ذكر إذ عَرف أنهم من الملائكة، والملائكة لا يتناولون شيئًا من الطعام.

وقوله: **بِعِجْلٍ حَنِيذ**، قال بعضهم: الحَنِيذ: السمين. وهو ما ذكر في موضع آخر: فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ.[١] وقال بعضهم: الحَنِيذ هو المَشْوِي الذي خُدَّ[٢] [له] في الأرض خَدٌّ،[٣] فأُحْمِيَ[٤] فشُوِي[٥] بالحجر المُحْمَى. وقال بعضهم: الحَنِيذ هو المَشْوِي الذي يَسيل[٦] منه الماء. وقال ابن عباس: هو[٧] نَضِيج، الحَنِيذ: النَّضِيج.[٨]

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾[٧٠]

وقوله عز وجل: **فلمّا رأى أيديَهم لا تَصِل إليه نَكِرَهم**، قال بعضهم: **نَكِرَهم** وأنكرهم واستنكرهم واحد. وهو من الإنكار، أي لم يعرفهم. ظن أنهم لصوص؛[٩] لأن اللصوص من عادتهم أنهم كانوا إذا أرادوا السَّرِقة من قوم لم يتناولوا من طعامهم ولم يأكلوا[١٠] شيئا عندهم. وقيل: **نَكِرَهم**، أنهم من البشر.

وأَوْجَسَ[١١] **منهم خِيفة**، قيل: أضمر منهم **خِيفة**، أي خوفا.[١٢] قال بعضهم: خاف لما ظن أنهم سُرّاق ولصوص حيث لم يتناولوا شيئا مما قدّم إليهم. وقال بعضهم: **خِيفة**، أي وحشة. أي أضمر وحشة حيث لم يتناولوا شيئا مما[١٣] قرّب إليهم. فحينئذ[١٤] علم أنهم ليسوا من البشر؛

---

[١] سورة الذاريات، ٥١/٢٦.

[٢] خَدّ أي حفر في الأرض. والخَدّ والأُخدُود: الحفرة (*لسان العرب* لابن منظور، «خدد»).

[٣] م – خد.

[٤] جميع النسخ: فحمي. أَحْمَى الحديدة وغيرها إذا أسخنها ولا يقال: حماها (*لسان العرب* لابن منظور، «حمي»).

[٥] ع م: مشوي.

[٦] ع: يسئل.

[٧] ع + هو ابن عباس.

[٨] *تفسير الطبري*، ١٢/٦٩؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٤٦.

[٩] ع: نصوص.

[١٠] ع: تأكلوا.

[١١] م – واحد وهو من الإنكار أي لم يعرفهم ظن أنهم لصوص لأن اللصوص من عادتهم أنهم كانوا إذا أرادوا السرقة من قوم لم يتناولوا من طعامهم ولم يأكلوا شيئا عندهم وقيل نكرهم أنهم من البشر وأوجس.

[١٢] ع م – أي خوفا.

[١٣] م – مما.

[١٤] ك: فحح.

لأن منزل إبراهيم كان بِنَأْيٍ[1] من البلد، ولم يَنْزِله أحد[2] من البشر إلا وقد احتاج إلى الطعام. فلما لم يتناولوا[3] علم أنهم ليسوا من البشر، فما جاءوا إلا لأمرٍ عظيم: لتعذيب قوم وهلاكهم، فخاف لذلك.[4]

قالوا لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط، وقال في موضع آخر: إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً،[5] الآية، وقال هاهنا: **لا تَخف إنا أُرسلنا إلى قومِ لوطٍ**، وقال في موضع آخر:[6] لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ،[7] وقال: فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ.[8] يذكر هاهنا أن قولهم: إِنَّا أُرْسِلْنَا، على إثر سؤال، وفيما نحن فيه لا كذلك. فالمعنى فيه –والله أعلم– أن ذلك كان على إثر سؤال إبراهيم بقوله: فَمَا خَطْبُكُمْ. لكنه جمع ذلك فيما نحن فيه بالحكاية عن قولهم وإن كان مفصولا عنه. وخرجت الحكاية في موضع آخر على ما كان في الحقيقة. وذلك مستقيم في كلام العرب. ***والله أعلم***.

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[٧١]

وقوله[9] عز وجل: **وامرأته قائمة فضحكت**، قال بعضهم: **قائمة**، على رؤس الأضياف؛[10] لأنها كانت عجوزة، ولا بأس لعجوز[11] [في] ذلك. ألا ترى إلى قول الله تعالى: وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ،[12] الآية. وقال بعضهم: **قائمة**، مِن وراء الباب. لكن لسنا ندري أي ذلك كان.

*وقال في هذه السورة: **وامرأته قائمة فضحكت**، وقال في موضع آخر: فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ؛[13] فإن كان على ما قالوا: إنها كانت قائمة وراء الباب، فيكون إقبالُها خروجَها إلى القوم؛ [٣٤٩و س٦

---

[1] النَّأْي هو البُعد (*لسان العرب* لابن منظور، «نأى»).

[2] م: له.

[3] ع: لم يتأولوا.

[4] ع: كذلك.

[5] ﴿قالوا إنا أُرْسِلنا إلى قوم مجرمين. لِنُرْسِلَ عليهم حجارةً مِن طِين﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٣٢-٣٣).

[6] ع م – إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة الآية وقال هاهنا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وقال في موضع آخر.

[7] سورة الذاريات، ٥١/٢٨.

[8] سورة الذاريات، ٥١/٣١.

[9] ن: قوله.

[10] ع: الأصناف.

[11] ع: بعجوز.

[12] ﴿والقَوَاعِدُ مِن النساء اللاتي لا يَرْجُون نكاحًا فليس عليهن جُناحٌ أنْ يَضَعْنَ ثيابهن غيرَ مُتَبَرِّجاتٍ بزينة وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خيرٌ لهن والله سميع عليم﴾ (سورة النور، ٢٤/٦٠).

[13] ﴿فأَقْبَلَتِ امرأته في صَرَّةٍ فصَكَّتْ وَجْهَها وقالت عجوزٌ عَقِيم﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٢٩).

وإن كان قيامُها على رءوسهم فيكون معنى الإقبال هو الإقبال في ضَرْب وجهها وصَكِّها. [أي] ليس[١] ذلك مِن القُدوم، لكنه على الإقبال بفعلِ ما أخبر[٢] عنها مِن صَكِّ وجهها. *والله أعلم*.* ٣٤٩و س ١٠]

وقوله عز وجل: **فضحكت**، قال بعضهم: ضحكت تعجُّبا مِن خوف إبراهيم أنهم لصوص. وهم كانوا ثلاثة أو أربعة[٣] دون عشرة. وكان خَدَم إبراهيم عليه السلام يَبلغ عددُهم ثلاثمائة على ما ذُكر في القصة. ضحكت تعجُّبا أنه كيف يخاف مِن نفرٍ عددُهم دون عشرة[٤] وعنده من الخَدَم ما يَبلغ عددُهم ما ذكرنا. وقال بعضهم: ضحكت تعجُّبا مما بشّروها بالولد وقد بلغ سنها ما بلغ من الكِبَر، وهو كذلك،[٥] وقالت: أحقٌّ أن أَلِد[٦] وقد كَبِرْتُ من السن كذا. وقال بعضهم: ضحكت أي حاضت، مِن قولهم: ضحكت الأرنب، إذا حاضت.[٧] وهو قول ابن عباس وعكرمة.[٨] / وقال الفَرّاء: ضحكت[٩] [بمعنى] حاضت غيرُ مسموع ولا معروف. [٣٤٩و] فعلى تأويل من قال: إنها ضحكت تعجُّبا مما بُشِّرت بالولد فهو على التقديم والتأخير، كأنه قال: **فبشرناها بإسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب**، فضحكت. وقال بعضهم: ضحكت سُرورًا بالأمن[١٠] منهم، لأنهما خافا منهم.[١١]

وقوله: **ومن وراء اسحاق يعقوب**[١٢] ظاهرُ هذا أنها بُشِّرت بإسحاق ومِن وراءِ وِلَادِ[١٣] إسحاق بِوِلادِ[١٤] يعقوب. ولكن لم يكن يعقوب وُلد مِن إبراهيم، إنما وُلد مِن إسحاق،

---

[١] جميع النسخ: لكن.
[٢] ن ع م: ما أخبر.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٤٩و/سطر ٦-١٠.
[٣] ع م: وأربعة.
[٤] ك ن: عشر.
[٥] أي زوجها إبراهيم عليه السلام كذلك بلغ الكِبَر.
[٦] ع: أن الولد.
[٧] ع: إذا خاضت.
[٨] روي عن ابن عباس وعكرمة؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٥١-٤٥٢. وروي عن مجاهد؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٧٣.
[٩] م: فضحكت.
[١٠] ع: بالأرمن.
[١١] *معاني القرآن* للفراء، ١/٣٣٨.
[١٢] ع م + فضحكت وقال بعضهم.
[١٣] ك ع م: اولاد.
[١٤] ك: اولاد.

وهو حافِد إبراهيم [و]ابنُ[1] إسحق. فتأويله: مِن وراءِ إسحاق حافِدٌ. فإنما البشارة بالولد وبالحافد. وهو[2] كقوله: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً.[3]*

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **قالت يا ويلتَى أَأَلِدُ وأنا عجوز وهذا بَعْلِي شيخًا**، وقال في موضع آخر: وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ،[4] وقالت[5] هاهنا: **يا ويلتَى أَأَلِدُ وأنا عجوز وهذا بَعْلِي شيخًا**[6] **إنّ هذا لَشيء عجيب**، هي لم تتعجّب قدرة الله أنه قادر على أن يَهَبَ الولد في كل وقت، ولكنها تعجبت[7] لما رأت العادة في النساء والرجال أنهم إذا بلغوا المَبْلَغ الذي كانوا هم لم يَلِدوا. فتعجُبها أنها تَلِد في الحال التي[8] هما عليها أو يُرَدَّان[9] إلى حال[10] الشباب فعند ذلك يولد لهما.[11] وكِلاهما عجيب بحيث الخروج على خلاف العادة لا بحيث قدرة الرب. وهو كما ذكرنا مِن قول زكريا: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ،[12] وفي موضع آخر: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا.[13] قوله: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ، في الحال التي أنا عليها، أو يُرَدُّ إليَّ شبابي.[14] فعلى ذلك قولها: **أَأَلِدُ وأنا عجوز وهذا بَعْلِي شيخا إنّ هذا لَشيء عجيب**.

---

[1] ع م: بن.
[2] ع م: وهم.
[3] سورة الأنبياء، ٧٢/٢١.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٤٩و/سطر ٦-١٠.
[4] سورة الذاريات، ٢٨/٥١-٢٩.
[5] ك: وقال.
[6] ع م - وقال في موضع آخر وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم وقالت هاهنا يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا.
[7] ع: تعجب.
[8] ك + هي.
[9] م: أو تردان.
[10] ع: أي حال.
[11] م: هما.
[12] سورة آل عمران، ٤٠/٣.
[13] ﴿قال ربِّ أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغتُ مِن الكِبَر عِتِيًا﴾ (سورة مريم، ٨/١٩).
[14] ع: شابي.

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [٧٣]

وقوله عز وجل: **قالوا أتَعجبين مِن أمر الله**، قال أهل التأويل: أتَعجبين مِن قدرة الله [على] هذا.[١] لكنه يحتمل وجهين. أحدهما أي لا تَعجبي[٢] مِن أمر الله هذا، وكثيرا ما رأيتِ[٣] أمثالَ ذلك في أهل بيتك. والثاني.[٤]

وقوله عز وجل: **رحمةُ الله وبركاتُه عليكم**، يشبه أن يكون هذا صلة قوله: قَالُوا سَلَامًا؛[٥] لأنه معلوم أنهم لم يقولوا: سَلَامًا، حَسْبُ لم يزيدوا على هذا، بل زادوا. فكأنهم قالوا: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أو قالوا: سلام الله ورحمته وبركاته عليكم.

أهلَ البيت، بالنصب، كأنه قال: يا أهلَ البيت، كقوله صلى الله عليه وسلم حيث قال: «تركتُ بَعدي[٦] الثَّقَلَين: كتابَ الله وعِترَتي[٧] أهلَ بيتي»،[٨] أي يا أهل بيتي.[٩]

---

[١] في نسخة ك ن بياض بمقدار عدة كلمات. وفي الهامش: كذا في الأصل بياض.

[٢] جميع النسخ: لا تعجبين.

[٣] جميع النسخ: مما رأيت.

[٤] في نسخة ك ن بياض بمقدار عدة كلمات. وفي الهامش: كذا في الأصل بياض. ع م - لكنه يحتمل وجهين أحدهما أي لا تعجي من أمر الله هذا وكثيرا ما رأيت أمثال ذلك في أهل بيتك والثاني. وعبارة الشارح هكذا: «وقوله: ﴿قالوا أتَعجبين مِن أمر الله﴾، قال أهل التأويل: أتَعجبين مِن قدرة الله هذا. لكنه لا يحتمل أن تتعجب من قدرة الله، لكن تعجُّبها مما ذكرنا من العادة الجارية. ومعناه لا تَعجبين مِن أمر الله هذا ومِن نَقْضِ العادةِ الجارية على طريق الآية. وكثيرا ما رأيتَ أمثالَ ذلك في أهل بيتك». (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨٧و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٤٣٢و).

[٥] سورة هود، ٦٩/١١.

[٦] ع م: بعد.

[٧] ع: وعشرتي.

[٨] روي الحديث مِن عِدّة طُرُق نحو هذا اللفظ. وأقرب الألفاظ إلى ما هنا ما رواه الإمام أحمد. انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٤/٣، ١٧، ٢٦، ٥٩؛ ١٨١/٥؛ وسنن *الترمذي*، المناقب ٣١. وحسّنه الترمذي. وسُمّي الكتاب وأهل البيت بالثَّقَلَين لأن الأخذ بهما ثقيل، والعمل بهما ثقيل. وأصل الثَّقَل أن العرب تقول لكل شيء نفيس خطير مَصُون: ثَقَل، فسمّاهما ثَقَلَين إعظاما لقدرهما وتفخيما لشأنهما. وأصله في بَيْض النَّعام المَصُون (*لسان العرب* لابن منظور، «ثقل»). وعِتْرَة الرجل: أقرباؤه مِن وَلَد وغيره. وقيل: هم رَهْطه وعشيرته الأَدْنَوْن مَن مَضَى منهم ومَن غَبَر. وقيل: العِتْرة: ولد الرجل وذريته وعَقِبُه مِن صُلْبِه... فعترة النبي وَلَد فاطمة رضي الله عنها. وقيل: عترة النبي عبد المطلب وولده. وقيل: عترته أهل بيته الأقربون، وهم أولاده، وعلي وأولاده. وقيل: عترة الرجل أقرباؤه مِن وَلَد عَمِّه. ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه قال للنبي حين شاور أصحابه في أَسَارَى بدر: عترتك وقومك، أراد بعترته العباس ومن كان فيهم من بني هاشم، وبقومه قريشا. والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته، وهم الذين حُرِّمَتْ عليهم الزكاة والصدقة المفروضة، وهم ذَوُو القربى الذين لهم خُمس الخُمس (*لسان العرب* لابن منظور، «عتر»).

[٩] هذا الإعراب فيه نظر. والصواب أن يكون "أهل" بدلا أو عطف بيان من "عترتي"، ولا محل للنداء هنا.

إنه **حميد مجيد**، يحتمل **حميد**: الذي يَقبل اليسير من المعروف[1] ويعطي الجزيل كالشَّكُور.[2] والمَجِيد مِن المجد والشرف. وقيل: الحَمِيد: المحمود، والمَجِيد: الماجِد، وهو الكريم. *والله أعلم*.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[٧٤]

وقوله عز وجل: **فلمّا ذهب عن إبراهيم الرَّوْعُ**، قيل: **الرَّوْع** هو الفَرَق والفَزَع الذي دَخَل فيه بمجيء الملائكة. **وجاءته البُشرى**، في الولد والحافد وفي نجاة لوط وأهله. وهو ما ذكرنا في قوله: وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى.[3]

وقوله عز وجل: **يجادلنا في قوم لوط**، قال بعض أهل التأويل: مجادلته إياهم في قوم لوط ما ذكر في القصة أنه قال لهم: أرأيتم إن كان فيهم من المؤمنين كذا أتعذّبونهم؟ قالوا: لا، ونحوه من الكلام.[4] فإن ثبت هذا، وإلّا لا نعلم ما[5] مجادلته إياهم. وأمكن أن يكون مجادلته إياهم[6] في دفع العذاب عنهم أو تأخيره، دليله قوله: يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ.[7] ويحتمل مجادلته إياهم في استبقاء قوم لوط شفقةً عليهم ورحمةً لعلهم يؤمنون ويقبلون ما يُدْعَوْن إليه لئلا يَنْزِل بهم العذاب [و]ما أُوعِدوا. يَتشفّع إليهم ليسألوا ربهم أن يُبْقِيَهم. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[٧٥]

وقوله[8] عز وجل: **إنّ إبراهيم لحَليمٌ أَوَّاهٌ مُنِيب**، قيل: الحليم هو الذي لا يكافئ مَن ظَلَمَه ولا يجازيه به؛ أو يَحْلُم عَن سَفَه كل[9] سفيه. **أَوَّاه**، قيل: الأَوَّاه: المُوقِن، بلغة الحَبَش.

---

[1] ع: بالمعروف.

[2] ع: بالشكور.

[3] سورة هود، ٦٩/١١.

[4] رويت في ذلك آثار كثيرة. منها ما روي عن قتادة: قوله: ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾، ذُكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المؤمنين أمُعَذِّبوها أنتم؟ قالوا: لا، حتى صار ذلك إلى عشرة. قال: أرأيتم إن كان فيها عشرة أمُعَذِّبوهم أنتم؟ قالوا: لا. وهي ثلاث قُرى فيها ما شاء الله من الكثرة والعدد. انظر: *تفسير الطبري*، ٧٩/١٢-٨٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٥٤/٤.

[5] ن ع م – ما.

[6] ع م – وأمكن أن يكون مجادلته إياهم.

[7] سورة هود، ٧٦/١١.

[8] ن: قوله.

[9] م – سفه كل.

وقيل: الأَوَّاه: المُتَأَوِّه، وهو الدَّعَّاء، وهو كثير[١] الدعاء. وقيل: الأَوَّاه: المتّقي[٢] الذي لا يَفْتُر لسانُه عن ذِكره. وقيل: الأَوَّاه: الحَزين فيما بينه وبين ربه. جمع في هذه الأحرف الثلاثة جميع أنواع الخير والطاعة: ما كان فيما[٣] بينه وبين ربه، وما كان بينه[٤] وبين الخلق. حيث ذكر أنه حليم وأنه **أَوَّاه** وأنه[٥] **مُنِيب**. والمُنِيب قيل: المُخلِص لله، وقيل: هو[٦] المُقْبِل إلى الله بِقَلْبِه وبدنه. وقد ذكرنا هذا في سورة التوبة.[٧]

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **يا إبراهيم أعرض عن هذا**، يعني عن المجادلة التي كان يجادلهم. **إنه قد جاء أمر ربك**، أي جاء ما[٨] أَمَرَ به ربك، وجاء مَوْعُود ربك.[٩] **وإنهم آتيهم عذابٌ غيرُ مَرْدُود**، أي غير مدفوع، لا يحتمل الرد بالشفاعة. ويحتمل قوله: **يا إبراهيم أعرض عن هذا**، عن المجادلة[١٠] التي ذكر. **إنه قد جاء أمر ربك**، بالانصراف والرجوع عنك.[١١] ويحتمل **جاء أمر ربك**، مِن إنزال العذاب بهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **ولمّا جاءت / رسلنا لوطًا سِيءَ بهم**، قوله: **سِيءَ بهم**، قيل:[١٢] أي ساءه [٣٤٩ظ] مجيئُهم ومكانهم وكَرِهَهُم لِصنيعِ قومِه بالغُرَباء مخافةَ أن يَفضحوه.[١٣] **وضاق بهم ذَرْعًا**،

---

[١] م: وكثير.
[٢] ك: التقي.
[٣] ك – فيما.
[٤] ع – وما كان بينه.
[٥] م – وأنه.
[٦] م – هو.
[٧] انظر تفسير الآية من سورة التوبة، ٩/١١٤.
[٨] ع – ما.
[٩] ع م – ربك.
[١٠] ك – التي كان يجادلهم إنه قد جاء أمر ربك أي جاء ما أمر به ربك وجاء موعود ربك وإنهم أتيهم عذاب غير مردود أي غير مدفوع لا يحتمل الرد بالشفاعة ويحتمل قوله يا إبراهيم أعرض عن هذا عن المجادلة.
[١١] أي بانصراف الملائكة عنك وذهابهم إلى قوم لوط.
[١٢] م: قيل قوله سيئ بهم.
[١٣] جميع النسخ: أن يفضحوهم.

أي لم يَدْرِ كيف يَصنع بهم وكيف يحتال لِيدفع عن ضيفه سوء قومه. والذَّرْع قيل:[1] هو المقدرة والقوة، أي ضاق مقدرتُه وقوتُه. **وقال هذا يومٌ عَصِيب**، قيل: فَظِيع شديد؛ لأنه يوم يَهْتِك[2] الأَسْتار ويَفْضَح الرجال. وفيه دليل جواز الاجتهاد؛ لأنه[3] قال: **يومٌ عَصِيب**،[4] فَظِيع، فبَعْدُ لم يَظهر له شِدَّتُه، لكنه قاله[5] اجتهادًا. ***والله أعلم.***

ثم قوله: **ولمّا جاءت رسلنا لوطًا سِيءَ بهم وضاق بهم ذَرْعًا**، يحتمل أن يكون قوله: **سِيءَ بهم وضاق بهم ذَرْعًا**، لما جاءته الرسل بإهلاك قومه ساءه ذلك، وضاق به ذَرْعا لذلك.[6] ويحتمل قوله: **سِيءَ بهم وضاق بهم ذَرْعًا**،[7] بسوء صنيع قومه بأضيافه. الحرفان جميعا ينصرفان[8] إلى لوط لمكان قومه أو لمكان أضيافه. أو يكون أحد الحرفين لمكان ضيفه والآخر لمكان[9] ما يَنْزِل[10] بقومه. ***والله أعلم.***

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾[٧٨]

وقوله عز وجل: **وجاءه قومه يُهْرَعُون إليه**، قال بعضهم: يسرعون إليه؛ وقال بعضهم: **يُهْرَعُون إليه**، أي يُهَرْوِلُون إليه. وهو سَيْرٌ بَيْن السَّعْي وبَيْن المَشْي، بَيْنَ بَيْن.[11] وقال بعضهم:[12] **يُهْرَعُون إليه**، أي يَرُوعُون إليه، مِن الرَّوْع، أي فَزِعِين إليه. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **ومِن قبلُ كانوا يعملون السيئات**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل[13] قوله: **ومِن قبلُ**، [أي مِن قبلِ] أنْ يُبعَث لوطٌ رسولاً إليهم **كانوا يعملون السيئات**. ويحتمل قوله: **ومِن قبلُ**،

---

[1] ك – قيل.
[2] ع: يهتلك.
[3] ع: ولأنه.
[4] ن – قيل فظيع شديد لأنه يوم يهتك الأستار ويفضح الرجال وفيه دليل جواز الاجتهاد لأنه قال يوم عصيب، صح هـ.
[5] ع م: قالوا.
[6] ك + أيضا.
[7] ع م – يحتمل أن يكون قوله سيئ بهم وضاق بهم ذرعا لما جاءته الرسل بإهلاك قومه ساءه ذلك وضاق به ذرعا لذلك ويحتمل قوله سيئ بهم وضاق بهم ذرعا.
[8] جميع النسخ: ينصرف.
[9] ع – والآخر لمكان؛ م + ضيفه.
[10] ع م: وما ينزل.
[11] جميع النسخ: بين بينين.
[12] ع م + قوله.
[13] ن ع م – يحتمل.

أي مِن قبلِ نزول الأضياف[1] بلوط **كانوا يعملون السيئات**. والسيئات تحتمل[2] الشرك وغيره من الفواحش التي كانوا يرتكبونها. ***والله أعلم***.

وقوله: **قال يا قومِ هؤلاء بناتي هنّ أَطْهَرُ لكم**، اختلف في قوله: **بناتي هنّ أَطْهَرُ لكم**، قال بعضهم: أراد بنات قومه؛ لأن الرسل هم كالآباء لأولاد قومهم، فيُنْتَسَبُون[3] إليهم. ألا ترى إلى قوله: ٱلنَّبِيُّ أَوْلَى بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ.[4] وفي حرف ابن مسعود رضى الله عنه: وهو أَبٌ لهم.[5] سمّى[6] أزواجه أمهاتهم والنبي أبًا لهم. فعلى ذلك يحتمل قول لوط: **هؤلاء بناتي**، أراد بنات قومه، فنَسَبَهُنّ إلى نفسه لما ذكرنا أنه كالأب لهم. ثم يحتمل معنى جَعْلِ النبي لأولاد قومه كالأب وأزواجه كالأم وجهين. أحدهما نُسِبُوا[7] إليه للشفقة، هو أَشْفَقُ بهم مِن الأب والأم. أو لِحَقِّ[8] التربية وتعليم[9] الدين كالأب لهم. فهو أَوْلَى بهم مِن أنفسهم لهذين الوجهين.

وقال بعضهم: أراد بناتِ نَفْسِه. ثم اختُلِف فيه. قال بعضهم: كان ذلك مِنه تَعريضا[10] لهم بالنكاح.[11] يقول: **هؤلاء بناتي هنّ أَطْهَرُ لكم**، نكاحًا إن كنتم قابلين[12] للإيمان.

ومنهم مَن قال: هو[13] تعريض منه بما[14] هو زنى عندهم، لا أنّه عَرّض بذلك[15] عند نفسه. وهذا كما يقولون: إنّ[16] مَن أُكْرِهَ على أنْ يَشتم محمدًا صلى الله عليه وسلم فلا بأس بأن يَشتم ويَقصد بِشَتْمِه محمدًا آخر يَحِلُّ له شَتْمُه وإن كان عند المُكْرِه أنه يَشتم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] ع م: الضياف.
[2] ع: يحتمل.
[3] جميع النسخ: ينسبون.
[4] سورة الأحزاب، ٦/٣٣.
[5] روي ذلك مِن قراءة أُبَيّ بن كعب وعبد الله بن عباس؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٥٦٧/٦.
[6] ن ع م: مما.
[7] ع: نسبو.
[8] ن: أو بحق.
[9] ع: ولتعليم.
[10] جميع النسخ: تعريض.
[11] جميع النسخ: للنكاح.
[12] ع م: قائلين.
[13] م – هو.
[14] جميع النسخ: لما.
[15] جميع النسخ: ذلك.
[16] ك: بأن.

بَعْدَ أنْ أَخطَرَ الشاتم في قلبه غيرَه.[١] وكذلك إذا أُكرِهَ[٢] على[٣] أن يَشتم الإله فيَقصد بالشَّتْم شَتْمَ آلهتِهم وإن كان عندهم أنه إنما[٤] يَشتم إلهَه الذي يَعبده. فعلى ذلك يحتمل قول لوط: **هنّ أَطْهَرُ لكم**، تعريض بالزنى[٥] عندهم وإن كان عنده أنه ليس لذلك[٦] يَقصد. وقال قائلون: قال هذا لِيُرِيَهم قُبْحَ الفِعل الذي كانوا يَقصدون بأضيافه؛ لأن الزنى كان عندهم محرَما،[٧] فعَرَضَ عليهم بناته لِيَعرفوا قُبْحَ ذلك الفعل -حيث احتمل قلبُه في بناته و لم يحتمل في أضيافه- ليمتنعوا عن ذلك. أو يحتمل أن يكون قال ذلك وإن كان كِلاهما لا يَحِلّان لكن أحدهما أيسر وأهون. ويجوز الجمع بين شَرَّيْن فيُقال: هذا أطهر وأحلُّ مِن هذا، وهذا أيسر مِن هذا وأهون[٨] وإن كان كِلاهما شَرَّيْن. فالزنى وإن كان حراما فذلك[٩] مما يَحِلّ بالنكاح،[١٠] وأَدْبارُ الرجال لا تَحِلّ[١١] بحال. وقال بعضهم: إنهم كانوا يَخْطُبُون بناته، وكان أَبَى أن يُزَوِّجَهن منهم لِما لم يكونوا كُفْوًا لهنّ، ثم عَرَضَهن[١٢] عليهم في ذلك الوقت لِيَعلموا قُبْحَ ذلك الفعل الذي قَصَدُوا بأضيافه، أو كلام نحو هذا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فاتقوا الله ولا تُخْزُونِ في ضيفي**، وقال في موضع آخر: إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ،[١٣] لِيُعْلَمَ أن الإخزاء هو الفضيحة. هذا يدل أنّ الخِزْيَ هو الذي يَفضح مَن نَزَل به.

وقوله عز وجل: **أليس منكم رجل رَشِيد**، قال بعضهم: هَمَّ أن يُزَوِّجَ بعضَ بناته مَن يُصْدَرُ لِرأيه فيَمْنَعَهم عنهم،[١٤] كأنه يقول: أليس منكم مَن يُرْشِدُ ويُصْدَرُ لِرأيه. و[قيل:]

---

[١] ك - غيره.
[٢] ع م: إن أكره.
[٣] ك ن - على.
[٤] ك - إنما.
[٥] جميع النسخ: زنا.
[٦] ك: لذكر.
[٧] ن ع م: محرم.
[٨] ع: أو أهون.
[٩] أي جماع النساء.
[١٠] ع م - بالنكاح.
[١١] ع م: لا يحل.
[١٢] جميع النسخ: ثم عرض.
[١٣] سورة الحجر، ٦٨/١٥.
[١٤] م: عنه.

قوله عز وجل: **أليس منكم رجل رَشِيد**،[1] أي أليس[2] منكم رجل يَقبل الموعظة ويُرشِدُكم ويَعِظُكم. أو يقول: **أليس**، أي ليس[3] **منكم رجل رَشِيد**، على النفي، فيَمنعهم عما يريدون ويَقصدون.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **قالوا لقد عَلمتَ ما لنا في بناتك مِن حق**، على التأويلين اللذَيْن[4] ذكرناهما يكون[5] الحق حق النكاح أو حق الاستمتاع. وفي بعض التأويلات: **مِن حق**: مِن حاجة.[6] وبذلك يقول عامة أهل التأويل: **ما لنا في بناتك مِن حق**، أي مِن حاجة. **وإنك لَتعلم ما نريد**، يعنون الأضياف.

[٣٥١ظ س٣٩] *وقوله عز وجل: **ما لنا في بناتك مِن حق**، / تأويله -والله أعلم- إنك تعلم أنْ ليس لنا في بناتك مِن حق كما ليس لنا في أضيافك[7] حق؛ فكيف تمنعنا عنهم وتَعرِض علينا بناتك؟ فهنّ فيما ليس لنا فيهن حق كأولئك. *والله أعلم*.* [٣٥٢و س٢]

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٨٠]

قال لو أنّ لي بكم قوةً، أي قوة في نفسي، **أو آوِي إلى رُكنٍ شديد**، قيل: عشيرته. والركن الشديد عند العرب العشيرة. يقول: **لو أنّ لي بكم قوةً**، في نفسي أو[8] عشيرةً يُعينوني لَقاتلتُكم. فيه دلالة أنّ مَن رأى آخر على[9] فاحشة فله أن يقاتله.*

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[٨١]

قالوا يا لوطُ إنّا رُسُلُ ربك لن يَصِلُوا إليك، قيل: قالوا ذلك لِلُوط: **لن يَصِلُوا إليك**،

---

[1] ن + على النفي.
[2] ع م: أي ليس.
[3] ع: أي أليس؛ م - أي ليس.
[4] ن: الذين.
[5] ع: ليكون؛ م - يكون.
[6] جميع النسخ + له.
[7] م: من أضيافك؛ ك + من.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥١ظ/سطر ٣٩ - ٣٥٢و/سطر ٢.
[8] ن ع م - أو.
[9] ع م - على.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥١ظ/سطر ٣٩ - ٣٥٢و/سطر ٢.

لمَا طَمَسُوا[1] أعينهم. وهو كقوله: وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ.[2] وقال قائلون: قالوا ذلك لِلُوط لما أَوْعَدُوا لِلُوط[3] حين طُمِسَتْ أَعْيُنُهم [قائلين]: إنّ ضيفك سَحروا أبصارنا، فستعلم غدا ما تَلقى أنت وأهلُك، فقالوا عند ذلك: **لن يَصِلوا إليك** بسوءٍ غدًا بأنهم يُهلَكون.[4] ودل قوله: لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ،[5] على أنهم قد هَمُّوا لِلُوط وأَوْعَدُوه حتى قال ما قال. ألا ترى أن الملائكة قالوا له: إنهم لن يصلوا إليك. فهذا على ما ذكرنا.

وقوله[6] عز وجل: **فأَسْرِ بأهلك بِقِطْعٍ مِن الليل**، قيل: قِطْع من الليل: آخِره، وهو وقت السَّحَر. وقيل: هو ثلث الليل أو ربعه مِن آخِره.[7] وهو واحد. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولا يَلتفتْ منكم أحدٌ إلا امرأتَك**، قيل: لا يتخلّف أحد منكم **إلا امرأتك**، فإنها تتخلّف ويصيبها ما أصاب أولئك. وقال بعضهم: **ولا يَلتفت**، مِن الالتفات والنظر. وقيل: لا يتركْ أحد منكم متابعتك **إلا امرأتك**، فإنها لا تَتبعك، فيصيبها ما أصاب أولئك. وقوله عز وجل: **ولا يَلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك**، يحتمل النهي عن الالتفات، كأنه يقول: لا يَلتفتْ أحد؛ ويحتمل الخبر، كأنه يقول: لا يَلتفتُ[8] منكم أحد إلا من ذكر، وهو زوجته. فذلك علامة لخلافها له.

وقوله عز وجل: **إنّ مَوْعِدَهم الصبح**، فقالوا:[9] **أليس الصبح بقريب**، كأنّ لوطًا استبطأ الصبح لعذابهم، فقالوا: **أليس الصبح بقريب**. هذا مِن لوط لا يحتمل أن يكون قال ذلك وهو بين أَظْهُرِهم ويَعلم أنّ قُرَاه يُقْلَبُ أعلاها أسفلَها[10] وأسفلُها أعلاها، ولكن قال ذلك[11] -والله أعلم- بعد ما أخرجوه وأهلَه مِن بين أَظْهُرِهم. فعند ذلك قال ما قال واستبطأ وقتَ نزولِ العذاب بهم. ***والله أعلم***.

---

[1] ع م: لما طمعوا.
[2] سورة القمر، ٥٤/٣٧.
[3] ع - لما أوعدوا للوط؛ م - للوط لما أوعدوا للوط.
[4] أي لأنهم سيهلكون غدا.
[5] الآية السابقة.
[6] ن: قوله.
[7] م - من آخره.
[8] ك: لا تلتفت.
[9] ع: قالوا.
[10] ن: وأسفلها؛ ع - أسفلها.
[11] ع م - ذلك.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [٨٢]

وقوله عز وجل: **فلمّا جاء أَمْرُنا**، يحتمل جاء المراد[١] بأمرنا، وأَمْرُه[٢] هو جَعْلُه عالِيَها سافِلَها.[٣] ثم قال أهل التأويل: قوله: **جعلنا عالِيَها سافِلَها**، أدخل جبريلُ جناحَه تحت قُرَيَات لوط فرفعها إلى السماء ثم قَلَبَها فجعل ما هو أعلاها أسفلَها[٤] فهَوَتْ إلى الأرض.[٥] فذلك قوله: وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى،[٦] قيل: أهوى بها[٧] جبريل من السماء إلى الأرض. وأمكن أن يكون إذا أهلكهم[٨] جعلهم تحت الأرض، فذلك جَعْلُ أعلاها أسفلَها. لكن أهل التأويل حملوا على ما ذكرنا[٩] وأجمعوا على ذلك. وقال بعضهم: قُلِبت القُرَى وجُعِل أعلاها أسفلَها[١٠] على ما ذكر[١١] وأُرْسِل الحجارة على من كان غائبًا عنها.

وقوله عز وجل: **وأَمْطَرْنا عليها حجارة مِن سِجّيل**، قال بعضهم: أُمْطِر الحجارة عليها ثم قَلَبَها جبريلُ. وقال بعضهم: أُمْطِر عليها الحجارة بعد ما قَلَبَها جبريلُ[١٢] فسَوّاها. وكلُّ أحدٍ[١٣] منهم كان غائبا عن بلده جاءت حجارة مكتوبٌ عليها اسمُه فقَتَلَتْه[١٤] حيث كان. **والله أعلم**.

وقوله عز وجل: **مِن سِجِّيل**، قال بعضهم:[١٥] السِّجّيل هو اسم المكان الذي منه رُفِع الحجر الذي أُمْطِر. وقال[١٦] بعضهم: هو طين مطبوخ كالآجُرّ. وعن ابن عباس رضي الله عنه: قال: سَنْك كِلْ.[١٧] **مَنضُود**، نُضِد الحجرُ بالطين وأُلْصِق بعضُه ببعض.

---

[١] جميع النسخ: جاء الأمر بالمراد.

[٢] جميع النسخ: أو أمره. والتصحيحان من *الشرح*، ورقة ٣٨٨و.

[٣] يقول الشارح رحمه الله تعالى: «وقوله: ﴿فلما جاء أمْرُنا جعلنا عالِيَها سافِلَها﴾، أي جاء المراد بأمرنا، وأمْرُه هو جَعْلُه عالِيَها سافِلَها. وهو أمر تكوين، أي جاء وقت صيرورة قرى قوم لوط عاليها سافلها» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨٨و).

[٤] ك – أدخل جبريل جناحه تحت قريات لوط فرفعها إلى السماء ثم قلبها فجعل ما هو أعلاها أسفلها، صح هـ.

[٥] روي عن مجاهد وقتادة وغيرهم؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٩٦-٩٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٦٢-٤٦٣.

[٦] سورة النجم، ٥٣/٥٣.

[٧] ع: أهويها؛ م: أهواها.

[٨] م: أن تكون إذا أهلكم.

[٩] ن + وأجمعوا على ما ذكرنا.

[١٠] ك – لكن أهل التأويل حملوا على ما ذكرنا وأجمعوا على ذلك وقال بعضهم قلبت القرى وجعل أعلاها أسفلها.

[١١] ع م: ما ذكرنا.

[١٢] ك ن – جبريل.

[١٣] ع م: واحد.

[١٤] ن: فقتله؛ ع م: من بلدة جاءت عجلاً مكتوب عليها اسمه فقتله.

[١٥] ك – بعضهم.

[١٦] ع: قال؛ م: أمطرنا قال.

[١٧] جميع النسخ: وكل. قال ابن عباس: هو بالفارسية سَنْك وكِلْ، سنك هو الحجر، وكل هو الطين، يقول: أرسلنا عليهم حجارة من طين. انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٩٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٦٣-٤٦٤.

﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[٨٣]

مُسَوَّمَةً، قيل:[1] مُعَلَّمَة مُخَطَّطَة بسَواد وحُمْرَة [وبياض].[2] وقال بعضهم: **مُسَوَّمَةً**، أي مكتوب عليها اسم صاحبها.

وقوله عز وجل: **وما هي مِن الظالمين ببعيد**، قال بعضهم: ما هي مِن ظَلَمَةِ قومِ لُوط ببعيد.[3] وقال بعضهم: ما هي مِن ظالمي أهلِ مكة وحَوَالَيْهم ببعيد، أي عذاب الله ليس ببعيد منهم،[4] يعذّبهم إن شاء. ويحتمل قوله: **وما هي مِن الظالمين ببعيد**، أي تلك القُرى والأَمْكِنة التي أُهْلِك أهلُها ليست ببعيدة مِن مشركي[5] أهلِ مكة؛ وهو ما ذكر:[6] وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ،[7] الآية.[8] وفيه تذكيرُ مِنَنِه[9] على هذه الأمة حيث لم يَجعل عذابهم عذابَ استئصال بحيث لا يَملِكون العَوْدَ عنه والرجوع. ولكن جَعَل عذابَهم الجهادَ حتى لو أرادوا الرجوع عنه مَلَكوا.[10] *والله أعلم*.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[٨٤]

وقوله عز وجل: **وإلى مَدْيَنَ**، أي إلى مَدْيَنَ أرسلنا، **أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره**، هذا قد ذكرنا فيما تقدّم[11] أنّ كلَّ نبيٍ أَوّلَ ما دعا[12] قومَه إنما دعا إلى توحيد الله وجَعْلِ العبادة له. وفي قوله: **أخاهم شعيبًا**، وما ذكر في غيره[13] من الأُخُوّة دلالةً على[14] أنّ الرسل مِن قَبْلُ كانوا مِن البشر مِن جنس قومهم لا مِن الملائكة حيث قال: **أخاهم شعيبًا**،

---

[1] م – قيل.
[2] جميع النسخ: سود الحمرة. والتصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٨٨و.
[3] ع – قال بعضهم ما هي من ظلمة قوم لوط ببعيد.
[4] ع م – منهم.
[5] ع: ومن مشركي.
[6] ع: ما ذكرنا.
[7] ﴿وإنكم لَتمُرُّون عليهم مُصْبِحِين. وَبِالليل أفلا تعقلون﴾ (سورة الصافات، ٣٧/١٣٧-١٣٨).
[8] ك – الآية.
[9] م: منه.
[10] ع: وملكوا.
[11] انظر مثلا تفسير الآية ٦١ من سورة هود، ١١.
[12] ع: ما عاد.
[13] أي في الأنبياء الذين تقدم ذكرهم مثل هود وصالح عليهما السلام. انظر: سورة هود، ١١/٥٠، ٦١.
[14] ن – على.

ومعلومٌ أنهم لم يكونوا[١] إخوة لهم[٢] في الدين. وفيه أن الأُخُوّة لا توجب فضيلة المؤاخَى له؛ لأنه ذكر أن الرسل[٣] إخوةُ أولئك الأقوام وهم كَفَرَة. وذلك يَرُدّ قول الروافض في تفضيل عليّ على أبي بكر بالمؤاخاة التي كانت بين رسول الله وبين علي، والخُلّة توجب الفضيلة. وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو اتخذتُ سِوى ربي خليلا لاتخذتُ أبا بكر خليلا».[٤]

وقوله عز وجل: **ولا تَنقُصُوا المكيال والميزان**، ذكر / أنهم كانوا[٥] ينقصون المكيال [٣٥٠ظ] والميزان ولا يوفون الناس حقوقهم، فنهاهم عن ذلك. فهو -والله أعلم- لوجهين. أحدهما أنهم إنما نُهُوا عن ذلك لِحَقِّ[٦] الربا؛ لأن النقصان إذا كان برضاء مِن صاحبه يجوز. فدل أنه إنما نهاهم بحق الربا، وفيهما[٧] يجري الربا. والثاني فيه أنّ هبة المشتري للبائع وتَقَلُّبه فيه[٨] قبْلَ قبضه على قيام البيع فيما بينهما غير جائز.[٩] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إني أراكم بخير**، قيل: في سَعَةٍ[١٠] مِن المال؛ وقيل:[١١] في رُخصٍ مِن السِّعْر.[١٢] وإنما يَحْمِلُ المَرْءَ على النقصان والظلم على آخر عِزَّةُ[١٣] الشيء وضِيقُ الحال؛ فكيف تنقصون أنتم في حال السَّعَة ورُخصِ السِّعْر.[١٤] أو يقول: **إني أراكم بخير**، في غير هذا، فلا تَظلموا الناسَ في هذا ولا تَمنعوا[١٥] حقوقهم. **وإني أخاف عليكم عذابَ يومٍ مُحِيط**، أي يوم يحيط بهم العذاب.

---

[١] م: لم تكونوا.
[٢] ك: لم يكونوا لهم إخوة.
[٣] م: المؤاخى له لأن الرسل.
[٤] *صحيح البخاري*، المناقب ٣؛ و*صحيح مسلم*، فضائل الصحابة ٦.
[٥] م - كانوا.
[٦] ن: بحق.
[٧] أي في المكيال والميزان.
[٨] ع م - فيه.
[٩] وعبارة الشارح رحمه الله هكذا: «والثاني النهي يَرجع إلى التصرف في المَبِيع قبل القبض. وذلك مَنْهِي مع البائع وغيره؛ لأن الذي انتقص مِن حقه برضاه يكون هبةَ المَبِيع من البائع قبل قبضه مع قيام البيع بينهما. فدل أن التصرُّف والتقلُّب في المَبِيع قبل القبض مَنْهِي مع البائع. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٨٨و).
[١٠] ن: في وسعة؛ ع م: وسعة.
[١١] ع - وقيل.
[١٢] ع م: من السعة.
[١٣] العِزّة أي القِلّة.
[١٤] ن - وإنما يحمل المرء على النقصان والظلم على آخر عزة الشيء وضيق الحال فكيف تنقصون أنتم في حال السعة ورخص السعر؛ ع م: السعة.
[١٥] ع: ولا تمنعون؛ م: وتمنعوا.

إن كانت الإحاطةُ مضافةً إلى اليوم فهو محيط بالكل، وإن كانت الإحاطةُ مضافةً إلى العذاب فهو محيط بالكَفَرَة خاصة. وهو -والله أعلم- أنه ما مِن جارحةٍ مِن ظاهرةٍ وباطنةٍ إلا وقد يصيبها العذاب ويحيط بها، ليس كعذاب الدنيا يأخذ جزءً[1] دون جزء، بل يحيط به.

النهي بتخصيصِ نقصانِ الكيلِ والميزانِ لا يدل[2] على أنْ لم يكن فيهم[3] مِن المآثم والأجرام سِوى ذلك؛ لكنه خَصّ هذا لما كان[4] الظاهرُ فيهم نقصانَ الكيل[5] والوزنِ، فذَكر ذلك. وهو كما خَصّ[6] قوم لوط بقوله: أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ،[7] إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا،[8] الآية، ذَكر هذا وخَصّهم [به] ليس على أنهم لم يكونوا يأتون مِن الفواحش غيرَها؛ لكن خَصّ هذا لأن الظاهر فيهم[9] هذا. فعلى ذلك نقصان الكيل والميزان في قوم شعيب. *والله أعلم.*

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **ويا قومِ أَوْفُوا المِكْيالَ والميزان بالقسط ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهم،** خَصّ المِكْيَالَ والميزان[10] لما كانوا يُطَفِّفُون المِكْيَالَ ويَنقصون الميزانَ رغبةً فيهما، وفيهما يجري الربا، لما ذكرنا.[11]

وقوله عز وجل: **ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهم،** فيه دلالة أنّ المشتري يَملِك المَبيع قبلَ أنْ يَقبضَه؛ لأنه قال: **ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهم،** أضاف إلى الناس أشياءَهم، فلو كان لا يَملِك[12] لم يكن أشياءَ الناس، إنما كان أشياءَ البائع،[13] فإنما نَقَصَ مالَه.[14]

---

[1] ع – جزء.
[2] ن: ولا يدل.
[3] م: فيه.
[4] ع: هذا المكان.
[5] ع – الكيل.
[6] جميع النسخ: ما خص.
[7] سورة الشعراء، ١٦٥/٢٦.
[8] ﴿ولوطًا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها مِن أحدٍ مِن العالمين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٨/٢٩).
[9] ع: فيهما.
[10] ك + والله أعلم.
[11] انظر تفسير الآية السابقة.
[12] أي لو كان المشتري لا يملك المبيع قبل القبض...
[13] م: أشياءهم.
[14] أي مال المشتري لا مال البائع، بدلالة ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾.

وقوله:[١] **ولا تعثوا في الأرض مفسدين**، وهو ما ذكر في موضع آخر: وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا.[٢]

﴿بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **بَقِيَّةُ الله خير لكم إن كنتم مؤمنين**، قال بعضهم: ما أبقى الله لكم مِن ثوابه في الآخرة خيرٌ لكم إن آمنتم به وأطعتموه مما تجمعون من الأموال. وقال[٣] بعضهم:[٤] **بَقِيَّةُ الله خير لكم**، أي ما جعل الله لكم مما يَحِلُّ خيرٌ لكم[٥] مما يحرم عليكم مِن نقصان الكيل والوزن **إن كنتم مؤمنين**، بالحلال أو بالآخرة.[٦] وقال بعضهم: طاعة الله -وهو ما يأمركم به ويدعوكم إليه- خيرٌ لكم مما تفعلون. وقال الحسن: رزق الله خيرٌ لكم مِن بَخْسِكم الناسَ حقوقَهم.[٧] لكن هذا يرجع إلى ما ذكرنا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما أنا عليكم بحفيظ**، يحتمل **وما أنا عليكم بحفيظ**، أي لستُ أَشْهَدُ بِيَاعَاتِكم وأَشْرِيَتَكم حتى أَعلمَ بِبَخْسِكم[٨] الناسَ المِكْيَالَ والميزانَ، لكن إنما أعرف[٩] ذلك بالله. وفيه دلالة إثبات رسالته.[١٠] والثاني **وما أنا عليكم بحفيظ**، أي بمُسَلَّطٍ عليكم، إنما أُبلغ إليكم، كقوله: مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ.[١١]

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[٨٧]

وقوله عز وجل: **قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء**، قال بعض أهل التأويل: **صلاتك**، أي[١٢] قِراءتُك[١٣] تأمرك هذا.

---

[١] ك ن ع - وقوله.
[٢] سورة الأعراف، ٥٦/٧.
[٣] م: قال.
[٤] ع - ما أبقى الله لكم من ثوابه في الآخرة خير لكم إن آمنتم به وأطعتموه مما تجمعون من الأموال وقال بعضهم.
[٥] م - مما يحل خير لكم.
[٦] ع: أو الآخرة.
[٧] أخرجه أبو الشيخ عن الحسن؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٦٦/٤.
[٨] ع: بخسكم.
[٩] ع: عرف.
[١٠] ك: رسالة محمد.
[١١] سورة المائدة، ٩٩/٥.
[١٢] م - أي.
[١٣] ك ع م: قرآنك.

وقال ابن عباس: قالوا ذلك له لأن شعيبًا كان[1] يُكثِر الصلاة. كأنه يخرج على الإضمار، يقولون: **أصلاتك تأمرك** بأن تَأْمُرَنا بِتركِ عبادةِ ما عَبَدَ آباؤنا. وقوله: **صلاتك** وصَلَوَاتُك،[2] يحتمل أن يكون له صَلَوَاتٌ[3] معروفة يَفعلها، فيقولون: أَصَلَوَاتُك[4] التي تَفعلها **تأمرك أن نترك** كذا، أو صلاةٌ[5] واحدةٌ تُكْثِرُها [**تأمرك أن نترك** كذا]،[6] فقالوا ذلك. فتخصيص الصلاة مِن بينِ غيرِها مِن الطاعات لِمَا لعلّها كانت[7] مِن أَظْهَرِ طاعاتِه عندهم، فقالوا له هذا.

ثم يحتمل وجهين. أحدهما كأنهم قالوا: **أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل** كذا، على التسفيه له والتجهيل،[8] كمن يُوَبِّخُ آخَرَ ويُسَفِّهُه يقول: أَعِلْمُكَ يَأمرك بذلك،[9] أو إيمانك يأمرك بهذا،[10] كقوله: قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ،[11] ونحوه من الكلام، يخرج على التسفيه له والتجهيل.[12]

والثاني يُقال ذلك على الإنكار. يقول الرجل لآخر: إيمانك يأمرك بذلك، أو عِلْمُكَ يأمرك بهذا، أي لا يأمرك بذلك. فعلى ذلك يحتمل قول هؤلاء: **أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء**، أي لا تأمرك[13] بذلك.[14] هذا إذا كانت[15] الصلاة التي ذكروها مَرْضِيَّةٌ عندهم؛ فإن لم تكن[16] مَرْضِيَّةً فالتأويل هو الأول.

---

[1] ن: قال.
[2] قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بحذف الواو على الإفراد، وقرأ الباقون بإثبات الواو على الجمع. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/ ٢٩٠.
[3] م: صلوة.
[4] م: أصلوتك.
[5] جميع النسخ: أم صلاة.
[6] التصحيح مع الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٨٨ظ.
[7] ن - كانت.
[8] م: أو التجهيل.
[9] ك: بكذا.
[10] ع م: وإيمانك يأمرك هذا.
[11] سورة البقرة، ٢/٩٣.
[12] م: أو التجهيل.
[13] ن ع م: لا يأمرك.
[14] ك: بهذا.
[15] ن ع: إذ كانت.
[16] ع: لم يكن.

وقوله[١] عز وجل: **أصلاتك تأمرك**، الآية، حَبَّبَ إليهم تقليدَ آبائهم في عبادة الأصنام اتِّباعُهم[٢] آباءَهم[٣] والأموالُ[٤] التي كانت لهم. فمَنَعَهم هٰذَانِ عن النظر في الحجج والآيات لما حُبِّبَ إليهم ذلك. وهكذا جميع الكفرة إنما مَنَعَهم عن النظر في آيات الله والتأمُّلِ في حججه أحدُ هذه الوجوه التي ذكرنا: حُبُّ اللَّذَّات ودَوَامُ / الرِّئَاسَات [٣٥١و] والمَيْلُ إلى الشهوات، ظَنُّوا أنهم لو اتَّبعوا رُسُلَ الله وأجابوهم إلى ما دَعَوْهم إليه لَذَهَبَ عنهم ذلك.

ثم قوله:[٥] **أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء**، يحتمل قضاء جميع الشهوات، ويحتمل ما ذكر مِن نقصان المِكْيَال والميزان. يقولون: أموالنا لنا،[٦] ليس لأحدٍ فيها حَقٌّ، نفعل فيها ما نشاء. وقال[٧] بعضهم: قوله: **أو أن نفعل**، الألف صلة، [أي] وأن نفعل **في أموالنا ما نشاء**.

وقوله عز وجل: **إنك لأنت الحليم الرشيد**، قال أهل التأويل: قالوا ذلك له استهزاءً به وسُخْرِيَةً. كَنَّوْا بالحليم عن السفيه وبالرشيد عن الضال، أي أنت السفيه حيث سَفَّهْتَ آباءَك[٨] في عبادتهم الأصنام، الضال حيث تركت مِلَّتَهم ومذهبهم. وقال بعضهم: على النفي والإنكار، أي ما أنت[٩] الحليم الرشيد. ويشبه أن يكون على حقيقة الوصف له بالحلم والرشد؛ لأنهم لم يأخذوا عليه كذبا قط، ولا رأوه على خلاف ولا على[١٠] سفاهة قط، فقالوا:[١١] **إنك لأنت الحليم الرشيد**، أي كنتَ هكذا، فكيف تركتَ ذلك؟ وهو ما قال قوم صالح لصالح حيث قالوا: قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا.[١٢]

---

[١] ن: قوله.
[٢] جميع النسخ: واتباعهم.
[٣] ك: إياهم.
[٤] ع: في الأموال.
[٥] ن: وقوله.
[٦] م: لما.
[٧] ع: قال.
[٨] م: آباءنا.
[٩] ع: أي ما أنت.
[١٠] ك ن – على.
[١١] ن: وقالوا.
[١٢] سورة هود، ٦٢/١١.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم أرأيتم إن كنتُ على بينة من ربي**، أي على بيان[١] وحجج وبرهان من ربي، على ما ذكرنا فيما تقدّم.[٢] أي تعلمون أنّي كنتُ على بيان من ربي وحجج.

ورزَقَني منه رزقًا حسنًا، يحتمل هذا مِنه مكانَ ما قال أولئك الأنبياء: وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ،[٣] أي قال شُعَيب:[٤] **ورزَقَني منه رزقا حسنًا**، الدين والهدى أو النبوة[٥] على ما ذكرنا.[٦] وأمكن أن يكون الرزق الحسن هو الأموال الحلال الطيبة التي لا تَبِعَة عليه [فيها]، فقال ذلك، وما رَزَقَ أولئك عليهم تَبِعَةٌ في ذلك، لأنهم اكتسبوها مِن وجهٍ لا يَحِلّ.

وقوله عز وجل: **وما أريد أن أُخالِفَكم إلى ما أنهاكم عنه**، مِن الناس مَن يقول: قال لهم ذلك بإزاء ما قالوا فيما ذكر في الأعراف: لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا،[٧] يقول: أدعوكم إلى الإيمان بالله والتوحيد له وأنهاكم عن الكفر به ثم أَرْتَكِب ما أنهاكم عنه وأترك ما أدعوكم إليه؟ وقال قتادة: لم أكن لأنهاكم[٨] عن أمرٍ وأَرْكَبَه.[٩] وهو واحد.

إنْ أريدُ إلا الإصلاحَ ما استطعتُ، أي ما أريد إلا الإصلاح لكم ما استطعت.[١٠] **وفيه** دلالة أنّ الاستطاعة تكون مع الفعل. [لأنه] لا يخلو[١١] إمّا أن[١٢] يكون أراد استطاعة الإرادة أو استطاعة الفعل. فكيف ما كان فقد أخبر أنه يريد[١٣] لهم من الصلاح ما استطاع. ففيه ما ذكرنا.

---

[١] م: أي على علم وبيان.

[٢] ك ن: ما تقدم. انظر مثلا تفسير الآية ٢٨ من سورة هود، ١١.

[٣] سورة هود، ٢٨/١١. كان هذا مِن قول نوح عليه السلام. وقال صالح عليه السلام: ﴿وآتاني مِنه رحمة﴾ (سورة هود، ٦٣/١١).

[٤] جميع النسخ: قال هود.

[٥] م: والنبوة.

[٦] ع- على ما ذكرنا. انظر تفسير الآيتين ٢٨ و٦٣ من سورة هود، ١١.

[٧] سورة الأعراف، ٨٨/١١.

[٨] م: أنهاكم.

[٩] *تفسير الطبري*، ١٠٣/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٦٧/٤.

[١٠] ع م - أي ما أريد إلا الإصلاح لكم ما استطعت.

[١١] م: لا يخلوا.

[١٢] ع: من أن.

[١٣] ع م: يزيد.

وهو[١] ينقض[٢] على المعتزلة مذهبهم؛ لأنهم يقولون: إن[٣] الاستطاعة تتقدّم على[٤] الفعل، وهي لا تَبقَى وَقْتَين. فيَصِيرُ على قولهم[٥] إرادةُ الصلاحِ لهم بما عُدِمَ مِن الاستطاعة.

وقوله عز وجل: **وما توْفِيقِي إلا بالله**، قال بعضهم: التوفيق هو صفة كل مطيع، والخِذْلَان هو صفة كل عاصٍ. وقال بعضهم: التوفيق هو ما يُوَفِّقُ بين قوله وفعله[٦] في الطاعة، والخِذْلَان[٧] ما يُفَرِّقُ بين قوله وفعله في المعصية. وقال الحسين النَّجّار:[٨] التوفيق هو قدرة كل خير وطاعة، والخِذْلَان هو قدرة كل شر ومعصية. وعندنا التوفيق هو أن يُوَفِّقَ[٩] بين عمل الخير والاستطاعة؛ والخِذْلَان هو أن يُفَرِّقَ بين عمل الخير والاستطاعة،[١٠] أو أن نقول:[١١] هو أن يُوَفِّقَ بين عمل الشر والاستطاعة، وهما واحد.

وقوله عز وجل: **عليه توكّلتُ**، أي عليه اعتمدتُ في جميع أمري وإليه وَكَلْتُ.[١٢] **وإليه أُنِيب**، أي أَرْجِعُ؛ أو يقول: إليه أُقْبِلُ بالطاعة.

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **ويا قومِ لا يَجْرِمَنَّكم شِقَاقِي أنْ يُصيبَكم مثلُ ما أصاب قومَ نوحٍ**، بالغرق، **أو قومَ هودٍ**، بالريح الصَّرْصَر،[١٣] **أو قومَ صالحٍ**، بالصيحة على ما ذكر. قال بعضهم: **لا يَجْرِمَنَّكم**، أي لا يَحْمِلَنَّكم، **شِقَاقِي**، قيل: خِلافي، **أنْ يُصيبَكم مثلُ ما أصاب** أولئك.

---

[١] ن: فهو.
[٢] ع: وينقض.
[٣] ك ع م - إن.
[٤] ك ن - على.
[٥] ك: وعلى قولهم.
[٦] ك: فعله وقوله؛ م: ما يوافق قوله فعله.
[٧] ع: في الخذلان.
[٨] الحسين بن محمد النجّار رئيس الفرقة النجارية. له مناظرة مع النَّظّام. ومن كتبه *إثبات الرسل*، وكتاب *القضاء والقدر*، وكتاب *اللطف والتأييد*، وكتاب *الإرادة الموجبة*، وغير ذلك. توفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٥٥٤/١٠.
[٩] م: أن يوافق.
[١٠] ع - والخذلان هو أن يفرق بين عمل الخير والاستطاعة.
[١١] ن ع م: أن يقول.
[١٢] ك: توكلت.
[١٣] ك - بالريح الصرصر، صح، هـ.

وقال بعضهم: قوله: **لا يَجْرِمَنَّكم**، أي لا يُؤَثِّمَنَّكم، **شِقَاقِي**، أي عداوتي، **أنْ يُصيبَكم مثلُ ما أصاب** أولئك. وقيل: **لا يَجْرِمَنَّكم**،[1] لا يُكْسِبَنَّكم عداوتي. وقال[2] الحسن: **شِقَاقِي**: ضِرَارِي. لكن كله[3] يرجع إلى معنى واحد؛ لأنه إذا ثبتت[4] العدواة ثبتت[5] المخالفة والبُغْض والضرر. فكل ما ذكروا فهو واحد. وأصل الجُرْم الإثم والكَسْب.

ثم يخرج إنذاره إياهم بمَن هَلَكَ مِن الأُمَم[6] على وجهين. أحدهما أنّ قومَ شعيب قومٌ لا يؤمنون بالبعث وبالقيامة، فأنذرهم بمَن هَلَكَ مِن الأُمَم السالفة؛ لأنه لو كان يُنذِرهم بالبعث لكان لا يَنْجَع[7] فيهم لأنهم[8] لا يؤمنون به. والثاني أنذرهم بأولئك لأنهم كانوا يقلدون آباءهم في عبادة الأوثان ويتبعونهم. فيقول: إنكم تقلدون[9] آباءكم وتتبعونهم[10] في عبادة الأوثان، فاتبعوهم أيضًا[11] بما بَلَغوا إليكم مِن هلاك أولئك بعبادتهم الأوثان وتكذيبهم الرسل؛ **فإذا** قلّدتموهم في ذلك فهَلّا تقلدونهم وتتبعونهم فيما أصابهم بما أصابهم؟ أو يقول[12] لهم:[13] إنكم تقلدون آباءكم الذين عبدوا الأوثان وقد هَلَكُوا؛ فهَلّا[14] تقلدون مَن لم يَعبد منهم ونجا وقد عرفتم[15] أنّ مَن هَلَكَ منهم[16] بمَ هلك ومَن نجا منهم[17] بمَ نجا؟ *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما قومُ لوطٍ منكم ببعيد**، أي إن نسيتم مَن مَضَى منهم فلا تَنْسَوْنَ [٣٥١ظ] / ما نزل بقوم لوط، وليسوا هم ببعيد منكم.

---

[1] ك – أي لا يؤثمنكم شقاقي أي عداوتي أن يصيبكم مثل ما أصاب أولئك وقيل لا يجرمنكم.
[2] م: قال.
[3] ع م – كله.
[4] جميع النسخ: إذا ثبت.
[5] م: ثبت.
[6] ك: على الأمم.
[7] أي لا ينفع.
[8] م: أنهم.
[9] م: تتقلدون.
[10] ع – فيقول إنكم تقلدون آباءكم وتتبعونهم.
[11] م – أيضًا.
[12] ك: أو نقول.
[13] م – لهم.
[14] ع م: فلا.
[15] ك – عرفتم.
[16] م: منكم.
[17] ع م: معهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[٩٠]

وقوله عز وجل: **واستغفروا ربكم**، أي اطلبوا مِن ربكم[١] المغفرة. أي اطلبوا السبب الذي يَقَعُ لكم المغفرةُ مِن ربكم [به]، وهو التوحيد. **ثم توبوا إليه**، أي ارجعوا إليه ولا تعودوا إلى ما كنتم [فيه] مِن[٢] قبل. وقوله عز وجل: **ثم توبوا إليه**، أي ارجعوا إليه[٣] رجوعًا حتى لا تعودوا إلى مثل صنيعكم أبدًا.

إنّ ربي رحيم، يَرحم مَن تاب إليه.[٤] **وَدُود**، يحتمل وجهين. أحدهما **وَدُود**، أي حقّ أنْ يُوَدّ؛ إذ مِنه كلُّ شيء وكلُّ إحسان، والناسُ جُبِلُوا على حب مَن أحسن إليهم. والثاني **وَدُود**، لمن توسّل إليه وتقرّب.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **قالوا يا شعيبُ ما نَفْقَهُ كثيرًا مما تقول**، قوله: **ما نَفْقَهُ**، يحتمل ما نَفهم وما نَعقل **كثيرًا مما تقول**. كأنهم يقولون ذلك على الاستهزاء والهُزْءِ[٥] به كأنهم نَسَبُوه إلى الجنون. يقولون: لا نَفهم ما تقول،[٦] لأنّ كلامَك كلامُ مجانين. وهذه هي عادة القوم، كانوا يَنْسُبون الرسل إلى الجنون. ويحتمل **ما نَفْقَهُ**، ما نَقْبَلُ،[٧] **كثيرًا مما تقول**. فإن كان على الفهم فهو كقوله: وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ.[٨] وهم كانوا فريقين: فريق[٩] كانوا يقولون: قلوبنا أَوْعِيَة للعلم، كقولهم: قُلُوبُنَا غُلْفٌ،[١٠] فإن كان ما تقول حقا فنَفْهَمُه[١١] ونَعقِله[١٢] كما نَعقِل غيرَه. وفريق قالوا: قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ،[١٣]

---

[١] ك: رمن ربكم.
[٢] ك – من.
[٣] ك – إليه.
[٤] جميع النسخ + والله يرحمه.
[٥] ك: والهزؤ.
[٦] ن ع م: مما تقول.
[٧] ع – ما تقبل.
[٨] سورة الملك، ١٠/٦٧.
[٩] م – فريق.
[١٠] سورة البقرة، ٨٨/٢؛ وسورة النساء، ١٥٥/٤.
[١١] ك ن م: نفهم؛ ع: يفهم.
[١٢] جميع النسخ: ونعقل.
[١٣] سورة فصلت، ٥/٤١.

كانوا يَعقِلون[1] أنهم لا يَفهمون ولا يَفقهون؛ لأن قلوبهم في أَكِنَّة وفي آذانهم وَقْر. والفريق الأول يقولون:[2] إن قلوبنا أَوْعِيَة للعلم، فلو كان حقًا لَعَقَلْنَاه[3] كما عَقَلْنَا[4] غيرَه. فهؤلاء كانوا يَصرِفون العيب إلى الرسول، وأولئك إلى[5] أنفسهم. فعلى ذلك قوم شعيب يحتمل أن يكونوا[6] كذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وإنَا لَنَرَاكَ فينا ضعيفا**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما أي إنك لست مِن كُبَرائِنا وأَجِلَّتِنا، إنما أنت مِن أَوْسَاطِنا. وعلى ذلك الأنبياء إنما بُعِثُوا مِن أَوْسَاطِ الناس لا مِن كُبَرائِهم في أمر الدنيا.[7] فالقوي والعزيز[8] عند أولئك القوم مَن عنده الدنيا والمالُ. وأمّا مَن لم يكن عنده المال فهو عندهم ضعيف ذليل؛ لأنهم لا يعرفون الدين ولا يؤمنون بالآخرة. لذلك قالوا ما قالوا. والثاني لست أنت بِذِي قوةٍ وبَطْشٍ في نفسك. وقد ذُكِر أنه كان ضعيفًا في بَصَرِه ونَفْسِه. يحتمل وَصْفُهم [له] بالضَّعْف لهذين الوجهين. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولَوْلَا رَهْطُكَ**، أي قبيلتك، وقيل: عَشِيرَتُك، **لَرَجَمْنَاكَ**، الرَّجْم يحتمل القتل، ويحتمل اللَّعْن والشَّتْم. ثم يحتمل قوله: **ولَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ**، وجهين. أحدهما **ولَوْلَا رَهْطُكَ**، أي لَوْلَا حُرْمَةُ رَهْطِكَ وإلّا[9] **لَرَجَمْنَاكَ**، كأنهم كانوا يحترمونه[10] لموافقة رَهْطِه إياهم في العبادة، أعني عبادة الأوثان وعلى ما هم عليه. والثاني **ولَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ**، خوفًا مِنهم لِما ذُكِر أنه كان كثير العَشِيرة والقبيلة. كانوا يخافون عشيرته فلم يُؤْذُوه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما أنت علينا بعزيز**، أي ما أنت مِن[11] أَجِلَّتِنا وكُبَرائِنا إنما أنت مِن أَوْسَاطِنا. أو **وما أنت**[12] **علينا بعزيز**؛[13] لأن العزيز عندهم مَن كان عنده المال والدنيا

[1] أي يظنون.
[2] ع: تقولون.
[3] ك ن ع: لنعقل؛ م: لعقل.
[4] ك: نعقل.
[5] ع – إلى.
[6] م: أن يكون.
[7] ع: الدين.
[8] ع: العزيز.
[9] م – وإلا.
[10] جميع النسخ: يحترمون.
[11] م – من.
[12] ع م – أو وما أنت.
[13] ك + أي ما أنت من أجلتنا.

لا يَعرفون العِزَّ في غير[1] ذلك. ولم يكن عند شعيب الدنيا، لذلك نَسَبُوه إلى ما ذُكِر. أو أنت ذليل عندنا لستَ بعزيز، فيكونُ صلةَ قولِه: **وإنا لنراك فينا ضعيفًا**. ***والله أعلم.***

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[٩٢]

وقوله عز وجل: **قال يا قومِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عليكم مِن الله**، هذا يخرج على وجهين. يحتمل[2] **يا قومِ أَرَهْطِي**، أَعْظَمُ حقًّا عليكم مِن الله وأَكْثَرُ حُرْمَةً حتى تَركتم ما أَوْعَدتموني مِن النِّقْمَةِ لِحَقِّهِم وحُرْمَتِهم. والثاني قوله: **يا قومِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عليكم**، أي رَهْطِي أَشَدُّ خَوْفًا عليكم وأَكثرُ نِكايةً مِن الله؛ لأنّا قُلنا في قوله: وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ:[3] إنه يخرج على وجهين. أحدهما على[4] الاحترام لِرَهْطِه لموافقتهم إياهم في جميع ما هم عليه والمساعدةِ لهم. والثاني على الخوف والنِّكايَةِ لقوتهم وكثرتهم وفَضْلِ بَطْشِهم تَركوا ما أَوْعَدُوا[5] له خَوْفًا مِن رَهْطِه. فقال: خَوْفُكم مِن رَهْطِي أَشَدُّ وأَكثرُ عليكم مِن الخوف مِن الله وقد بَلَغَكم مِن نِكاية الله ونِقْمَتِه فيما حَلَّ بالأُمَمِ الماضية. أو حُرْمَةُ رَهْطِي عندكم وحَقُّهم أَعظمُ مِن حق الله وحُرْمَتِه وقد تَعلمون إحسانَه إليكم وإنعامَه عليكم.

وقوله عز وجل: **واتَّخَذْتُمُوهُ وراءَكم ظِهْرِيًا**، قال بعضهم: قوله:[6] **واتَّخَذْتُمُوهُ وراءَكم ظِهْرِيًا**،[7] أي حَمَلْتُمُوه على ظهركم. وحَمْلُهم إياه على ظهرهم[8] إِسْخاطُهم إياه. قال:[9] تقول العرب: فلانٌ حَمَلَ الناسَ على ظهره، أي أَسْخَطَهم على نفسه. ولكن لا ندري أيُقال هذا أم لا. فإن قيل هذا فهو محتملٌ ما قال. وهو قول أبي بكر الأَصَمّ. وقال غيره مِن أهل التأويل: قوله: **واتَّخَذْتُمُوهُ وراءَكم ظِهْرِيًا**، أي نَبَذْتُم الله وراءَ ظهركم، أي نَبَذْتُم حَقَّ الله[10] وأَمْرَه وكتابَه

---

[1] م: بغير.
[2] ع + قالوا.
[3] م + ولو لا رهطك لرجمناك. انظر: الآية السابقة وتفسيرها.
[4] م – على.
[5] جميع النسخ: ما وعدوا.
[6] ك – قوله.
[7] ع + قال بعضهم قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا.
[8] ع – وحملهم إياه على ظهرهم.
[9] أي قال بعضهم كما ذُكِر آنِفا.
[10] م – وراء ظهركم أي نبذتم حق الله.

الذي أنزل إليكم وراءَ ظهركم لا تعملون به ولا تَكْتَرِثُون إليه. هو كالمَنْبُوذ وراءَ ظهركم. هذا على التمثيل، أي جَعَلُوا أَمْرَ الله ودينَه الذي دُعُوا إليه كالمَنْبُوذ وراءَ ظهورهم لا يَنظرون إليه ولا يَكْتَرِثُون. وهو ما ذكر[1] في قوله: نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ،[2] وقوله: اِنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[3] [٣٥٢و] على التمثيل، أي الذي أنتم عليه في القُبْح كالانقلاب / على الأعقاب.

إن ربي بما تعملون محيط، هذا يخرج على وجهين أيضا. أي **إن ربي بما تعملون**، مِن الأعمال الخبيثة، **محيط**، فيَجْزيكم بها. أو يقول: **إن ربي بما تعملون**، مِن الكَيْد برسول الله والمَكْر به، **محيط**، فيَنصره عليكم.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾[٩٣]

وقوله عز وجل: **ويا قومِ اعملوا على مكانَتِكم إني عامل**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما أنْ كُونُوا على دينكم الذي أنتم عليه وأنا أكون على ديني، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ؛[4] لأن قوم شعيب قالوا لشعيب: لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا،[5] فقال[6] لهم [هذا] عند ذلك. وهذا إنما يُقال عند الإياس[7] عن إيمانهم، كقوله: لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ،[8] وأمثاله.

والثاني قوله: **اعملوا على مكانَتِكم إني عامل**، أي **اعملوا** في كيدي والمكر في هلاكي، **إني عاملٌ** ذلك بكم. وهو كما قال غيره من الرسل: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ،[9] وقوله:[10] فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ،[11] ونحوه.

---

[1] م: وما ذكر.
[2] سورة الأنفال، ٤٨/٨.
[3] سورة آل عمران، ١٤٤/٣.
[4] سورة الكافرون، ٦/١٠٩.
[5] سورة الأعراف، ٨٨/٧.
[6] ن: فقالوا.
[7] م: الأيس.
[8] ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ (سورة الشورى، ١٥/٤٢).
[9] سورة هود، ٥٥/١١.
[10] ك ن: أو قوله.
[11] سورة الأعراف، ٧١/٧؛ وسورة يونس، ٢٠/١٠، ١٠٢.

وقوله عز وجل: **سوف تعلمون**، في العاقبة، [وهذا] وعيد، **مَن يأتيه عذابٌ يُخْزِيه**. أو **سوف تعلمون**، في العاقبة مَن يأتي مِنّا **عذابٌ يُخْزِيه**، نحن أو أنتم، **ومَن هو كاذب**، وتعلمون أيضًا في العاقبة[1] مَن الكاذب مِنّا نحن أو أنتم؛ لأنّ كلَّ واحدٍ مِن الفريقين يَدَّعِي[2] على الفريق الآخَر الكذبَ والافتراءَ على الله. فيقول: **سوف تعلمون**، في العاقبة[3] الكاذبَ مِنّا والمُفترِيَ على الله والصادقَ عليه.

وارْتَقِبُوا إنِي معكم رقيب، أي[4] ارْتَقِبُوا هلاكي، وأنا أَرْتَقِب هلاكَكم. أو ارْتَقِبُوا لمن العاقبة مِنّا، لنا[5] أو لكم، **إني معكم رقيب**. *والله أعلم*.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[٩٤] ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[٩٥]

وقوله عز وجل: **ولمّا جاء أَمْرُنا نَجَّيْنا شعيبًا والذين آمنوا معه برحمةٍ مِنّا**، هذا قد ذكرنا فيما تقدم.[6]

وقوله عز وجل: **وأَخذتِ الذين ظلموا الصيحةُ**، قيل: **الصيحةُ**: صيحةُ جبريل، أي هلكوا بصيحته. وقال بعضهم: **الصيحة**: اسمُ كلِّ عذاب. وكذلك الرَّجْفَة.[7] سُمِّيَ العذابُ بأسماءَ مختلفة؛ مرةً صاعقة،[8] ومرةً صيحة، ومرةً رَجْفَة.

وقوله عز وجل: **فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأنْ لم يَغْنَوْا فيها أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كما بَعِدَتْ ثمود**، هذا أيضًا قد ذكرنا فيما تقدَم.[9] قال بعض أهل التأويل: قوله: **أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ**، في الهلاك، **كما بَعِدَتْ ثمود**، كما أُهْلِكَتْ ثمود، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما هَلَكَ بالصيحة.

---

[1] ك: ويعلمون في العاقبة أيضًا.
[2] ع: تدعي.
[3] م + من.
[4] ع م - أي.
[5] ن - لنا.
[6] انظر تفسير الآية من سورة هود، ٥٨/١١.
[7] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأَخذَتْهم الرَّجْفَةُ فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ (سورة الأعراف، ٧٨/٧، ٩٢). وانظر: سورة الأعراف، ١٥٥/٧؛ وسورة العنكبوت، ٣٧/٢٩.
[8] يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿فإنْ أَعْرَضُوا فقُلْ أَنْذَرْتُكم صاعقةً مِثْلَ صاعقةِ عادٍ وثمود﴾ (سورة فصلت، ١٣/٤١). وانظر: سورة البقرة، ٥٥/٢؛ وسورة النساء، ١٥٣/٤؛ وسورة فصلت، ١٧/٤١؛ وسورة الذاريات، ٤٤/٥١).
[9] انظر تفسير الآيتين ٦٧-٦٨ من سورة هود، ١١.

فمِن ثَمّ اختصّ ذِكر ثمود مِن بين الأمم. وعن ابن عباس رضى الله عنه قال:[1] لم يُعذَّبْ بعذابٍ واحدٍ إلّا قومُ شعيب وصالح. فأمّا قومُ صالح فأخذتهم الصيحة مِن تحتهم، وقومُ شعيب مِن فوقهم.[2] قال: فنشأت لهم سحابةٌ فيها عذابهم -فلم يعلموا[3] كهيئة الظُّلَّة[4]- فيها ريحٌ. فلمّا رَأَوْها أَتَوْها يَستَظِلُّون تحتَها مِن حَرّ الشمس، فسَالَ عليهم العذابُ مِن فوقِهم. فذلك قوله: فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ.[5]

وقوله: **أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ**، مِن رحمة الله، **كما بَعِدَتْ ثمود**، مِن رحمته. ويحتمل الهلاك الذي ذكرنا.[6] *والله أعلم.*

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[٩٦]

وقوله[7] عز وجل: **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسُلطانٍ مُبِين**، وهي الحجج. يحتمل قوله: **بآياتنا وسُلطانٍ مُبِين**، [أن يكون] واحدًا[8] على التكرار. فإن كانت الآياتُ هي الأَوامِرَ والنَّواهِيَ[9] وما يُؤتَى وما يُتَّقَى[10] فقوله: **وسُلطانٍ مُبِين**، هي الحججُ والبراهينُ على ذلك.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[٩٧]

وقوله عز وجل: **إلى فرعون ومَلَئِه**، قد ذكرنا أن الْمَلأَ هو اسمُ لِشيئين: اسم الجماعة واسم الأَجِلَّة والأَشْرَاف. وهو كان مبعوثا إلى الأَشْرَاف مِن قومه وإلى الجماعة جميعًا. [لكن] خُصّ بَعْثُه إلى فرعونَ ومَلَئِه[11] وإن كان مبعوثا إلى الكل لِما [كان] العُرْفُ في الملوك أنهم إنما يخاطبون الكُبَرَاءَ منهم والأَشْرَافَ وإن كان المقصود مِن الخطاب[12] الكلَّ.

---

[1] ع م - قال.

[2] رواه الكلبي -وهو ضعيف- عن ابن عباس. انظر: *تفسير القرطبي*، ٩/٩٢؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٢/١٢٩.

[3] ع م: فلم تعلموا.

[4] ع: الظلمة. والظُّلَّة والمِظَلَّة سواء، وهو ما يُستَظَلّ به مِن الشمس. والظُّلَّة: الشيءُ يُسْتَتَرُ به مِن الحرّ والبرد. وهي كالصُّفَّة. والجمع ظُلَل وظِلال. والظُّلَّة: ما سَتَرَكَ مِن فوق (*لسان العرب* لابن منظور، «ظلّ»).

[5] سورة الشعراء، ٢٦/١٨٩. وانظر لمجموع الروايات في عذاب قوم شعيب عن ابن عباس وغيره: *تفسير الطبري*، ١٩/١٠٩-١١١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦/٣١٨-٣٢٠.

[6] ن - ذكرنا.

[7] ن: أو قوله.

[8] جميع النسخ: واحد.

[9] ن ع م: والمناهي.

[10] ك: ويتقي.

[11] ك: وقومه.

[12] ك: وإن كان من المقصود خطاب.

وقوله عز وجل: **فاتّبعوا أَمْرَ فرعونَ وما أَمْرُ فرعونَ بِرَشِيد**، قال بعضهم: هو ما ذكر في حم المُؤْمِن حيث قال لهم: مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ،[١] فأطاعوا فرعونَ في قوله. يقول الله: **وما أَمْرُ فرعونَ بِرَشِيد**، أي[٢] بهُدَى. أو يقول: ما الأَمْرُ الذي عليه فرعونُ **بِرَشِيد**، بل هو ضلال. ولكن عندنا أنهم أطاعوا فرعونَ في جميع أمره ونهيه في عبادة الأصنام وغيره. وهو ما ذكر: فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ.[٣] وقوله عز وجل: **وما أَمْرُ فرعونَ بِرَشِيد**، أي ليس بهُدَى بل كان أَمْرُه ضلالاً حيث كان هو ضالًّا مُضِلًّا.

﴿**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**﴾[٩٨]

وقوله عز وجل: **يَقْدُمُ قومَه يومَ القيامة**، قال بعضهم: أي صار قُدَّامَهم. وقال بعضهم: **يَقْدُمُ**، أي[٤] يَقُودُ قومَه إلى النار حتى[٥] يُورِدَهم[٦] النار. ويحتمل قوله: **يَقْدُمُ قومَه**، أي يكون إماما لهم في الآخرة[٧] يتبعون أثرَه كما كان إمامَهم في الدنيا فاتّبعوه، كقوله: يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ،[٨] وكقوله: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ،[٩] أخبر أنهم يكونون أئمةً لهم في الآخرة.

ويشبه أن يكون قوله: **فأَوْرَدَهم النارَ**، أي دعاهم في الدنيا وأَمَرَهم بأُمورٍ تُورِدُهم النارَ تلك الأعمالُ، كقوله:[١٠] فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ،[١١] أي ما أَصْبَرَهم على عَمَلِ أهل النار. وقال[١٢] بعضهم: يتبعونه حتى يُدْخِلَهم النار.

وقوله عز وجل: **وبئس الوِرْدُ المَوْرُودُ**، قال بعضهم: بئس المَدْخَلُ المَدْخُولُ. والوِرْدُ[١٣] هو الدخول، والمَوْرُود المَدْخُول. سُمِّيَ الجزاءُ باسم سببه. قال ابن عباس رضي الله عنه:

---

[١] سورة المؤمن، ٢٩/٤٠.
[٢] ك – أي.
[٣] سورة الزخرف، ٥٤/٤٣.
[٤] م – يقدم أي.
[٥] ن ع + لا.
[٦] م + إلى.
[٧] ك: يوم القيامة.
[٨] سورة الإسراء، ٧١/١٧.
[٩] سورة القصص، ٤١/٢٨.
[١٠] م – كقوله.
[١١] سورة البقرة، ١٧٥/٢.
[١٢] م: قال.
[١٣] م: والورود.

[٢٥٢ظ] جميع ما ذُكِر في القرآن مِن الوُرُود فهو دُخول. مِنه[1] قولُه: **وبئس الوِرْدُ المَوْرُودُ**، / وقولُه:[2] وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا،[3] وقولُه: أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ،[4] وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا.[5] فقال: والله لَيَرِدَنَّها كلُّ بَرٍّ وفاجر، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا.[6]

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾[٩٩]

وقوله: **وأُتبِعُوا في هذه لَعْنَةً ويومَ القيامة**، يحتمل اللعنةُ في الدنيا العذابَ الذي نزل بهم. ويحتمل لَعْنَ الخلائقِ [لهم]،[7] يَلْعَنُهم مَن ذَكَرَهم. وفي الآخرة يحتمل الوجهين جميعًا. يحتمل[8] يُعَذَّبُون في الآخرة أيضًا كما عُذِّبُوا[9] في الدنيا. ويحتمل لَعْنَ الخلائقِ[10] أيضًا، مَن رآهم لَعَنَهم.[11] واللَّعْن هو الطَّرْد في اللغة. طُرِدُوا عن رحمة الله و لم يُرْحَمُوا في عذاب الدنيا ولا يُرْحَمُون في عذاب الآخرة.

وقوله عز وجل: **بئس الرِّفْدُ المَرْفُودُ**، عن ابن عباس: **بئس الرِّفْدُ المَرْفُودُ**، يقول: لعنة الدنيا والآخرة.[12] وقال[13] قتادة: تَرَادَفَتْ عليهم لعنتان مِن الله: لعنة الدنيا ولعنة الآخرة.[14] ولكن على زعمهم يجيء أن[15] يُقال: "الرِّدْف" مِن التَّرَادُف. وقال بعضهم: الرِّفْد:[16] العَوْن. وهو قول القُتَبي. وقال القُتَبي: الرِّفْد: العَطِيّة، والمَرْفُود: المُعْطَى. يُقال: رَفَدْتُه، إذا أعطيتُه وأَعَنْتُه،

---

[1] م: منهم.
[2] ن: قوله.
[3] ﴿وإنْ مِنكم إلا وَارِدُها كان على ربك حَتْمًا مَقْضِيًا﴾ (سورة مريم، ٧١/١٩).
[4] ﴿إنكم وما تعبدون مِن دون الله حَصَبُ جهنمَ أنتم لها وَارِدُون﴾ (سورة الأنبياء، ٩٨/٢١).
[5] سورة مريم، ٨٦/١٩.
[6] سورة مريم، ٧٢/١٩. وانظر لقول ابن عباس رضي الله عنه: *تفسير الطبري*، ١١٠/١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٢/٤، ٥٣٥/٥.
[7] ع م + أيضا من رآهم.
[8] ك: تحتمل.
[9] ن: كما يعذبون.
[10] ن ع: الخلق.
[11] ع م + الله.
[12] *تفسير الطبري*، ١١١/١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٢/٤.
[13] ع م: قال.
[14] *تفسير الطبري*، ١١١/١٢.
[15] ع م: يجيئان.
[16] ك م: الردف.

كما يُقال: بئس العَطاء المُعْطَى.[١] وكذلك[٢] قال أبو عَوْسَجَة: بئس ما أُعْطُوا وأُعِينُوا، وبئس المُعْطَى. **والله أعلم.**

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **ذلك مِن أنباء القُرَى نَقُصُّه عليك منها قائمٌ وحَصِيد**، قوله: **ذلك مِن أنباء القُرَى**، **ذلك** ما سبق[٣] مِن ذِكر القُرَى والقرون في هذه السورة، **مِن أنباء** الغيب، **نَقُصُّه عليك**، لِيُعلَم بها رسالتُك،[٤] ولِتكون آيةً لِنبوّتك؛ لأنك لم تشاهدها، ولا اختلفتَ إلى أحدٍ[٥] منهم فتعلّمتَ منهم، ولا كانت الكتب بلسانك فيقولون: نَظرتَ فيها فأخذتَ ذلك منها[٦] ثم أَنبأتَ على ما كان وقَصصتَ عليهم، لِيُعلَم أنك إنما عرفتَ [ذلك] بالله، فتكونَ آيةً لِرسالتك.

وقوله: **مِنها قائمٌ وحَصِيدٌ**، قال بعض أهل التأويل: **مِنها قائمٌ**، تَرَى مكانَها وتَنظرُ إليها، ومنها حَصِيد، لا تَرَى لها[٧] أثرًا ولا مكانًا. وقال بعضهم: **قائم**، أي خاويةٌ على عُرُوشها،[٨] **وحَصِيد**، مُستأصَلَة. وعن الحسن قال: **منها قائمٌ**، وما حَصَد اللهُ أكثرُ، أي وما أَهلكَ[٩] اللهُ مِن القُرَى أكثرُ. وأصله عندنا: **منها قائمٌ**، نحو قُرَى عاد وثمود ومَدْيَن أُهْلِكَ أهلُها وبَقِيت القُرَى لأهل الإسلام؛ لأنه يقول في قُرَى عاد: فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ،[١٠] الآية. ومنها حَصِيد، ما أُهْلِكَ أهلُها والقُرَى جميعًا نحو قوم نوح أُهْلِكُوا بِبُنْيَانِهم ونحو قَرْيَاتِ قومِ لُوط أُهْلِكَتْ بأهلها أيضًا حتى لم يَبْقَ لا الأهلُ ولا البُنْيَانُ. فذلك -والله أعلم- تأويلُ قولِه: **منها قائمٌ**، هَلَكَ أهلُها وبَقِيَ البُنْيَانُ، ومِنها حَصِيدٌ، هو ما أُهْلِكَ البُنْيَانُ بأهلِه حتى لم يَبْقَ لها أثرٌ.

---

[١] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٠٩.

[٢] ع: ولذلك.

[٣] ك: من سبق.

[٤] ك: لتعلم رسالتك بها.

[٥] م: ولا اختلف لأحد.

[٦] ن - منها.

[٧] ن ع م: له.

[٨] يشير إلى قوله تعالى: ﴿فكأيِّن مِن قريةٍ أهلكناها وهي ظالمةٌ فهي خاويةٌ على عُرُوشها وبئرٍ مُعطَّلَةٍ وقَصْرٍ مَشِيد﴾ (سورة الحج، ٤٥/٢٢). قال ابن منظور: خَوَتِ الدار: تَهَدَّمَتْ وسَقَطَتْ. ومنه قوله تعالى: ﴿خاويةٌ على عُرُوشها﴾، أي خالية. وقيل: ساقطة على سُقُوفها. وخَوَتِ الدار وخَوِيَتْ خِوَاءً وخِوايةً: خَلَتْ مِن أهلها. وأرضٌ خاويةٌ: خالية مِن أهلها... وعُرُوشها: سُقُوفها (*لسان العرب* لابن منظور، «عرش، خوي»).

[٩] م: ما أهلك.

[١٠] سورة الأحقاف، ٢٥/٤٦.

وفيه وجوه ثلاثة. أحدها آيةً لرسالته[1] لما ذكرنا. و[الثاني] عبرةً[2] لأهل التقوى؛ وهو ما ذكر في آخره:[3] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ،[4] أي عبرة[5] لمن خاف عذاب الآخرة.[6] و[الثالث] زَجْرًا لأهل[7] الشرك والكفر، لأنهم يَذكرون ما نزل[8] بأولئك فيَنزَجِرُون عن صَنِيعهم. فيه هذه[9] الوجوه التي ذكرنا.[10] *والله أعلم*.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **وما ظَلَمْناهم ولكنْ ظَلَمُوا أنفسَهم**، قوله:[11] **وما ظَلَمْناهم**، فيه وجهان. أي لم نَظلمهم[12] لأنهم وبُنيانَهم ملكُ الله تعالى، وكلُّ ذي ملكٍ له أن يُهلِكَ ملكَه، ولا يُوصَف بالظلم مَن أَتلفَ ملكَه. وهم **ظَلَمُوا أنفسَهم**، إذ أنفسُهم[13] ليست لهم في الحقيقة، وكذلك بُنيانُهم، ومَن أَتلفَ ملكَ غيرِه فهو ظالم.

والثاني أن الظلم هو[14] وَضْعُ الشيء[15] غيرَ مَوْضِعِه. يقول: **وما ظَلَمْناهم**، بالعذاب، إذ هم[16] يَستَوْجِبُون ذلك بما ارْتَكَبُوا، فلم نَضَعِ العذابَ في غير مَوْضِعِه، بل هم الذين وَضَعُوا أنفسَهم في غير مَوْضِعِها حيث صَرَفُوها إلى غير مالكها [و]عبدوا غيرَه، فهو الظلم.[17] هذا التأويل في أنفسهم.

---

[1] م: الرسالة.
[2] ن ع م: وغيره.
[3] ع + إن في آخره.
[4] سورة هود، ١١/١٠٣.
[5] م: أي غيره.
[6] ع – أي عبرة لمن خاف عذاب الآخرة.
[7] ع: الأهل.
[8] ن ع م: ما ترك.
[9] ع: هذا.
[10] ن: ذكرانا؛ ع م: ذكرها.
[11] ن ع م: وقوله.
[12] ن: لم يظلمهم.
[13] م – إذ أنفسهم.
[14] م – هو.
[15] ك + في.
[16] ع م – هم.
[17] ك ن م: ظلم.

وأمّا البُنيان فإنه[1] إنما جَعَلَه لهم، فإذا هَلَكُوا هم أَهلكَ ما جَعَلَ لهم. إنما أَبْقَى لهم ما داموا هم،[2] فأمّا إذا بَادُوا هم[3] فلا معنىً لإبقاء البُنيان.

وما ذكر مِن ظُلْمِهم أنفسَهم يحتمل وجوها. أحدها **ظَلَمُوا أنفسَهم** بعبادتهم غيرَ الله. والثاني **ظَلَمُوا أنفسَهم** بِصَرْفِهم الناسَ وصَدِّهم عن سبيل الله [و]عن عبادة الله[4] وتوحيده إلى عبادةِ غيرِ الله. والثالث **ظَلَمُوا أنفسَهم** بسؤالهم العذابَ.

وقوله: **فما أَغْنَتْ عنهم آلهتُهم التي يَدْعُون مِن دون الله مِن شيءٍ لمّا جاء أَمْرُ ربِّك**، في هذا وجهان. أحدهما ما أَغْنَتْ عنهم عبادةُ آلهتِهم التي عبدوها مِن دون الله **لمّا جاء أَمْرُ ربِّك**، أي عذابُ ربِّك، كقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ،[5] الآية، يخبر أنّ عبادتَهم الأصنامَ لا تنفعهم المنفعةَ التي طَمِعوا. والثاني **فما أَغْنَتْ عنهم**، أنفُسُ آلهتِهم في دَفْعِ العذاب عنهم في أحوج حالٍ[6] إليها، لِعَجْزِهم[7] في أنفسهم وضَعْفِهم، كقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ؛[8] فإذا لم يَمْلِكُوا ذلك في وقت الحاجة إليهم فكيف يَمْلِكُون في غيرِه[9] مِن الحال. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما زادُوهم غيرَ تَتْبِيبٍ**، يحتمل ما زَادَهُم[10] عبادتُهم إياها **غيرَ تَتْبِيبٍ**. أو ما زَادَهُم[11] آلهتُهم التي عبدوها **غيرَ تَتْبِيبٍ**. والتَّتْبِيب قال عامة أهل التأويل: هو التَّخْسِير. وقال أبو عَوْسَجَة: **غيرَ تَتْبِيبٍ**: غيرَ فساد، والتَّتْبِيب: الفساد. وكذلك قال في قوله: وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ،[12] أي فساد. وقال غيرُه: إلا في خَسَار. وقال غيرُه: غيرَ تَخْسِير. وكذلك قالوا في قوله: تَبَّتْ،[13] أي خَسِرَتْ. وقال أبو عُبَيدة: **غيرَ تَتْبِيبٍ**: غيرَ تَدْمِير وإهلاك.[14]

[1] ك: فهو انه.
[2] ع م – هم.
[3] ن ع م: بادوهم.
[4] م – الله.
[5] ﴿والذين اتَّخذُوا مِن دونه أولياءَ ما نَعبُدهم إلّا لِيُقَرِّبونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).
[6] م – حال.
[7] ع: بعجزهم.
[8] سورة يونس، ١٨/١٠.
[9] ع: في غير.
[10] جميع النسخ: ما زاد.
[11] جميع النسخ: ما زاد.
[12] سورة المؤمن، ٣٧/٤٠.
[13] انظر الحاشية بعد التالية.
[14] ك – وكذلك قالوا في قوله تبت أي خسرت وقال أبو عبيدة غير تتبيب غير تدمير وإهلاك؛ ن + وإهلاك. *مجاز القرآن* لأبي عبيدة، ٣٣٩/١.

[٣٥٣و] وكذلك قالوا في قوله: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ.[١] وكذلك / قالوا[٢] في قول[٣] الناس: تَبًّا لَكَ. وقال بعضهم: غيرَ تَتْبِيبٍ:[٤] غيرَ شَرّ، وقال: التَّتْبِيب:[٥] الشَّرّ، والتَّبّ: الشَّرّ والخُسران. وهما واحد.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[١٠٢]

وقوله عز وجل: **وكذلك أَخْذُ ربِّكَ إذا أَخَذَ القُرَى**، أي هكذا يَأخذ كُفّارَ هذه الأمة كما أَخَذَ[٦] أولئك، أي كما عَذَّبْنا الأُمَمَ الخالية **وهي ظالمةٌ**، مشركةٌ كافرةٌ كذلك نُعذِّبُ هذه الأمة. لكن أَخَّرَ [العذاب] عن هذه الأمة.[٧] وفيه[٨] رحمة[٩] [لهم].

إنّ أَخْذَه أَليمٌ شديد، أي **إنّ أَخْذَه** بالعذاب، **أَليمٌ شديد**، الأَخْذُ نفسُه يُوصَف بالشدة، ولكن لا يُوصَف بالألم، والعذابُ يُوصَف بالألم، لكن لمّا وَصف بالألم والشدة دلّ أنّ الأَخْذَ أَخْذٌ بعذابٍ. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **إنّ في ذلك لَآيةً لمن خاف عذابَ الآخرة**، هو ما ذكرنا.[١٠] فيه عبرةٌ[١١] لأهل التقوى ولمن خاف عذابَ الآخرة.

وقوله عز وجل: **ذلك يومٌ مَجْمُوعٌ له الناس**، خصّ الناسَ بالذكر وإن كان الجَمْعُ لهم ولغيرهم لأنّ الآيةَ التي ذكر تكون[١٢] لهم آية؛ أو لِما هم المقصودون بالجَمْع بذلك[١٣] اليوم. *والله أعلم*. قيل: يُجْمَعُ فيه الأوّلون والآخِرون.

---

[١] سورة تبت، ١/١١١.
[٢] م + في قوله تبت يدا أبي لهب وتب وكذلك قالوا.
[٣] م: في قوله.
[٤] ع م – غير تتبيب.
[٥] م: والتتبيب.
[٦] ع – أخذ.
[٧] ع م – لكن أخر عن هذه الأمة.
[٨] ع: وفي.
[٩] ن + وفيه رحمة.
[١٠] انظر تفسير الآية من سورة هود، ١١/١٠٠.
[١١] ن ع م: غيره.
[١٢] ك: يكون.
[١٣] ن ع م: وبذلك.

وذلك يومٌ مَشْهُود، قال[١] بعضهم: يَشهده أهلُ السماء وأهلُ الأرض لَلعَرْض والحساب. *والله أعلم*.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **وما نُؤَخِّرُه إلّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ**، أي ما نُؤَخِّر[٢] العذابَ عن هذه الأمة **إلّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ**. ذَكَر هذا -والله أعلم[٣]- جوابَ ما استعجلوه مِن العذاب[٤] بقولهم: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ،[٥] ونحوه. فقال: وما نُؤَخِّر العذابَ[٦] عنهم **إلّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ**، إلّا لِوقتٍ مَوْقُوت.[٧] أي[٨] **إلّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ** عند الله. ولو كان ما ذَكَر ابن عباس أنه سبعة آلاف[٩] فيكون مَعْدُودًا عند الناس، ويكون وقت القيامة معلومًا على قوله، وقد أخبر الله:[١٠] لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ.[١١] *والله أعلم*.[١٢]

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **يومَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نفسٌ إلا بإذنه**، أي **لا تَكَلَّمُ نفسٌ** بالشفاعة لأحد **إلا بإذنه**،

---

[١] م: وقال.
[٢] م: ما نؤخرهم.
[٣] ن – وقوله عز وجل وما نؤخره إلا لأجل معدود أي ما نؤخر العذاب عن هذه الأمة إلا لأجل معدود ذكر هذا والله أعلم.
[٤] ع – من العذاب.
[٥] ن + وقوله وما نؤخره إلا لأجل معدود أي ما نؤخر العذاب عن هذه الأمة إلا لأجل معدود ذكر هذا والله أعلم جواب ما استعجلوه من العذاب بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء وائتنا بعذاب أليم. يقول الله تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم إنْ كان هذا هو الحقَّ مِن عندِك فأَمطِرْ علينا حجارةً مِنَ السماء أَوِ ائْتِنَا بعذابٍ أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٨/٨).
[٦] م – عن هذه الأمة إلا لأجل معدود ذكر هذا والله أعلم جواب ما استعجلوه من العذاب بقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحوه فقال وما نؤخر العذاب.
[٧] ع: موقوف.
[٨] ن – أي.
[٩] لا تصح الروايات التي تَذكر أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وأننا في آخر ألف منها، وما في معناها؛ لأنها معارضة للقرآن. انظر: *كشف الخفاء* للعَجْلُوني، ٤١٧/٢.
[١٠] ن ع م – الله.
[١١] ع + الآية. ﴿يسألونك عن الساعة أَيَّانَ مُرْسَاهَا قل إنما عِلْمُها عند ربي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إلا هو ثَقُلَتْ في السماوات والأرض لا تَأْتِيكم إلّا بَغْتَةً يسألونك كأنَّك حَفِيٌّ عنها قل إنما عِلْمُها عند الله ولكنّ أكثرَ الناس لا يَعلمون﴾ (سورة الأعراف، ١٨٧/٧).
[١٢] ك ن ع – والله أعلم.

كقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى.[1] أو[2] **لا تَكَلَّمُ نفسٌ**، لِأَهْوَال[3] ذلك اليوم ولِفَزَعِه، كقوله: مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ،[4] وكقوله:[5] لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ.[6] أو **لا تَكَلَّمُ نفسٌ** مِن الأَجِلَّة والعُظَماء لأحدٍ مِن دونهم بالشفاعة **إلا بإذنه**. وهو ما ذكرنا. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **فمِنهم شَقِيٌّ وسَعِيدٌ**، [أي] **فمِنهم شَقِيٌّ** بأعماله[7] الخبيثة التي إذا اختارها وعملها أَدْخَلَتْه النارَ، **ومِنهم سَعِيدٌ** بما أُكْرِمَ[8] مِن الطاعة والخيرات التي إذا اختارها وعملها[9] أَدْخَلَتْه الجنةَ. وكلّ عملٍ يَعمل فيُدْخِلُه[10] الجنةَ فهو سَعِيدٌ به،[11] وكلّ عملٍ يَعمل فيُدْخِلُه[12] النارَ فهو شَقِيٌّ به. رُوِيَ في ذلك خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. رُوِيَ عن عمر رضي الله عنه قال: لمّا نزلت هذه الآية: **فمِنهم شَقِيٌّ وسَعِيدٌ**، سألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقلت: يا نبيَّ الله، فَعَلَامَ[13] نَعمل:[14] على شيءٍ قد فُرِغَ مِنه أو شيءٍ لم يُفْرَغْ مِنه؟ قال: «بل على شيءٍ قد فُرِغَ منه وجَرَتْ به الأقلامُ يا عمر، ولكن كلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له».[15] فإن ثبت هذا[16] فهو يدل لِما ذكرنا. ***والله أعلم***.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[١٠٦]

وقوله عز وجل: **فأمّا الذين شَقُوا فَفِي النار**، لِما ذكرنا، **لهم فيها زَفِيرٌ وشَهِيقٌ**، قال بعضهم:

---

[1] سورة الأنبياء، ٢٨/٢١.
[2] ع م – أو.
[3] ك: الأهوال.
[4] سورة إبراهيم، ٤٣/١٤.
[5] م: كقوله.
[6] سورة النبأ، ٣٨/٧٨.
[7] ع م: بأعمال.
[8] ع: أكره.
[9] ك – أدخلته النار ومنهم سعيد بما أكرم من الطاعة والخيرات التي إذا أختارها وعملها.
[10] ع: فيه خله.
[11] م – به.
[12] ك ن: يدخله؛ ع م: يدخل.
[13] ع: فغلام؛ م: فعلى من.
[14] ك ن ع: يعمل.
[15] *سنن الترمذي*، التفسير ١٢؛ و*تفسير الطبري*، ١١٧/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٥/٤. وحسّنه الترمذي.
[16] م – هذا.

الزَّفِير هو كزَفِير الحمار في الصَّدْر، وهو أول ما يَنْهَق؛ وأمّا الشَّهِيق فهو[١] كشَهِيق الحمار في الحَلْق،[٢] فهو آخِر ما يَفرغ مِن نَهيقِه، فهو شَهِيق. وقال بعضهم: الزَّفِير هو ما لا يُفْهَمُ مِنه شيءٌ، إنما[٣] هو كالأَنِين والجَزَعِ مِن شيءٍ يُصِيبُه لا يَتبيّن[٤] مِنه [معنى]، كقوله: سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا؛[٥] والشَّهِيق هو ما يَرتفع مِنه الصوتُ، يُسَمَّى شَهِيقا. ويحتمل ما ذكر مِن الزَّفِير والشَّهِيق أنهم يَصِيرون -بعد كثرة دعائهم وندائهم حتى يكون منهم الزَّفِيرُ والشَّهِيقُ- لا يُفْهَمُ [صَوْتُهم] كصوتِ الدَّوَابِّ إذا أصابها أَلَمٌ.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **خالدين فيها ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، عن الحسن قال: **ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، تُبَدَّلُ سماءٌ غيرَ هذه السماء وأرضٌ غيرَ هذه الأرض،[٦] فما دامت تلك السماء وتلك الأرض.[٧] لأنّ السماءَ[٨] هذه أخبر أنها تَنْشَقُّ وتُطْوَى وتُبَدَّلُ، كقوله: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ،[٩] و يَوْمَ نَطْوِي،[١٠] و يَوْمَ تُبَدَّلُ،[١١] ونحوه. وقال بعضهم: قوله: **ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، إنما هو[١٢] صِلَةُ الكلام، كأنه قال: خالدين فيها إلّا ما شاء ربُّك، وقد يُتَكَلَّمُ بمثل هذا على الصِّلَة. وقال بعضهم: يَدوم لهم العذابُ أبدًا **ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ** لأهل الدنيا ما كانوا فيها؛ لأنهما إنما يَفْنَيَان[١٣] بعد فناء أهلِهما[١٤] وبعد إحياءِ الأهل والبَعْث. فأخبر أنّ العذابَ يَدُوم لهم كما يَدُوم لأهل الدنيا السماءُ والأرضُ.

---

[١] ك: وهو.
[٢] ع: في الخلق.
[٣] ك + كا.
[٤] ع: لا يتين.
[٥] ﴿إذا رَأَتْهم مِن مكانٍ بعيدٍ سَمِعُوا لها تَغَيُّظًا وزَفِيرًا﴾ (سورة الفرقان، ١٢/٢٥). أي سَمِعوا لجهنم.
[٦] ع م - الأرض.
[٧] أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤٧٧/٤.
[٨] ن ع م - السماء.
[٩] ﴿ويومَ تَشَقَّقُ السماءُ بالغَمَامِ ونُزِّلَ الملائكةُ تَنزيلا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٢٥).
[١٠] ﴿يومَ نَطْوِي السماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه وَعْدًا علينا إنّا كنا فاعلين﴾ (سورة الأنبياء، ١٠٤/٢١).
[١١] ﴿يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماواتُ وبَرَزُوا للهِ الواحدِ القهّار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٨/١٤).
[١٢] ع م - هو.
[١٣] ك: تفنيان.
[١٤] م: أهلها.

وقال بعضهم: **خالدين فيها ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، أي ما دَامَتْ سماءُ الجنة وأرضُ الجنة وسماءُ النار وأرضُ النار. لكن ذكر هذا لئلا يُتَوَهَّمَ [هلاكُ] أهلِ الجنة والنار قبل هلاك سمائها وأرضها على ما يُتَوَهَّمُ في تَوَهُّم[1] هلاكِ أهلِ الدنيا قبل هلاك سمائها وأرضها. وقال بعضهم: **خالدين فيها ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، أي ما دَامَتِ الأرضُ أرضًا[2] والسماءُ سماءً، يُتَكَلَّمُون على ما بَعُدَ مِن أَوْهَامِهم فَنَاؤها.[3] أو على الصِّلَة يقول الرجل لآخر: لا أُكلّمك ما دام الليل والنهار، أي أبدًا. هذا تأويل قوله: **ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**.

وأمّا قولُه: **إلّا ما شاء ربُّك**، قال بعضهم: إنّ ناسًا مِن أهل التوحيد يُعَذَّبُون في النار على قَدْرِ ذُنُوبهم[4] وخطاياهم ثم يخرجون منها. وقد رُوِيَ في ذلك آثارٌ.[5] رُوِيَ[6] عن أبي [٣٥٣ظ] سعيد الخُدْرِي / وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الاستثناء في الآيتين كِلْتَيْهما[7] لأهل الجنة»،[8] يعني الذين يخرجون من النار مِن أهل التوحيد. **إلّا ما شاء ربُّك**، يقول: لم يَشْقَوْا شَقَاءَ[9] مَن يخلد في النار. وقال[10] في الذين سُعِدُوا: إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ،[11] هُم أولئك الذين لم يَنالوا مِن السعادة ما نال أهلُ الجنة الذين لم يدخلوا النار. وفي بعضها عن النبي[12] صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أمّا مَن يُريد الله إخراجَه مِن النار[13] فإنهم يُمَاتُون فيها[14] إِمَاتَةً».[15]

---

[1] م – في توهم.
[2] ك ن ع: أرض.
[3] ك ن ع: فناؤهم.
[4] ن: ذنوهم.
[5] ك ن: آثارا؛ ع م – آثار.
[6] ع – روي.
[7] ع م: كلتاهما.
[8] لم أجده. لكن أخرج ابن مَرْدُوَيه عن جابر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فأما الذين شَقُوا –إلى قوله– إلّا ما شاء ربُّك﴾. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن شاء الله أنْ يُخرِجَ أُناسًا مِن الذين شَقُوا مِن النار فيُدْخِلَهم الجنةَ فَعَل». انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٧٦.
[9] م: شقاق.
[10] م: قال.
[11] الآية التالية.
[12] ك ن: عنه.
[13] ك ن ع: منها.
[14] م – فيها.
[15] «إنّ أهلَ النار الذين لا يُريد الله إخراجَهم لا يموتون فيها ولا يَحْيَوْن، وإنّ أهلَ النار الذين يُريد الله إخراجَهم يُمِيتُهم فيها إمَاتَةً حتى يَصِيرُوا فَحمًا ثم يُخرَجُون...» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٣/١١، ٢٠؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ٣٠٤؛ وسنن *ابن ماجة* الزهد ٣٧).

وقال في خبرٍ آخر: «أمّا مَن يُريد الله له الخلودَ فلا يخرجون منها»،[1] وأمثال هذا من الأخبار. فإن ثبت هذا فهو المعتمد. وقال بعضهم: قوله: **إلّا ما شاء ربُّك**، أي قد شاء لأهل النار الأبدَ والخلودَ وشاء لأهل الجنة عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ،[2] أي غير منقطع. ويؤيّد هذا التأويل ما ذُكِر في حرف ابن مسعود وأُبَيّ: **ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ**، في الآيتين، وفي الآية[3] الأولى: **إلّا ما شاء ربُّك**، وفي الأخرى: ما دَامَتِ السماواتُ والأرضُ عطاءً غيرَ مَجْذُوذٍ؛ وكذلك ذُكِر في حرف ابن مسعود وأُبَيّ أنهما لم يَذكرا[4] الثُّنْيَا في أهل الجنة.

وأصل هذا ما ذَكر أبو عُبَيْد [حيث] قال: الاستثناء الذي هو في أهل السعادة فهو المُشْكِل؛ لأنه يُقال: كيف يَستثني وقد وَعدهم خلودَ الأبد في الجنة؟ وقال في ذلك أقوالا لا أدري إلى مَن يُسْنِدُها[5] إلّا أنّ لها مَخَارِجَ[6] في كلام العرب وشَوَاهِدَ[7] في الآثار. وإنما يَتكلّم الناسُ في هذا على معاني[8] العربية. والله أعلم بما أراد. قال: فأحد هذه[9] الوجوه في الاستثناء فيما يُقال كالرجل يُوجِب على نفسه الشيءَ لَيَفعَلَنّه[10] ثم يقول: إن شاء الله، وعَزْمُه [في] ضَمِيرِه -مع استثنائه- أنه فاعِلُه لا يُريد غيرَه. ومما[11] يُقَوّي هذا[12] المذهبَ[13] قولُ الله تعالى: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ آمِنِينَ،[14] فاستثنى وقد عَلِم أنهم داخِلُوه الْبَتّة. ومِنه ما رُوِيَ في حديث مكة عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: «ولا تَحِلُّ لُقَطَتُها إلّا لِمُنْشِد»،[15] وقال بعضهم: استثنى المُنْشِد وهي لا تَحِلّ له كما لا تَحِلّ لغيره.

---

[1] انظر: المصادر السابقة. وهو نفس الحديث وليس حديثا آخر.
[2] الآية التالية.
[3] ن ع م - الآية.
[4] ك ع م: لم يذكر.
[5] جميع النسخ: من يسند.
[6] جميع النسخ: مخارجا.
[7] ن ع: وشواهدا.
[8] م: على مغان.
[9] م: هذا.
[10] ع م - ليفعلنه.
[11] ع م: وهما.
[12] م: هذه.
[13] ع: المذاهب.
[14] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رسولَه الرؤيا بالحق لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء الله آمِنِين مُحَلِّقِين رءوسَكم ومُقَصِّرِين لا تخافون فعَلِمَ ما لم تَعلموا فجَعَلَ مِن دون ذلك فَتْحًا قريبًا﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٧).
[15] صحيح *البخاري*، اللقطة ٧؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٤٤٥.

والوجه الثاني بأن يكون[1] "إلّا" في معنى "سِوَى". فإنّ العرب تَفعل ذلك. تقول: عليك ألف درهم مِن قِبَلِ كذا وكذا إلّا الألف التي قَبْلَ ذلك، أي سِوَى الألف التي قَبْلَ ذلك وغير الألف التي قَبْلَ ذلك.[2] فيكون المعنى على هذا أنه وَعَدَهم خلودَ الأبد سِوَى ما أَعَدَّ لهم مِن الزيادة في الكَرَامَة والمَنْزِلة التي لم[3] يَذكرها لهم. ومما يُقَوِّي هذا التأويلَ ما رُوِيَ عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبادِي الصالحين ما لا عينٌ رَأَتْ ولا أُذنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ[4] على قلبِ بَشَرٍ بَلْهَ[5] ما أُطْلِعْتُم[6] عليه»، ثم قرأ: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ،[7] الآية.[8] أفلا ترى أنّ هاهنا مِن الزيادة ما لم يُطْلِعْهم عليه.

والوجه الثالث أن يكون[9] الاستثناء مِن خلودهم في الجنة احتباسَهم عنها ما بَيْن البعث والحساب. وقد قيل [غير] ما ذكرنا أنه ما بَيْن الموت والبعث؛ وهو البَرْزَخ الذي ذُكِر إلى أن يَصِيروا إلى الجنة، ثم هو خلودُ الأبد. يقول: فلم يَغِيبوا[10] عن الجنة إلّا بِقَدْرِ إقامتِهم في الحساب. ومما يُقَوِّي هذا المذهبَ ما قيل في قوله: وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ،[11] قيل: ما بَيْن الموت والبعث. والله أعلم بذلك.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **وأمّا الذين سُعِدُوا**، فقد اختلف القُرّاء في قراءتها. قرأها الكسائي وحمزة بضم السين: **سُعِدوا**، وأمّا أبو عمرو[12] وأهل المدينة وغيرهم مِن القُرّاء قَرَءُوا بفتح السين: سَعِدوا،

---

[1] ن: تكون.

[2] ك ن + وإلا الألف التي قبل ذلك.

[3] ك – لم.

[4] ع: وعلى خطر.

[5] ع م + الذي. بَلْهَ: اسم فِعل أَمْر بمعنى اترُك.

[6] ك ع م: ما أطلعتهم.

[7] سورة السجدة، ١٧/٣٢.

[8] *صحيح البخاري*، التفسير ١/٣٢؛ و*صحيح مسلم*، الجنة ٤.

[9] ع م: أن تكون.

[10] ع: فلم يعينوا.

[11] سورة المؤمنون، ١٠٠/٢٣.

[12] م: أبو عمر.

على قياس شَقُوا.[١] قال أبو عَوْسَجَة: لا أعرف سُعِدوا بضم السين، وإنما هو سَعِدوا بفتح السين. وقال أبو عَوْسَجَة: **غيرَ مجْذُوذٍ**، أي غيرَ مَقْطُوع، كقوله: فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا،[٢] أي أَقْطَاعًا.[٣] وقد ذكرنا قولهم في الزَّفِير والشَّهِيق على قَدْرِ حِفظِنا له.[٤]

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **فلا تَكُ في مِرْيَةٍ مما يَعبد هؤلاء ما يَعبدون إلّا كما يَعبد آباؤهم مِن قبل،** تأويله –والله أعلم– لا تَكُنْ يا محمد في شكٍّ بأنّ هؤلاء قد بَلَغُوا في عبادتهم الأصنامَ والأَوْثَانَ الحَدَّ الذي بَلَغَ آباؤُهم في عبادتهم الأصنامَ والأَوْثَانَ[٥] فأُهْلِكُوا إذا بَلَغُوا ذلك الحَدّ. فهؤلاء أيضًا قد بَلَغُوا ذلك[٦] المَبْلَغ، أي مَبْلَغَ الهلاك، لكن الله برحمته وفضله أَخَرَ [ذلك] عنهم إلى وقتٍ. أو يُقال: إنّ هؤلاء قد بَلَغُوا في العبادة لِغيرِ الله بَعد نزولِ القرآنِ والحجّةِ المَبْلَغَ الذي كان بَلَغَ آباؤُهم قَبلَ نزولِ الحجّةِ والبرهان في عبادتهم غيرَ الله. أو كان في قومٍ قد أَظهروا الموافقةَ لهم وكانوا يَعبدون الأصنام في السِّرّ على ما كان يَعبد آباؤُهم، فقال: هؤلاء وإنْ أَظهروا الموافقةَ لك فقد بَلَغُوا بِصَنِيعهم في السِّرّ مَبْلَغَ آبائِهم. *والله أعلم*. [ثم] هذا يحتمل وجهين. أحدهما [أنه] إخبارٌ عن قومٍ خاصّ أنه لا يؤمن أحدٌ مِنهم، لِيَجعل شُغْلَه[٧] بِغيرِهم. والثاني [أنه] إخبارٌ أنْ لا يؤمنُ جميعُ قومِك كما لم يؤمن قومُ موسى بأَجْمَعِهم، بل قد آمَن مِنهم فريقٌ ولم يؤمن فريقٌ. فعلى ذلك يكون قومك.

وقوله[٨] عز وجل: **وإنّا لَمُوَفُّوهُم نَصِيبَهم غيرَ مَنْقُوصٍ**، قال بعضهم: قوله:[٩] **وإنّا لَمُوَفُّوهُم نَصِيبَهم**، في الدنيا مِن الأَرْزَاق وما قُدِّرَ لهم / مِن النِّعَم، **غيرَ مَنْقُوصٍ**، لا يُنْقَص[١٠] ما قُدِّر لهم، [٣٥٤و]

---

[١] "شَقُوا" في الآية ١٠٦. وقد قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخَلَف بضم السين: سُعِدُوا، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب بفتح السين: سَعِدُوا. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٠.

[٢] سورة الأنبياء، ٥٨/٢١. أي جَعَلَ إبراهيم عليه السلام الأصنام قِطَعًا.

[٣] م: أي قطاعا. وأَقْطَاع جمع قِطْع وهو الغُصْن يُقْطَع من الشجرة (*لسان العرب* لابن منظور، «قطع»). ففي الكلام تشبيه.

[٤] انظر تفسير الآية من سورة هود، ١٠٦/١١.

[٥] ك ن – والأوثان.

[٦] ع – أيضا قد بلغوا ذلك.

[٧] م: شغلهم.

[٨] ك – وقوله.

[٩] ن – قوله.

[١٠] م: ولا ينقص.

أي لا يَهْلِكُون حتى يُوَفَّى لهم الرزقُ.[1] وقال قائلون: **وإنّا لَمُوَفُّوهُم** بأعمالهم **غيرَ مَنْقُوصٍ**، أي لا يُنْقَصُون مِن أعمالهم شيئًا ولا يُزَادُون[2] عليهم، إنْ كان حسنًا[3] فحسن وإن كان شرًّا فشر، وهو[4] على الجزاء. وقال بعضهم: قوله:[5] **وإنّا لَمُوَفُّوهُم نَصِيبَهم**، يقول: إنّا نُوَفِّرُ لهم[6] حَظَّهم مِن العذاب في الآخرة **غيرَ مَنْقُوصٍ**، عنهم ذلك العذابُ. وقوله: **وإنّا لَمُوَفُّوهُم نَصِيبَهم غيرَ مَنْقُوصٍ**، إن كان التأويل في قوله: **فلا تَكُ في مِرْيَةٍ مما يَعبُد هؤلاء ما يَعبُدون إلّا كما يَعبُد آباؤُهم مِن قَبْلُ**، على الإياس مِن قومٍ عَلِمَ اللهُ منهم[7] أنهم لا يؤمنون فيكون تأويلُه ما ذَكَر في آية أخرى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ،[8] الآية؛ وإن كان الثاني فهو ما ذَكَر في آية أخرى:[9] وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ،[10] الآية.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **ولقد آتينا موسى الكتاب**، أي التوراة، **فاخْتُلِفَ فيه**، أي اخْتُلِفَ في الكتاب. والاختلاف فيه يحتمل وجوها ثلاثة. أحدها في الإيمان به والكفر. مِنهم مَن آمَن به ومِنهم مَن كَفَر.

والثاني اخْتَلَفُوا فيه في الزيادة والنقصان والتبديل والتحويل والتحريف، كقوله: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ،[11] الآية، وكقوله: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ،[12] الآية،[13] وقوله: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ،[14] وأمثاله من الآيات.

---

[1] ع م – الرزق.
[2] ع: ولا يزدادون.
[3] ع + فهو.
[4] ع م: هو.
[5] ك ن – قوله.
[6] ن: نوفرهم.
[7] ن ع م – منهم.
[8] ﴿مَن كان يُريد الحياةَ الدنيا وزينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسُون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النارُ وحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وباطِلٌ ما كانوا يَعملون﴾ (سورة هود، ١١/١٥-١٦).
[9] ك ن ع + قوله.
[10] سورة هود، ١١/١١١.
[11] ﴿وإنّ مِنهم لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهم بالكتاب لِتَحْسَبُوه مِن الكتاب وما هو مِن الكتاب ويقولون هو مِن عند الله وما هو مِن عند الله ويقولون على الله الكَذِبَ وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، ٣/٧٨).
[12] ﴿فوَيْلٌ لِلَّذِين يَكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا مِن عند الله لِيَشتروا به ثمنا قليلا فوَيْلٌ لهم مما كَتَبَتْ أيديهم ووَيْلٌ لهم مما يَكْسِبُون﴾ (سورة البقرة، ٢/٧٩).
[13] ع م – الآية.
[14] سورة النساء، ٤/٤٦؛ وسورة المائدة، ٥/١٣.

والوجه الثالث مِن الاختلاف اخْتَلَفُوا[١] في تأويله وفي معناه بعد ما آمنوا به وقَبِلوه. فالاختلاف في التأويل مما احْتَمَلَ كتابُنا. وأمّا التبديل والتحويل[٢] والتحريف والزيادة والنقصان فإنه لا يحتمل لِما ضَمِنَ اللهُ حِفظَ هذا الكتاب بقوله: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ،[٣] وقال: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ،[٤] الآية،[٥] وجَعَلَه مُيَسَّرًا[٦] على أَلْسُنِ الناس وقلوبهم حتى مَن زاد أو نَقَصَ أو بَدَّلَ أو حَرَّفَ شيئًا أو قَدَّمَ أو أَخَّرَ عُرِفَ ذلك. فهو –والله أعلم– لِما[٧] لا يَحْتَمِلُ أحكامُ[٨] هذا نَسْخَها ولا شَرَائِعُه[٩] تبديلَها. وأمّا الكُتُب السالِفة فإنّما[١٠] جُعِلَ حِفظُها إليهم بقوله: بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ.[١١] فهو –والله أعلم– لِما احْتَمَلَ شَرَائِعُها وأحكامُها نَسْخَها[١٢] وتبديلَها. لذلك كان الأمر ما ذكرنا.

وقوله:[١٣] **ولقد آتينا موسى الكتاب فاخْتُلِفَ فيه**، ذَكَّرَ هذا لِرسول الله يُصَبِّرُه على ما اخْتَلَفَ[١٤] قومُه في الكتاب الذي[١٥] أنزل[١٦] عليه. يقول: وقد اخْتُلِفَ فيما أنزل على مَن كان قبلك كما اخْتُلِفَ فيما أنزل[١٧] عليك.

وقوله عز وجل: **ولَوْلَا كلمةٌ سَبَقَتْ مِن ربِك لَقُضِيَ بينَهم**، بالهلاك إهلاكَ استئصالٍ واستيعابٍ. وكلمته التي سَبَقَتْ تحتمل[١٨] ما كان مِن حُكْمِه أنْ يَخْتِمَ الرسالةَ بمحمد وأنْ يَجعلَه[١٩] خاتمَ النبيين،

---

١ ع – اختلفوا.
٢ ن ع م – والتحويل.
٣ سورة الحجر، ١٥/٩.
٤ ﴿لا يَأْتِيهِ الباطلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِن حكيمٍ حميد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٢).
٥ ك – الآية.
٦ ع م: مبشرًا.
٧ م – لما.
٨ م – أحكام.
٩ ع: ولا شرائعها.
١٠ ع + ما.
١١ ﴿إنّا أنزلنا التوراةَ فيها هُدًى ونورٌ يَحْكُمُ بها النبيون الذين أسلموا لِلذين هادوا والربانيون والأَحْبَارُ بما اسْتُحْفِظُوا مِن كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ (سورة المائدة، ٥/٤٤).
١٢ ع م: بنسخها.
١٣ ع م: قوله.
١٤ ك + فيه.
١٥ ع + االذي.
١٦ ك: نزل.
١٧ ع م + على من كان قبلك كما اختلف فيما أنزل.
١٨ ع م: يحتمل.
١٩ جميع النسخ + من.

وأُمَّته آخِرَ[1] الأُمَم عليهم[2] تقوم الساعة. يحتمل أن يكونَ كلمتُه التي ذَكَرَ هذا الذي ذكرنا. وتحتمل[3] وجها آخر، وهو أنْ كان مِن حُكْمِه أنهم إذا اختلفوا في الكتاب والدين وصاروا بحيث لا يَهتدون إلى شيء ولا يَجدون سبيلا إلى الدين أنْ يَبعثَ رسولاً يُبين لهم الدين ويَدعوهم إلى الهدى. لَوْلَا هذا الحكمُ الذي[4] سَبَق وإلّا **لَقُضِيَ بينَهم** بالهلاك. والثالث لَوْلَا[5] ما سَبَقَ مِنه أنْ يُؤَخِّرَ العذابَ عن هذه الأمة إلى وقتٍ وإلّا **لَقُضِيَ بينَهم** بالهلاك.

وقوله عز وجل: **ولَوْلَا كلمةٌ سَبَقَتْ مِن ربِّك لَقُضِيَ بينَهم**، يحتمل[6] الكلمة التي ذَكَرَ أنها سَبَقَتْ [كانت] في قوم موسى؛ وهو أنّه لا يُهْلِكُهم بعد الغَرَقِ[7] إهلاكَ استئصالٍ. والتوراةُ إنما أُنزلتْ مِن بَعدُ، فقد[8] آمَن مِن قومه قوم؛[9] وهو ما قال: وَمِنْ[10] قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ،[11] الآية.

وقوله عز وجل: **وإنهم لَفِي شَكٍّ مِنه مُرِيب**، يحتمل قوله: **لَفِي شَكٍّ مِنه**، في الدين، **مُرِيب**.[12] وقال بعضهم: **لَفِي شَكٍّ مِنه**، يعني مِن العذاب، **مُرِيب**. وقد ذكرنا الفرق بين الشك والريب فيما تقدم.[13]

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١١١]

وقوله عز وجل: **وإنّ كُلًّا لمّا لَيُوَفِّيَنَّهم**، قيل: "لَمَا "[14] هاهنا صِلَة. يقول: -والله أعلم[15]- وإنّ كُلًّا لَيُوَفِّيَنَّهم ربُّك جزاءَ أعمالِهم في الآخرة، إن كان شرًّا فشرّ وإن كان حسنًا فحسن.

---

[1] ك: خير.
[2] جميع النسخ: بهم.
[3] ن ع م: ويحتمل.
[4] م – الذي.
[5] ك – لولا.
[6] ن + الكتاب.
[7] لعله يقصد أنه لا يهلكهم إهلاك استئصال بَعْدَ إغراقِ فرعون وجنوده.
[8] ع م + من.
[9] أي لم يؤمنوا كُلُّهم، بل آمن بعضهم وكَفَرَ بعضهم.
[10] ع م – قومه قوم وهو ما قال ومن.
[11] سورة الأعراف، ١٥٩/٧.
[12] ك – الآية وقوله عز وجل وإنهم لفي شك منه مريب يحتمل قوله لفي شك منه في الدين مريب.
[13] انظر تفسير الآية من سورة التوبة، ١١٠/٩.
[14] قرأ بتخفيف الميم "لَمَا" نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب وخَلَف. وقرأ بالتشديد "لَمّا" ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٩١/٢.
[15] ع م – أعلم.

ومَن قرأ "لَمّا" بالتشديد فتأويله يحتمل[١] وجهين. أحدهما "إلّا". والثاني "لَمَنْ ما"،[٢] أي لما اجتمع فيه[٣] مِيمَاتٌ [ثلاثٌ][٤] طُرِحَتْ واحدة [فبَقِيَتْ ثِنْتَان] وأُدْغِمَتْ إحداهما[٥] في الأخرى. وقوله عز وجل: **إنه بما يعملون خبير**، هو وعيد.

﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[١١٢]

وقوله عز وجل: **فاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ ومَن تاب مَعَكَ ولا تَطْغَوْا**، وقال في موضع آخر: فَلِذٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ.[٦] قال[٧] بعضهم: قوله:[٨] **فاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ ومَن تاب مَعَكَ**، الاستقامة هو التوحيد، أي اسْتَقِمْ عليه حتى تأتي[٩] به ربّك،[١٠] كقوله: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا،[١١] [أي استقاموا] على ذلك حتى أَتَوُا[١٢] اللهَ به. وقال[١٣] بعضهم: قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، [أي] بما تَضَمَّنَ قولُه: رَبُّنَا اللهُ؛ لأن قولَه: رَبُّنَا اللهُ، إقرارٌ مِنه له بالربوبية. فيَجعل في نفسه وجميع أموره الربوبيةَ لله والألوهيةَ له ويَجعل في نفسه العبوديةَ له. هذه هي الاستقامة التي ذَكَرَ[١٤] -والله أعلم- أنْ يَجعلَ في نفسه وجميع أموره الربوبيةَ لله والألوهيةَ له ويأتِيَ ما يَجِبُ أن يُؤتَى[١٥] ويَنتهِيَ [عن] ما يَجِبُ أنْ يُنْتَهَى[١٦] [عنه] ويَتَّبِعَ جميعَ أوامِره ونَواهِيه. *والله أعلم*.

---

[١] م: ومن قرأ بالتشديد ويحتمل.
[٢] جميع النسخ: والثاني لما. والتصحيح مع الزيادتين من *الشرح*، ورقة ٣٩١ظ. وانظر للتفصيل: *تفسير القرطبي*، ١٠٥/٩.
[٣] ع م: فيها.
[٤] لأنه يحصل بإدغام النون في الميم ميم ثالثة.
[٥] ن: أحدهما.
[٦] ﴿فلِذلك فادْعُ واستَقِمْ كما أُمِرتَ ولا تَتَّبِعْ أهواءَهم﴾ (سورة الشورى، ١٥/٤٢).
[٧] ع: وقال.
[٨] ع - قوله.
[٩] ع: يأتي.
[١٠] ع: حتى يأتي ربه.
[١١] سورة فصلت، ٣٠/٤١.
[١٢] جميع النسخ + على.
[١٣] ع: وقالوا.
[١٤] م: ذكروا.
[١٥] ن ع م: ما يؤتى.
[١٦] ع - ما يجب أن ينتهى.

وقوله عز وجل: **فاستقِمْ**، لرسول الله يحتمل على تبليغ الرسالة إليهم.[١] وقوله: **فاستَقِمْ كما أُمِرْتَ**، يخرج على وجهين. أحدهما استَقِمْ على ما أُمِرتَ ومَن آمَنَ مَعَكَ أيضًا يَستقيم على ما أُمِر.[٢] والثاني يقول: امْضِ إلى ما أُمِرتَ. حرف "كما" يخرج / على هذين الوجهين [٣٥٤ظ] اللذَين[٣] ذكرناهما: "على ما أُمِرتَ" و"إلى ما أُمِرتَ".

وقوله: **ومَن تاب مَعَكَ**، مِن الشرك، ادْعُهم إلى أن[٤] يَستقيموا على ما أَقَرُّوا وأَدَّوْا بلسانهم. **ولا تَطْغَوْا**، قال[٥] بعضهم: الطغيان هو المجاوزة عن الحد الذي جُعِلَ له. وقوله: **إنه بما تعملون بصير**، هذا وعيد.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[١١٣]

وقوله عز وجل: **ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا**، قال الحسن: هو صِلَةُ قولِه: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا،[٦] **ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا فتَمَسَّكُمُ النارُ**، قال الحسن: بَيْنَهما دينُ الله، بَيْن الرُّكُون إلى الظَّلَمَة والطغيان في النعمة.[٧] الآيةُ وإنْ كانت في أهل الشرك فهي فيهم وفي غيرهم مِن الظَّلَمَة. إنّ كُلَّ مَن رَكَنَ إلى الظَّلَمَة يُطيعُهم أو يَوَدُّهم فهو يُخَافُ أنْ يكونَ في وعيدِ هذه الآية. **وما لكم مِن دونِ الله مِن أولياءَ**، في دفع العذاب عنهم أو جَرِّ النفع إليهم.[٨] **ثم لا تُنصَرُون**، لا ناصِرَ لهم دونَه ولا مانع. ***والله أعلم.***

وتأويل قوله: **ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا**، في ظُلْمِهم، **فتَمَسَّكُمُ النارُ**، الآيةُ وإنْ خرجتْ مَخرجَ[٩] العموم فهي خاصة؛ لأنه لا كُلُّ [مَن] يَرْكَنُ إلى ظُلْمٍ[١٠] تَمَسُّه النارُ. وكأنه[١١] إنما خاطَبَ به الأَتْباعَ.

---

[١] ن – إليهم.
[٢] م: ما أمروا.
[٣] م – اللذين.
[٤] جميع النسخ: ادعوهم على أن.
[٥] م: وقال.
[٦] الآية السابقة.
[٧] أخرج أبو الشيخ عن الحسن قال: خَصلَتَان إذا صَلُحَتا للعبد صَلُحَ ما سِوَاهما مِن أَمْرِه: الطُّغيان في النعمة، والرُّكُون إلى الظلم، ثم تلا هذه الآية: ﴿ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا فتَمَسَّكُمُ النارُ﴾. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٨٠.
[٨] جميع النسخ: او احدا نفع لهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٩١ظ.
[٩] ن: يخرج.
[١٠] جميع النسخ: لا كل ظلم يركن إليه.
[١١] ع م: وكان.

يقول: لا تَرْكَنُوا إلى الكُبَرَاء مِنهم والقادةِ في ظُلْمِهم وفيما يَدْعُونكم إليه **فتَمَسَّكُمُ النارُ**، الآية. وقال بعض أهل التأويل: نَزَلَ قولُه: **ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا**، في رسول الله حين دعاه أهلُ الشرك إلى مِلَّة آبائه.[١] يقول: ولا تَمِيلُوا إلى أهل الشرك ولا تَلْحَقُوا بهم.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾[١١٤]

وقوله عز وجل: **وأَقِمِ الصلاة طَرَفَيِ النهار وزُلَفًا مِن الليل**،[٢] ظاهرُ هذا أنْ يكونَ فيها ذِكْرُ صَلَوَاتٍ ثلاث: صلاة الفجر في الطرف الأول، وصلاة العصر في الطرف الآخر،[٣] **وزُلَفًا مِن الليل**، صلاة المغرب. لأنه ذَكَرَ زُلَفًا مِن الليل. والزُّلَف يعني[٤] القُرْب.[٥] لأنَّ الزُّلْفَى هي القُرْبَة والوسيلة إليه.[٦] فيكون[٧] قوله: **وزُلَفًا مِن الليل**، أي قريبا مِن طَرَفِ[٨] النهار مِن الليل، وهو المغرب. ويكون ذَكَرَ سائرَ الصلوات في قوله: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ،[٩] ذَكَرَ دُلُوكَ الشمس، وهو زوال الشمس، وغَسَقُ الليل: العشاء. أو في قوله: فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ،[١٠] حِينَ تُمْسُونَ: صلاة العصر، وَحِينَ تُصْبِحُونَ: صلوة الفجر، وَعَشِيًّا: صلاة العشاء، وَحِينَ تُظْهِرُونَ: صلاة الظهر. وليس لصلاة المغرب ذِكْرٌ في الآية، لكنها ذُكِرَتْ في قوله: **وزُلَفًا مِن الليل**. وقال بعضهم: **وزُلَفًا مِن الليل**، هو[١١] ساعات الليل إلّا أنَّ بعضَ أهل التأويل صَرَفُوها إلى الصلوات[١٢] الخمس، وقالوا: قولُه: **طَرَفَيِ النهار**: صلاة الصبح والظهر[١٣] والعصر،

---

[١] ع: آياته.
[٢] ك + صلوة المغرب.
[٣] ن ع م: الأخير.
[٤] ك ن: هي؛ م – يعني.
[٥] ك ن + منه.
[٦] ع م – إليه. ولعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وما أموالُكم ولا أولادُكم بالتي تُقَرِّبُكم عندنا زُلْفَى إلّا مَن آمَنَ وعَمِلَ صالحا﴾ (سورة سبأ، ٣٧/٣٤). وانظر: سورة ص، ٢٥/٣٨، ٤٠؛ وسورة الزمر، ٣/٣٩.
[٧] ع م: ليكون.
[٨] ك ن ع: من طرفي.
[٩] سورة الإسراء، ٧٨/١٧.
[١٠] سورة الروم، ١٧/٣٠-١٨.
[١١] م – هو.
[١٢] ع: إلى الصلوة.
[١٣] م: الظهر.

وزُلَفًا مِن الليل: صلاة المغرب والعشاء. وقال الحسن: هما زُلْفَتان مِن الليل: صلاة المغرب وصلاة العشاء.[1]

[٣٥٥و س٦ *قال أبو عَوْسَجَة: قوله: **وزُلَفًا مِن الليل**، ساعات مِن الليل. وقال: الزُّلْفَة: المَرْحَلَة، والزُّلْفَة: القُرْبَة، كقوله: وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى،[2] أي القُرْبَة. وقال أبو عُبَيْدة: الزُّلَف [جمع] زُلْفَة، وهي الساعة.[3] وهي المَنْزِلة على ما قلنا.[4]* ٣٥٥و س٧]

وعلى ذلك[5] جاءت الآثار في قوله: **إنّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات**، الحسنات هنّ[6] الصلوات الخمس.[7] ورُوِي أنّ رجلا أصاب مِن امرأة كُلَّ شيء إلا الجماع فنَدِم على ذلك. فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسأله.[8] فقال رسول الله: «ما أدري ما أَرُدُّ عليك حتى يأتِيَنِي[9] فيك شيءٌ مِن الله». قال: فبينما هم كذلك إذ حضرت الصلاة. فلمّا فَرَغَ مِن صلاته نزل عليه جبريل بتوبته.[10] فقال: **وأَقِمِ الصلاة طَرَفَيِ النهار**، غُدْوَةً وعَشِيَّةً: صلاة الغَدَاة والظهر والعصر، **وزُلَفًا مِن الليل**، صلاة المغرب والعشاء، **إنّ الحسناتِ**، يعني الصلوات الخمس، **يُذْهِبْنَ السيئات**، **ذلك**، يعني الصلوات[11] الخمس، **ذِكْرَى لِلذَّاكِرِين**، قال: توبة للتائبين.[12] فقرأ[ها] رسول الله. فقال عمر: يا رسول الله، أخاصٌّ له أم عامٌّ؟ قال: «لا بل عامٌّ للناس كلهم».[13] فإن ثبت[14] هذا فهو الأصل في ذلك.

---

[1] م: المغرب والعشاء. انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/١٣٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٨١.

[2] سورة ص، ٣٨/٢٥، ٤٠.

[3] يقول أبو عبيدة: « ﴿ وزُلَفًا مِن الليل﴾ أي ساعات، وواحدتها زلفة، أي ساعة ومنزلة وقربة، ومنها سميت المزدلفة» (*مجاز القرآن*، ١/٣٠٠).

[4] م – على ما قلنا.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٥و/سطر ٦-٧.

[5] م: على ذلك.

[6] ع: بين.

[7] ن – الخمس. انظر للآثار: *تفسير الطبري*، ١٢/١٣٢.

[8] م – فسأله.

[9] ك ن ع: حتى يأتني؛ م: حتى يأتي.

[10] م – بتوبته.

[11] م: صلوات.

[12] ع م: للتائب.

[13] روي نحو ذلك من طرق كثيرة بألفاظ مختلفة. لكن لا يوجد فيها قوله: «ما أدري ما أَرُدُّ عليك حتى يأتِيَنِي فيك شيءٌ مِن الله». ولا يوجد تفسير الآية إلا في روايةٍ لابن مردويه إلى قوله: والعشاء. انظر: *صحيح البخاري*، التفسير ١١/٦؛ و*صحيح مسلم*، التوبة ٤٢؛ و*تفسير الطبري*، ١٢/١٣٤-١٣٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٨١-٤٨٤.

[14] ع: فاثبت.

وعن عثمان في بعض الأخبار أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الصلوات الخمس[1] الحسنات يُذْهِبْنَ السيئات». فقالوا: فما الباقيات الصالحات[2] يا عثمان؟ فقال: لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.[3] وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلوات كفّارات[4] الخطايا، واقرءوا[5] إن شئتم: **إنّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات**».[6] وعن ابن عباس: **إنّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات**، قال: الصلوات[7] الخمس.[8] وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الصلوات الخمس كمَثَلِ[9] نهرٍ جارٍ على بابِ أحدِكم يَغتسل مِنه كُلَّ يومٍ خمس مرات».[10] والأخبار في هذا كثيرة. وقال بعضهم: فيه ذِكْرُ أربعِ صلوات، يقول: **طَرَفَي النهار**: الفجر والعصر، **وزُلَفًا مِن الليل**، المغرب والعشاء. وقد جاءت الآثار في أنّ الحسنات هنّ خمس صلوات.

وقوله: **إنّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات**، قال بعضهم: فِعْلُ الصلوات نفسِها. وهو ما ذكرنا من الأخبار إن ثبتت.[11] وقال بعضهم: نفسُ الصلاة لا تُكَفِّر ولكن تُذَكِّرُ[12] ما ارتكب مِن الذنوب فيَنْدَم عليها فذلك يُكَفِّر. وهو كقوله: إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ،[13] الآية، أخبر أن الصلاة تَنهى عن الفحشاء،[14] ولا تَنهى إلّا بَعدَ أنْ تُذَكِّرَ ذلك.

---

[1] ن + الصلوات الخمس.

[2] لعلهم قصدوا قوله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ (سورة الكهف، ٤٦/١٨).

[3] ك – العلي العظيم. روي بمعناه بسند صحيح. انظر: *مسند أحمد*، ٧١/١؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٨٥/٤.

[4] ع: الصلوة كفارة؛ م: كفارة.

[5] ن ع: واقرءو.

[6] روي عن أبي مالك الأشعري بلفظ قريب. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣٣/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٨٤/٤–٤٨٥. وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير. وفيه محمد بن إسماعيل بن عيّاش، قال أبو حاتم: لم يَسمع مِن أبيه شيئا. قلت: وهذا مِن روايته عن أبيه. وبَقِيّة رجاله مُوَثَّقُون» (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ٢٩٩/١).

[7] ك: الصلوة.

[8] *تفسير الطبري*، ١٣٢/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٨١/٤.

[9] م: كثل.

[10] *مصنف ابن أبي شيبة*، ١٦٠/٢. وله شاهِد مِن حديث أبي هريرة. انظر: *صحيح البخاري*، مواقيت الصلاة ٤؛ و*صحيح مسلم*، المساجد ٢٨٤.

[11] جميع النسخ: إن ثبت؛ ن ع م + وقوله يذهبن السيئات.

[12] ن ع م: يذكر.

[13] سورة العنكبوت، ٤٥/٢٩.

[14] ك ع م – عن الفحشاء.

وقال بعضهم: قوله: إِنَّ الصَّلَاةَ[1] تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ، أي تمنع عن الفحشاء، أي ما دام فيها. ويحتمل قوله: **إنّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئات**، الصلوات[2] وغيرها مِن الحسنات. فيه إخبار أنّ مِن الحسنات[3] [ما] تُكَفِّر شيئا مِن السيئات. ***والله أعلم.***

[٣٥٥و] وقوله: **ذلك / ذِكْرَى لِلذَّاكِرِين، ذلك**، الذي سَبَقَ ذِكْرُه[4] **ذِكْرَى**، عِظَةٌ لِلْمُتَّعِظِين.

﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[١١٥]

وقوله[5] عز وجل: **واصْبِرْ فإنّ الله لا يُضِيعُ أجرَ المحسنين**، ظاهرُ ما ذَكَرَ مِن الكلام أنْ يقول: فإنّ الله لا يُضِيع أجرَ الصابرين، لأنه ذَكَرَ الصبر بقوله: **واصْبِرْ**. لكن يحتمل قوله: **واصْبِرْ**، عن الشُّرُور كُلِّها وأَحْسِنْ[6] **فإنّ الله لا يُضِيعُ أجرَ المحسنين**، بل يَجْزِيهم جزاءَ إحسانِهِم. أو يقول: اصْبِرْ على أداء ما كُلِّفْتَ مِن الطاعات أو تبليغِ ما كُلِّفْتَ[7] التبليغَ إليهم. ويحتمل وجها آخر: اصْبِرْ على أذاهم ولا تُكَافِهِم، فإذا لم تُكَافِهِم[8] فقد أحسنتَ إليهم، **فإنّ الله لا يُضِيعُ أجرَ المحسنين**. أو يَصِلُه[9] بقوله:[10] إِنَّ الْحَسَنَاتِ.[11] ***والله أعلم.****

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[١١٦]

وقوله عز وجل: **فَلَوْلَا كان مِن القُرُون مِن قبلِكم أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْن عن الفساد في الأرض إلّا قليلًا**، ظاهرُ[12] هذا يخرج على المُعاتَبَة أو التنبيه[13] والتذكير؛ لأنه يقول: **فَلَوْلَا كان مِن القُرُون**،

[1] ع م – بعضهم قوله إن الصلوة.
[2] ع: الصلواة.
[3] ع – فيه إخبار أن من الحسنات.
[4] م: ذكرها.
[5] ن: قوله.
[6] ع م: من الشرور كلها فأحسن.
[7] ن + من الطاعات أو تبليغ ما كلفت.
[8] ع م – فإذا لم تكافهم.
[9] ك ن ع – يصله.
[10] ك + بقوله.
[11] الآية السابقة.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٥و/سطر ٦-٧.
[12] ع: ظاهرًا.
[13] ن: والتنبيه.

أي لِمَ لا كانوا[١] كذا؟ فليس ثَمَّ مِن أولئك مَن يُعاتَب أو يُنَبَّه. لكنها تخرج[٢] على وجهين. أحدهما **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ**، أي فهَلَّا كانوا ذَوِي بَقِيَّةٍ **يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ**، ومعناه[٣] -والله أعلم- هَلَّا كَثُرَ أهلُ الإسلام فيهم حتى[٤] قَدَرُوا على النهي عن الفساد في الأرض؛ لأنهم إذا كانوا قليلا لم يَقدِروا على النهي عن الفساد في الأرض،[٥] نحو لوطٍ وأهلِه كانوا عددًا قليلا، كيف كان يَقدِر على النهي عن الفساد أو المَنْعِ عن ذلك؟ وكنوحٍ أيضًا كان معه نَفَرٌ[٦] يَقِلُّ عددُهم فلم يَقدِر[٧] على مَنْعِ قومِه عن الفساد ونحوه. فإذا كان ما ذكرنا[٨] فكأنه -والله أعلم- يقول: هَلَّا كَثُرَ أهلُ الإسلام و **أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ**. والثاني **فلولا كان مِن القرون مِن قبلِكم**، أي قد كان مِنهم **أُولُو بَقِيَّةٍ**، لكنهم لم يَنْهَوْا **عن الفساد في الأرض**، فأُهْلِكُوا جميعًا،[٩] **إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ**، وذلك القليل قد نَهَوْا عن الفساد في الأرض فنَجَوْا [مِن] بَيْنِ أولئك. حاصلُ هذا يخرج على هذين الوجهَين[١٠] اللذَين ذكرناهما. أحدهما لم يكن مِنهم **أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ**، على ما قاله بعض أهل التأويل. والثاني كان فيهم **أُولُو بَقِيَّةٍ**، لكنهم لم يَنْهَوْهم **عن الفساد في الأرض**[١١] **إلّا قليلًا**، مِنهم فإنهم قد نَهَوْهم عن ذلك. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ**، هو يخرج على وجهين.[١٢] يحتمل **واتَّبع**، الأَتْباعُ والسَّفَلَةُ **الذين ظَلَمُوا** مَنْ **أُتْرِفُوا فيه**، مِن الأموال، أي وُسِّعَ عليهم وأُعْطُوا[١٣] الأموالَ، وهُم الأَجِلَّة والأئمة منهم، أي آثَرُوا اتِّباعَ الأئمة والأَجِلَّة الذين **أُتْرِفُوا فيه** على اتِّباع الرسل والأنبياء.

---

[١] م: لا يكونوا.

[٢] ن م: يخرج.

[٣] م: معناه.

[٤] ع - حتى.

[٥] ع م - في الأرض.

[٦] ع م - نفر.

[٧] جميع النسخ: لم يقدر.

[٨] م - ما ذكرنا.

[٩] ع - الأرض والثاني فلولا كان من القرون من قبلكم أي قد كان منهم أولو بقية لكنهم لم ينهوا عن الفساد في الأرض فأهلكوا جميعا.

[١٠] ن: على هذا من الوجهين.

[١١] ع - الأرض على ما قاله بعض أهل التأويل والثاني كان فيهم أولو بقية لكنهم لم ينهوهم عن الفساد في الأرض.

[١٢] ع - وجهين.

[١٣] ع: وأعطوهم؛ م: إليهم وأعطوهم.

والثاني **واتَّبَعَ الذين ظَلَمُوا**، وهم الأجلة والأئمة **ما أُتْرِفُوا فيه**، أي ما أُعْطُوا مِن الأموال، أي[1] آثَرُوا الدنيا وما فيها على اتِّباع الرسل والأنبياء. أحد التأويلين يَرْجِعُ إلى السَّفَلَة والأَتْبَاع، وهو الأول، والثاني[2] إلى الأَجِلَّة[3] والأئمة. هم آثَرُوا اتِّباعَ الدنيا على اتِّباع الرسل، ثم تَبِعَهم الأَتْبَاعُ والسَّفَلَةُ في ذلك. **والله أعلم**.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[١١٧]

وقوله عز وجل: **وما كان ربُّك لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وأهلُها مُصْلِحون**، أي ما كان ربُّك لِيُهْلِكَ القُرَى إهلاكَ استئصالٍ وانتقامٍ وأهلُها كلُّهم مُصْلِحون أو أكثرُ أهلِها مُصْلِحون، إنما يُهلِكُ القُرَى إذا كان أهلُها كلُّهم مفسدين أو عامةُ أهلِها مفسدين.[4] هذا يدل أنّ الحكمَ في الدار إنما يكون بِغَلَبَةِ أهلها، إن كان أكثرُ أهلِها أهلَ الإسلام فالحُكم حُكم الإسلام، وإن كان عامةُ أهلِها أهلَ الحرب والكفرِ فالحُكم حُكمهم. ولا يُسمَّى أهلُها[5] كلُّهم بالكفر والفساد إذا كان أكثرُ أهلِها مُصلِحين.[6] ألا ترى أنه قال في قوم لوط: إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ،[7] سَمَّى أهلَ قريةٍ [بالفسق] وإن كان فيها لوطٌ وأهلُه،[8] [وهم] مُصْلِحون. [فـ]لم يَعُدَّ لوطًا وأهلَه مِن أهلِها.

وقوله: **وما كان ربُّك لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ**، أي لا يكون في إهلاكهم ظالمًا. ثم هو يخرج على وجهين. أحدهما أنّ الخَلْقَ له، فهو بإهلاكه لم يكن ظالما، لأنه أَهْلَكَ مالَه. والثاني أنه إنما يُهْلِكُهم بِظُلْمٍ كان مِنهم، كقوله: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ،[9] الآية، أي[10] إنما يُهْلِكُهم بشيءٍ اكْتَسَبُوه، فهُم[11] بما اكْتَسَبُوا ظَلَمُوا أنفسَهم. وهو كقوله: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.[12]

---

[1] ع م – أي.
[2] م – والثاني.
[3] م: والأجلة.
[4] ك: مفسدون؛ ن: مصلحون.
[5] م – مفسدين هذا يدل أن الحكم في الدار إنما يكون بغلبة أهلها إن كان أكثر أهلها أهل الإسلام فالحكم حكم الإسلام وإن كان عامة أهلها أهل الحرب والكفر فالحكم حكمهم ولا يسمى أهلها، صح هـ.
[6] ن: مصلحون.
[7] ﴿إنّا مُنزِلون على أهل هذه القرية رِجْزًا مِن السماء بما كانوا يَفْسُقُون﴾ (سورة العنكبوت، ٣٤/٢٩).
[8] ن: وأهلها.
[9] ﴿وما ظَلَمْنَاهم ولكن ظَلَمُوا أنفسَهم فما أَغْنَتْ عنهم آلهتُهم التي يَدْعُون مِن دون الله مِن شيءٍ لمّا جاء أَمْرُ ربِّك وما زادُوهم غيرَ تَتْبِيبٍ﴾ (سورة هود، ١٠١/١١).
[10] ن ع م – أي.
[11] ن ع م: فهو.
[12] سورة النحل، ٣٣/١٦.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[١١٨]

وقوله: **ولو شاء ربُّك**[١] **لَجَعَلَ الناسَ أُمَّةً واحدةً**، قالت المعتزلة: هذه المشيئة مشيئة القَهْر والقَسْر، وذلك ممّا يَرفع[٢] المحنةَ ويَزول[٣] لديه المَثُوبَةُ والعقوبةُ. وكذلك في قوله: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا.[٤] وأمّا عندنا فلو شاء لَجَعَلَهم أمةً واحدةً مشيئةً لا تَزول معها المحنة. والذي[٥] يدل عليه خِصال. أحدها[٦] أن الله قد عَرَّفَنا الإيمانَ والدينَ الذي يَقَعُ به اجتماعٌ أو فيه الاختلافُ بما رَكَّبَ فينا مِن العقول التي بها نَعرف حقائقَ الأشياء ومجازاتِها ومَحاسنَ الأمورِ وقبيحَها بمعونة السَّمْع أو بالتأمُّل فيما يُحَسّ[٧] [أو] بالأمْرَيْن جميعا. وذلك[٨] لا يكون إلا بالاختيار،[٩] ولا يُوصَلُ إلى السبب الذي به يُدَانُ إلا بالاستدلال أو التعليم،[١٠] إذ هو طاعةٌ وتصديق. وذلك[١١] مما[١٢] لا يُحَسّ،[١٣] وطريقُ[١٤] [معرفتِه] الاجتهاد. وكلُّ ذِي [وجوه فهو] أَضدادُ القَسْر. فمُحالٌ أنْ يعودَ الكَوْنُ **لو شاء** على وجهٍ قد عرفنا أنه لا يكون سمعًا وعقلاً. / فيكون في الحقيقة كأنه قال: [٢٥٥ظ] لو شاء أنْ يكونَ لا يكون. على أنّ ذا[١٥] مَن يَقبل عنه هذا الدعوى على قولهم –وهو منذ كان الخَلْقُ بَيْنَ أنْ كان فيما شاء إثباتَه مِن أفعالِ الخَلْقِ فلم يَكُنْ و[بَيْنَ ما] لم يشأ فكان عندهم– فهو كمن ظَهَرَ عَجْزُه بجميع أدلة العجز ثم يدَّعي أنّ له القدرة بها يَقهَر ما يشاء. فذلك كمن لا يقوم[١٦] للانتصاب والنُّهوض فيَدَّعِي أنه يَقدِر على الصعود؛ أو كمَن[١٧] لا يَملِكُ إمساكَ مِثْلِ ذرّةٍ

---

[١] ع + ليهلك القرى بظلم أي لا يكون في إهلاكهم ظالما ثم هو يخرج على وجهين أحدهما أن الخلق له فهو بإهلاكه.
[٢] ن ع م: يدفع.
[٣] ك: وتزول.
[٤] سورة يونس، ٩٩/١٠.
[٥] ن: الذي.
[٦] ك: إحداها.
[٧] م: يحسن.
[٨] جميع النسخ: انه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٩٢ظ.
[٩] م: إلا باختيار.
[١٠] م: أو بالتعليم.
[١١] جميع النسخ + يكون.
[١٢] ن ع م: ممن.
[١٣] ع م: لا يحسن.
[١٤] جميع النسخ: وطريقه.
[١٥] أي الله تعالى على رأي المعتزلة.
[١٦] أي لا يقدر أن يقوم.
[١٧] جميع النسخ: أو من.

[فيدعي] أنه مُمسِكُ السماوات والأرض. على أنه لو كان كذلك لَيَجِيء أنْ يكونَ يَقدِرُ على فِعل الكفر والسَّفَه والكَذِب. إذ مَن يَقدِر على فِعل شيءٍ لا يَقدِرُ[1] على فِعل ضِدِّه[2] عندهم ليس ذلك بقدرة. ثم لو كان ذلك كلُّه بِلَا غَيْرٍ يَصِيرُ[3] له فِعلاً لكان[4] يكون في الحقيقة سفيهًا كَذُوبًا. ومَن كان ذلك وَصْفُه فهو غيرُ[5] ربٍّ ولا حَكِيم. ومَن رُبوبيتُه تحت قدرةِ غيرِه أو حِكمتُه تَحتمِل المُضَادَّاتِ فهو مسئولٌ عمّا يَفعل مُطالَبٌ بالحجة؛ فأنّى يكون لِمَنْ ذلك وَصْفُه ربوبيةٌ؟[6] جَلَّ عن ذلك.[7]

---

[1] ن – على فعل شيء لا يقدر.

[2] جملة "لا يقدر على ضده" صفة لِ"شيء".

[3] ن: بلاء غير تصبير؛ ع م: بلاء غير تصيير.

[4] جميع النسخ: فكان.

[5] ن ع م – غير.

[6] ع م: ربوبيته.

[7] قال السمرقندي رحمه الله تعالى: «وقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربُّك لَجَعَلَ الناسَ أُمَّةً واحدةً﴾، قالت المعتزلة: هذه المشيئة مشيئة قَسْر وقَهر، وذلك مما يَرفع المحنة ويَزول لديه المَثُوبَةُ والعقوبةُ. وكذلك في قوله: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾ (سورة يونس، ٩٩/١٠). وأمّا عندنا فهو لو شاء لَجَعَلَهم أمةً واحدةً مشيئةً لا يَزول معها المحنة، فصاروا كلهم مؤمنين عن اختيار لا جبرا كما قالوا. والذي يدل على ما قلنا خِصال. أحدها أن الله تعالى قد عَرَّفَنا الإيمانَ والدينَ الذي يَقَعُ به اجتماعٌ أو فيه الاختلافُ بما رَكَّبَ فينا مِن العقول التي بها يُعرَف حقائقُ الأشياء ومجازاتُها ومَحاسنُ الأمورِ ومَقابِحُها بالتأمُّل فيما يُحَسّ مِن الأمور وبالسمع. وذلك إنما يكون بالاختيار إمّا بالاستدلال العقلي أو بالتعلُّم ممن أُكرِمَ به أو معرفة ما لا يحس بصفاته. والدين الذي هو طاعةٌ له وعبادة إنما يكون بالاستدلال. وطريقُه الاجتهاد أو التعلُّم عن اختيار. وما يَحصل مِن المعرفة جَبْرًا لا اختيارَ فيه ولا طاعةَ فيه ولا فِعلَ يكون غيرَ الذي أَمَرَ به وطَلَبَ مِنه. فكأنه قال: ولو شاء أنْ يكونَ منهم الإيمان لا يكون؛ إذ الإيمانُ الذي هو طاعةٌ مِن العبد هو الإيمان الذي هو في حال الاختيار، فأمّا في حال القَهْر والاضطرار لا يكون إيمانا هو طاعةُ الله؛ إذ المُضطَرُّ والمجبورُ لا فِعلَ له. والله الموفق. على أنّ صَرْفَ الآية إلى مشيئة القَهْر لا يَستقيم منهم، ودعوى مشيئة القَهْر مِن الله على قول مذهبهم غيرُ مقبولة، وهو منذ كان الخَلْقُ تَبيَّنَ أنْ كان شاء مِن أفعالِ الخَلْقِ فلم يَكُنْ ولم يشأ فكان على زعمهم. فإنه على زعمهم شاء إيمانَ الخَلْقِ كلِّهم و لم يكن، و لم يشأ كُفرَ كافرٍ وكان. ومَن ظَهَرَ عجزُه كلَّ هذا العجز على قِيلهم كيف يُقبَل مِنه دعوى قَهْرِ كلِّ الخَلْق لو شاء، كمن ظَهَرَ عَجْزُه بجميع أدلة العجز ثم يُبين أنّ له قدرة بها يَقهَر ما يشاء. فذلك كمن لا يقوم ولا يقدر على الانتصاب والنُّهوض فيَدَّعِي أنه يَقدِر على الصعود؛ أو مَن لا يَملِكُ إمساكَ مِثلِ ذرّةٍ أنه مُمسِكُ السماوات والأرض. على أنه لو كان كما قالوا: إن له قدرة أن يخلق فيهم الإيمان جبرا لَيَجِيء أنْ يكونَ يَقدِرُ على خلق فِعل السَّفَه والكفر والكَذِب فيهم جبرا. إذ مَن يَقدِر على فِعل شيءٍ ولا يَقدِر على فِعل ضِدِّه عندهم ليس ذلك بقدرة. ثم لو كان له قدرة ذلك كله بِلَا غَيْرٍ يَصِيرُ فِعلاً له بناء على وجود اختياره يكون في الحقيقة الخالق له سفيهًا كَذُوبًا كافرا، إذ عندهم الفاعل مَن يوجد الفعل. ومَن ذلك وَصْفُه فهو غيرُ ربٍّ ولا حَكِيم. ومَن رُبوبيتُه تحت قدرةِ غيرٍ أو حِكمتُه تَحتمِل المُضَادَّة فهو مسؤولٌ عمّا يَفعل مُطالَبٌ بالحجة؛ فأنّى يكون لِمَنْ ذلك وَصْفُه ربوبيةٌ؟ جَلَّ الله تعالى عن ذلك. والله الموفق» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٩٢ظ).

والثاني أن الذي يكون بالقَسْر والقَهْر يكونُ أَمْرَ الخِلْقَة لا أَمْرَ فِعلِ العبد. وذلك في الحقيقة لله لا للبشر. وما هو له مِن جهة الخِلْقَة موجودٌ، لأنّ نَفسَ كلِّ أحدٍ بالخِلْقَة مؤمن. وقد شاء الله تلك المشيئة، فالقول بِلَوْ شاء لا معنى له. بل قد شاء وكان. **ولا قوة إلا بالله**.

والثالث أنه وَعَدَ أنْ **لو شاء** أن يَجعل كذا لَفَعَل.[1] وهو لو فَعَلَ لَكان يَجعل مَن قد آمَنَ مِنهم في الحقيقة مؤمنًا في المجاز كافرًا في الحقيقة؛ لأنهم بهذا يَصِيرون أمةً واحدةً. إذ صار كثيرٌ مِنهم مؤمنين بالاختيار لا يحتمل أن يجعلَهم على غير ذلك فيكونَ محمودًا عَدْلاً. **والله الموفق**.[2]

ثم الأصلُ أنّ الله تعالى قد جَعَلَ أدلةَ كلِّ مَوْعُودٍ في الحِسّ[3] ظاهرًا، وكلُّ مَقْدُورٍ عليه بالوَعْد[4] والدَّعْوَى له [فهو] مِمّا جَعَلَ[5] عليه أَمْرًا بَيِّنًا.[6] وهذا النوعُ مِن[7] المشيئة عندهم والدعوى -بما جَعَلَ جميعَ ما شاء[8] لِأَنْ يكونَ- كذلك.[9] فيصير بالذي به ادَّعَى لنفسه مِن القدرة مُكَذِّبًا بما جَعَلَ، لِمَنْعِ مِثلِه الأدلة.[10] ومَن ذلك وَصْفُه فهو غيرُ حَكِيمٍ. جَلَّ الله عن هذا. على أنّ المتأمِّلَ بما أَخبر[11] يجد حقيقتَه[12] -دون أن يَحتاج إلى دليلٍ يُوَضِّح قدرتَه على ما[13] ادَّعَى[14] على بقاء المحنة-

---

[1] ع: الفعل.

[2] يقول الشارح رحمه الله تعالى: «ووجه آخر. وهو أنّ الله تعالى وَعَدَ أنه لو شاء لجعلهم أمة واحدة. لو كان المراد مشيئة الجبر فهو لو فعل حتى صاروا مؤمنين جبرا لَكان يَجعل مَن قد آمَنَ مِنهم في الحقيقة مؤمنًا في المجاز كافرًا في الحقيقة؛ لأن كثيرا مِنهم كانوا مؤمنين بالاختيار، ولا يَصِيرون أمةً واحدةً إلا بعد أن يبطل الإيمان الاختياري فيمن كان ويثبت الإيمان الجبري الضروري. لأن الإيمان الاختياري مخالفٌ للإيمان الضروري. فلا يكونون أمة واحدة. فلا يتحقق معنى التَّمَدُّح ببيان القدرة على جعلهم أمة واحدة لو شاء. فيكون الحَمْلُ على مشيئة الجبر يتضمّن إبطالَ الإيمان الاختياري وتبديلَه بالإيمان الضروري ولا يتحقق معنى التَّمَدُّح بجعلهم أمة واحدة. وعلى ما قلنا مِن المشيئة بطريق الاختيار لا يؤدي إلى هذا؛ لأنه قد آمَنَ البعضُ عن اختيارٍ، فيؤمن الباقي عن اختيارٍ لو شاء. فصاروا أمة واحدة. فوجب الحَمْلُ على ما قلنا. والله الموفق» (*شرح التأويلات*، ورقة ٣٩٢ظ؛ ونسخة المدينة، ورقة ٤٣٨ظ-٤٣٩و).

[3] جميع النسخ: في الحسن.

[4] ع - بالوعد.

[5] جميع النسخ: جبل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٩٢ظ.

[6] ك: امر باينا (غير منقوط)؛ ن: اقر باسا؛ ع: اقر عثا.

[7] ع - من.

[8] جميع النسخ: جميع مانعا؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٩٢ظ.

[9] م: كائنًا. أي وهذه المشيئة والدعوى أيضا مما جعل الله لها أدلة بينة.

[10] ن - الأدلة.

[11] م: بما اختبر.

[12] ع: حقيقة.

[13] ع - ما.

[14] م - على ما ادعى.

سبيلاً سَهْلاً -بحمد الله- لا يحتاج إلى ما ذكروا مِن المكابَرة. وهو ما قال الله تعالى: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً،[1] الآية. ومعلومٌ أنهم لو كفروا جميعًا بما ذَكَرَ لَكانوا مختارين، وإلى ما جاءوا به غيرَ مُضْطَرِّين. فإذا[2] استقام كَوْنُهم على دين الكفر بذلك لا يحتمل أنْ لا[3] يُوجِبَ ذلك بقاءَ على الإيمان لو كانوا مختارين. لِذلك يَستقيم كَوْنُهم على دين الإيمان مختارين[4] لو جعل[5] ذلك للمؤمنين.[6] فيَقدِر[7] على قولهم أنْ يَجعلهم كفّارا بالمحنة لا يَقدِر على أن يجعلهم مؤمنين بها، لأنّ ذلك وَصْفُ العجز عندهم. وإنْ كان لا يكون كذلك عندنا؛ لأنه يستقيم[8] القول بالإقْدار على إحْداثِ غيرِه، ومحالٌ القولُ [بقدرته] على جَعْلِ غيرِه[9] قديمًا،[10] أو [يستقيم القول بقدرته] على إخْواج غيرِه إليه، [و]لا يحتمل الوَصْف بالقدرة على إغناء غيرِه[11] عنه. و[الحجة] عليهم أَوْضَح؛ إذ أَجازوا[12] له[13] القدرة على كل حركةٍ لِلعبد وسكونٍ بالاضطرار، و لم يُجَوِّزُوا في ذلك الاختيار.[14] اللهمّ إلّا أنْ يقولوا: لا يجوز أن يكون العبد غيرَ كاملِ القدرة، وهي القدرة على مُضَادَّة[15] الأشياء، والله يجوز الوَصْفُ له بالقدرة الناقصة. فيكونُ قريبًا ممّا جعلوا لِلعبد قدرةً على ما يُجَهِّلُ الربَّ ويَجعلُه كاذبًا فيما يُخْبِر على بقاء الربوبية له. والله لا يَقدِر على مِثله في العبد على بقاء العُبُودَة له بالمحنة. أو[16] أَقْدَرُوا العبدَ[17] على إهلاكِ مَن وَعَدَ الله فيه الإبقاءَ ويُريد ذلك -وذلك فَضْلُه- ووَعَدَ له مع ذلك أنْ يُعطيَه كذا،

---

[1] ﴿ولولا أنْ يكونَ الناسُ أمةً واحدةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرحمن لِبيوتهم سُقُفًا مِن فِضَةٍ ومَعَارِجَ عليها يَظْهَرُون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٣)

[2] م: وإذا.

[3] ن - لا.

[4] م: مختارا.

[5] م: ولو جعل.

[6] ك ن ع - مختارين لذلك يستقيم كونهم على دين الإيمان مختارين لو جعل ذلك للمؤمنين.

[7] م: فيقدرون.

[8] ن ع: مستقيم.

[9] ع + ومحال القول على جعل غيره.

[10] م: قائمًا.

[11] ن: الغير.

[12] ع: إذ جاوزوا.

[13] ك - له.

[14] ك: بالاختيار.

[15] ن: على مضاداة؛ ع م: على مضادات.

[16] ك ن + ما.

[17] م: أو بما قدروا لعبد.

فيأتي مُعانِدٌ فيَقتل ويمنع الربَّ[1] عن إنجاز[2] وَعْدِه وعن سلطانِ بقائِه. جَلَّ الربُّ عن هذا. وذلك في قولهم فيما يَضرب الله لنبي[3] أو صِدِّيقٍ أَجَلًا يَرى به مصلحةَ عبادِه فيَقدِرُ[4] الكافرُ[5] على قَتْلِه قبل مجيء ذلك الأجل وإبطالِ جميعِ ما وَعَد والإيفاءِ بما هو صَنيعُه مِن إبقاء الحياة[6] فيه، ولا يَقدِرُ الله على إنجاز ما وَعَد وإيفائِه على ما أراد، والعبدُ[7] بحالِه إلّا أنْ يُعْجِزَه أو يُمِيتَه أو يَجعلَه زَمِنًا.[8] *والله المستعان.*

ثم الأصل أنّ كُلَّ مريدٍ بِفعله فيما فَعَلَه أمرًا [ثم] لا يكون ذلك[9] -وهو لم يكن فَعَلَه إلا لِذلك- يُوجِبُ أحدَ أمرَين في الحكمة: إمّا جهلًا بالعواقب أو خطأً[10] بالفعل. كمن يَفعل فِعلا يَحزن عليه أو[11] يَلحقه به مكروه -هو[12] لا يَفعله له- يَظهر [عند] فاعلِه أنّه عن جهلٍ فَعَلَ أو على[13] الخطأ خَرج فِعلُه. وعلى ذلك معنى التحذير في الخَلْق والتنبيهِ بقولهم: لِدُوا لِلموت وابْنُوا لِلخَراب،[14] وسَرَقَ لِيُقْطَع، وبَارَزَ لِيُقْتَل، مِن حيث كان الثاني متّصلا بالأول يُنَبِّهُ عن الغفلة على إرادة التحذير أنه إليه يَئُول أمْرُ فِعلِه. وعلى ذلك[15] قوله: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ،[16] الآية. أو أنْ يُقال: ذلك على أنه كذلك في فِعلِه عند الله وإنْ جَهِلَه هو.

---

[1] ن - الرب.

[2] ع: على اتخاذ.

[3] ك ن ع: للنبي.

[4] ك م: يقدر؛ ن: تقدير.

[5] ع: تقديرًا لكافر.

[6] ع: لحياة.

[7] ع: ما أرادوا العبد.

[8] قارن هذه المسألة بما جاء في *كتاب التوحيد* للماتريدي، ٣٤٨-٣٤٩.

[9] ن: كذلك.

[10] جميع النسخ: وخطأ.

[11] م - أو.

[12] جميع النسخ: فهو.

[13] ك ن: وعلى؛ ع م: وعن.

[14] «له مَلَك ينادي كل يوم لِدُوا للموت وابنوا للخراب». روي هذا الكلام حديثا مرفوعا وموقوفا مِن طُرُق ضعيفة. وقال الإمام أحمد: هو مما يدور في الأسواق ولا أصل له. انظر: *كشف الخفاء* للعَجْلُوني، ١٨٣/٢-١٨٤.

[15] م: على ذلك.

[16] ﴿فالْتَقَطَه آلُ فرعون لِيكونَ لهم عدوًّا وحَزَنًا إنّ فرعون وهامانَ وجنودَهما كانوا خاطِئِين﴾ (سورة القصص، ٨/٢٨).

أو يُوجِبُ السَّفَهَ في الفعل والعَبَثَ؛[1] إذ هو يَقصِد بِفعله ما يعلم أنه لا يكون أو يُريد ما يَتيقَّن أنه لا يَبْلُغ. وإذا كان كذلك فإعطاءُ[2] الله تعالى القدرة [للإنسان] ليؤمن [به] أو خَلْقُه [له] لِيَعبُدَه[3] -وأرادَ[4] أنه يَفعلُ[5] ذلك واختار[6] ذلك الفعل لذلك- يُوجِبُ أحدَ ذَيْنِكَ الوجهين.

[٣٥٦و] جَلَّ الله عنهما وتعالى. / وقد ثبت أنَّ الله عالمٌ بالعواقبِ مُتَعَالٍ عن العَبَث. ثبت أنه خَلَقَ مَن خَلَقَ وأعطى ما أعطى لِما عَلِمَ أنه يكون وقد عَلِمَ[7] ما يكون. وعلى هذا التقدير[8] يخرج الأمر في قوله: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ،[9] الآية، وقوله: وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ،[10] الآية.

[٣٥٦و س ١١ *وتأويل المعتزلة في قوله: **ولو شاء ربُّك لَجَعَلَ الناسَ أُمَّةً واحدةً**، أنها مشيئة القَسْر والقَهْر[11] فذلك بعيد؛ لأنه لا يكون في حال القَهْر والاضطرار إيمانٌ. لأنَّ مَن أُكْرِه واضْطُرَّ على الإيمان حتى آمَن فإنه لا يكون إيمانُه[12] إيمانًا،[13] إنما يكون الإيمانُ إيمانًا في حال الاختيار إذا آمَن مختارًا

٣٥٦و س١٤] ممتحَنًا فيه. فعند ذلك يكون إيمانُه إيمانًا. دَلَّ أنَّ تأويلَهم فاسد.*

وقوله عز وجل: **ولا يَزَالُون مختلفين**، أنه خَلَقَهم لِلَّذِي[15] عَلِم أنهم يَصِيرون إليه مِن اختلافٍ أو اتّفاقٍ أو عداوةٍ[16] أو ولايةٍ، لا يُريد غيرَ الذي عَلِم، ولا يَعلم غيرَ الذي يكون ممن يَعلم ما يكون. ***ولا قوة إلا بالله.***

---

[1] ع م: والعتب.
[2] ن: فأعطاه.
[3] ك ن م: ليعبد.
[4] ع: ليعبدوا أراد.
[5] ن ع: يفعله.
[6] ن ع: واختيار.
[7] ع م + أنه.
[8] ك: التقرير.
[9] ﴿ولَقَدْ ذَرَأْنَا لِجهنمَ كثيرًا مِن الجِنّ والإنس﴾ (سورة الأعراف، ١٧٩/٧).
[10] ﴿ولا تُعْجِبْكَ أموالُهم وأولادُهم إنما يريد الله أن يُعذِّبَهم بها في الدنيا وتَزْهَقَ أنفسُهم وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٨٥/٩).
[11] ك: مشيئة القهر والقسر.
[12] ع – إيمانه.
[13] م – إيمانه إيمانًا.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٦و/سطر ١١-١٤.
[15] م: للذين.
[16] ك: وعداوة.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[١١٩]

وقالت المعتزلة: قوله: وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ[1] **إِلَّا مَن رَحِمَ ربُّك ولِذلك خَلَقَهم**، أي للرحمة خَلَقَهم. فقال بعض مُتَكَلِّمِي أصحابِنا: إن الرحمة تُذْكَر بالتأنيث، وهو إنما ذَكَر بالتذكير حيث قال: **ولِذلك خَلَقَهم**، ولم يَقُل: ولِتلك خَلَقَهم. دَلّ أنه ليس على ما يقولون. وقال[2] قائلون: للاختلاف خَلَقَهم **إلّا مَن رَحِمَ ربُّك**. وقال بعضهم: هو صِلَةُ قولِه: وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ،[3] أي خَلَقَهم لِئَلّا يُهلِكَ القُرَى بظُلْمٍ وأهلُها مُصْلِحون. وعندنا ما ذكرنا أنه خَلَقَهم لِلذي عَلِمَ أنه يكون مِنهم وأنهم يَصِيرون إليه مِن الاختلاف أو الاتّفاق أو العداوة أو الولاية،[4] لا يَخلقهم لِغير الذي عَلِمَ أنه يكون مِنهم، ولا يُريد أيضًا غيرَ ما عَلِمَ أنهم يَصِيرون إليه، ولا يَعلم غيرَ ما يكون مِنهم. *والله الموفق*.*

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٢٠]

وقوله عز وجل: **وكُلًّا نَقُصُّ عليك مِن أنباء الرُّسُل ما نُثَبِّتُ به فؤادَك**، تأويله -والله أعلم- كلُّ الذي **نَقُصُّ عليك** أو قَصَصْنا عليك **مِن أنباء الرسل** نبأً[6] بعد نبأٍ ونبأً على إثْرِ نبأٍ **ما نُثَبِّتُ به فؤادَك**.

وقوله: **ما نُثَبِّتُ به فؤادَك**، يحتمل وجوها. أحدها **نُثَبِّتُ به فؤادَك**، لما يحتمل أنّ نَفْسَه كانت تُنازِعُه وتُناقِشُه بأنّ الذي أُنزل عليه[7] أوَيأتي به مَلَكٌ أو كان ذلك مِن إيحاء[8] الشيطان وإلقائِه عليه وَسَاوِسَه.[9] فقَصَّ عليه مِن أنباء الرسل وأخبارِهم ليكونَ له آيةً بَيْنَه[10] وبَيْنَ ربِّه لِيَعلم أنّ ما أُنزل عليه

---

[1] الآية السابقة.
[2] ع م: قال.
[3] سورة هود، ١١٧/١١.
[4] ع م: والعداوة والولاية.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٦و/سطر ١١-١٤.
[6] م - نبأ.
[7] ع م - عليه.
[8] م: من إلجاء.
[9] ك ن ع: ووساوسه.
[10] ع م: بينة.

وما يأتي به[1] إنما هو مَلَكٌ مِن الله. جاء لِيَدفع به نَوَازِعَ نَفْسِه وخَطَرَاتِه؛ إذ لا سبيل للشيطان إلى معرفة تلك الأنباء ولا في وُسْعِه إلقاؤها عليه. فيكون له بها طُمَأْنِينَةُ قلبِه. وهو كقول إبراهيم حيث قال: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى،[2] الآية، كان نَفْسُ إبراهيم تُنازِعُه في كيفية إحياء الموتى، فسأل[3] ربَّه لِيُرِيَه ذلك لِيَطْمَئِنَّ بذلك قلبُه وإن كان يَعلم أنه يُحيي الموتى وأنه قادر على ذلك.

والثاني قَصَّ عليه أنباءَ الرسل واحدًا[4] بعد واحدٍ لِيُثَبِّتَ به فؤادَه لِيَعلمَ كيفيةَ مُعاملتِهم قومَهم[5] وماذا لَقُوا مِن قومهم وكيف[6] صبروا على أذاهم، لِيَصبر هو على ما صبر أولئك، ولِيُعامِلَ هو[7] قومَه بمثل مُعاملتِهم. ويُشْبِهُ أن يكون قولُه: **ما نُثَبِّتُ به فؤادَك**، بنبأٍ[8] بعد نبأٍ لِيَنظر ويَتفكَّر[9] في كلِّ نبأٍ وخبرٍ ويَعرِفَ ما فيه، فيكونَ ذلك أَثْبَتَ في قلبه.[10] وهو كقوله: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ،[11] بإنزال الآية واحدةً بعد واحدة وسورةً بعد سورة، وذلك أَثْبَتُ في فؤاده مِن إنزاله جملةً؛ لأنه يَزدحم في مَسامِعه وفؤاده، وإذا كان بالتَّفَارِيق نَظر وتَفكَّر، فهو أَثْبَتُ في قلبِه وفؤادِه. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وجاءك في هذه الحقُّ**، قال بعضهم: **وجاءك في هذه**، أي في هذه الأنباء التي قَصَّها عليك جاءك فيها **الحقُّ**، وهو ما ذكرنا. وقال بعضهم: **وجاءك في هذه**، أي في هذه السورة **الحقُّ**؛ وهو ما ذَكَر مِن الأنباء نبأً[12] بعد نبأٍ، وهو كالأول. وقال بعضهم: **وجاءك في هذه الحقُّ**، أي في هذه الدنيا **الحقُّ**، يعني الآيات والحجج والبراهين لرسالته ودينه،

---

[1] ع – به؛ م – وما يأتي به.
[2] ﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ أَرِنِي كيف تحيي الموتى قال أَوَ لَمْ تؤمن قال بلى ولكن لِيَطْمَئِنَّ قلبي﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٦٠).
[3] ك: فسأله.
[4] ع: واحد.
[5] ع م – قومهم.
[6] ن ع م: فكيف.
[7] ع: من.
[8] ن ع م: نبأ.
[9] ك: لتنظر وتتفكر.
[10] ك: في قوله.
[11] ﴿وقال الذين كفروا لَوْلَا نُزِّلَ عليه القرآنُ جملةً واحدةً كذلك لِنُثَبِّتَ به فؤادَك ورَتَّلْناه تَرْتِيلا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٣٢).
[12] ن م – نبأ.

ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلمؤمنين، أي جاءك[1] ما تَعِظُ به قومَك وتُذَكِّرُ به المؤمنين. وقوله: **ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلمؤمنين**، خَصَّ المؤمنين بذلك لِما يكون منفعةُ المَوْعِظَةِ والذِّكْرَى لِلمؤمنين،[2] وإلّا هو مَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلكُلّ.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾[١٢١]

وقوله عز وجل: **وقُل لِلذين لا يؤمنون اعملوا على مَكَانَتِكم**، المكانة هي[3] المَنْزِلة والقَدْر، يقول:[4] **اعملوا** أنتم **على مَكَانَتِكم** ومَنْزِلتكم التي لكم[5] عند أَتْبَاعِكم، كأنه يخاطب به الأشرافَ منهم والرؤساءَ، **إنّا عامِلُون**، على المَكانة[6] والمَنْزِلة التي[7] لنا عند الله، فننظر[8] أيُّنا أَرْجَحُ نحن أو أنتم، وأيُّنا أَخْسَرُ نحن أو أنتم.

وقوله عز وجل: **اعملوا على مَكَانَتِكم إنّا عامِلُون**، يخرج على وجهين. أحدهما على التوبيخ والتخويف عندما بالَغَ في الحِجاج فلم يَنْجَعْ فيهم، فقال [ذلك] عند ذلك، كقوله: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ،[9] ونحوه. والثاني على الإعجاز مما[10] أرادوا به مِن المكْر والكَيْد، بقوله: اعملوا ما تريدون، وأنا أعمل.

﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾[١٢٢]

وقوله عز وجل: **وانتظِروا**، أنتم بنا ذلك، **إنّا مُنتظِرون**، بكم ذلك. أو يقول هذا لِما كانوا يُوعِدُونه / ويُخَوِّفُونه مِن أنواع الوعيد، فيقول: انتظِروا بنا ذلك [أي] ما تُخَوِّفُوننا مِنه،[11] **إنّا مُنتظِرون**، [٣٥٦ظ]
بِكم ما نُخَوِّفُكم[12] نحن [مِنه]. *والله أعلم.*

---

[1] ع – أي جاءك.
[2] ك – وقوله وموعظة وذكرى للمؤمنين خص المؤمنين بذلك لما يكون منفعة الموعظة والذكرى للمؤمنين.
[3] ع م – هي.
[4] ع م: ويقول.
[5] م – لكم.
[6] ع: على المكانت.
[7] م – التي.
[8] ك: فينظر.
[9] سورة الكافرون، ١٠٩/٦.
[10] م: لما.
[11] جميع النسخ: ما تخوفون بنا.
[12] ع: ونخوفكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١٢٣]

وقوله عز وجل: **ولله غيبُ السماوات والأرض**، قال[١] بعض أهل التأويل: **ولله غيبُ** نزولِ العذاب، وغيبُ ما في الأرض، كأنه خرج جوابَ ما سألوه مِن العذاب، كقوله: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ،[٢] وكقوله: وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ،[٣] وقوله: ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ،[٤] فقال: **ولله غيبُ السماوات والأرض**، أي عِلْمُ ذلك عند الله. وكقوله: لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ،[٥] وأمثاله. ويُشْبِهُ[٦] أنْ يكونَ جوابَ ما تَحَكَّمُوا على الله مِن إنزال القرآن وجَعْلِ الرسالة في غيره، كقولهم:[٧] لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[٨] و لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً،[٩] فقال: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ،[١٠] الآية، وقال: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ.[١١] فعلى ذلك قوله: **ولله غيبُ السماوات والأرض**، لا إلى الخَلْق. والله أعلم بما أراد.[١٢]

وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه، إليه يُرْجَعُ أمرُ الخَلْقِ كلِّه وتدبيرُهم، **فاعبُدْه**، أي اعبُدْه[١٣] في خاصِّ نَفْسِك، **وتَوَكَّلْ عليه**، في تبليغ الرسالة إليهم، أي[١٤] لا يَمنعنَّك كَيْدُهم ومَكْرُهم بك عن تبليغ الرسالة، ولا تَخافَنَّ مِنهم، فإن الله يحفظُك مِن كَيْدِهم ومَكْرِهم بك، كقوله: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.[١٥]

---

[١] م: وقال.

[٢] سورة العنكبوت، ٥٣/٢٩.

[٣] سورة يونس، ٤٨/١٠؛ وسورة الأنبياء، ٣٨/٢١؛ وسورة النمل، ٧١/٢٧؛ وسورة سبأ، ٢٩/٣٤؛ وسورة يس، ٤٨/٣٦؛ وسورة الملك، ٢٥/٦٧.

[٤] سورة العنكبوت، ٢٩/٢٩.

[٥] سورة الأنعام، ٥٨/٧.

[٦] ع: يشبه.

[٧] ع م: كقوله.

[٨] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.

[٩] سورة الفرقان، ٣٢/٢٥.

[١٠] ﴿أَهُمْ يَقْسِمون رحمةَ ربِّك نحن قَسَمْنا بينهم مَعِيشَتَهم في الحياة الدنيا ورَفَعْنا بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ لِيَتَّخِذَ بعضُهم بعضًا سُخْرِيًّا ورحمةُ ربِّك خيرٌ مما يَجْمعون﴾ (سورة الزخرف، ٣٢/٤٣).

[١١] سورة الأنعام، ١٢٤/٧.

[١٢] ع: أرادوا.

[١٣] ع - أي اعبده.

[١٤] ن - أي.

[١٥] سورة المائدة، ٦٧/٥.

وما ربك بغافلٍ عما تعملون، هذا[١] يؤيد ما ذكرنا، أي ما ربُّك بغافلٍ عما يريدون بك مِن كَيْدِهم ومَكْرِهم، بل يَعلم ذلك ويَنصرك ويَنتصر منهم. وهو كقوله لموسى وهارون: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى،[٢] أي أَسْمَعُ قولَه وجوابَه إيّاكما وأَرَى ما يَفعل، أي أَنْصُرُكما فلا تَخافا. فعلى ذلك الأول. *والله أعلم*.[٣]

---

[١] ع م + ما.
[٢] سورة طه، ٢٠/٤٤-٤٦.
[٣] م – والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يوسف[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[١]

قوله عز وجل: **الر تلك آيات الكتاب المبين**، ذَكَرَ "**تلك**" وهي كلمةُ إشارةٍ إلى شيءٍ سَبَقَ ذِكرُه و لم يتقدَّمْ فيه ذِكْرُ شيءٍ يُشار إليه. وذَكَرَ "**آيات**" أيضًا وليس هنالك[2] ذِكْرُ آياتٍ أو شيءٍ يكون آيةً في الظاهر. لكن[3] يُشْبِهُ أنْ يكونَ قولُه: **تلك**، بمعنى "هذه" آيات. ويجوز استعمالُ "تلك" مكان "هذه" على ما يجوز ذِكرُ "ذلك" مكان "هذا" كقوله: الٓمٓ ذٰلِكَ الْكِتَابُ،[4] أي هذا الكتاب.[5] أو أن يكون قوله: **تلك**،[6] إشارةً إلى ما في السماء، أي الذي في السماء آياتُ الكتاب. أو يقول: **تلك**، إشارةً إلى ما في اللَّوْح المحفوظ، أو إشارةً[7] إلى ما في الكتب[8] المتقدِّمة، أي **تلك آيات الكتاب المُبِين**. يحتمل **المُبِين**، أنها آياتُ الرسالة، أو بَيَّنَ أنها مِن عند الله.

وقوله: **آيات الكتاب**، هذا أيضًا يُشْبِهُ أن يخرج على وجهين. أحدهما إشارة إلى الحروف المُقَطَّعَة المُعْجَمَة. فقال: تلك الحروف المُقَطَّعَة[9] إذا جُمِعَتْ كانت[10] **آيات الكتاب**.[11]

---

[1] ك: السورة التي فيها ذكر يوسف النبي؛ ن: السورة التي فيها ذكر يوسف؛ ع: السورة التي ذكر فيها يوسف؛ م: سورة يوسف عليه السلام.

[2] م: هناك.

[3] ك: لكنه.

[4] سورة البقرة، ٢/١-٢.

[5] ع – أي هذا الكتاب.

[6] ع – تلك.

[7] ع م – إلى ما في اللوح المحفوظ أو إشارة.

[8] ع م: الكتاب.

[9] ع – المقطعة؛ م – تلك الحروف المقطعة.

[10] ن ع م + تلك.

[11] ن – الكتاب.

أو أن يكون الله أراد[1] أمرًا لا نعلم ما أراد، فنقول: **تلك آيات الكتاب**، أي ذلك الذي أراد هو آيات الكتاب. والله أعلم بما أراد به.[2]

[٣٥٧و س٤ * وقوله: **تلك آيات الكتاب**، يخرج على وجهين. أحدهما أن يكون[3] سألوا عنه رسولَ الله عن قصة يوسف وصَيْرُورَةِ بني إسرائيل بمصر وقد كانوا مِن قبلُ بالشام، فقال: تلك الأنباء والقِصَص نجعلها[4] آياتِ هذه السورة التي هي مِن الكتاب المبين. أو **تلك آيات** [و]حجج وبراهين لرسالة[5] محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ هي مِن أنباء الغيب عنهم، فعَلِمَ [محمد] الأنباءَ

٣٥٧و س٨] عنها بالله سبحانه وتعالى.*

وقوله: **المُبِين**، قيل: **المُبِين**، أي لِيُبَيِّنَ فيه الحلال والحرام وما يُؤتَى وما يُتَّقَى، كقوله: تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ.[6] وقال بعضهم: لِيُبَيِّنَ بركته وهداه ورُشْدَه. أو بَيَّنَ فيه الحقَّ مِن الباطل والعَدْلَ مِن الجَوْر.[7] والكتاب هو اسمُ ما يُكْتَب، وسُمِّيَ قُرآنًا[8] لِما يُقرَأ. أو [سُمِّيَ] كتابًا[9] لِما عن كتابٍ أُخِذَ ورُفِعَ، وقُرآنا[10] لِما قُرِئَ عليه.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **إنّا أنزلناه قُرآنًا عَرَبِيًّا**، قوله: **أنزلناه**، الهاء[11] كناية عن الكتاب الذي تقدّم ذِكْرُه.[12] **قُرآنًا عَرَبِيًّا**، أنزله بلسان العرب. ولا ندري بأيّ لسانٍ كان في اللَّوْح المحفوظ غيرَ أنّه أخبر أنّه أنزله بلسان العرب. وهكذا كلُّ كتابٍ أُنزل إنما أُنزل بلسان المُنْزَلِ عليهم، لم يُنْزَلْ بغير لسانهم.

---

[1] م – أراد.

[2] ك: أراده.

[3] جميع النسخ + الذي.

[4] ع: يجعلها؛ م: بجعلها.

[5] ع: الرسالة.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٧و/سطر ٤–٨.

[6] ﴿ونَزَّلْنا عليك الكتاب تِبْيانًا لِكُلِّ شيءٍ وهُدًى ورحمةً وبُشْرَى لِلمسلمين﴾ (سورة النحل، ٨٩/١٦).

[7] ع م: والجور.

[8] الآية التالية.

[9] م: وكتابا.

[10] جميع النسخ: والقرآن.

[11] ع م: لها.

[12] م + وقوله.

وقوله عز وجل: **لعلكم تعقلون**، ما لكم وما عليكم وما تأتون وما تتقون. أو **تعقلون**، أنّ هذه[1] الأنباء التي يخبركم[2] بها محمد صلى الله عليه وسلم مِن الله تعالى؛ لأنها كانت في كتبهم بغير لسانه، فأخبر على ما كانت في كتبهم. دَلَّ أنه إنما عَرَفَ ذلك بالله تعالى. أو **لعلكم تعقلون**، بأنَّ فيه شرفَكم؛ لأنكم تَصِيرون مَتبُوعِين، لِما يَحتاج الناسُ إلى معرفةِ ما فيه، ولا يُوصَل [إلى] ذلك إلَا بِكُم، فتكونون مَتبُوعِين، والناسُ أَتْبَاعًا[3] لكم. وهو كقوله: لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ،[4] قال أهل التأويل: أي فيه شرفُكم. *والله أعلم*.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **نحن نَقُصُّ عليك أحسن القَصَصِ**، قال بعضهم: قوله: **نَقُصُّ عليك**، أي نُبين عليك أحسن البيان، **بما أوحينا إليك هذا القرآن**. وقال بعضهم: **نَقُصُّ عليك**، أي نخبرك أحسنَ ما في كتبهم مِن القِصَص وأحسنَ ما في كتبهم مِن الأنباء والأحاديث.

وقوله: **أحسن القَصَص**، أَصْدَقُه. وكذلك قوله: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا،[5] وأحسنُ الحديث[6] أَصْدَقُه. هو **أحسن القَصَص**، أي أَصْدَقُه، وأحسنُ[7] الحديث أَصْدَقُه.

[٣٥٧و س٣] * وقال ابن عباس رضي الله عنه: **أحسن القَصَص**، كلام الرحمن.[8] وقال مجاهد: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ، كلام رب العالمين.[9]* [٣٥٧و س٤]

[٣٥٧ر] وقوله عز وجل: **وإنْ كُنتَ مِن قبلِه**، أي وقد كُنتَ[10] مِن قبلِه، **لَمِنَ الغافلين**، /عن هذه الأنباء وعن قِصَصِهم. فهذا يَدلّ أنّ الإيمان بجملة الأنبياء والرسل إيمانٌ وإن لم يُعْرَفْ أَنْفُسُ الأنبياء

---

[1] ع: وهذه؛ م: إن هذا.
[2] ن: نخبركم.
[3] جميع النسخ: أتباع.
[4] سورة الأنبياء، ١٠/٢١.
[5] سورة الزمر، ٢٣/٣٩.
[6] ن – كتابا وأحسن الحديث، صح هـ.
[7] ع: والحسن.
[8] لم أجده. لكن روي عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله، لو قَصَصْتَ علينا. قال: فنَزَلَتْ: ﴿نحن نَقُصُّ عليك أحسنَ القَصَص﴾. انظر: *تفسير الطبري*، ١٥٠/١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤٩٦/٤.
[9] *تفسير الطبري*، ٢١٠/٢٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٢٢١/٧.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٧و/سطر ٣-٤.
[10] م: كنتم.

وأَنْفُسُ الرسل وأَسَامِيهِم؛ لأنه أخبر أنه كان غافلا عن أنبائهم وعن قِصَصِهِم، ولا شكَّ أنه كان مؤمنًا بالله مخلصًا. *وبالله العصمة*.*

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **إذ قال يوسف لأبيه يا أَبَتِ إني رأيتُ أحد عشر كَوْكَبًا والشمسَ والقمرَ رأيتُهم لي ساجدين**، دَلّ[١] قولُه: **إني رأيتُ أحد عشر كَوْكَبًا**، أنّ إخوةَ يوسف كانوا علماءَ وعيونَ الأرض نجُومًا يُقْتَدَى بهم ويُهْتَدَى؛[٢] إذ بالنجوم يُقْتَدَى في الأرض وبها يُهْتَدَى[٣] الطُّرُقُ والمَسالِكُ. ودَلَّ قولُه: **والشمسَ والقمرَ**، حيث[٤] خرج على أبويه، أنه كان بهما جميعُ مَنَافِعِ الخَلْقِ؛ إذ بهما صَلَاحُ جميعِ الأغذيةِ في الأرض[٥] ونُضْجُ جميعِ الفواكه والأَنْزَال[٦] وجميعُ المنافعِ التي[٧] بالناس حاجةٌ إلى ذلك.

ودَلَّ قولُه: **إني رأيتُ أحد عشر كَوْكَبًا والشمسَ والقمرَ رأيتُهم لي ساجدين**، أنّ الرؤيا تخرج على عَيْنِ ما رَأَى، وتخرج على غيرِه بالمعنى الذي يَتَّصِل به؛ لأنه رأى الكَوَاكِبَ[٨] والشمسَ والقمرَ، فخرج على إخوته وأبَوَيْه. كان المرادُ بالكَوَاكِب والنجومِ غيرَ الكَوَاكِب[٩] وغيرَ[١٠] الشمس والقمر،[١١] وذلك لِمعنى.[١٢] وذَكَرَ السجود، وخرج على عين السجود وحقيقتِه. وكذلك[١٣] ما رأى إبراهيمُ في المَنَام ذَبْحَ ولدِه، خرج الذَّبْح على حقيقة الذَّبْح،[١٤] وهو[١٥] ذَبْح الكَبْش،

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٧و/سطر ٣-٤. ووقع بعده مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٧و/سطر ٤-٨.

[١] م – دل.
[٢] جميع النسخ: ويهتدون.
[٣] جميع النسخ: يهتدون.
[٤] ن ع م – حيث.
[٥] م – الأرض.
[٦] الأنزال جمع نُزُل بمعنى القُوت (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»).
[٧] جميع النسخ + ما.
[٨] ع: الكوكب.
[٩] م – والنجوم غير الكواكب.
[١٠] م: غير.
[١١] ع – فخرج على إخوته وأبويه كان المراد بالكواكب والنجوم غير الكواكب وغير الشمس والقمر.
[١٢] م: المعنى.
[١٣] م: وكذا.
[١٤] ع م – الذبح.
[١٥] م: هو.

ورأى ابنَه وكان المراد مِنه الكَبْش.[١] فهذا أصلٌ لنا أنّ الخطاب يخرج والمراد منه على عين[٢] ذلك الخطاب لا غير، وقد يخرج لِمعنًى فيه. فإذا اتَّصَلَ ذلك المعنى بغيرٍ وَجَبَ[٣] ذلك الحُكم. وفيه جوازُ الاجتهادِ وطَلَبِ المعنى في المُخاطَبات. وكذلك ما ظَهَرَ في الناس مِن تعبير الرؤيا على الاجتهادِ يدلّ على جواز العمل بالاجتهاد.

قال بعض أهل التأويل: إنّ يوسف لمّا قَصّ رؤياه على أبيه بَيْنَ يَدَيْ إخوتِه قال له: هذه رؤيا النهار ليس بشيء، وقال ليوسف في السِّرّ: إذا رأيتَ رؤيا بعد هذا فلا تَقُصّها على إخوتك. لكن هذا كذب، فلا يجوز أن يَكذب[٤] رسولُ الله يعقوب، يقول له: رؤيا النهار ليس بشيء،[٥] ثم يُعَبّر له في السِّرّ. ولا يُتَوَهّم على نبيٍ مِن أنبياء[٦] الله الكذب؛ وهو كَذِب، فإن كان فهو بالأمر.[٧]

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **قال يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رؤياك على إخوتك**، دل قوله: **لا تَقْصُصْ رؤياك على إخوتك**، على أنّ ما رأى يوسف مِن سجود الكواكب[٨] له وسجود الشمس والقمر أنه إنما كان رأى ذلك في المنام. ويدل ما ذكر في آخره أيضًا على ذلك، وهو قوله: يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ.[٩] ودل قوله: **لا تَقْصُصْ رؤياك على إخوتك فيَكِيدُوا لك كيدًا**، أنّ يعقوب إنما عرف ذلك بالوحي حيث قطع القول في قوله: **فيَكِيدُوا لك كيدًا**، و لم يَستثنِ في ذلك. وقد فعلوا به ما قال. وفيه دلالة أنّ إخوته قد كانوا يعرفون تعبير الرؤيا، وكانوا علماء حكماء حيث قال:[١٠]

---

١ يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بُني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أَبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتَلّه للجبين. وناديناه أن يا إبراهيم. قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين. إن هذا لهو البلاء المبين. وفديناه بذِبحٍ عظيم﴾ (سورة الصافات، ١٠٢/٣٧-١٠٧).

٢ ع م: على غير.

٣ ع م: وجبت.

٤ ع: أن تكذب.

٥ ع م: يعني.

٦ جميع النسخ: من نبي.

٧ أي إن كان هناك كذب مِن يعقوب عليه السلام فلا بُدّ أنّ ذلك حصل بأمر مِن الله ووَحْي.

٨ ك: من السجود له لكواكب.

٩ ﴿ورَفَعَ أبوَيه على العرش وخرّوا له سُجّدًا وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤيايَ مِن قبلُ قد جعلها ربي حقا﴾ (سورة يوسف، ١٠٠/١٢).

١٠ ن - قال.

لا تَقْصُصْ رؤياك على إخوتك؛ لأنهم لو[1] كانوا لا يعرفون تأويلها ولا علموا تعبيرها لم يكن لِينهاه عن أن يقصّ على إخوته. لأنه لو قصّها أو لم يقصّها -إذا لم يعلموا-[2] سواءٌ. وفيه[3] دلالة أنّ الأخ لا يُتَّهَم[4] في أخيه،[5] ويكون مِن الأخ الخيانةُ إلى أخيه، والأبَ والأمَّ[6] يُتَّهَمان في الابن، والولدَ[7] يُتَّهَم في والِدَيه، ولا يكون مِن بعضٍ إلى بعضٍ خيانةٌ في الغالب؛ لأنّ يعقوبَ نَهَى ولدَه يوسف أن يقصّها على إخوته، وأخبر أنهم إذا علموا بذلك كادوه وحسدوه، ولم يَنْهَه بمثله في أمه. دلّ أنّ الأخ لا يُتَّهَم في شهادة أخيه، ويُتَّهَم[8] الأبُ والأمُّ في شهادتهما لولدهما. وكذلك[9] الولد يُتَّهَم في والِدَيه.[10] ولهذا قال أصحابنا: إن شهادة الوالد لولده لا تُقبَل، وكذلك شهادة الولد لوالِدَيه، وأمّا شهادة[11] الأخ لأخيه تُقبَل. وإنما كان كذلك[12] لِما يَنتفع الولد بمال والِدَيه، والوالدُ بمال ولده، ولا يَنتفع[13] الأخ بمال أخيه. وكلّ مَن انتفع بمالِ آخرَ اتُّهِم[14] في شهادته له، ولم تُقبَل شهادتُه،[15] وكلّ مَن لم يَنتفع به قُبِلت. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **إن الشيطان للإنسان عدو مبين**، ظاهر العداوة. وقال موسى حين قَتَل ذلك الرجل:[16] هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.[17] بَدْءُ كلِّ شرّ يكون مِن الشيطان، يَقذِف في القلوب

---

[1] ك – لو.
[2] ن: لم يعرفوا.
[3] م: فيه.
[4] ع: لا يتهم.
[5] أي تقبل شهادة الأخ لأخيه، ولا يُتَّهم الأخ بأنه قد يكذب في الشهادة لمنفعة أخيه.
[6] م + لا.
[7] م + لا.
[8] ع: وينهم.
[9] ع: ولذلك.
[10] ن ع: في الدية.
[11] م: وشهادة.
[12] م – وإنما كان كذلك.
[13] ع – الأخ لأخيه تقبل وإنما كان كذلك لما ينتفع الولد بمال والديه والوالد بمال ولده ولا ينتفع.
[14] ع: انهم.
[15] ع – له ولم تقبل شهادته.
[16] ن ع م – الرجل.
[17] ﴿ودخل المدينةَ على حينِ غفلةٍ مِن أهلِها فوجد فيها رَجُلَين يَقتَتِلان هذا مِن شِيعَتِه وهذا مِن عدوِّه فاستغاثه الذي مِن شِيعَتِه على الذي مِن عدوِّه فوَكَزَه موسى فقَضَى عليه قال هذا مِن عَمَلِ الشيطان إنه عدوٌّ مُضِلٌّ مُبِين﴾ (سورة القصص، ٢٨/١٥).

ويُخطِر في الصدور،[١] ثم تكون العزيمةُ على ذلك والفعلُ مِن العبد.[٢] وهو ما قال: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[٣] وقال: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ،[٤] الآية، والطَّيْف والنَّزْغ هو القذف والوسوسة، فإذا ذكر الله ذهب.

وقيل: الكيد والمكر سواء. وهو قول أبي عَوْسَجَة. وقال القُتَبي:[٥] / الكيد هو الاحتيال [٣٥٧ظ]
والاغتيال.[٦] وقيل: الكيد هو أن يُطلَب إيصالُ[٧] الشرّ[٨] به على غيرٍ[٩] علمٍ مِنه، وكذلك المكر.

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وكذلك يَجتَبِيك ربُّك ويُعَلِّمُك مِن تأويل الأحاديث ويُتِمُّ نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أَتَمَّها على أبوَيك مِن قبل**، تأويله -والله أعلم- أي كما اجتبى[١٠] ربُّك أبوَيك بالرسالة والنبوة واصطفاهم بأنواع الخيرات وأتمّ[١١] نعمته عليهم كذلك يجتبيك ربك ويتم نعمته[١٢] عليك وعلى آل يعقوب. ويحتمل قوله: **وكذلك يَجْتَبِيك ربُّك**، أي كما اجتباك ربُّك بالرؤيا التي أراك يَفعل ذلك بك.

وقوله عز وجل: **ويُعَلِّمُك مِن تأويل الأحاديث**، قيل: تعبير الرؤيا. وقال بعضهم: عَلَّمَه تأويلَ الصُّحُف التي كانت لإبراهيم وغيره. و[قد] عَلَّمَه تأويلَ[١٣] تلك[١٤] الصُّحُف والأحاديث.

---

[١] م: في الصدر.
[٢] ن: من العمد.
[٣] سورة الأعراف، ٧/٢٠٠؛ وسورة فصلت، ٤١/٣٦.
[٤] ﴿إنّ الذين اتَّقَوْا إذا مَسَّهم طائفٌ مِن الشيطان تَذَكَّروا فإذا هم مُبصِرُون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٠٠).
[٥] ن – وقال القتبي.
[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢١٢.
[٧] ع – إيصال.
[٨] م: شر.
[٩] ع – غير.
[١٠] ع: اجتبى.
[١١] ن ع: وأتمه.
[١٢] م – عليهم كذلك يجتبيك ربك ويتم نعمته.
[١٣] ع + تأويل.
[١٤] م – تلك.

وقوله عز وجل: **ويُتِمُ نعمتَه عليك وعلى آل يعقوب كما أَتَمَّها**، قال بعضهم: **كما أَتَمَّها على أبوَيك مِن قبلُ إبراهيمَ وإسحاقَ**، حينَ أَراد[1] ذبح ابنه فجَعَل مكانَه كَبْشًا، فعلى ذلك **يُتِمُ نعمتَه عليك** ويُسجِد لك إخوتَك وأبوَيك. ثم مِن الناس مَن استدل بهذا أنّ الذبيح كان إسحاق، لأنه ذكر إتمام[2] نعمته على إبراهيم وإسحاق. ودل قوله: **وعلى آل يعقوب**، على أنه قد اجتباهم بالنبوة مِن بعدُ، أعني أولاد يعقوب؛ لأنّ ولده مِن آله، وقد أخبر أنْ يَجْتَبِيهم ويُتِمُّ نعمتَه عليهم كما فعل بأبوَيه[3] إبراهيم وإسحاق. وكذلك رُوي عن الحسن أنه قال في إخوة يوسف: نُبِّئُوا بعد ما صنعوا بيوسف ما صنعوا.

وقال بعضهم: **تأويل الأحاديث**، العلم والكلام. قال: وكان يوسف أَعْبَرَ الناس، وهو ما قال الله[4] تعالى: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا.[5]

وقوله عز وجل: **إن ربك عليم**، بما صنع به إخوته، أو **عليم**،[6] بما ذكر مِن التمام، **حكيم**، وَضَعَ كلَّ شيءٍ موضعَه. *والله أعلم*.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **لقد كان في يوسف وإخوتِه آياتٌ للسائلين**، الآيةُ آيةٌ للسائل إذا كان السائل مُسترشِدًا.[7] وكذلك القرآن كله هو حجة وآية للمُسترشِد، وأمّا المُتَعَنِّت فهو آيةٌ عليه. ثم يحتمل قوله: **آيات للسائلين**، السائلين[8] الذين[9] سألوا على ما ذُكِر في بعض القصة أن اليهود سألوا النبي عن أمر يوسف ونَبَئِه، فأخبرهم بالحق في ذلك على ما كان.[10] فهو آية لهم إن ثبت ذلك. ويحتمل قوله: **آيات للسائلين**، السائلين الذين يَسألون مِن بعدُ إلى آخِر الدهر عن نبأ يوسف.

---

[1] ع م: أراه.
[2] ع: إتمامه.
[3] م: بأبويهم.
[4] ك ن – الله.
[5] سورة يوسف، ٢٢/١٢.
[6] م: وعليم.
[7] ع م: يسترشد.
[8] ك: للسائلين؛ ن – السائلين.
[9] ك: الذي.
[10] لم أجده هكذا. لكن روي أن رجلا من اليهود سأل النبي عن أسماء الكواكب التي سجدت ليوسف، فأخبره بها. انظر: *تفسير الطبري*، ١٥١/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٩٨/٤-٤٩٩.

كلُّ مَن سأل عن خبره ونَبَئِه فهو آيةٌ له.[١] ثم وَجْهُ جَعْلِه[٢] آيةً يحتمل وجوها. أحدها أنه جَعَل قصةَ يوسف ونبأَه سورةً، وتلك السورة هي آيات الكتاب، على ما ذكر: الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ.[٣] جَعَل قصةَ يوسف ونبأَه آياتٍ مِن الكتاب. ويحتمل أيضًا أنه جُعِل آيةً،[٤] أي حجةً لنبوّة رسولِه ورسالتِه؛[٥] لأنّ قصته ونبأه كان في كتبهم بغير لسانه مِن غير ترجمةِ أحدٍ مِنهم ولا تعليم، ثم أخبرهم على ما كان في كتبهم مِن غير زيادة ولا نقصان. دل أنه[٦] إنما عَلِمَه بالله تعالى لا أنه[٧] أَخَذَه مِن كتبهم. وهو ما ذكر في القصة أن اليهود سمعوا النبي يقرأ سورة يوسف، فقالوا: يا محمد، مَن عَلَّمَكها؟[٨] قال: «الله عَلَّمَنِيها». فعَجِبُوا مِن قراءته إياها على[٩] ما كانت في كتبهم.[١٠] دل أنه إنما عَرَفَها بالله. ثم يحتمل أنه يكون آيةً لمن سأل عن[١١] حجةِ رسالتِه. أو هي[١٢] آيةٌ لمن سأل[١٣] عنها. **والله أعلم.**

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [٨]

وقوله عز وجل: **إذ قالوا لَيوسفُ وأخوه أَحَبُّ إلى أبينا مِنا ونحن عُصْبَةٌ**، في الآية دلالة أنْ لا بأس للرجل أن يَخُصَّ بعضَ ولدِه بالعطف عليه والميل[١٤] إليه إذا كان فيه معنى ليس ذلك في غيره. ولهذا قال أصحابنا: إنه[١٥] لا بأس للرجل أن يَخُصَّ بعضَ ولدِه بالهبة[١٦] له أو الصدقة عليه[١٧]

---

[١] م: ضم.
[٢] ك ن: بنائه؛ ع: بنبائه.
[٣] ك – جعل قصة يوسف ونبأه سورة وتلك السورة هي آيات الكتاب على ما ذكر الر تلك آيات الكتاب المبين. وانظر للآية: سورة يوسف، ١٢/١.
[٤] ع: آيته.
[٥] ك: في رسالته.
[٦] م – أنه.
[٧] ع م: لانه.
[٨] م: من علمك.
[٩] ع – على.
[١٠] أخرجه البيهقي بمعناه في *دلائل النبوة* من طريق الكَلْبي عن أبي صالح عن ابن عباس. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٤٩٥. والكلبي معروف بالضَّعف.
[١١] ن: يكون لمن سأل آية عن.
[١٢] ك: أو هو؛ ن: وهي.
[١٣] م: لمن يسأل.
[١٤] ع: بالعطف علو الميل.
[١٥] ك ن: ان.
[١٦] ع: باهبة.
[١٧] ع م: عليها.

إذا لم[1] يَقصِد بها الجَوْرَ على غيرهم مِن الأولاد. ثم يحتمل تخصيصُ يعقوبَ يوسفَ وأخاه بالحبّ لهما وجوها. أحدها لما رأى فيهما مِن الضَّعْف في أنفسهما والعَجْز في أبدانهما؛ فازدادت شفقتُه لهما وعَطْفُه عليهما لذلك. وهذا مما يكون فيما بين الخَلْق. أو كان ذلك مِنه لهما لِصِغَرِهما. وهذا أيضًا معروفٌ في الناس أنّ الصِغارَ مِن الأولاد يكونون[2] عندهم أَحَبَّ، و[تكون] قلوبُهم إليهم أَمْيَلَ، وعليهم[3] أَعْطَفَ، ولهم أَرْحَمَ مِن الكبار منهم.[4] أو خَصَّهما بذلك لِفَضْلِ خُصوصيةٍ كانت لهما، إمّا[5] مِن جهة الدين أو العلم أو غيره؛ أَمَرَه الله بذلك لِذلك مِن دون غيرهما. أو لِما بُشِّرَ يعقوبُ بنبوّة يوسف؛ فكان يُفَضِّلُه[6] على سائر أولاده ويُؤْثِرُه عليهم لذلك. وإنما قالوا: **لَيوسفُ وأخوه أَحَبُّ إلى أبينا مِنّا**، بآثارٍ تَظهر عندهم، وإلّا حقيقةُ المحبّة لا تُعرَف.

وقوله عز وجل: **ونحن عُصْبَةٌ**، قيل: العُصْبَة: الجماعة. وقال بعضهم: العُصْبَة مِن عشرة إلى أربعين. والعُصْبَة: الجماعة. أي نحن جماعة ولنا مَنَعَة. ولهذا ما قال أصحابنا: إن التسعة[7] مع الإمام تكون مَنَعَةً[8] يَستوجِبون ما تَستوجِب[9] السَّرِيّةُ إذا دخلت دار الحرب فغَنِمَت غنائمَ يُخَمَّسُ[10] مِنها.

وقوله: **ونحن عُصْبَةٌ إنّ أبانا لَفي ضلالٍ مُبِين**، لم يَعْنُوا ضلالَ الدين، إنما قالوا ذلك -والله أعلم- [بمعنى] إنّا جماعةٌ نَقدِر على دَفْعِ مَن يَرُوم الضررَ[11] به ويَقصِد[12] قَصْدَ الشرّ بنفسه وماله، ونحن أُولُو قوّةٍ، بِنا يَقُوم مَعاشُه وأسبابُه، فكيف يُؤْثِر[13] هؤلاء علينا؟ وكذلك قوله: وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى،[14]

---

[1] ع: ذا لم.
[2] جميع النسخ: يكون.
[3] جميع النسخ: وعليه.
[4] م – منهم.
[5] ع م – إما.
[6] ع: بفضله.
[7] ع: إن السعة.
[8] م – تكون منعة.
[9] ن ع: ما يستوجب؛ م – ما تستوجب.
[10] ن ع م: بخمس.
[11] ع: النصر.
[12] ن + به؛ ع: ويقصده.
[13] ن – يؤثر.
[14] سورة الضحى، ٩٣/٧.

لم يُرِد[١] به ضلالَ الدين، ولكن وجهًا[٢] آخر. أو[٣] قالوا[٤] ذلك[٥] لِما كانت له / مَنافِعُ مِن أنفسهم [٣٥٨ر] لم تكن[٦] تلك المنافع مِن يوسف وأخيه. وأبدًا إنما يُؤثِر المرءُ حُبَّ مَن له مَنافِعُ مِن قِبَلِه لا حُبَّ مَن لا منفعةَ له مِنه. فهو فيه في ضلالٍ مُبِين حيث يُؤثِر حُبَّ[٧] مَن لا منفعةَ له مِنه على حُبِّ[٨] مَن كانت له مِنه[٩] مَنافِعُ وأمثالِه.[١٠] *والله أعلم.*

﴿اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [٩]

وقوله:[١١] **اقتلوا يوسفَ أوِ اطْرَحُوه أرْضًا يَخْلُ لكم وَجْهُ أبيكم**، لا يحتمل أن يكونوا عزموا على قتله، ولكن [قالوا ذلك] على المشاورة فيما بينهم: نَفعل ذا أو ذا. كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ،[١٢] الآية، ليس على العزيمة[١٣] على واحد، ولكن على المَشُورَة فيما بينهم. يدل على ذلك قوله: **يَخْلُ لكم وَجْهُ أبيكم**، أنهم أرادوا أنْ يَخْلُوَ[١٤] وَجْهُ أبيهم لهم لا قَتْلَه، إنما أرادوا غَيْبَتَه عنه. وقال بعضهم: **يَخْلُ لكم وَجْهُ أبيكم**، أي يُقْبِلُ عليكم أبوكم بوجهه. وقال بعضهم: أي يَفْرُغُ لكم مِن الشُّغْل بيوسف.

وقوله عز وجل: **وتكونوا مِن بعدِه قومًا صالحين**، يحتمل **صالحين**، أي تائبين. وقال بعضهم: تكونوا **صالحين** عند أبيكم مِن بعدُ. وقال بعضهم:[١٥] يَصْلُحُ أمرُكم وحالُكم عند[١٦] أبيكم بعد ذهاب يوسف. وجائزٌ أنْ يكونوا[١٧] **قوما صالحين** في الآخرة. وقالوا:[١٨] إنهم تابوا قبل أن يَزِلُّوا ويَعصوا.

---

[١] ن: ولم يرد.
[٢] ع: وجه.
[٣] ع – آخر أو.
[٤] م: وقالوا.
[٥] ع م – ذلك.
[٦] ن ع م: لم يكن.
[٧] ع م – حب.
[٨] م – حب.
[٩] ن – على حب من كانت له منه.
[١٠] أي وحُبِّ أمثالِه.
[١١] ك ع م: وقولهم.
[١٢] ﴿وإذ يَمْكُرُ بِكَ الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتلوك أو يخرجوك﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).
[١٣] ع م – على العزيمة.
[١٤] ن: أن يخلوا.
[١٥] ع + تكونوا صالحين عند أبيكم من بعد وقال بعضهم.
[١٦] ع م: منه.
[١٧] ك: أن تكونوا.
[١٨] ع م: وقال.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **قال قائلٌ مِنهم لا تَقتلوا يوسف وأَلْقُوه في غَيَابَة الجُبِّ**، قال أبو عَوْسَجَة: يعني في قَعْر البئر. والغَيَابَة: ما يُغَيِّبه ويُوَارِيه؛ والجُبّ: البئر،[١] والجِبَاب جمع.[٢] وقال أبو عُبَيدة: الغَيابة: كل شيء غَيَّب[٣] عنك شيئا فهو غَيَابَة.[٤]

وقوله عز وجل: **يَلْتَقِطْه بعضُ السيّارة**، أي يَرفعه بعض السيّارة. ولذلك يقال للطائر: يَلْتَقِط[٥] الحَبّ ويَلْقِط،[٦] أي يَرفع. **إن كنتم فاعلين**، إن كنتم لا بُدّ فاعلين[٧] أن تُغَيِّبُوه عنه. وأمّا قول أهل التأويل: إن قوله: **لا تَقتلوا يوسف**، قاله[٨] فلان أو فلان، فذلك مما لا نعرفه، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة. *والله أعلم*. وقال أبو عَوْسَجَة: **السيّارة**، أصلُها مِن السَّير، هو مثل المسافر، وهي القافلة، يعني العِير. وقيل: **الجُبّ**: الرَّكِيّة[٩] التي لم تُطْوَ[١٠] بالحجارة، فإذا طُوِيَت فليس بجُبّ.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **قالوا يا أبانا ما لك لا تَأْمَنَّا على يوسف**، دل قوله: **ما لك لا تَأْمَنَّا على يوسف**، على أنهم قد[١١] طلبوا[١٢] إخراجه مِن أبيهم غير مرّة؛ لأن مثل هذا الكلام لا يُتَكَلَّم به[١٣] مُبتدَأً على غير مسابقةِ شيءٍ مِن أمثاله. فدل أنهم قد استأذنوه في إخراجه غير مرّة. **وإنّا له لَناصحون**، الناصح هو الدال على ما به نجاته، أو الدال على كل خير.[١٤] *والله أعلم*.

---

[١] ع: والبر.
[٢] ن: جميع.
[٣] ع م: غيبت.
[٤] مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٣٠٢/١.
[٥] ن: ياتقطه.
[٦] م: الجب ويلتقط.
[٧] ع – إن كنتم لا بد فاعلين.
[٨] ن: قال.
[٩] ع م: الركبة. والرَّكِيّة: البئر (*لسان العرب* لابن منظور، «ركو»).
[١٠] طَوَى الرَّكِيّةَ طَيّا: عَرَشَها بالحجارة والآجُرّ (*لسان العرب* لابن منظور، «طوي»).
[١١] م – قد.
[١٢] ن – قد طلبوا؛ ع – دل قوله ما لك لا تأمنا على يوسف على أنهم قد طلبوا؛ ع + على أنه.
[١٣] ن – به.
[١٤] ع – خير.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **أَرْسِلْه معنا غدًا يَرْتَعْ ويلعبْ وإنّا له لحَافظون**، كان يعقوب خاف على نفسه -أعني يوسف- الضَّيْعَةَ بِتركِهم حِفظَه،[١] فأَمَّنُوه على ذلك بقولهم:[٢] **وإنّا له لحَافظون**. وخاف عليه الضَّياع مِن جهة الجوع بِتركِهم حِفظَ[٣] أوقاتِ الأكل، فأَمَّنُوه على ذلك بقولهم: **يَرْتَعْ**، أي يأكل. وخاف عليه[٤] أن يُكَلِّفوه أمرًا يَشُق عليه ويَشتدّ، فأَمَّنوه أيضًا على ذلك[٥] بقولهم: **ويلعب**، لأنه[٦] ليس في اللعب مشقة ولا شدة. فخاف عليه الضَّياع بالوجوه التي ذكرنا،[٧] فأَمَّنوه على تلك الوجوه كلها حتى استنقذوه من يديه. وقوله: **يَرْتَعْ ويلعبْ**، قال بعضهم: **يَرْتَعْ**: يأكل،[٨] **ويلعبْ**: يَلْهُ. كأنه خرج جوابًا لقوله:[٩] إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ،[١٠] قالوا له: لا تحزن عليه فإنه يَرْتَع ويلعب، على التقديم والتأخير. وقال بعضهم: **يَرْتَعْ**: يَنْشَطْ،[١١] ويلعبْ: يَتَلَهَّ.[١٢] وقُرئ بالنون: نَرْتَع ونلعب.[١٣] قال القُتَبي: نَرْتَعْ: أي نأكل؛ يُقال: رَتَعت الإبل، إذا رَعَت، وأَرْتَعْتها، إذا تركتها تَرعى. ويُقرَأ:[١٤] نَرْتَعِ، بكسر العين. والمراد منه أن نَتَحَارَس[١٥] ويَرعى[١٦] بعضُنا بعضًا، أي يحفظ[١٧] [بعضُنا بعضًا].

---

[١] ك: حفظهم.
[٢] ك ن: بقوله؛ ع + بقوله.
[٣] م: حفظه.
[٤] ع م: قلبه.
[٥] ك: فأمنوه على ذلك أيضا.
[٦] ن + لأنه.
[٧] ع م: ذكر.
[٨] م - يأكل
[٩] م - لقوله.
[١٠] الآية التالية.
[١١] م: ينبسط.
[١٢] م: يتلهى.
[١٣] ع: يرتع ويلعب. قرأ من الأئمة العشرة نافع وأبوجعفر بالياء وكسر العين: يَرْتَعِ ويلعبْ، وقرأ ابن كثير بالنون وكسر العين: نَرْتَعِ ونلعبْ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون وإسكان العين: نَرْتَعْ ونلعبْ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلَف بالياء وإسكان العين: يَرْتَعْ ويلعبْ. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٣.
[١٤] ع: ونقرأ.
[١٥] ك: أن يتحارس.
[١٦] ن + يقال رتعت الإبل إذا رعت وأرتعتها إذا تركتها ترعى.
[١٧] م: يحفظه.

ومنه يُقال: رَعَاك[1] الله، أي حفظك الله.[2] وقوله:[3] **يَرْتَعْ ويلعبْ**، قالوا:[4] يلعبْ فيما يَحِلّ ويَسَع مِن نحو الاستِباق وغيره. وهو ما ذكروا: إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا.[5] واللعب في مثل هذا يحلّ. وقد رُوي أيضًا في الخبر أنه قال: «لا يحلّ اللعب إلا في ثلاث -وفيه- مُعالَجة الرجلِ فَرَسَه أو قَوْسَه ومُلاعبة[6] الرجلِ امرأتَه»،[7] أخبر أنه لا يحل إلا ثلاث. ***والله أعلم***.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **قال إني لَيَحْزُنُني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب**. **قال إني لَيَحْزُنُني**، عند الواقع به والغائب عنه من النعمة التي أنعمها عليه، لأنه[8] كان نعمة عظيمة له. فات النظرُ إليه فذَكَر الحزن على ما فات عنه، وذَكَر الخوف لِما خاف وقوعَه في وقتٍ يأتي وما سيقع.[9] فهذا تفسير قوله: وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ،[10] لا يحزنون[11] لأنه موجودٌ لِلحال غيرُ فائت، ولا خوف عليهم، أي لا يخافون فوته لأنّ خوفَ فوتِ النعمة يُنَغِّص[12] على صاحبه النعمة، فأَمَّنهم على ذلك. وهو ما ذكرنا أن الحزن يكون بالواقع للحال، والخوف على ما سيقع. ***والله أعلم***.

وقوله: **وأخاف أن يأكله الذئب**، قال بعض أهل التأويل: كان يعقوب عليه السلام رأى في المنام أنّ يوسف أخذه الذئب،[13] فمِن ثَمّ[14] قال: **وأخاف أن يأكله الذئب**. لكن هذا لا يحتمل،

---

[1] ن ع: أرعاك.

[2] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢١٢.

[3] م: قوله.

[4] م: وقالوا.

[5] سورة يوسف، ١٧/١٢.

[6] ع: وملاغبة.

[7] روي نحوه. فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «... كُلُّ ما يَلْهُو به الرجل المسلم باطل إلّا رَمْيَه بقوسه وتأديبَه فرسَه ومُلاعبتَه أهلَه، فإنهنّ مِن الحق» (*سنن أبي داود*، الجهاد ٢٣؛ و*سنن الترمذي*، فضائل الجهاد ١١). وصحّحه الترمذي، وهذا لفظه.

[8] أي لأن يوسف عليه السلام.

[9] أي وخاف ما سيقع.

[10] ورد ذلك في آيات كثيرة. منها قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة البقرة، ٦٢/٢).

[11] م - لا يحزنون.

[12] ع م: ينقص.

[13] ذُكِر عن الكَلْبي. انظر: *تفسير القرطبي*، ١٤٠/٩؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٩٥/١٢.

[14] ن ع م: فمن ثمه.

لأنّ رؤيا الأنبياء أكثرها[١] حق وصِدق،[٢] فلا يحتمل أنْ رأى ذلك ثم يقول: **أخاف أن يأكله الذئب**، / أو يَدَعه يذهب معهم. لكنه خاف عليه أكل الذئب على ما يُخاف على الصبيان في المَفاوِز [٣٥٨ظ] والبَرارِي؛ إذ الخوف على الصبيان في المَفاوِز والبَرارِي والضَّياعُ عليهم يكون بالذئب أكثرَ مِن وجهٍ آخَر. لأنه جائزٌ أنْ يَفتَرِسَه سَبُعٌ مِن السِّباع عند مُغَافَصَةِ[٣] إخوته واشتغالهم بما ذكر من الاستباق، ولا يحتمل[٤] الضَّياع من الناس يأخذه واحد مِن بَيْن نَفَر. وقال بعض أهل التأويل: إن قوله: **وأخاف أن يأكله الذئب**، كناية عن بَنِيه، أي أخاف أن تُهلكوه وتُضيِّعوه.[٥]

* فإن قيل في قوله: / **وأخاف أن يأكله الذئب**، كيف خاف[٦] ذلك وقد قال له يعقوب: [٣٥٨ظ س ٣٩ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ،[٧] الآية، أنبأه أنه يجتبيه ويعلمه من تأويل الأحاديث[٨] ويتم نعمته عليه،[٩] فكيف خاف عليه[١٠] أكل الذئب والضياع[١١] وذلك لا يحتمل أن يقول له إلا بعلمٍ مِن الله والوحيِ إليه؟

قيل: يحتمل أن يكون ما ذكر على شرط الخوف أنه يخاف مما ذكر فيكون له ما قال من الاجتباء وتعليم الأحاديث وإتمام النعمة عليه.[١٢] أو خاف ذلك على ما خافوا جميعًا -على[١٣] ما هم عليه من الدين- وإن عُصِموا[١٤] عما خافوا جميعًا. حيث قال إبراهيم: رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[١٥] ومعلوم أنّ إبراهيم لا يعبد الأصنام،

---

[١] ع: أكثر.
[٢] م: صدق وحق.
[٣] غافَصَ الرجلَ مُغافصةً وغِفاصًا: أخذه على غِرَةٍ فرَكِبه بمَساءة... وفي نوادر الأعراب: أخذتُه مُغافصةً، أي أخذتُه مُعَازَّةً (*لسان العرب* لابن منظور، «غفص»). ولعل المقصود بذلك المُصارَعة والمُغالَبة والملاعبة على ما تقع بين الإخوة.
[٤] ن ع م: لا يحتمل.
[٥] ك: أن يهلكوه ويضيعوه.
[٦] ع م – خاف.
[٧] سورة يوسف، ٦/١٢.
[٨] ع + ويتم عليك نعمته وعلى آل يعقوب الآية أنبأه أنه يجتبيه ويعلمه من تأويل الأحاديث.
[٩] ع: عليك؛ م: ويتم عليك نعمته.
[١٠] ن ع م – عليه.
[١١] ع: بالضباع.
[١٢] ع – عليه.
[١٣] م – على.
[١٤] م: اعتصموا.
[١٥] سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.

وقال يوسف: تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ،[1] وأمثاله.[2] وهو[3] ما ذكرنا في غير موضع[4] أنّ العصمة لا تُزيل الخوف ولا تؤمن عن ارتكاب مُضادّاته، بل يَزيد الخوفَ على ذلك.
[٣٥٩و س٩] وعلى ذلك[5] الأخيار والأبرار كان خوفُهم وإشفاقُهم على دينهم أكثرَ مِن غيرهم. **والله أعلم**.*

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **قالوا لَئِنْ أكله الذئب ونحن عُصْبَةٌ إنا إذًا لخَاسرون**، تأويله[6] –والله أعلم– **لَئِنْ أكله الذئب ونحن عُصْبَةٌ**، أي جماعة، **إنّا إذًا لخَاسرون**، أي كأنا نحن سلّمناه إلى الذئب وعرّضناه للضّياع. هذا –والله أعلم– معنى الخسران الذي ذكروا. وإلّا لم يلحقهم الخسران إذا أكله الذئب؛ لأنه إذا كان بهم قوة المنع فلم يمنعوه فكأنهم ضيّعوه.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **فلمّا ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غَيَابَة الجُبّ**، **غَيَابَة الجُبّ**[7] قد ذكرنا.[8]

وقوله عز وجل: **وأوحينا إليه لَتُنَبِّئَنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**، يحتمل قوله: **أوحينا إليه**، وَحْي نبوة، أو وَحْي بِشارة النجاة[9] من ذلك الجُبّ، أو بِشارة المُلك له والعزّ. ثم قوله: **لَتُنَبِّئَنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**، قال بعضهم: هو قول يوسف حيث قال لهم: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ –الآية– قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهٰذَا أَخِي،[10] هذا الذي نبّأهم يوسف، **وهم لا يشعرون** بذلك. ويشبه أن يكون قوله: **وأوحينا إليه**، أي إلى يعقوب، **لَتُنَبِّئَنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**. ويكون قوله: **لَتُنَبِّئَنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**،

---

[1] سورة يوسف، ١٠١/١٢.
[2] ع م: ومثاله.
[3] م: هو.
[4] انظر مثلا تفسير الآية من سورة النساء، ١٠٥/٤.
[5] ك م – وعلى ذلك.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ١٧، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٨ظ/سطر ٣٩-٣٥٩و/سطر ٩.
[6] م: وتأويله.
[7] ع م – غيابة الجب.
[8] نظر تفسير الآية من سورة يوسف، ١٠/١٢.
[9] ع: النجارة.
[10] سورة يوسف، ٨٩/١٢-٩٠.

هو ما قال لهم: يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ،[١] الآية، أمرهم أن يطلبوه ويتحسسوا مِن أمره، كأنّه عَلِم أنه حي لقوله:[٢] **وأوحينا إليه لَتُنَبِّئَنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**،[٣] أنه حي. ألا ترى أنه قال: إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ.[٤] ولهذا قال حين ألقى الثوب على وجهه فارتدّ[٥] بصيرًا: إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.[٦] وذلك تأويل قوله: **وهم لا يشعرون**، إن كانت الآية في يعقوب. وإن كانت في يوسف فهو ما ذكرنا. ***والله أعلم***.[٧]

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾[١٦] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **وجاءوا أباهم عِشاءً يَبكون**، الآية، في الآية دلائل. أحدها أنّ مَن ارتكب[٨] صغيرة فإنه يُخاف عليه التعذيب ولا يصير كافرًا، ومَن ارتكب كبيرة لم يَخرج[٩] من الإيمان؛ لأن إخوة يوسف هَمُّوا بقتل يوسف أو طَرْحِه في الجُبِّ والتغييبِ عن وجه أبيه وإخلائِه عنه، وذلك لا يخلو[١٠] منهم إمّا أن يكون[١١] صغيرة أو كبيرة. فإن كانت صغيرة فقد استغفروا عليها بقولهم:[١٢] يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا،[١٣] الآية؛ دل أنهم إنما استغفروا لما خافوا العذاب عليها. وإن كانت كبيرةً فلم يخرجوا من الإيمان[١٤] حيث صاروا أنبياء[١٥] مِن بعدُ وصاروا قومًا صالحين حيث قالوا: وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ.[١٦]

---

[١] سورة يوسف، ٨٧/١٢.
[٢] ن ع: كقوله.
[٣] م – هو ما قال لهم يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الآية أمرهم أن يطلبوه ويتحسسوا من أمره كانه علم أنه حي لقوله وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون.
[٤] سورة يوسف، ٩٤/١٢.
[٥] م: وارتد.
[٦] سورة يوسف، ٩٦/١٢.
[٧] ك + بذلك.
[٨] ن – ارتكب.
[٩] ع م: لم تخرج.
[١٠] ك ن: لا يخ.
[١١] ن ع م: أن تكون.
[١٢] م: بقولهم.
[١٣] سورة يوسف، ٩٧/١٢.
[١٤] ن: عن الإيمان.
[١٥] م: أبناء.
[١٦] سورة يوسف، ٩/١٢.

دل ما ذكرنا على نقض[1] قول المعتزلة في صاحب الصغيرة أنْ لا تعذيب عليه، وصاحبِ الكبيرة أنه يخرج[2] من الإيمان، ونقضِ قول الخوارج في قولهم: إنه إذا ارتكب كبيرة أو صغيرة صار به كافرًا مشركًا. وفيه نقضُ قولِ مَن[3] يقول: إنّ مَن كذب متعمّدًا[4] أو وعد فأخلف[5] أو اؤتمن[6] فخان يصير منافقًا. لأن إخوة يوسف اؤتمنوا[7] فخانوا، ووعدوا فأخلفوا، وحدّثوا فكذبوا فلم يصيروا منافقين؛ لأنهم قالوا: **أكله الذئب**، و لم يأكله،[8] وهو كذب. واؤتمنوا فخانوا حين أَلْقَوْه في الجُبّ. ووعدوا أنهم يحفظونه و لم يحفظوه.

فإن قيل: رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاثٌ مِن علامات النفاق: مَن إذا حدّث[9] كذب، وإذا اؤتمن[10] خان،[11] وإذا وعد[12] أخلف».[13] فكيف يُوفَّق بين الآية[14] والخبر، إذ هو لا يحتمل النسخ لأنه خبر، والخبر لا يحتمل النسخ؟

قيل: يشبه أن يكون هذا في قوم خاصّ مِن الكَفَرَة اؤتمنوا بما أُودِع في التوراة مِن بعثِ محمد فغيّروه، ووعدوا أن يبيّنوه فأخلفوا وكتموه، وحدّثوا أنهم بيّنوه[15] فكذبوا. أو يصير[16] منافقًا بما ذُكر إذا كان ذلك في أمر الدين، وأمّا في غيره فإنه لا يصير به منافقًا، ولا يكون تلك مِن أعلام المنافق. *والله أعلم*.

---

[1] ع – نقض.

[2] ع – يخرج؛ م: خرج.

[3] ع – من.

[4] ع م – متعمدًا.

[5] م: وأخلف.

[6] ع م: وائتمن.

[7] ع: أو ائتمنوا.

[8] ك: ولما أكله.

[9] م: إذا احدث.

[10] ع: وأو ائتمن.

[11] ك ن ع: فخان.

[12] ك: فإذا وعد.

[13] ك ن ع: فأخلف. والحديث رُوي بلفظ أحسن مما في المتن: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» (*صحيح البخاري*، الإيمان ٢٤؛ وصحيح *مسلم*، الإيمان ١٠٧).

[14] ع: يوق بين الآلة.

[15] ن: يبينوه.

[16] ن: ويصير؛ م: فيصير.

[٣٥٩و س٩ * وقوله عز وجل: **ذهبنا نَسْتَبِق**، قال بعضهم:[١] نشتدّ إلى الصيد. وقال أبو عَوْسَجَة: **نَسْتَبِق**، هذا من السِّباق، أي يَعْدُون حتى يَنظروا أيُّهم[٢] يَسْتَبِق،[٣] أي يتقدّم مِن صاحبه ويَغلبه في العَدْو. وقال القُتَبي: **نَسْتَبِق**، أي نَنْتَضِل:[٤] يُسابِق بعضُنا بعضًا في الرمي، يُقال: سابَقْتُه فَسَبَقْتُه.[٥] *والله أعلم.* * ٣٥٩و س١٢]

وقوله عز وجل: **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**، هذا القول منهم له في الظاهر عظيم؛ لأنهم قالوا: **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**، ولا يحتمل[٦] أن يكونوا عنده صَدَقَةً[٧] ثم يُكذِّبهم. يكون نبي من الأنبياء يَعلم صِدقَ إنسان ثم لا يُصدِّقه، هذا بعيد. لكن يحتمل قولهم: **وما أنت بمؤمن لنا**، في هذا، **ولو كنا صادقين**، عندك مِن قبلُ في غير هذا. أو يكون قوله: **وما أنت بمؤمن لنا**، أي تتّهمنا ولا تصدّقنا، لأنه اتّهمهم حيث[٨] قال: إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ،[٩] فاعترَضَت له التُّهمة. وليس في الاتّهام تكذيب، إنما فيه[١٠] الوَقْف؛ لأن مَن ائتَمن آخَرَ في شيء ثم اتّهمه فيه لا يكون في اتّهامه إياه تكذيبُه. فعلى ذلك قولهم: **وما أنت بمؤمن لنا**، أي تتّهمنا لِما سبقت من التُّهمة، **ولو كنا صادقين**. على هذين[١١] الوجهين يخرج تأويل[١٢] الآية. وإلّا لم يَجُز أن يكون نبي مِن الأنبياء يُكذِّب مَن يَعلم أنه صادق في خبره وقولِه.*

---

[١] ك + أي.
[٢] ع: إليهم.
[٣] م: يسق.
[٤] ع: نتضل. انتضل القوم أي تسابقوا في الرمي بالسهام (*لسان العرب* لابن منظور، «نضل»).
[٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢١٣.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٩و/سطر ٩-١٢.
[٦] ن: لا يحتمل.
[٧] جمع صادق، مثل كاذب وكَذَبَة.
[٨] ع: هذا.
[٩] سورة يوسف، ١٣/١٢.
[١٠] ع: إنما هو فيه؛ م: إنما هو في.
[١١] ن: على هذا.
[١٢] ع: دلائل.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١٣، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٨ظ/سطر ٣٩-٣٥٩و/سطر ٩. ووقع بعد ذلك مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٩و/سطر ٩-١٢.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وجاءوا على قميصه بدمٍ كَذِب**، الدم لا يكون كَذِبًا، ولكنه[١] -والله أعلم- جاءوا[٢] على قميصه بدمٍ قد كذبوا فيه أنه دمُ يوسف وأنّ الذئب أكله و لم يكن. وقال الفَرّاء: **بدمٍ كَذِب**، بدمٍ[٣] مكذوب، والعرب قد تَستعمل[٤] المصدر في موضع المفعول.[٥] ثم قال: **بل سَوَّلَتْ لكم أنفسكم**، أي زيّنت لكم أنفسكم، والتَّسْوِيل هو التزيين[٦] في اللغة. وتأويله -والله أعلم- أي زيّنت لكم أنفسكم ودَعَتْكم[٧] إلى أمرٍ تَفصِلون وتُفرّقون بيني وبين ابني. لكِنّا لا تعلم ما ذلك الأمر الذي زيّنت أنفسهم لهم. ويشبه أن يكون ذلك قوله: يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا.[٨] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فصبرٌ جميلٌ**، يحتمل وجهين. يحتمل[٩] **صبرٌ** لا جَزَعَ فيه، **جميلٌ** نَرضى بما ابتُلِينا به، لأن الصبر هو كَفّ النفس عن الجَزَع.[١٠] والثاني **صبرٌ**، كَفّ النفس عن الجَزَع، **وجميلٌ** لا مكافأة فيه. *والله أعلم*.[١١]

وقوله عز وجل: **والله المستعان**[١٢] **على ما تَصِفون**،[١٣] أي وبالله أستعين على الصبر بما تَصِفون. أو يقول:[١٤] به أستعين على ما تقولون من الكذب حين تزعمون أن الذئب أكله ونحوه.

---

١ م: لكنه.

٢ ع: وجاؤا.

٣ م – بدم.

٤ ع م: يستعمل.

٥ *معاني القرآن* للفراء، ٣٥١/١.

٦ ع: اليرنين.

٧ ع: ودعيكم.

٨ سورة يوسف، ٥/١٢.

٩ ع م – يحتمل.

١٠ م + بذلك وجميل لا مكافأة فيه لأنهم بما فعلوا بيوسف كانوا مستوجبين للمكافأة فقال صبر كف النفس عن الجزع بذلك وجميل لا مكافأة فيه والله أعلم.

١١ م – والثاني صبر كف النفس عن الجزع وجميل لا مكافأة فيه والله أعلم.

١٢ ع + لأنهم بما فعلوا يوسف كانوا مستوجبين المكافات فقال صبر كف النفس عن الجزع بذلك وجميل لا مكافأة فيه والله أعلم وقوله عز وجل والله المستعان.

١٣ ع م + الآية.

١٤ ك ن ع + أي.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وجاءت سيارة**، السيّارة هي جماعة السائرين كالمسافرين،[١] **فأرسلوا وَارِدَهم**، الوارد[٢] هو طالب الماء ومُسْتَقِيه، **فأَدْلَى دَلْوَه**، أي أرسل دَلْوَه في البئر [فـ]وَجَدَه.[٣] **قال يا بُشْرَى هذا غلام**، قال بعضهم: **بُشْرَى** هو اسم ذلك الرجل الذي[٤] كان مع المُدْلِي الدَّلْو، فقال له: **يا بُشْرَى هذا غلام**، كما يقال: يا فلان، هذا غلام. وقال بعضهم: هو من البِشارة، كأنه قال له:[٥] أَبْشِرْ بهذا الغلام. وفي بعض القرآت:[٦] يا بُشْرَايَ،[٧] على الإضافة إلى نفسه.[٨] فكأنه بَشَّر نفسه، أي البُشْرَى لي بهذا الغلام. ويشبه أن يكون هذا كناية كلامٍ كان هنالك، لكن[٩] لم يبيّن لنا ذلك. والله أعلم بذلك. كقوله: وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ،[١٠] أخبر أنه أقسم، لكن لم يبيّن لنا[١١] ما ذلك القَسَم.

وقوله عز وجل: **وأَسَرُّوه بضاعة**، قال بعضهم: الإسرار هو اسم الإخفاء والإظهار جميعًا، كقوله: وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ،[١٢] أي أظهروا الندامة. فإن كان ما ذُكر أنه اسم لهما جميعًا فكأنه قال: أَظهروه[١٣] بضاعةً. فإن كان[١٤] على حقيقة الإخفاء والإسرار فهو على الإضمار كأنه قال: وأَسَرُّوا على ما كان وأَظهروا بضاعة لئلا يَطلب أصحابهم[١٥] في ذلك شِرْكَة. **والله عليم بما يعملون**، أي **عليم** بما عَمِل إخوةُ يوسف بيوسف.[١٦] أو **عليم** بما عَمِل السيّارة مِن الإسرار والإظهار. ***والله أعلم.***

---

[١] ع م: كالمسافر.
[٢] ك – الوارد.
[٣] ك ن ع: وجدوه.
[٤] م – الذي.
[٥] م – له.
[٦] ع: القرااة؛ م: القراة.
[٧] م: يا بشرى اي.
[٨] قرأ من الأئمة العشرة عاصم وحمزة والكسائي وخلف: يا بُشْرَى، وقرأ الباقون: يا بُشْرَايَ. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٣.
[٩] م – لكن.
[١٠] سورة الأعراف، ٧/٢١. والآية في قَسَم إبليس لآدم وحوّى عليهما السلام.
[١١] ك + ذلك.
[١٢] سورة سبأ، ٣٤/٣٣.
[١٣] ن ع م: أظهروا.
[١٤] ك: وإن كان.
[١٥] ع: أصابهم.
[١٦] م: يوسف.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وشَرَوْه بثمنٍ بَخْسٍ**، أي باعوه بثمنٍ بَخْسٍ،[١] **دراهمَ معدودةٍ**، قال بعضهم: البَخْس هو النقصان، أي باعوه بثمنٍ لا يُباع مثلُه بمثله. وقال بعضهم: البَخْس: الظلم. باعوه[٢] ظلمًا وأخذوا ثمنه ظلمًا، لأنهم باعوا حرًّا، وبيعُ الحر[٣] حرام، وأخذوا ثمنه ظلمًا حرامًا، لأن ثمن الحر حرام. وقال بعضهم: **بثمنٍ بَخْسٍ دراهمَ**، أي دراهم نَبَهْرَجَة[٤] وزَيْف. **وكانوا فيه من الزاهدين**، أي كانت السيّارة في يوسف مِن الزاهدين حيث باعوه[٥] بثمن الدُّون والنقصان بما لا يُباع مثلُه[٦] بمثل ذلك الثمن خشيةَ أنْ يجيئهم طالبٌ لِما عَلِموا أنّ مِثلَ هذا لو كان مملوكًا لا يُترَك[٧] هكذا لا يُطلَب، فباعوه بأدنى ثمن يكون لهم لا كما يبيع الرجل مِلكَه على رغبةٍ مِنه خشيةَ الطلب والاستنقاذ مِن أيديهم. وقال عامة أهل التأويل: قوله: **وشَرَوْه بثمنٍ**، أنّ إخوة يوسف هم الذين باعوه مِن السيارة بثمن **بَخْسٍ دراهمَ** [٣٥٩ظ] **معدودةٍ وكانوا فيه من / الزاهدين**،[٨] أي لم يعرفوا مَنْزلته ومكانه. والأول أشبه. وقوله: **وكانوا فيه من الزاهدين**، أي[٩] كانوا في شرائه من الزاهدين لِما خافوا ذهاب الثمن[١٠] إن كان مسروقًا.

[٣٥٩ظ س١٠] * وقال[١١] أهل التأويل: إنه بِيع بعشرين درهمًا أو بعشرين[١٢] ونَيِّف. ذلك مما لا يُعلَم إلا بخبرٍ سِوَى أنّ فيه أنه بِيع بثمن الدُّون والنقصان بقوله:[١٣] **بَخْس**. والبَخْس هو النقصان، يُقال: بَخَسْتُه أي نَقَصْتُه، كقوله: وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ،[١٤] أي لا تنقصوا، وهو ما قال: وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ [٣٥٩ظ س١٣] وَالْمِيزَانَ.[١٥] وقيل: البَخْس: الظلم والحرام. وقد ذكرنا. *والله أعلم*.*

---

[١] ع – بخس.
[٢] ن ع م: باعوا.
[٣] م: حرامًا وبيع الحرام.
[٤] درهم بَهْرَج ونَبَهْرَج أي رديء، فِضّته رديئة. مأخوذ من اللغة الفارسية (*لسان العرب* لابن منظور، «بهرج»).
[٥] ع م: باعوا.
[٦] ع: مثل.
[٧] ن ع: لا يتزل.
[٨] ن + أي كانوا فيه من الزاهدين.
[٩] ك – أي؛ ن ع – أي لم يعرفوا منزلته ومكانه والأول أشبه وقوله وكانوا فيه من الزاهدين أي.
[١٠] ع م: أي خافوا من الثمن.
[١١] م: وقول.
[١٢] ك – أو بعشرين.
[١٣] ع: بقول.
[١٤] سورة الأعراف، ٨٥/٧.
[١٥] سورة هود، ٨٤/١١.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٩ظ/سطر ١٠-١٣.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **وقال الذي اشتراه مِن مِصرَ لامرأته أكرِمِي مَثْوَاه**، أي مقامه ومنزلته. **عسى أن ينفعنا**، إن صَدَق التجار أنه بضاعة عندهم، **أو نتخذه ولدًا**، إن ظَهَر أنه مسروق وأنه حر، لِما وَقَع عندهم أنّ البضاعة لا تُباع بمثل ذلك الثمن الذي باعوه.

وقوله:[١] **وكذلك مَكَّنَّا لِيوسف في الأرض**، تأويله:[٢] كما مَكَّنَّا لِيوسف[٣] عند العزيز وامرأته كذلك تُمَكِّنُك[٤] عند أهل الأرض. ولكن ذكر **مَكَّنَّا** على الخبر لأنه كان مُمَكَّنًا في ذلك[٥] اليوم عند العزيز والمَلِك. ويشبه أن يكون قوله:[٦] **مَكَّنَّا**، أي كذلك جعلنا ليوسف مكانًا ومنزلةً عند الناس وفي قلوبهم مكانَ ما خَذَله إخوتُه ولم يعرفوا مكانه ومنزلته، وبَعْدَ[٧] ما كان شِبْهَ المملوك عند أولئك. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ولِنُعَلِّمَه مِن تأويل الأحاديث**، هذا قد ذكرناه[٨] فيما تقدم.[٩]

وقوله عز وجل: **والله غالب على أمره**، أي لا مَرَدَّ لقضائه، إذا قضى أمرًا كان، كقوله:[١٠] ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾،[١١] **ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون**.*

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ولمّا بلغ أَشُدَّه**، الأَشُدّ هو اشتداد كل شيء ونهايةُ كلِّ نوع[١٢] في الكمال. يحتمل **أَشُدَّه**: انتهاء بلوغه، أو انتهاء[١٣] شبابه، أو انتهاء عقله في التمام، لا يخلو من هذه الوجوه الثلاثة.

---

[١] ك ن ع - وقوله.
[٢] ك ن + والله أعلم.
[٣] ع - تأويله كما مكنا ليوسف.
[٤] ع: يمكنك.
[٥] م: في هذا.
[٦] ع م: قولنا.
[٧] م: بعد.
[٨] ن: قد ذكرنا.
[٩] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٦/١٢.
[١٠] ع م: لقوله.
[١١] سورة الرعد، ٤١/١٣.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٩ظ/سطر ١٠-١٣.
[١٢] م: ونهاية كانوا.
[١٣] ع م: وانتهاء.

وقول أهل التأويل: [الأَشُدّ] مِن[1] ثماني عشرة سنة إلى أربعين،[2] لأنه به[3] يَتِمّ ويَكْمُل كلُّ نوعٍ مِن ذلك إلى ذلك. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **آتيناه حُكمًا وعِلمًا**، يحتمل[4] قوله: **حُكمًا**، الحكم بين[5] الناس، والعِلم في الحكم. ويحتمل قوله: **حُكمًا**، أي أعطيناه النبوة، **وعِلمًا**، عِلم الأحاديث وتأويلها على ما تقدم ذكره.[6] أو أن يكون إذا أعطاه الحكم أعطاه العلم[7] وإذا أعطاه العلم أعطاه الحكم.

وقوله[8] عز وجل: **وكذلك نجزي المحسنين**، يحتمل الإحسان في الأعمال، أي عَمِل أعمالا حسنة صالحة. ويحتمل الإحسان إلى الناس، أي أحسن إليهم. أو أحسن إلى نفسه. لا يخلو[9] من هذه الأوجه الثلاثة. أو أن يكون[10] قوله: **وكذلك نجزي المحسنين**، أي كذلك نجزي مَن أحسن صُحبةَ نِعَمِ الله وإحسانِه وقام بشكر ذلك. **وكذلك**، أي مِثل الذي جَزَى[11] يوسف، لا يريد أنه يجزي[12] غيره عين ما جزى يوسف، ولكن يجزيه جزاء الإحسان.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **ورَاوَدَتْه التي هو في بيتها عن نفسه**، دلّ قوله: **في بيتها**، أن البيت قد يجوز أن يضاف إلى المرأة وإن كان[13] البيت في الحقيقة لزوجها على ما أضاف بيت زوجها إليها.

وقوله عز وجل: **ورَاوَدَتْه التي هو في بيتها عن نفسه**، المُرَاوَدَة قيل: هي الدعوة والطِّلْبة. **رَاوَدَتْه**، أي دَعَتْه إلى نفسها.[14] وقال أهل التأويل: **رَاوَدَتْه**، أي أرادته.

---

[1] ع م – من.
[2] انظر للأقوال في ذلك: تفسير *الطبري*، ١٧٦/١٢–١٧٨؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥١٨/٤.
[3] ع – به.
[4] ع م – يحتمل.
[5] ن ع م: من.
[6] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٦/١٢.
[7] ع – العلم.
[8] ع: قوله.
[9] ك: لا يخ؛ ن ع: لا تخلوا؛ م: لا تخلو.
[10] م: من أوجه ثلاثة أو يكون.
[11] ن ع م: جزاء.
[12] ن: نجزي؛ م: أن يجزي.
[13] ن ع: كانت.
[14] م: إلى نفسه.

وغَلَّقت الأبواب وقالت هَيْتَ لك، قيل: إن هذه كلمة[١] أُخِذَت مِن الكتب المتقدمة ليست بعربية، ونحن لا نعرف ما أرادت بها. لكن أهل التأويل[٢] قال بعضهم: هَلُمَّ لك. وقال بعضهم: تَهَيَّأْتُ لك. وفي بعض القراآت: هِئْتُ لك، بالهمز،[٣] ومعناه ما ذكرنا، أي تَهَيَّأْتُ لك. ويشبه أن يكون قوله: **هَيْتَ لك**، هَا أَنَا لك.

قال مَعَاذَ الله، أي أعوذ بالله وألجأ إليه، **إنه ربي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**، قال أهل التأويل: **ربي**، أي سيدي الذي اشتراني،[٤] **أَحْسَنَ مَثْوَايَ**، أي أكرم مقامي ومكاني. دليله قوله لزوجته: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ.[٥] هذا يدل أن قوله: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، أي أحسني مثواه. ولكن يشبه أن يكون أراد بقوله: **إنه ربي أَحْسَنَ مَثْوَايَ**، ربه الذي خَلَقَه. وقوله عز وجل: **إنه لا يفلح الظالمون**، بظلمهم وقتَ ظُلمهم. والمَثْوَى: الموضع الذي يُثْوَى فيه، والثَّواء[٦] المُقام،[٧] والثَّاوِي: المُقِيم. و **مَعَاذَ الله**، قيل: أعوذ بالله وألجأ إليه وأتحصّن به. أو **لا يفلح الظالمون**، إذا خُتموا بالظلم، وأما إذا انْقَلَعُوا عنه فقد أفلحوا.[٨]

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **ولقد هَمَّتْ به وهَمَّ بها لولا أنْ رأى برهان ربه**، أما ما قاله أهل التأويل: إنها استَلْقَتْ[٩] له **وهَمَّ بها**، أي حَلَّ سراويله وأمثال هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يَحِلّ أن يُقال فيه شيء مِن ذلك. والدلالة على فساد ذلك مِن[١٠] وجوه.[١١] أحدها قوله: هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي،[١٢] ولو كان منه الإرادة والمُرَاوَدَة لم يكن لِيقولَ ذلك لها ويبرّئَ نفسه مِن ذلك.

---

[١] م: الكلمة.

[٢] ن + بل.

[٣] فيها قراءات متواترة عديدة. فقرأ نافع وأبو جعفر وابن ذكوان: هِيتَ لك، وقرأ هشام: هِئْتَ لك، وقرأ هشام أيضا: هِئْتُ لك، وقرأ ابن كثير: هَيْتُ لك، وقرأ الباقون: هَيْتَ لك. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٣-٢٩٤.

[٤] جميع النسخ: اشتراه.

[٥] سورة يوسف، ٢١/١٢.

[٦] م: والثوى.

[٧] أي الإقامة.

[٨] ع – وقوله عز وجل إنه لا يفلح الظالمون بظلمهم وقت ظلمهم والمثوى الموضع الذي يثوى فيه والثواء المقام والثاوي المقيم ومعاذ الله قيل أعوذ بالله وألجأ إليه وأتحصن به أو لا يفلح الظالمون إذا ختموا بالظلم وأما إذا انقلعوا عنه فقد أفلحوا.

[٩] م: اسلقت.

[١٠] ن ع م – من.

[١١] ن ع: وجوها، ن ع + منصوب بنزع الخافض.

[١٢] سورة يوسف، ٢٦/١٢.

والثاني قوله: **كذلك لِنَصْرِفَ عنه السوء والفحشاء**، ولو كان شيء مما ذكروا مِن حَلِّ السراويل والجلوس بين رجليها لم يكن السوء مصروفًا عنه.

[٣٦٠و] والثالث قوله: ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ،[١] ولو كان/ منه ما ذكروا [لكان] قد[٢] خانه بالغيب.

والرابع قوله:[٣] مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ – وقوله[٤] – ٱلْـَٔانَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ،[٥] هذا كله يدل أنّ ما قاله أهل التأويل فاسد لا يَحِلّ أنْ يُتكلَّم فيه بشيء مِن ذلك. وليس في ظاهر الآية شيء مما قالوا لا قليل[٦] ولا كثير؛ إذ ليس فيه سِوَى أنْ هَمَّت به وهَمَّ بها.

ثم تحتمل[٧] الآية وجوهًا عندنا.[٨] أحدها **هَمَّت به**، هَمَّ[٩] عَزْمٍ، **وهَمَّ بها**، هَمَّ[١٠] خَطْرٍ. ولا صُنعَ للعبد فيما يَخْطِر بالقلب، ولا مؤاخذة عليه. وهو قول الحسن.[١١]

والثاني **هَمَّت به**، هَمَّ الإرادة والتمكُّنِ، **وهَمَّ بها**، هَمَّ دَفْعٍ. لكنه يدخل عليه قوله: **لولا أن رأى برهان ربه**، لو كان هَمُّه بها هَمَّ دَفْعٍ لم يكن لقوله:[١٢] **لولا أن رأى برهان ربه**، معنى. لكنه يشبه أن يكون **هَمَّ بها**، أي هَمَّ بقتلها،[١٣] فإذًا كان[١٤] هَمَّ بقتلها فرأى برهان ربه[١٥] فتَرَكها لِما لا يَحِلّ قتلُها.

والثالث[١٦] كان يَهُمّ بها **لولا أن رأى برهان ربه**، على الشرط، [أي] كان يَهُمّ بها لولا ما رأى مِن برهان ربه، وهو كقوله:[١٧] وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ،[١٨]

---

[١] سورة يوسف، ٥٢/١٢.
[٢] جميع النسخ: لقد.
[٣] جميع النسخ: قولها.
[٤] جميع النسخ: وقولها.
[٥] ﴿قال ما خَطْبُكُنّ إذ رَاوَدْتُنّ يوسفَ عن نفسه قُلْنَ حَاشَ لله ما عَلِمْنا عليه مِن سُوءٍ قالت امرأة العزيز الآن حَصْحَصَ الحقُّ أنا رَاوَدْتُه عن نفسه وإنّه لَمِنَ الصادقين﴾ (سورة يوسف، ٥١/١٢).
[٦] ن ع م: من قليل.
[٧] ن ع م: ثم يحتمل.
[٨] ن – عندنا.
[٩] ك + بها؛ ن + به.
[١٠] ع – هم.
[١١] *تفسير القرطبي*، ١٦٧/٩.
[١٢] م: كقوله.
[١٣] جميع النسخ: قتلها.
[١٤] م + كان.
[١٥] ع: به.
[١٦] جميع النسخ: والثاني.
[١٧] ن: وكقوله؛ ع: لولا أن رأى برهان ربه وكقوله.
[١٨] سورة الإسراء، ٧٤/١٧.

[أي] لولا ما[1] كان مِن تثبيتنا[2] إياك. وكذلك يخرج قول إبراهيم: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ،[3] أي لو كان هو الذي يَنطق لَفَعل هو.[4]

ثم اختلف في قوله: **لولا أنْ رأى برهان ربه**، قال بعض أهل التأويل: رأى يعقوب عاضًا على شَفَتَيْه. وقال بعضهم: مُثِّلَ له يعقوبُ وصُوِّرَ له فرأى عاضًا على إصبعه. وقال بعضهم:[5] رأى آيةً مِن كتاب الله: وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً،[6] الآية. هذا كله لا يُدرَى. وأصل البرهان الحجة، أي لولا ما رأى مِن حجة الله وإلا كان يَهُمّ بها. ولكن لا ندري ما تلك الحجة. والله أعلم بذلك. والبرهان هو الحجة والآية، [أي] لولا أنْ رأى حجة ربه وبرهان ربه وآياته. أو [البرهان هو] الرسالة. ويشبه الحجة، أي النبوة.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **واستَبَقَا الباب**، قال بعضهم: **استَبَقَا الباب**، استَبَقَتْ هي لِتُغلقَ[7] الباب،[8] واستَبَقَ هو لِيَخرجَ ويَفِرّ. لكن قوله: لِتُغلقَ الباب، لا يحتمل؛ لأنّ الأبواب كانت مُغلقة بقوله: وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ،[9] ولكن استَبَقَتْ هي لِتَحبسه وتمنعه، واستَبَقَ هو لِيخرج ويهرب.

وقوله عز وجل: **وقَدَّتْ قميصَه مِن دُبُرٍ**، لما جرّته لِتَحبسه.

وقوله عز وجل: **وألْفَيَا سيدَها**، أي وجدا سيدها. هذا يدل أنّ قوله: رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ،[10] لم يُرِدْ به العزيز الذي اشتراه، ولكن العزيز الذي خَلَقَه؛ لأنه قال: **سيدها**، ولم يقل: سيدهما.

* وقال[11] أبو عَوْسَجة: قوله: **وقَدَّتْ قميصَه**، أي شقت[12] / ومزقت. ومَقْدُود أي مشقوق. [٣٥٩ظ س٣٩]
مِن دُبُرٍ، أي مِن خلف، و **مِن قُبُلٍ**، أي مِن قُدّام. وهو مأخوذ من القُبُل، من قُبُل المرأة.

---

[1] ع م – ما.
[2] ع: من تثبيتا.
[3] سورة الأنبياء، ٦٣/٢١.
[4] ع – هو.
[5] ك ع + رأى برهان ربه قال بعضهم؛ ن + رأى برهان قال بعضهم؛ م + رأى برهان ربه وقال بعضهم.
[6] سورة الإسراء، ٣٢/١٧.
[7] ع: لتعليق.
[8] ك: الأبواب.
[9] سورة يوسف، ٢٣/١٢.
[10] نفس الآية.
[11] ع: قال.
[12] ع: أي شققت.

وقوله: **وأَلْفَيَا سيدها لَدَى الباب،** ولم يقل: سيدهما، فهذا يدل على[1] ما ذكرنا. **لَدَى الباب،**
٣٦٠و س٣] أي عند الباب. وهو ظاهر، أي وجدا سيدها عند الباب.*

وقوله عز وجل: **قالت ما جزاء مَن أراد بأهلك سوءًا إلا أن يُسجَن أو عذابٌ أليم،** هذا يدل أنَ الإرادة تكون مع الفعل؛ لأنها كانت لا تعلم إرادة ضميره، فإنما[2] أخبرت عما عرفت مِن الميل وإظهار الفعل. وكذلك قول إخوة يوسف: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا،[3] وكانوا[4] هم لا يَعرفون ما في ضميره مِن الحب سِوَى ما ظهر لهم منه مِن الميل إليه وإبداء الشفقة له. فهذا يدل على[5] ما ذكرنا من كون الإرادة مع الفعل. *والله أعلم.*

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [٢٦] ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٢٧]

وقوله عز وجل: **قال هي رَاوَدَتْني عن نفسي،** أي دَعَتْني. والمُرَاوَدَة قد ذكرنا[6] أنها هي الدعوة، كقوله: سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ،[7] أي سندعو[8] منه ونطلب. فإن قيل: كيف هَتَكَ سِتْرَها بقوله: **هي رَاوَدَتْني عن نفسي؟** قيل: ليس فيه هَتْكُ السِتر عليها، بل فيه نَفْيُ العيب والطعن عن نفسه. فالواجب على المرء أن يَنفي العيب وما يُشِينُه عن نفسه على ما فعل يوسف.

وقوله عز وجل: **وشَهِدَ شاهدٌ مِن أهلها إنْ كان قميصُه قُدَّ مِن** كذا فهو كذا وإن كان كذا فهو كذا مِن كذا، قال بعض أهل التأويل: ذلك الشاهد هو ابنُ عمٍ لها، رجلٌ حليم يُقال [له] كذا. وقال بعضهم: شَقُّ القميص مِن دبر هو الشاهد، وأمثاله. لكن هذا لا يُعلَم مَن كان ذلك الشاهد. وقيل: صبي في المهد. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة.

وقوله عز وجل: **إن كان قميصه قُدَّ مِن قُبُلٍ فصَدَقَتْ وهو مِن الكاذبين وإن كان قميصه قُدَّ مِن دُبُرٍ فكَذَبَتْ وهو مِن الصادقين،** هذا لأن القميص إذا كان قُدَّ مِن قُبُل[9]

---

[1] ن ع م – على.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآيتين التاليتين، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٥٩ظ/سطر ٣٩–٣٦٠و/سطر ٣.
[2] ع م: فإذا.
[3] سورة يوسف، ٨/١٢.
[4] ع: وكانو.
[5] ك ن ع – على.
[6] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٢٣/١٢.
[7] سورة يوسف، ٦١/١٢.
[8] جميع النسخ: أي سندعوا.
[9] ن – فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين هذا لأن القميص إذا كان قد من قبل.

فهو إنما يَنْقَدّ[1] مِن دَفْعِها إياه[2] عن نفسها، وإذا كان القميص مَقْدُودًا مِن دُبُر[3] فهو إنما يَنْقَدّ[4] مِن جَرِّها إياه إلى نفسها لا مِن دَفْعِها إياه عن نفسها. هذا هو الظاهر في العُرف. لذلك قال الشاهد: **إن كان قميصه قُدَّ مِن قُبُل فصَدَقَتْ فهو مِن** -كذا- **وإن كان قميصه قُدَّ مِن دُبُر فكَذَبَتْ وهو مِن الصادقِين**، فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ،[5] الآية، استدل على أنه إنما تمزّق مِن جَرِّها إياه لا مِن[6] دَفْعِها عن نفسها. ففيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد؛ لأن القميص في الغالب لا يتمزَّق مِن دُبُر إلا عن جَرٍّ[7] مِن وراء ولا مِن قُبُل[8] إلا عن دَفْعٍ[9] مِن قُدّام. لذلك دل على ما ذكرنا. *والله أعلم*. وإن كان يجوز أن يكون في الحقيقة على غير ذلك لكن نظر إلى الغالب.*

وفي قوله: **إن كان قميصه قُدَّ مِن قُبُل** -فهو كذا- **وإن كان قميصه قُدَّ مِن دُبُر** فهو مِن كذا، دلائل يُستدَل بها لِمسائلَ[10] لأصحابنا. مِن ذلك قولهم في حانوتٍ فيه لؤلؤٌ وإهابٌ تَنَازَعَ فيه دَبّاغ ولُؤلؤيّ فإنه يُقضَى باليَدِ لكلّ واحدٍ منهما في ذلك، لِلُّؤلؤيّ باللؤلؤ،[11] وللدّبّاغ بالإهاب باليَد. يُستدَل بغالب الأمر وظاهر[12] اليد، على ما قضى عليها بالمُرَاوَدَة بتَمَزُّقِ[13] القميص مِن دُبُر. وأمثالُ هذا مسائلُ يَكثُر عددها[14] يُقضَى [فيها] بالدلالة الغالبة وإن كان يجوز [أن تكون] في الحقيقة على خلاف الظاهر.

---

[1] ع م: يتقدم.
[2] ع م - إياه.
[3] ك - من دبر.
[4] ع م: يتقدم.
[5] الآية التالية.
[6] ن: لأن من.
[7] ع - جر؛ م: عن دفع.
[8] ع م: عن قبل.
[9] ن: من دفع.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة لهاتين الآيتين، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٥٩ظ/سطر ٣٩-٣٦٠و/سطر ٣.
[10] ع م: المسائل.
[11] ن - باللولو.
[12] ك: فظاهر.
[13] ن: يتمزق.
[14] ع: عددهما.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **فلمّا رأى قميصه قُدَّ مِن دُبُر قال إنه مِن كَيْدِكُنّ إنّ كَيْدَكُنّ عظيم**، يشبه أن يكون كَيْدُها أنها[١] لمّا رَاوَدَتْه[٢] عن نفسه[٣] وأَمَّنَته على إظهار ذلك وإفشائه عليه فأَفْشَتْ عليه ذلك حيث أبى إجابتها، فقالت: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا.[٤] ذلك القول مِنها مِن كَيْدِهِنّ. وأصل الكيد والمكر هو الأَخذ على الأَمْن. *والله أعلم*. وفي الآية دلائل لقول أصحابنا[٥] في المتاع يختلف فيه الزوجان، فإن كان مِن متاع الرجال فهو في يد الرجل، وإن كان مِن متاع النساء فهو في يد المرأة في قول أبي يوسف ومحمد.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **يوسف أعرض عن هذا**، يحتمل قوله: **أعرض عن هذا**، أي عن قوله: هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي.[٦] ويشبه أن يكون قوله: **أعرض عن هذا**، عن جميع ما كان بينهما، أي استر عليها ولا تَهتِك عليها سِترها.

وقوله عز وجل: **واستغفري لذنبكِ**، قال ليوسف ذلك القائل:[٧] **أعرض عن هذا**، وقال للمرأة: **واستغفري لذنبكِ إنكِ كنتِ من الخاطئين**، لما ظهر عنده أنها هي[٨] التي رَاوَدَتْه ودَعَتْه إلى نفسها.[٩] ثم اختُلف في قائل[١٠] هذا القول. قال بعضهم: هو زوجها، قال ليوسف: **أعرض عن هذا**، ولا تَهتِك عليها سِترها. لكنهم قالوا:[١١] إنه كان قليل الغِيرة. وقال بعضهم: ذلك القائل هو رجل آخر، هو ابن عمٍّ لها. وهذا أشبه. وقوله: **واستغفري لذنبك**، قال بعضهم: قال هذا لها لأنهم وإن كانوا يعبدون الأصنام فإنما يعبدونها ليقرّبوهم إلى الله زُلْفَى، حيث قال لها: **واستغفري لذنبك**. وقال بعض أهل[١٢] التأويل:

---

[١] ك - أنها.
[٢] ع م: لما راودتها.
[٣] ك ن ع: من نفسه.
[٤] سورة يوسف، ١٢/٢٥.
[٥] في نسخة ك بياض بمقدار عدة كلمات، وفي الحاشية: كذا في الأصل بياض؛ ن ع + وقوله.
[٦] سورة يوسف، ١٢/٢٦.
[٧] ع: القابل.
[٨] ع م - هي.
[٩] ع م: في نفسها.
[١٠] ن ع م: في تأويل.
[١١] م - قالوا.
[١٢] جميع النسخ: بعضهم من أهل.

قوله: **واستغفري لذنبك**، أي[1] إلى زوجكِ حيث خُنْتِيه. فإن كان التأويل هذا فذلك يدل أن القائل لذلك رجل آخر لا زوجها. فإن كان التأويل[2] هو الأول فإنه يحتمل كِلَيْهما[3] أيهما كان. *والله أعلم*.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **وقال نِسْوَةٌ في المدينة امرأة العزيز تُراوِد فتاها عن نفسه**، يشبه أن يكون استَكْتَمَت سرَّها[4] عند نِسوَةٍ في المدينة،[5] فأَفْشَيْنَ سرَّها[6] عند أهل المدينة لِيَبلغ ذلك الخبر المَلِك. أو إن لم تكن أعلمت بذلك[7] النِّسوة فلا بدّ مِن أنْ يَعلم ذلك بعضُ خَدَمِها، فالخادم أَعلمت سرّها وأَفشت عند نِسوة في المدينة، فقُلْنَ عند ذلك: **تُراوِد فتاها عن نفسه**، أي تدعو عبدها[8] إلى نفسها.[9]

وقوله عز وجل: **قد شَغَفَها حبًا**، قال بعضهم: الشَّغَاف هو حجاب القلب وغلافه. **قد شَغَفَها حبًا**، أي بلغ حبُّها إياه الشَّغَاف. ومنه يُقال: مشغوف.[10] والمشغوف قيل: المجنون حبًا، وهو من العشق. قال الحسن: الشَّغَف أن يكون قد بَطَنَ بها حبًّا.[11] والشَّغَف أن يكون مشغوفًا به. قال أبو عَوْسَجة: **شَغَفَها حبًا**، أي دخل الحب في شَغَاف القلب، وهو غطاؤه. وقال:[12] من قرأها: شَعَفَها،[13] أي ذهب بعقلها، أي عَشِقَها. لكن هذا قول أولئك النسوة، فلا ندري ما أردن بذلك، إنما ذلك خبر أخبر عن قولٍ قُلن هنّ. *والله أعلم*.

---

[1] ن ع م – أي.
[2] ع + هذا فذلك يدل أن القائل لذلك رجل آخر لزوجها فإن كان التأويل.
[3] ك: كلاهما.
[4] ن ع م: سترها.
[5] ع + امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه يشبه أن يكون استكتمت سترها عند نسوة المدينة.
[6] ن ع م: سترها.
[7] ك: تلك؛ ن ع م: ذلك.
[8] ع: عبد.
[9] م: في نقسها.
[10] ع م – الشغاف ومنه يقال مشغوف.
[11] جميع النسخ: لها حبه؛ والتصحيح من *تفسير الطبري*، ١٩٩/١٢. وانظر أيضا: *الدر المنثور* للسيوطي، ٥٢٨/٤.
[12] ن – وقال.
[13] جميع النسخ: شغفها؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٣٩٦ظ. وقد رويت هذه القراءة الشاذة عن بعض التابعين. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٠٠/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٢٨/٤، ٥٢٩. وشَعَفة القلب رأسُه عند مُعلَّق النِّياط. والشَّعَف شدة الحب... وشَعَفَني حبُّها أصاب ذلك مني... (*لسان العرب* لابن منظور، «شعف»).

وقوله عز وجل: **إنّا لَنَراها في ضلال مبين**، حيث خانت زوجها. أو **في ضلال مبين**، أي في حيرة مِن حُبه. *والله أعلم*.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **فلمّا سمعت بمكرهن**، أي بقولهن. المكر هو الأخذ في حال الأمن، وهو الخيانة[١] فيما اؤتُمِن واستُكتِم. فهذه كأنها استكتمت سرّها[٢] وحُبّها ليوسف عن الناس وأفشت ذلك لِنسوةٍ[٣] في المدينة على أن يَستَكتِمن عن الناس، فأفشَين عليها ذلك، فذلك المكر الذي سمعت. *والله أعلم*. إلى هذا ذهب بعض أهل التأويل. وأمكن أن تكون[٤] المرأة لم تُفْشِ سرّها[٥] إليهن، لكن بعض خدَمِها الذي اطَّلعت على ذلك هي التي أفشت إليهن، فأفشَين هنّ ذلك. **فلمّا سمعت** ذلك منهن **أرسلت إليهن**، إما تَنْوِيشًا[٦] ودعاء للضيافة، وإما استِزارَة يَزُرْنَها.[٧] وأما قول أهل التأويل: إن النسوة كانت امرأة الخبّاز والساقي -ولا أدري مَن ذا-[٨] فذلك لا نعلمه، وليس لنا إلى معرفة[٩] ذلك حاجة.

وقوله تعالى: **وأَعْتَدَتْ لهن مُتَّكَأً**، قال الحسن: **مُتَّكَأً**: طعامًا وشرابًا وتُكَأَة.[١٠] وقال بعضهم: الأُتْرُنْج[١١] والتُرُنْج.[١٢] وقال بعضهم: **مُتَّكَأً**: وسائد أو ما يُتَّكَأ عليه. وقال أبو عَوْسَجَة: **مُتَّكَأً**، ممدودا،[١٣]

---

[١] ك: الخيانة.
[٢] ن: سترها.
[٣] ع م: للنسوة.
[٤] ع م: أن يكون.
[٥] ن: سترها.
[٦] ع: إما تنويشاء. التَّنْوِيش لِلدعوة: الوعد وتَقْدِمَتُه (*لسان العرب* لابن منظور، «نوش»).
[٧] ع م: استزادة يزدنها.
[٨] ك ن م: من ماذا.
[٩] ك ن – معرفة.
[١٠] روي بمعناه. انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٢٠٢.
[١١] ع: الإبرنج.
[١٢] الأُتْرُنْج والتُّرُنْج لغتان في اسم الثمر المعروف (*لسان العرب* لابن منظور، «ترج»).
[١٣] جميع النسخ: ممدود.

يعني[١] هيأت المجلس وما يُتَّكَأ[٢] عليه، ومَن قرأ "مُتْكًا"[٣] مقصورا،[٤] / فهو[٥] الأُتْرُنْج[٦] والطعام[٧] [٣٦١و] على ما قال الحسن.[٨] وكذلك قال[٩] القُتَبي، قال: ويُقال: البَزْمَاوَرْد.[١٠]

وقوله عز وجل: **وآتَتْ كلَّ واحدةٍ منهن سِكِّينًا**، أي أعطت **كلَّ واحدةٍ منهن سِكِّينًا**، ظاهر. **وقالت اخرج عليهن فلمَا رَأَيْنَه أَكْبَرْنَه**، هاهنا كلامُ أنْ كيف أطاع يوسف بالخروج على النساء[١١] بقولها له:[١٢] **اخرج عليهن**، فذلك مما لا يحل. لكنه يخرج على وجوه. أحدها أنه إنما يُكرَه الدخول عليهن والخلوة بهن، وأما الخروج عليهن فهو ليس بمكروه، إذ فيه الخروج منهن، لأنه إذا خرج عليهن كان يقدر أن يخرج منهن. فكأنه[١٣] لمَا أذنت له بالخروج عليهن خرج رغبة أن يخرج مِن عندهن؛ إذ لم يكن[١٤] يقدر أن يخرج من البيت عليهن بغير إذن منها. فالأمر بالخروج عليهن أفاد له إذنًا بالخروج من البيت؛ إذ لا سبيل له إلى الخروج منه بلا إذن له منها. فخرج عليهن ثم[١٥] مِن عندهن إلى غيره من المكان، وذلك مما لا يُكرَه إذا كان مما لا سبيل إلى ما سِوَاه. ويشبه أن يكون منها الأمر بالخروج [فـ]حَسْب:[١٦] أنِ اخرُجْ،[١٧] ولم تَقُل: عليهن، ولم يَعلم[١٨] يوسف أنها إنما تأمره بالخروج على النساء، فخَرَج. لكن الله عز وجل أخبر عن مقصودها،

---

[١] ك: أعني.

[٢] ع م: ما يتكأ.

[٣] في التنزيل العزيز: ﴿وأعتدت لهن متكأ﴾، قرأ أبو رَجاء: وأعتدت لهن مُتْكًا، على وزن فُعْل، رواه الأعمش عنه. وقال الفَرّاء: واحدة المُتْك مُتْكَة، مثل بُسْر وبُسْرة، وهو الأُتْرُجّ (*لسان العرب* لابن منظور، «متك»).

[٤] جميع النسخ: مقصور.

[٥] جميع النسخ: وهو.

[٦] ن: الترنج.

[٧] جميع النسخ: وطعام.

[٨] ورويت هذه القراءة في بعض الآثار، وهي قراءة شاذة. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٢٩-٥٣٠.

[٩] ع: وقال.

[١٠] أصله: الزُمَاوَرْد، معرب، وهو طعام من البيض واللحم والعامة يقولون: البَزْمَاوَرْد (*القاموس المحيط* للفيروزآبادي، «ورد»).

[١١] ع: على الساء.

[١٢] جميع النسخ: إياه.

[١٣] ع م + أما الخروج.

[١٤] ع م - يكن.

[١٥] ع م: ثمه.

[١٦] ن: حيث

[١٧] ك ع م: اذا خرج؛ ن: اذاذا خرج.

[١٨] ع م: ولم تعلم.

وكان مقصودها[1] مِن الأمر بالخروج[2] خروجًا عليهن،[3] فأخبر عن مقصودها بقوله: **وقالت اخرج عليهن**. ومثل[4] هذا قد يكون في الكلام. وجائزٌ أن يكون قوله: **اخرج عليهن**،[5] أي عنهن. وذلك جائز في اللغة: "على" مكان "عن"، كقوله: إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ،[6] أي عن الناس. وأمثاله كثير. وفي هذه الآية دلالة أنّ مشتري يوسف كان يمنع يوسف عن أن يخرج إلى البلد والسوق وعن أنْ يخالطه[7] الناس، إمّا إشفاقًا على نفسه، أو لئلا يُفْتَنَ به النساء، أو لئلا يُطَّلَعَ على[8] نَفْسِ يوسف،[9] لِما وقع عنده أنه مسروق. فكيف ما كان ففيه أنّ على المرء[10] أن يحفظ ولده أو عبده إشفاقًا عليه.

وقوله: **فلما رَأَيْنَه أَكْبَرْنَه**، أي أَكْبَرْنَه وأَعْظَمْنَه[11] مِن حُسنه[12] أن يكون مثل هذا بشرا.[13] ألا ترى أنهن قلن: **حاشَ لله ما هذا بشرًا إنْ هذا إلا مَلَك كريم**. وقوله:[14] **وقَطَّعْن أيديَهن**، قيل: حَزًّا[15] بالسكين. وقوله عز وجل: **وقُلْنَ حاشَ لله ما هذا بشرًا إنْ هذا إلا مَلَك كريم**، **حاشَ لله**، قال أهل التأويل: أي مَعَاذَ الله. وقال بعضهم: **حاشَ لله**، كلمة تنزيه مِن القبيح. ودل هذا القول منهن أنهن كنّ يؤمنّ بالله حيث قُلْنَ: مَعاذ الله، **ما هذا بشرًا إنْ هذا إلا مَلَك كريم**. قوله: **ما هذا بشرًا إنْ هذا إلا مَلَك كريم**، كان المَلَك وإن لم يروه[16] حَسَنًا[17] عندهم،

---

[1] ع – وكان مقصودها.
[2] ك + على النساء فخرج لكن الله عز وجل.
[3] ك – خروجًا عليهن.
[4] م: وفعل.
[5] ك – ومثل هذا قد يكون في الكلام وجائز أن يكون قوله اخرج عليهن.
[6] ﴿ويل للمُطَفِّفِين. الذين إذا اكْتَالُوا على الناس يَسْتَوْفون﴾ (سورة المطففين، ٨٣/١-٢).
[7] ن ع م: ومن أن تخالطه.
[8] ن – على.
[9] ع م: يعقوب.
[10] ك + على.
[11] ع: وأحطمته.
[12] ن: من حسنهن.
[13] ن ع م: بشر.
[14] ع م – وقوله.
[15] ن ع م: قيل جزعا جزعا.
[16] جميع النسخ: لم يرونه.
[17] جميع النسخ: حسن.

يَنسِبون كلَّ حَسَنٍ إلى الملائكة، والشيطان -لعنه الله- عندهم قبيح، فنَسبوا كلَّ قبيح إليه. وقوله:[١] **بشرًا**، قرأ بعضهم: بِشِرىً[٢] بالتنوين، أي ما هذا بمشترىً.[٣]

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **قالت فذلِكُنَّ الذي لُمْتُنَّني فيه**، بقولهن: إمْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ،[٤] أي إنكن **لُمْتُنَّني فيه**، أنّي[٥] أُرَاوِدُه عن نفسه، وأنتن قطّعتنّ[٦] أيديَكنّ إذا رأيتنّ وأنكرتنّ أن يكون هذا بشرًا، فذلك أعظم.

وقوله عز وجل: **ولقد رَاوَدْتُه عن نفسه**، أي دعوته إلى نفسي، **فاستَعْصَم**، قيل: امتنع، كقوله: لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ،[٧] أي لا مانع. ويشبه قوله: **استَعْصَم**، بالله أو بدينه أو نبوته[٨] أو بعقله.[٩] هذا يدل على أنه لم يكن منه ما قال أهل التأويل مِن حَلِّ السراويل ونحوه، حيث قالت: **فاستَعْصَم**.

وقوله عز وجل: **وَلئِنْ لم يفعل ما آمُرُه**، قالت ذلك امرأة العزيز، **لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُونًا مِن الصاغرين**، يشبه أن يكون قولها: **لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُونًا**، في السجن، **من الصاغرين**. أو **لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُونًا**، مِن المُذَلِّين. الصاغر[١٠] هو الذليل. لأنه قال لامرأته: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ،[١١] فكان مُكْرَمًا عندها مُعَظَّمًا، فلمّا أَبَى[١٢] إلى ما رَاوَدَتْه فقالت: **لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُونًا مِن الصاغرين**، أي من الذليلين.

---

[١] ع م: قوله.
[٢] جميع النسخ: بشرا؛ والتصحيح من *تفسير الطبري*، ١٢/٢٠٩.
[٣] رويت هذه القراءة الشاذة عن بعض التابعين. انظر: *تفسير الطبري*، ١٢/٢٠٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٣١.
[٤] سورة يوسف، ١٢/٣٠.
[٥] ع م - أني.
[٦] م: قطعن.
[٧] سورة هود، ١١/٤٣.
[٨] ن ع م: ونبوته.
[٩] ع: أو بفعله.
[١٠] ع م: الصاغرين.
[١١] سورة يوسف، ١٢/٢١.
[١٢] ع م: أتى.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **قال ربِّ السِّجنُ أحبّ إليّ مما يَدعونَني إليه**، فيه دلالة أنه قد كان مِنهن مِن المُرَاوَدَة والدعاء ما كان مِن امرأة العزيز مِن المُرَاوَدَة والدعاء إلى نفسها، حيث قال: **السِّجنُ أحبّ إليّ مما يَدعونَني إليه**. ألا ترى أنه قال في موضع آخر: مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ.[١] وكذلك[٢] قالت امرأة العزيز: فَذٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ،[٣] أي كنتنّ لُمْتُنَّنِي[٤] فيه أنّي رَاوَدْتُه عن نفسه،[٥] وأنتنّ قد رَاوَدْتُنَّه عن نفسه. وقول يوسف: **ربِّ السِّجنُ أحبّ إليّ مما يَدعونَني إليه**، أي ذلك الذل والصَّغار **أحبّ إليّ**، أي آثَرُ عندي وأَخْيَرُ في الدين، **مما يَدعونَني إليه**، وإن كان ما يدعونه إليه تَهواه نفسه وتميل إليه وتحبه. فأخبر أن السِّجن أحبّ إليه، أي آثَرُ وأَخْيَرُ[٦] في الدين، إذ النفس[٧] تَكره السجن وتَنفر عنه. ألا ترى أنه قال: **وإلّا تَصْرِفْ عنّي كيدهن أَصْبُ إليهن وأكنْ مِن الجاهلين**، فهذا يدل على[٨] أن ما قال: **السِّجنُ أحبّ إليّ مما يَدعونَني إليه**، إنما أراد به محبة الاختيار والإيثار في الدين / لا محبة النفس واختيارها. بل كانت النفس تحب وتهوى ما يدعونه[٩] إليه. دليله[١٠] قوله: **أَصْبُ إليهن وأكنْ مِن الجاهلين**. وليس الدعاء في قوله: **ربِّ السِّجنُ أحبّ إليّ مما يَدعونَني إليه**، كما يقول[١١] بعض الناس: إنه إنما وقع في السجن لأنه سأل ربه السجن فاستجيب له في ذلك، ولكن الدعاء في قوله: **وإلّا تَصْرِفْ عنّي كيدهن**. وهو كقول آدم وحواء: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا،[١٢] الآية،[١٣] [٣٦١ظ]

---

[١] سورة يوسف، ٥١/١٢.
[٢] ن: ولذلك.
[٣] الآية السابقة.
[٤] ن ع: تلمتني.
[٥] ك – وكذلك قالت امرأة العزيز فذلكن الذي لمتنني فيه أي كنتن لمتنني فيه أني راودته عن نفسه.
[٦] ن ع: وأخير.
[٧] ن: إذا النفس.
[٨] ك ن – على.
[٩] ن ع م: ما تدعونه.
[١٠] ع: دليل.
[١١] ع م: كما تقول.
[١٢] ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾ (سورةالأعراف، ٢٣/٧).
[١٣] ن – الآية.

ليس الدعاء في قوله: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا؛ لأنه إخبارٌ[١] عما كان منهم، إنما الدعاء في قوله: وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وكذلك قول نوح: رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَ لَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي [أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ].[٢]

وفي قوله: **وإلّا تَصْرِفْ عنّي كيدهن أَصْبُ إليهن**، دلالة أنّ عند الله لُطْفا[٣] لم يكن أعطى يوسف ذلك؛ إذ لو كان أعطاه لكان كيدهن وشرّهن مصروفًا عنه، حيث قال: **وإلّا تَصْرِفْ عنّي كيدهن**، ولو كان[٤] أُعطي ذلك لم يكن لسؤاله ذلك معنى. فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا:[٥] إن الله قد أعطى كلًّا قدرةً [على] كل طاعة وقوةً [على] كل خير، والدفعَ عن كل شر.

وقوله: **وإلّا تَصْرِفْ عنّي كيدهن**، أي لا أحد يملك صَرْفَ كيدهن عنّي لو لم تَصرفه أنت. وكذلك قوله: وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي. وهو أبلغ في الدعاء من قوله: اللهم اغفر لي وارحمني. وقوله: **أَصْبُ إليهن**، قال بعضهم: أَمِيلُ[٦] إليهن. وقال بعضهم: قال: لو لم تَصرف عنّي كيدهن لَأُتابعهن. ويُقال: الصَّبْوُ[٧] هو الخروج من الأمر. يُقال: كل مَن خرج مِن دينه فقد صَبَا. وبهذا كان المشركون يُسمّون النبي صلى الله عليه وسلم صابِيًا، أي خرج مما نحن عليه. وقال أبو بكر الأصم: الصَّبْوُ[٨] هو الأمر المُعجِب. وقوله: **وأكنْ مِن الجاهلين**، أي يكون فِعلي فِعلَ الجهّال لا فِعلَ العلماء والحكماء[٩] إن لم تَصرف عنّي كيدهن.

﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **فاستجاب له ربه فصَرَفَ عنه كيدهن**، أي أجاب له ربه، **فصَرَفَ عنه كيدهن**. هذا يدل على أن الدعاء كان في قوله: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ،[١٠]

---

[١] ن: أخبر.
[٢] سورة هود، ٤٧/١١.
[٣] جميع النسخ: لطف.
[٤] ك – كان.
[٥] ع: قال.
[٦] ك ن: أمل.
[٧] ع: الصبوء؛ م: الصبؤ.
[٨] جميع النسخ: الاصب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٧و.
[٩] ك ن: فعل الحكماء والعلماء.
[١٠] الآية السابقة.

ليس في قوله: رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ،[1] إنما هو خبرٌ أخبره، حيث أخبر أنه أجاب له ربه **فصرف عنه كيدهن**.

وقوله عز وجل: **إنه هو السميع العليم**، **السميع** لكل قول وكلام خفيًّا كان على الخَلْق أو ظاهرًا، **العليم** به لا يخفى عليه شيء.

وفي قوله:[2] وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ،[3] **فصَرَف عنه كيدهن**، دلالة أنهن كنّ يدعونه إلى ذلك مِن وجهٍ كان يخفى عليه ولم يَشعُر به، فالتجأ إلى الله في صَرْف ذلك عنه.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[٣٥]

وقوله[4] عز وجل: **ثم بَدَا لهم مِن بعدِ ما رَأَوُا الآيات لَيَسْجُنُنَّه حتى حين**، ذُكر في بعض القصة أنها قالت لزوجها: ما زال يوسف يُرَاوِدُني مِن نفسي، فأَبَيْتُ عليه، فصدّقها فحَبَسه في السجن. وقوله عز وجل: **مِن بعدِ ما رَأَوُا الآيات**، قال[5] أهل التأويل: هو قَدُّ القميص مِن دُبُره وخَمْشُ الوجه وغيره. ولكنه يشبه أن يكون الآيات التي رأوها هي آيات نبوته ورسالته. وقال بعضهم: حبسوه لِيَنفوا عن المرأة ما رُمِيَتْ به ولِينقطع ذلك عن الناس ويموتَ ذلك الخبر ويَذهَب. فيه أنهم حبسوه بعد ما رَأَوْا آياتِ[6] عصمتِه وبراءتِه عما اتهموه وأنهم[7] ظَلَمَةٌ في حبسه. *والله أعلم*.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣٦]

وقوله: **ودخل معه السجن فَتَيَان**، قيل: [إنهما] عبدَيْن للمَلِك غَضِب عليهما المَلِك، **قال أحدهما إني أَرَاني أَعْصِرُ خمرًا**، وقال بعضهم: أرضٌ يُدْعَى العنبُ بها خمرًا. أو سُمِّي [العنب] خمرًا باسم سببه وباسم أصله، وجائزٌ في اللغة تسميةُ الشيء باسم سببه وباسم أصله.[8]

---

[1] الآية السابقة.
[2] ع م: وقوله.
[3] الآية السابقة.
[4] ع م – وقوله.
[5] ع + بعض.
[6] ع: الآيات.
[7] م – وأنهم.
[8] ك – وجائز في اللغة تسمية الشيء باسم سببه وباسم أصله.

وقال الآخر إني أَرَاني أحمل فوق رأسي خبزًا، كان أحدهما خبّازًا للمَلِك، والآخر ساقِيَه. **نَبِّئْنا بتأويله إنّا نَراك من المحسنين**، قال بعضهم: إحسانه في السجن لما كانوا رَأَوْه يُداوي المرضى ويُعَزِّي حزينهم ويجتهد في نفسه في العبادة لربه. هذا يحتمل. لعلّه كان يَبَرّ[١] أهلَ السجن ويَصِلهم ويجتهد في العبادة لله في الصلاة له والصوم وأنواع العبادة التي تكون[٢] فيما[٣] بينه وبين ربه، فسمّياه[٤] محسنًا لذلك. ويشبه أن يكون قالوا: **إنّا نَراك من المحسنين**، لما رَأَوْا به[٥] سِيما[٦] الخير وآثاره أو يدعوهم إلى توحيد الله والعبادة له وخَلْعِهم[٧] عن عبادة الأصنام والأوثان[٨] والانتزاع من ذلك، فسمّياه محسنًا لذلك. ويحتمل قوله: **إنّا نَراك من المحسنين**، لما رَأَوْه أَحسن إلى أهل السجن. ويحتمل الإحسان هاهنا العلم: إنّا نَرَاك من العالِمين، وهو قول الفرّاء.

وقوله عز وجل: **نَبِّئْنا بتأويله**، سُمّي التعبير تأويلا، لأن التأويل هو الإخبار عن العواقب، لذلك سَمَّوْه[٩] تأويلا. ثم خرج تأويل الذي كان يَعصِر الخمر على العَوْد إلى ما كان في أَمرِه مِن السَّقْي للمَلِك، وهو كان ساقِيَه على ما ذُكر. فلمّا رأى أنه دام على أمره أَوَّلَ له[١٠] بالعَوْد إلى أمره الذي كان فيه. والآخر كان خبّازًا على ما ذُكر، وهو إنما كان يَخْبِز للناس، فلمّا رأى أنه حمل الخبز على رأسه وأنه يأكل / الطير [منه] علم أنه يخرج من الأمر الذي [٣٦٢و] كان فيه. وخروجُه يكون بهلاكه؛ لأنه كان مِن قبلُ يَخْبِز للناس، فصار يَخْبِز لغيرهم. فاستدل بذلك على خروجه من أمرِه وعملِه. لكنه أخبر أنه يُصْلَب لأنه كان قائمًا مُنتصِبًا، فأَوَّلَ على[١١] ما كان أمرُه. *والله أعلم.*

---

[١] ن: يبراء.
[٢] م: يكون.
[٣] ك – فيما.
[٤] جميع النسخ: فسماه.
[٥] ع: لما تاويه؛ م: لما أتاه ربه.
[٦] ن: سيماء.
[٧] ن ع م: وخلقهم.
[٨] ع: والأثان.
[٩] جميع النسخ: سموا.
[١٠] ع م – له.
[١١] ع م – على.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **قال لا يأتيكما طعامٌ تُرزَقانِه إلا نَبَّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما**، هذا -والله أعلم- كان يقول لهم ذلك لِيُعَرِّفَهم أنّ عنده عِلمَ ذلك، [أي] عِلمَ ما لا يُحتاج إليه، فعِلمُ ما يُحتاج[1] إليه أَحْرَى[2] أن يَعلم ذلك. وهذا -والله أعلم- مِنه احتيالٌ لِيَنتزِعَهم عمّا هم فيه من عبادة الأوثان وعبادتهم غيرَ الله ولِيُرَغِّبَهم[3] في توحيد الله وصَرْفِ العبادة إليه. ولهذا قال: **ذلكما مما علّمني ربي**، هذا باللُّطف. أضاف[4] إليه أنه علّمه، وإلّا [فـ]التعليم لا يكون إلا باختلاف الملائكة إليه، وذلك لُطفٌ مِن الله تعالى للرسل عليهم الصلاة والسلام. وقوله: **لا يأتيكما طعامٌ تُرزَقانِهِ إلا نَبَّأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما**، تأويله -والله أعلم- أي **لا يأتيكما طعامٌ**، رأيتما آثارَ ذلك في المنام، **إلا نَبَّأتكما** بتأويل ذلك قبل أن يأتي ذلك.

وقوله عز وجل: **إني تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله**، أخبر أنه ترك **ملّة قوم لا يؤمنون بالله**، الآية. وقوله: **تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله**، ليس أنه كان فيه ثم تركه، ولكنْ تَرْكَه[5] ابتداءً ما لو لم يكن تَرَكه كان آخِذًا[6] بغيره. وهو كقوله: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ،[7] ليس أنها كانت موضوعة فرفعها، ولكن رَفَعها أولَ ما خلقها. وكذلك قوله: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا،[8] ليس أنها مرفوعة ثم وضعها. أي أنشأها[9] مرفوعة وموضوعة.[10] وكقوله: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،[11] ليس أنهم كانوا فيها فأخرجهم، ولكن عَصَمهم حتى لم يدخلوا فيها. فعلى ذلك الأول.[12] *والله أعلم*.

[٣٦٢و س٢٥ *وفي قوله: **إني تركت ملّة قوم لا يؤمنون**، دلالة أنّ الكفرَ كلّه ملّة واحدة، حيث أخبر أنه
٣٦٢و س٢٦] ترك ملّة قوم لا يؤمنون، على اختلاف مذاهبهم.*

---

[1] ع: ما لا يحتاج.
[2] ن + ولا؛ ع م: أخرى.
[3] ع م: ويرغبهم.
[4] جميع النسخ: ما أضاف.
[5] ع م – ولكن تركه.
[6] ع: اجذا.
[7] سورة الرعد، ٢/١٣.
[8] سورة الرحمن، ١٠/٥٥.
[9] م: أي نشأها.
[10] أي أنشأ السماوات مرفوعة والأرض موضوعة.
[11] ﴿الله وَلِيُّ الذين آمنوا يُخرجهم مِن الظلمات إلى النور﴾ (سورة البقرة، ٢٥٧/٢).
[12] ع: الا.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٢و/سطر ٢٥-٢٦.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **واتبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب**، قال في الآية الأولى: إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ،[١] وأخبر أنهم كافرون بالله واليوم الآخر. وفيه أنّ مَن لم يؤمن بالله واليوم الآخر فهو كافر.[٢] فهذا ينقض على المعتزلة حيث جعلوا بين الكفر والإيمان رتبة ثالثة، ويوسف يخبر أنّ مَن لم يؤمن بالله فهو كافر، وهم يقولون: صاحب الكبيرة غير مؤمن بالله وهو ليس بكافر. ثم أخبر أنه ترك ملّة أولئك الذين لا يؤمنون بالله واتبع ملّة آبائه[٣] إبراهيم ومن ذكر. ثم أخبر عن ملة آبائه، وهو ما ذكر: **ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء**، عرّفهم ملّة آبائه ودينَهم، وهو[٤] تَرْكُ الإشراك بالله وجَعْلُ الألوهية له وصَرْفُ العبادة إليه.[٥] وفيه أن الملّة ليس إلا ملّتَين: ملّة كفر وملّة إسلام.[٦] وأخبر أنّ مَن لم يكن في ملّة الإسلام كان في ملّة الكفر. ثم خصّ بذكر هؤلاء: **إبراهيم وإسحاق ويعقوب**؛ لأن هؤلاء كانوا مُكْرَمِين عند الناس كافة، كلُّ أهل الدين يَدَّعُون أنهم على دين أولئك، فأخبر أنهم على دين الإسلام والحَنيف المُخلِص ليس على ما تزعمون أنتم.[٧] ولهذا قال: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.[٨]*

وقوله عز وجل: **ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس**، أي **ذلك** الدين والملّة التي أنا عليها وآبائي[٩] **من فضل الله علينا وعلى الناس**؛ لأنه عز وجل فَطَر الناسَ على فطرةٍ يَعرفون وحدانيةَ الله وربوبيتَه بعقولٍ رَكَّبها[١٠] فيهم، **ولكنّ أكثرَ الناس لا يشكرون**، فضلَ الله وما رَكَّب فيهم مِن العقول.

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ن – فهو كافر، صح هـ.
[٣] ن – آبائه.
[٤] ك + على.
[٥] ن: له.
[٦] ع م: الإسلام.
[٧] م: أنتم.
[٨] سورة آل عمران، ٦٧/٣.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٢و/سطر ٢٥-٢٦.
[٩] ن ع: وإياي.
[١٠] جميع النسخ: ركب.

أو ذلك الدين والهداية الذي أعطاهم مِن فضلِ الله، لكن أكثر[1] الناس يَتركون ذلك الدين[2] وتلك الهداية. *والله أعلم*.[3]

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **يا صاحِبَيِ السجن أأرباب مُتفرِّقون خيرٌ أمِ الله الواحد القهّار**، يوسف لمّا سُئل عن تأويل الرؤيا دعاهم إلى توحيد الله ودلهَم عليه، فقال: ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي،[4] وقال: **يا صاحِبَيِ السجن أأرباب مُتفرِّقون خيرٌ أمِ الله الواحد القهّار**، أي عبادةُ ربٍّ واحدٍ وإرضاؤه خيرٌ أم عبادة عددٍ وإرضاءُ نَفَر؛ لأنه إذا عبد بعضًا واجتهد في إرضائهم أَسخط الباقين، فلا سبيل إلى الوصول إلى مقصوده والظفر بحاجته، إذ لا يَقدر على إرضائهم جميعًا وإن اجتهد. وأما الواحد فإنه يَقدر على إرضائه؛ إذ لا يَزال يكون في عبادته وإرضائه فيَصِل إلى حاجته والظفر بمقصوده. والثاني يخبر أن **الواحد القهّار** يَقهَر غيرَه مِن الأرباب ومَن تعبدون، فعبادة الواحد القهّار خيرٌ مِن عبادة عددٍ مَقهورين.

[٣٦٣و س٦] *وقال أبو بكر الأصم: قوله:[5] **يا صاحِبَيِ السجن**، سماهم أصحاب السجن لأنهم كانوا في السجن، كما يقال: أصحاب النار وأصحاب الجنة، ونحوه. لكنه لو كان ما ذكر لقال: يا صاحبا السجن،[6] بالألف؛ فلما لم يقل هذا دل أنه أضاف إلى نفسه، كأنه قال: يا صاحبَيَّ في السجن، لأنهما كانا[7] معه في السجن.[8]*

---

[1] ن ع م – أكثر.

[2] ع م – الدين.

[3] ن – والله أعلم.

[4] سورة يوسف، ٣٧/١٢.

[5] ع: وقوله.

[6] ع م – سماهم أصحاب السجن لأنهم كانوا في السجن كما يقال أصحاب النار وأصحاب الجنة ونحوه لكنه لو كان ما ذكر لقال يا صاحبا السجن.

[7] ن: كان.

[8] فيه نظر. وقد تعقب الشارح هذا الكلام بقوله: «وكأن هذ الرد وقع غلطا من الكاتب الذي تلقفه، لأن النداء المضاف منصوب، يقال: يا صاحبي الدار. ولكن الرد من وجه آخر فإن التسمية بصاحب السجن من باب التحقير، وغرضه تعظيمهما، وذلك في إضافتهما إلى نفسه، أي يا صاحبي في السجن. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٣٩٨و؛ ونسخة المدينة، ورقة ٤٤٥و).

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٤٢، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٣و/سطر ٦-٨.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ [٣٦٣و س٨]
إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **ما تعبدون من دونه**، مِن الأصنام والأوثان، **إلا أسماءً سمّيتموها**، آلهة، **أنتم وآباؤكم**، ولا يستحقّون[1] العبادة ولا التسمية بالألوهية، إنما المستحقّ لذلك الذي خلقكم وخلق السماوات والأرض، **ما أنزل الله بها من سلطان**، أي ما أنزل الله على ما عبدتموهم وسمّيتم أنتم / وآباؤكم آلهةً مِن[2] حجةٍ ولا برهانٍ، **إنِ الحُكمُ إلا لله**، [٣٦٢ظ] أي ما الحُكم في الألوهية والربوبية والعبادة إلا لله، ليس كما تقولون: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[3] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[4] يقول: ما الحُكم في العبادة[5] والألوهية إلا لله.[6] أو يقول: ما الحُكم في الخَلْق إلا لله،[7] كقوله: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ،[8] أي له الخَلْق وله الأمر في الخَلْق. **أَمَرَ أنْ لا تعبدوا إلا إياه**، حُكمُه [هو] هذا: **أَمَرَ أنْ لا تعبدوا إلا إياه.**

وقوله عز وجل: **ذلك الدين القَيِّم**، أي عبادة الله وتوحيده هو **الدين القَيِّم**؛ لأنه دينٌ قام عليه الحجة والبرهان، وأمّا سائر الأديان فليست بقَيِّمَةٍ، إذ لا حجة قامت عليها ولا برهان. و **القَيِّم** هو القائم الذي قام بحجة وبرهان. وقال أهل التأويل: **القَيِّم**: المستقيم.

وقوله عز وجل: **ولكنّ أكثرَ الناس لا يعلمون**، يحتمل **لا يعلمون**، لما لم يتفكّروا فيه ولم ينظروا فلم يَعلموا، ولو نَظروا فيه وتفكّروا لَعَلِمُوا. وهذا يدل أنّ العقوبة تَلزَم وإن جَهِل؛ إذ أَمْكَنَ[9] له العلمُ به، فلا عذر له في الجهل إذ أَمْكَنَ العلمُ به. أو عَلِمُوا لكنهم لم ينتفعوا بعلمهم، فنَفَى عنهم العلم لذلك. *والله أعلم.*

---

[1] ن: تستحقون.
[2] ن + غير.
[3] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[4] سورة يونس، ١٠/١٨.
[5] ع – إلا لله ليس كما تقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقول ما الحكم في العبادة.
[6] ع: إلا الله؛ م – إلا لله ليس كما تقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقول ما الحكم في العبادة والألوهية إلا لله.
[7] ع: إلا الله.
[8] سورة الأعراف، ٧/٥٤.
[9] ع م: إن أمكن.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [٤١]

وقوله عز وجل: **يا صاحِبَيِ السجن أمّا أحدكما فيَسقي ربّه خمرا وأمّا الآخر فيُصلَب فتأكل الطير مِن رأسه**، هو ما ذكرنا[١] أنه تأوّل رؤيا الساقي وعَبَّرَها على العَوْد[٢] إلى ما كان يَعمل[٣] مِن قبلُ لما رأى أنه كان عَمِلَ على ما كان يَعمل مِن قبلُ، وعَبَّرَ[٤] رؤيا الخبّاز بالهلاك لما رأى أنه حمل الخبز على الرأس، والخبزُ إذا خَبَزَه[٥] الخبّازُ لا يحمله على رأسه، فرأى أنه قد انتهى أمرُه، إذ عَمِلَ[٦] على خلاف ما كان يَعمل مِن قبلُ. **فتأكل الطير من رأسه**، فعَبَّرَ أنه يُصلَب وتأكل مِن رأسه لما رأى أنه حمل الخبز على رأسه، لما كان يَخبِز مِن قبلُ لِلعباد فلمّا رأى أنه يَخبِز[٧] لغيره عَبّر أنه يَهلِك **فتأكل الطير مِن رأسه**.

وقوله عز وجل: **قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَستفتِيان**، قال بعض أهل التأويل: إنه لما عَبّر لهما رؤياهما قال الذي عَبّر له الصَّلْبَ والقتلَ: لم أَرَ شيئا، إنما كنّا نَلعب، فقال لهما يوسف: **قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَستفتِيان**، أي فَرَغَ وانتهى. لكن هذا لا يُعلَم أقالا ذلك أم لم يقولا، سِوَى أنّ فيه أنه[٨] عَبّرَ رؤياهما[٩] وكان ما عَبَّرَ لهما، وقد عَلِمَ ذلك بتعليمٍ مِن الله إياه، بقوله: ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي.[١٠]

[٣٦٣و س٨] *وقوله: **قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَستفتِيان**، قيل: فَرَغ، وقيل: انتهى **الأمر الذي فيه تستفتيان**، وأُنهِي، كقوله: وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ،[١١] الآية. وقوله:[١٢] **قُضِيَ الأمرُ الذي فيه تَستفتِيان**،[١٣]

---

[١] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٣٦/١٢.
[٢] ع م: عن العود.
[٣] ع م – يعمل.
[٤] ن – رؤيا الساقي وعبرها على العود إلى ما كان يعمل من قبل لما رأى أنه كان عمل على ما كان يعمل من قبل وعبر؛ ع: وغير.
[٥] جميع النسخ: إذا خبز.
[٦] ع م: إن عمل.
[٧] ن ع م: خبز.
[٨] ن – أنه.
[٩] م – رؤياهما قال الذي عبر له الصلب والقتل لم أر شيئا إنما كنا نلعب فقال لهما يوسف قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي فرغ وانتهى لكن هذا لا يعلم أقالا ذلك أم لم يقولا سوى أن فيه أنه عبر رؤياهما.
[١٠] سورة يوسف، ٣٧/١٢.
[١١] ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لَتُفسِدُنّ في الأرض مرّتين ولَتَعلُنّ عُلُوًّا كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ٤/١٧).
[١٢] م – وقوله.
[١٣] ع + قيل فرغ وقيل انتهى الأمر الذي فيه تستفتيان وأنهى كقوله وقضينا إلى بني إسرائيل الآية وقوله قضي الأمر الذي فيه تستفتيان.

كأنه بَلَّغَ إليهما وحيًا أُوحِي[1] إليه وأُمِر به، أي هو كائن مِن غير رجوعٍ كان منهما على ما يقوله أهل التأويل. **والله أعلم.*** [٣٦٣و س١٠]

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وقال لِلذي ظَنّ أنه ناجٍ منهما**، قال بعضهم: ظن الذي صَدَّق يوسف أنه يسقي ربه وأنه ناجٍ. وقال بعضهم: قال يوسف **لِلذي ظَنّ أنه ناجٍ منهما**، يجعل الظن ليوسف. فإن كان الذي ظن[2] هو ذلك الرجل فكان الظن في موضع الظن، وإن كان الظانّ هو يوسف فهو عِلم ويقين، أي عَلِم وأيقن **أنه ناجٍ منهما**؛ لأنه لا يحتمل أن يشكّ فيما يُعَبِّر وقد علّمه الله تأويل الأحاديث بقوله: وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ،[3] وقال: ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي.[4] ويحتمل[5] على حقيقة الظن من يوسف، أي وقال لِلذي [هو] ناجٍ منهما [و]ظنّ أنه يذكره عند ربه، وهو على التقديم والتأخير.

وقوله[6] عز وجل: **اذكرني عند ربك**، قال[7] بعض أهل التأويل: إن يوسف لما فَزِع إلى غير الله وطَلَبَ إخراجَه من السجن مِن المَلِك أنساه الله فيه سِنين وأقرّه[8] فيه عقوبةً له[9] حين رَجَا غيرَ ربه. لكن هذا بعيد، لا يحتمل أن يكون يوسف يَفزع إلى غير الله ويرفع[10] قلبه عن[11] الله ويشغله بمن دونه. لكنه رأى -والله أعلم- أنّ الله عز وجل جَعَلَ سببَ نجاتِه على يديه، وأنه بَقي فيه مَنْسِيًّا لِما عَلم أنه لم يكن منه سببٌ يُلزِمهم الحَبْسَ في السجن سِوى الاعتذار إلى الناس والاعتِلال لهم على نَفْيِ ما قُرِفَتْ به[12] زوجتُه،

---

[1] ع م - أوحي.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٣و/سطر ٨-١٠.

[2] ع م - يوسف أنه يسقي ربه وأنه ناج وقال بعضهم قال يوسف للذي ظن أنه ناج منهما يجعل الظن ليوسف فإن كان الذي ظن.

[3] سورة يوسف، ٦/١٢.

[4] سورة يوسف، ٣٧/١٢.

[5] ع م - أن يشك فيما يعبر وقد علمه الله تأويل الأحاديث بقوله ويعلمك من تأويل الأحاديث وقال ذلكما مما علمني ربي ويحتمل.

[6] ن - وقوله.

[7] ن: وقال.

[8] ع م: وافرة.

[9] ن - له.

[10] جميع النسخ: ويدفع.

[11] ن: غير.

[12] قَرَف الذنب أي ارتكبه. وقَرَفَه بالشيء أي اتّهمه به (*لسان العرب* لابن منظور، «قرف»). أي سجنوا يوسف عليه السلام حتى يدفعوا الافتراء -على زعمهم- عن زوجة العزيز.

أو لينقطع ذلك الخير عن[1] ألسُن الناس ويَبعُدَ عن أوهامهم؛ فرأى[2] أنه إذا ذَكَرَه لعلّه أخرجه مِن ذلك لِما رأى أنه جُعل سببُ نجاته على يديه لا أنه[3] رأى ذلك مِنه ورفع قلبه عن الله. وهكذا جعل الله تعالى أمور الدنيا كلَّها بأسبابٍ،[4] وعلى ذلك تَعَبّد عبادَه باستعمال الأسباب مع اعتقاد القلب القَدَرَ[5] مِن الله، نحو ما جعل الأَنْزال[6] والزراعة بأسبابٍ يَكتسبونها، ونحو الأسلحة التي اتُّخِذت للحرب والقتال[7] بها مما يَكثُر عدد ذلك وإنما يحاربون بالله وبه يقاتلون ومِن عنده يُنصَرون. وقد أَمَر بذلك كلِّه وبتلك الأسباب فقال: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ،[8] وليس كلُّ مَن فَعل هذا كان فَزِع إلى غير الله أو رأى النصر والنجاة مِن ذلك الشيء والسبب، بل رأى ذلك كلَّه مِن الله ومِن عنده. فعلى ذلك يوسف لا يجوز أن يُتوهَّم أنه فَزِع إلى مخلوقٍ مِثلِه ورأى نجاته مِن عند ذلك، ولكن للوجه الذي ذكرنا. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **اذكرني عند ربك،** يحتمل وجهين. أحدهما **اذكرني عند ربك،** لعلّي[9] حُبستُ بلا عِلمٍ مِنه وبغير أمرِه؛ لأن تلك المرأة هي التي أَوعدت له السجن، فوقع عنده أنها هي[10] التي احتالت في حبسه، فقال لذلك ما قال. والثاني يقول: **اذكرني** بالذي رأيتَ مِنّي وسمعتَ؛ لأنه دعاهما في السجن إلى التوحيد حيث قال: أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.[11]

وقوله عز وجل: **فأَنساه الشيطانُ ذِكرَ ربه،** قال بعض أهل التأويل:[12] أَنسى الشيطانُ يوسفَ دعاءَ ربه الذي أنشأه وخلَقَه، فلم يَدْعُ[13] ربَّه الذي هو في الحقيقة رب. وقال بعضهم: قوله: **فأَنساه الشيطانُ** -الذي قال له يوسف: **اذكرني عند ربك**- **ذِكرَ ربه،** وهذا أشبه.

---

[1] ك + الخلق.
[2] ن + أنهم.
[3] م: لأنه.
[4] ع م - بأسباب.
[5] ع: القدرة.
[6] أي الأقوات.
[7] ع: والقبال.
[8] سورة الأنفال، ٨/٦٠.
[9] ن: لعله.
[10] ع م - هي.
[11] سورة يوسف، ١٢/٣٩.
[12] ن: التوحيد.
[13] ع - يدع.

والأول بعيد؛ لأنه قال في آخره: وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ -أي بعد حين- أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ.[١] دل هذا أنه إنما أنسى الشيطانُ على ذلك الرجل فلم يَذكُره عنده حينًا. وقال بعضهم: لم يُنسِه الشيطان، ولكن تَركه عمدًا لم يَذكُره عنده لعلَّه يتذكّر ما تقدّم مِن المقال فيزداد غضبًا عليه، فتَركه عمدًا إلى أن[٢] جاء وقتُه. **والله أعلم**.[٣]

[٣٦٣و] وأضاف الإنساءَ[٤] / إلى الشيطان، وكذلك قال موسى عليه السلام: وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ،[٥] فهو -والله أعلم- لأنّ بَدْءَ كلِّ شرٍّ يكون مِن الشيطان؛ لأنه يُخطِر بباله ويَقذِف في قلبه ويُوسوسه، ثم يكون من العبد العزيمةُ على ذلك والفعلُ. وفائدة النسيان -والله أعلم- هو أنّ الله تعالى أراد أن يُظهِر آيةَ[٦] رسالتِه وحجةَ نبوتِه بكونه في السجن، ويُظهِرَ براءته في شأن تلك المرأة بشهادة أولئك النِّسوان، وذلك عِلم الأحاديث التي ذَكَر، والرؤيا[٧] التي عَبَّرها.

وقوله عز وجل: **فلَبِث في السجن بِضْعَ سِنين**، قال بعضهم: خمس سنين، وقال بعضهم: سبع سنين، ونحو ذلك. ولكن لا نَعلم ذلك، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجةٌ سِوى أنّ فيه أنه لَبِث فيه حينًا.*

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **وقال المَلِك إني أرى سبع بقراتٍ سِمانٍ**، ذكر أنه رأى، وليس فيه ذِكر أنه رأى[٨] في المنام، ولكن ذكر في آخره[٩] الرؤيا؛ دل أنه رأى في المنام بقوله: **إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون**. وفيه أنّ مِن الرؤيا ما هو حق ولها حقيقة، ومنها باطل لا حقيقة لها؛

---

[١] سورة يوسف، ١٢/٤٥.
[٢] م - أن.
[٣] ع م + لأن بدء كل شر يكون من الشيطان.
[٤] ع م: الإنسان.
[٥] سورة الكهف، ١٨/٦٣.
[٦] ن - آية.
[٧] ن ع م: ذكروا الرؤيا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٩، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٣و/سطر ٦-٨. ووقع بعد ذلك مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٣و/سطر ٨-١٠.
[٨] ك - وليس فيه ذكر أنه رأى، صح هـ.
[٩] ك: في آخر.

لأنه قال: **يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبُرون** قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ،[1] فكأنّ[2] الرؤيا هي حق ولها حقيقة يُتأمّل[3] عواقبُها، وأضغاثُ أحلامٍ لا حقيقة لها.[4]

وقوله عز وجل: **إني أرى سبع بقراتٍ سِمانٍ**، أما البقرات فهنّ[5] السِّنُون، والسِّمان هنّ[6] المُخْصِبات[7] الواسعات، **يأكلهن سبعٌ عِجافٌ**، العِجاف هنّ المُجْدِبات،[8] **وسبعَ سُنبلاتٍ خُضْرٍ**، السُّنبلات: سُنبلات، وخُضْر: عبارة عما يُحصَد، **وأُخَرَ يابساتٍ**، عبارة عما لا يُحصَد، أي لا يكون فيه ما يُحصَد.[9] فيه دلالة[10] أنّ في الرؤيا ما يكون مصرّحًا مشارًا إليه يُعلَم بالبديهة،[11] ومنها ما يكون كناية مُبهَمًا غير مُفَسَّر لا يُعلَم إلا بالنظر فيها والتفكّر[12] والتأمّل؛ لأنه قال:[13] **أرى سبع بقراتٍ**، وسبع: هو سبع لا غير، وبقرات: هنّ كناية عن السِّنين،[14] وسِمان: كناية عن الخِصب والسَّعة، **يأكلهن**: على حقيقة الأكل لا غير، وكذلك **سبعٌ عِجافٌ**، السبع هو سبع، والعِجاف كناية عن الشدة والجَدْب،[15] **وسبعَ سُنبلاتٍ**، هنّ[16] عين السُّنبلات، وخُضْر: هنّ كناية عما يُحصَد، ويابسات: كناية عما لا يكون فيه ما[17] يُحصَد. ففيه أنّ مِن[18] الخطاب ما يكون[19] مصرّحًا مبيّنًا مشارًا[20] إليه

---

[1] الآية التالية.
[2] ك: وكان.
[3] ك: تتأمل؛ م: بتأويل.
[4] ن – لها.
[5] ك ن: هن؛ ع م: هي.
[6] م: هي.
[7] ع: هي المحصنات. خِصْب ومُخْصِب بمعنى واحد (*لسان العرب* لابن منظور، «خصب»).
[8] جميع النسخ: المجذبات.
[9] ع م – أي لا يكون فيه ما يحصد.
[10] ن + في.
[11] ع: إليهما بعلم بالبديهية؛ م: مشار إليها بعلم بالبديهية.
[12] ك: والفكر.
[13] ن – قال.
[14] ن: عن سنين؛ ع: عن السنن.
[15] ك: والعجاف الجذب والشدة؛ ن ع: والجذب.
[16] ن: هو.
[17] ن – يكون فيه ما، صح هـ.
[18] ع م: أن هن.
[19] ك: ما لا يكون.
[20] ن ع م: مشار.

يُفهَم المرادُ منه بالبديهة[١] وقتَ قَرْعِ الخطاب السمعَ، ومنه ما يكون مُبهَمًا غيرَ مُفسَّر. فهو على وجهين: مِنه[٢] ما يُفهَم بالنظر فيه والتفكُّر؛ والثاني لا يُفهَم بالبديهة[٣] ولا بالنظر فيه والتفكّر إلا ببيان يُقرَن به سِوى ذلك. على هذا يخرج المخاطبات فيما بين الله وبين الخلق. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **يا أيها الملأُ أَفتوني في رؤيايَ إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون**، خاطب الأشرافَ مِن قومه والعلماءَ بقوله: **يا أيها الملأُ**، على ما ذكرنا فيما تقدم أنّ الملأ هو اسم للأشراف منهم والرؤساء.[٤] وهكذا العادة في الملوك أنهم إذا خاطبوا إنما يخاطبون أعقلَهم وأعظمَهم منزلةً عندهم وأكرمَهم[٥] مثواهم.[٦] ودل قوله: **أَفتوني في رؤيايَ إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون**، أنه إنما رأى ذلك في المنام. *والله أعلم.*

وقوله: **أَفتوني في رؤيايَ**، الآية، كأنه[٧] نهاهم أن يتكلّفوا التعبير للرؤيا التي رآها إذا لم يكن لهم بها علم. وكذلك[٨] الواجب على كل مَن سُئل عن شيء لا يَعلم أن لا يَشتغل به ولا يتكلّف عِلمَه إذا لم يكن له به علم، حيث قال: **أَفتوني في رؤيايَ إن كنتم للرؤيا تَعْبُرون.**

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **قالوا أَضغاثُ أحلامٍ**، قال بعضهم: أباطيل أحلام كاذبة؛[٩] وقال بعضهم: أَخلاط أحلام كاذبة،[١٠] مِثل **أضغاث** النبات تُجمَع فيكون فيها ضُروب مختلفة. وهو كما[١١] قيل في قوله: وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ،[١٢] أي جماعة مِن أَغصان الشجر. وقال بعضهم: **أَضغاثُ أحلامٍ**، الضِغْث والأَضغاث ما لا يكون له تأويل، ويقال لِنوعٍ مِن الكَلَأ: ضِغْث،

[١] ع م: بالبديهية.
[٢] ن: منها.
[٣] ع م: بالبديهية.
[٤] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٦٠.
[٥] جميع النسخ: وأكرم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٩٨ظ.
[٦] ن: مثويهم.
[٧] ك: كأنهم.
[٨] ن: وكذا.
[٩] جميع النسخ: الكاذبة.
[١٠] ك ن - كاذبة؛ ع م: الكاذبة.
[١١] م: وكما.
[١٢] سورة ص، ٣٨/٤٤.

وهو الحَلْفَاء[1] شِبه البَرْدِي[2] وغيره.[3] وقيل: إن الضِّغْث والأحلام هما اسمان لشيء لا معنى له ولا تأويل، وهما واحد. وأصل الأحلام كان مخرجه من وجهين. أحدهما العقول؛ دليله قوله: أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا -أي عقولهم- أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ.[4] والثاني من الاحتلام، وهو[5] من الحُلُم، كقوله: وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ،[6] الآية،[7] فيشبه أن يكون يخرج[8] على هذا؛ لأن الصبي ما لم يَعقل لا يلعب به الشيطان ولا يحتلم، لأن[9] الاحتلام هو مِن لَعِب الشيطان به، فسُمِّي الرؤيا الباطلة الكاذبة أحلامًا لأنها من لَعِب الشيطان به، كما سُمِّيَ احتلام الصبي حُلُمًا لأنه إذا بلغ العقلَ لَعِبَ به / الشيطان. [٣٦٣ظ]

وقوله عز وجل: **وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين**، يحتمل قوله تعالى: **وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين**، لما لا تأويل لها، كقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ،[10] وقوله: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[11] أي لا شفيع لهم. ويحتمل قوله:[12] **وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين**، لها تأويل ولكن نحن لا نعلمها. *والله أعلم*.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[٤٥] ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **وقال الذي نجا منهما**، مِن الهلاك، وهو الساقي الذي ذكر. وقوله عز وجل: **وادَّكَرَ بعد أمة**، أي تذكّر بعد أمة، قيل:[13] الأمة هاهنا الحِين، أي ذَكَر بعد حِين ووقت،

---

[1] ع: الحلفا. الحلفاء نبات حِمْلُه قَصَب النُّشَّاب (السهم)... الحلفاء: نَبْت أطرافه محدَّدة كأنها أطراف سَعَف النخل والخُوص يَنبُت في الماء (*لسان العرب* لابن منظور، «حلف»).

[2] نوع من النبات معروف، يَنبت في الماء. وكان المصريون القدماء يستعملون أوراقه للكتابة عليها.

[3] نقل ابن منظور عن الفَرّاء أن الضِغْث ما جمعته من شيء مثل حُزمة الرَّطْبة وما قام على ساق واستطال ثم جمعته (*لسان العرب* لابن منظور، «ضغث»).

[4] سورة الطور، ٣٢/٥٢.

[5] ع م + ما ذكرنا.

[6] سورة النور، ٥٩/٢٤.

[7] ك – الآية.

[8] ع: تخرج.

[9] ع م: كان.

[10] سورة الأنبياء، ٢٨/٢١.

[11] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.

[12] ك ن – قوله.

[13] جميع النسخ: قال.

كقوله: وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ،[١] قيل: حِين ووقتٍ مَعدُود. وقال الحسن: **وادَّكَرَ بعد أمة**، أي بعد[٢] أمة مِن الناس.[٣] ويُقرَأ: بعد أَمَهٍ.[٤] قال أبو عَوْسَجَة: الأَمَهُ النسيان والسهو، أي تذكَّر بعد نسيان وسهو، كقوله: فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ،[٥] يقال منه في الكلام: أَمِهَ يَأْمَهُ أَمَهًا فهو آمِهٌ وأَمِهٌ،[٦] أي نَسِي.[٧] والأُمَة من الأُمَم والقرون التي مَضَت، والأُمَة: النعمة، والأُمَم جَمْع.[٨] والأُمَة أيضًا الدِّين والسُنة، كقوله: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[٩] أي على دين. ويقال: الأُمَة القَامَة أيضًا، يقال: فلان حَسَنُ الأُمَة، أي حَسَن القَامَة. ويقال: الأَمَم: القريب.[١٠] فهو يحتمل هاهنا الوجهين اللذَين ذكرناهما، أي ذكر بعد حِين ووقت؛ أو بعد نِسيان [على قراءة] مَن قرأه[١١] بالنصب. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **أنا أُنبِئكم بتأويله**، معناه أي أنا آتيكم[١٢] ببيان تأويلها لا أنه كان يُنبئهم هو بنفسه؛ ألا ترى أنه قال:[١٣] **فأَرسِلُونِ يُوسُفُ**، فيه إضمار كأنه قال: أَرْسِلُونِ[١٤] إلى يوسف. وليس في تلاوة الآية أنه أُرسِل إليه ولا إتيانُه إليه، ولكن فيه دليل أنه[١٥] أُرسِل[١٦] إليه فأتاه، فلمّا أتاه قال له: **أيها الصّدّيق**، قيل: الصِّدّيق هو كثير الصدق، كما يقال: شِرّيب[١٧] وفِسّيق وسِكّير، إذا كَثُر ذلك منه. والصّدّيق هو الذي لم يؤخذ عليه كذب قط. أو سمّاه صِدّيقًا لِما عَرَفَ أنه رسول الله. وهو ما قال في إبراهيم: إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا.[١٨] أو يقول: **أنا أُنبِئكم بتأويله**، أي أنا أتعلّم منه **فأُنبّئكم بتأويله.**

---

[١] سورة هود، ٨/١١.
[٢] م – بعد.
[٣] أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن؛ انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٤/٤.
[٤] قراءة شاذة رويت عن ابن عباس وبعض التابعين؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٢٢٨/١٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٤٤/٤.
[٥] سورة يوسف، ٤٢/١٢.
[٦] ن – وأمه.
[٧] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «أمه».
[٨] ن م: جميع.
[٩] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
[١٠] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «أمم».
[١١] ع: من قراء.
[١٢] م: أنبئكم.
[١٣] ن – قال، صح هـ.
[١٤] ع م: فأرسلون.
[١٥] ع م – أنه.
[١٦] ن – فيه إضمار كأنه قال أرسلون إلى يوسف وليس في تلاوة الآية أنه أرسل إليه ولا إتيانه إليه ولكن فيه دليل أنه أرسل.
[١٧] ن ع م: شريت.
[١٨] سورة مريم، ٤١/١٩.

وقوله عز وجل: **أَفْتِنا في سبعِ بقراتٍ سِمانٍ يأكلهن سبعٌ عِجافٌ وسبعِ سُنبلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يابسات،** فأَفتاها له وعَبَّرها عليه، وهو ما قال: تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا -إلى آخر ما ذكر، وقوله- ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ،[1] هذا تعبير[2] رؤيا الملك لِلذي[3] سأله.

وقوله عز وجل: **لعلّي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون،** هذا يحتمل وجوهًا. يحتمل **يعلمون،** أن هذه الرؤيا حق ولها حقيقة، ليس كما قال أولئك: أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ.[4] والثاني **يعلمون،** فَضْلَكَ على غيرك[5] مِن الناس. أو **يعلمون،** أنك تَصلُح لحاجاتهم[6] التي في حال يَقَظَتِهم فيَرفعونها إليك كما صَلُحْتَ لما كان[7] لهم في حال نومهم.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾[٤٧]

ثم عَلَّمَهم[8] الزراعةَ وجَمْعَ الطعام[9] والادِّخارَ أنْ كيف يُدَّخر حتى يَبقى[10] إلى ذلك الوقت، فقال: **تزرعون سبعَ سِنين دَأَبًا،** قال[11] بعضهم: أي دائمًا، أي تُداومون الزراعة فيها. وقال أبو عَوْسَجَة: **دَأَبًا،** مِن الدَّوْب، [وهو] مِن الجِدّ[12] والتعب. وقال القُتَبي: **دَأَبًا،** أي جدًّا في الزراعة[13] ومتابعة؛ وكله واحد.[14]

وقوله عز وجل: **فما حَصدتم فذَرُوه في سُنبلِه،** لا تُنَقُّوه؛[15] لأن ذلك أَبْقَى له مِن [ما] إذا نُقِّي[16] ومُيِّز، **إلا قليلًا مما تأكلون،** فتُنَقُّونه[17] إن شئتم، أي قَدْرَ ما تأكلون.

---

[1] سورة يوسف، ١٢/٤٧-٤٨.
[2] ك: تفسير.
[3] ع م: الذي.
[4] سورة يوسف، ١٢/٤٤.
[5] ن ع م: على غيرهم.
[6] ع م: لحاجتهم.
[7] جميع النسخ: ما كان.
[8] ك: ثم علهم، صح هـ.
[9] ع م: الطاعات.
[10] ع م: تبقى.
[11] ع: فقال.
[12] م - من الجد.
[13] م: في الزرعة.
[14] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢١٩.
[15] ن ع: لا تبقوه؛ م: لا ينقوه.
[16] ع م: بقي.
[17] ن ع م: فتبقونه.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾[٤٨]

وقوله: **ثم يأتي مِن بعد ذلك سبعٌ شِدادٌ**، قيل: مُجْدِبات،[1] مِن الشدة، **يأكُلنَ ما قَدَّمتم لهن**، أي ما ادَّخرتم لهن، **إلا قليلاً مما تُحْصِنون**، قال بعضهم: تدَّخِرون؛ وقال بعضهم: تُحْرِزون. قال أبو عَوْسَجَة:[2] أحصنته، أي[3] ادَّخرته.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **ثم يأتي مِن بعد ذلك عامٌ فيه يُغاث الناس**، قال بعضهم: هو مِن الغَيْث، وهو المطر، أي يُمْطَرون. وقيل: يُغاثون بالمطر، مِن الإغاثة والغَوْث. وقوله: **وفيه يَعصِرون**، قال بعضهم: هو مِن عَصْر الأعناب والدهن والزيت وغيره. إنما هو إخبار عن الخِصب والسَّعة. وقال بعضهم:[4] **يَعصِرون**، أي يَنْجُون،[5] يقول: مِن العَصَر يعني المَلْجأ، أي يَلْجَئون إلى الغَيْث،[6] والعُصْرَة: المَنْجاة؛[7] وهو قول أبي عُبَيدة.[8] وأمّا قول غيره مِن أهل الأدب والتأويل فهو مِن العَصْر، يعني عَصْر العنب وغيره. *والله أعلم*.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **وقال المَلِك ائْتُوني به**، يعني يوسف. **فلمّا جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطَّعن أيديهن**، فيه دلالة أنَّ قول يوسف[9] للرجل: اُذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ،[10] إنما طَلَب بذلك براءةَ نفسِه فيما اتُّهِم به، ليس كما قاله[11] أهل التأويل؛ لأنه لو كان غير ذلك لكان[12] لا يردّ الرسول إليه ولكنه [كان] يخرج.[13] *والله أعلم*.

---

[1] ك ن ع: مجذبات.

[2] ن – قال أبو عوسجة.

[3] م – أي.

[4] ع + قوله يعصرون قال بعضهم؛ م + قوله.

[5] ع: أي ينحون.

[6] ع: إلى الغيب.

[7] انظر: *لسان العرب* لابن منظور، «عصر».

[8] مجاز القرآن لأبي عبيدة، ٣١٣/١.

[9] ع م – فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فيه دلالة أن قول يوسف.

[10] سورة يوسف، ٤٢/١٢.

[11] ك: قال.

[12] ع م – لكان.

[13] جميع النسخ: خرج.

وقوله: **فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطّعن أيديهن**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما أَهُنَّ على كيدهن بعدُ أم رجعن عن ذلك؟[١] والثاني لِيَعلم المَلِك براءته مما قُرِف به واتُّهِم [و]لِيَظهر عنده أنه كان بريئًا مما قُرِف به واتُّهِم.[٢]

وقوله عز وجل: **إن ربي بكيدهن عليم**، أنهن كِذْن.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّٰهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٥١]

ثم **قال** لهن الملك **ما خَطْبُكن إذ رَاوَدْتُنّ يوسفَ عن نفسه**، هذا يدل أنّ المَلِكَ قد علم أنهن رَاوَدْنَ يوسف عن نفسه؛ لأنه قال: **ما خَطْبُكن إذ رَاوَدْتُن**، و لم يقل لهن:[٣] أَرَاوَدْتُنّ أم لا، ولكنه قطع القول فيه.

[٣٦٤و] وقوله عز وجل: **قُلْنَ حاشَ لله ما علمنا عليه مِن سُوء**، بدأ بهن حتى أقْرَرْنَ أنه / كان[٤] بريئًا مما قُرِف به واتُّهِم، ثم أقرت[٥] امرأة المَلِك بعد ذلك لما أقرت[٦] النسوة، **فقالت: الآن حَصْحَصَ الحق**، قيل: الآن تبيّن الحق وتحقّق، **أنا رَاوَدْتُه عن نفسه وإنه لَمِنَ الصادقين**، في قوله: هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي.[٧]

وقوله: **ما خَطْبُكُن**، ما شأنكن وأمركن، والخَطْب: الشأن. و **رَاوَدْتُن**،[٨] قد ذكرناه.[٩] وقوله: **قُلْنَ حاشَ لله**، قيل: معاذ الله؛ وقيل: هي كلمة تنزيه وتَبْرِئَة مِن القبيح.[١٠] وقوله: **ما علمنا عليه مِن سُوء**، قال أهل التأويل: الزنا. ولكن قوله: **ما علمنا عليه مِن سُوء**، هو[١١] الذي قالت: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا،[١٢]

---

[١] ع م: على ذلك.
[٢] ع م – ليظهر عنده أنه كان بريئا مما قرف به واتهم.
[٣] م + من.
[٤] م – كان.
[٥] ن: ثم أقر.
[٦] جميع النسخ: لما أقر.
[٧] سورة يوسف، ٢٦/١٢.
[٨] ن ع م: راودتن.
[٩] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٢٣/١٢.
[١٠] م: من الصبيح.
[١١] ك ن + السوء.
[١٢] سورة يوسف، ٢٥/١٢.

هو ذلك السوء [الذي] قالت: إنه أراد[1] بها. قُلْنَ: ما علمنا مِنه ذلك. وقوله: **حَصْحَص الحق**، قد ذكرناه أنه تبيّن وتحقق.[2]

وفي قوله: **ما علمنا عليه مِن سُوء**، دلالة أنْ لم يكن مِنه ما قاله أهل[3] التأويل مِن حَلّ السراويل وغيره؛ لأنه لو كان مِنه ذلك لكان[4] قد عَلِمْنَ مِنه السوء.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **ذلك لِيَعلمَ أنّي لم أَخُنه بالغيب**، قوله: **ذلك**، الردّ الذي كان منه وتَرْكُ الإجابة لِرسول المَلِك حيث قال: ٱئْتُونِي بِهِ،[5] **لِيَعلم**، المَلِك، **أَنّي لم أَخُنه بالغيب**، في أهله إذا غاب عني، ردًّا لقولها: مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا،[6] وتصديقًا[7] لقوله حيث قال: هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي.[8] وقال بعض أهل التأويل: **ذلك لِيَعلم**، الله،[9] **أنّي لم أَخُنه**، يعني الزوج، **بالغيب**. لكن هذا بعيد، أنه[10] قد عَلِم يوسف أنّ الله قد عَلِم أنه لم يَخُنْه بالغيب.

[٣٦٤و س٢٢] *وقوله عز وجل: **وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين**، أي لا[11] يجعل[12] فِعلَ الكيد والخيانة هدًى ورشدًا، إنما يجعل فِعلَ الكيد والخيانة ضلالاً وغوايةً.* [٣٦٤و س٢٣]

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥٣]

وقول أهل التأويل: لمَا قال يوسف: لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ،[13] قال له المَلِك: ولا حينَ هَمَمْتَ ما هَمَمْتَ، فقال: **وما أُبَرِئُ نفسي إنّ النفس لَأَمّارةٌ بالسوء**، هذا مما لا نعلمه.[14]

---

[1] ع م + به.
[2] ع م: الحق.
[3] ك – أهل.
[4] ن – لكان؛ ع م: لكن.
[5] سورة يوسف، ٥٠/١٢.
[6] سورة يوسف، ٢٥/١٢.
[7] ع: تصديقًا.
[8] سورة يوسف، ٢٦/١٢.
[9] ك – الله.
[10] أي لأنه.
[11] ك – لا.
[12] ع م: لا يحتمل.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٤و/سطر ٢٢-٢٣.
[13] الآية السابقة.
[14] ع م: لا يعلمه.

وقد ذكرنا في تأويل قوله:[1] وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا،[2] ما يَحِلّ ويَسَع أن يُتَكَلَّم به وفسادَ تأويلِ أهلِ التأويل من الوجوه التي ذكرنا. ومعنى قوله: **وما أُبَرِّئُ نفسي إنّ النفس لَأَمّارةٌ بالسوء إلا ما رَحِم ربي** -أي عَصَم ربي، والله أعلم- أنه لمّا قال: ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ، لِما عَصَمَنِي الله عن ذلك ولو لم يكن عَصَمَني لَكُنْتُ أَخُونُه،[3] **إنّ النفس لَأَمّارةٌ بالسوء إلا ما رَحِم ربي**، أي ما[4] عَصَمَ ربي؛ لأن النفس جُبلت وطُبعت على المَيْل إلى الشَّهَوات واللّذّات والهَوَى فيها والرغبة والتوقّي عن المكروهات والشدائد. ألا ترى أنه قال: فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى،[5] أثبت للنفس الهَوَى وإيثارَ الحياة الدنيا وشَهَواتِها. هذا يدل أن قوله: رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ،[6] هو محبة الاختيار والإيثار في الدين، لا ما تختار النفس وتُؤثِر. النفس أبدًا تختار وتُؤثِر ما هو أَلَذّ وأَشْهَى وتَنْفِر عن الشدائد والمكروهات، على هذا طُبعت وجُبلت.*

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[٥٤]

وقوله عز وجل: **وقال المَلِك ائْتُوني به أَستَخْلِصْه لنفسي**، أي أجعله لنفسي خالصًا لحوائجي. أو أن يكون قوله: **أَستَخْلِصْه لنفسي**،[7] أَصْدُرُ لِرأيه وأُطيع[8] أَمْرَه. في هذا يَقَع استخلاصُه إياه. ولذلك[9] قال: مَكَّنَّا لِيُوسُفَ،[10] الآية. لا[11] أنْ يجعله لحاجة نفسه خالصًا دون الناس لا يُشرِك غيرَه فيه. دليله[12] ما ذكر في حرف حفصة: إنك اليوم لدينا مطاع[13] أمين.

[1] جميع النسخ: ذكرنا التأويل في قوله.
[2] سورة يوسف، ١٢/٢٤.
[3] ع: اخوته.
[4] ك – ما.
[5] سورة النازعات، ٧٩/٣٧-٤١.
[6] سورة يوسف، ١٢/٣٣.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٤و/سطر ٢٢-٢٣.
[7] ع م – أي أجعله لنفسي خالصا لحوائجي أو أن يكون قوله استخلصه لنفسي.
[8] ن ع م: وأطيع.
[9] ع: وكذلك.
[10] سورة يوسف، ١٢/٥٦.
[11] ع – لا.
[12] ن ع م: دلالة.
[13] ع: مكين.

وقوله عز وجل: **فلمّا كلّمه قال إنك اليوم لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِين**، و لم يذكر فيه أنه أُتِيَ به، ولكن قال: **فلمّا كلّمه**، فهذا يدل أنه قد أُتِيَ به وإن لم يذكر أنه[1] أُتِيَ به،[2] حيث قال: **فلمّا كلّمه قال إنك اليوم لَدَيْنا مَكِينٌ أَمِين**. قيل: المَكِين: الوَجيه؛ وقيل: المَكِين: الأمين المَرْضِي عندنا، والأَمِين على ما استَأْمَنَاك.[3]

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٥٥]

وقوله عز وجل: **قال اجعلني على خزائن الأرض**، سأل هذا لما عَلِم أنه ليس في وُسْعِهم القيامُ بإصلاح ذلك الطعام، وعَلِم أنه لو وَلَّى غيرَه الخزائنَ لم يَعرف إنزالَ الناسِ مَنازِهَم في تقديم مَن يجب تقديمه والقيامِ بحاجة الأحقّ[4] مِن غيره، وعَلِم أنه إليه يَرجع ويَقَع حوائجُ أكثرِ الناس[5] وبه قِوامُ أبدانِهم. فسأله ليقوم بذلك كلِّه وعلى يديه يجري. ولذلك[6] قال: **إني حفيظ عليم**، قال بعضهم:[7] **حفيظ**، بما وُلِّيتُ عليهم بأمره. وقيل: **حفيظ**، أي حاسب؛ **عليم**، أي[8] بالأَلْسُن كلِّها. وقيل: **حفيظ**،[9] لِما في الأرض مِن غَلّة، عالمٌ بها. وعن ابن عباس رضى الله عنه: **حفيظ**، لِما تحت يَدَيَّ، **عليم**، بالناس. وقيل: **حفيظ**، بصير بتقديره، عالمٌ بساعات الجوع حين يَقَع. [أو] **إني حفيظ**، لِما استُحْفِظتُ، **عليم**،[10] بحوائج الناس. أو **عليم**، بتقديم الأحقّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥٦]

وقوله[11] عز وجل: **وكذلك مَكَّنَّا ليوسف في الأرض**، يقول -والله أعلم- كما برّأنا يوسف مما قُرِف به وأظهرنا براءتَه مِنه مَكَّنّاه[12] في الأرض حتى احتاج أهل نَواحي مصر وأهلُ الآفاق إليه.

---

[1] ع + قد.
[2] ن + ولكن فلما كلمه فهذا يدل أنه قد أتى به وإن لم يذكر أنه أتى به.
[3] ن: على ما استأمنك.
[4] ع: لاحق.
[5] ع م + منازلهم.
[6] م: وكذلك.
[7] ك + بعضهم.
[8] ن - أي.
[9] ع م - أي حاسب عليم أي بالألسن كلها وقيل حفيظ.
[10] ع م: عليهم.
[11] ن: قوله.
[12] ك ن: ملكناه.

أو أن يقال: كما حفظناه وأنجيناه مما قَصَد به إخوتُه مِن الهلاك نمكّن[1] له[2] في الأرض. وجائزٌ أن يكون قوله: **وكذلك مَكَّنَا ليوسف**، جوابه: كما مَكَّنَا ليوسف في الأرض بعد ما أَخْرَجه[3] مَن عليه الإيواء[4] والضَّمُّ كذلك نمكّنك في الأرض ونُؤوِيك[5] بعد ما أَخْرَجَك[6] مَن عليه إيواؤك.[7]

[٣٦٤ظ] وقوله عز وجل: / **يَتبوَّأ منها حيث يشاء**، أي يَنزِل منها حيث يشاء،[8] أو يَسكُن[9] منها حيث يشاء.[10] وقوله عز وجل: **نُصِيب برحمتنا مَن نشاء**، يحتمل قوله: **برحمتنا**، سَعَةَ الدنيا[11] ونعيمَها، كقوله: مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا.[12] ويحتمل **برحمتنا**، أَمْرَ الدين مِن النبوة والعِصمة. وهو على المعتزلة؛ لأنهم يقولون: ليس لله[13] أن يختصّ أحدًا بالرحمة،[14] ولا يُصيب من رحمته إنسانًا دون إنسان. وعلى قولهم لم يكن مِن الله إلى رسول الله[15] مِن الرحمة إلّا وكان إلى إبليس مِثلُه.

وقوله عز وجل: **ولا نُضِيع أجرَ المحسنين**، أي لا نُضِيع أجرَ مَن أَحسن صُحبةَ[16] الله في الدنيا والآخرة، أي نجزيه جزاءَ إحسانِه. أو يقول: ولا نُضِيع أجرَ مَن أَحسن صُحبةَ نِعَمِ الله وقَبِلَها[17] بالشكر له.

[٣٩٠و س ١١] *ثلاث[18] آيات في سورة يوسف على المعتزلة. قوله: وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ،[19] أخبر أنه لو لم يَصرف عنه[20] كيدهن مال إليهن، وهم يقولون: قد صَرف عن كل أحد السوء والكيد،

---

[1] ك ن ع: تمكن.
[2] ع م – له.
[3] جميع النسخ: ما أخرج.
[4] ع م: الابراء.
[5] جميع النسخ: ونؤوي.
[6] ع م: ما أحوجك.
[7] ع: ابوابك؛ م: ابراك.
[8] ع م – أي ينزل منها حيث يشاء.
[9] ع م: أو تسكن.
[10] ن: نشاء.
[11] ن + يحتمل قوله برحمتنا سعة الدنيا.
[12] سورة فاطر، ٢/٣٥.
[13] ع م – لله.
[14] ع م: برحمته.
[15] ك ن – الله.
[16] ع: ضحبة.
[17] م: وقلبها.
[18] ع: ثلاثة.
[19] سورة يوسف، ٣٣/١٢.
[20] ن ع م: عني.

لكن لم يَنصرف عنه ذلك. وكذلك[1] قوله: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي،[2] أخبر أنه[3] إذا رَحِمَه امتنع عن السوء والأمر به، وهم يقولون: إنه وإن رَحِم لا يمتنع السوءُ ولا الأمرُ به. وكذلك قوله: **نصيب برحمتنا من نشاء**، وهم يقولون: ليس له أن يصيب أحدًا[4] دون أحد مِن رحمته ولا أن يخصّ أحدًا بذلك.* [٣٩٠و س١٦]

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[٥٧]

وقوله عز وجل: **وَلَأجرُ الآخرة خيرٌ للذين آمنوا**، أي ثواب الآخرة وأجرها خير لهم من ثواب الدنيا وأجرها. وقوله: **آمنوا**، صدّقوا، **وكانوا يتقون**، الشرك. أو **آمنوا**، صدّقوا، **وكانوا يتقون**، المعاصي والفواحش.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[٥٨]

وقوله عز وجل: **وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له مُنكِرون**، لمّا أراد الله أن يَبْلُغَ أَمْرُ يوسف فيما أراد أن يَبْلُغَ جَعَلَهم بحيث لا يَعرفونه. لذلك قال: **فعرفهم وهم له مُنكِرون**، أي لا يَعرفونه، كقوله: قَوْمٌ مُنْكَرُونَ،[5] أي غير معروفين عند إبراهيم. والمنكَر هو الذي لا يُعرَف في الشرع ولا في العقل.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[٥٩]

وقوله عز وجل: **ولمّا جَهَّزهم بجَهَازهم**، أي أعطى لهم الطعام الذي طلبوا منه. قال أبو عَوْسَجَة: الجَهاز: المتاع، والجَهاز أيضًا: متاع المرأة الذي[6] تُجَهَّز به. ولا يقال: جِهاز، بخفض الجيم. وقال أهل التأويل: إن يوسف عليه السلام قال لهم حين دخلوا عليه: أنتم عُيُون، بَعَثَكم مَلِكُكم تَنظرون إلى أهل مصر ثم تأتونه[7] بالخبر، وتأتونا[8] بكذا. ذلك مما لا نعلمه أنه قد كان قال[9] لهم ذلك أم لا.

---

[1] ع م: عنه كذلك.
[2] سورة يوسف، ١٢/٥٣.
[3] ن ع م – أنه.
[4] م: أحد.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ١٠٠، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٠و/سطر ١١-١٦.
[5] سورة الذاريات، ٥١/٢٥.
[6] ك ع م: التي.
[7] ع: مصر تأتون.
[8] ك ع م: وتأتنا؛ ن: وتأتينا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٠٠و.
[9] ع – قال.

وغير ذلك من الكلمات التي قالوا: إنه قال لهم كذا، وقالوا هم له:[1] نحن[2] كذا وكذا[3] رجلاً، فهلك مِنّا كذا، ولنا أبٌ كذا، مِثلُ هذا لا يكون كلامَ الأنبياء، إنما هو[4] كلامُ بعضِ العوامّ الغَوْغَاء.[5] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قال ائتُوني بأخٍ لكم مِن أبيكم ألا تَرون أنّي أُوفِي الكَيْلَ وأنا خير المُنْزِلين**، مِثلُ هذا لا[6] يحتمل أن يقوله يوسف ابتداءً على غير سببٍ أو كلامٍ كان هنالك، لكنه لم يذكر الذي كان، ونحن لا نعرف ما الذي كان جرى هنالك فيما بينهم.

[٣٦٤ظ س٢٧ * ويحتمل قوله: **ألا تَرون أنّي أُوفِي الكَيْلَ**، وجهين. أحدهما قال ذلك لهم أنه يُوفي[7] لهم الكَيْلَ؛ لأن أهل ذلك المكان كانوا ينقصون ويخسرون الكَيْل في الضِيق، فقال هو: **ألا تَرون أنّي أُوفِي الكَيْلَ**، ولا أَبْخَس. والثاني **ألا تَرون أنّي أُوفِي الكَيْلَ**، على غير المُحاجَة، وكان يجعل لغيرهم الطعام على المحُاجَة لِضيق الطعام. [**ألا ترون**] **أنّي أُوفِي الكَيْل**، على قَدْر الحاجة، **وأنا خير المُنْزِلين**، في الإحسان إليكم والتوسيع عليكم؛ لأن أهل ذلك المكان لا يحسنون إلى النازلين بهم ولا يُوَسِّعون عليهم[8] لِضيق الطعام. وكأنّ قولَه:[9] **ألا ترون أنّي أُوفِي الكَيْلَ**، مؤخَر عن قوله: فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ،[10] كأنه قال: ائتُوني لي بأخٍ لكم مِن أبيكم فإن لم تأتوني به

٣٦٤ظ س٣٤] فلا كَيْلَ لكم عندي ولا تَقربونِ، فعند ذلك قال: **ألا ترون أنّي أُوفي الكَيْل**. *والله أعلم*.*

﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾[٦٠]

وكذلك قوله: **فإن لم تأتوني به فلا كَيْلَ لكم عندي ولا تَقربونِ**، أمّا أهل التأويل فإنهم قالوا: قال لهم: ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ،[11] إلى آخر ما ذكر؛ لأنه لمّا قال لهم:[12] إنكم جئتم عُيُونًا لمَلِكِكم،

[1] ن – له؛ ك ن + كذا.
[2] ع م – نحن.
[3] ك ن: كذا كذا.
[4] ع م – كلام الأنبياء إنما هو.
[5] انظر لما قالوا تفسير الآية التالية.
[6] ع – لا.
[7] م: يؤتي.
[8] ك ن – عليهم.
[9] ع: أنه.
[10] الآية التالية.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٤ظ/سطر ٢٧-٣٤.
[11] الآية السابقة.
[12] ن ع م – لهم.

فأَمَرَ بحبسهم، فقالوا: نحن بنو[١] يعقوب النبي، وكُنّا اثْنَيْ عشر رجلاً، فهَلَكَ مِنّا رجلٌ في الغَنَم، ووجدنا على قميصه دمًا، فأتينا[٢] أبانا[٣] فقلنا كذا، وقد خَلَّفْنا عند أبينا أخًا له مِن أُمِّه.[٤] فعند ذلك قال لهم:[٥] اِئْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ. لكن هذا الذي ذكروا لا يكون سببًا لقوله[٦] ولا جوابًا له. وقد ذكرنا أنه لا يصح هذا الكلام مُبتدأً. لَكِنّا[٧] نَعلم بالعقل[٨] أنه كان هنالك[٩] سببٌ ومعنى أَمَرَ يوسفَ أن يقول لهم ذلك. وإلا لا يحتمل أن يقول[١٠] لهم يوسف: **لا كَيْلَ لكم عندي ولا تقربونِ**، وهو كان يَعلم أنّ أباه يعقوب يحتاج إلى طعام ويعرف حاجتهم في ذلك. هذا لا يَسَع[١١] إلا بسبب كان ثَمَّ،[١٢] فأَمَرَ[١٣] يوسف بذلك. وقوله: **فلا كَيْلَ لكم عندي ولا تقربونِ**، فيما يستقبل، أي لا تأتوني. *والله أعلم*.*

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾[٦١]

وقوله عز وجل: **قالوا سنُراوِد عنه أباه وإنّا لَفاعلون**، هذا الكلام في الظاهر ليس هو جوابَ قولِ يوسف[١٤] حيث قال: اِئْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ.[١٥] وجوابه أن يقولوا له: نأتي به، أو لا نأتي. فأمّا أن يُجعَل قولهم: **سنُراوِد عنه أباه وإنّا لَفاعلون**، جوابًا له فلا يحتمل. مع ما أنّ في قولهم:[١٦]

---

[١] ك: بنوا.
[٢] ع: فأتنا.
[٣] م: آباءنا.
[٤] جميع النسخ + الذي هلك.
[٥] ك – لهم.
[٦] ك – لقوله.
[٧] ع: الكنا.
[٨] ع م: بالتعقل.
[٩] ع: هناك.
[١٠] ع م – يقول.
[١١] ن – لا يسع.
[١٢] ن: ثمه.
[١٣] ع: أمر.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٤ظ/سطر ٢٧-٣٤.
[١٤] ع + وإنا لفاعلون جوابا فلا يحتمل.
[١٥] سورة يوسف، ٥٩/١٢.
[١٦] ن: مع أن ما في قولهم؛ ع م: في قلوبهم.

سنُراوِد عنه، اضطرابا،[1] يَملِكون أو لا يَملِكون، وقولهم:[2] وإنّا **لَفاعلون**، على القطع. لكن يشبه أن يخرج على وجهين.[3] أحدهما على الإضمار: **سنُراوِد عنه أباه**، فإن أَذِن له، **وإنّا لَفاعلون**، ذلك. أو على التقديم والتأخير، يكون جواب قوله: اِئْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ، في قولهم: **وإنّا لَفاعلون**، كأنه لمّا قال لهم يوسف: اِئْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ / مِنْ أَبِيكُمْ، قالوا: إنّا لَفاعلون، [٣٦٥و]
ثم قالوا فيما بينهم: **سنُراوِد عنه أباه**. على هذين الوجهين يشبه أن يخرج. *والله أعلم*.

وقوله: **سنُراوِد عنه أباه**، قال أبو عَوْسَجَة: المُراوَدَة: المُمارَسة، وهي شِبه المخادعة، وهي المعالجة. وقيل: **سنُراوِد**، أي سنَجْهَد وسنطلب.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٦٢]

وقوله عز وجل: **وقال لِفتيانِه**، و[قُرِئَ]: "لِفِتْيَتِهِ".[4] الفِتْيَة: الخَدَم، والفِتْيان: المماليك. **اجعلوا بضاعتهم في رِحالهم**، قيل: اجعلوا دراهمهم في أوعيتهم. في الآية[5] دلالة أنّ الهبة قد تصح وإن لم يصرّح بها إذا وقع في يَدَي الموهوب له وقَبَضَه وإن لم يَعلم هو بذلك وَقْتَ ما جُعِل له؛ لأن يوسف جَعل بضاعتهم في رحالهم هبةً لهم مِنه وهم لم يَعلموا بذلك، وهو وَقْتَ ما جعل ذلك لهم[6] [كان] مِلكًا ليوسف. ولهذا قال أصحابنا: إنّ مَن وَضع[7] ماله في طريق مِن طرق المسلمين ليكون ذلك مِلكًا لمن رفعه كان ما فَعل. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لعلّهم يَعرفونها إذا انْقَلبوا إلى أهلهم لعلّهم يَرجعون**، هذا يحتمل وجهين. أحدهما **يرجعون**، مخافة أن يُقرَفوا[8] بالسرقة لِما عسى يَقع عندهم [ويقولوا:] إنّ واحدًا مِنّا جَعل هذا في متاعنا وأوعيتنا سرًّا منهم، ففَعل يوسف هذا ليرجعوا مخافةَ أنْ يُقرَفوا بالسرقة.[9]

---

[1] جميع النسخ: اضطراب.
[2] ع م: قولهم.
[3] ن: على الوجهين.
[4] قراءتان متواترتان. فقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف: لِفِتْيانِه، وقرأ الباقون: لِفِتْيَتِه. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٥.
[5] ك ن: فيه؛ ع – الآية.
[6] ك: جعل لهم ذلك؛ ن – لهم.
[7] ع: من موضع.
[8] ع م: أن يعرفوا. قرف بالشيء أي اتهم به (*لسان العرب* لابن منظور، «قرف»).
[9] ع م – لما عسى يقع عندهم أن واحدا منا جعل هذا في متاعنا وأوعيتنا سرا منهم ففعل يوسف هذا ليرجعوا مخافة أن يقرفوا بالسرقة.

والثاني ما قاله أهل التأويل: لمّا تخوّف يوسف أن لا[١] يكون عند أبيه من الوَرِق ما يَرجعون به مرة أخرى، فجعل دراهمهم في أوعيتهم لكي يرجعوا إليه،[٢] فلا يحبسهم[٣] عنه[٤] عدم الدراهم، لأنهم كانوا أهل ماشية.[٥]

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٦٣]

وقوله عز وجل: **فلمّا رَجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا مُنِع مِنا الكَيْلُ**، فيما يُستقبَل ويُستأنَف، بقوله:[٦] ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾،[٧] **فأَرسِل معنا أخانا نَكْتَلْ**، بالنون، و[قُرِئ] بالياء: يَكْتَلْ.[٨] وبالنون أقرب؛ لأنهم قالوا: **مُنِع مِنا الكَيْلُ فأَرسِل معنا أخانا نَكْتَلْ**، نحن بسببه،[٩] ويَكْتَل هو إن أرسلتَه. **وإنّا له لحافظون**، لا يحتمل أن يقولوا له هذا مِن غيرِ سببٍ كان هنالك مِن خوفٍ خاف عليه أبوهم مِن ناحيتهم وتهمةٍ اتهمهم؛[١٠] لأنه كان أخاهم[١١] مِن أبيهم، خاف عليه أن يُضيعوه أو إن[١٢] استقبله أمرٌ[١٣] لا يُعينونه.[١٤] أو أمرٌ كان لم يُذكَر، ولسنا ندري ما ذلك المعنى. والله أعلم بذلك.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٦٤]

قال هل آمَنُكم عليه إلا كما أَمِنتُكم على أخيه مِن قبلُ، وفي[١٥] حرف ابن مسعود رضي الله عنه: هل تحفظونه إلا كما حفظتم أخاه يوسف مِن قبلُ. في هذا دلالة أنّ مَن ظهرت منه

---

[١] ع م- لا.
[٢] جميع النسخ: إلينا.
[٣] ع: فلا يحسبهم؛ م: فلا يجيبهم.
[٤] جميع النسخ: عنا.
[٥] أي كانت أموالهم الرئيسية الحيوانات من الغنم وغيرها، وكانوا يتعاملون بينهم بالمقايضة ويبيعون ويشترون بالغنم مثلا بدلا عن الدراهم والدنانير.
[٦] ك م: لقوله.
[٧] سورة يوسف، ٦٠/١٢.
[٨] قراءتان متواترتان. فقرأ حمزة والكسائي وخلف: يَكْتَلْ، وقرأ الباقون: نَكْتَلْ. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٩٥/٢.
[٩] م: بشبه.
[١٠] ن ع: أتمهم.
[١١] جميع النسخ: أبوهم.
[١٢] ن: وإن.
[١٣] ع: أمره.
[١٤] ع م: أمر يعينونه.
[١٥] ع: وهو.

تهمةٌ أو خيانةٌ في أمرٍ يجوز أن يُتَّهم فيما لم يَظهر منه[1] شيء، حيث اتهمهم يعقوب في بِنْيَامِينَ[2] بخيانةٍ كانت منهم في يوسف وإن لم يظهر له منهم في أخيه شيء. وهو حجة لأصحابنا أنّ مَن ظَهر فِسقُه في شيء أو كَذِبُه في أمرٍ[3] صار مجروحَ الشهادة في غيره.

وقوله: **فالله خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين**، أي إن[4] أرسلته فإنما أعتمد على حفظ الله وإليه أَكِلُ في حفظه، لستُ أعتمد على حفظكم، **وهو أرحم الراحمين**، أي هو بكلّ مكروبٍ وملهوفٍ أرحمُ مِن كل راحم؛ لأن كلَّ مَن يَرحم[5] إنما يَرحمه برحمةٍ[6] نالها منه. *والله أعلم*.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾[٦٥]

وقوله عز وجل: **ولمّا فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم رُدَّتْ إليهم**، هذا قد ذكرنا.[7] وقوله عز وجل: **قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا**، وقوله: **ما نبغي**، هذا يحتمل ما نبغي[8] سِوى الثَّمَن، فقد رُدَّ إلينا دراهمُنا. أو يكون قوله: **ما نبغي**، وراءَ هذا كبيرَ[9] شيءٍ، إنما نبغي ثمن بعير واحد، وثمن بعير واحد[10] يسير؛ لأنه قد رُدَّتْ بضاعتُنا وهو ثمن عشرة أَبْعِرَة. **ونَمِيرُ أهلَنا ونحفظ أخانا ونزداد كَيْلَ بعير**، لأنه ذُكِر أنّ يوسف كان لا يعطي كلَّ رجل إلا حِمْلَ بعير واحد ولا يعطي أكثرَ مِن ذلك، فقالوا: **ونزداد كَيْلَ بعير**، به ومِن أَجْلِه. **ذلك كَيْلٌ يسيرٌ**، قال بعضهم: **ذلك كَيْلٌ يسيرٌ**، أي سريعٌ لا حبسَ فيه. وقال بعضهم: **ذلك كَيْلٌ يسيرٌ**، أي يُتيَسِّر[11] علينا الكَيْلَ ولا يَحبِس عنّا الطعام ولا يَثقُل عليه ذلك بقوله: أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ،[12]

---

[1] ع م – منه.
[2] جميع النسخ: ابن يامين.
[3] ع م: في شيء.
[4] ع – إن.
[5] ن – لأن كل من يرحم.
[6] ع – برحمة.
[7] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٦٢/١٢.
[8] ع م – هذه بضاعتنا ردت إلينا وقوله ما نبغي هذا يحتمل ما نبغي.
[9] ع: كبر؛ م: أكبر.
[10] ن ع م – وثمن بعير واحد.
[11] ع م: أي يسير.
[12] سورة يوسف، ٥٩/١٢–٦٠.

فإن لم نأته[١] به فلا كَيْلَ لنا[٢] وقد حَبَسَنا عنه. *والله أعلم*. ويشبه أن يكون فيه وجهٌ آخرُ أقربُ مما قالوا، وهو أنّ قوله: **ذلك كَيْلٌ يسيرٌ**، أي طَلَبُ ثمنِ كَيْلِ بعيرٍ يسيرٌ؛ لأنه قد رُدَّتْ إليهم بضاعتُهم وهو ثمنُ كَيْلِ عشرةِ أَبْعِرَةٍ، فإنما احتاجوا إلى ثمنِ كَيْلِ بعير واحد، فقالوا: طَلَبُ ثمنِ كَيْلِ بعير واحد يسيرٌ،[٣] وتَكَلُّفُه سَهْل، وهو ثمنُ كَيْلِ بعيرِ بِنْيَامِين.[٤] *والله أعلم*.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[٦٦]

وقوله عز وجل: **قال لن أُرسِلَه معكم حتى تُؤتُونِ مَوْثِقًا مِن الله**، أي حتى تَأْتُوني[٥] بمَوَاثِيق مِن الله وبعهودٍ مِنه، **لَتَأْتُنَّنِي به**، فيه دلالة أنه وإن قال:[٦] فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ،[٧] واعتَمَد في الحفظ على الله[٨] ورأى الحفظَ مِنه لم يُرسِله معهم إلا بالمواثيق والعهود مِن الله؛ وهذا أمرٌ ظاهر بين الناس أنهم وإن كان اعتمادهم على الله وإليه يَكِلون في جميع أمورهم في الأموال والأنفس ومنه يَرَوْن الحفظَ فإنه يأخذ بعضُهم مِن بعضٍ المَواثِيقَ والعهود. فعلى ذلك يعقوب أنه وإن أَخبر أنّ اعتمادَه وتوكُّلَه[٩] في حفظ ولدِه على الله لم يُرسِلْه معهم إلا بعد ما أَخذ منهم العهودَ والمَواثِيقَ **لَتَأْتُنَّنِي به إلا أن يُحاطَ بكم**، أي إلا أن يجمعَكم أمرٌ ويَعُمَّكم ويحيطَ بكم الهلاكُ جميعًا، فعند ذلك تكونون / معذورين، فأمّا أن يَخُصَّ به أمرٌ فلا. والثاني إلا أن يجيء أمرٌ عظيم يَمنعُكم عن ردِّه، كأنه خاف عليه مِن المَلِك حيث طَلَب منهم أن يَأتوه به. [٣٦٥ظ]

وقوله عز وجل: **فلمّا آتَوْه مَوْثِقَهم قال**، يعقوب، **الله على ما نقول وكيل**، أي الله على المَواثِيق والعهود التي أخذتُها منكم شهيدٌ. أو يقول: الله له[١٠] حفيظٌ، كما قال: فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا.[١١] *والله أعلم*.

---

[١] ع م: لم تأته.
[٢] ن – ولا تقربون فإن لم نأته به فلا كيل لنا.
[٣] ن – يسير، صح هـ.
[٤] جميع النسخ: ابن يامين.
[٥] ن: حتى تؤتوني.
[٦] ع م: وإن كان.
[٧] سورة يوسف، ٦٤/١٢.
[٨] ك: واعتمد على الله في الحفظ.
[٩] ك: وكلاته؛ ن ع م: وكلامه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٠٠ظ.
[١٠] ك – له.
[١١] سورة يوسف، ٦٤/١٢.

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٦٧]

وقوله عز وجل: **وقال يا بَنِيّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة**، قال بعض أهل[1] التأويل: إن يعقوب خاف عليهم العَيْنَ؛ لأنهم كانوا ذَوِي صُوَر وجمال وبَهاء، فخَشِيَ عليهم العَيْنَ، لذلك أمرهم أن يدخلوا متفرقين. وقال بعضهم:[2] خشي عليهم البَيَاتَ[3] والهلاكَ؛ لأنهم كانوا أهل قوة ومَنَعة، فيخافهم أهل البلد ويَفْرَقُون[4] منهم السرقة، فأمرهم بالتفرق، وهو قول ابن عباس. فإذا كانوا متفرقين فلا يَهلِكون الكُلُّ، وإنما يَهلِك بعضٌ[5] ويَنجو بعضٌ. أو لا يُدرَى ما أراد بهذا. وقال بعضهم: عَلِم يعقوب أنهم لا يَهلِكون لِما رأى يوسفُ مِن الرؤيا أنْ يسجد له إخوته، ولكن خاف عليهم أن تصيبهم[6] النَّكْبَة، لذلك أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة، أو مِن سِكَكٍ[7] متفرقة، أو من طرق مختلفة،[8] أو ما قالوا.

[٣٦٥ظ س٣٦ *وعن الحسن -فيما أَظُنّ- في قول يعقوب لِبَنِيه: **لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبوابٍ متفرقة**، قال: أمَا والله ما كانت به طِيَرَةٌ تَطَيَّرَ بها، ولكن قد عَلِم أو ظَنَّ أنّ يوسفَ
٣٦٥ظ س٣٧] سيَلْقَى أخاه فيقول: إِنِّي أَنَا أَخُوكَ.[9]*

وقوله عز وجل: **وما أُغني عنكم مِن الله مِن شيء**، أي لا أدفع عنكم **مِن الله مِن شيء**، إن أصابكم نَكْبَة[10] أو عَيْن.

فإن قيل: لو كان أمرُه إياهم بالتفرق[11] لخوف العَيْن أو لخوف أهل البلد منهم السرقةَ والإغارةَ كيف لم يأمرهم بذلك[12] في المرة الأولى، وخَوْفُ العين وخَوْفُ

[1] جميع النسخ: بعضهم من أهل.
[2] ع م + حتى.
[3] أي أن يهجم عليهم العدو بَيَاتًا في الليل.
[4] ك ن: ويقرفون. يفرقون أي يخافون (*لسان العرب* لابن منظور، «فرق»).
[5] ك: بعضهم.
[6] ن ع م: أن يصيبهم.
[7] ع: أو من طرق.
[8] ن م: متفرقة؛ ع – أو من طرق مختلفة.
[9] سورة يوسف، ٦٩/١٢.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٥ظ/سطر ٣٦-٣٧.
[10] ك: بحبه.
[11] ع م: بالتفريق.
[12] ك – بذلك.

ما ذكر ابن عباس[١] رضي الله عنه أنه يخافهم أهل البلد إذا رأوهم مجتمعين أنهم لصوص وأنهم كذا [موجود في المرة الأولى أيضا]؟

ولكن جائزٌ[٢] أن يكون في المرة الأولى لم يخش ذلك لما قد يقع الاجتماع في أمثال ذلك[٣] من الرُّفَقاء والصحابة، فلا يكون في ذلك الخوف الذي ذكروا، وإذا عادوا في المرة الثانية[٤] قد يحتمل ذلك الخوف من العَيْن وغيره إذا عَلِم أهلُ البلد أنّ ذلك العدد[٥] تحت أبٍ واحدٍ. أو أمرهم[٦] بالتفرق في الأبواب[٧] بمحنةٍ امتَحَن بذلك وأَمر به. أو لمعنى[٨] غاب عنّا لا نحتاج[٩] إليه. ***والله أعلم.***

وقوله: **وما أُغني عنكم مِن الله مِن شيء**، أي لا أدفع عنكم مِن الله مِن شيء إن أصابكم نَكْبَة أو عَيْن وإن تفرقتم، **إنِ الحكمُ إلا لله**، هذا تفسير قوله: **وما أُغني عنكم مِن الله مِن شيء**، أي لا أدفع عنكم[١٠] بما أحتال ما قَدَّر الله وقضاه أن يصيبكم[١١] لا محالة وينزل بكم، **إنِ الحكمُ إلا لله**، أي ما الحكم في ذلك إلا لله،[١٢] ما في حُكمه وقضائه[١٣] أن يصيبكم فيصيبكم لا محالة.

وقوله عز وجل: **عليه توكلتُ وعليه فليتوكلِ المتوكلون**، هذا أصل كل أمرٍ يَخاف المرءُ: أنْ يأخذ[١٤] بالحذر ويتوكل مع ذلك على الله، على ما أمر يعقوب عليه السلام بَنِيه بالحذر في ذلك ثم تَوكَّلَ على الله في ذلك. والحذر هو العادة في الخَلْق. والتوكُّل تفويضُ الأمر إلى الله والاعتمادُ عليه. ***والله أعلم.***

---

[١] ع: وخوف العين لم يخش ذلك لما قد يقع الاجتماع وذكر ابن عباس؛ م: وخوف العين لم يخش ذلك لما قد يقع الاجتماع ما ذكر ابن عباس.

[٢] ع م – جائز.

[٣] ك: أولئك.

[٤] ن: الثالثة.

[٥] ك: العدو.

[٦] ن: وأمرهم.

[٧] م: بالتفرق الأبواب.

[٨] ك: أو بمعنى.

[٩] ن: لا تحتاج.

[١٠] ع م – من الله من شيء إن أصابكم نكبة أو عين وإن تفرقتم إن الحكم إلا لله هذا تفسير قوله وما أغني عنكم من الله من شيء أي لا أدفع عنكم.

[١١] ع + يصيبكم.

[١٢] ع: إلا الله.

[١٣] ع م: قضائه.

[١٤] ع م: وأن يأخذ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦٨]

وقوله: **ولما دخلوا مِن حيثُ أَمَرَهم أبوهم**، مِن أبواب متفرقة، **ما كان يُغني عنهم مِن الله مِن شيء**، أي ما كان يدفع ذلك عنهم[١] ما حَكَمَ الله عليهم أنه يصيبهم. وقوله عز وجل: **إلا حاجةً في نفس يعقوب قضاها**، الحاجة في النفس أحد شيئين. إمّا الرغبة، وإمّا الرهبة، كقوله: وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً.[٢] فعلى ذلك حاجة يعقوب لا تخلو إمّا أنْ كانت رغبةً منه في تفرُّقهم أو رهبةً في اجتماعهم، قَضَى تلك الحاجة.

وقوله عز وجل: **وإنه لَذُو عِلمٍ لِما عَلّمناه**، يشبه أن يكون هذا صِلَةَ ما قال يعقوب لِبَنِيه: لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ،[٣] أي **وإنه لَذُو عِلمٍ**، لِما أمرهم بالدخول على التفرُّق والنهيِ عن الاجتماع. وقوله: **ولكن أكثر الناس لا يعلمون**، أنه ما أراد بقوله: لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: **ولما دخلوا مِن حيثُ أَمَرَهم أبوهم**، مِن السِّكَك المتفرقة، **ما كان يُغني عنهم**، مِن قضاء الله شيئًا، **إلا حاجةً في نفس يعقوب قضاها**، يقول: أبداها[٤] فتكلّم بها، **وإنه لَذُو عِلمٍ لِما عَلَّمناه**، يقول: حافظ[٥] **لِما عَلّمناه**. وقيل: حافظٌ[٦] له[٧] عالمٌ[٨] به. وقيل: **لَذُو عِلمٍ لِما عَلَّمناه**، أي عَمِل[٩] بجميع ما عَلِم وانتفع به،[١٠] **ولكن أكثر الناس**، لم ينتفعوا بما عَلِموا.[١١] ويحتمل: **وإنه لَذُو عِلمٍ**، بقصة يوسف مِن أولها إلى آخرها لِما أخبرناه، **ولكن أكثر الناس**[١٢] **لا يعلمون**، ذلك. وجائزٌ أن يكون قوله: **وإنه لَذُو عِلمٍ لِما عَلّمناه**،

---

[١] ك: يدفع عنهم ذلك.

[٢] ﴿والذين تَبَوَّءُوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ (سورة الحشر، ٩/٥٩). حاجة: أي رهبة وخوفا أن يصيروا فقراء محتاجين.

[٣] الآية السابقة.

[٤] جميع النسخ: بداها.

[٥] جميع النسخ: حافظا؛ ع + له.

[٦] جميع النسخ: حافظا.

[٧] م + لما علمناه وقيل حافظا له.

[٨] جميع النسخ: عالما.

[٩] م: أي محمل.

[١٠] م – به.

[١١] ع: بما عملوا.

[١٢] ن – لم ينتفعوا بما علموا ويحتمل وإنه لذو علم بقصة يوسف من أولها إلى آخرها لما أخبرناه ولكن أكثر الناس.

أي ما أصابه مِن الحزن بذهاب يوسف وأخيه وما أصابه[1] من الشدة والنَّكْبَة لم يُؤَثِّر ذلك في عِلمه الذي عَلّمناه[2] وإن أَثَّرَ ذلك في نفسه وبدنه. أي عِلمُه بما عَلّمناه بعدَ ما أصابه ما أصابه[3] كَهُوَ ما كان قبلَ ذلك، لم يَعمل فيه ولم يُؤَثِّر.*

وأكثر أهل التأويل قالوا: قوله:[4] **إلا حاجةً في نفس يعقوب قضاها**، أي خِيفةَ العَيْن على بَنِيه لجمالهم وبهائهم وحُسنِ صُوَرِهم. أو لِما يكون لواحدٍ كذا وكذا[5] عددًا مِن البَنِين فيَقصِدون قَصْدَهم بالنِّكاية عليهم لِما ذكرنا. أو ما أراد / بذلك. *والله أعلم*. [٣٦٦و]

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٦٩]

وقوله عز وجل: **ولمّا دخلوا على يوسف آوَى إليه أخاه**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل[6] أنهم لما دخلوا البلد الذي فيه دعا يوسف أخاه وضَمَّه إليه. ويحتمل أنهم دخلوا جميعًا[7] على يوسف فضَمَّ أخاه[8] إلى نفسه، فقال: **إني أنا أخوك**، قال بعض أهل التأويل: لم يقل له:[9] **أنا أخوك**، بالنسبة؛[10] ولكنه قال: **أنا أخوك** مكانَ أخِيك الهالِك.

*وضَمُّ يوسفَ أخاه يحتمل وجهين. يحتمل لمكان سؤاله إياهم أن يَأتوا به، أو لمكان فضله ومنزلته ليَعلموا أنّ ما كان ليوسف وأخيه عند أبيهم مِن فضل المحبة والمنزلة [هو] مِن الله؛ إذ جَعل ذلك لهما عند الملك وغيره. *والله أعلم*.* [٣٦٦و س١٨–٣٦٦و س٢٠]

وقوله عز وجل: **فلا تَبْتَئِسْ**، يقول: لا تحزن، **بما كانوا يعملون**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل: لا تَبْتَئِسْ بما كان عَمِل إخوتُك،[11] كأنه لمّا دعاه فضَمَّه إلى نفسه شَكَا إليه من إخوته،[12]

---

[1] ع: وما أصاب.
[2] ن – أي ما أصابه من الحزن بذهاب يوسف وأخيه وما أصابه من الشدة والنكبة لم يؤثر ذلك في علمه الذي علمناه.
[3] ع م – ما أصابه.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٥ظ/سطر ٣٦-٣٧.
[4] ك – قوله.
[5] ك ن: كذا كذا.
[6] ن – يحتمل.
[7] ن – جميعًا.
[8] ن + هذا يحتمل أنهم لما دخلوا البلد الذي فيه دعا يوسف أخاه وضمه إليه ويحتمل أنهم دخلوا جميعا على يوسف فضم أخاه.
[9] ك – له.
[10] أي بالقرابة.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٦و/سطر ١٨-٢٠.
[11] م: أخوك.
[12] جميع النسخ: عن إخوته.

فقال عند ذلك: **فلا تَبْتَئِس بما كانوا يعملون**. ويحتمل قوله:[١] **فلا تَبْتَئِس**،[٢] بما يَعمل بك هؤلاء، أي خَدَمُه وعُمَّالُه، كأنه أخبره بما كان يريد أن يَكِيد بهم مِن جَعْلِ الصاع في رَحْلِه، فقال: **فلا تَبْتَئِس بما كانوا يعملون**، بك؛[٣] لأنه لا[٤] يجوز أن يجعل أخاه مُتَّهَمًا يُقرَف[٥] به مِن غير أنْ ظَهَرَ مِنه شيء وقد أخبر[٦] أنه أخوه. *والله أعلم*. دل أنه أراد أن يُعلّمه مما يريد أن يَكيد بهم ليكون هو على عِلمٍ مِن ذلك.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾[٧٠]

وقوله: **فلمّا جهّزهم بجَهازهم**، الجَهاز[٧] هو ما يُهَيّأ للخروج. ولذلك يقال لمتاع المرأة: جَهاز.[٨] وقوله عز وجل: **جعل السِّقاية في رَحْلِ أخيه**، السِّقاية قيل: هي الإناء[٩] الذي كان يشرب فيه الملك. وقيل: هو الصاع الذي كان يُكال به الطعام. ولكن لا نعلم ما كان ذلك سِوى أنّا[١٠] نعلم أنها كانت ذات قيمة وثمن.[١١] ألا ترى أن ذلك الرسول قال: وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ.[١٢] فلولا أنها كانت ذات قيمة وثمن[١٣] لم يُعطَ لمن جاء به حِملُ بعيرِ الطعام، وكان قيمة الطعام عندهم في ذلك الوقت ما كان. **ثم أذّن مؤذّن**، أي نادى منادٍ،[١٤] [**أيتها العير**] **إنكم لسارقون**، لا يحتمل أن يكون يوسف يأمر رسولَه أن يقول لهم: **إنكم**[١٥] **لسارقون**،

---

[١] ن ع م – قوله.
[٢] ن – بما كان عمل إخوتك كأنه لما دعاه فضمه إلى نفسه شكا إليه عن إخوته فقال عند ذلك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ويحتمل فلا تبتئس، صح هـ.
[٣] ن + ويحتمل فلا تبتئس بما يعمل بك هؤلاء أي خدمه وعماله كأنه أخبره بما كان يريد أن يكيد بهم.
[٤] ع م – لا.
[٥] م: يعترف.
[٦] ع م أخبره.
[٧] ك – الجهاز.
[٨] ن: جهازا؛ ع م – وقوله فلما جهزهم بجهازهم الجهاز هو ما يهيأ للخروج ولذلك يقال لمتاع المرأة جهاز.
[٩] ع: هما لانا.
[١٠] ع: إنما.
[١١] ك: ذات ثمن وقيمة.
[١٢] سورة يوسف، ٧٢/١٢.
[١٣] ك: ذات ثمن وقيمة؛ ك ن ع + وإلا.
[١٤] ن ع م: منادي.
[١٥] ع م: بأنكم.

وقد عَلِم أنهم ليسوا بسارقين، ولكن قال لهم ذلك المنادي الذي[١] ناداه -والله أعلم-[٢] **إنكم لسارقون**، مِن نفسه، وهو مِن بعض مَن يتولّى كَيْلَ الطعام على الناس، وأمثالُه لا يُبالون الكذب. أو قال لهم ذلك[٣] قوم كانوا بحضرتهم: **أيتُها العِيرُ إنكم لسارقون**. أو أن يكون على الاستفهام التقرير.[٤] فإن كان هذا[٥] فهو يحتمل مِن يوسف، وأمّا غيره فلا، لأنه كذب.*

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾[٧١] ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾[٧٢]

وقوله عز وجل: **قالوا وأَقبلوا عليهم ماذا تَفقِدون قالوا نَفقِد صُوَاعَ الملك**، أي إناء الملك، سمّاه مرة صُوَاعًا[٦] ومرة سِقايةً، فيجوز أن يُستعمل في الأمرين جميعًا في الاستسقاء والكَيْل جميعًا. قالوا لمناديه: **ماذا تَفقِدون**، قال أبو عَوْسَجة: أي أَضْلَلْتُم، يقال: افْتَقَدْتُك وتَفَقَّدتُك، أي تَعَهّدتُك. وقال القُتَبي: فَلَا تَبْتَئِسْ،[٧] هو مِن البُؤْس.[٨] والسِّقَايَة:[٩] المِكيال. وقيل: مَشْرَبة الملك. وصُوَاع[١٠] **الملك** وصاعه واحد.

وقوله عز وجل: **ولمن جاء به حِمْلُ بعيرٍ وأنا به زعيم**، قيل: ضَمِينٌ لذلك الطعام وكَفيلٌ[١١] به. والزعيم كأنه أيضًا اسم الرئيس[١٢] مِن القوم.

﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾[٧٣]

وقوله عز وجل: **قالوا تالله لقد عَلِمتم ما جئنا لِنُفسدَ في الأرض وما كنا سارقين**، هذا يحتمل وجوهًا. يحتمل أنهم قالوا: ذلك لأنكم رددتم إلينا الدراهم وجعلتم في أوعيتنا[١٣]

---

[١] ع م - الذي.
[٢] ن - والله أعلم.
[٣] ن - ذلك.
[٤] جميع النسخ: والتقرير.
[٥] ك - هذا.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٦و/سطر ١٨-٢٠.
[٦] جميع النسخ: صاعا.
[٧] سورة يوسف، ٦٩/١٢.
[٨] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢١٩.
[٩] انظر: سورة يوسف، ٧٠/١٢.
[١٠] ع: وصوامع.
[١١] ك: وكيل.
[١٢] جميع النسخ: لرئيس.
[١٣] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم﴾ (سورة يوسف، ٦٥/١٢).

ثم رددنا[ها] عليكم[١] مخافة أن نُقرَف[٢] بالسرقة[٣] والفساد في الأرض، فكيف تَقرِفوننا[٤] بهذا؟ والثاني إنكم تَعلمون أنّا أبناءُ النبي والرسول، والأنبياءُ لا يكون منهم السرقة ولا الفساد[٥] في الأرض، ومِثلُ هذا لم يَظهر في أهل بيتنا قط ولا قُرِفنا به، فكيف قَرَفتمونا بهذا؟ والثالث إنكم تَرَونا صوّامين قوّامين، ومَن هذا فِعلُه ودَأْبُه[٦] فإنه لا يُتَّهم بالسرقة. أو أن يكون قوله: **لقد عَلِمتم ما جئنا لِنُفسدَ في الأرض**، لما رَأَوْهم دخلوا مِن أبواب متفرقة، ولو كانوا سُرّاقًا لدخلوا مجموعين؛ لأن عادةَ السُّرّاق الاجتماعُ لا التفرق.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾[٧٤]

ثم **قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين**، أي إن كان فيكم مَن يَكذب ويَظهر ذلك منه **فما جزاؤه**.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[٧٥]

قالوا جزاؤه مَن وُجِد في رَحْلِه فهو جزاؤه، هذا يحتمل وجهين. يحتمل قوله: **فهو جزاؤه**، أي يَصير رقيقًا مملوكًا بها له؛ أو يصير محبوسًا بها عنده. *والله أعلم*.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٧٦]

وقوله عز وجل: **فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه**،[٧] ظاهر هذا الكلام أن يكون يوسف هو الذي فتّش أوعيتهم وطلب ذلك فيها، حيث نسب ذلك إليه بقوله: **قبل وعاء أخيه**. لكنه نسب إليه لِما بأمره[٨] فُتِش؛ إذ الملوك لا يتولّون[٩] ذلك بأنفسهم. وفيه أنه قد فَصَلَ بينهم وبين بِنيامين،[١٠] حيث[١١] سمّى هذا أخاه و لم يُسَمِّ أولئك بقوله: **فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه**.

---

١ أي في قدومهم الثاني.
٢ م: أن نعرف.
٣ ك: السرقة.
٤ ك م: تقرفونا؛ ع: تفرفولنا.
٥ م: والفساد.
٦ ن ع م – ودأبه.
٧ ن + لكنه نسب إليه لما بأمره؛ ع + لكنه نسب إليه.
٨ ع: يأمره.
٩ ع: لا يتلون؛ م: لا يأتون.
١٠ جميع النسخ: ابن يامين.
١١ ع م – حيث.

وهو يخرج على وجهين. أحدهما أنه قد ذَكر لهذا[1] أنه أخوه، حيث قال له: إِنِّي أَنَا أَخُوكَ،[2] ولم يَذكر لأولئك،[3] فسمّى هذا أخًا له ونسب إليه بالأخوة لما كان ذَكر له، ولم يُسمِّ أولئك لما لم يَذكر لهم / أنه أخوهم. [٣٦٦ظ]

والثاني أنه لم يكن لهذا -أعني بِنْيَامِين-[4] لِمكان يوسفَ سوءُ صنيعٍ ولا شرٌّ،[5] بل هو على الأخوة[6] والصداقة التي كانت بينه وبينه،[7] وأمّا أولئك -أعني غيره من الإخوة- فقد كان منهم إليه ما كان[8] مِن سوءِ صنيعِهم وقُبحِ فِعالِهم، فيخرج[9] ذلك مخرج التَّبَرِّي مِن الأخوة بسوءِ ما كان منهم[10] إليه. وهو كقول نوح[11] عليه السلام[12] حين قال: إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ،[13] نَفَى أن يكون مِن أهله بسوءِ عملِه، وفِعلُه غيرُ صالح.[14] فعلى ذلك الأول يشبه أن يكون على[15] هذا. **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **ثم استخرجها من وعاء أخيه،** دل هذا أنه قد كان منه أيضًا التفتيش والطلب[16] في وعاء أخيه على ما كان في أوعيتهم، لم يستخرجها[17] على غير تفتيش. وقوله عز وجل: **كذلك كِدْنا ليوسف،** هذا يحتمل وجهين. يحتمل[18] **كذلك كِدْنا،** أي عَلَّمْنا يوسف مِن أول الأمر إلى آخره ما يَكِيد ويَحتال في إمساك أخيه عنده ومَنْعِه عنهم لِأَنْ يَخْلُوَ لهم وَجْهُ أبيهم[19]

---

[1] ع م: هذا.
[2] سورة يوسف، ٦٩/١٢.
[3] ع م: أولئك.
[4] ك ن م: ابن يامين؛ ع: بابن يامين.
[5] ع م: ولا شريك.
[6] ع: في الأخوة.
[7] ع - وبينه؛ م: بينه.
[8] ع: ما كانوا.
[9] ع م: فخرج.
[10] ع م - منهم.
[11] ع م: كقوله لنوح.
[12] ع م + انه.
[13] سورة هود، ٤٥/١١-٤٦.
[14] ن - وفعله غير صالح.
[15] ع - على.
[16] ع: الطلب.
[17] ك: لم يخرجها؛ ع: لما يستخرجها؛ م: لا يستخرجها.
[18] ع - يحتمل.
[19] ع: أبيه.

جزاءَ ما طَلبوا هم أن يَخْلُوَ لهم وَجْهُ أبيهم بتغييب[1] يوسف عن أبيه. لأن أباهم قال: حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ،[2] فلمّا بَلَغَه ذلك الخبر تولّى عنهم، وهو قوله:[3] وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ،[4] الآية. هذا -والله أعلم- جزاء كيدهم الذي كادوا بيوسف لِيَخْلُوَ لهم وَجْهُ أبيهم [و] لِيتولّى عنهم أبوهم. هذا يشبه أن يكون. والثاني **كِدْنا ليوسف،** أي عَلَّمْناه أنْ كيف يُفَتِّش[5] أوعيتهم لئلا يَشعروا هم أنه[6] عن عِلمٍ استخرجها[7] مِن وعاء أخيه لا عن جهل وظنّ، فعَلَّمه البداية في التفتيش بأوعيتهم لئلا يَقَعَ عندهم أنه عن عِلمٍ ويقينٍ يأخذه. يشبه -والله أعلم- أن يخرج قوله: **كذلك كِدْنا ليوسف،** على هذين الوجهين. أو **كِدْنا**[8] **ليوسف،** أي أمرنا يوسف[9] بالكيد بهم جزاءَ ما عَمِلوا بمكانه لِما اهتمّوا بإمساك أخيهم.[10]

وقوله عز وجل: **ما كان لِيَأخذَ أخاه في دين الملك،** أي في حُكم الملك. ذُكِر أنّ حُكمَ إخوةِ يوسفَ وقضاءَهم فيهم أنّ مَن سَرق يكون عبدًا بسرقته للمسروق[11] منه[12] ويُستَعبَد بسرقته، ومِن حُكمِ الملك أنْ يُغَرِّم[13] السارقُ ضِعْفَيْ ما سرق ويُضرَب ويُؤَدَّب ثم يُخَلّى عنه. ولا نعلم ما حُكم الملك في السرقة سِوى أنه أخبر أنْ ليس له أخذُ أخيه في دين الملك.

وقوله[14] عز وجل: **إلا أن يشاء الله،** أن يجعل ذلك الحُكمَ حُكمَ الملك؛ أو يجعلَ له حقَّ[15] الأخذِ وحَبْسِه وإن لم يكن ذلك في حكمه. أو أن يكون قوله: **إلا أن يشاء الله،** على ما كان من إبراهيم: وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا،[16] الآية.

---

[1] ع: بتغيث؛ م: بتغيب.
[2] سورة يوسف، ١٢/٦٦.
[3] ع – وهو قوله.
[4] سورة يوسف، ١٢/٨٤.
[5] ع م: تفتيش.
[6] ن ع: أنهم؛ م – أنه.
[7] ع: استخراجها.
[8] ن: وكدنا.
[9] ن: ليوسف؛ ع: بيوسف؛ م – أي أمرنا يوسف.
[10] أي أمرنا يوسف بالكيد بهم حتى يجعلهم يهتمّون بإمساك أخيهم، وذلك جزاء ما عملوا به و لم يكونوا اهتموا بفقدانه.
[11] ن ع: للمسرق.
[12] م – منه.
[13] ع م: أن يغرق.
[14] ن: قوله.
[15] ن: أخذ.
[16] سورة الأنعام، ٦/٨٠.

وكان الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يَذكرون الثُّنْيا[١] على حقيقة المشيئة. أو يقول: إلا أن يكون في عِلم الله مِنّي[٢] زلّة، فأستوجب عند ذلك الكون في دين ذلك الملك، فيشاء ما عَلِم مِنّي. وكذلك قول إبراهيم حيث قال: وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا، أي لا أخاف ما تشركون به إلا أن يكون مني ما أستوجب ذلك بزلّة، فيشاء الله ذلك مِنّي.

وقوله عز وجل: **نرفع درجاتٍ مَن نشاء**، الدرجات هن الفضائل، يَرفع بعضهم فوق بعض بالنبوة والعلم وفي كل شيء. **وفوقَ كلِّ ذي عِلمٍ عليمٌ**، ما مِن عالم وإن لَطُفَ عِلمُه وكَثُرَ إلا وقد[٣] يكون فوقه مَن هو ألطف علمًا منه وأكثرُ وأعلمُ في شيء. أو يكون قوله: **وفوقَ كلِّ ذي عِلمٍ عليمٌ**، وهو الله تعالى فوقَ كلِّ ذِي عِلمٍ[٤] يُعَلِّمهم العلم. *والله أعلم*.

مَن يقول: إنه[٥] عالم لا بِعلم،[٦] يحتجّ بظاهر هذه الآية، حيث قال: **وفوقَ كلِّ ذي عِلمٍ عليمٌ**، أثبت لغيره العلم ولم يذكر لنفسه، بل قال: **عَلِيم**. لكنه إذا قال: **عَلِيم**، أثبت العلم. ولأنه إذا قال: وفوق كل العلماء عليم، يكون كذلك.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[٧٧]

وقوله عز وجل: **قالوا إن يَسرق فقد سَرق أخٌ له مِن قبلُ**، قال بعض أهل التأويل: كانت سرقته أنه كان صنمٌ مِن ذهب لجده أبي أمه يعبده، فسرق ذلك منه[٧] لئلا يعبد دون الله. ولكنا لا نعلم ذلك. ونعلم أنهم كذبوا في قولهم: **فقد سَرق أخٌ له مِن قبلُ**، وأرادوا أن يتبرّءوا منه ويَنفُوا ذلك عن[٨] أنفسهم لِيَعلم أنه ليس منهم. **فأَسَرَّها يوسفُ في نفسه ولم يُبْدِها لهم قال أنتم شرٌّ مكانًا**، عند الله. قيل: إن يوسف أَسَرَّ هذه الكلمة في نفسه[٩] ولم يُظهرها[١٠] لهم.

---

[١] أي الاستثناء بمعنى التعليق على مشيئة الله.
[٢] ع م: مبنى.
[٣] ك: قد.
[٤] ن + عليم وهو الله سبحانه فوق كل ذي علم.
[٥] أي إن الله تعالى.
[٦] ك: الا بعلم؛ ن ع: لا يعلم.
[٧] ع م – منه.
[٨] م – عن.
[٩] ع + ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا عند الله قيل أن يوسف أسر هذه الكلمة في نفسه.
[١٠] ك ن م: لم يظهرها.

أو أَسَرُّوا ما اتَّهموه بالسرقة، وجائزٌ أن يكون قولهم:[1] **إن يَسرق فقد سَرَقَ أخٌ له مِن قبلُ**، خاطبوا به أخاه بِنْيَامِين[2] دون يوسف: إن سرقتَ[3] فقد سَرق أخٌ لكَ[4] مِن قبلُ، يقولون فيما بينهم. وقد ذُكِر في بعض الحروف: إن يَسرق فقد سُرِّق أخٌ له مِن قبلُ، بالتشديد،[5] فإن ثبت فالتأويل هو لقولهم.

وقال بعضهم: قوله: **أنتم شرٌّ مكانًا**، أي أنتم أَشَرُّ[6] صُنعًا بيوسف.[7] **والله أعلم بما تَصِفون**، مِن الكذب أنه سَرق أخٌ له مِن قبلُ.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٧٨]

وقوله[8] عز وجل: **قالوا يا أيها العزيز إنّ له أبًا شيخًا كبيرًا فخُذْ أحدَنا مكانَه**، أرادوا -والله أعلم- أن يُرِقُّوا قلبَه بهذا: **إنّ له أبًا شيخًا كبيرًا**، لِما يكون قلبُ الشيخ بولده الصغير أَمْيَل، و[قالوا:] هو عنده آثَرُ وأكثرُ منزلةً مِنا، **فخُذْ أحدَنا مكانَه إنّا نَراك مِن المحسنين**، لمّا أحسن / إليهم في الكَيْل والإنزال في المنزل والضيافة والقِرَى[9] قد رَأَوْه وعَلِموه محسنًا. [٣٦٧و]

﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾[٧٩]

وقوله عز وجل: **قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده**، قيل: هذا قول يوسف: **معاذ الله**، أي أعوذ بالله أن[10] نأخذ ونحبس بالسرقة، **إلا من وجدنا متاعنا عنده**. فإن قيل: كيف تعوّذ على تركِ أخذِه وأخذِ غيرِه مكانَه ولم يكن وجب له حق الأخذ، إذ لم يكن سرقة، وإنما يُتعوّذ على ترك ما لا يَسَع تركُه؟ قيل: إنه لم يتعوّذ على تركِ أخذِ أخيه، إنما تعوّذ على أخذِ[11] غيرِ مَن وُجِد المتاعُ عنده. **إنّا إذًا لَظالمون**، عندكم لو أخذنا غيرَ مَن وجدنا متاعنا عنده؛ إذ في حُكمهم أخذُ مَن سَرق بالسرقة والحبسُ بها. **والله أعلم**.

---

[1] ع م – قولهم.
[2] جميع النسخ: ابن يامين.
[3] ك ن ع: اسرقت.
[4] جميع النسخ: له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٠٢و.
[5] وهي قراءة شاذة. قال الآلوسي: «وقرأ أحمد بن جُبَير الأنطاكي وابن أبي سُرَيج عن الكسائي والوليد بن حسّان وغيرهم: ﴿فقد سُرِّق﴾، بالتشديد مبنيا للمفعول، أي نُسِب الى السرقة» (*روح المعاني* للآلوسي، ٣٢/١٣).
[6] ع: شر.
[7] أي مما أصنع أنا ببنيامين في رأيكم.
[8] ن: قوله.
[9] هو ما يقدّم للضيف.
[10] ع م: أي.
[11] ع م – أخذ.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[٨٠]

وقوله عز وجل: **فلمّا استيأسوا منه**، قيل: أَيِسوا عن أن يُرَدَّ إليهم[١] أخوهم، **خَلَصُوا نَجِيًّا**، قيل: خَلَوْا مِن الناس وخَلَصُوا منهم يَتَنَاجَوْن فيما بينهم في أمرِ أخيهم أو في الانصرافِ إلى أبيهم أو في المُقام في البلد.[٢] **قال كبيرهم ألم تعلموا**، قال أهل التأويل: **كبيرهم**، في العقل، ليس في السن، وهو فلان. قال بعضهم: وهو يَهُوذا، وقال بعضهم: هو شَمْعُون. ولكن لا نعلم مَن كان قائل هذا هُم، ولا نحتاج إلى معرفة ذلك سِوى أنّ فيه **قال كبيرهم**، إمّا أنْ كان كبيرهم في العقل أو كبيرهم في السن. **ألم تعلموا أنّ أباكم**، "ألم تعلموا" و"ألم تَرَوْا"[٣] حرفان يُستعمَلان في أحد أمرين. في الأمر[٤] أنِ اعْلَمُوا كذا؛[٥] أو في موضع التنبيه والتقرير. وهاهنا كأنه قال ذلك على التقرير والتنبيه، أي قد عَلِمتم **أنّ أباكم قد أخذ عليكم مَوْثِقًا مِن الله ومِن قبلُ ما فَرّطتم في يوسف**، هذا يدل أن التأويل في قوله: إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ،[٦] هو إلا[٧] أن يَعُمَّكم أمرٌ ويجمعَكم فتهلكون فيه جميعًا، وليس كما قال بعض أهل التأويل: إلا أن يجيء ما يمنعكم عن ردّه، أي[٨] إلا أن تُغلَبوا فتَعجِزوا عن ردّه؛ لأنه قد جاء ما يمنعهم عن ردّه ثم أَبَى أكبرُهم الرجوعَ إلى أبيه. دل أن التأويل هو هذا. ومن يقول: إن التأويل في قوله: إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ، إلا أن يجيء ما يمنعكم عن الرد، استدل بقوله: اِرْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ؛[٩] فلو كان على[١٠] ما يَعُمُّهم ويجمعُهم لم يكن لِيأمرَهم[١١] بالرجوع إلى أبيهم. دل أنه ما ذكر. وأمّا أهل التأويل الأول يقولون: إنّ قوله: اِرْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ، ليس على الأمر، ولكن إذا رجعتم إلى أبيكم، فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ.

[١] ك: عليهم.
[٢] جميع النسخ: فيه.
[٣] ن: و أو لم تروا؛ ع م: أو ألم تروا.
[٤] ع: فالأمر.
[٥] ك: ذلك.
[٦] سورة يوسف، ٦٦/١٢.
[٧] ع م: هؤلاء.
[٨] ع م – أي.
[٩] الآية التالية.
[١٠] ع – على.
[١١] ن: يأمرهم.

وكذلك يخرج قوله: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا،[١] ليس على الأمر، ولكن [على معنى أنه] لو سألتَ أهلَ[٢] القرية وأهلَ العير لأخبروك أنه كما قلنا. فعلى ذلك قوله: ارْجِعُوا، ليس على الأمر، ولكن لو رجعتم إليه فقولوا كذلك.[٣]

وقوله عز وجل: **ومن قبل ما فرّطتم**، أي مِن قبل ما ضيّعتم أمرَ أبيكم، **في يوسف**. أو ضيّعتم أمرَ[٤] الله ووعدَه، **في يوسف فلن أبرحَ الأرضَ حتى يأذنَ لي أبي**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل **حتى يأذنَ لي أبي**، بالرجوع إليه إذا ظَهر عنده عُذرُنا وصِدْقُنا في أمر ابنه. أو **يأذنَ لي أبي**،[٥] بالمنازعة في القتال مع الملك حتى أستنقذ أخي وأستخلصه منه، **أو يحكمَ الله لي**، في الرجوع أيضًا أو في القتال **معه، وهو خير الحاكمين. أو يحكمَ الله لي**، بإظهار عُذرِنا وصِدقِنا عند أبينا، **وهو خير الحاكمين**، في إظهار العُذر؛ لأنه إذا حَكم[٦] بإظهار العذر ظَهر ذلك في الخَلْق جميعًا، ولا كذلك[٧] حُكمُ غيرِه. لأنّ كلَّ مَن حَكم[٨] بحكمٍ يجوز [أن يقال:] إنما يَحكم بحكمٍ هو حُكم الله، فهو **خير الحاكمين**. وكذلك قوله: وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛[٩] لأنّ مَن رَحِم مِن الخلق إنما يَرحم برحمته، فهو أرحم الراحمين.

﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [٨١]

وقوله عز وجل: **ارجعوا إلى أبيكم**، يحتمل على الأمر، على ما هو في[١٠] الظاهر. ويحتمل ما ذكرنا،[١١] أي لو رجعتم إليه **فقولوا يا أبانا إنّ ابنك سَرق**، يشبه أن يكون هذا منه تعريضًا في التَّخطِئة على ما كان يُؤْثِرُه على غيره من الأولاد، أي الذي كنت تُؤْثِرُه علينا بالمحبّة ومَيْل القلب **إليه** قد سَرق. ويشبه أن يكون ليس على التعريض، ولكن على الإخبار على ما ظهر عندهم مِن ظاهر الأمر. **وما شَهِدنا إلا بما عَلِمنا**، بما أخرج المتاع مِن وعائه، **وما كنا للغيب حافظين**،

---

[١] سورة يوسف، ٨٢/١٢.
[٢] م + أهل.
[٣] ك: كذا.
[٤] ع م – أمر.
[٥] ك – هذا يحتمل وجهين يحتمل حتى يأذن لي أبي بالرجوع إليه إذا ظهر عنده عذرنا وصدقنا في أمر ابنه أو يأذن لي أبي.
[٦] ن + العذر.
[٧] ع م: وكذلك.
[٨] ك: من يحكم.
[٩] سورة يوسف، ٦٤/١٢، ٩٢.
[١٠] ك – في.
[١١] انظر تفسير الآية السابقة.

هذا على التأويل الذي قيل في قوله: إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ،[1] أي يَعُمّكم ويجمعكم. أي ما كنا نعلم وقتَ إعطاءِ العهد[2] والميثاقِ أنه يَسرق، وإلّا لم نُعطِك العهدَ على ذلك. ويحتمل **وما كنا للغيب حافظين**، وقتَ ما أخرج المتاع مِن وعائه واتُّهِم أنه سَرق أو لم يَسرق، أو هو وَضَعَ الصاعَ في رَحْلِه أو غيرُه وَضَعَ، أي ما كنا نعلم في الابتداء أنّ الأمر يَرجع إلى هذا، وإلّا لم نُخرِجه معنا.

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[٨٢]

وقوله عز وجل: **واسأل القرية التي كنا فيها والعِيرَ التي أقبلنا فيها**، أي لو سألت أهلَ القرية وأهلَ العِير لأخبروك أنه على ما نقول،[3] **وإنّا لَصادقون**، على ذلك، على ما ظَهَر لنا مِن استخراج الإناء مِن وعائه. *والله أعلم*.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٨٣]

وقوله عز وجل: **قال بل سَوَّلَتْ لكم أنفسكم أمرًا**.

فإن قيل: كيف قال لهم: **بل سَوَّلَت لكم أنفسكم أمرًا**، وجَعَل ما أخبروه مِن تَسْوِيل أنفسِهم وتزيينها و[هم] لم يخالفوه[4] / فيما أمرهم في أمر بِنْيَامِين،[5] ولا تركوا شيئًا مما أمرهم به، وليس هذا [٣٦٧ظ] كالأول الذي قال لهم في أمر يوسف: بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا؛[6] لأنه قد كان منهم خلافٌ لِما أمرهم به والسعيُ على إهلاكه، فكان ما ذكر مِن تَسْوِيل أنفسِهم وتزيينها في موضع التَّسْويل والتزيين، وأمّا هاهنا فلم يأتِ مِنهم إليه خلافٌ ولا تركٌ لأمره، فكيف قال: **بل سَوَّلَتْ لكم أنفسكم أمرًا**؟

لكن يشبه أن يكون قال ذلك لأنهم[7] لمّا اتُّهِموا[8] جميعًا بالسرقة فقيل: إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ،[9] قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ،[10] قطعوا فيه القول أنهم لم يكونوا سارقين،

---

[1] سورة يوسف، ٦٦/١٢.
[2] ع م: الوقت.
[3] ع: ما تقول.
[4] ع م: ولم يخالفوهم.
[5] جميع النسخ: ابن يامين.
[6] ك + الآية. سورة يوسف، ١٨/١٢.
[7] ع – لأنهم.
[8] ن: لما اتهم.
[9] سورة يوسف، ٧٠/١٢.
[10] سورة يوسف، ٧٣/١٢.

وهو كان فيهم. فكيف قطعتم فيه القول بالسرقة: إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ،[1] ولكن **سَوَّلَتْ لكم أنفسكم أمرًا**، مِن البغض والعداوة مِن الإيثار له ولِيوسف عليهم والمَيْل إليهما[2] دونهم، حيث قالوا: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ.[3] *والله أعلم*. فسَوَّلَتْ لكم أنفسكم بِبُغضِكم[4] وعداوتكم حتى تركتم التَّفَحُّصَ[5] عن حاله وأمره أنْ لا[6] كلُّ مَن وُجِد في رَحْلِه شيءٌ يكون هو واضع ذلك الشيء، بل قد يَضَع غيرُه فيه على غير عِلمٍ منه.

وقوله:[7] **فصبر جميل**، قد ذكرناه.[8] وقوله: **عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا**، قال أهل التأويل: قال: **يأتيني بهم جميعًا**، لأنهم صاروا جماعةً: يوسف وبِنْيَامِين[9] أخوه ويَهُوذا وشَمْعُون قد تخلَّفا لسببِ حبسِ يوسفَ أخاه. أو [هما] يوسف وأخوه [فقط].[10] وقال بعض أهل التأويل: إن جبريل أتى يعقوب على أحسن صورةٍ فسأله عن[11] يوسف:[12] أفي الأحياء أم في الأموات؟ فقال: بل هو في الأحياء، فقال عند ذلك: **عسى الله أن يأتيني بهم جميعًا**. أو عَلِم يعقوبُ أنّ يوسف في الأحياء وأنه غير هالك لِما رأى يوسفُ مِن الرؤيا مِن سجود الكواكب والشمس والقمر له. عَلِم أنه في الأحياء وأنه لا يهلك إلا بعد خروج رؤياه، ولغير[13] ذلك مِن الدلائل. لكنه كان لا يعلم أين هو فقال ذلك: **إنه هو العليم الحكيم**.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [٨٤]

وقوله عز وجل: **وتولّى عنهم**، أي أعرض عنهم وعاتَبَهم حين أخبروه أنّ ابنه سَرَق، **وقال يا أَسَفَى على يوسف**، قيل: يا حُزنًا على يوسف، وقيل: يا جَزَعًا. وقال القُتَبي: الأَسَف أشدُّ الحسرة.[14]

---

[1] سورة يوسف، ٨١/١٢.
[2] م: إليها.
[3] سورة يوسف، ٨/١٢.
[4] ع: بيعضكم.
[5] ع: التفخص؛ م: الفحص.
[6] ن ع م: الا.
[7] ن – وقوله.
[8] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ١٨/١٢.
[9] جميع النسخ: وابن يامين.
[10] في نسخة ك بياض لعدة كلمات، وفي الحاشية: كذا في الأصل بياض.
[11] ع – عن.
[12] ن م: من يوسف.
[13] جميع النسخ: وغير.
[14] تفسير غريب *القرآن* لابن قتيبة، ٢٢١.

وأصله أنّ الأَسَف كأنه النهاية في الحزن،[١] إذا بلغ غايته ونهايته يقال: أَسِف. وهو النهاية في الغضب أيضًا، كقوله: فَلَمَّا آسَفُونَا -أي لمّا[٢] أغضبونا- اِنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ.[٣]

وقوله عز وجل: **يا أَسَفَى على يوسف**، يحتمل أن يكون لا على إظهار القول باللسان، ولكن إخبارٌ عمّا في ضميره. وذلك جائز، كقوله: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ،[٤] أخبر عما في قلوبهم لا أنْ[٥] قالوا ذلك باللسان. ويحتمل القول به على غير قصدٍ منه.

وقوله عز وجل: **وابيَضَّتْ عيناه مِن الحُزن فهو كَظِيم**، الكَظْم[٦] هو كَفُّ النفس عن الجَزَع وترديدُ الحُزن في الجَوْف[٧] على غير إظهارٍ في[٨] أفعاله. والجَزَع هو ما يَظهر في أفعاله. والذي يُهَيِّج الحُزن هو الذي[٩] يُهَيِّج[١٠] الغضب، إلّا أنّ الحُزن يكون على ما فوقه،[١١] والغضب على[١٢] مَن تحت يدِه، وسببُ هيجانهما واحد. أو أن[١٣] يكون الكَظِيم[١٤] هو الذي يمسك الحُزن في قلبه. والغَمُّ كأنه[١٥] هو الذي يَستر ويُغطّي القلبَ إذا حَلَّ به. والهَمُّ هو ما يَبعث على القَصْد مِن الهَمِّ[١٦] به. والحُزنُ هو على ما يُؤَثِّرُ التغييرَ في الخِلقة ولا يَظهر في الأفعال. والجَزَعُ يَظهر في الأفعال[١٧] ولا يُغيّر الخِلقة عن حالها. لذلك عَمِل[١٨] في ضَعْف نفسِ يعقوب،

---

[١] ك + إن الحزن.

[٢] ع: لنا؛ م – لما.

[٣] سورة الزخرف، ٥٥/٤٣.

[٤] ﴿ويُطعِمون الطعام على حُبِه مسكينا ويتيما وأسيرا. إنما نُطعِمُكم لِوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شُكُورا﴾ (سورة الإنسان، ٨/٧٦-٩).

[٥] م: لأن.

[٦] ن ع م: الكظيم.

[٧] ع: في الخوف.

[٨] ع م + غير.

[٩] ع م – يهيج الحزن هو الذي.

[١٠] ع م: يهج.

[١١] ن ع م: من فوقه.

[١٢] ع م – على.

[١٣] ع م: وأن.

[١٤] ع: الكظم.

[١٥] ع م – هو الذي يمسك الحزن في قلبه والغم كأنه.

[١٦] م + هو ما يبعث على القصد من الهم.

[١٧] م – والجزع يظهر في الأفعال.

[١٨] ع م – عمل.

وعَمِلَ في إهلاك[1] بَعضِه[2] حيث ذهبت عيناه وابْيَضَّتْ مِن الحُزن. والكَظِيم -ما ذكرنا- هو الذي يُرَدِّد الحُزنَ في جَوْفِه[3] ولا يُظهِر ويَكُفُّه عن الجَزَع.

﴿قَالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[٨٥]

وقوله عز وجل: **قالوا تالله**، هو[4] يمينهم مكان والله أو بالله. وكذلك قال إبراهيم: وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ.[5] وقوله عز وجل: **تَفْتَؤُ تَذكر يوسف**، أي لا تزال تذكر يوسف ولا تنسى ذِكرَه حتى تَسْلُوَ[6] مِن حُزنه. كأنهم دَعَوْه إلى السَّلْوِ مِن حُزنه؛ لأنه بالذكر يتجدّد الحُزن[7] ويحدُث، فقالوا له: لا تزال تذكر يوسف، **حتى تكونَ حَرَضًا**، قيل: دَنَفًا.[8] وقيل: **حَرَضًا**: هَرِمًا. وأصل الحَرَض الضَّعْف. **أو تكونَ من الهالكين**، كذلك صار يعقوب، ضَعُفَ في بدنه مِن الحُزن، وصار بعضُ بدنِه **مِن الهالكين**، حيث ابْيَضَّتْ عيناه وذهبت[9] مِن الحُزن.

[٣٦٧ظ س٣٦ *وقال بعضهم: الحَرَض: الذي قد[10] ذهب عقله مِن الكِبَر، **أو تكون من الهالكين**،

٣٦٧ظ س٣٧] فتموت. *والله أعلم*.*

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٨٦]

وقوله عز وجل: **قال إنما أشكو بَثِّي وحُزني إلى الله**، قال القُتَبي: الحَرَض: الدَّنَف، والبَثّ: أشدُّ الحُزن؛ لأنّ[12] صاحبه لا يصبر عليه حتى يَبُثَّه، أي يشكوه.[13] وكذلك روي في الخبر:

---

[1] ع م: في الهلاك.

[2] ن ع م: بغضه.

[3] ع: على جوفه.

[4] م - هو.

[5] سورة الأنبياء، ٢١/٥٧.

[6] ن ع: حتى تسلوا.

[7] ع: يتجدد والحزن.

[8] الدَّنَف: المرض اللازم. وقيل: هو المرض ما كان. ورجل دَنَف ودَنِف: أضعفه المرض حتى أَشْفَى على الموت (*لسان العرب* لابن منظور، «دنف»).

[9] ن ع: ذهبت؛ م: ذهب.

[10] ن ع م - قد.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٦٧ظ/سطر ٣٦-٣٧.

[12] ن ع م: لأنه.

[13] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢١، ٢٢٢.

«مَن بَثَّ فلم يَصبر»،[١] أي شَكَا. وما ذكر مِن الشكاية إلى الله ليس على إظهار ذلك باللسان، ولكن إمساكٌ في القلب. وقال الحسن: **أشكو بَثِّي**، أي حاجتي، **وحُزني إلى الله**.[٢] ويشبه أن يكون البَثُّ والحُزنُ واحدًا، ذكر على التكرار.*

وقوله عز وجل: **وأَعلمُ مِن الله مالا تعلمون**، قال بعض أهل التأويل: قوله: **وأَعلمُ مِن الله**، مِن تحقيق رؤيا يوسف أنه كائن، **ما لا تعلمون**، أنتم وأنَا ستَسجُد له. وقال ابن عباس رضي الله عنه: قوله:[٣] **وأَعلمُ مِن الله ما لا تعلمون**، أنه حي[٤] لم يمت،[٥] وهو ما ذكر أنه كان يَعلم مِن الله / ما لا يعلمون هم.[٦] ويشبه أن يكون قوله: **وأَعلمُ مِن الله**، أي أَنتفع بعلم [٣٦٨و] ما لا تنتفعون أنتم. وأصله أنّ إخوة يوسف لو علموا أنّ أمرَ يوسفَ يَبلُغ ما بَلَغ مِن المُلْك والعِزّ ما قَصَدُوا قَصْدَ تَغييبه عن والده، ولا سَعَوْا فيه فيما سَعَوْا مِن إفساد أمرِه، لكنهم لم يَعلموا. ***والله أعلم***. أو عَلِم[٧] مِن الله شيئًا لم يُبيّن، ما لا يعلمون هم، كقول[٨] إبراهيم[٩] [لأبيه: يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ].[١٠] وما ذكر أهل التأويل أن يعقوب قال كذا مِن النِّياح على يوسف والجَزَع عليه لا يحتمل ذلك؛ لأنه قال حين أخبروه بذلك: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ،[١١] وما ذكروا هم مِنه ليس هو بصبرٍ فضلاً أن يكون جميلاً.

---

[١] روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من بث فلم يصبر»، ثم قرأ: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾. انظر: *تفسير عبد الرزاق*، ٢/٣٢٧-٣٢٨؛ و*تفسير الطبري*، ١٢/١٦٦؛ و*شعب الإيمان* للبيهقي، ٧/٢١٤-٢١٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٧٢.

[٢] *تفسير الطبري*، ١٣/٤٥؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٧٣.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٦٧ظ/سطر ٣٦-٣٧.

[٣] ك ن – قوله.

[٤] م: هي.

[٥] روي عن ابن عباس في قوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾، يقول: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنّي سأسجد له. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٤٥.

[٦] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلمّا أنْ جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدّ بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ (سورة يوسف، ١٢/٩٦).

[٧] ع: أو أعلم.

[٨] ع: كقوله.

[٩] في نسخة ك بياض لعدة كلمات، وفي الحاشية: كذا في الأصل بياض.

[١٠] من *الشرح*، ورقة ٤٠٣و. يقول الله تعالى حاكيا عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿يا أبتِ إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهْدِكَ صراطا سَوِيًا﴾ (سورة مريم، ١٩/٤٣).

[١١] سورة يوسف، ١٢/١٨، ٨٣.

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٨٧]

وقوله: **يا بَنِيَّ اذهبوا فتَحَسَّسُوا مِن يوسف وأخيه**، قال أهل التأويل: تَحَسَّسُوا: اطْلُبُوه واستَخْبِرُوا[١] عنه وعن أخيه. لكن غير هذا كأنه أقرب، وهو[٢] مِن وقوع الحِسّ عليه، كأنه قال: اذهبوا فانظروا إليه وإلى أخيه؛ لأنهم إن لم يكونوا يَعلمون أنّ يوسف أين هو فلقد كانوا يَعلمون عن حال[٣] أخيه بِنْيَامِين[٤] أنه أين هو. فلو كان على الطلب والبحث والاستخبار على ما قاله أهل التأويل إن احتمل في[٥] يوسف فذلك لا يحتمل في أخيه؛ إذ هم كانوا يعلمون مكانه وأين هو وإن[٦] كانوا لا يعلمون[٧] مكان يوسف ولا أين[٨] هو. وهو إنما أمرَهم أن يَتَحَسَّسُوا عنهما جميعًا. فدل -والله أعلم- أنه مِن[٩] وقوع الحِسّ والبصر عليهما لا مِن البحث والطلب. *والله أعلم*. فكأنه عَلِمَ[١٠] بالوحي أنه هنالك[١١] وأخوه معه، لكنه لم يخبر بَنِيه أنه هنالك[١٢] لِما عَلِم أنهم يَتَكاسلون ويَتَثاقلون عن الذهاب إليه، فإنما[١٣] أمرهم بذلك أمرَ تعريضٍ لا أمرَ تصريحٍ. أو أن يكون قوله: **فتَحَسَّسُوا من يوسف وأخيه**، على الإضمار، أي تَحَسَّسُوا مِن يوسف واسألوا مِنه ردَّ أخيه[١٤] لِما عَلِم أنّ أخاه يكون معه. وقال عامة أهل التأويل: إنما قال لهم هذا وعَلِم أنه في الأحياء لأنه رأى[١٥] مَلَكَ الموت فقال له: هل[١٦] قبضت روح يوسف مما قبضت من الأرواح؟ قال: لا. وقال بعضهم: رأى في المنام مَلَكَ الموت فقال له ما ذكرنا، فعند ذلك قال هذا القول.

---

[١] ع م: طلبوه واستخبروه.
[٢] ن: هو.
[٣] ع م: من حال.
[٤] جميع النسخ: ابن يامين.
[٥] ك - في.
[٦] ك ن: فإن.
[٧] ع - مكانه وأين هو وإن كانوا لا يعلمون.
[٨] ك: وأين.
[٩] ع - من.
[١٠] ع: على.
[١١] ن ع: هالك.
[١٢] ن ع: هالك.
[١٣] ن: وبما.
[١٤] ن: منه وأخيه.
[١٥] ع + أي.
[١٦] ع: هن.

لكنا نقول: إنه كان عالمًا بأنه[١] في الأحياء ليس بهالك لِما رأى مِن الرؤيا[٢] وغيره،[٣] فعَلِم أنه لا يهلك إلا بعد خروج رؤياه على الصدق والحق. لكنه لم يكن يعلم أنه أين هو مِن[٤] قبلُ، ثم عَلِم مِن بعدُ بالوحي[٥] عن مكانه وحاله، فأمر بَنِيه أن يأتوه فينظروا[٦] إليه وإلى أخيه. وأصل هذا أنَّ ما حَلَّ بيعقوب مِن فَوْتِ يوسفَ وغيبتِه عنه محنةٌ امتَحنه ربُّه وبَلِيَّةٌ ابتلاه بها، يُبتلَى بذلك حسرةً عليهما.[٧] ألا ترى أنّ يوسف لو أراد أن[٨] يُعْلِمَ أباه يعقوب عن مكانه وحاله لَقَدَرَ عليه؛ لأنه كان يَعلم بمكان أبيه وإن كان[٩] يعقوب لا يَعلم بمكان يوسف، فلم يُعْلِمْه[١٠] إلا بعد الأمر[١١] بالإعلام.[١٢] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولا تَيْأَسُوا مِن رَوْحِ الله**، قيل: مِن رحمةِ الله،[١٣] **إنه لا يَيْأَس مِن رَوْحِ الله إلا القومُ الكافرون**، أخبر أنه لا يَيْأَس مِن رحمة الله إلا القومُ الكافرون؛ لأنّ[١٤] مَن آمن يَعلم أنه مُتقلِّب في رحمة الله ونعمته فلا يَيْأَس مِن رحمته،[١٥] وأما الكافر فإنه[١٦] لا يَعرف[١٧] رحمةَ الله ولا تَقلُّبَه في رحمته فيَيْأَس مِن رحمته. نهاهم عن الإياس لِما كان عندهم أنه هالك حيث قالوا: تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ،[١٨] لمّا قال لهم: إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ.[١٩] وأخوه كان محبوسًا بالسرقة،

---

[١] ن: أنه؛ ع م – بأنه.

[٢] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ (سورة يوسف، ٤/١٢).

[٣] ن: أو غيره.

[٤] ع – من.

[٥] ع: الوحي.

[٦] ع: فينتظروا.

[٧] ك ن ع: عليها.

[٨] ع – أن.

[٩] م – كان.

[١٠] ع م: فلم يفعله.

[١١] أي أمر الله.

[١٢] ع: بالأعلام.

[١٣] ع – قيل من رحمة الله.

[١٤] م – لأن.

[١٥] ع م – فلا ييأس من رحمته.

[١٦] ع: بأنه.

[١٧] ك: لا يعلم.

[١٨] سورة يوسف، ٩٥/١٢.

[١٩] سورة يوسف، ٩٤/١٢.

والمحبوسُ لا يُرَدُّ في حُكمهم. أو نقول:[1] نهاهم وإن لم يكونوا آيسين، ثم قوله:[2] **إنه لا يَيْأَس مِن رَوْحِ الله إلا القومُ الكافرون**، خبرٌ عن الله، أخبر أنه لا يَيْأَس مِن رحمته إلا القومُ الكافرون،[3] وكذلك ما بُشِّرَ إبراهيمُ بالولد حيث قالوا: بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ،[4] نهاه عن القُنوط، ولا يحتمل أن يكون إبراهيم قانطًا عن ذلك، لكنه نهاه، ثم أخبر [إبراهيم] فقال: وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ.[5]

والآية تَرُدّ على المعتزلة قولَهم:[6] إنّ صاحب الكبيرة خالد مخلَّد[7] في النار، وإنه ليس بكافر، وهو آيِس -على قولهم- مِن رَوْح الله.[8] وقد أخبر: **إنه لا يَيْأَس مِن رَوْح الله إلا القومُ الكافرون**، وهم يقولون: إنّ صاحب الكبيرة آيِسٌ مِن رَوْح الله،[9] وهو ليس بكافر.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾[٨٨]

وقوله عز وجل: **فلما دخلوا عليه**، أي على يوسف، **قالوا يا أيها العزيز**، سَمَّوْه عزيزًا لِما لعلهم يسمُّون كلَّ ملكٍ عزيزًا. أو سَمَّوْه عزيزًا[10] لِما كان عند ذلك عزيزًا بقوله: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ.[11] أو لِما[12] كان بالناس إليه حاجة[13] بالطعام الذي في يده، وهو كان غنيًّا عما في أيديهم. *والله أعلم.*

---

[1] ك ع م: أو يقول.
[2] ع م: ثم يقول.
[3] م – خبر عن الله أخبر إنه لا ييأس من رحمته إلا القوم الكافرون.
[4] ﴿قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٥٥).
[5] سورة الحجر، ١٥/٥٦.
[6] ك ع م + لقولهم.
[7] ن ع م: خالدًا مخلدًا.
[8] م – الله.
[9] ع + وقد أخبر أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وهم يقولون إن صاحب الكبيرة آيس من روح الله؛ م + وقد أخبر أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وهم يقولون إن صاحب الكبيرة آيس من روح.
[10] ع: عزيز.
[11] ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه﴾ (سورة يوسف، ١٢/٢١).
[12] ع م: ولما.
[13] م: جة.

وقوله:[١] **مَسَّنا وأهلَنا الضُّرُّ**، قال[٢] أهل التأويل: أصابنا الشدة والبلاء من الجوع،[٣] **وجئنا ببضاعةٍ مُزْجَاةٍ**، قيل: دراهم نُفَايَة[٤] نَبَهْرَجَة لا تَنْفُق في الطعام[٥] كاسدة، لأنه كان في عِزَّة،[٦] وتَنْفُق في غيره. وقال أبو عَوْسَجَة: **وجئنا ببضاعةٍ مُزْجَاةٍ**،[٧] أي قليلة. وكذلك قال القُتَبي: أي قليلة.[٨] وقال ابن عباس: هي الوَرِق الرَّدِيئة التي[٩] لا تَنْفُق حتى يُوضَع منها.[١٠] وقال أبو عُبَيد:[١١] الإزجاء في كلام العرب الدَّفْع والسَّوْق، / وهو كقوله: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا،[١٢] أي يسوق ويدفع. [٣٦٨ظ] وقال بعضهم: ناقصةٍ. وقال بعضهم: جاءوا بسَمْن وصُوف. وقيل: جاءوا بصَنَوْبَر وحبّة الخضراء، وأمثال هذا. قالوا:[١٣] ويشبه أن يكون **مُزْجَاة**، مِن التَّزْجِيَة، كما يُقال: نُزَجِّي[١٤] يومًا بيوم.[١٥]

وقوله عز وجل: **فأَوْفِ لنا الكَيْلَ**، قال بعضهم: أَوْفِ لنا الكَيْلَ بسِعر الجِياد، وتأخذ النُّفَايَة، وتَكِيل لنا الطعام بسِعر الجِياد. لكن قوله: **فأَوْفِ لنا الكَيْلَ**، أي سَلِّم لنا الكَيْلَ تامًّا؛ لأن الإيفاء هو التسليم على الوفاء، كقوله: وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ.[١٦] **وتَصدَّقْ علينا**، بفضلِ ما بين الثَّمَنَين في الوزن، وقيل: ما بين الكَيْلَين. وقال بعضهم: **وتَصدَّقْ علينا**، أي زِدْ لنا[١٧] شيئًا يكون ذلك صدقةً لنا مِنك.[١٨] لكن يشبه -على ما قالوا وطلبوا منه الصدقة- حَطَّ الثَّمَن؛ لأن الصدقة لا تحل للأنبياء، ويجوز الحَطُّ لهم.

---

[١] جميع النسخ: وقولهم.
[٢] ع م: وقال.
[٣] ع م: والجوع.
[٤] النُّفاية بالضم: ما نَفَيْتَه مِن الشيء لرداءته... و نفيت الدراهم أَثَرْتُها واخترتُها للانتقاد (*لسان العرب* لابن منظور، «نفى»).
[٥] ع: في الصعام.
[٦] أي لأن الطعام كان عزيزا قليل الوجود.
[٧] م - قيل دراهم نفاية نبهرجة لا تنفق في الطعام كاسدة لأنه كان في عزة وتنفق في غيره وقال أبو عوسجة وجئنا ببضاعة مزجاة.
[٨] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٢.
[٩] ع م - التي.
[١٠] ن ع م - منها. أي لا تنفق حتى يوضع من قيمتها. انظر للرواية: *تفسير الطبري*، ١٣/٥٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٥٧٥.
[١١] ع: أبو عبيدة.
[١٢] سورة النور، ٢٤/٤٣.
[١٣] ع م - قالوا.
[١٤] ن ع: تزجي.
[١٥] زَجَّيْتُ الشيء تَزْجِيَة: إذا دفعته برفق. يقال: كيف تُزَجِّي الأيام، أي كيف تُدافِعها (*لسان العرب* لابن منظور، «زجو»).
[١٦] ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٢).
[١٧] ن: زدنا.
[١٨] ن: يكون لنا صدقة منك.

ويجوز الحَطُّ لمَن[1] لا تجوز[2] الصدقة له،[3] نحو العبد المأذون له في التجارة يجوز الحط له[4] ولا يجوز الصدقة له.[5] وكذلك نبي الله كان يجوز الشراء له بدون ثمنه، ولا تحل[6] له الصدقة.[7]

ويحتمل أن يكون[8] قوله: **مَسَّنا وأهلَنا الضُّرُّ**، بذهاب بصر أبيهم، مَسَّهم بذلك وأهلَهم الضُّرّ، وقوله عز وجل: **وتَصدَّقْ علينا**، أي رُدّ علينا بنيامين[9] لعل الله يَرد بصرَه عليه.[10]

إن الله يجزي المتصدّقين، قال أهل التأويل: **إن الله يجزي المتصدّقين**، إن كانوا على دين الإسلام، كأنهم ظنوا أنه ليس على دين الإسلام. ولو أنهم ظنوا أنه مسلم لقالوا: إن الله يجزيك بالصدقة.[11]

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾[٨٩]

وقوله عز وجل: **قال هل عَلِمتم ما فعلتم بيوسفَ وأخيه**، هو ظاهر لا يحتاج[12] إلى ذكره. وأمّا ما فعلوا[13] بأخيه قال أهل التأويل: هو ما قالوا: إنه سرق.[14] لكنهم لم يقولوا إلا قَدْرَ ما ظهر عندهم، فلم يلحقهم بذلك القول فَضْلُ تعييرٍ. لكن يشبه أن يكونوا آذَوْه[15] بأنواع الأذى. ولا شك أنهم كانوا يبغضون يوسف وأخاه، حيث قالوا: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا.[16] وقوله: **هل عَلِمتم ما فعلتم بيوسفَ وأخيه**، قد كانوا عَلِموا هم[17] ما فعلوا بيوسف،

[1] جميع النسخ: حط من.
[2] ك ع م: لا يجوز.
[3] جميع النسخ: صدقته.
[4] جميع النسخ: حطه.
[5] جميع النسخ: صدقته.
[6] ن ع م: يحل.
[7] عبارة المؤلف رحمه الله تدل على أنه كان موافقا للرأي القائل بأن إخوة يوسف عليه السلام كانوا من الأنبياء.
[8] ع م – أن يكون.
[9] ك: ابن يامين؛ ن م: بابن يامين؛ ع: يامين.
[10] وانظر أيضا لهذا التأويل آخر تفسير الآية من سورة يوسف، ٩٠/١٢.
[11] وعبارة الشارح هكذا: «﴿إن الله يجزي المتصدّقين﴾، قال أهل التأويل: ﴿إن الله يجزي المتصدّقين﴾، إن كانوا على دين الإسلام. ولكن عندنا كأنهم ظنوا أنه ليس على دين الإسلام، ولو أنهم ظنوا أنه مسلم لقالوا: إن الله يجزيك بالصدقة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٠٣ظ).
[12] ك ن: لا نحتاج.
[13] ك: ما فعلوه.
[14] يشير إلى قوله تعالى: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ (سورة يوسف، ٧٧/١٢).
[15] م: أذه.
[16] سورة يوسف، ٨/١٢.
[17] ع: علموهم.

لكنه كأنه[1] قال: هل تَذكُرون ما فعلتم بيوسف أو أنتم جاهلون ذلك ناسُون؟ يقول لهم: اذكروا ما فعلتم بيوسف وتوبوا إلى الله عن ذلك، ولا تكونوا جاهلين عن ذلك. أو يقول لهم: هل رجعتم وتُبتم عن ذلك، أو أنتم بَعدُ فيه؟

وقوله عز وجل: **إذ أنتم جاهلون**، قال بعض أهل التأويل: **إذ أنتم جاهلون**، أي مُذنِبون. ولكن **إذ أنتم جاهلون**، قَدْرَ يوسف ومنزلتَه؛ لأنهم لو عَلِموا ما قَدْرُ يوسف[2] عند الله وما منزلته ما قالوا: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا، وما خطَّئُوا أباهم[3] في حبّه إياه، حيث قالوا: إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ،[4] وما فعلوا به ما فعلوا.[5] *والله أعلم*.

﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٩٠]

قالوا أإنك لأنت يوسف، كأنهم عرفوا أنه يوسف بقول[6] يوسف لهم: هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ.[7] أو عرفوا بقول أبيهم، حيث قال لهم:[8] يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ.[9] لمّا ذكر[10] أخاه ورأَوْه معه عرفوا أنه يوسف، لذلك قالوا [ما قالوا]. *والله أعلم*.

قال أنا يوسف وهذا أخي قد مَنَّ الله علينا إنه مَن يَتَّقِ ويَصبر، يحتمل[11] من يَتَّقِ معاصيَه[12] ويَصبر على بلاياه. أو اتّقى مَناهيَه وصبر على أداء ما أمر به. أو مَن اتّقى وصبر فقد أحسن. أو يقول: إنه من يَتَّقِ الجفاء ويَصبر[13] على البلاء فقد أحسن، **فإن الله لا يضيع أجر المحسنين**. ويشبه أن يكون قوله: وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا،[14] أي رُدّ أخانا علينا. وهو ما ذكرنا. *والله أعلم*.

---

[1] ك – كأنه.
[2] ع + ومنزلته.
[3] ن: آباءهم.
[4] سورة يوسف، ٨/١٢.
[5] م – به ما فعلوا.
[6] ن: يقول.
[7] الآية السابقة.
[8] ع م – لهم.
[9] ك – أو عرفوا بقول أبيهم حيث قال لهم يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه. وانظر: سورة يوسف، ٨٧/١٢.
[10] ن ع م: ذكره.
[11] ع: ويحتمل.
[12] أي ما كان سببا لمعصيته.
[13] م: وصبر.
[14] سورة يوسف، ٨٨/١٢.

﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[٩١]

وقوله عز وجل: **قالوا تالله لقد آثَرَكَ الله علينا، تالله،**[١] قَسَم قد اعتادوه في فَحْوَى كلامهم على غير إرادة يمين بذلك، هكذا عادة العرب. وإلّا كان يَعلم يوسف أنّ الله قد آثَره عليهم. ويشبه أن يكون يخرج القَسَم هاهنا على تأكيد معرفتهم فضلَه ومنزلتَه، أي لم تَزَلْ كنتَ مُؤْثَرًا مُفَضَّلاً علينا، **وإنْ كنا لخَاطئين،** أي وقد كنّا خاطئين[٢] فيما كان مِنّا إليك مِن الصَّنِيع. أو[٣] أن يكون قوله: **لقد آثَرَكَ الله علينا،** فيما قالوا: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا،[٤] أي لما كان يُؤثرهما عليهم فقالوا: كنتَ مُؤْثَرًا على ما كان أبونا يُؤْثِرك علينا وقد كنّا لخَاطئين.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٩٢]

فقال يوسف: **لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم،** قال القُتَبي: قوله: **لا تَثْرِيب،** أي لا تَعييرَ عليكم بعد هذا اليوم مما[٥] صنعتم.[٦] وقال بعضهم: **لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم،** أي لا تَنْغِيصَ عليكم. وقيل:[٧] أصل التَّثْرِيب الإفساد، يُقال: ثَرَّبَ علينا الأمرَ، أي أَفسده.[٨] وقال أبو عَوْسَجَة: التَّثْرِيب: المَلامَة، يقول: لا لَوْمَ عليكم في صنيعكم. وقال ابن عباس رضي الله عنه: **لا تَثْرِيبَ عليكم،** أي لا أُعَيِّرُكم بعد هذا اليوم أبدًا، ولا أُعَيِّره عليكم. وهو[٩] يحتمل هذين الوجهين. أحدهما لا تعييرَ عليكم ولا مَلامَة، أي ليس عليكم[١٠] في العقل[١١] تعييرٌ ولا مَلامَةٌ إذا تُبتم وأقررتم بالخطأ. وهكذا كلُّ مَن أَذنب ذنبًا

[٣٦٩ر] أو ارتكب كبيرة / ثم انتزع عنها وتاب منها لا يُعَيَّر هو عليه ولا يُلَام.[١٢] وكذلك قيل في قوله: وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ،[١٣] ذُكِر أنهم كانوا يُعَيِّرون أهلَ الكفر في كفرهم ويُنابِزونهم ثم أسلموا،

[١] ع م – تالله.

[٢] ن – لخاطئين أي وقد كنا خاطئين.

[٣] ع م – أو.

[٤] سورة يوسف، ٨/١٢.

[٥] ع: ليوم بما؛ م: بما.

[٦] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٢.

[٧] ك ن: وقال.

[٨] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٢.

[٩] ك: وهذا.

[١٠] ع م – عليكم.

[١١] ن: أي ليس في العقل عليكم.

[١٢] ع: ولا يلايم.

[١٣] سورة الحجرات، ١١/٤٩.

فنُهُوا أن يُنابِزوهم[١] ويصنعوا بهم مِثلَ صنيعهم بهم في حال كفرهم. ولو وجب التعيير والمَلَامَة بعد الانتزاع عنه والتوبة أو جاز[٢] ذلك لكان أصحاب رسول الله مُعَيَّرين مُلَامِين؛ لأنهم كانوا أهلَ الكفر في الابتداء، فهذا مما لا يَحِلّ في العقل.

والثاني قوله: **لا تَثْرِيبَ عليكم**، لا أُعَيِّركم، على ما قال ابن عباس رضى الله عنه، أي لا أذكر[٣] ما كان مِنكم إلينا. آمَنَهم عن أنْ يَذكُر شيئًا مما كان منهم إليه. ولذلك قال: مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي،[٤] ذَكر أنّ الشيطان هو الذي فَعل[٥] ما كان بينه وبين إخوته. وكذلك فَعل حيث قال: مِن بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي، أضاف ذلك إلى الشيطان ولم يُضِف إلى إخوته.

وقوله عز وجل: **يغفر الله لكم**، قطع فيه القول بالمغفرة لهم حين أقرّوا بالخطايا وتابوا عمّا فعلوا. وهكذا كلُّ مَن تاب عن ذنب ارتكبه ونزع عنه أنْ يُقطَع القول فيه بالمغفرة والرحمة. وقوله: **يغفر الله لكم**، يخرج على الدعاء لهم بالمغفرة، أو على[٦] الإخبار بالوحي أنه يغفر لهم، أو قد غفر لهم. أو يقول:[٧] استغفروا اللهَ الذي كان بين الله وبينكم يَغفرْ لكم،[٨] **وهو أرحم الراحمين**؛ لأنّ[٩] كلَّ مَن يَرحم مِن الخلائق إنما يَرحم برحمةٍ[١٠] مِنه إليه، فهو أرحم الراحمين بما قلنا، على ما قلنا[١١] في قوله: خَيْرُ الْحَاكِمِينَ،[١٢] و أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ:[١٣] لأنّ مَن يَحكم[١٤] مِن الخلائق بحُكمٍ يجوز[١٥] إنما يَحكم بحُكمٍ نَالَه مِنه.

---

[١] ن: أن ينابزونهم.
[٢] جميع النسخ: أو يجوز.
[٣] م: أي لأذكر.
[٤] سورة يوسف، ١٢/١٠٠.
[٥] ع م + الذي فعل.
[٦] ع م: وعلى.
[٧] ع م: أو نقول.
[٨] ك: لهم.
[٩] ع: أن.
[١٠] م: برحمته.
[١١] ن – على ما قلنا.
[١٢] سورة الأعراف، ٧/٨٧؛ وسورة يونس، ١٠/١٠٩؛ وسورة يوسف، ١٢/٨٠.
[١٣] سورة هود، ١١/٤٥.
[١٤] ع: من الحكم.
[١٥] ن: يحكم بجوز؛ م – يجوز.

﴿اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَاْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٩٣]

وقوله عز وجل: **اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأتِ بصيرًا**، دل هذا مِن يوسف -حيث قَطَعَ فيه القول أنه يصير بصيرًا- أنه عن وحيٍ[١] قال هذا لا عن رأيٍ منه واجتهاد؛ إذ قَطع[٢] القول فيه أنه إذا أُلقِيَ على وجهه يَصير بصيرًا. وقوله: **يأتِ بصيرًا**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما يَصير[٣] بصيرًا، على ما ذكرنا. والثاني يأتيني بصيرًا.

وقوله عز وجل: **واْتُونِي بأهلكم أجمعين**، أراد -والله[٤] أعلم- حيث أمرهم أن يأتوا بأهلهم أجمعَ أنْ يَبَرَّهم ويُكرمهم حين تابوا عمّا فعلوا به وأقرّوا له بالخطأ في أمره.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾[٩٤]

وقوله عز وجل: **ولمّا فَصَلَتِ العِيرُ**، قيل: خرجت. وفَصَلَتْ وانْفَصَلَت، واحد. **قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف**، قال أهل التأويل: كان بينهما ثمانين فَرْسَخًا،[٥] يعني[٦] بين مصر وبين كَنْعَان مكان يعقوب.[٧] وقيل:[٨] مَسِيرةَ ثمانية[٩] أيام، ما بين الكوفة والبصرة.[١٠] ولا[١١] حاجة لنا إلى معرفة ذلك أنْ كَمْ كان بينهما سِوَى أنّا نَعلم أنه كان بينهما مَسِيرة أيام. ثم وجد يعقوب ريح يوسف مِن ذلك المكان، ولم يجد [ذلك] غيرُه ممّن كان معه. فذلك آيةٌ مِن آيات الله حيث وجد ريحه مِن مكان بعيد ولم يجد[١٢] ذلك غيره، وذلك مِن آثار البِشارة والسرور الذي يَدخل فيه بقدومه. قال بعض أهل التأويل: ذلك القميص هو مِن كسوة الجنة، كان الله كساه إبراهيم،

---

[١] ع م: أنه عز وجل.
[٢] ن: أو قطع.
[٣] ع م - يصير.
[٤] ع: أرادوا الله.
[٥] الفَرْسَخ: مقياس من مقاييس المسافات مقداره ثلاثة أميال=إثنا عشر ألف ذراع=٥٥٤٤مترا (*معجم لغة الفقهاء*، للقلعجي والقنيبي، «الفرسخ»).
[٦] ع: يعتر؛ م: يعتبر.
[٧] وقد ذُكر أن يعقوب عليه السلام كان يسكن في بادية فلسطين. وكان يُطلق اسم "أرض كنعان" -بن سام بن نوح وإليه يُنسب الكنعانيون- قديمًا على بلاد الشام وفلسطين والأردن. وقيل أن مقام يعقوب كان بنابُلُس من قرى فلسطين وبه الجُبّ الذي أُلقي يوسف فيها. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٧١؛ *معجم البلدان* لياقوت الحموي، «كنعان».
[٨] ن + ثمانية.
[٩] ع م - ثمانية.
[١٠] المسافة بين الكوفة والبصرة فهي أربعمائة كيلومتر تقريبا.
[١١] ع: ولنا.
[١٢] ك ع م: لم يجد.

وكساه إبراهيم إسحاق، وكساه إسحاق يعقوب، وكساه[١] يعقوب يوسف، لذلك[٢] وجد ريحه؛ لأنه كان مِن ثياب[٣] الجنة. فهو -وإن ثبت ما قالوا- [يدل على] ذلك[٤] أيضًا حيث وجد هو ذلك ولم يجد غيرُه، وكان أيضًا هو[٥] لا يجد ذلك الريح قبل فُصُول[٦] العير وكان [ذلك القميص] مع يوسف. احتمل ما قالوا أو احتمل أن يكون قميصًا مِن قُمُصه.[٧] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **لولا أنْ تُفَنِّدُونِ**، قيل: تُحزِنونِ، وقيل: تُهرِّمونِ، وقيل: تُكذِّبونِ، وقيل: تُضعِّفونِ، وقيل: تُعجِّزونِ، وقيل: تُجهِّلونِ، وقيل: تُسفِّهونِ، وقيل: تُحمِّقونِ،[٨] وقيل: لولا أن تقولوا: ذهب عقلُك. والمُفنَّد معروف عند الناس، هو الذي يَبلُغ في الكِبَر غايتَه، كقوله: وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ.[٩] وقوله: **لولا**، إذا كان على الابتداء فهو[١٠] على النهي، أي لا تُفَنِّدُونِ، وإذا كان على الخبر فهو على النفي، كقوله: فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا،[١١] أي لم ينفع.[١٢]

﴿قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[٩٥]

وقوله عز وجل: **قالوا تالله**، هو[١٣] ما ذكرنا،[١٤] أنه يمينٌ اعتادوه في كلامهم على غير إرادة القَسَم به، **إنك لَفِي ضلالك القديم**، قيل: في حبّ يوسف وذِكرِه القديم. كان عندهم أنه[١٥] هالِك،[١٦] لذلك[١٧] أنكروا عليه وخطّئوه فيما يجد مِن ريحه، وعِنده أنه في الأحياء.[١٨] لذلك كان ما ذكروا. *والله أعلم*.

---

[١] ع: وكذلك.
[٢] ع م: كذلك.
[٣] ع: في ثياب.
[٤] جميع النسخ: فذلك.
[٥] ك: وكان هو أيضا.
[٦] فَصَلَ فلان مِن عندي فُصُولا: خَرَج (*لسان العرب* لابن منظور، «فصل»).
[٧] ع م - من قمصه.
[٨] أي قيل في تفسير ذلك: تتهموني بالحزن أو الهرم أو الكذب أو الضعف أو العجز أو الجهل أو السفه أو الحمق.
[٩] سورة النحل، ٧٠/١٦؛ وسورة الحج، ٥/٢٢.
[١٠] ك: فهي.
[١١] سورة يونس، ٩٨/١٠.
[١٢] ع: أي لا ينفع.
[١٣] ع - هو.
[١٤] ن: ما ذكر. انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ٩١/١٢.
[١٥] جميع النسخ: بأنه.
[١٦] ن: هنالك.
[١٧] ن - لذلك؛ ع م: لذكر.
[١٨] م: في الأخبار.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٩٦]

وقوله عز وجل: **فلمّا أنْ جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدّ بصيرًا**، أي رجع بصيرًا على ما كان. قال أهل التأويل: البشير[١] كان يَهُوذا، وقيل: البريد. ولا ندري مَن كان، وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجة سِوَى أنّ المدفوع إليه الثوب كان واحدًا، وإن قال[٢] في الابتداء: اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي.[٣]

وقوله عز وجل: **قال ألم أَقُلْ لكم إني أَعلم مِن الله مالا تعلمون**، قال بعض أهل التأويل: وذلك أنّ يعقوبَ قال لهم قبل ذلك: إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ،[٤] أنتم مِن تصديق رؤيا يوسف وأنه حي. وكان يعلم هو مِن الله[٥] ما لا يعلمون هم.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[٩٧] ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٩٨]

[٣٦٩ظ] وقوله عز وجل: **قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين / قال**، يعقوب، **سوف أستغفر لكم ربي**، طلبوا مِن أبيهم الاستغفار، فأخرهم ذلك إلى وقتٍ، وطلبوا مِن يوسف العفو وأقرّوا له بالخطأ[٦] والذنب، فعَفَا[٧] عنهم وقتَ سؤالهم العفو. فمِن الناس مَن يقول: إنما أخّر يعقوب الاستغفار وعَفَا عنهم يوسف لأنّ قلبَ الشابّ يكون[٨] أَلْيَنَ وأَرَقَّ مِن قلب الشيخ، لذلك كان ما كان. لكن هذا ليس بشيء إنما يكون هذا في عوامّ مِن الناس. فأمّا الأنبياء كلّما مضى وقتٌ فتزداد قلوبهم لينًا ورِقّةً وخُشوعًا. ومنهم مَن يقول: إنما كان كذلك لأنّ وَجْدَ[٩] يعقوب كان أكثر مِن وَجْدِ يوسف، لذلك كان أجابهم يوسف وقتَ سؤالهم العفوَ وأخّر يعقوب إلى وقت.

---

[١] ع: البشر.
[٢] ن: وإن كان.
[٣] سورة يوسف، ٩٣/١٢.
[٤] سورة يوسف، ٨٦/١٢.
[٥] جميع النسخ + أشياء.
[٦] ع: بالخطاب.
[٧] ع: ضعفا.
[٨] م – يكون.
[٩] الوَجْد يستعمل بمعنى الغضب أو الحزن أو الحب (*لسان العرب* لابن منظور، «وجد»).

{قال الشيخ أبو منصور رحمه الله:} والوجه فيه عندنا –والله أعلم– أنهم إنما سألوا يعقوب وطلبوا منه الاستغفار مِن ربهم ليكون لهم شفيعًا، فأخّر ذلك إلى وقت الاستغفار والشفاعة؛ إذ ليس كلُّ الأوقات يكون وقتًا للاستغفار. وطلبوا مِن يوسف العفوَ مِنه، فعَفَا عنهم وقتَ طلبِهم مِنه العفو. لهذا الوجه يحتمل أن يخرج معناه. *والله أعلم*. أو أن[1] يكون يعقوب أخّر الاستغفار لأنّ الذنب في ذلك كان بينهم وبين ربهم، وأخّر إلى أن يجيء الإذن مِن ربه. وأمّا الذنب في يوسف فيما بينهم وبين يوسف،[2] فعَفَا عنهم مِن ساعتِه.

ويحتمل قوله: **سوف أستغفر لكم ربي**، إن استغفرتم أنتم.[3] أو قال: **سوف أستغفر لكم ربي**، إذا جاء وقتُه، وهو[4] ما قال ابن عباس رضي الله عنه: إنه أخّر[5] وقتَ الاستغفار[6] إلى[7] السَّحَر.[8] أو أن يكون أخّره إلى أن يُقَدِّمَ شيئًا بين[9] يدَي الاستغفار والشفاعة ليكون أسرعَ إجابةً.[10]

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾[٩٩]

وقوله عز وجل: **فلمّا دخلوا على يوسف آوَى إليه أبَوَيْه وقال ادخلوا مِصرَ إن شاء الله آمِنِين**، ظاهرُ هذا أنّ يوسفَ كان تَلَقَّاهم خارجًا مِن مِصر،[11] فقال لهم: **ادخلوا مِصرَ إن شاء الله آمِنِين**، ثم لمّا دخلوا مصر[12] آوَى إلى نفسه أبَوَيْه وضَمَّهما إليه. ويشبه أن يكون قال لهم[13] هذا القول وقتَ ما قال لهم: وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ،[14] و **ادخلوا مِصرَ إن شاء الله آمِنِين**،

[1] م: وأن.
[2] ن – فيما بينهم وبين يوسف.
[3] ك – أنتم.
[4] ع م: فهو.
[5] ك ن م: أخره.
[6] ك – وقت الاستغفار.
[7] ك + وقت.
[8] *الدر المنثور* للسيوطي، ٥٨٤/٤. وروي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضا؛ انظر: *تفسير الطبري*، ٦٤/١٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، نفس الموضع.
[9] ك – بين.
[10] ك: إلى الإجابة.
[11] جميع النسخ: من المصر.
[12] جميع النسخ: المصر.
[13] ع م: قالهم.
[14] سورة يوسف، ٩٣/١٢.

ثم لمّا جاءوا هُم[1] ودخلوا مِصرَ ضَمّ إليه أبَوَيْه وأَمَرَهم[2] أن يَدخلوا مِصر آمِنِين؛ لأن مصر[3] كان أهلُه أهلَ كفر،[4] فكأنهم خافوا المِلِك الذي كان فيه،[5] فذَكر لهم الأمْنَ لذلك. *والله أعلم*.

وذَكَرَ الثُّنْيَا فيه لأنه[6] وَعْدٌ مِنه وَعَدَ لهم، والأنبياء عليهم السلام كانوا[7] لا[8] يَعِدُون شيئًا إلا ويَستثنون في آخِره، كقوله: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ.[9] وإنما ذكر الثُّنْيَا في الأمْن [و] لم يذكر في الدخول لأنّ الدخول مِنه أمرٌ، وما ذكر مِن الأمْن[10] فهو وَعْدٌ، فهو ما ذكرنا أنه يُستثنَى في الوعد ولا يُستثنَى في الأمر.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[١٠٠]

وقوله عز وجل: **ورفع أبَوَيْه على العرش**، يشبه أن يكون قوله: آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ،[11] هو ما ذكر مِن رفعِه إياهما على العرش. وخَصّ بذكر[12] أبَوَيه بالرفع على العرش. فيحتمل أن يكون رفع أبَوَيه والإخوة جميعًا؛ لأنه لو لم يَرفعهم وقد كان عفا عنهم لما أقرّوا بالخطأ وقال: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ،[13] لكان يقع عندهم أنه قد بَقِي شيءٌ مما كان منهم إليه. لكنه خصّ أبَوَيْه بالذكر لِشرفهما[14] وتَجْديهما على ما يُخَصّ الأشرافُ والأعاظمُ، نحو قوله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ،[15] ونحوه.

---

[1] م: لما جاءوهم.
[2] جميع النسخ + إياهم.
[3] جميع النسخ: المصر.
[4] ع: الكفر.
[5] ع: فيهم.
[6] ع: لأن.
[7] ع م: كان.
[8] م - لا.
[9] سورة الكهف، ١٨/٢٣-٢٤.
[10] ك: من الأمر.
[11] الآية السابقة.
[12] ن - بذكر.
[13] سورة يوسف، ١٢/٩٢.
[14] ع: فهما؛ م: فهم.
[15] سورة هود، ١١/٩٦-٩٧.

ودل رَفْعُ أبَوَيْه على العرش على أنّ اتّخاذَ العرش والجلوسَ عليه لا بأس به؛ إذ لو كان لا يَحِلّ أو لا[١] يُباح ذلك لكان يوسف لا يتّخذه ولا كان يعقوب يجلس عليه. دل ذلك منهما أنّ ذلك مباح لا بأس به.[٢] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وخَرُّوا له سُجَّدًا**، قال بعض أهل[٣] التأويل: كانت تَحِيَّتهم يومئذ فيما بينهم السجود، يَسجد بعضهم لبعض مكانَ ما يُسلِّم بعضنا على بعض. وأما اليوم فهو غير مباح، وإنما التحية في السلام. لكن السجود لغير[٤] الله ليس يُكرَه لنفس السجود، وإنما[٥] يُكرَه ويُنهَى عمّا في السجود،[٦] وهو العبادة والتَّسَفُّل. لا يَحِلّ لأحدٍ أنْ يجعل العبادة[٧] والتَّسَفُّلَ لدون الله.[٨] وأمّا نفس السجود فإنه كالقيام والقعود وغيره مِن الأحوال يكون فيها المرء. *والله أعلم*. ويحتمل قوله: **وخَرُّوا له سُجَّدًا**، أي خَرُّوا له خاضعين له ذَلِيلين. وقال بعضهم: **وخَرُّوا له سُجَّدًا**، أي خَرُّوا لله[٩] سُجَّدًا شُكْرًا له لما جمع بينهم ورفع ما كان بينهم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.

وقوله عز وجل: **وقال يا أبتِ هذا تأويل رؤيايَ مِن قبلُ قد جعلها ربي حقًّا**، أي حقق تلك الرؤيا التي رأيتُها مِن قبلُ وجعلها صِدقًا لي.[١٠] رأى يوسف رؤيا فخرجت[١١] رؤياه بَعد[١٢] حين ووقت وزمان طويل، فهذا يدل أنّ الخطاب إذا قَرَعَ السَّمْعَ يجوز أن يأتي بيانُه[١٣] مِن بعدِ حين وزمان، ويجوز أن يكون مَقْرُونًا به، وليس في تأخُّر بيانِ الخطابِ تلبيسٌ ولا تشبيهٌ على ما قال بعض الناس.

---

[١] ع: ولا.
[٢] ع: فيه.
[٣] جميع النسخ: بعضهم من أهل.
[٤] ن م: لدون.
[٥] ك: إنما.
[٦] ع – بعضهم لبعض مكان ما يسلم بعضنا على بعض وأما اليوم فهو غير مباح وإنما التحية في السلام لكن السجود لغير الله ليس يكره لنفس السجود وإنما يكره وينهى عما في السجود.
[٧] ع + والعبادة.
[٨] ع م: له دون الله.
[٩] ن ع م: له.
[١٠] ن ع م – لي.
[١١] م – رؤيا فخرجت.
[١٢] ك: بعين.
[١٣] ع: بنايه؛ م: نبائه.

وقوله[1] عز وجل: **وقد أَحسن بي إذ أخرجني من السجن**، ذكر إحسانه إليه ومِنَنَه ولم يذكر محنته بالتصريح، إنما ذكرها بالتعريض حيث قال: **وقد أَحسن بي إذ أخرجني من السجن**،[2] ولم يقل: سُجنت أو حُبست،[3] وأمثاله مما كان[4] ابتلاه الله به.

وقوله عز وجل: **وجاء بكم من البَدْو**، قيل: من البادية، لأنهم كانوا أهلَ باديةٍ، أصحابَ المَوَاشي.

[٣٧٠و] / وقوله عز وجل: **مِن بعدِ أنْ نَزَغَ الشيطان بيني وبين إخوتي**، قال بعضهم: **نَزَغَ**، أي فرّق، [أي مِن] بعدِ ما فرّق الشيطان بيني وبين إخوتي.[5] وكأنّ النَّزْغ هو الإفساد على ما ذكره أهل التأويل، أي بعد ما أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي. وأضاف[6] ذلك إلى الشيطان لما كان قال لهم: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ،[7] حين أقرّوا له بالفضل والخطأ في فعلهم.

وقوله عز وجل: **إن ربي لطيفٌ لِما يشاء**، اللطيف[8] هو اسمٌ لشيئين،[9] اسم البِرّ والعطف، يُقال: فلان لطيف، أي بارّ عاطف. والثاني يقال: **لطيف**، أي عالم بما يَلْطُف من الأشياء ويَصْغُر كما يَعلم بما يَعْظُم ويَجْسُم. أو يقال: **لطيف**، أي يَعلم المستور من الأمور الخَفِيّة[10] على الخَلْق كما يَعلم الظاهرة منها والبادية، لا يخفى عليه شيء، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى.[11] يقال له: عظيم و**لطيف**، لِيُعلَم أنْ ليس يُفهَم مِن عِظَمِه ما يُفهَم مِن عِظَم الخَلْق؛ إذ لا يجوز في الخَلْق أن يكون عظيمًا لطيفًا، ويجوز في الله لِيُعلَم أنّ ما يُفهَم مِن هذا غيرُ ما يُفهَم مِن الآخر. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إنه هو العليم الحكيم**، أي **العليم** بما كان ويكون وما ظَهَر وما بَطَن وما يُسَرّ وما يُعْلَن[12] وبكل شيء. أو[13] عليم بعَوَاقِب الأمور وبِدايتها. **الحكيم**،

---

[1] م: ووقوله.
[2] ع م - ذكر إحسانه إليه ومننه ولم يذكر محنته بالتصريح إنما ذكرها بالتعريض حيث قال وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن.
[3] ع م: وحبست.
[4] جميع النسخ: ما كان.
[5] ك - قال بعضهم نزغ أي فرق بعد ما فرق الشيطان بيني وبين إخوتي.
[6] ن: أضاف.
[7] سورة يوسف، ٩٢/١٢.
[8] م: لطيف.
[9] ع م: لشئين.
[10] ن ع: والخفية.
[11] ﴿وإن تَجْهَرْ بالقول فإنه يَعلم السِّرَّ وأَخفى﴾ (سورة طه، ٧/٢٠).
[12] ن: ويعلن.
[13] ع م - أو.

حَكَم بعلمٍ ووَضَعَ كلَّ شيءٍ مَوْضِعَه، لم يحكم بجهل ولا غفلة ولا سفه على ما يحكم الخَلْق، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.[١]*

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[١٠١]

وقوله عز وجل: **ربِّ قد آتيتني مِن المُلْك**، قال أبو بكر الأصم: ذكر: **مِن المُلْك**[٢] لأنه لم يُؤتِه كلَّ المُلْك؛ إذ كان فوقه مَلِكٌ أكبرُ منه. لكن لا لهذا ذكر: **مِن المُلْك**؛ إذ معلوم أنه لم يؤتِ لأحد كلّ مُلك الدنيا. قال الله تعالى: تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ.[٣] ويكون في وقت واحد ملوك. وقال مُقاتِل: "مِن" صِلَة،[٤] كأنه قال: ربِّ قد آتيتني[٥] المُلك. لكن الوجه فيه ما ذكرنا.

وقوله: **ربِّ قد آتيتني مِن المُلك وعلّمتني من تأويل الأحاديث... توفَّني مسلمًا**، إلى آخر ما ذكر، قدّم [على] دعائه وسؤاله[٦] ربه ما سأل إحسانَه إليه وتَحامِدَه وصَنائِعَه ليكون ذلك له وسيلةً[٧] إلى ربه في الإجابة. وفي ذلك دلالةُ نقضِ قولِ المعتزلة من وجهين. أحدهما يقولون: إنّ كلَّ أحدٍ شفيعُه[٨] عملُه، فيوسف لم يذكر ما كان منه: إني فعلت كذا فافعل بي كذا، ولكن ذكر نعم الله وإحسانه إليه.

والثاني مِن قولهم: إنه لا يُؤتي أحدًا مُلكًا ولا نبوة إلا بعد الاستحقاق به، ولا يكون من الله إلى أحد نعمةٌ وإحسانٌ إلا بعد الاستحقاق.[٩] ومِن قولهم: إنّ كلَّ أحدٍ هو المتعلّم لا أنّ[١٠] الله يعلّم أحدًا. وقد أضاف يوسف التعليم إلى الله حيث قال: **وعلّمتني من تأويل الأحاديث**، وهم يقولون: لم يعلّمه ولكن هو تعلّم.[١١]

---

١ في نسخة ك و ن بياض لعدة كلمات، وفي الحاشية: كذا في الأصل بياض.

* وقع هنا مقطع متعلق بتفسير الآيات السابقة برقم ٣٣، ٥٣، ٥٦، فقدمناه إلى تفسير الآية رقم ٥٦؛ انظر: ورقة ٣٩٠و/سطر ١١-١٦.

٢ ع - ذكر من الملك.

٣ سورة آل عمران، ٢٦/٣.

٤ *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣٥٢/١.

٥ ك ع م + من.

٦ م: سؤاله.

٧ ك: ذلك وسيلة له.

٨ ع م: شفيعة.

٩ ن ع م - به ولا يكون من الله إلى أحد نعمة وإحسان إلا بعد الاستحقاق.

١٠ ع: لأن.

١١ ك: يعلم.

وقوله عز وجل: **وعلّمتني من تأويل الأحاديث**، قال أهل التأويل: تعبير الرؤيا. ولكن **الأحاديث** هي الأنباء، والتأويل هو عِلم العاقبة وعِلم ما يَئول إليه الأمر، كأنه قال: علّمتني مُستقَرَّ الأنباء ونهايتَها، كقوله تعالى: لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ.[١] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فاطرَ السماوات والأرض**، كأنه على النداء والدعاء ذكر: يا فاطر السماوات والأرض.[٢] لذلك انتصب.

وقوله عز وجل: **أنت وَلِيِّي في الدنيا والآخرة**، يشبه أن يكون تأويله: **أنت** ولي نعمتي **في الدنيا والآخرة**، كما يقال: فلان ولي نعمة فلان. ويحتمل **أنت** أَوْلَى بي **في الدنيا والآخرة**. أو **أنت** ربي وسيدي **في الدنيا والآخرة**.

وقوله[٣] عز وجل: **تَوَفَّني مسلمًا**، تمنّى صلى الله عليه وسلم التوفيَ على الإسلامِ والإخلاصِ لله[٤] والإلحاقَ بالصالحين. فهو -والله تعالى أعلم بذلك-[٥] أنّ الله قد آتاه النهاية في الشرف والمجد في الدنيا دِينًا ودُنيا؛ لأن نهاية الشرف في الدين هي النبوة والرسالة، ونهايةَ الشرف في الدنيا المُلك، فأَحبَّ[٦] أن يكون له في الآخرة مِثلُه، فقال: **تَوَفَّني مسلمًا وأَلحقني بالصالحين**. ثم يحتمل سؤاله أن يُلحِقَه بالصالحين، بكل صالح. ويحتمل أنه سأله أن يُلحِقَه بالصالحين،[٧] بآبائه وأجداده وبجميع الأنبياء والرسل.

وقوله عز وجل: **تَوَفَّني مسلمًا وأَلحقني بالصالحين**،[٨] هو يَنقض على المعتزلة أيضًا، ومِن قولهم: إنه أَعطى كلَّ أحدٍ[٩] [أنه] ليس له أنْ لا يَتَوَفّاه[١٠] مسلمًا، فيكون في دعائه عابثًا على قولهم. والثاني على قولهم:[١١] لا يملك أن يتوفّاه مسلمًا؛ لأن مِن قولهم:

---

[١] سورة الأنعام، ٦/٦٧.

[٢] ن – كأنه على النداء والدعاء ذكر يا فاطر السماوات والأرض.

[٣] ن: قوله.

[٤] جميع النسخ: بالله.

[٥] جميع النسخ: وذلك.

[٦] ع م + له.

[٧] ع – بالصالحين بكل صالح ويحتمل أنه سأله أن يلحقه بالصالحين.

[٨] ن – بآبائه وأجداده وبجميع الأنبياء والرسل وقوله عز وجل توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين، صح هـ.

[٩] ك ن – إنه أعطى كل أحد.

[١٠] ع: لا يتوفى.

[١١] م – والثاني على قولهم.

إنه أعطى كلَّ أحدٍ ما به يكون مؤمنًا حتى لم يَبْقَ عنده شيء،[١] ومَن سأل آخَرَ شيئًا يَعلم أنه ليس عنده فهو يَهْزَأ به، أو يكون فيه[٢] كِتمانُ النعمة، وفي كتمان النعمة[٣] كُفرانها.

﴿ذٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[١٠٢]

وقوله عز وجل: **ذلك من أنباء الغيب**، الآية،[٤] **ذلك**، أي خبر يوسف وإخوته وقِصصهم التي قصصنا[٥] عليك / وأخبرناك به مِن أوله[٦] إلى آخِره، لم تَشهدها أنت ولم تَحضرها، كقوله:[٧] مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا،[٨] لِيُعلَم أنك إنما عَلِمتَ وعرفتَها بالله وَحْيًا لِيدلهم على رسالتك ونبوتك. *والله أعلم.* [٣٧٠ظ]

وقوله عز وجل: **وما كنتَ لديهم إذ أجمعوا أمرَهم وهم يَمْكُرون**، أي ما كنتَ لديهم ولا بحضرتهم، ثم أنبأتَ على ما كان، لِيَدل على ما ذكرنا من الرسالة.

وقوله[٩] عز وجل: **وهم يَمْكُرون**، بأبيهم وأخيهم. أمّا مكرهم بأبيهم حيث قالوا: يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ،[١٠] أخبروه أنهم له ناصحون، فخانوه. ومَكْرُهم بأخيهم حيث قالوا: أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ،[١١] ضَمِنُوا له[١٢] الحفظ، فلم يحفظوه، مَكَرُوا بهما[١٣] جميعًا. والمكر هو الاحتيال[١٤] في اللغة، والأخذُ على جهة الأمْن، وقد فعلوه[١٥] هم[١٦] بأبيهم يعقوب وأخيهم يوسف عليهما السلام.

---

[١] ن ع م: شيئًا.
[٢] ع م – فيه.
[٣] م – النعمة.
[٤] ن – الآية.
[٥] ع: قصصناك.
[٦] ع: وأخبرناك في أوله.
[٧] م: لقوله.
[٨] سورة هود، ٤٩/١١.
[٩] ن: قوله.
[١٠] سورة يوسف، ١١/١٢.
[١١] سورة يوسف، ١٢/١٢.
[١٢] ع – له.
[١٣] م: بها.
[١٤] ع: الاختبال.
[١٥] جميع النسخ: وقد فعلوا.
[١٦] ع م: فعلوهم.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[١٠٣]

وقوله عز وجل: **وما أكثر الناس ولو حرصتَ بمؤمنين**، أي ما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصتَ[١] يا محمد أن يكونوا مؤمنين، كقوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.[٢] كان النبي[٣] صلى الله عليه وسلم بَلَغَ مِن شَفَقَتِه ورحمته على الخَلْق ورغبته[٤] في إيمانهم حتى كادت نفسُه تَهلك في ذلك، حيث قال: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ،[٥] الآية: وقوله: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ،[٦] وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ.[٧] كان حرصُه على إيمانهم بَلَغَ ما ذكر حتى خفّف ذلك عليه بهذه الآيات.[٨] وقال بعض أهل التأويل: قوله تعالى: **وما أكثر الناس**، يعني أهل مكة، **ولو حرصتَ بمؤمنين**، وهم كذلك كانوا، كان[٩] أكثرهم غير مؤمنين. وأهل مكة وغيرهم سواء، كلهم كذلك كانوا.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[١٠٤]

وقوله عز وجل: **وما تسألهم عليه من أجر**، أي على[١٠] ما تُبَلِّغ إليهم وتدعوهم إلى طاعة الله وجَعْلِ العبادة له وتوجيهِ الشكر إليه، لا تسألهم على ذلك أجرًا، فما الذي يمنعهم عن الإجابة لك فيما تدعوهم[١١] والائتمارِ بأمرك؟ هذا يدل أنه لا يجوز أخذُ الأجر على الطاعات والعبادات، حيث نهى وأخبر أنه لا يسألهم على ما يُبَلِّغ إليهم أجرًا. وهو لم يتولَّ تبليغَ جميع ما أُمِرَ[١٢] بتبليغه بنفسه إلى الخَلْق كافة، بقوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ،[١٣] الآية، ولكنه وَلَّى[١٤] بعضَه غيرَه،

---

١ ع: حرمت.
٢ سورة القصص، ٥٦/٢٨.
٣ ك ن – النبي.
٤ م: ورغبة.
٥ ﴿لعلك باخِعٌ نفسَك ألّا يكونوا مؤمنين﴾ (سورة الشعراء، ٣/٢٦).
٦ ﴿أفمَن زُيِّنَ له سوءُ عمله فرآه حَسَنا فإنّ الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تَذهبْ نفسُك عليهم حَسَرَاتٍ إن الله عليم بما يصنعون﴾ (سورة فاطر، ٨/٣٥).
٧ ﴿ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضَيْقٍ مما يَمْكُرون﴾ (سورة النمل، ٧٠/٢٧).
٨ ع م: الآية.
٩ ك – كان.
١٠ ك – على.
١١ ن ع م – فيما تدعوهم.
١٢ ع: ما أمره.
١٣ سورة سبأ، ٢٨/٣٤.
١٤ ك – ولى؛ ع: أولى.

كقوله:[١] «ألَا فلْيُبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ».[٢] فإذا لم يجز له أخذُ الأجر فيما يُبلّغ هو فالذي كان مأمورًا أن يُبلّغ عنه أيضًا لا يجوز أن يأخذ الأجرَ[٣] على ما يُبلّغ. وفي قوله: **وما تسألهم عليه من أجر**، وجهان. أحدهما أنه ليس يسألهم على الذي يُبلّغه إليهم[٤] ويدعوهم أجرًا حتى يَمنع بَذْلُ ذلك وثِقَلُه عن الإجابة له.[٥] والثاني إخبار أنْ ليس له أن يأخذ وأن يجمع من الدنيا شيئًا، كقوله: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ،[٦] الآية. ومعلومٌ أنه لا يمدّ عينيه إلى[٧] ما لا يحلّ، فيكون النهي عن أخذِ[٨] المباح.

وقوله عز وجل: **إن هو إلا ذكر للعالمين**، أي هذا القرآن الذي تُبلّغهم ليس إلا ذِكرى وموعظة[٩] للعالمين. أو هو نفسه عِظة وذِكرى[١٠] للعالمين، أعني النبي صلى الله عليه وسلم. وقوله: **إن هو إلا ذكر للعالمين**، أي شَرَف وذِكْر[١١] لمن اتّبعه وقام به؛[١٢] وهو ما ذكر في آية أخرى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ،[١٣] وقوله: لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ،[١٤] أي منفعته[١٥] تكون[١٦] لمن اتّبعه، فعلى ذلك هذا.

﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾[١٠٥]

وقوله عز وجل: **وكَأَيِّنْ مِن آية**،[١٧] أي كم مِن آيةٍ، **في السماوات والأرض**. قال بعض أهل التأويل: الآيات التي في السماء مثل[١٨] الشمس والقمر والنجوم والسحاب وأمثاله،

---

[١] ع م + تعالى.
[٢] ع م + فإنه. ورد الحديث بهذا اللفظ في مسند *أحمد*، ٣٧/٥، وهو من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع. وورد بألفاظ قريبة في صحيح *البخاري*، العلم ٩؛ وصحيح *مسلم*، القسامة ٢٩.
[٣] ن – الأجر.
[٤] ع م – إليهم.
[٥] ع م – له.
[٦] ﴿ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما مَتَّعْنا به أزواجا منهم زَهْرَةَ الحياة الدنيا لِنَفْتِنَهم فيه ورِزقُ ربك خيرٌ وأبقى﴾ (سورة طه، ١٣١/٢٠).
[٧] ع: إلا.
[٨] ع م: من أخذ.
[٩] ع م: وهو عظة.
[١٠] ع م: وذكر.
[١١] ع م: وذكرى.
[١٢] ع م: وما قام.
[١٣] ﴿إنّ في ذلك لَذِكْرَى لمن كان له قلبٌ أو أَلْقَى السَّمْعَ وهو شهيد﴾ (سورة ق، ٣٧/٥٠).
[١٤] ﴿إنّ في ذلك لآيةً للمؤمنين﴾ (سورة الحجر، ٧٧/١٥؛ وسورة العنكبوت، ٤٤/٢٩).
[١٥] م: منفعة.
[١٦] ع: يكون.
[١٧] ع م + الآية.
[١٨] ع م – مثل.

والآيات التي في الأرض مِن نحو الجبال والأنهار والبحار[١] والمَدَائِن ونحوها. لكن السماء نفسها آية، والأرض نفسها آية،[٢] وما يخرج منها من النبات آية.[٣] **يَمُرُّون عليها وهم عنها مُعْرِضُون**، أي هم[٤] معرضون[٥] عمّا[٦] جُعِلت لهن[٧] آياتٍ؛ لأنها إنما جُعِلت آياتٍ لوحدانية اللّٰه وألوهيته، فهم عمّا جُعِلت لهن[٨] آيات معرضون. ***وبالله الهداية والعصمة.***

وقال بعضهم: في قوله: **وكَأَيِّنْ مِن آية**، أي كم مِن[٩] دليلٍ وعلامةٍ على وحدانية اللّٰه في خَلْق السماوات والأرض. وهو قريب مما ذكرنا. وقال بعضهم: آيات السماء ما ذكرنا[١٠] مِن نحو الشمس والقمر والكواكب، وآياتُ[١١] الأرض فمِثلُ آثارِ[١٢] الأُمَم التي أُهلِكوا مِن قبلُ مِن[١٣] نحو قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممّن قد أُهلِكوا. **يمرون عليها**، ويَرَوْنها ولا يتعظون بهم. والوجه فيه ما ذكرنا أنهم **مُعرِضون** عمّا جُعِلت تلك آياتٍ [لها]، وإنما جُعِلت آياتٍ لوحدانية اللّٰه[١٤] وألوهيته.[١٥] أو **مُعرِضون**، عن التفكُّر فيها والنظر[١٦] إعراضَ معاندةٍ ومكابرة. ثم يحتمل الإعراض وجهين. أحدهما أعرضوا، أي لم ينظروا فيها و لم يتفكّروا لِيَدلهم على وحدانية اللّٰه وألوهيته، فهو إعراضُ عنها. والثاني نَظَروا وعَرفوا أنها آياتٍ لوحدانيته، لكنهم أَعرضوا عنها[١٧] مكابرين معاندين. ليس في السماوات ولا في الأرض شيءٌ وإن لَطُف إلا وفيه دلالةُ[١٨] وحدانيةِ اللّٰه[١٩] وآيةُ ألوهيتِه.

---

[١] ك: الجبال والبحار والأنهار.
[٢] ع + وما يخرج منها آية.
[٣] ن – آية؛ ع م: منها آية من النبات.
[٤] ك ن م + عنها.
[٥] ع – أي هم معرضون.
[٦] ع: لما.
[٧] جميع النسخ: هن.
[٨] جميع النسخ: هن؛ ع م + من.
[٩] ك + آية.
[١٠] ع: ما ذكر.
[١١] ع: وإياهن.
[١٢] ن ع م: آيات.
[١٣] ك – من.
[١٤] ن م: الوحدانية له.
[١٥] ع: الآيات الوحدانية له وألوهية.
[١٦] ع: أو النظر.
[١٧] ع م – عنها.
[١٨] ع + الله؛ م + على.
[١٩] ع م + وألوهيته.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[١٠٦]

وقوله عز وجل: **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**، يحتمل هذا وجهين. أحدهما /في الاعتقاد، أي[1] **وما يؤمن أكثرهم بالله**، بأنه[2] الإله، **إلا وهم مشركون**، الأصنامَ والأوثانَ [٣٧١و] في التسمية، وسمَّوْها آلهةً، كقوله تعالى: قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا.[3] والثاني إشراكٌ في الفعل، أي **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم**، عَبدوا غيرَه مِن الأصنام والأوثان. أو أن يكون **وما يؤمن أكثرهم بالله**، تعالى بلسانهم، **إلا وهم مشركون**، بقلوبهم. أو يقول: **وما يؤمن أكثرهم بالله**، في النعمة أنها مِن الله سبحانه وتعالى، **إلا وهم مشركون**، في الشكر له تعالى.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[١٠٧]

وقوله عز وجل: **أفأَمِنُوا أنْ تأتيَهم غاشيةٌ مِن عذابِ الله أو تأتيَهم الساعة بغتةً وهم لا يشعرون**، أي كيف أَمِنُوا أن يأتيَهم[4] عذابُ الله، **أو تأتيَهم الساعةُ بغتةً**؛ وقد سمعوا إتيانَ[5] العذاب لمن[6] قبلهم وهلاكَهم، وقد جاء ما يخوّفهم إتيانَ الساعة وخافوا منها[7] وإن لم يعلموا بذلك حقيقةً، لِما تَركوا العلم بها تَرْكَ[8] معاندةٍ ومكابرةٍ لا تَرْكَ من[9] لم يُبيَّنْ[10] له[11] ومَن لم يأتِ له التخويفُ والإعلامُ. و **غاشيةٌ مِن عذاب الله**، تعالى، قال أبو عَوْسَجة رحمه الله: أي مُجَلِّلَةٌ[12] تَغْشَاهم، ومِنه قوله:[13] هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ،[14] وهو ما يأتيهم [مِن] العذاب مِن فوقهم.

---

1 ع م – أي.
2 ع – بأنه.
3 سورة الإسراء، ٤٢/١٧.
4 ن: أن تأتيهم.
5 ع م: الإتيان.
6 جميع النسخ: بمن.
7 جميع النسخ: عنها.
8 ع م: نزل.
9 جميع النسخ: ما.
10 ك: لم يبن.
11 جميع النسخ: لهم.
12 جلّل أي غطّى (*لسان العرب* لابن منظور، «جلل»).
13 ك: قولهم.
14 سورة الغاشية، ١/٨٨.

وقال غيره: **غاشيةٌ مِن عذاب الله**، أي عذابٌ مِن عذاب الله سبحانه وتعالى، وهو كقوله: وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ.[1] يجب أن يكون أهل الإسلام معتبرين بقوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا،[2] وكذلك بقوله: **أفَأَمِنُوا أن تأتيَهم غاشيةٌ مِن عذاب الله أو تأتيَهم الساعةُ بغتةً**، وإن كانت الآيات[3] نَزَلَتَا فيهم لأنهم يَمُرُّون بما ذكر مِن الآيات ولا يعتبرون بما ذكر، وكذلك يكونون[4] آمِنِين عن غاشيةٍ مِن عذاب الله سبحانه.

﴿قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٠٨]

وقوله عز وجل: **قل هذه سبيلي**، قيل:[5] السبيل يؤنَّث ويذكَّر.[6] ويحتمل **هذه** الطاعة أو العبادة لله تعالى. يحتمل قوله تعالى: **سبيلي**، هذه التي أنا عليها. ويحتمل **هذه سبيلي**، التي أدعوكم **إلى الله، على بصيرةٍ أنا ومَن اتبعني**، البصيرة: العلم والبيان والحجة النيّرة؛ **أي هذه سبيلي**، التي أنا أدعوكم إليها إنما أدعوكم **على بصيرة**، أي على علم وبيان وحجة قاطعة وبرهان نيّر، ليس كسائر الأديان التي يُدْعَى إليها على الهوى[7] والشهوة بغير حجة ولا برهان. **ومَن اتبعني**، أي **ومَن اتبعني** أيضًا فإنما يدعوكم أيضًا على حجة[8] وبرهان؛ إذ من يجيبني فإنما يجيب على بصيرة وبيان وحجة.

وسبحان الله وما أنا من المشركين، قيل: كأنّ[9] هذا صِلَةُ قوله: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ،[10] سبحان الله، تنزيها لما قالوا وتبرئة عما قالوا في الله بما لا يليق به، **وما أنا من المشركين**، في ألوهيته وربوبيته غيرَه أو في عبادته. ***والله أعلم.***

---

[1] سورة الأنبياء، ٤٦/٢١.
[2] سورة يوسف، ١٠٥/١٢.
[3] ع + الآيتان.
[4] جميع النسخ: يكون.
[5] ك – قيل؛ ع: قبل.
[6] ك: السبيل يذكر ويؤنث.
[7] ن ع م: على الهواء.
[8] ن: على جهة.
[9] ع م – كان.
[10] سورة يوسف، ١٠٦/١٢.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١٠٩]

وقوله عز وجل: **وما أرسلنا مِن قبلك إلا رجالا نوحي إليهم**، ذكر رجالاً -والله أعلم- أي لم نبعث رسولاً مِن قبلُ إلا بشرًا، لم نبعث[١] مَلَكًا ولا جِنًّا، فكيف أنكرتم رسالة محمد بأنه بشر ولم تروا[٢] رسولاً مِن قبلُ ولا سمعتم[٣] إلا مِن البشر؟ كقوله:[٤] أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا،[٥] وكقوله: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا.[٦] هذا -والله أعلم- **إلا رجالاً**، مِثلَك، بشرًا لا مَلَكًا ولا جِنًّا. أو ذكر **رجالاً**، لأنه لم يبعث امرأة رسولاً.[٧]

وقوله عز وجل: **نوحي إليهم مِن أهل القُرَى**، أي إنما أُرسِل الرسلُ[٨] جملةً مِن أهل الأمصار والمُدُن، لم يُبْعَثُوا[٩] مِن أهل البَوَادِي وأهل البَرَارِي والقُرَى، إنما يريد الأمصار والبنيان. وقال الله تعالى: وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ،[١٠] قيل: هي مكة. جميع ما ذُكر في القرآن مِن القرية والقُرَى يريد به الأمصار والمُدُن. وإنما[١١] بَعَث الرسلَ والأنبياء مِن الأمصار ولم يَبعثهم مِن البَوَادِي ومِن أهلِ البَرَارِي لوجهين. ***والله أعلم***. أحدهما لأنّ لِأهلِ الأمصار والمُدُن اختلاطًا بأصناف الناس وامتزاجًا بأنواع الخَلْق، ويكونُ لهم تَجَارِبُ[١٢] بالخَلْق، فهم أعقل وأحلم[١٣] وأبصر مِن أهل البادية والبَرِّيَّة؛ إذ اختلاطُهم وامتزاجُهم إنما يكون بالماشية وأنواع البهائم.[١٤] لذلك بُعثوا مِن الأمصار دون البادية.

---

[١] ع: ألم نبعث.
[٢] ك: ولم يروا.
[٣] جميع النسخ: سمعوا.
[٤] ك ن م: كقولهم.
[٥] ﴿وما مَنَعَ الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلّا أنْ قالوا أبَعَثَ اللهُ بشرًا رسولاً﴾ (سورة الإسراء، ٩٤/١٧).
[٦] ﴿وقالوا لولا أُنزل عليه مَلَكٌ ولو أنزلنا مَلَكًا لَقُضِيَ الأمرُ ثم لا يُنظَرون. ولو جعلناه مَلَكًا لجعلناه رجلاً ولَلَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسُون﴾ (سورة الأنعام، ٨/٦-٩).
[٧] ع + وبالله العصمة.
[٨] ع م – الرسل.
[٩] ن: لم يبعث.
[١٠] سورة النحل، ١١٢/١٦.
[١١] ع: إنما.
[١٢] ك + بالعقل.
[١٣] ك: فهم أحلم وأعقل.
[١٤] ع م – البهائم.

وبَعدُ فإنّ الرسل يكون لهم أسباب وأعلام تتقدّم عن وقت الرسالة تحتاج[1] إلى أنْ يَظهر ذلك للخَلْق ليكون ذلك أسرع إلى الإجابة لهم وأَدْعَى وأَنْفَذ إلى القبول. فإذا كانوا من أهل البوادي لا يَظهر ذلك للخَلْق.

والثاني إنه يُراد مِن الرسالة إظهارُها في الخَلْق في الآفاق والأطراف. والأمصارُ والمُدُنُ هي الأمكنة التي يَنْتَابها الناس[2] في التجارات[3] وأنواع الحوائج مِن الآفاق والأطراف، فيظهر ذلك فيها وفي أهل الآفاق. وأمّا[4] البَوَادِي[5] والبَرَارِي ليس يَدخلها ولا يَنْتَابها[6] إلا الشاذّة مِن الناس، ولا يُقْضَى فيها الحوائج، فلا يَظهر في الخَلْق الرسالةُ وما يُراد بها.

[٣٧١ظ] وقوله عز وجل: / **أفلم يَسِيروا في الأرض فيَنظروا كيف كان عاقبة الذين مِن قبلِهم**، أي ألم يَنظروا[7] ولم يتفكّروا[8] فيمن هلك مِن قبلهم مِن الأمم بتكذيبهم الرسل أنْ كيف كان عاقبتُهم بالتكذيب في الدنيا لِيَمتنعوا عن تكذيب رسولهم. وقوله:[9] **أفلم يسيروا في الأرض**، الآية، يخرج على وجهين. أحدهما أي قد ساروا ونظروا **كيف كان عاقبة المكذبين**، لكنهم عاندوا ولم يعتبروا. والثاني أي سِيروا في الأرض وانظروا، ولكن ليس على نفس السَّيْر في الأرض ولكن على السؤال عمّا نَزَل بأولئك.

وقوله عز وجل: **ولَدَارُ الآخرةِ خيرٌ لِلذين اتَّقَوْا**، الشركَ، أو خلافَ الله ورسوله. **أفلا تعقلون**، أنّ[10] ذلك أفضل وأَخْيَر ممن[11] لم يَتّقِ ذلك.[12] *والله أعلم*.

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[١١٠]

وقوله عز وجل: **حتى إذا استيأس الرسلُ وظَنُّوا أنهم قد كُذِبُوا**، وكُذِّبُوا،[13] كِلاهما لغتان.

---

[1] ن ع م: يحتاج.
[2] ك ع م: التي ينتاب الناس إليها؛ ن: التي ينتاب إليها الناس.
[3] ن ع م: في التجارب.
[4] ك + أهل؛ ع م – وأما.
[5] ع م: والبوادي.
[6] جميع النسخ: ولا ينتاب إليها.
[7] ع م: لم ينظروا.
[8] ك: ويتفكروا.
[9] ع م– وقوله.
[10] م – أن.
[11] جميع النسخ: من.
[12] ع م: بذلك.
[13] قراءتان متواترتان، فقرأ بالتخفيف عاصم وحمزة والكسائي وأبوجعفر وخلَف، وقرأ الباقون بالتشديد. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٦.

قال بعضهم: أَيِس الرسل عن إيمان قومهم وتصديقِهم الرسل. ثم يحتمل استيئاسُهم عن إيمانهم لكثرة ما رَأَوْا مِن اعتنادهم الآيات وتفريطِهم في[1] ردّها، فأَيِسوا[2] عن إيمانهم. أو كان[3] إياسُهم بالخبر عن الله أنهم لا يؤمنون، كقوله: وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ،[4] الآية، وأمثاله. وقوله: **وظنوا أنهم قد كُذِبُوا**، قال بعضهم: وظنّ الرسل أنّ أَتْباعهم الضَّعَفَة قد[5] كَذَّبُوهم. لكن هذا إن كان من الرسل فهو ظنٌّ مِن الرسل[6] أنّ أَتْباعهم قد كذّبوهم لكثرة ما أصابهم من الشدائد وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، فوقع عند الرسل أنّ أَتْباعهم قد كذّبوهم لكثرة ما أصابهم.[7] وإن كان [التكذيب] مِن الأعداء فقد استيقن الرسل أنهم قد[8] كذّبوهم. وروي عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة، قال: فقلت: أرأيتِ قولَ الله: **حتى إذا استَيْأَس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبُوا**، أو كُذِّبُوا؟[9] قال: فقالت:[10] بل كَذَّبهم[11] قومُهم.[12] قال: فقلت:[13] والله لقد استيقنوا أنّ قومَهم قد كذّبوهم، وما هو بالظن. فقالت: يا عروة، لقد استيقنوا بذلك. قال: قلت: فلعلهم ظنّوا أنْ قد كُذِبُوا. قالت:[14] مَعاذَ الله، لم تكن الرسل لِتَظنّ ذلك بربها.[15] [قلت:] وما هذه الآية؟ قالت: هم أَتْباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدّقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استَيْأَستِ الرسل ممّن كذّبهم مِن قومِهم وظنّوا أنّ أَتْباعهم قد كذّبوهم جاءهم نصرُ الله عند ذلك.[16] وقال بعضهم: **حتى إذا استيأس الرسل**،عن إيمان قومهم، وظنّ قومُهم أنّ الرسل قد كَذَبُوا فيما أَوْعَدُوا[17] مِن العذاب

[1] م – في.
[2] جميع النسخ: أيسوا.
[3] ع م: وكان.
[4] سورة هود، ٣٦/١١.
[5] ك – قد.
[6] ع م – فهو ظن من الرسل.
[7] ك ن – لكثرة ما أصابهم.
[8] ك – قد.
[9] م – أو كذبوا.
[10] ع م: فقال.
[11] ك: كذبوهم.
[12] أي قالت: كُذِّبُوا.
[13] ع م + أرأيت قول الله حتى.
[14] ن ع م: قال.
[15] ك: بها. أي ما كانت الرسل لتظن أن الله قد كَذَب عليهم. ولكن للقراءة بالتخفيف وجوه أخرى، ذكر بعضها المؤلف.
[16] *صحيح البخاري*، التفسير ٦/١٢؛ و*تفسير الطبري*، ٨٧/١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥٩٥/٤.
[17] ع م: وعدوا.

أنه نازلٌ بهم لما أبطأ[1] عليهم العذاب. وقال بعضهم: **وظنّوا أنهم**، أي ظنّ قومُهم أنّ رسلهم[2] قد كَذَبُوهم خبرَ السماء، **جاءهم نصرنا**. فإن كانت[3] الآية في أَتْباع الرسل على ما ذكر بعضهم فهو كقوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ؛[4] وإن[5] كانت[6] في غيرهم مِن المكذِّبين فقد[7] جاء الرسلَ نصرُ الله.

وقوله: **فنُجِّيَ مَن نشاء**، مِن المؤمنين، فهو في ظاهره خبرٌ على المستقبل أنه[8] ينجي من يشاء مِن هؤلاء مِن[9] المؤمنين. ويشبه أن يكون على الخبر في أولئك [من المؤمنين].[10] فإن كان على هذا فيجيء[11] أن يكون: نَجَّينا مَن نشاء[12] منهم وأهلكنا من نشاء منهم. لكن يجوز هذا في اللغة. أو يكون: في الآخرة نُنَجِّي من نشاء.

وقوله عز وجل: **ولا يُرَدُّ بأسُنا عن القوم المجرمين**، أي لا يُرَدّ عذابُنا إذا نزل عن المجرمين.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١١١]

وقوله عز وجل: **لقد كان في قَصصهم عبرةٌ لأولي الألباب**، يحتمل قوله:[13] **في قَصصهم**، قصة يوسف وإخوته،[14] **عبرةٌ لأولي الألباب**. ويحتمل[15] قصص الرسل والأمم السالفة جميعًا، **عبرة لأولي الألباب**، والاعتبار إنما[16] يكون **لأولي الألباب**، الذين ينتفعون بلُبِّهم وعقلهم.

---

[1] ع: لما أبطال.
[2] م: أن أرسلهم.
[3] جميع النسخ: كان.
[4] ﴿أم حَسِبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتِكم مَثَلُ الذين خَلَوْا مِن قَبلِكم مَسَّتْهم البأساء والضرّاء وزُلْزِلُوا حتى يقولَ الرسولُ والذين آمنوا معه متى نصرُ الله ألا إنّ نصرَ الله قريب﴾ (سورة البقرة، ٢/٢١٤).
[5] جميع النسخ: فإن.
[6] ك ن: كان.
[7] ع: فيما.
[8] ك: أي.
[9] م – من.
[10] مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤٠٦و.
[11] ع: فنجي.
[12] ك ن ع: من شئنا.
[13] ع م: قولهم.
[14] ك – وغيره.
[15] ك ن + قصصهم.
[16] ك: انها.

وقوله عز وجل: **ما كان حديثًا يُفترَى**، يحتمل أي ما حَدّث محمد صلى الله عليه وسلم وما أخبر[1] مِن القصص وأخبار الرسل والأمم السالفة بالذي افترى، بل إنما أخبر ما كان في الكتب السالفة على غير تعلُّمٍ مِنه ولا دراسةِ كُتب.[2] ويحتمل **ما كان**، هذا القرآن بالذي يُقدَر **أن يُفترَى ولكنْ تصديقَ الذي بين يديه**، أي تصديقُ الذي نزل على رسول الله الكتبُ التي كانت مِن قبل، **وتفصيلَ كل شيء**، أي تفصيل[3] ما للناس حاجة إليه، **وهدى**، مِن الضلالة لمن اهتدى، **ورحمةً**، للمؤمنين.

وفيما ذكر مِن قصة يوسف وإخوته على رسول الله دلالةُ التصبير على أذى[4] قريش. يقول: إن إخوة يوسف مع موافقتهم إياه في الدين والنسب والموالاة عَمِلوا بيوسف ما عَمِلوا مِن الكَيْد والمَكْر به، فقومُك مع مخالفتهم إياك في الدين أَحْرَى أن تصبر على أذاهم. ***والله أعلم.***[5]

---

[1] ك: وأخبر.

[2] ع م: دراسته.

[3] ن: أو تفصيل.

[4] ك – أذى.

[5] ك ن – والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرعد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١]

قوله[2] عز وجل: **المر تلك آيات الكتاب**، يحتمل أن يكون قوله: **المر**، كناية عن الأحرف المقطَّعة المُعْجَمَة، فيكون قوله: **تلك آيات الكتاب**، تفسير **المر**. هذا هو الظاهر أن يُقال في كل الحروف[3] المُعْجَمَة والمقطَّعة أن يكون ما ذكر مِن بعدها على إِثْرِها[4] تفسيرًا لها. والثاني يشبه أن يكون قوله: **المر**، كناية عن الحجج والبراهين وسائر الكتب، كأنه / قال: **تلك** الحجج والبراهين [٣٧٢و] وسائر الكتب جعلناها **آيات** القرآن وحججه. وقد ذكرنا القول في الحروف المقطَّعة فيما تقدّم.[5]

ثم[6] اختلف في قوله: **تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك**،[7] قال بعضهم: **تلك آيات الكتاب**: التوراة والإنجيل وسائر الكتب المتقدمة، وقوله: **والذي أنزل إليك من ربك**، هو[8] القرآن الذي أنزل على محمد عليه الصلوة والسلام. وقال بعضهم: **تلك آيات الكتاب**، هو القرآن، **والذي أنزل إليك من ربك**، أيضًا هو القرآن،[9] لكنه أخبر أنه منزل مِن ربك.[10]

وقوله: **الحقُّ**، يحتمل هو الحق، أي منزل من الله، ليس كما قال أولئك: إنه ليس من الله إنما يقوله محمد مِن تِلقاء نفسه. ويحتمل **الحق**، أي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.[11] ***والله أعلم***.

---

[1] جميع النسخ: ذكر أنها مكية.

[2] ع: وقوله.

[3] جميع النسخ: حروف.

[4] جميع النسخ + كان.

[5] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢/١.

[6] ع م – ثم.

[7] ع م + هو القرآن الذي أنزل.

[8] ك + الحق.

[9] ع م – والذي أنزل إليك من ربك أيضا هو القرآن.

[10] جميع النسخ + الحق.

[11] سورة فصلت، ٤٢/٤١.

وقوله عز وجل: **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون**، أنه[1] مِن الله. أو **أكثر الناس لا يؤمنون**، أنه آيات الله وحججه. *والله أعلم*.

﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **الله الذي رفع السماوات**، قوله **رفع**، أي أنشأها مرفوعة، لا أنها كانت موضوعة فرفعها، ولكن جعَلها في الابتداء مرفوعة. وكذلك قوله: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ،[2] و مَدَّ الْأَرْضَ،[3] وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا،[4] ونحو ذلك، أي أنشأها مرفوعة ممدودة، لا أنها كانت مرفوعة[5] فوضعها أو كانت منقبضة فبسطها، ولكن أنشأها[6] كذلك.

وقوله عز وجل: **بغير عَمَدٍ تَرَوْنها**، قال بعضهم: هي بعَمَد[7] لكن لا تَرَوْنها، أي تَرَوْنها بغير عَمَد وهي بعَمَد؛[8] وقال بعضهم: هي بغير عَمَد على ما أخبر. ولكن اللطف والأعجوبة بما يمسكها بعَمَد لا تُرَى كاللطف والأعجوبة فيما يمسكها[9] بغير عَمَد؛ لأنه[10] في الشاهد لم يُعرَف ولا قُدِر على رفع سقفٍ فيه سَعَةٌ[11] وبُعْدٌ بغير عَمَد لا تُرَى، لكن[12] ما يُرفَع إنما يُرفَع بعَمَد[13] تُرَى.[14] فاللطف في هذا كاللطف في الآخر. وفيه دلالة قدرته على البعث؛ لأنه ذكر هذا ثم قال: **لعلكم بلقاء ربكم توقنون**، أي مَن قَدَرَ على رفع السماء مع سَعَتِها وبُعْدِها بلا عَمَد[15] لَقَادر[16] على إعادة الخلق وبعثهم وإحيائهم بعد الموت.

---

[1] م + منزل.
[2] سورة الرحمن، ١٠/٥٥.
[3] الآية التالية.
[4] سورة النازعات، ٣٢/٧٩.
[5] ع م: مرفوعها.
[6] ك: أنشأ.
[7] ع م + ترونها.
[8] ع م – وهي بعمد.
[9] ع – بعمد لا ترى كاللطف والأعجوبة فيما يمسكها.
[10] جميع النسخ: لأن.
[11] ع – فيه سعة.
[12] ن + لا ترى.
[13] ك: بغير عمد.
[14] ع: ثرى.
[15] ع م + وبعدها بلا عمد.
[16] ع م: بقادر.

بل رَفْعُ السماء مع سَعَتِها وبُعْدِها بلا عَمَدٍ أكبرُ مِن إعادة الشيء بعد فنائه؛ إذ في الشاهد [يوجد] مَن قد يَقدر على إعادة أشياء بعد فنائها ولا يَقدر على رفعِ سقفٍ ذِي سَعَةٍ وبُعْدٍ بغير[١] عَمَد. مِن ذا الوجه[٢] أَمْكَن أن يُحتَجّ. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ثم استوى على العرش**، لمَا لم[٣] يُفهَم مِن قوله: سَمِيعٌ بَصِيرٌ،[٤] عَلِيمٌ،[٥] مدبِّر،[٦] المكانُ[٧] -وإن كان في الشاهد يُفهَم منه[٨] المكان إذا أضيف إلى المخلوق- لم يجز أن يُفهَم مِن استوائه ما يُفهَم مِن استواء[٩] الخَلْق. وبَعدُ، فإن في الشاهد إذا قيل: فلان استولى [على] أمر بلدة كذا، أو استوى [على] أمره، لم يُفهَم مِنه المكان، بل فُهِم مِنه[١٠] نَفَاذُ الأمر والسلطان والمشيئة. فعلى ذلك لم يجز أن يُفهَم مِن الله [المكان] إذا أضيف إليه.[١١] وأصله ما ذكرنا فيما تقدم[١٢] أنه أخبر أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،[١٣] فهو في كل شيء وكل وجه لا يشبه الخَلْق؛ إذ الخَلْق في الشاهد ليس[١٤] يشبه بعضهم[١٥] بعضًا مِن جميع الجهات، إنما يشبه بعضهم بعضًا بجهةٍ،[١٦] ثم صاروا جميعًا[١٧] أشكالًا وأشباهًا بتلك الجهة التي وقعت بينهم تَشابهٌ [بسببها]. فإذًا[١٨] الله سبحانه وتعالى لمّا أخبر أنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،

---

[١] ع: تعيير.

[٢] ع م: لوجه.

[٣] ع: ما لم.

[٤] ع م - بصير. انظر: سورة الحج، ٦١/٢٢، ٧٥؛ وسورة لقمان، ٢٨/٣١؛ وسورة المجادلة، ١/٥٨.

[٥] وردت في مواضع كثيرة جدا. انظر مثلا: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ (سورة البقرة، ٢٩/٢).

[٦] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يدبّر الأمر﴾ (سورة يونس، ٣/١٠، ٣١؛ وسورة الرعد، ٢/١٣؛ وسورة السجدة، ٥/٣٢).

[٧] لعله ذكر "المكان" تجوزا، والأولى ما قاله الشارح: «كما أن الله تعالى يوصف بأنه سَمِيع بَصِير عَلِيم مدبِّر ولا يُفهَم مِنه مِثلُ ما يُفهَم مِن الخَلْق مِن الآلات والجوارح وإن كانت لا يَنفَكّ عنها في الشاهد فكذا لم يجز أن يُفهَم مِن استوائه ما يُفهَم مِن استواء الخَلْق» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٠٦ظ).

[٨] ع م: عنه.

[٩] م - ما يفهم من استواء.

[١٠] ع م - المكان بل فهم منه.

[١١] جميع النسخ + المكان.

[١٢] انظر مثلا تفسير الآية من سورة الأعراف، ٥٤/٧.

[١٣] سورة الشورى، ١١/٤٢.

[١٤] ك: لا.

[١٥] جميع النسخ: بعضه.

[١٦] ع - بجهة.

[١٧] م - جميعًا.

[١٨] ك ن ع: فإذ.

دل أنه إنما نَفَى عنه الجهات التي يقع بها[1] التشابُه والمِثل، فهو يخالف الخَلْقَ مِن جميع الوجوه. وهذه مسألة مذكورة فيما تقدم.

اختلف في **العرش**. قال بعضهم: **العرش**، هو المُمْتحنون، بهم استوى تدبيرُ إنشاءِ غيرِهم مِن العالم؛ لأنهم هم المقصودون في إنشاء ذلك كله. وقال بعضهم: **العرش**: البَعْث، به استوى وتمّ تدبيرُ إنشاءِ الخلائق،[2] ما لولا البعث يكون إنشاؤهم عبثًا باطلًا، كقوله: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[3] جَعَلَ[4] عدمَ الرجوع إليه [عَلَمًا على][5] إنشاء الخَلْق عَبَثًا. وقال بعضهم: **العرش**، هو المُلْك، وبه تمّ[6] ما ذكر. وقيل: هو سرير المُلك.

وقوله عز وجل: **يدبّر الأمر**، على ما في العقل أنه عن تدبيرِ مدبّرٍ خَرَج، وعن عِلمٍ وحكمةٍ وُضِع، ليس على الجُزَاف بلا تدبير ولا علم.

وقوله عز وجل: **يفصّل الآيات**، يحتمل يبيّن الحجج والبراهين. ويحتمل **يفصّل الآيات**، أي آيات القرآن، أنزلها بالتَّفَارِيق لا مجموعة، **لعلكم بلقاء ربكم توقنون**، هو ما ذكرنا أن[7] فيما ذكر من الآيات والتدبير ورفع السماء بلا عَمَد دلالةَ البعث والإحياء بعد الموت.

وقوله عز وجل: **بلقاء ربكم توقنون**، هو كما[8] ذكرنا في قوله: إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا،[9] ومَصِيرهم[10] وبُرُوزهم،[11] وأمثاله. *والله أعلم*.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وهو الذي مَدّ الأرض**، وقال في آية أخرى: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا،[12]

---

[1] ك: التي بها يقع.
[2] ع: الخلق.
[3] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.
[4] ع – جعل.
[5] من *الشرح*، ورقة ٤٠٦ظ.
[6] ن: ثم.
[7] ع م + ما.
[8] ع – كما؛ م: ما.
[9] سورة يونس، ٤/١٠.
[10] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿وإلى الله المَصِير﴾ (سورة آل عمران، ٢٨/٣).
[11] ك + جميعًا. لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وبَرَزُوا لله جميعا﴾ (سورة إبراهيم، ٢١/١٤).
[12] سورة النازعات، ٣٠/٧٩.

وقال في موضع آخر: وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ،[1] وكله[2] واحد. وقال: ٱلْأَرْضَ فِرَاشًا،[3] و مِهَادًا،[4] يُذكّرهم نِعَمَه[5] التي أنعمها عليهم. **مَدَّ الأرض**، أي بَسطَها، **وجعل فيها / رَوَاسِيَ**، [٣٧٢ظ] ذُكِر أنها بُسِطَت على الماء فكانت تَكَفَّأُ[6] بأهلها وتضطرب كما تَكَفَّأُ السفينة، فأَرْسَاها بالجبال الثِّقَال فاستقرت وثبتت. وذُكِر أنها مُدَّتْ وبُسِطَتْ على الهواء ثم أَثْبَتَها بما ذكر مِن الجبال. ولكن لو كان[7] ما ذُكِر لكان يجيء أن لا يكون بالجبال ثباتُها واستقرارُها؛ لأن الأرض والجبال مِن طَبْعِها التَّسَفُّل والانحدارُ في الماء والهواء، فكلّما[8] زِيدَ مِن ذلك النوع كان في التَّسَفُّل والانحدار أكثر وأَزْيَد، فلا يكون بها الثباتُ والاستقرارُ. بل إنما يكون الثبات والاستقرار[9] بشيءٍ مِن طَبْعِه العُلُوّ والارتفاع، فيمنع ذلك الشيء الذي مِن[10] طبعه العُلُوّ عن التَّسَفُّل والانحدار. إلّا أنْ يُقال: إنها كانت لا تَتَسَفَّل ولا تَتَسَرَّب ولكن تضطرب وتَمِيد بأهلها، على ما ذكره عز وجل: وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ.[11] فإن كان على هذا فيكون بالجبال[12] ثباتها واستقرارها ومنعها عن الاضطراب[13] والمَيَلان. أو ذكر[14] هذا لِيُعلَم لُطفُه وقدرتُه، حيث أمسكها بشيءٍ مِن طَبْعِه التَّسَفُّل والانحدار -وهي في نفسها كذلك- لِيُعلَم قدرةُ الله ولُطفُه في كل شيء. والله أعلم بذلك.

وقوله عز وجل: **مَدَّ الأرض**، أي أنشأها ممدودة، لا أنها[15] كانت مجموعة في مكان فبَسَطَها، على ما ذكر مِن رفعِ السماء ونحوه.

---

[1] سورة الغاشية، ٢٠/٨٨.

[2] ك: والكل.

[3] ﴿الذي جعل لكم الأرضَ فِرَاشًا﴾ (سورة البقرة، ٢٢/٢).

[4] ﴿ألم نجعلِ الأرضَ مِهَادًا﴾ (سورة النبأ، ٦/٧٨).

[5] ن ع: نعمة.

[6] أي تتكفأ بمعنى تضطرب. كَفَأَ الشيءَ والإناءَ يَكْفَؤُه كَفْئًا، وكَفَّأَه فتَكَفَّأَ، وهو مَكْفُوء، و اكْتَفَأَه مثل كَفَأَه: قَلَبَه (*لسان العرب* لابن منظور، «كفأ»).

[7] ك – كان؛ ع م + أنها.

[8] ك: وكلما.

[9] م – بل إنما يكون الثبات والاستقرار.

[10] ن ع م – من.

[11] سورة الأنبياء، ٣١/٢١.

[12] ك: الجبال.

[13] ع: على الاضطراب.

[14] ن: وذكر.

[15] ع: لأنها.

وجعل فيها رَوَاسِيَ وأنهارًا، جعل[1] الله عز وجل الأشياءَ أكثرَها بأسبابٍ تعليمًا مِنه الخَلْقَ ليكون ذلك عليهم أَهْوَن وإن كان جَعْلُ الأشياء عليه بأسباب وبغير أسباب[2] سواء، إذ هو قادر بذاته. يَذْكُر هذا إمّا بحق النعم التي أنعمها عليهم مِن مَدِّ الأرض وبَسْطِها وإثباتها بالرَّوَاسِي التي ذَكَر وجَعْلِ الأنهارِ فيها لِيَصِلُوا إلى الانتفاع بها لِيَستأدِيَ بذلك شُكرَه. أو يذكر بحق الإخبار عن قدرته وسلطانه؛ لأنه جعل الأرض بحيث لا يدخل فيها شيء، فأخبر أنه أدخل فيها الجبال مع كثافتها وعظمتها ليعرفوا قدرته.

وقوله عز وجل: **وأنهارًا**، أي جعل[3] فيها أنهارًا. أخبر أنه[4] مَدَّ الأرض وبَسَطَها وجعلها مستقرة ثابتة ليستقروا[5] عليها، ثم أخبر أنه جعل فيها أنهارًا لينتفعوا بها مِن جميع أنواع المنافع.

ثم أخبر[6] أنه جعل فيها مِن كلّ الثمرات زوجين، قال بعض أهل التأويل: **زوجين اثنين**، أي لَوْنَيْن. وقال بعضهم: ذو[7] طَعْمَين. لكن يكون منها ألوان[8] أكثر مِن لَوْنَين:[9] أحمر وأبيض وأسود وأصفر ونحوه. وكذلك الطَّعْم، يكون [منه] حامض[10] وحُلْو ومُرّ ومُزّ.[11] إلّا أنْ يُقال: **زوجين اثنين**، الطيب والخبيث، فلا يكون ثالث. وأما اللون فإنه يكون ذو ألوان وذو طُعُوم. وقال بعضهم: الذكر والأنثى. فهذا يصح إذا أراد به الشجر، فمِنه ما يُثمِر ومنه ما لا يُثمِر، فالذي يُثمِر هو أنثى والذي لا يُثمِر هو ذكر. وأما على غير هذا فإنه لا يصح. وأصل الزوجين هو اسم أشكال وأمثال واسم أضداد. ففيه دليل نَفْيِ ذلك كلِّه[12] عن الله. وأصل الزوج هو مَن له المُقابِل مِن الأشكال والأضداد. أخبر أنه جعل الخَلْق كلَّه ذا أشكال وأضداد مِن نحو الليل والنهار والذكر والأنثى، فهو[13] في حق المنافع كشيء واحد، وفي حق[14] أنفسهم كالأشياء.

---

[1] ع: اجعل.
[2] م – وبغير أسباب.
[3] ك: وجعل.
[4] ع م: أنها.
[5] ن ع م: ليقروا هم.
[6] ع + أخبر.
[7] ن ع: ذوا.
[8] ن: أنواع.
[9] ن ع م: من اثنين.
[10] ع م: خامض.
[11] ن – ومز. المُزّ مِن الرمّان ما كان طَعمه بين حُموضة وحلاوة. والمُز بين الحامض والحلو. وشراب مُز: بين الحلو والحامض (*لسان العرب* لابن منظور، «مزز»).
[12] ن – كله.
[13] ك: فهي.
[14] م: في حق.

وقوله عز وجل: **يُغْشِي الليلَ النهارَ**، أي يُذهِب ظلمةَ الليل بضوء النهار،[١] وضوءَ النهار بظلمة الليل، أو يُلبِس أحدَهما الآخر؛ أو يُغطّي بالليل[٢] ما هو بالنهار باديًا ظاهرًا للخَلْق، و[يظهر] بالنهار ما هو مستور خَفِيّ على الخَلْق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون**، فيما ذكر دلالة البعث والإحياء،[٣] ودلالة التدبير والعلم والحكمة، ودلالة الوحدانية **لقوم يتفكّرون**، في آياته وحججه، لا لقوم يعاندون آياته ويكابرونها. وقوله: **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون**، ذَكَر أنّ الآيات تكون آياتٍ[٤] لهم بالتفكُّر والنظر فيها -والله أعلم-[٥] لا أنْ تصير آياتٍ مجانًا[٦] بالبديهة.[٧] أو يقول: إنّ منفعة الآيات[٨] تكون لمن تفكّر فيها، لا[٩] لمن ترك التفكُّر والنظر. *والله أعلم*.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وفي الأرض قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وجناتٌ مِن أعناب**، دل قوله: **قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ**، أن التجاور إنما يُذكَر ويثبت إذا كانت الأرض قِطَعًا، وأما إذا كانت الأرض[١٠] أرضًا واحدة فإنه لا يقال فيها التجاور. فهذا يُبطِل قولَ مَن يقول: إن التجاور إنما يُذكَر فيما فيه الشِّركة، فتجب[١١] الشفعة فيما فيه الشِّرْكة،[١٢] وأمّا في غيره فلا تجب. وأمّا عندنا هو ما ذكر[١٣] عز وجل، أنه إنما أثبت التجاور في الأرض التي صارت قِطَعًا.

---

[١] ع – بضوء النهار.
[٢] جميع النسخ: الليل.
[٣] ن + بعد الموت.
[٤] ك: الآيات.
[٥] ك – والله أعلم.
[٦] المجان: ما كان بلا بدل ولا عوض، ويقصد هنا: ما حصل بلا تفكر ولا رويّة.
[٧] ع م: بالبديهية.
[٨] ن – آيات لهم بالتفكر والنظر فيها والله أعلم لا أن تصير آيات مجانًا بالبديهة أو يقول إن منفعة الآيات.
[٩] ن: إلا.
[١٠] ع م – قطعا وأما إذا كانت الأرض.
[١١] ن ع م: فيجب.
[١٢] ع + فيجب الشفعة فيما فيه الشركة.
[١٣] ع: ما ذكرنا.

وقوله عز وجل: **قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وجناتٌ مِن أعناب**، القِطَع المُتَجَاوِرَات هي الأَرَضُون الضَّوَاحِي[١] التي تصلح للزرع، **وجناتٌ مِن أعناب**، أي جنات متجاورات أيضًا. والجنات هي البساتين المحفوفة بالأشجار فيها ألوان الثمار. **وزرعٌ ونخيلٌ صِنْوَانٌ وغيرُ صِنْوَانٍ**، قيل: **صِنْوَان**، هو النخلتان في أصل واحد، **وغيرُ صِنْوَان**، النخل المتفرق.[٢] وقيل: الصِّنْوَان ما كان أصله واحدًا وهو متفرق، **وغيرُ صِنْوَان**، التي تَنبت[٣] وحدها. / وقيل: **صِنْوَانٌ**، هي النخلة تخرج فإذا خرجت انْشَعَبَت [٣٧٣و]
بعد خروج الأصل، فهو الصِّنْوَان. ولهذا[٤] قيل: عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه. **يُسقَى بماء واحد**، أي **يُسقَى** ما ذكر مِن الزروع والنخيل والثمار[٥] والجِنان، **بماء واحد ونُفضِّل بعضها على بعض في الأُكُل**، يَذكُر هذا -والله أعلم- أنّ جوهر[٦] الأرض كلها واحد، وهي قِطَع مُتَجَاوِرَة بعضها ببعض، ثم هي مختلفة في حق الثمار والفواكه. وكذلك الأشجار والنخيل كلُّها مِن جوهر واحد مِن جنس واحد، والأرض في جوهرها واحد،[٧] وتُسقَى كلُّها **بماء واحد**، ثم يخرج مختلفًا في ألوانها وطُعُومها وطيبها وخبثها ومناظرها، ليُعلَم أنها لم تكن بنفسها ولا بالأسباب التي جعل لها[٨] ولكن بلُطفِ واحدٍ مدبرٍ عليمٍ حكيمٍ؛ لأنها[٩] لو كانت بأنفسها وطِباعها أو بالأسباب[١٠] لكانت كلُّها واحدةً متفقةً في طِيبها وخُبثها وألوانها وطُعومها. فلمّا لم يكن ما ذكرنا على لون واحد ولا طَعْم واحد ولا منظر واحد دل أنه كان بتدبيرِ مدبرٍ واحدٍ[١١] عليمٍ لطيفٍ.

وقوله عز وجل: **ونُفضِّل بعضها على بعض في الأُكُل**، قيل: في الحِمْل، بعضُها أكثرُ حِملاً مِن بعض، وبعضها يحمل وبعضها لا. ولكن ما ذكرنا في الطيب والخبث[١٢] والطَّعم واللون والمنظر

---

[١] ضَحَا الشيءُ يَضْحُو ضُحُوًا: بَدَا وظَهَر وبَرَز. وضاحية كل شيء: ما برز منه... وضواحي البلدة: نواحيها، والأراضي البارزة للشمس، والأراضي التي لا حائط عليها (*لسان العرب* لابن منظور، «ضحو»).

[٢] ك: المتعرف.

[٣] ك: نبتت.

[٤] ك: ولذا.

[٥] ن ع م - والثمار.

[٦] ع م: أن جواهر.

[٧] ع م- واحد.

[٨] ع م: جعلها.

[٩] ن ع م: لا أنها.

[١٠] ع م: وبالأسباب.

[١١] ك: بتدبير واحد مدبر.

[١٢] ك ع م: والخبيث.

مُفَضَّلٌ بعضُه على بعض. وأصله أنّ الأرض واحدة متجاورة متّصلة بعضُها ببعض، والماء واحد أيضًا، ثم خرجت الثمار والفواكه والزروع والأعناب[١] مختلفة متفرّقةً لِيُعلَم أنّ ذلك ليس هو عمل الأرض ولا عمل الماء ولا عملَ الأسباب والطِبَاع، ولكن باللُّطْف مِن الله؛ لأنه لو كان بالماء أو بالأرض أو بالأسباب أو الطِبَاع لكانت متفقة مستوية.

إن في ذلك لآيات، لِما ذكرنا مِن وحدانيته وتدبيره وعِلمه وحِكمته، **لقوم يعقلون،** أي لقومٍ هِمَّتُهم العقل والفهم والنظر والتفكُّر في الآيات، لا لقومٍ هِمَّتُهم العناد والمكابرة. أو لقوم[٢] ينتفعون بعقلهم وعِلمهم.[٣]

وقال الحسن: هذا مَثَلٌ ضَرَبَه[٤] الله[٥] لقلوب بني آدم.[٦] كانت الأرض في الأصل طِينَةً[٧] واحدة، فسَطَحَها الرحمن ثم بَطَحَها[٨] فصارت الأرض قِطَعًا مُتَجَاوِرَات. فينزل عليها الماء مِن السماء، فتُخرِج هذه زَهرتها وثمرتها وشجرها وتُخرِج نباتَها ويَحْيَا مَوَاتُها،[٩] وتُخرِج[١٠] هذه سَبَخَها[١١] ومِلْحَها[١٢] وخبثها، وكِلتاهما تُسقَى بماء واحد. فلو كان الماء مالحًا قيل: استَبَخَت هذه مِن قِبَلِ الماء. كذلك الناس خُلِقُوا مِن آدم عليه السلام، فينزل عليهم[١٣] مِن السماء تذكرةٌ واحدة، فترِقّ قلوب[١٤] فتخشع وتخضع، وتَقْسُو قلوب[١٥] فتَسْهُو[١٦] وتَلْهُو وتَجْفُو، أو كلام نحوه.

---

[١] ع م – والأعناب.
[٢] ن – همتهم العقل والفهم والنظر والتفكر في الآيات لا لقوم همتهم العناد والمكابرة أو لقوم.
[٣] ع: وعملهم.
[٤] م: ضرب.
[٥] ن م – الله.
[٦] ع: هذا ضرب مثل ضرب بني آدم.
[٧] ن ع: طيبة.
[٨] بطح المكان بمعنى بَسَطه، وكذلك بمعنى ألقى فيه البَطْحَاء وهو الحَصَى الصغار (*لسان العرب* لابن منظور، «بطح»).
[٩] ك: نباتها.
[١٠] ن ع م: ويخرج.
[١١] السَّبَخَة: الأرض المالحة. السَّبَخ: المكان يَسْبَخ فيُنْبِت الملح وتَسُوخ فيه الأقدام. وأرضٌ سَبِخَة: ذات سِبَاخ. سِبَاخ: جمع سَبَخَة، وهي الأرض التي تعلوها المُلُوحَة ولا تكاد تُنبِت إلا بعض الشجر. السَّبَخَة: ما يعلو الماء مِن طُحْلُب ونحوه. ويقال: قد عَلَتْ هذا الماء سَبَخَة شديدة كأنه الطُّحْلُب مِن طُول التَّرك (*لسان العرب* لابن منظور، «سبخ»).
[١٢] ع م + فصارت الأرض قطعا متجاورات.
[١٣] ع م – فينزل عليهم.
[١٤] جميع النسخ: قلوبا.
[١٥] جميع النسخ: قلوبا.
[١٦] ن – فتسهو؛ ع: فتخشع وتقسوا وتخضع قلوبًا فتسهوا.

ثم قال الحسن: والله ما جالس القرآنَ أحدٌ إلا قام مِن عنده بزيادة أو نقصان، ثم تلا قوله: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا.[١]

﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وإن تَعجَب فعَجَبٌ قولهم**، قال الحسن: إن تَعجَب يا محمد مِن تكذيبهم إياك في الرسالة،[٢] **فعَجَبٌ قولهم**، حيث قالوا: **أإذا كنا ترابًا أإنا لَفِي خَلْقٍ جديد**. وقال بعضهم: **وإن تَعجَب**، يا محمد مما أوحينا إليك مِن القرآن، كقوله في الصافّات: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ،[٣] **فعَجَبٌ قولهم**، أي فاعجَب[٤] أيضًا لقولهم.[٥] يقول: لكن قولهم أعجب عندك حين قالوا: **أ إذا كنا ترابًا أإنا لَفِي خَلْقٍ جديد**، تكذيبًا للبعث. وأصله -والله أعلم- يقول: إنك إن عجبتَ لقولهم[٦] في تكذيبهم إياك في الرسالة و[في أنك] لم تكن[٧] رسولاً[٨] مِن قَبلُ فقولهم وإنكارهم قدرةَ الله على البعث والإحياء بعد الموت أعجب؛[٩] إذ قد رَأَوْا و شاهَدوا مِن قدرة الله وآياته بعد الهلاك أعجبَ مِن تكذيبهم[١٠] ما لو تفكَّروا وتأمّلوا و لم يعاندوا عرفوا أنه قادر على ذلك كلّه. فوَصْفُهم اللهَ تعالى بالعجز وأنه لا يَقدر على البعث والإحياء بعد الهلاك أعجبُ مِن تكذيبهم إياك في الرسالة. و لم يكن سَبَقَ مِنك إليهم ما يوجب رسالتك وتصديقك، وقد سَبَقَ مِن الله إليهم ما يُعرِفهم[١١] قدرتَه على ذلك وعلى[١٢] أكثر مِنه. وأصله[١٣] -والله أعلم- **وإن تَعجَب**، لإنكارهم رسالتَك وتكذيبهم إياك و لم يكن مِنك إليهم حقيقةُ الهداية والنِّعَمُ والآياتُ والحججُ وإنما كان مِنك البيان والدعاء،

---

[١] سورة الإسراء، ٨٢/١٧. وانظر للرواية: *تفسير الطبري*، ١٠١/١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٤/٤.

[٢] *الدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٦/٤.

[٣] سورة الصافات، ١٢/٣٧.

[٤] ك: اعجب.

[٥] جميع النسخ: قولهم.

[٦] ك ن: قولهم؛ ع م: وقولهم.

[٧] ع: يكن.

[٨] ك: إياك في الدنيا له و لم رسولا.

[٩] م: أعجبت.

[١٠] ك ن – بعد الهلاك أعجب من تكذيبهم.

[١١] ن: ما يعرفه.

[١٢] ع م: أو على.

[١٣] ن – وأصله.

فاعجَبْ لقولهم[١] في إنكارهم قدرةَ الله على البعث وقولِهم في الله سبحانه ما قالوا فيه بعد معرفتهم حقيقةَ ذلك كلِّه بالله.[٢] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **أولئك الذين كفروا بربهم**، يشبه أن يكونوا لمّا كفروا بالبعث كان كفرُهم بالبعث كفرًا بالله؛ لأنهم عرفوه عاجزًا[٣] حيث قالوا: لا يقدر على بعث الخلق، ومن عَرَفَ ربَّه عاجزًا فهو لم يَعرف الربّ الحقيقة والإله الحقيقة.[٤]

وقوله عز وجل: **وأولئك الأغلال في أعناقهم**، قال بعضهم: صار الكفر[٥] في أعناقهم أغلالًا، حيث أنكروا الرسالة في البشر ثم جعلوا الأصنام / والأوثان معبودهم يَعْكُفُون لها[٦] [٣٧٣ظ]
ويَخضعون، فذلك هو الأغلال في أعناقهم.[٧] وقال بعضهم: قوله: **وأولئك الأغلال في أعناقهم**، في الآخرة، كقوله: خُذُوهُ فَغُلُّوهُ،[٨] الآية، **وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.**

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة**، الاستفعال يكون على وجهين. يكون طلب الفعل، ويكون الفعلَ[٩] نفسه، كقوله: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ،[١٠] قيل: أُجِبْ[١١] لكم، وقوله تعالى: فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي،[١٢] أي ليجيبوا لي. وقوله: **ويستعجلونك**، فإن كان على طلب الفعل فهو ما سألوا رسولَ الله العذاب،[١٣] كقوله: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[١٤]

---

[١] جميع النسخ: قولهم.
[٢] جميع النسخ + إليهم.
[٣] ع: بما خرا؛ م: بما جزا.
[٤] أي الرب الحق والإله الحق.
[٥] ع م: الكفرة.
[٦] ك: عليها.
[٧] ن – في أعناقهم، صح هـ.
[٨] سورة الحاقة، ٣٠/٦٩.
[٩] ع م – ويكون الفعل.
[١٠] سورة المؤمن، ٦٠/٤٠.
[١١] ن ع م: أجيب.
[١٢] ﴿وإذا سَأَلَكَ عِبادِي عنّي فإنّي قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دَعانِ فليستجيبوا لي وليُؤمنوا بي لعلهم يَرْشُدُون﴾ (سورة البقرة، ١٨٦/٢).
[١٣] ك: ما سألوا العذاب رسوله؛ ن: رسوله العذاب.
[١٤] سورة المعارج، ١/٧٠.

وكقوله:[١] ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾،[٢] وقوله:[٣] ﴿إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[٤] الآية، فبدءوا بسؤالهم الهلاك قبل سؤالهم[٥] بتأخير العذاب[٦] وإمهالِه، وتأخيرُ العذاب عندهم وإمهالُه من الحسنة، فاستعجلوا بهذا قبل هذا. وإن كان الفعلَ نفسه فقوله: **ويستعجلونك**، أي عجلوك يا محمد[٧] بالسيئة إليك قبل أن تكون[٨] منهم إليك حسنة، حيث كذّبوك في الرسالة وآذَوْك في نفسك ولم يكن منهم إليك إحسان[٩] مِن قبلُ. والله أعلم بذلك.

وقيل: **بالسيئة**، العذاب، على ما ذكرنا، **قبل الحسنة**، أي قبل العفو. وسؤالهُم السيئةَ والعذابَ بجهلٍ[١٠] مِنهم أنه رسول وأنه صادق؛ لأنهم لو عَلِموا أنه رسول[١١] وأنه صادق فيما يخبر ويُوعِد مِن العذاب كانوا لا يسألون. لأنهم يَعلمون أن الله يَقدر على أن يُنزِل عليهم العذاب، لكن سألوا ذلك بجهلهم بأنه رسول سؤالَ استهزاء وسخرية. فإن كان[١٢] على هذا سؤالهم كان فيه دلالة أنّ العقوبة والعذاب قد يَلزم[١٣] مَن جَهِل الأمرَ إذا كان بسبيل العلم به والنظر والتفكّر فيه. وهؤلاء جَهِلوا أنه رسول الله لِتركهم النظر والتفكّر. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وقد خَلَتْ مِن قبلهم المَثُلَات**، قال بعضهم: العقوبات، أي قد كان في الأمم الخالية العقوباتُ بسؤالهم العذابَ والمعاندةِ في الآيات إذا جاءت. كأنه –والله أعلم– يُصَبِّرُ[١٤] رسولَه على سَفَهِ قومِه[١٥] لسؤالهم العذابَ والآياتِ[١٦] ثم المعاندةِ فيها. يقول:

---

[١] ع م – وكقوله.
[٢] سورة ص، ٣٨/٦.
[٣] جميع النسخ: وقولهم.
[٤] سورة الأنفال، ٨/٣٢.
[٥] ن – قبل سؤالهم؛ ع م – الهلاك قبل سؤالهم.
[٦] ع – العذاب؛ م: بتأخيره.
[٧] ع – يا محمد.
[٨] ك: أن يكون.
[٩] ع: الحسان.
[١٠] ع م: يجعل.
[١١] ع م – وأنه صادق لأنهم لو علموا أنه رسول.
[١٢] ع م: وإن كان.
[١٣] ن: قد تلزم.
[١٤] ع: يصير.
[١٥] ع م: قومهم.
[١٦] ك + المقترحة.

كان في الأمم الماضية مِن سؤال العذاب والآيات ثم المعاندةِ[١] مِن بعد نزولها، فنزلت[٢] لهم العقوبات، فعلى ذلك هؤلاء. وقال بعضهم: **المَثُلات**، الأمثال والأشباه. وكذلك ذُكِر في حرف حفصة: وقد خَلَتْ مِن قَبلهم الأمثال. وتأويله -والله أعلم- أي وقد[٣] خَلَتْ مِن قَبلهم[٤] الأمثال ما لو اعتبروا بها كان مَثَلاً لهم، ولكن لا يعتبرون فيمنعهم عن أمثال ذلك.

وقوله عز وجل: **وإنَّ ربَّك لَذُو مغفرةٍ للناس على ظُلمِهم**، قال بعضهم: **لَذُو مغفرةٍ**، أي ذو[٥] سترٍ على ظُلمِهم وتأخيرِ العذاب إلى وقتٍ، كقوله: إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ،[٦] وقوله: وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ.[٧] وقال بعضهم: **لَذُو مغفرةٍ للناس على ظُلمِهم**، إذا تابوا وماتوا عليها. أو يكون قوله: **لَذُو مغفرةٍ**، للمؤمنين، **على ظُلمِهم وإنَّ ربَّك لَشديد العقاب**،[٨] للكفار[٩] لمن لم يتب ومات[١٠] على الظلم والشرك. فقوله:[١١] **وإنَّ ربَّك لَشديد العقاب**، للكفار. وعلى التأويل الأول: **وإنَّ ربَّك لَشديد العقاب**، إذا عاقب.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه**، وقال في موضع آخر: فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ،[١٢] وقال في آية أخرى: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا،[١٣] إلى آخر ما ذكر، فيحتمل سؤالهم الآية كما أُرسِل الأولون[١٤] عينَ تلك الآيات التي أتت بها الرسل الأولون.

---

[١] ع: من سؤالهم العذاب والمعاندة.
[٢] ك ن: فنزل.
[٣] م: قد.
[٤] ك + المثلات.
[٥] ك: لذو.
[٦] ع + الآية. ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يُؤَخِّرهم ليوم تَشْخَصُ فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ٤٢/١٤).
[٧] سورة هود، ١٠٤/١١.
[٨] ع م – للناس على ظلمهم إذا تابوا وماتوا عليها أو يكون قوله لذو مغفرة للمؤمنين على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب.
[٩] ك – للكفار.
[١٠] م + على.
[١١] جميع النسخ: وقوله.
[١٢] سورة الأنبياء، ٥/٢١.
[١٣] ﴿وقالوا لن نؤمنَ لك حتى تَفْجُرَ لنا مِن الأرض يَنْبُوعا. أو تكونَ لك جنة مِن نخيل وعنب فتُفَجِّرَ الأنهار خلالها تفجيرا. أو تُسقِطَ السماء كما زعمت علينا كِسَفًا أو تأتيَ بالله والملائكة قَبِيلا. أو يكونَ لك بيتٌ مِن زُخْرُفٍ أو تَرْقَى في السماء ولن نؤمن لِرُقِيِّكَ حتى تُنَزِّلَ علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنتُ إلّا بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٠/١٧-٩٣).
[١٤] ك: الأول.

وليس عليه أن يأتي بعين[1] تلك الآية، إنما عليه أن يأتي بآيةٍ تَخرج عن عُرفهم وطِباعهم. والرسل جميعًا[2] لم يأتوا بآية واحدة، إنما جاءوا بآيات مختلفات، كلٌّ[3] جاء بآيةٍ سِوَى ما جاء بها الآخر، فقال له: ليس عليك ذلك،[4] **إنما أنت منذر**. أو سألوا آياتٍ سؤالَ الإعتناد[5] [مما يكون] لديها هلاكهم على ما فعل الأوّلون، فقال: **إنما أنت منذر**، قد عفا [الله] هذه الأمة [عن] إحضار آياتٍ وإنزالِها [ويكون] لديها هلاكهم[6] وإن كانوا هم في سؤالهم الآيات معانِدين، لأنهم قد جاءهم مِن الآيات على إثبات رسالته وإظهارِها ما كَفَتْهم،[7] لكنهم يعاندون.

وقوله[8] عز وجل: **إنما أنت منذر**، لا تملك إتيان الآيات، [كما قال:] قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ،[9] وقال: قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ،[10] الآية. أو يقول: **إنما أنت منذر**، ليس إليك[11] إنشاءُ الآيات واختراعُها، قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ.

وقوله[12] عز وجل: **ولكل قومٍ هادٍ**، أي داعٍ يدعو[13] إلى توحيد الله ودينه، كقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ.[14] وقوله: **ولكل قومٍ هادٍ**، يحتمل[15] لكل وقتٍ هادٍ. ثم اختلفوا أنه مَن ذلك الداعي. قال بعضهم: الله، وقال بعضهم: نبي مِن الأنبياء، وقال بعضهم: داعٍ دليلُ سِوَى النبي. وقالت الباطنية: هو إمام يكون معصومًا مِثل النبي لئلا يَزِيغَ عن الحق. ولكن عندنا معصومًا كان[16] أو لم يكن معصومًا[17] فإن في القرآن ما يمنع عن الزَّيْغ

---

[1] ع م: بعض.
[2] ع + ثم.
[3] ع + ما.
[4] ع م – ذلك.
[5] ك: الإعناد.
[6] ك – على ما فعل الأولون فقال إنما أنت منذر قد عفا هذه الأمة إحضار آيات وإنزالها لديها هلاكهم.
[7] ن: ما كفهتهم، صح هـ.
[8] ن: قوله.
[9] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٥٠).
[10] سورة الأنعام، ٦/٥٨.
[11] ن: عليك.
[12] ن: قوله.
[13] ع: يدعوا.
[14] سورة فاطر، ٣٥/٢٤.
[15] ع: ويحتمل.
[16] ك – كان.
[17] ع م – كان أو لم يكن معصوما.

ويُعْرَف ذلك مِنه إذا زاغ وضلّ عن الحق. **ولكل قومٍ هادٍ**، أي داعٍ، وهو كما قال: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ / إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ.[١] [٣٧٤و]

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **الله يعلم ما تحمل كل أنثى**، قيل: يعلم[٢] أنها حملت أنثى أو ذكرًا،[٣] مستويًا أو غيرَ مستوٍ مَئُوفًا.[٤] يخبر عز وجل عن علمه[٥] وقدرته أنه لا يَخفى عليه شيءٌ ولا يُعجِزه شيءٌ.[٦] فإن قيل: هذا دعوى، ما الذي يُعلِمنا أنه يَعلم ذلك؟ قيل: اتّساق تدبيره ولطفه يدل على علم ذلك فيه،[٧] حيث ربّاه فيه وأنشأه مستويًا غيرَ مَئُوفٍ سليمًا عن الآفات، وتماء الجوارح[٨] كلها على الاستواء، لا يكون بعضها أكبر[٩] وأعظم من بعض،[١٠] وبعضها[١١] أنقص وبعضها أتمّ، نحو[١٢] العينين تراهما مستويتين لا زيادة في إحداهما دون الأخرى، بل تَنْمُوَان على الاستواء. وكذلك [ترى] اليدين والرجلين والأذنين وأمثالَه. فدل ذلك على العلم له به والتدبير.

وقوله عز وجل: **وما تَغِيض الأرحام وما تزداد**، أي يَعلم ما تَغِيض الأرحام[١٣] وما تزداد.[١٤] قال عامة أهل التأويل: ما تَغِيض الأرحام: ما تَنقص[١٥] عن التسعة الأشهر، **وما تزداد**: على التسعة الأشهر. فكان الحسن يقول: غَيْضُوضَة الرحم أن تضع لستة أشهر أو لسبعة أشهر[١٦] أو ثمانية،

---

[١] سورة فاطر، ٣٥/٢٤.
[٢] ع: تعليم.
[٣] ك: ذكرًا أو أنثى؛ م: أذكرًا.
[٤] مئوف أي أصابته آفة (*لسان العرب* لابن منظور، «أوف»).
[٥] ع م: من علمه.
[٦] ن – ولا يعجزه شيء.
[٧] أي اتساق تدبيره يدل على وجود ذلك العلم في الله عز وجل حيث ربّى الإنسان في علمه وعنايته وتدبيره.
[٨] ع م: الحوائج.
[٩] ك: لكبر.
[١٠] ك – من بعض.
[١١] ع م – أكبر وأعظم من بعض وبعضها.
[١٢] ع – نحو.
[١٣] ع م – الأرحام.
[١٤] ن – أي يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد.
[١٥] ن: وما تنقص.
[١٦] ع م – أو لسبعة أشهر.

وأما الزيادة[1] فما زاد على تسعة أشهر.[2] وفي حرف أُبيّ: الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تضع.[3] ولكن يحتمل قوله: **وما تَغِيض الأرحام وما تزداد**، وجهين. أحدهما ما تَغِيض الأرحام، أي ما لا تحمل شيئًا، وهي التي تكون عقيمًا لا تَلِد. والغَيْضُوضَة تكون ذهاب الشيء. قال الله تعالى: وَغِيضَ الْمَاءُ،[4] أي ذهب. **وما تزداد**، أي ما تحمل. أو ما تَغِيض[5] الأرحام، فتَلِد بدون الوقت الذي تَلِد النساء، **وما تزداد**،[6] على الوقت الذي تَلِد النساء. أو ما تَغِيض الأرحام **وما تزداد**، في زيادة عدد الأولاد ونقصانهم، ما تحمل[7] واحدًا أو أكثر مِن واحد. أو يكون في زيادة قَدْرِ نَفْسِ الولد ونقصانه؛ لأن مِن الولد ما يصيبه في البطن آفة فلا يزال يزداد له[8] نقصانٌ[9] في البطن، ومنه ما ينمو[10] ويزداد، وأمثاله. ***والله أعلم***.

وكل شيء عنده بمقدار، مقدَّر بالتقدير، ليس على الجُزَاف على ما يكون عند الخَلْق، ولكنه بتقدير وتدبير.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[٩]

عالم الغيب والشهادة، قال بعضهم: لا يغيب عنه شيء، ولكن هو عالم بالذي يغيب عن الخلق و[الذي] يشهده الخلق، أي ما يغيب عنهم وما يشهدونه عنده بمحل واحد في العلم به. وقال بعضهم: **عالم الغيب والشهادة**، ما غاب بنفسه وما شهد بنفسه. فالغائب بنفسه هو ما لم يوجد بعدُ ولم يكن، والشهادة ما قد وُجد. وكان يعلم ما لم يوجد بعدُ أنه يوجد أو لا يوجد، وإذا[11] وُجد كيف يوجد ومتى يوجد وفي أي وقت يوجد، وما وُجد[12] وشَهِد يعلمه شاهدًا موجودًا. على هذين الوجهين يجوز أن تخرج[13] الآية. ***والله أعلم***.

---

[1] ن – وأما الزيادة.
[2] *تفسير الطبري*، ١١١/١٣، ١١٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٠٩/٤.
[3] *روح المعاني* للآلوسي، ١٠٩/١٣.
[4] سورة هود، ٤٤/١١.
[5] ع م: وما تغيض.
[6] ن: ولا تزداد.
[7] ع: ما يحتمل.
[8] ع م: وله.
[9] جميع النسخ: نقصانا.
[10] م: ما ينموا.
[11] ع: إذا.
[12] ع: ما وجد.
[13] ن ع م: أن يخرج.

ويعلم ما غاب عنهم مما شَهِدوا مِن نحو قوة الطعام في الطعام والقوة التي في الماء ومائية البصر والسمع والعقل والروح وكيفيتها، وهذا[١] كله مما غاب عن الخلق.

وقوله عز وجل: **الكبير المُتَعَالِ، المتعال**[٢] عن جميع ما يحتمله[٣] الخلق. يقال: هذا[٤] عظيم القوم وكبيرهم، وهذا واحدُ زمانِه، لا يَعْنُون عظيمَ النفس وكبيرَه[٥] أو تَوَحُّدَه مِن حيث العدد، ولكن مِن حيث نفاذ الأمر له والمشيئةِ فيهم والعزُّ والسلطان وذلّة الخلق له[٦] والخضوع له.[٧] فعلى ذلك لا يُفهَم فيما وُصف[٨] هو به ما يُفهَم مِن الخلق مِن عِظَم الجسم وكِبَر النفس. وعلى ذلك ما وُصف هو بأسماء لا يحتمل[٩] ذلك في الخلق، يقال: أوّل وآخِر وظاهر وباطن وعظيم ولطيف،[١٠] لِيُعلَم أنه ليس يُفهَم مما أضيف إليه ووُصف هو به ما يُفهَم مما يُضاف إلى الخلق. إذ مَن قيل في الشاهد: إنه عظيم، لم يُقَل: إنه لطيف، ومَن قيل: إنه أوّل، لم يُقَل له:[١١] آخِر. وكذلك الظاهر والباطن[١٢] إذا وُصف بأحدهما انتفى عنه الآخِر، وذلك[١٣] مما وُصف به الغائب وأضيف إليه، لِيُعلَم أنه لا يُفهَم بما يوصف هو[١٤] به ويُضاف إليه ما يُفهَم مما وُصف به الخلق وأضيف إليهم. ***والله أعلم.***

﴿سَوَاءٌ مِنكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **سواءٌ مِنكم مَن أَسَرَّ القولَ**، في نفسه في حال انفراده، **ومَن جَهَرَ به**، لغيره،[١٥] **ومن هو مُسْتَخْفٍ بالليل**، في ظُلمة[١٦] الليل، **وسارِبٌ بالنهار**، قيل: ظاهر بالنهار.

---

[١] ك: هذا.
[٢] ك ن – المتعال.
[٣] ن: ما تحتمله.
[٤] ن – هذا.
[٥] ن ع م: وكبره.
[٦] ع م: والسلطان وله الخلق.
[٧] ك ع م – له.
[٨] ن: يوصف.
[٩] ن: لا تختلف.
[١٠] ع + أنه ليس؛ م + ليعلم أنه ليس.
[١١] ع م: به.
[١٢] م: وكذلك الباطن والظاهر.
[١٣] م: وكذلك.
[١٤] ن – هو.
[١٥] ن ع م: بغيره.
[١٦] ع: وظلمة.

وقال بعضهم: **وسارِبٌ بالنهار**، مَن[1] يكون في السَّرَب،[2] وهو الفارّ بالنهار. وقال بعضهم: مَن هو **مُسْتَخْفٍ بالليل**، أي ساكن بالليل في[3] مَقَرّه، **وسارِبٌ بالنهار**، أي متصرّف[4] متقلّب بالنهار في حوائجه. ذكر هذا صِلَةَ ما تقدّم، وهو قوله: يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى،[5] ويعلم ما تَغِيض الأرحام، ويعلم أيضًا[6] ما تزداد، وما ذَكَر أنه عالم الغيب والشهادة، يقول: أيضًا يَعلم مَن أَسَرّ القولَ ومَن جَهَرَ به ومَن كان مُستَخفِيًا بالليل أو سارِبًا بالنهار، أي يَعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء، مَن عَمِل سِرًّا مِن الخلق أو عَمِل بظاهرٍ مِنهم. يَذكر هذا -والله أعلم- ليكونوا على حذر مِن المعاصي؛ لأن مَن عَلِم أنّ[7] عليه / رقيبًا حفيظًا يكون أحذر وأخوف[8] [٣٧٤ظ] ممن يعلم أن ليس عليه ذلك. وقال مُقاتِل: **سواءٌ منكم**، عند الله، **مَن أَسَرَّ القولَ ومَن جَهَرَ به**، وسواءٌ منكم من **هو مُسْتَخْفٍ بالليل وسارِبٌ بالنهار**، أي مَن هو[9] مُسْتَخْفٍ بالمعصية في ظُلمة الليل، أو هو منتشر بتلك المعصية بالنهار مُعلِن بها، فعِلمُ ذلك كله عند الله سواء.[10] في ذلك تذكير أمرين. أحدهما يُذكّرهم نعمه[11] التي أنعمها عليهم من أول حالهم إلى آخر ما ينتهون إليه، يَسْتَأْدِي بذلك شكرَه ليستديموا بذلك تلك النعم أبدًا ما كانوا. والثاني يُذكّرهم عِلمَه بجميع أحوالهم وأفعالهم ليكونوا أبدًا على حذرٍ مِن معاصيه والخلاف له. أمّا عِلمُه هو ما ذكر: اَللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى[12] -إلى قوله- **سواءٌ منكم**، الآية، وأمّا نعمه[13] [فهي] ما ذكر: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ.[14]

---

[1] ع م - من.
[2] السَّرَب هو البيت أو الحفرة تحت الأرض، والسَّرْب هو الطريق (*لسان العرب* لابن منظور، «سرب»).
[3] ع م - في.
[4] ع: متصرب.
[5] سورة الرعد، ٨/١٣.
[6] ن - أيضًا.
[7] ن + من علم.
[8] ع: وأو أخوف.
[9] م - هو.
[10] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣٦٩/١.
[11] ن: نعمة؛ ع: يذكر النعمة.
[12] سورة الرعد، ٨/١٣.
[13] ع: وأما نعمة.
[14] الآية التالية.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [١١]

وقوله: **له مُعقِّبات**، قال بعضهم: هم[١] الأمراء والشُّرَط الذين[٢] يحفظونه في ظَواهرَ مِن أمره. يخبر أنه محفوظ عليه الخَفِيات مِن أمره، حيث قال: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ،[٣] الآية، حيث أخبر أنه يعلم ذلك و[أنه كذلك] محفوظ عليه الظواهر[٤] مِن أمره.[٥] وقال بعضهم: **له مُعَقِّبات**، الملائكة الذين يحفظونه. وعلى ذلك رُوي في الخبر أن النبي[٦] صلى الله عليه وسلم قال: «يجتمعون فيكم[٧] عند صلاة العصر وصلاة الصبح».[٨] **مِن بَين يَدَيْه ومِن خَلْفِه يَحفظونه**، مثل قوله: عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ.[٩] قال:[١٠] الحسنات **مِن بَين يَدَيْه**، والسيئات مِن خَلْفِه، الذي عن يمينه [يكتب الحسنات، والذي على يساره لا يكتب إلا بشهادة الذي على يمينه، فإذا مشى كان أحدهما أمامه والآخر وراءه...].[١١]

---

[١] ك: هو.

[٢] م: الذي.

[٣] الآية السابقة.

[٤] ن: ومحفوظ والظواهر.

[٥] يقول السمرقندي رحمه الله: « قال بعضهم: هم الأمراء والشُّرَط الذين يحفظونه في ظَواهرَ مِن أمره حتى إذا عَلِموا منه بشيء مما هو مَزجورُ الشرع يعاقبونه على ذلك ويعزرونه. أخبر تعالى أنه كما هو محفوظٌ عليه الظواهر مِن أمره فهو محفوظٌ عليه الخَفِيات مِن أمره، حيث قال: ﴿سواءٌ مِنكم مَن أَسَرَّ القولَ ومَن جَهَر به﴾، الآية. أخبر أنه يعلم ذلك و[أنه] محفوظٌ عليه الظواهر مِن أمره تأكيدا للحذر عن المعاصي المختفية عن الناس» (*شرح التأويلات*، ورقة ٤٠٨ظ).

[٦] ك ن م: عن النبي.

[٧] ع م: منكم.

[٨] عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يَعرُج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون» (*صحيح البخاري*، مواقيت الصلاة ١٦؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٢١٠).

[٩] ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تُوَسْوِسُ به نَفْسُه ونحن أقرب إليه مِن حبل الوَرِيد. إذ يَتلقّى المتلقِّيانِ عن اليمين وعن الشمال قَعيدٌ﴾ (سورة ق، ٥٠/١٦-١٧).

[١٠] القائل هو مجاهد، والكلام ابتداء من قوله: ﴿له معقبات﴾، الملائكة الذين يحفظونه... من قول مجاهد. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦١٣.

[١١] التتمة من المصدر السابق.

وقوله عز وجل: **له مُعَقِّبات**، يحتمل قوله: **له**،[1] أي لله، **مُعَقِّبات... يحفظونه**. ويحتمل **له**،[2] أي لكلّ[3] ذكر وأنثى، [و]يكون مثله قوله: يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى.[4]

وقوله عز وجل: **يحفظونه مِن أمر الله**، يحتمل قوله: **يحفظونه مِن أمر الله**،[5] أي يحفظون[6] نفسه مِن البلايا والنَّكَبات التي تَنزل على بني آدم. فإن كان في حفظ نفسه فقوله: **مِن أمر الله**، أي مِن عذاب الله وبلاياه، كقوله:[7] حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا،[8] وهو عذابنا. ويحتمل قوله: **[يحفظونه]** يحفظون أعمالَه بأمر الله.

ثم يحتمل قوله: **مِن بَين يَدَيه ومِن خَلْفِه**، وجوهًا. يحتمل **مِن بَين يَدَيْه**، الخيرات التي يعملها،[9] **ومِن خَلْفِه**، الشرور والسيئات. ويحتمل قوله: **مِن بَين يَدَيْه**، ما قدّم مِن الأعمال، **ومِن خَلْفِه**، ما بقي وأخر، كقوله: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ.[10] ويحتمل **مِن بَين يَدَيْه**، ما مضى[11] مِن الوقت، **ومِن خَلْفِه**،[12] ما بقي. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **إن الله لا يُغيّر ما بقومٍ حتى يُغيّروا ما بأنفسهم**، يشبه أن يكون هذه النعمة نعمة الدين مِن رسول الله أو القرآن[13] أو ما كان مِن أمر[14] الدين، لا يُغيّر ذلك عليهم إلا بتغيير يكون منهم، كقوله: ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ،[15] وكقوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ.[16]

---

[1] ك + له.
[2] ع م – له.
[3] جميع النسخ: من كل.
[4] سورة الرعد، ٨/١٣.
[5] ع – يحتمل قوله يحفظونه من أمر الله.
[6] ن: أي يحفظونه.
[7] ع م – كقوله.
[8] ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور﴾ (سورة هود، ٤٠/١١).
[9] ع م – ومن خلفه وجوها يحتمل من بين يديه الخيرات التي يعملها.
[10] سورة الانفطار، ٥/٨٢.
[11] ع: ما معنى.
[12] ك – ومن خلفه، صح هـ.
[13] ك ن: أو قرآن؛ ع: أو اقرآن.
[14] ك ن ع: في أمر.
[15] ﴿وإذا ما أُنزلت سورةٌ نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم مِن أحد ثم انصرفوا صَرَف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ (سورة التوبة، ١٢٧/٩).
[16] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قومِ لِمَ تؤذونني وقد تَعلمون أنّي رسول الله إليكم فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (سورة الصف، ٥/٦١).

ويحتمل أن يكون ذلك في النعمة الدنيوية[١] مِن الصحة والسلامة والمال، لا يُغيّر ذلك عليهم إلا بتغيير ذلك مِن أنفسهم.

فإن قيل: إنّ الأنبياء قد كانوا[٢] بُلُوا بشدائد وبلايا، ولا يحتمل أن يكون ذلك منهم البداية في التغيير؟

قيل: أُبدلت لهم مكانَ تلك النعمة خيرٌ[٣] منها، فليس ذلك بتغيير، ولكن لِما ذكرنا أنه أُبدلت لهم مكان النعمة نعمةٌ هي خيرٌ منها.

ثم ما كان مِن النعم والأفضال مِن الطاعات [التي] لها حق التجدُّد والحدوث يكون التغيير عليهم [فيها] حالة اختيارهم وتغييرهم[٤] على أنفسهم. وأمّا الأفعال التي لها حق البقاء يكون التغيير [عليهم فيها] مِن اللهِ مِن بعدُ، وهو مِن نحو السلامة والصحة والسَّعَة. والذي[٥] له حق التجدُّد والحدوث الطاعات والمعاصي.[٦]

وقوله عز وجل: **وإذا أراد الله بقومٍ سوءً فلا مَرَدَّ له**، الآية تردّ[٧] على المعتزلة قولهم؛ لأنهم يقولون: إنه لا يريد إلا ما[٨] هو أصلح لهم في الدين. وقد أخبر أنه إذا[٩] أراد بهم سوءً فلا مَرَدَّ له،[١٠] دل هذا أنه قد يريد بهم[١١] السوء إذا غيّروا هم[١٢] ما أنعم الله عليهم. أراد أن يغيّر عليهم. والمعتزلة يقولون: يَملِك الخَلْقُ[١٣] دَفْعَ سوءٍ أراده الله بهم، وإذا أراد الخير يَملكون ردَّ ذلك، والله يقول: فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ،[١٤] ولا مَرَدَّ لِسُوئِه.

---

[١] ن ع م: الدنياوية.

[٢] م – كانوا.

[٣] جميع النسخ: خيرا.

[٤] ن ع: وتغيير.

[٥] ع: الذي.

[٦] يقول الشارح رحمه الله تعالى موضحا: «ثم النعم التي لها حق الحدوث والتجدد من الطاعات وأفعال الخير يكون التغيير عليهم حال اختيارهم أضداد ذلك. فتُغيَّر عليهم تلك النعم بمنع التوفيق والعصمة وإعطاء الخذلان. وما كان من النعم مما له بقاء من الأحوال والأعيان أو ما له حكم الدوام بتجدد أمثالها بحيث لا ينقطع مثل السلامة في الذهن والفهم ونحو ذلك يكون التغيير من الله من بعد وجود التغيير منهم بصرف تلك النعم في غير مواضعها والامتناع عن قضاء حق الشكر لها. والله أعلم» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٠٨ظ).

[٧] ع: تردد.

[٨] ع – ما.

[٩] م – إذا.

[١٠] ع + الآية ترد على المعتزلة قولهم لأنهم يقولون إنه لا يرد؛ م + الآية وعلى المعتزلة قولهم لأنهم يقولون إنه لا يريد.

[١١] ن ع م – بهم.

[١٢] ع: السؤال إذا غيروهم؛ م: غيروهم.

[١٣] ع: الحق.

[١٤] ﴿وإن يَمْسَسْكَ الله بضُرٍ فلا كاشف له إلا هو وإن يُرِدْكَ بخير فلا رادّ لفضله يُصيب به مَن يشاء مِن عباده وهو الغفور الرحيم﴾ (سورة يونس، ١٠/١٠٧).

وقوله عز وجل: **وما لهم مِن دونه مِن والٍ**، أي ليس لهم في[1] دفع العذاب الذي أراد بهم وليٌّ يدفع عنهم أو نصيرٌ ينصرهم، كقوله: وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ.[2]

*وقال أبو عَوْسَجَة: المُعَقِّبات: الحَفَظَة الذين يحفظونه بأمر الله. ويقال: عَقَبته، أي حفظته.[3] [٣٧٥و س٣٤
وأمّا قوله:[4] لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ،[5] أي لا رادّ لحكمه. قال: ويقال في[6] غير هذا: أَعْقَب فلان فلانًا، أي ذهب هو وجاء هذا. ويقال عَقَّبْتُ، أي رجعت، ومَأخذهما مِن العَقِب. ويقال: رجع على عَقِبَيه، أي مِن حيث جاء. وقال القُتَبي: **مُعَقِّبات**، ملائكة يَعْقُب بعضُها بعضًا في الليل والنهار، إذا مَضى فريقٌ خَلَفَ بعدَه فريقٌ آخر، **يحفظونه مِن أمر الله**، أي بأمر الله. وقوله: **وماهم مِن دونه مِن والٍ**، أي وليّ، مِثل قادر وقدير[7] وحافظ وحفيظ،[8] وذلك جائز في اللغة.* ٣٧٥و س٣٩]

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **هو الذي يُرِيكم البَرْقَ خوفًا وطَمَعًا**، أي مُخَوِّفًا ومُطْمِعًا،[9] أو ما تَخافون وتَطمعون. وقال أهل التأويل: **خوفًا**، للمسافر، **وطمعًا**، للمقيم. وقيل: **خوفًا**، لأهل البنيان، **وطمعًا**، لأهل الأَنْزَال.[10] وعندنا يَطمعون ويَخافون [في] قوم واحد يَطمعون نفعه في وقت المنفعة، ويَخافون ضرره في غير وقت النفع. أو يَطمعون نفعه ويَخافون ضرره. أو يَطمعون مُضِيّه ويَخافون نُزوله[11] والضرر به في غير وقت النفع ونحوه. ويحتمل وجه[12] آخر في قوله: **يُريكم البَرْقَ خوفًا وطمعًا**،

---

[1] م – في.
[2] سورة البقرة، ١٠٧/٢.
[3] م: عقبة أي حفظة.
[4] ن: قول.
[5] ﴿والله يَحكُم لا مُعَقِّبَ لحكمه﴾ (سورة الرعد، ٤١/١٣).
[6] ع م – في.
[7] ع: قدير.
[8] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٥.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ١٣، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٧٥و/سطر ٣٤-٣٩.
[9] ع م: ومطموعا؛ ع + مطمعا.
[10] الأَنْزَال أي الأَقْوَات والأطعمة، جمع نُزُل (*لسان العرب* لابن منظور، «نزل»). أي أهل المزارع، وهي تكون بعيدا عن البنيان.
[11] م – وعندنا يطمعون ويخافون قوم واحد يطمعون نفعه في وقت المنفعة ويخافون ضرره في غير وقت النفع أو يطمعون نفعه ويخافون ضرره أو يطمعون مضيه ويخافون نزوله.
[12] جميع النسخ: وجها.

أي يُريكم خوفًا موعودًا وطمعًا موعودًا؛ لأن البَرْق نور ونار، فالنور[١] يُطمِع[٢] النور الموعود في الجنة، والنار تُخَوِّف[٣] النار الموعودة في الآخرة، لأن[٤] فيها نارًا. ألا ترى أنه إذا اشتدّ خِيف على مَن أصابه.

وقوله عز وجل: **ويُنشِئ السَّحَاب الثِّقَال**، قيل: أي يرفع **السَّحَاب الثِّقَال**، الذي فيه المطر والماء. قال أبو عَوْسَجَة: **ويُنشِئ السَّحَاب الثِّقَال**،[٥] يقال: نشأت السماء، إذا ارتفع الغيم فيها، ويُسمَّى الغيم نشْأً. وقوله: أنشأ، أي أخذ فيه. ويقال: أنشأ الله الخلق، أي خلقهم. نشأ: ارتفع، / وأنشأ:[٦] رفع. وهو مِن هذا. ***والله أعلم***. [٣٧٥و]

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[١٣]

ويسبح الرعد بحمده، اختلف في الرعد والبرق. قال بعضهم: هو اسم مَلَك مِن الملائكة مُوَكَّلٍ[٧] بالسحاب صَوْتُه تسبيحُه. وعلى ذلك[٨] رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أقبلت يَهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم[٩] أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «مَلَك مِن الملائكة مُوَكَّل[١٠] بالسحاب معه مَخَارِيق[١١] مِن نار يَسوق بها السحاب حيث شاء الله». فقالوا: فما هذا[١٢] الصوت الذي نسمع؟ قال: «زَجْرُه السحاب، إذا زَجَره حتى ينتهي إلى حيث أمر». قالوا: صدقت.[١٣]

---

[١] ع م – فالنور.
[٢] ع م: ويطمع.
[٣] م: يخوف.
[٤] م – لأن.
[٥] ع م – قيل أي يرفع السحاب الثقال الذي فيه المطر والماء قال أبو عوسجة وينشئ السحاب الثقال.
[٦] ع: ونشاء.
[٧] ع م: مؤكل.
[٨] م – وعلى ذلك.
[٩] ك: القسم.
[١٠] ع م: مؤكل.
[١١] مَخَارِيق هو جمع مِخْرَاق، وهو في الأصل عند العرب ثوب يُلَفّ ويَضرِب به الصبيانُ بعضُهم بعضا. أراد أنها آلة تَزجُر بها الملائكة السحاب وتَسُوقه، ويفسّره حديث ابن عباس: البرق سَوْط مِن نور تَزجُر به الملائكة السحاب (*لسان العرب* لابن منظور، «خرق»).
[١٢] ك: ما هذا.
[١٣] *مسند أحمد بن حنبل*، ١/٢٧٤؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٢١. وحسنه الترمذي.

فإن ثبت هذا فهو هو. وعن علي رضي الله عنه أنه سئل عن الرعد والبرق،[1] فقال:[2] الرعد: المَلَك، والبرق: ضَرْبُه السحاب بمِخْرَاقٍ مِن حديد.[3] وقيل: الرعد مَلَك[4] على ما ذكرنا يَزْجُر السحاب بالتسبيح ويَسُوقه، فإذا شذّت سحابة[5] ضمّها وإذا اشتدّ غضبُه صار مِن فِيه[6] النار، فهي الصواعق. وقيل: هي الريح تَسُوق السحاب، فإذا تراكمت السحاب فلم تجد مَنفَذًا صَوَّتت، فذلك صوتها. وقال[7] بعض الفلاسفة: الرعد اصطكاك الأَجْرَام، فيَحدُث هذا الصوت بمنزلة الحجر يَصُكّ[8] الحجر. وقال بعض الفلاسفة:[9] إنما هي ريحٌ تَخْتَنِق تحت السحاب فتُصَدِّعُه، فذلك الصوت منه. وأي شيء كان الرعد: المَلَك أو الريح أو ما كان فالتسبيح يحتمل مِن كل شيء على ما أخبر الله تعالى التسبيح من كل شيء، حيث[10] قال: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ.[11] فيحتمل تسبيحَ الخِلقة [حيث] جُعل في خِلقة كل شيء حَمْدُ صانعِه وبَراءةُ مُنشِئه مِن كل ما وصفه الملحدون ودلالةُ ألوهيته وربوبيته. ويحتمل تسبيحَ قولٍ[12] [حيث] جُعل في سِرِّية كل شيء تسبيحُه وتنزيهُه [على] ما لا يفهمه الخلق. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: الرعد مَلَك، وهذا تسبيحه، والبرق صوته الذي يُزْجِي به السحاب. قيل: أمثال هذا كثير. والله أعلم بذلك. وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة سِوَى أنه هَوْلٌ هائل، يُهَوِّل الخلق ويُذكّرهم سلطانه وعظمته، ولولا أنهم اعتادوا ذلك وإلا لم تَقُم[13] أنفسهم لسماع[14] ذلك.

---

[1] ن ع م: عن البرق والرعد.
[2] ن ع م: قال.
[3] *تفسير الطبري*، ١/١٥٢؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٢١.
[4] ع + الرعد ملك.
[5] ع: اشذت سحانة.
[6] أي من فمه.
[7] ع م: فقال.
[8] ك: يحك.
[9] بعضهم من الفلاسفة.
[10] ن – على ما أخبر الله تعالى التسبيح من كل شيء حيث.
[11] سورة الإسراء، ١٧/٤٤.
[12] ع – قول.
[13] ك: لم يقم.
[14] م: أسماع.

وقوله: **ويسبح الرعد بحمده**، أي يُذكّرهم سلطانه وعظمته فيكون ذلك وما ذكروا مِن سلطانه وعظمته تسبيحه،[١] **والملائكة مِن خِيفته**، أي تسبح[٢] الملائكة مِن خوفه. الرعد يسبح ويُذكّر الخلق عظمةَ الله وسلطانَه، فذلك[٣] الثناء عليه، والملائكة يسبحونه[٤] فيما بينهم وبين ربهم، فلم يَذكر فيهم[٥] التسبيح بحمده وذَكَر في الرعد. **والملائكة مِن خِيفته**، أي مِن خوفه. ثم الخوف يخرج على وجهين. أحدهما خوفًا مِن عقوبته؛ لأنه قد جاء فيهم الوعيد إذا زَلُّوا، كقوله: وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ،[٦] الآية. والثاني خوف رهبة وهيبة[٧] لا خوف عقوبة؛ لأن الله تعالى وصفهم بالطاعة له والاستسلام، كقوله: لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ،[٨] وقوله: وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ،[٩] الآية، ونحو[١٠] ذلك. ثم خوف الهيبة لا يزول في الآخرة، وخوف العقوبة يزول.

وقوله عز وجل: **ويُرسِل الصّواعق**،[١١] قيل: الصَّعْقَة الصيحة التي فيها موت البعض ويَذهب عقلُ البعض، كقوله: فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ.[١٢] وقيل: هي[١٣] اسم العذاب. وقد ذكرنا فيما تقدم.[١٤] ذُكر في بعض الأخبار أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن شيء مِن أمر الرب، فجاءت صاعقة فأحرقته،[١٥] فنزل:[١٦] **ويُرسِل الصّواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المِحَال.**[١٧]

---

١ ك ع م: فيكون ذلك تسبيحه وما ذكروا من سلطانه وعظمته؛ ن – فيكون ذلك وما ذكروا من سلطانه وعظمته تسبيحه.
٢ ن: أي يسبح؛ ع م: أي تسبيح.
٣ ع م: فذل.
٤ ع: يسبحون.
٥ ك: فلم يذكرهم.
٦ سورة الأنبياء، ٢٩/٢١. والآية في الملائكة.
٧ ك: والثاني هيبة ورهبة.
٨ سورة التحريم، ٦/٦٦.
٩ ﴿وله مَن في السماوات والأرض ومَن عنده لا يَستكبرون عن عبادته ولا يَستحسرون. يسبحون الليل والنهار لا يَفتُرون﴾ (سورة الأنبياء، ١٩/٢١-٢٠).
١٠ ن ع: ونخوف.
١١ ع + الصيحة.
١٢ ﴿ونُفِخَ في الصُّور فصَعِقَ مَن في السماوات ومَن في الأرض إلا مَن شاء الله ثم نُفِخَ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ يَنظرون﴾ (سورة الزمر، ٦٨/٣٩).
١٣ ك: هم.
١٤ انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٥٥/٢.
١٥ ع: فأخرقته.
١٦ م: ونزل.
١٧ *تفسير الطبري*، ١٢٥/١٣-١٢٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٦٢٥/٤-٦٢٦.

وقوله عز وجل: **وهم يجادلون في الله**،[1] أي في توحيد الله؛ لأن أهل الكفر كلهم كانت مجادلتهم في توحيد الله وألوهيته.

وقوله عز وجل: **وهو شديد المِحَال**، قال بعضهم: شديد الانتقام والعقوبة. وقيل: شديد القوة. وقيل: شديد[2] الأخذ. وقال القُتَبي: **المِحَال**، مِن الكيد والمكر، وأصل **المِحَال**: الحيلة،[3] لكن سمّي باسم الأول لأنه جزاء الحيلة، فيكون كتسمية جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء.[4] والكيد[5] والمكر هو[6] ما ذكرنا[7] أنه الأخذ[8] مِن حيث الأمن[9] مِن حيث لا يشعرون به.[10] وقال أبو عَوْسَجة: **المِحَال** عندي مِن المكر.[11]*

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **له دعوة الحق**، يحتمل وجهين. يحتمل أي له عبادة الحق، وليس [٣٧٥ظ] لمن دونه عبادة الحق، / أي هو[12] المستحق للعبادة ليس[13] من[14] يُعبَد دونه[15] بالذي يستحق العبادة، وعبادة الحق له[16] ليس لمن دونه. والثاني **له دعوة الحق**، أي له إجابةُ دعوةِ الحق،[17]

---

[1] ع – وقوله عز وجل وهم يجادلون في الله.
[2] م: شد.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٦.
[4] يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مِثلُها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٠)، وإلى قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٤).
[5] ع م – والكيد.
[6] ع م – هو.
[7] انظر تفسير الآية من سورة يوسف، ١٢/٥، ٢٨.
[8] ع: الا احذ.
[9] ع م – من حيث الأمن.
[10] ع: وبه.
[11] ع م – من المكر.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ١١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٧٥و/سطر ٣٤-٣٩.
[12] ك – هو.
[13] ع: وليس.
[14] جميع النسخ: ممن.
[15] م: يعبدونه.
[16] ك – له.
[17] ن + أي.

ليس يَملك مَن دونه إجابةَ مَن دعا بالحق. فعلى التأويل الأول الدعوة العبادة. وعلى الثاني الدعوة الإجابة، أي له إجابةُ دعوةِ مَن دعا بالحق. *والله أعلم*. هو يَملك إجابةَ دعوةِ الخلق،[١] فأمّا مَن عبد دونه ودعا دونه [فهو] لا يَملك ذلك. يدل على ذلك قوله: **والذين يدعون مِن دونه لا يستجيبون لهم بشيء**، أي **والذين يَدعون مِن دونه** لا يَملكون الإجابة، أو لا يملكون[٢] ما يَأْمُلُون مِن عبادتهم الأصنام، فيكون مَثَلُه ما ذَكر: **إلا كباسطِ كَفَّيْه إلى الماء لِيَبلُغ فاه وما هو ببالغِه**، وجه[٣] ضَرْبُ[٤] مَثَلِ مَن يَدعو[٥] مِن دون الله بِباسطِ كَفَّيْه إلى الماء هو –والله أعلم– [أنه] ليس مَن يدعو[٦] مِن دون الله **إلا كباسطِ كَفَّيْه إلى الماء**، فيدعو[٧] الماء، فكما[٨] لا يُجيبه الماء وإن دعاه فعلى ذلك مَن يدعو[٩] الأصنام لا يملكون إجابته. والله أعلم بذلك. أو أنْ يكونَ وَجْهُ ضَرْبِ هذا المَثَل أنَ مَن عَبد دون الله أو دَعا مَن دونه ليس **إلا كباسط كَفَّيْه إلى الماء**، وهو على بُعْدٍ مِن الماء، فكما لا يَصِل هو إلى الماء لا يَصِل مَن عَبد دون الله إلى ما يَأْمُل[١٠] ويطمع. أو يحتمل وجها آخر،[١١] وهو أنّ الماء يُغترَف إذا قُبض الكفّ، ولا سبيل[١٢] إلى الاغتراف إذا بُسطت، فعلى ذلك مَن عَبد دون الله.

وقوله عز وجل: **وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**، أي دعاؤهم وعبادتهم لا يُعقِب لهم إلا الخسار في الآخرة. حاصله: يَضِل ذلك كلُّه عنهم، لا يَصِلون إلى ما يَأْمُلُون بالدعاء والعبادة، كقوله: وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ،[١٣] أو يَفْتَرُونَ.[١٤]

---

[١] ع م – الخلق.
[٢] م + أو لا يملكون الإجابة.
[٣] ك: وهو.
[٤] ن م: صرف.
[٥] ع م: من يدعون.
[٦] ع م: من يدعون.
[٧] ع: فيدعوا.
[٨] ك: فكذا.
[٩] ع: من يدعوا.
[١٠] ن ع م: ما يؤمل.
[١١] جميع النسخ: أو يحتمل من وجه.
[١٢] ن + إلى الكف.
[١٣] سورة فصلت، ٤١/٤٨.
[١٤] ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٤).

﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ولله يسجد مَن في السماوات والأرض طَوْعًا وكَرْهًا**، يحتمل قوله: **يسجد**، على حقيقة السجود، يسجد[١] له المؤمن والكافر جميعًا. أمّا المؤمن فإنه يسجد له بالاختيار والطَّوْع، [وأما الكافر فإنه يسجد في حالة الضرورة كَرهًا في حال الشدة والضِّيق].[٢] ويحتمل ما ذكر مِن السجود وجوهًا. أحدها حقيقة السجود؛ فإن كان هذا فهو في الممتحنين خاصة.

والثاني سجود الخِلقة؛ فإن كان على هذا فهو في جميع الخلائق [حيث] جَعل الله في خِلقة كل شيء دلالةَ وحدانيته وآيةَ ألوهيته وربوبيته.

والثالث سجود الأحوال، فهو في المؤمن والكافر جميعًا. أمّا المؤمن فهو يسجد له في كل حال، وأما الكافر فإنه يسجد له ويخضع في حال الشدة والضِّيق ولا يسجد له[٣] في حال السَّعة والرخاء. ويشبه أن يكون الكافر يكون سجوده لله اختيارًا وطوعًا حيث قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٤] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[٥] إنهم[٦] وإن عبدوا الأصنام فيرون السجود والعبادة لله، لكنه لم يقبل ذلك منهم لإشراكهم غيره في ذلك.

وقوله عز وجل: **وظلالهم بالغُدُوّ والآصال**، أي يسجد ظلالهم **بالغُدُوّ والآصال**،[٧] ينتقل ظل كل أحد بانتقال نفسه، ينتقل حيث ينتقل[٨] نفسه. فذَكَر الغدو والآصال[٩] لأنه بالغُدُوّ والعَشِيّ يَظهر الظل.

ويحتمل السجود أنه يسجد له،[١٠] أي يخضع له[١١] **مَن في السماوات والأرض طَوْعًا وكَرْهًا**؛ فإن كان على الخضوع فهو في الخلائق كلهم في البشر وغير البشر وذي الروح وغير ذي الروح.

---

[١] ع: ويسجد.

[٢] من *الشرح*، ورقة ٤٠٩ظ.

[٣] ك: والضيق له ولا يسجد.

[٤] ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا لِيُقَرِّبُونا إلى الله زُلْفَى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩).

[٥] ﴿ويعبدون مِن دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شُفَعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[٦] ع – إنهم.

[٧] ع – أي يسجد ظلالهم بالغدو والآصال.

[٨] ك: تنتقل.

[٩] م + أي.

[١٠] ع م – له.

[١١] ن – له.

وظلالهم بالغُدُوّ والآصال، أي ظلالهم تخضع له أيضًا **بالغُدُوّ والآصال**. ويحتمل أن يكون المراد مِن السجود سجودَ[١] الخِلقة،[٢] فيسجد له خِلقةُ كل أحد.

فإن قيل: ما معنى الغُدُوّ والآصال؟ قيل: يحتمل أبدًا دائمًا ليس على مراد[٣] الوقت، ولكن على الأوقات كلها.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **قل من رب السماوات والأرض قل الله**، أمره أن يسألهم **مَن رب السماوات والأرض**، ثم أمره أن يجيب هو لهم فيقول: **الله**، وهو في الظاهر دعوى. أكثر ما في هذه الآية دعوى، وبعضه[٤] حِجَاج، وهو[٥] قوله:[٦] **لا يَملِكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا**، وقوله: **خلقوا كخَلْقِه**؛ لأنهم يُقِرّون بهذا [أنهم] لا يَخلقون كخَلْقِه ولا يَملِكون دفع الضَّر ولا جرّ النفع. وقوله:[٧] **قل من رب السماوات والأرض**، إنما أمره أن يسألهم **مَن رب السماوات والأرض**، ولم يقل: مَن ربكم، فإنما أمره[٨] أن يسألهم[٩] ما لا يتجاسرون أن يقولوا: الأصنام التي يعبدونها هي أرباب السماوات والأرض، فلا بدّ مِن[١٠] أن يُقرّوا [أن] الله رب السماوات والأرض،[١١] فإذا أقروا بهذا أنه رب السماوات والأرض قد دخل ما في السماوات والأرض في ربوبيته؛ إذ السماوات[١٢] والأرض إنما خلقهما لأهلهما،[١٣] فإذا كان ربَّ السماوات والأرض كان ربَّ ما فيهما.

---

[١] م- سجود.
[٢] م: والخلقة.
[٣] م: على المراد.
[٤] ك: بعضه.
[٥] ع - وهو.
[٦] ع: وقوله.
[٧] م: قوله.
[٨] ك ن ع: أمرهم.
[٩] ك - أن يسألهم.
[١٠] ك - من.
[١١] ع م - والأرض.
[١٢] ع م: أو السموات.
[١٣] ع: خلقها لأهلها.

وقال بعضهم: **قل من رب السماوات والأرض قل الله**، أمره أن يسألهم ثم يَسبقهم[1] بالإجابة؛ لأنه هو السابق بكل[2] خير، وهم يجيبون له أنه رب السماوات والأرض. دليله حرف أُبيّ وابن مسعود وحفصة حيث قرءوا:[3] من رب السماوات والأرض قالوا الله، يدل أنه أمره أن يَسبقهم بالإجابة كما كان هو السابق على كل خير.

[٣٧٦و] وقوله عز وجل: **قل أفاتخذتم مِن دونه أولياء**، يقول –والله أعلم– / إذا أقررتم أن رب السماوات والأرض هو الله وهو الإله فكيف اتخذتم مِن دونه هذه الأصنام آلهة أربابًا وعبدتموها؟ أو كيف جعلتم مَن ليس هو برب[4] السماوات والأرض أولى ممن[5] أقررتم بالعبادة له أنه ربهما؟ ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **لا يَملِكون لأنفسهم نفعًا ولا ضَرًّا**، إذ لا[6] يَملِكون نفعًا[7] لأنفسهم ولا دفع الضرّ عنها، فكيف يَملِكون نفع غيره أو دفع ضرٍ عن غيره؟ فعرّفهم أنهم[8] لا يملكون ذلك وأن الله هو المالك، فكيف تركتم عبادة من يملك ذلك وعبدتم من لا يملك؟ فيخرج تأويله على وجهين. أحدهما يقول: **لا يَملِكون لأنفسهم نفعًا ولا ضَرًّا**، فكيف اتخذتم دون الله آلهة؟ والثاني **لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضَرًّا**، مع وجود الحاجة فيها، فكيف تعبدون على رجاء النفع لكم بقولكم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ.[9]

وقوله: **قل هل يستوي الأعمى والبصير**، أي تَعلمون أن الأصنام التي تعبدونها أنها أعمى لا تبصر شيئًا والله هو البصير، فكيف تركتم عبادة من يُبصِر وعبدتم من لا يُبصِر، هل يستوي ذلك، أي لا يستوي. أو يقول لهم:[10] إنكم بعبادتكم الأصنام طمعتم شفاعتهم عند الله وهم عُمْي وأنتم بُصَراء، فهل رأيتم أعمى يقود بصيرًا في الشاهد؟ أو هل[11] رأيتم من لا يُبصِر يكون دليلاً لبصير؟ فإذا لم تروا ذلك فكيف طمعتم من الأصنام ذلك؟

---

[1] ع م: أن يسبقهم.
[2] ع: كل.
[3] ع م: فرقا.
[4] م: رب.
[5] ع م: من.
[6] م: أو لا.
[7] ع – نفعا.
[8] ن ع م: أنه.
[9] ﴿ويعبدون مِن دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شُفَعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[10] ك – لهم.
[11] ع م – أو هل.

وقال أهل التأويل: **قل هل يستوي الأعمى والبصير**، الأعمى الكافر والبصير المؤمن، **أم هل تستوي الظلمات والنور**، الظلمات الكفر والنور الإيمان. ووجهُ قولهِم حيث شَبّهوا الكفر بالظُّلْمة والإيمان بالنور؛ لأن الظُّلْمة تحجب وتستر كل شيء، والنور يَرفع ذلك الحجاب وذلك السِّتْر. فالإيمان له دلائل وحُجج تَرفع تلك الحُجُب والسِّتْر، فيُتَنوَّر له كل شيء، والكفر ليس له حُجج ودلائل تَرفع ذلك، فهو ظُلْمة لم يُضِئ له شيئا. والإيمان نور حيث أضاء له ونَوّر كل شيء له[1] بالدلائل والحجج التي ذكرنا. فصار الكافر كالأعمى لا يبصر شيئا، لأنه في الظلمة، والمؤمن كالبصير،[2] لأن[3] معه الدلائل والحجج.

وقوله عز وجل: **أم جعلوا لله شركاء**، أي بل **جعلوا لله شركاء**، في العبادة بعد ما علموا أنهم لا يملكون نفعًا إن عبدوها ولا ضرًا إن تركوا العبادة لها. وقوله: **خلقوا كخَلْقِه فتَشَابَهَ الخَلْقُ عليهم**، أي خَلَقَ هؤلاء الأصنام التي عبدوها وأشركوها في ألوهيته كخَلْقِ الله فتَشَابَهَ عليهم خَلْقُه[4] مِن خَلْق الأصنام، أي عرفوا أنها لم تخلق شيئًا كما خَلَقَ الله، فكيف أشركوا هذه الأصنام في عبادة الله وألوهيته وهم كأنهم قد أقروا أن الله هو خالق كل شيء؟ وهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا: إن الله لم يخلق أفعال الخَلْق[5] ولا يَقدر على خَلْقِها.[6] فإذا كان الله لم يخلقها فهم[7] خلقوها على زعمهم، فيكون موضع تَشَابُه الخَلْق عليهم[8] على قولهم، فيدل على بطلان قولهم وفساد مذهبهم. *والله الموفق.*

وقوله: **قل الله خالق كل شيء**، في السماوات والأرض، **وهو الواحد القهار**، أي كل شيء دونه[9] تحت قدرته وقهره وسلطانه، والأصنام التي تعبدونها مقهورة مغلوبة.

---

[1] ع م – له.
[2] ع + والمؤمن.
[3] ع: لأنه.
[4] م – خلقه.
[5] ك: العباد.
[6] ن – على خلقها.
[7] ن ع: فهو.
[8] ع + فدل.
[9] ع م – دونه.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **أنزل من السماء ماء فسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فاحتمل السَّيْلُ زَبَدًا رابِيًا** -إلى آخر ما ذكر من الأمثال إلى قوله- **كذلك يَضرِب الله الحق والباطل فأمَا الزَّبَد فيَذهب جُفَاءً وأمَا ما يَنفع الناسَ فيَمْكُثُ في الأرض**، قال بعض أهل التأويل: هذا مَثَلٌ ضربه الله لليقين والشك، فاحتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكِّها، فأمّا الشك فلا يَنفع معه[١] عمل، وأمّا اليقين فينفع اللهُ به أهلَه، وهو قوله: **فأما الزَّبَد فيَذهب جُفَاءً**، وهو الشك،[٢] **وأمَا ما يَنفع الناس فيَمْكُث في الأرض**، وهو اليقين. وكما يُجعَل[٣] الحُلِيُّ في النار فيؤخذ خالِصُه ويُترَك[٤] خبيثُه في النار كذلك يَقبل الله اليقين ويَترك الشك، وهو قول ابن عباس.[٥] وقال قتادة: قوله: **أنزل مِن السماء ماءً فسالت أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها**، الصغير بصِغَره والكبير بكِبَره،[٦] **فاحتمل السَّيْلُ زَبَدًا رابِيًا**، يقول: عاليًا،[٧] **ومما يُوقِدون عليه في النار ابتغاءَ حِلْيَةٍ أو متاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه كذلك يَضرِب الله الحق والباطل فأمَا الزَّبَد فيَذهب جُفَاءً**، والجُفاء ما يتعلّق بالشجر مِن الزَّبَد، **وأمَا ما يَنفع الناسَ فيَمْكُث في الأرض**، فضرب المَثَل للحق والباطل، يقول -والله أعلم- كما اضْمَحَلَ هذا الزَّبَدُ الذي ظهر[٨] فوق الماء فصار جُفَاءً لا يُنتفَع به ولا تُرْجَى[٩] بركتُه كذلك يَضْمَحِلّ الباطل عن أهله كما اضْمَحَلّ هذا الزَّبَد، وكما مَكَثَ هذا الماء في الأرض[١٠] وقَرَّ قرارُها[١١] فأَمْرَعَتْ[١٢] ورُجِيَتْ بركتُه[١٣] وأخرجت له نباتها كذلك يَبقى الحقُّ لأهله كما بَقي هذا الماء في الأرض.

---

[١] جميع النسخ: منه.
[٢] ك - وهو الشك.
[٣] ع: كما لا يجعل.
[٤] ع م: وينزل.
[٥] *تفسير الطبري*، ١٣/١٣٥؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٣٢.
[٦] بصغيرة والكبير بكبيرة.
[٧] ك: رابيا.
[٨] ن ع م + على.
[٩] ن ع م: يرجى.
[١٠] م + ومما توقدون عليه في النار.
[١١] ع: قراها. أي وقَرّ قرار الأرض.
[١٢] أَمْرَعَت الآرض أي أَخصبَت وأَكلأت وأَعشَبت (*لسان العرب* لابن منظور، «مرع»).
[١٣] ع: تركته؛ ع م + كذلك.

ومما يُوقِدون عليه في النار ابتغاءَ حِلْيَةٍ، يقول: يَبقى خالصُ[1] هذا الذهب والفضة حين أُدْخِلَ في النار وذَهَبَ خَبَثُه، كذلك يَبقى الحقُّ لأهله. **أو متاعٍ**، يعني هذا الحديد والصُفْر الذي يُنتفَع به وفيه مَنافع، يقول: كما بَقي خالصُ هذا[2] الحديد/ وهذا الصُفْر حين أُدْخِلَ النار وذهب خَبَثُه كذلك يَبقى[3] الحقُّ لأهله كما بَقي خالصُهما.[4] [٣٧٦ظ]

وقال الكَلْبي: قوله: **أنزل من السماء ماء**، وهو القرآن، فاحتمله القلوب بأهوائها، ذو[5] اليقين على قدر يقينه وذو الشكّ[6] على قدر[7] شكّه، فاحتملت الأهواء باطلاً كثيرًا وجُفَاءً. فالماء هو الحق، والأودية هي القلوب، والسَيْل[8] الأهواء، والزَبَد الباطل، والحق المتاع والحلية. قال: **كذلك يَضرِب الله الحق والباطل فأمّا الزَبَد فيَذهب جُفَاءً وأمّا ما يَنفع الناسَ فيَمْكُث في الأرض**، فالزَبَد وخَبَثُ الحديد وخَبَثُ المتاع هو الباطل، مَن أصاب مِن هذا شيئًا لم ينتفع به، فكذلك [صاحب] الباطل يوم القيامة لا يَنتفع بباطله. وأمّا الحلية والماء والمتاع فهو الحق، مَن أصاب شيئًا مِنه انتفع به، وكذلك صاحب الحق يوم القيامة يَنتفع بالحق. أمّا الحلية فالذهب والفضة، وأمّا المتاع فالصُفْر[9] والحديد والرصاص والنحاس ونحوه، ليس[10] شيء مِن هذا يُنتفَع به حتى يُدخَل النار فيُميِّز صَفْوُه مِن خَبَثِه.

وقال الحسين بن واقد[11] وهو قول مُقاتِل: ضرب الله مَثَل[12] الكفر والإيمان ومَثَل الحق والباطل، فقال:[13] **أنزل مِن السماء ماء فسالت أَوْدِيَةٌ بقَدَرِها**، سال الوادي الكبير على قدر كِبَره والصغير على قدر صِغَره،[14] **فاحتمل السَيْلُ زَبَدًا رابِيًا**، أي عاليًا، ثم قال: **ومما يُوقِدون عليه في النار ابتغاءَ حِلْيَةٍ**،

---

[1] ع م – خالص.
[2] ن – هذا.
[3] ع م: تبقى.
[4] *تفسير الطبري*، ١٣/١٣٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٣٤.
[5] ع م: دون.
[6] ن ع م: شك.
[7] ن – قدر.
[8] ع: والسبيل.
[9] ع م: فالصفرة.
[10] ع: وليس.
[11] الحسين بن واقد، قاضي مرو. محدث ثقة، وكان من خيار الناس. (ت ١٥٩هـ/ ٧٧٦م). انظر: *الكاشف* للذهبي، ١/٣٣٧؛ *وتقريب التهذيب* لابن حجر، ١/١٦٩؛ *وتهذيب التهذيب* له، ٢/٣٢١.
[12] ع م – مثل.
[13] ع م – فقال.
[14] ع م: على صغرها.

الذهب والفضة،[1] ثم قال: **أو متاعٍ**، الشَّبَه[2] والحديد والصُّفْر والرصاص، **زَبَدٌ مِثلُه**، أي للسَّيْل زَبَدٌ[3] لا يُنتفَع به، والماء يُنتفَع به،[4] وللحُلِيّ والمتاع أيضًا زَ بَدٌ[5] مِثلُ زَبَد السَّيْل إذا أُدخِل النار، وهو خَبَثُه لا يُنتفَع به، والحُلِيّ والمتاع ما خَلُص منهما يُنتفَع به. فمَثَل الأودية مَثَل القلوب، ومَثَل السَّيْل مَثَل الأهواء، ومَثَل[6] الماء والحُلِيّ والمتاع الذي يُنتفَع به مَثَل الحق، ومَثَل زَبَد الماء وخَبَث الحُلِيّ[7] والمتاع الذي لا يُنتفَع به مَثَل الباطل. فكما يُنتفَع بالماء وما خَلُص مِن الحُلِيّ والمتاع الذي يَنتفع به أهلُه[8] في الدنيا فكذلك الحق يَنفع أهلَه في الآخرة، وكما[9] لا يَنفع الزَّبَد وخَبَث الحُلِيّ وخَبَث المتاع أهلَه في الدنيا فكذلك الباطل لا يَنفع أهلَه في الآخرة.[10]

كذلك، أي هكذا، **يضرب الله الحق والباطل**، أي يُبين الله ما ذكر مِن مَثَل الحق والباطل. **فأما الزَّبَد فيَذهب جُفَاءً**، قال: يعني يابسًا، فلا يُنتفَع به، **وأمّا ما يَنفع الناس**، مِن الماء، **فيَمكُث في الأرض**، فيَسقُون ويَزرعون عليه وينتفعون به. فهذه ثلاثة أمثال ضربها الله[11] في مَثَل واحد. يقول: هكذا يُبين الله الأمثال والأشباه، لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا،[12] أي أجابوا،[13] لِرَبِّهِم، في الدنيا بالإيمان والتوحيد، الْحُسْنَىٰ، لهم وهي الجنة في الآخرة.

فضَرب[14] الله مَثَل الإيمان والحق ووَصَفهما بالثبات والقرار والطِّيب، بالأرض الطيبة مرة، وشجرة طيبة ثانيًا، وضَرب مَثَل الكفر والباطل بالأرض الخبيثة والشجرة الخبيثة، ووَصَفهما بالخُبْث والذهاب،

---

[1] ن: حلية الفضة والذهب.

[2] ن: الذهب؛ ع م: المشية. الشِّبه والشَّبَه: النحاس يُصبَغ فيَصفَرّ، وفي التهذيب: ضَرب مِن النحاس يُلقَى عليه دواء فيَصفَرّ. قيل: سمّي به لأنه إذا فُعل ذلك به أشبه الذهب بلونه (*لسان العرب* لابن منظور، «شبه»).

[3] ك + مثله.

[4] ك – والماء ينتفع به.

[5] ن + مثل زبد.

[6] ن: أو مثل.

[7] ن ع م – والمتاع الذي ينتفع به مثل الحق ومثل زبد الماء وخبث الحلي.

[8] ع م: أصله.

[9] ن: كما.

[10] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ١/٣٧٤.

[11] ع م – الله.

[12] ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ (الآية التالية).

[13] ن – أي أجابوا.

[14] ك ن: ضرب.

فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾،[١] وقال:[٢] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾،[٣] وقال:[٤] ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾،[٥] الآية. وضَرب مَثَل المؤمن مرة بالبصير[٦] والسميع،[٧] ومَثَل الكافر بالأعمى والأصم، فقال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾.[٨] وضَرب مَثَل الكفر مرة بالظلمات ومرة بالرماد والموت،[٩] ومَثَل الإيمان بالنور والضياء والحياة[١٠] ونحوه.[١١] فهذه الأمثال التي[١٢] ضَرب الله عز وجل تخرج كلها مخرج الدعوى في الظاهر؛ إذ ليس فيها بيان الحق منها[١٣] وبيان المحُق مِن غير المحُق سِوَى أنّ فيها: هل يستوي ذا مع ذا -لا يستوي، على ما ذكر-[١٤] وهل يستوي الطيب [و]الخبيث[١٥] أو البصير والسميع [مع] الأصم والأعمى أو الميت [و]الحي أو الظلمات [و]النور وأمثاله. هذا كله غير مُستوٍ. وكل أهل الأديان -وإن اختلفت مذاهبهم-[١٦] يقول كلٌّ: أنا الذي عليه هو الحق،

---

[١] ﴿تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حِينٍ بإذن ربها ويَضرب الله الأمثالَ للناس لعلهم يتذكّرون﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٤-٢٥).

[٢] ع م: قال.

[٣] سورة إبراهيم، ١٤/٢٦.

[٤] ك: قال.

[٥] ﴿والبلد الطيب يَخرج نباته بإذن ربه والذي خَبُثَ لا يَخرج إلا نَكِدًا كذلك نُصَرِّف الآيات لقوم يشكرون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٥٨).

[٦] ن: بالبصر؛ ع: والبصير.

[٧] ك: مرة بالسميع والبصير.

[٨] سورة هود، ١١/٢٤.

[٩] يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تَستوي الظلماتُ والنور﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٦)، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الذين كفروا بربهم أعمالهم كرَمَادٍ اشتدّت به الريح في يومٍ عاصفٍ لا يَقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١٨).

[١٠] انظر الآيات المذكورة، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَثَلُهم كمَثَلِ الذي استوْقَدَ نارا فلمّا أَضَاءَت ما حوله ذَهَب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يُبصِرون﴾ (سورة البقرة، ٢/١٧)، وقوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كان مَيْتًا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مَثَلُه في الظلمات ليس بخارجٍ منها كذلك زُيِّنَ للكافرين ما كانوا يعملون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٢)، وغير ذلك من الآيات.

[١١] ع: ونحو.

[١٢] ع م - التي.

[١٣] م: عنها.

[١٤] م: ما ذلك.

[١٥] يقول الله تعالى: ﴿قل لا يَستوي الخبيث والطيب ولو أَعْجَبَكَ كثرةُ الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾ (سورة المائدة، ٦/١٠٠).

[١٦] ع م: مذاهبه هو.

والباطل هو الذي عليه غيري، وينفي كلٌّ[1] عن نفسه العَمَى والصَمَم وكونَه في ظُلْمة ويَدَّعِي كونَه في النور ونحوه. فليس في نفس الأمثال التي ضُربت بيانُ الحق من الباطل والمُحِقّ من غيره، فذلك يُعرَف بغيرها: بالدلائل والحجج والبراهين. وهو ما ذكر: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ،[2] الآية. فبالدلائل والحجج والبراهين يُعرَف الحق من الباطل والمُحِقّ من غير المُحِقّ. فللإيمان والحق دلائل وحجج، يَعرف ذَوُو[3] العقول بالعقول حُسنَه وطِيبَه وما يَعقُب مِن ثمرته، ويَبِينُ قُبْحُ الكفر والباطل لِذَوِي[4] العقول بالعقول واستخباثُهم الباطل وما يَعقُب لأهله مِن الخُبْث والقُبْح والشر.

وقال القُتَبي: **زبدًا رابيًا**، أي عاليًا على الماء. **ابتغاءَ حِلْيَةٍ**، أي حُلِيّ، **أو متاعٍ**، آنية، يعني مِن فِلِزّ[5] الأرض وجواهرها[6] مِثل الرصاص والحديد ونحوه والذهب[7] والفضة حيث تَغْلُوها إذا أُذِيبت مِثلُ زَبَد الماء. والجُفَاء ما رَمى به الوادي إلى جَنَبَاتِه، يقال: أَجْفَأَت القِدْر بزَبَدِها، إذا أَلْقَتْ[8] زَبَدَها عنها.[9]

وقال أبو عَوْسَجَة: **رابيًا**، أي مرتفعًا فوق ظهر الماء. وهو واحد. ويقال: زَبَدَ الماءُ، إذا صار له [٣٧٧و] زَبَد. **ابتغاءَ حِلْيَة**، هو من الحُلِيّ من الذهب والفضة مما / يُتَحَلَّى به، **فيَذهب جُفَاءً**، أي باطلاً لا يُنتفَع به. وأمّا الجَفَاء فهو إظهار التهاون بالإنسان وقلّة الاكتراث له والاستخفاف به. وقال: الجُفَاء هو الغُثَاء. ويقال: قد انْجَفى الوادي، إذا علاه ذلك ثم جرى به الماء. قال أبو عَوْسَجَة: والغُثَاء عندي ما حمله السيل[10] من العِيدان والبَعر وما يشبه ذلك. وقال القُتَبي: قوله: فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى،[11] أي يَبَسًا. قال أبو عُبَيْد:[12] الجُفَاء الجُمُود.[13] ويَذهب إلى أن الزَّبَد يَجْمُد ويجتمع على الماء ثم يذهب بمائها. وقال الفَرّاء: **فيَذهب جُفَاءً**: أي يذهب سريعًا كما جاء.[14]

---

[1] ن: الكل.

[2] ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (سورة العنكبوت، ٢٩/٤٣).

[3] ن ع م: ذو.

[4] ك: لذي؛ ن ع: الذي.

[5] الفِلِزّ و الفِلَزّ و الفُلُزّ: النحاس الأبيض تُجعَل منه القُدُور العظام... و الفِلِز و الفِلَزّ: الحجارة. وقيل: هو جميع جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وأشباهها وما يُرمَى مِن خَبَثِها (*لسان العرب* لابن منظور، «فلز»).

[6] ع: جواهرها.

[7] ن: من الذهب.

[8] جميع النسخ: إذا ألقيت.

[9] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٢٧.

[10] ن: السبيل.

[11] ﴿والذي أخرج المرعى. فجعله غُثَاءً أَحْوَى﴾ (سورة الأعلى، ٨٧/٤-٥).

[12] ع م: أبو عبيدة.

[13] ك: والجمود؛ ع: الجود؛ م: الحمود.

[14] *معاني القرآن* للفراء، ١/٣٧٠.

{وقال الشيخ رحمه الله:} ويشبه أن يكون المَثَل الذي ضُرب بالماء هو للدين، وهو أن الدين الحق الذي أُنزل من السماء واحد، لكن الناس اتخذوا أديانًا متفرقة ومذاهبَ[1] مختلفة، كقوله: وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ.[2] فالدين الذي أُمر[3] بسلوكه[4] واتباعه واحد، وهو كالماء الذي أُنزل من السماء واحدٌ صافٍ وهو الأصل، فحدث[5] منه أشياء لا يُعبأ بها[6] ولا يُكترث،[7] فعلى ذلك السيل. أو أن يكون وجهُ ضربِ مَثَله بالماء هو[8] أنّ الماء إذا أُنزل من السماء أُنزل طَيِّبًا عَذْبًا،[9] لكن اختلف ألوانُه وطُعُومه باختلاف جواهر الأرض. بعضُه خرج مالحًا أُجَاجًا وبعضُه مُرًّا لا يُنتفَع به وبعضُه عَذْبا.[10] وذلك على اختلاف جواهر الأرض،[11] وإلّا كان المُنزَل من السماء كلُّه عَذْبًا طيبًا.[12] فالذي يُنتفَع به واحد، وهو العَذْب، فعلى ذلك الدين الذي يُنتفَع به واحد، والبَوَاقي لا يُنتفَع بها كالمياه المُرّة والمالحة. أو يكون[13] غير هذا، ونحن لا نعرفه. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **كذلك يضرب الله الأمثال.**

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[١٨]

للذين استجابوا لربهم الحسنى، أي أجابوا ربهم[14] فيما دعاهم إليه. وإنما دعاهم إلى السبب الذي يُوجِب لهم دار السلام، وهي الجنة بقوله: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،[15]

---

[1] ك: ومذاهبنا؛ ن ع م: ومذاهبا.

[2] ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتَفَرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٣).

[3] ن: آمن.

[4] ع م: لسلوكه.

[5] ك: فحذف.

[6] جميع النسخ: به.

[7] ك: ولا يكترف.

[8] جميع النسخ: وهو.

[9] ك: أنزل عذبا طيبا.

[10] ك ع م: عذب.

[11] ن – بعضه خرج مالحا أجاجا وبعضه مرا لا ينتفع به وبعضه عذبا وذلك على اختلاف جواهر الأرض.

[12] جميع النسخ: عذب طيب.

[13] ن: ويكون؛ م: أو أن يكون.

[14] م: لربهم.

[15] سورة يونس، ١٠/٢٥.

دعاهم إلى دار السلام ومَكَّن[1] لهم مِن الإجابة له والردّ، فمن أجابه فيما دعاه كان له دار السلام والحسنى الذي ذكر، ومن[2] ردّ دُعاءَه كان له النار ودار الهَوَان.[3] فأيهما[4] اختار[5] فله[6] الموعود الذي وعد، إن اختار إجابته إلى ما دعاه فله النعيم الدائم الذي وعد ودار[7] السلام، وإن اختار الردّ وتَرْكَ الإجابة فله ما وعد من العذاب الدائم والهَوَان. والأمثال التي ذَكر[8] أنها **للذين استجابوا لربهم الحسنى**، هو هكذا للمؤمنين؛ لأنهم هم المنتفعون بها. وكذلك ما ذكر من القرآن أنه هدى ورحمة للمؤمنين،[9] وأمّا على أهل الكفر فهو عَمًى وضلال.[10] وكذلك قوله: وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ،[11] وأمّا قلوب الكفرة فما ذكر:[12] فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[13] و فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا،[14] وأمثاله.

وقوله عز وجل: **والذين لم يستجيبوا له لو أنّ لهم ما في الأرض جميعًا ومِثلَه معه لَافْتَدَوْا به**، أي ضِعْفَه معه **لَافْتَدَوْا به**، يَذكُر هذا -والله أعلم- أنّ الذين[15] كان يمنعهم عن الإجابة **إلى ما** دعاهم[16] إليه رغبتُهم في هذه الدنيا ومَيْلُهم إليها يَتمنَّوْن لِما يَحِلّ فيهم مِن العذاب والشدائد

---

[1] ع: وأمكن.

[2] ع م: ذكره من.

[3] م: لهوان.

[4] ن: وأيهما.

[5] ع + الرد.

[6] م – فله.

[7] ع م: دار.

[8] في الآية السابقة.

[9] ﴿وإنه لَهُدًى ورحمةٌ للمؤمنين﴾ (سورة النمل، ٢٧/٧٧).

[10] ن: وكذلك. يقول الله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياته أأعجميٌّ وعربيٌّ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عَمًى أولئك يُنادَوْنَ مِن مكان بعيد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٤).

[11] ﴿قاتِلوهم يعذّبهم الله بأيديكم ويُخْزِهم وينصرْكم عليهم ويَشْفِ صدورَ قومٍ مؤمنين﴾ (سورة التوبة، ٩/١٤). ولعل الأوفق بما هنا هو مثل قوله تعالى: ﴿ونُنَزِّل مِن القرآن ما هو شفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنين ولا يَزيد الظالمين إلا خَسارا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨٢).

[12] م – فما ذكر.

[13] ﴿وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يَستبشِرون. وأمّا الذين في قلوبهم مَرَضٌ فزادَتْهم رِجْسًا إلى رِجْسِهم وماتوا وهم كافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/١٢٤-١٢٥).

[14] سورة البقرة، ٢/١٠.

[15] ك ن: أن الذي.

[16] ع م: إلى ما وهم.

أنْ يكون لهم ما في الأرض جميعًا لِأَن[1] يفتدوا به. **أولئك لهم سُوء الحساب**، أي يحاسَبون[2] حسابًا يَسُوءهم؛ لأن حسناتهم التي عملوها وطمعوا الانتفاع بها لم تنفعهم، بل صارت كالسراب الذي ذكر: يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا،[3] ولم يتجاوز عن سيئاتهم، **ومأواهم جهنم وبئس المهاد**، الذي[4] يَأْوُون إليه هو جهنم، **وبئس المهاد**، لِما يَسُوءهم ذلك. ***والله أعلم***.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **أفمن يَعلم أنّ ما أُنزل إليك مِن ربك الحق كمن هو أعمى**، أي مَن يَعلم الحق حقًّا كمن هو يَعْمَى[5] عنه ولا يعلم؟ أو مَن يَعلم الحق أنه حق كمن يَعلمه باطلًا؟[6] ليسا بسواء، كقوله: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.[7]

وقوله عز وجل: **إنما يتذكّر أولو الألباب**،[8] **إنما يتذكر**، بالتذكير، **أولو الألباب**، وذَوُو[9] العقول الذين يَنتفعون بعقولهم ولُبِّهم.

﴿اَلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[٢٠]

ثم بَيّن مَن هم[10] فقال: **الذين يُوفُون بعهد الله**، يحتمل عهد الله[11] عهد خِلقة، يُوفُون ما في خِلقتهم[12] مِن العهد؛[13] إذ في خِلقة كل أحدٍ دلالةُ وحدانيته وشهادةُ ألوهيته، فوَفَّوا ذلك العهد. ويحتمل عهد الله ما جرى على ألسُن الرسل. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[14]

---

[1] جميع النسخ: أن.
[2] م: أو يحاسبون.
[3] ﴿والذين كفروا أعمالهم كسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووَجَدَ اللهَ عنده فوَفّاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).
[4] ك: المهاد أي الذين.
[5] ع م + هو.
[6] م: بالجلا.
[7] سورة الزمر، ٩/٣٩.
[8] ع م + أي.
[9] ن ع م: وذو.
[10] ع: منهم.
[11] ع م – عهد الله.
[12] م: في خلقهم.
[13] ك – من العهد.
[14] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٧/٢.

وهو ما ذكر في آية أخرى: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ،[1] الآية، وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ،[2] الآية. **ولا يَنقضون الميثاق**، العهد والميثاق واحد. وسمّي العهد ميثاقًا لأنه يُوثِق المرءَ ويمنعه[3] عن الاشتغال بغيره. *والله أعلم.*

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **والذين يَصِلُون ما أَمر الله به أن يُوصَل**، الصِّلَات[4] التي أَمر الله بها أن تُوصَل على جهات ومراتب. أمّا ما بينه وبين المؤمنين أن لا يحبّ لهم[5] إلا ما يحبّ لنفسه[6] ولا يَصْحَبهم إلا بما يحبّ هو أن يُصحَب. وأمّا فيما بينه وبين محَارِمه أن يُؤدّي ويحفظ الحقوق التي جَعَل الله

[٣٧٧ظ] لبعضهم[7] على بعض ولا يُضيعها. وأمّا فيما بينه وبين الرسل / فهو أنّ مِن حقهم أن يُوصَل الإيمانُ بالنبيين جميعًا والكتب كلها. هذا –والله أعلم– الصلة التي أَمر الله أن يُوصَل بها. **ويخشون ربهم**، إمّا في التقصير فيما أُمر أن يُوصَل، وإمّا بالتفريط في ذلك وتَرْكِ الصلة. **ويخافون سُوء الحساب**، أي شدة الحساب حين لم تنفعهم[8] حسناتهم ولا يُتجاوز عن شيء مِن سيئاتهم، فذلك يَسُوءهم. *والله أعلم.*

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **والذين صبروا**، قد ذكرنا فيما تقدم[9] أن الصبر هو كَفُّ النفس وحَبْسُها عما تهواه على ما تكره ويَثْقُل عليها. ثم يحتمل كفها وحبسها عن الجزع في المصائب وعلى أداء ما افترض الله عليهم وأمرهم بها. أو كَفُّوا أنفسهم وحبسوها عن المعاصي. يكون الصبر على الوجوه الثلاثة التي ذكرنا.[10] *والله أعلم.*

---

[1] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَمَا آتيتُكم مِن كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدقٌ لِمَا معكم لَتُؤمِنُن به ولَتَنصُرُنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصْري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ (سورة آل عمران، ٨١/٣).

[2] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبيِّنُنّه للناس ولا تَكْتُمُونَه فنَبَذُوه وراءَ ظهورهم واشتَرَوْا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).

[3] ع م: يمنعه.

[4] ن ع م: الصلوة.

[5] جميع النسخ: لا يحبهم.

[6] ع م – لنفسه.

[7] ك: بعضهم.

[8] ك: لم ينفعهم.

[9] انظر تفسير الآية من سورة الأنفال، ٦٦/٨.

[10] ن: ذكرناه.

قوله: **ابتغاءَ وجهِ ربهم**، يحتمل[١] وجهين. يحتمل ابتغاء رضوان الله. ويحتمل ابتغاء وجهٍ يكون لهم عند الله، وهو المنزلة والرِّفْعة. ولذلك سُمّي الرفيع[٢] وذو المنزلة[٣] وجيهًا، كقوله: وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[٤] أي ذو منزلة ورِفعة في الدنيا والآخرة. وعلى ذلك يخرج قوله: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ،[٥] أي ثَمَّ الجهة التي أَمر الله أن يُتوجَّه إليها. فعلى ذلك هذا، **صبروا ابتغاءَ وجهِ ربهم**، أي ابتغاءَ المنزلة والرِّفعة التي عند ربهم. أو ابتغاءَ[٦] رضوان الله ومَرضاته. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأقاموا الصلاة**، أي داموا على إقامتها، ليس أنهم أقاموا مرة ثم تركوها، ولكن داموا على إقامتها. وعلى ذلك قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ،[٧] أي دُومُوا على إقامتها. ويحتمل قوله: **وأقاموا الصلاة**، أي جعلوها قائمة أبدًا.

وقوله عز وجل: **وأنفقوا مما رزقناهم سِرًّا وعَلانيةً**، يحتمل كل نفقة الصدقة والزكاة وما يُنفِق على عياله وولده، **سِرًّا وعَلانيةً**، أي ينفق في كل وقتٍ سِرًّا مِن الناس وعَلانيةً منهم، أي ينفق على جهلٍ مِن الناس وعلى عِلمٍ منهم، ينفقون على كل حال، لا يَمنعهم عِلمُ[٨] الناس بذلك عن الإنفاق[٩] بعد أن يكون ابتغاءَ وجهِ ربهم.

وقوله عز وجل: **ويَدْرَءُون بالحسنة السيئة**، أي يَدفعون **بالحسنة السيئة**.[١٠] ثم يحتمل وجهين. أحدهما يَدفعون بالإحسان إليهم العداوة التي كانت بينهم، كقوله: اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ،[١١] الآية. والثاني يَدْرَءُون الإساءة التي كانت منهم[١٢] إليهم[١٣] بالخير إليهم والمعروف،[١٤]

---

[١] ن: ويحتمل.
[٢] ك ع م: الرقع.
[٣] جميع النسخ: منزلة.
[٤] ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله يُبَشِّرك بكلمةٍ منه اسْمُه المسيح عيسى ابن مريم وَجيهًا في الدنيا والآخرة ومِن المُقرَّبين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤٥).
[٥] ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تُوَلُّوا فثَمَّ وجه الله إن الله واسع عليم﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٥).
[٦] ن ع م: وابتغاء.
[٧] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٤٣.
[٨] ك: حال.
[٩] ع: على الإنفاق.
[١٠] م - أي يدفعون بالحسنة السيئة.
[١١] ﴿ولا تَستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم﴾ (سورة فصلت، ٤١/٣٤).
[١٢] جميع النسخ: لهم.
[١٣] ع م - إليهم.
[١٤] ع م: بالمعروف.

ولا يُكافِئُون بالسيئ السيئ وبالشر الشرّ، ولكن يدفعونه بالخير. وقال بعضهم في قوله: **ويَدْرَءُون بالحسنة السيئة**، أي[1] إذا سُفِه عليهم حَلُمُوا، والسَّفَه سيئة، والحِلْم حسنة. **أولئك لهم عُقْبَى الدار**، أي[2] عُقْبَى أولئك الذين صبروا على ما ذكر مِن[3] وفاء العهد والصلة التي أُمروا بها أن يَصِلُوا والصبرِ على أداء ما أُمر به وافتُرِض عليه والانتهاءِ عما[4] نهُي عنه الدارُ[5] التي دعاهم إليها، بقوله: وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ.[6] والثاني **أولئك لهم عُقْبَى الدار**، أي عُقْبَى حسناتهم دارُ الجنة. أو[7] أولئك[8] لهم عُقْبَى هذه الدارِ: الجنةُ. أو عاقبتهُم دارُ الجنة.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾[٢٣]

ثم نَعَتَ تلك الدار، فقال: **جناتُ عَدْنٍ يَدخلونها**،[9] قال أهل[10] التأويل: **عَدْن**، هو بُطْنَان الجنة، وهو وسطها. وقال بعضهم: **عَدْن**، هو الإقامة، أي جناتٌ يُقيمون فيها. يقال: عَدَن، أي أقام.

وقوله عز وجل: **ومن صَلَحَ مِن آبائهم وأزواجهم وذرياتهم**. فإن قيل: كيف خصّ بالذكر الآباء والأزواج والذرية وهم قد دخلوا في قوله: ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ،[11] وفي قوله: يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ،[12] وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ،[13] فما معنى تخصيصهم بالذكر؟ [قيل:] هذا يحتمل وجوهًا. أحدها أنهم أسلموا فاخترُمُوا، أي ماتوا كما أسلموا، ولم يكن لهم مما ذكر[14] مِن الخيرات والحسنات،

---

[1] ع – أي.
[2] ع م – أي.
[3] ع – من.
[4] ك: الذي.
[5] هذه الكلمة مع اسم الموصول وصلته خبر المبتدأ: عقبى أولئك.
[6] سورة يونس، ٢٥/١٠.
[7] ن ع م – أو.
[8] ك: وأولئك.
[9] ن ع م + عدن.
[10] ع – أهل.
[11] سورة الرعد، ٢٠/١٣.
[12] سورة الرعد، ٢١/١٣.
[13] الآية السابقة.
[14] ع: ما ذكر.

فأخبر أنّ هؤلاء يَدخلونها[١] أيضًا[٢] ويَلحقون[٣] بأولئك. والثاني لم يَبْلُغوا الدرجة التي بَلَغ أولئك، فأخبر عز وجل أنه يُبلغهم درجة أولئك[٤] ويُلحقهم بها،[٥] كقوله: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ،[٦] الآية، يَضُمّ بعضَهم إلى بعض في الآخرة كما كانوا في الدنيا. يَضُمّ كلَّ ذي قَرينٍ في الدنيا قَرينَه[٧] إليه في الآخرة. وفي قوله:[٨] **ومَن صَلَح مِن آبائهم**، وما ذكر دلالة أنّ صلاح غيره وإن قَرُب منه لا يَنفعه حتى يكون في نفسه صلاح، حيث قال: **ومَن صَلَح مِن آبائهم**، إلى آخر ما ذكر، وهو ما قال لنوح:[٩] إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ.[١٠] دل هذا أنّ صلاح والده[١١] أو قريبه لا يُجْدِي له نفعًا في الآخرة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **والملائكة يَدخلون عليهم مِن كلِّ باب**، هذا يحتمل أن يكون لمقامهم ومنازلهم أبواب فيَدخُل[١٢] عليهم مِن كل بابٍ مَلَك. والثاني يحتمل أن[١٣] يأتي كل مَلَك بتُحْفَة غير التُّحْفَة[١٤] التي أَتَى[١٥] بها الآخر على اختلاف خيراتهم وقدر أعمالهم، **من كل باب**، أي من كل نوع من التُّحَف. وفيه وجهان. أحدهما أنّ الملائكة يكونون خَدَمَ أهلِ الجنة، وفي ذلك تفضيل البشر[١٦] عليهم. أو أن يكون على حق المُصاحَبَة لما أحبّوا هُم أهلَ الخير مِن البشر في الدنيا لخيرهم، فجَعل الله بينهم الرُّفْقَة والصُّحْبَة في الآخرة. والله أعلم بذلك.

---

[١] ن ع م: يدخلوها.
[٢] ع م – أيضا.
[٣] ع: ويلحقوا.
[٤] ن: أولياء.
[٥] جميع النسخ: به.
[٦] ﴿والذين آمنوا واتَّبَعَتْهم ذريتُهم بإيمانٍ ألحقْنا بهم ذريتَهم وما ألَتْناهم مِن عملِهم مِن شيء كلُّ امْرِئٍ بما كَسَبَ رَهِين﴾ (سورة الطور، ٢١/٥٢).
[٧] ع: قرينة.
[٨] ن: في قوله؛ م: على قوله.
[٩] وذلك في حق ابنه الذي غرق في الطوفان.
[١٠] سورة هود، ٤٦/١١.
[١١] ع: والمده.
[١٢] ن: فيدخلون.
[١٣] م + يكون.
[١٤] م – غير التحفة.
[١٥] ن: يأتي.
[١٦] ع م – البشر.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **سلامٌ عليكم بما صبرتم**، كقوله: تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ.[١] وقوله عز وجل:
[٣٧٨و] **فنِعْمَ عُقْبَى الدار**، هو[٢] ما ذكرنا في قوله: أُولٰئِكَ / لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ.[٣]

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **والذين يَنقضون عهد الله مِن بعدِ ميثاقه**، العهد قد ذكرناه في غير موضع، وكذلك النقض.[٤]

وقوله عز وجل: **ويَقطعون ما أَمر الله به أن يُوصَل ويفسدون في الأرض**، كل حرف من هذه الحروف[٥] يقتضي معنى الحرف الآخر: إذا نقضوا العهد والميثاق قد قطعوا[٦] ما أمر الله به أن يُوصَل وسَعَوْا في الأرض بالفساد. وإذا قطعوا ما أمر الله به[٧] أن يُوصَل نقضوا[٨] العهد[٩] وسَعَوْا في الأرض بالفساد، إلاّ أن يقال: إنّ نقض العهد يكون بالاعتقاد، وذلك يكون بينهم[١٠] وبين ربهم،[١١] وكذلك[١٢] قَطْعُ ما أَمر الله به أن يُوصَل إذا كان الأمر الذي أَمر به صِلةَ الإيمانِ بالنبيين والكتب جميعًا. فإن كان صِلةَ الأرحام فهو فِعل، والسعي في الأرض بالفساد فِعل أيضًا مِن زنا أو سَرِقة أو قطع الطريق وغير ذلك من المعاصي ما كان، فهو الإفساد في الأرض. *والله أعلم*. والإفساد في الأرض يحتمل مَنْعهم الناس [عن] الإيمان به وتصديقه أو غيرِه من المعاصي[١٣] أو قطع الطريق.[١٤]

---

[١] سورة إبراهيم، ٢٣/١٤.
[٢] م: وهو.
[٣] سورة الرعد، ٢٢/١٣.
[٤] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٧/٢؛ وسورة الرعد، ٢٠/١٣.
[٥] ن: الأحرف.
[٦] ع: أي قطعوا.
[٧] م – به.
[٨] ع: بقضوا.
[٩] ن + والميثاق قد قطعوا ما أمر الله به أن يوصل.
[١٠] م: منهم.
[١١] ن ع م: نسائهم.
[١٢] ن: وكذا.
[١٣] ن م – ما كان فهو الإفساد في الأرض والله أعلم والإفساد في الأرض يحتمل منعهم الناس الإيمان به وتصديقه أو غيره من المعاصي.
[١٤] ع – ما كان فهو الإفساد في الأرض والله أعلم والإفساد في الأرض يحتمل منعهم الناس الإيمان به وتصديقه أو غيره من المعاصي أو قطع الطريق.

وقوله عز وجل: **ويَقطعون ما أَمر الله به أن يُوصَل**، يحتمل **ما أَمر الله به أن يُوصَل**، ما ذكرنا[١] مِن وَصْلِ الإيمان ببعض الرسل بالكل وبجميع[٢] الكتب. ويحتمل صِلةَ الأرحام التي فرض عليهم صِلتهم، قَطعوا ذلك. أو أَمرهم[٣] أن يَصِلُوا أعمالهم بما اعتقدوا.

وقوله عز وجل: **أولئك لهم اللعنة ولهم سُوءُ الدار**، اللعنة هي الطرد في اللغة والإبعاد، كأنهم طُردوا وأُبعدوا عن رحمة الله في الآخرة. أو طُردوا وأُبعدوا من هداية الله وإرشاده في الدنيا. **ولهم سُوءُ الدار**، قد ذكرنا[٤] أنهم دُعُوا إلى دارٍ وحُذِّرُوا عن دارٍ. دُعُوا إلى دار السلام،[٥] فإن أجابوا فلهم الحسنى على ما ذكر،[٦] وحُذِّرُوا عن دار الهَوَان، فإن[٧] لم[٨] يَحذروا فلهم[٩] دار[١٠] السوء و[١١]الهوان. أو سمّاها[١٢] **سوء الدار**، لما يَسُوء مُقامهم فيها. أو ذُكر[١٣] لأهل النار **سُوءُ الدار**، مقابل ما ذُكر لأهل الجنة حُسْنُ الْمَآبِ،[١٤] و حُسْنُ الثَّوَابِ،[١٥] و الحُسْنَى.[١٦]

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **الله يَبسُط الرزق لمن يشاء ويَقدِر**، يُرغِّبهم فيما عنده ويُؤيِسُهم عما في أيدي الخَلْق ويَقطع رجاءهم عن ذلك؛ لأن الذي كان يمنعهم عن الإيمان به ويحملهم على تكذيب الرسل

---

[١] ن: بما ذكرنا.
[٢] ع م: وجميع.
[٣] ن: أو أمروا.
[٤] انظر مثلا تفسير الآية السابقة برقم ٢٢.
[٥] ع م: الإسلام. يشير إلى قوله تعالى: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ (سورة يونس، ٢٥/١٠).
[٦] يقول الله تعالى: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ (سورة الرعد، ١٨/١٣).
[٧] ن ع م - فإن.
[٨] ن ع م: فلم؛ ع + لم.
[٩] ع م - فلهم.
[١٠] ن: عن دار.
[١١] ن - السوء و، صح هـ.
[١٢] ن: وسماها.
[١٣] ن: وذكر.
[١٤] ﴿والله عنده حُسْنُ المَآب﴾ (سورة آل عمران، ١٤/٣)؛ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طُوبَى لهم وحُسْنُ مَآب﴾ (سورة الرعد، ٢٩/١٣).
[١٥] ﴿والله عنده حُسْنُ الثواب﴾ (سورة آل عمران، ١٩٣/٣).
[١٦] ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ (سورة الرعد، ١٨/١٣).

وتَرْكِ الإجابة هذه الأموالُ التي كانت في أيدي أولئك، وبها رَأَوْا دوام الرئاسة والعزّ والشرف لهم في هذه الدنيا، فقال:[1] هو الباسط لذلك والقاتِر لأولئك،[2] هو يُوسِعُ على من يشاء ويَقْتُر على من يشاء، ليس ذلك إلى الخَلْق. وذَكر أنه يَبسُط الرزق لمن يشاء مِن أوليائه وأعدائه ويَقْتُر على من يشاء[3] مِن أعدائه وأوليائه لِيُعلَم أنّ[4] التوسيع في الدنيا والبَسْطَ لا يدل على الولاية، ولا التقتير والتضييق على العداوة. ليس كما يكون في الشاهد يُوسَّع على الأولياء ويُبسَط، ويُضيَّق على الأعداء؛ لأن التوسيع في الدنيا والتضييق بحق المِحْنة، وفي الآخرة[5] بحق الجزاء، ويستوي[6] في المِحْنة الولي والعدو، ويُجمَع بينهما في المِحْنة، ويُفرَّق بينهما في الجزاء.

وقوله عز وجل: **وفرحوا بالحياة الدنيا**، يحتمل قوله: **وفرحوا**، [أن يكون] صِلة ما تقدم، وهو قوله: وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ -إلى قوله-[7] وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ،[8] [أي] ويفرحون بالحياة الدنيا. ثم الفرح يحتمل وجوهًا. يحتمل **وفرحوا بالحياة الدنيا**، أي رَضُوا بها، كقوله: وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا.[9] أو فرحوا: سُرُّوا بها.[10] فإن قيل: إنّ المؤمن قد يُسَرّ بالحياة الدنيا. قيل: يُسَرّ، ولكن[11] لا يُلهِيه[12] سُرورُه[13] بها ولا يَغفل[14] عن الآخرة. وأمّا الكافر فإنه[15] لشدة سروره بها وفرحه عليها يَلْهَى عن الآخرة وعن جميع الطاعات. وهكذا العُرْف[16] في الناس[17] أنه إذا اشتدّ بالمرء السرور بالشيء فإنه يَلْهَى عن غيره ويَغفل عنه.

[1] ك: فقالوا.
[2] ع: لا أولئك؛ م: أولئك.
[3] ن + ليس ذلك إلى الخلق وذكر أنه يبسط الرزق لمن يشاء من أوليائه وأعدائه ويقتر على من يشاء.
[4] ع م: ليعلموا.
[5] ع م: في الآخرة.
[6] ن ع م: ويسوي.
[7] ع - إلى قوله.
[8] الآية السابقة.
[9] ﴿إنّ الذين لا يرجون لقاءنا ورَضُوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ (سورة يونس، ١٠/٧).
[10] م: سرورا.
[11] ع: لكن.
[12] جميع النسخ: لا يلهي.
[13] ع: سرور.
[14] ن: ولا يعقل بها.
[15] ن ع م: فإنهم.
[16] ن: يعرف.
[17] ع م: يعرف الناس.

أو يكون قوله: **وفرحوا**، أي أَشِرُوا وبَطِرُوا، كقوله تعالى: إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ،[1] وهو الأَشَر والبَطَر.[2] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع**، تأويله -والله أعلم- أي ما الحياة الدنيا مع طُولِ تمتُّعِهم بها بتمتُّع الآخرة إلا كمتاعِ ساعةٍ، أو كمتاعٍ بشيءٍ[3] يسير. وهو كقوله: لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا،[4] وكقوله: لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ،[5] يَظنّون مع طول ما مُتِّعُوا في هذه الدنيا عند متاع الآخرة كأنهم ما مُتِّعُوا بها إلا ساعة. فعلى ذلك قوله: **وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع**، وهو ما ذكر في موضع آخر: فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ،[6] عند متاع الآخرة؛[7] لأن متاع الآخرة ونعيمها دائم متّصل غير منقطع لا يَشُوبُه آفة ولا حُزن ولا خوف، ومتاعَ الدنيا منقطعٌ غيرُ متصلٍ مَشُوبٌ بالآفات والأحزان. لذلك كان قليلاً عند متاع الآخرة ونعيمها. وقال بعض أهل التأويل: **وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع**، أي إلا لَهْو وباطل، لكن الوجه فيه ما ذكرنا.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **ويقول الذين كفروا لولا أُنزل عليه آيةٌ مِن ربه**، يحتمل سؤالُهم الآية أنفسَ الآيات التي أَتَتْ بها[8] الرسل مِن قَبْلُ قومَهم. أو سألوا آياتٍ سمَّوْها، كقوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا -الآية- أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ،[9] إلى آخر ما ذكر من الآيات [التي] سألوها منه.

---

[1] ﴿إنّ قارون كان مِن قوم موسى فبَغَى عليهم وآتيناه مِن الكنوز ما إنّ مَفَاتِحَه لَتَنُوء بالعُصْبَة أُولِي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفَرِحِين﴾ (سورة القصص، ٧٦/٢٨).

[2] م: أو البطر.

[3] ك: شيء.

[4] ﴿كأنهم يوم يَرَوْنها لم يَلبثوا إلا عَشِيّةً أو ضُحَاها﴾ (سورة النازعات، ٤٦/٧٩).

[5] ﴿كأنهم يوم يَرَوْن ما يُوعَدون لم يَلبثوا إلا ساعةً مِن نهار﴾ (سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦).

[6] سورة التوبة، ٣٨/٩.

[7] ع - كأنهم ما متعوا بها إلا ساعة فعلى ذلك قوله وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وهو ما ذكر في موضع آخر فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل عند متاع الآخرة.

[8] ك: ابها.

[9] ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا مِن الأرض يَنبُوعا. أو تكون لك جنة مِن نخيل وعنب فتُفَجِّرَ الأنهار خلالها تفجيرا. أو تُسقِطَ السماء كما زعمتَ علينا كِسَفًا أو تأتيَ بالله والملائكة قَبِيلا. أو يكونَ لك بيت مِن زُخْرُفٍ أو تَرْقَى في السماء ولن نؤمن لِرُقِيِّكَ حتى تُنَزِّلَ علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ (سورة الإسراء، ٩٠/١٧-٩٣).

[٣٧٨ظ] / أو سألوه آياتٍ تَضطرُّهم وتَقهَرهم[1] على الإيمان، كقوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ.[2] وفيه دلالة أنه[3] لو شاء لأنزل عليهم آياتٍ آمنوا[4] كلُّهم بها واهتَدَوْا، وعنده[5] أشياءُ لو أعطاهم لكان ذلك سببَ اهتدائهم وتوحيدهم. وكذلك[6] لو أعطى أشياءَ لكان ذلك سببَ كفرهم جميعًا، كقوله: وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ،[7] الآية. لكنه لا يُنزل الآية على شَهَواتهم وأَمَانِيهم، ولكن يُنزل[8] أشياءَ تكون[9] عند التأمّل[10] والنظر[11] حجة. فمن تأمّل فيها وتفكّر اهتدى[12] وآمن بالاختيار، ومن أعرض عنها و لم يتفكّر ضلّ[13] وزاغ بالاختيار. ويحتمل[14] قوله: إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً، أي [إن] نَشَأْ إيمانهم واهتداءهم نُنزل عليهم[15] آية. وذلك تأويل قوله على إثر سؤالهم الآية: **قل إنّ الله يُضل من يشاء ويَهدي إليه من أناب،** أي يُنزل مِن الآيات ما يَهتدي بها المُنِيب إليها والمُقبِل ويَضل[16] المعرض عنها والصادر[17] بالاختيار، ويكون اهتداؤهم باختيارهم وضلالُهم باختيارهم[18] لا بالاضطرار[19] والقهر.

---

[1] ع: نضطرهم وتقررهم؛ م: وتقررهم.
[2] سورة الشعراء، ٤/٢٦.
[3] ن ع م: آية.
[4] جميع النسخ: لآمنوا.
[5] م: عنده.
[6] ن ع م: ولذلك.
[7] ﴿ولولا أن يكونَ الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ومعارجَ عليها يَظهَرون. ولبيوتهم أبوابًا وسُرُرًا عليها يتكئون. وزُخرفًا وإنْ كلُّ ذلك لَمّا متاعُ الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٣-٣٥).
[8] ن ع م: ننزل.
[9] ن ع م: يكون.
[10] م: عند التأويل.
[11] ك: عند النظر والتأمل.
[12] ك ن ع: لاهتدى.
[13] ك: وضل.
[14] ن ع: يحتمل.
[15] م – فمن تأمل فيها وتفكر اهتدى وآمن بالاختيار ومن أعرض عنها و لم يتفكر ضل وزاغ بالاختيار ويحتمل قوله إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية أي نشأ إيمانهم واهتداءهم ننزل عليهم.
[16] ن ع م: ويضر.
[17] م: والمصادر.
[18] ك – وضلالهم باختيارهم.
[19] ن: لا باضطرار.

﴿اَلَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٢٨]

ألا ترى[١] أنه قال: **الذين آمنوا وتَطمئنّ قلوبهم بذكر الله**، وهو القرآن الذي أنزله على رسوله. فهو وَصْفُ المُقبِل المُنِيب إلى ذكر الله، تسكن[٢] وتَطمئنّ[٣] قلوبهم بالتأمّل[٤] والتفكّر فيها. وأصله أنّ الله عز وجل شاء اهتداءَ[٥] مَن عَلِم أنه يختار الاهتداء والإيمان، وشاءَ ضلالَ مَن عَلِم أنه يختار فِعلَ الضلال والزَّيْغ، فشاء[٦] لكلٍ ما عَلِم[٧] منه أنه يختار ذلك.

وقوله عز وجل: **أَلَا بذكر الله تَطمئنّ القلوب**، وتسكن إليه. وقال بعض أهل التأويل: هو في الحلف[٨] في الخصومات، [أي] أَلَا في الحَلْف[٩] بالله تَطمئنّ وتَسكن[١٠] قلوب الذين آمنوا، لا تَطمئنّ بالحلف بغير الله. وقال بعضهم: أَلَا بالقرآن وبما في القرآن مِن الثواب تَسكن[١١] وتَطمئنّ[١٢] قلوب الذين آمنوا.

ويشبه أن يكون قوله: **الذين آمنوا وتَطمئنّ قلوبهم بذكر الله**، أي تفرح وتستبشر قلوب الذين آمنوا بذكر الله، **أَلَا بذكر الله**، تستبشر وتفرح قلوب الذين آمنوا؛ لأنه ذكر في الكفرة الفرح بالحياة الدنيا، وهو قوله: وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[١٣] وَاطْمَأَنُّوا بِهَا،[١٤] فذكر[١٥] في المؤمنين الاستبشار والفرح بذكر الله. وفي أولئك ذكر أنّ قلوبهم تَشْمَئِزّ بذكر الرحمن وتَستبشر بذكر مَن دونه، وهو قوله: وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ.[١٦]

---

١ لاحظ أن كلام المؤلف مرتبط بكلامه في تفسير الآية السابقة.
٢ جميع النسخ: يسكن.
٣ ك ن ع: ويطمئن.
٤ ك: والتأمل.
٥ ع م: اهتدى.
٦ جميع النسخ: يشاء.
٧ ك ن ع: لما علم.
٨ ع م: في الخلف.
٩ ع: في الخلف.
١٠ ك: بالله تسكن وتطمئن.
١١ ن ع م: يسكن.
١٢ ن م: ويطمئن.
١٣ سورة الرعد، ٢٦/١٣.
١٤ ﴿إنّ الذين لا يرجون لقاءنا ورَضُوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ (سورة يونس، ٧/١٠).
١٥ جميع النسخ: وذكر.
١٦ سورة الزمر، ٤٥/٣٩.

أخبر عز وجل أنّ قلوب المؤمنين تَستبشر[١] وتفرح بذكر الله، وقلوبَ[٢] أولئك تَستبشر وتَفرح[٣] بذكر مَن دونه.

وقوله عز وجل: **الذين آمنوا وتَطمئنّ قلوبهم بذكر الله**، يخرج على وجهين. أحدهما تَطمئنّ قلوبهم بذكر الله لهم، وذِكرُ الله لهم التوفيقُ والتسديد[٤] والعصمة ونحوه. والثاني تَطمئنّ قلوبهم بذكرهم[٥] الله، وذِكرُهم الله [يكون بذكر] إحسانه ونِعَمه وعظمته وجلاله ونحوه.

﴿اَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **الذين آمنوا وعملوا الصالحات طُوبَى لهم وحُسْنُ مَآب، طُوبَى**،[٦] قيل: خيرٌ لهم وغِبْطة، وقيل: حُسْنَىٰ[٧] لهم ونُعْمَى لهم، وقيل: يقال:[٨] طُوبَى لك إن أصبتَ خيرًا. وقيل: هو اسم الجنة بلسان الحبشة، وقيل بالهندية. وقيل: اسم شجرة في الجنة أصلُها في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأغصانها في دار أُمّته. فإن كان هذا وهو اسم شجرة[٩] فذلك لا يستقيم إلا على[١٠] تَقدُّمه، كأنْ [كان] أهل الكتاب ادَّعَوْها لأنفسهم فأخبر أنها للذين آمنوا لا لهم، كقولهم:[١١] لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[١٢] ثم قال عز وجل: بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ.[١٣] ادَّعَوا الجنة لأنفسهم، فأخبر أنها ليست لهم، ولكن للذي أسلم وأخلص وجهه لله. فعلى ذلك يشبه أن يكونوا ادَّعَوْا طُوبَى لأنفسهم، فأخبر أنها ليست لهم، ولكن للذين آمنوا. وإن كان في مشركي العرب فهم ينكرون البعث والجنة والنار، فيشبه أن يكونوا قالوا: إن كان [هناك] بعثٌ على ما تقولون[١٤] وجنةٌ وطُوبَى فهي لنا،

[١] ن ع م: يستبشر.
[٢] م: قلوب.
[٣] ن ع م: أولئك تشمئز وتستبشر.
[٤] ن ع: والتشديد.
[٥] ع م: بذكر.
[٦] ع م – طوبى.
[٧] ن: وحسنى.
[٨] ن – يقال.
[٩] ن: شجر.
[١٠] ع م – على.
[١١] ع: كقوله.
[١٢] سورة البقرة، ٢/١١١.
[١٣] ﴿بلى مَن أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (سورة البقرة، ٢/١١٢).
[١٤] ع م: ما يقولون.

كقوله: لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا.[1] وقال بعضهم: **طُوبَى**، كلمة مَدَحَ الله بها[2] ثوابهم وغَبَّطَهم بها. وقال بعضهم: **طُوبَى**، كرامةٌ أَعَدّ[3] الله تعالى لأوليائه، وهي مذكورة في الكتب.[4]

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **كذلك أرسلناك في أمة قد خَلَتْ مِن قَبْلِها أُمَم**، أي كما أرسلنا إلى أُمَم مِن قَبلِك رسلاً -**وهم يكفرون بالرحمن** وقال[5] كلُّ واحدٍ مِن الرسل:[6] ربُّنا **لا إله إلا هو عليه توكلت**، الآية، أي كلُّ رسول كان أُرسِلَ قبلك كان أُمِر أن يقول ما ذكر- **كذلك أرسلناك** إلى قومك رسولاً وإن كانوا[7] **يكفرون بالرحمن**. فقُلْ أنت ما قال أولئك الرسل: **رَبِّيَ لا إله إلا هو**، الآية. لم تَخْلُ أمةٌ عن رسول، كقوله: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ.[8]

لِتَتْلُوَ عليهم الذي أوحينا إليك، يشبه أن يكون هذا صِلةَ قوله: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ،[9] يقول: أرسلناك **لِتَتْلُوَ** أنباءَ الرسل والأُمَم الذين كانوا مِن قَبلك **عليهم** ليكون آيةً[10] لرسالتك، لِيَعلموا أنك إنما عَلِمتَ تلك الأنباء بالله تعالى.[11]

وقوله عز وجل: **وهم يكفرون بالرحمن**، يقول -والله أعلم- هم **يكفرون بالرحمن**، وفي كل الخلائق آيةُ توحيدِ الرحمن وألوهيتِه، ولا في كل الخلائق آيةٌ لرسالتك، وهم مع هذا[12] كلِّه **يكفرون** / **بالرحمن**، فعلى ذلك يكفرون بآيات رسالتك. وقال أبو بكر [٣٧٩و] الأصم: **وهم يكفرون بالرحمن**، هو صِلةُ قولِه: لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ، وكانوا هُم[13]

---

[1] ﴿وما أظن الساعة قائمة ولَئِن رُدِدتُ إلى ربي لأَجِدَنَّ خيرا منها مُنقَلَبا﴾ (سورة الكهف، ٣٦/١٨).
[2] ك - بها.
[3] ع م: أعداء.
[4] لعله يقصد الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين.
[5] ن ع م: وقالوا.
[6] ن ع م - كل واحد من الرسل.
[7] ع: كان.
[8] سورة فاطر، ٢٤/٣٥.
[9] سورة الرعد، ٢٧/١٣.
[10] ك - يقول أرسلناك لتتلو أنباء الرسل والأمم الذين كانوا من قبلك عليهم ليكون آية؛ ن - آية.
[11] ع + والله أعلم.
[12] ك: ذلك.
[13] ع م - هم.

أهلَ[1] التعنُّت[2] مِن الكُبَرَاء، فقال: لو جئتهم[3] بقرآنٍ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى،[4] يقول: لو جئت بذلك كلِّه كان أَمْرُهم التكذيب[5] والعناد. وهو كقوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ،[6] الآية، وقوله: وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ،[7] الآية. يخبر عز وجل عن عنادهم[8] أنهم لا يؤمنون بالآية وإن عَظُمَتْ إلا أن يشاء الله. وقوله عز وجل: بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا،[9] كقوله: مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ،[10] أي الأمر لله، مَن شاء أن يؤمن فيؤمن، ومَن شاء أن لا يؤمن فلا يؤمن ألبتّة.[11]

وقال بعضهم: قوله: **وهم يكفرون بالرحمن**، أي يكفرون باسم الرحمن؛ لأنهم قالوا: إنّ محمدًا كان يدعونا إلى عبادة الله وتوحيده، فالساعةَ يدعونا[12] إلى عبادة الرحمن وألوهيته، فذلك عبادة اثنين. فقال: **قل هو ربي لا إله إلا هو**، أي دعائي إلى عبادة الرحمن وألوهيته هو دعائي إلى عبادة الله،[13] وهو[14] واحد ليس هو باثنين ولا عدد، كقوله: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ.[15] أي عددُ الأسماء لا يوجب عددَ الذات؛ إذ يكون[16] لشيء واحد في الشاهد أسماءٌ مختلفة، فاختلاف الأسماء لا يوجب اختلاف الذات، فعلى ذلك في الله. وقال بعضهم: الرحمن اسم من أسماء الله في الكتب الأُوَل،

---

[1] ع: هل.

[2] جميع النسخ: التعهد؛ والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٤١٢و.

[3] ع: لو جئتم.

[4] الآية التالية.

[5] ع: بالتكذيب.

[6] ﴿ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٦).

[7] ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلّوا فيه يَعْرُجون. لقالوا إنما سُكِّرَتْ أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ (سورة الحجر، ١٥/١٤-١٥).

[8] ن ع م: عن عبادهم.

[9] الآية التالية.

[10] سورة الأنعام، ١١١/٦.

[11] ع - ألبتة.

[12] ع م: تدعونا.

[13] ع - الله.

[14] ن ع: هو.

[15] ن + وألوهيته هو دعائي إلى عبادة الله واحد ليس هو باثنين ولا عدد كقوله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن. يقول الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ (سورة الإسراء، ١١٠/١٧).

[16] ع م: أو يكون.

قالوا: كَتَبَها رسول الله [و]أَبَوْا أن يُقِرّوا[١] به، قَالُوا وَمَا الرَّحْمٰنُ،[٢] إنّا لا نعرفه، فنزل: **وهم يكفرون بالرحمن.**[٣] *والله أعلم.*

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلّٰهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللّٰهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [٣١]

وقوله عز وجل: **ولو أنّ قرآنًا سُيِّرَتْ به الجبالُ**، إلى آخر[٤] ما ذكر، قال بعض أهل التأويل: تأويله لو أنّ قرآنًا ما[٥] غيرَ قرآنِك[٦] **سُيِّرَتْ به الجبالُ**، مِن أَماكِنِها، **أو قُطِّعَتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى**، لَفعلناه بقرآنك[٧] أيضًا،[٨] ولكن لم نفعل [ذلك] بكتابٍ مِن الكتب التي أنزلناها[٩] على الرسل الذين مِن قَبلك، ولكن [ذلك] شيءٌ أعطيناه أنبياءنا ورسلنا.[١٠] **بل لله الأمر جميعًا**، يقول: بل جميع ذلك الأمر كان مِن الله، وليس مِن قِبَل القرآن، أي لو فُعِل بالقرآن ذلك كان جميع ذلك مِن الله تعالى.

وقوله عز وجل: **بل لله الأمر جميعًا**،[١١] إن شاء فعل[١٢] ما سألتم، وإن شاء لم يفعل. ويشبه أن يكون غيرُ هذا أقرب، [وهو] أن يكون صِلةَ ما تقدم مِن سؤالهم الآيات، وهو قوله: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ.[١٣] فيقول: لو أنّ قرآنك[١٤] الذي تقرؤه عليهم

---

[١] ع م: أن يقرؤا.

[٢] ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لِما تأمرنا وزادهم نُفُورا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٠).

[٣] روي عن قتادة في قوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ قال: ذُكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زَمَنَ الحديبية حين صالح قريشًا كَتَبَ في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم. فقالت قريش: أما الرحمن فلا نعرفه، وكان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم. فقال أصحابه: دعنا نقاتلهم. قال «لا، ولكن اكتبوا كما يريدون» (*تفسير الطبري*، ١٣/١٥٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤/٦٥٠).

[٤] م: إلى آخره.

[٥] ك - ما.

[٦] ن: غير قراءتك.

[٧] ن: بقراءتك.

[٨] جميع النسخ + ذلك.

[٩] جميع النسخ: أنزلتها.

[١٠] جميع النسخ: أعطيته أنبيائي ورسلي.

[١١] ن - يقول بل جميع ذلك الأمر كان من الله وليس من قبل القرآن أي لو فعل بالقرآن ذلك كان جميع ذلك من الله تعالى وقوله عز وجل بل لله الأمر جميعا.

[١٢] ن: ما فعل.

[١٣] سورة الرعد، ١٣/٢٧.

[١٤] ن: أن قراءتك.

لو **سُيّرَتْ به الجبالُ أو قُطِعَتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى** لَمَا آمنوا بك ولَمَا صدّقوك[1] على رسالتك، على ما لا يؤمنون بالرحمن وكلُّ الخلائق له آيةٌ لوحدانيته وألوهيته. يخبر عن شدة تعنُّتهم وتمرُّدهم في تكذيبهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لِيَعلم رسولُ الله[2] أنَّ سؤالَهم الآية سؤالُ تعنُّت وتمرُّد، ليس سؤالَ استرشاد واستهداء.

وقال بعضهم: قوله: **ولو أنّ قرآنًا سُيّرَتْ به الجبالُ**، أي لو أنّ قرآنًا ما[3] عَمِل ما ذكر لكان هذا[4] القرآنَ، تعظيمًا لهذا القرآن. والتأويل الذي ذكرنا قبل[5] هذا كأنه أقرب. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **أفلم يَيأس الذين آمنوا**، قال بعضهم: هو صِلةُ ما تقدم مِن قوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ،[6] **ولو أنّ قرآنًا سُيّرَتْ به الجبالُ**، الآية. يقول -والله أعلم- **أفلم يَيأس الذين آمنوا**، عن إيمان مَن كان على ما وَصَف الله. وتمام هذا كأنّ المؤمنين سألوا لهم[7] الآيات[8] ليؤمنوا لِما سألوا[9] هُم آياتٍ مِن رسول الله، فيقول: **أفلم يَيأس الذين آمنوا**، عن إيمان هؤلاء. وهو كما قال: وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا،[10] كأنّ المؤمنين سألوا لهم الآيات ليؤمنوا، فقال: وَمَا يُشْعِرُكُمْ، أنتم يا أيها المؤمنون،[11] أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ، أي يؤمنون، على طرح "لا" على هذا التأويل. وقال بعضهم: **أفلم يَيأس الذين آمنوا**، أفلم يتبيّن[12] للذين آمنوا أنهم[13] لا يؤمنون لكثرة ما رَأَوْا منهم مِن العناد والمكابرة، فَسَرُّوا الإياس بالعلم واليقين؛[14]

---

[1] ع: صدقوا.
[2] ع م – ليعلم رسول الله.
[3] ك – ما.
[4] ع م: هذه.
[5] ع: قيل.
[6] الآية السابقة.
[7] م: هم.
[8] ك: آيات.
[9] ك: سألوهم.
[10] ﴿وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم لئن جاءتهم آية لَيُؤمِنُنّ بها قل إنما الآيات عند الله وما يُشعِرُكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٠٩).
[11] ك – يا أيها المؤمنون؛ م: المؤمنين.
[12] م: تبين.
[13] ن – إذا جاءت لا يؤمنون أي يؤمنون على طرح لا على هذا التأويل وقال بعضهم أفلم ييأس الذين آمنوا أفلم يتبين للذين آمنوا أنهم.
[14] جميع النسخ: الايس؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٢ظ.

لأن الإياس إذا غَلَبَ[١] يَعمل عَمَل العلم كالخوف والظن ونحوه. جَعَلُوه يقينًا وعِلمًا للغَلَبَة؛ لأنه إذا غَلَبَ يَعمل عَمَلَ اليقين والعِلم. وقال بعضهم: **أفلم يَيأس الذين آمنوا**، أي أفلم يَعلم الذين آمنوا أنّ اللهَ[٢] يَفعل ذلك،[٣] لو شاء **لَهَدَى الناس جميعًا**. وقوله: **أفلم يَيأس الذين آمنوا**، قالت عائشة رضي الله عنها: قوله: **أفلم يَيأس**، خطأ مِن الكاتب، إنما هو أفلم يتبيّن[٤] للذين آمنوا أن لو يشاء الله.[٥] فمعناه أي قد تبيّن[٦] للذين آمنوا. وقال بعضهم: قوله:[٧] **أفلم يَيأس**، أي أفلم يَعلم الذين آمنوا، أي قد عَلِم الذين آمنوا لو شاء الله إيمان الناس واهتداءهم لآمنوا واهتَدَوْا. وقال صاحب هذا التأويل: إنّ هذا[٨] جائز في اللغة، يَيأس: يَعلم، وذكر أنها لغة نَخَع[٩] وغيرها. ***والله أعلم***.

وقال بعضهم: قوله: **أفلم يَيأس الذين آمنوا**، مقطوع مِن قوله: **أن لو يشاء الله**، الآية، وهذا موصول بما تقدم مِن قوله: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ / عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ،[١٠] ثم قال[١١] [٣٧٩ظ] جوابًا لِما قالوا. كأنه قال: **لو يشاءُ الله لَهَدَى الناسَ جميعًا**، ولكن يُضل من يشاء ويَهدي من يشاء، أي مَن[١٢] عَلِم منه أنه يختار الضلال[١٣] ويُؤثِره يشاء ذلك له، ومَن عَلِم[١٤] منه[١٥] أنه يختار الهدى يشاء ذلك[١٦] له. ويكون قوله: **أفلم ييأس الذين آمنوا**، مقطوعا[١٧] لا جواب له،

---

[١] ن ع: علت؛ م: غلبت.
[٢] ع – الله.
[٣] م – ذلك.
[٤] ع م: يبين.
[٥] روي ذلك عن ابن عباس. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/١٥٤. وهو باطل عن ابن عباس، لأن مجاهدا وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ماهو في المصحف بقراءة أبي عمرو وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس. انظر: *تفسير القرطبي*، ٩/٣٢٠؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٣/١٥٦.
[٦] ن: قد يتبين.
[٧] ك – قوله.
[٨] ع م – هذا.
[٩] النَّخَع قبيلة مِن الأَزْد، وقيل: النَّخَع قبيلة من اليمن رهط إبراهيم النَّخَعي (*لسان العرب* لابن منظور، «نخع»).
[١٠] سورة الرعد، ١٣/٢٧.
[١١] ع م: ثم قالوا.
[١٢] ن ع م – من.
[١٣] ك – الضلال.
[١٤] م: من علم.
[١٥] ك – منه.
[١٦] ع م – ذلك.
[١٧] جميع النسخ: مقطوع.

كأنه قال: **أفلم ييأس الذين آمنوا**، عن إيمانهم لكثرة ما رَأَوْا منهم من العناد والتعنُّت بعد رؤيتهم الآيات والحجج. كأنّ أهل الإيمان والإسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات التي سألوا هُم[١] رغبةً في إسلامهم وإشفاقًا عليهم، فيقول -والله أعلم- ألم يَأْنِ للذين آمنوا الإياسُ مِن إيمانهم، أي قد أَنَى للذين آمنوا أن يَيأسوا مِن إيمانهم،[٢] كقوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ،[٣] الآية. فعلى ذلك هذا. يقول: قد أَنَى للذين آمنوا أن يَيأسوا مِن إيمانهم،[٤] ولو شاء[٥] الله[٦] لَهَدَى الناسَ جميعًا. وقوله:[٧] **أنْ لو يشاء الله لَهَدَى الناسَ جميعًا**، صِلتُه قوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ،[٨] و **أنْ لو يشاء الله لَهَدَى الناسَ جميعًا**،[٩] كقوله: مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ.[١٠]

وقوله عز وجل: **ولا يزال الذين كفروا**، قال بعضهم: الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، **تصيبهم بما صنعوا قارعة**، القارعة هي اسم[١١] ما يَقرع[١٢] القلوب ويكسرها. ثم قَرْعُهم يكون بعذابٍ وقتلٍ[١٣] وغيرِه مِن الهزيمة ونحوِه[١٤] وبسَبْيِ[١٥] ذَرَارِيهم[١٦] وبغُنْم[١٧] المسلمين أموالَهم، **أو تَحُلُّ**، أنت، **قريبًا مِن دارِهم**. وقال[١٨] بعضهم: أو يكون القارعة بجيرانهم

---

[١] ع م: سألوهم.
[٢] ن – أي قد أنى للذين آمنوا أن ييأسوا من إيمانهم.
[٣] ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٦).
[٤] ك – إيمانهم كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة الآية فعلى ذلك هذا يقول قد أنى للذين آمنوا أن ييأسوا من إيمانهم.
[٥] ك ن: ولو يشاء.
[٦] ن ع م – الله.
[٧] ن: ووقوله.
[٨] الآية السابقة.
[٩] ع م – وقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا صلته قوله وهم يكفرون بالرحمن وأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا.
[١٠] سورة الأنعام، ١١١/٦.
[١١] ك ن – اسم.
[١٢] ع: بالقرع.
[١٣] ع م: وقيل.
[١٤] ع م – ونحوه.
[١٥] جميع النسخ: ويسبي.
[١٦] ن: وذراريهم.
[١٧] جميع النسخ: ويغنم.
[١٨] ك ن م: قال.

الذين[١] قَرُبَ[٢] منهم[٣] دارهم.[٤] وقال بعضهم: لا تزال[٥] سرية مِن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم تَحُلّ ببعضهم[٦] أو يَنزل[٧] هو[٨] قريبًا منهم، **حتى يأتي وعد الله**. ووعد[٩] الله[١٠] يكون بوجهين. أحدهما أن يُظفِره بهم جميعًا وأن يُورِث المؤمنين أرضَهم وديارَهم وأموالَهم.[١١] والثاني يكون **وعد الله** فتح مكة، كقوله: وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا،[١٢] الآية. **إن الله لا يخلف الميعاد**، ما وَعد رسوله مِن الفتح والنصر وغيره.

وقوله عز وجل: **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعةٌ**، يحتمل[١٣] ما ذكر مِن إصابة القارعة الجوع والشدائد التي أصابتهم. ويحتمل القتال والحروب التي كانت[١٤] بينهم وبينهم. وقوله: **أو تَحُلّ قريبًا مِن دارهم**، نزول السرايا بقربٍ[١٥] مِن دارهم، **حتى يأتي وعد الله**، يحتمل فتح مكة، أي **تَحُلّ قريبًا من دارهم حتى يأتي**،[١٦] ما وعد[١٧] الله مِن فتح مكة عليك. أو أن يكون **وعد الله** هو البعث. ***والله أعلم***.

---

[١] ن + الذين.

[٢] ك ن ع: اقرب.

[٣] جميع النسخ: منكم.

[٤] ن ع: دراهم.

[٥] ك: ولا تزال.

[٦] ن: ببغضهم؛ ع: بغضهم.

[٧] ن: أو يترك.

[٨] أي رسول الله.

[٩] ع م: ووعيد.

[١٠] ك – الله؛ ن – ووعيد الله.

[١١] كأن المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صَيَاصِيهِم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا. وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/٢٦-٢٧).

[١٢] ﴿وَعَدَكم الله مَغانمَ كثيرةً تأخذونها فعَجّلَ لكم هذه وكَفَّ أيديَ الناس عنكم ولِتكون آية للمؤمنين ويَهديَكم صراطا مستقيما. وأخرى لم تَقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا﴾ (سورة الفتح، ٤٨/٢٠-٢١).

[١٣] ن ع م: محتمل.

[١٤] جميع النسخ: كان.

[١٥] ن + بقرب.

[١٦] م + وعد الله يحتمل فتح مكة أي تحل قريبا من دارهم حتى يأتي.

[١٧] ن: ما عد.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [٣٢]

وقوله عز وجل: **ولقد استُهزِئ برسلٍ مِن قبلك**، يقول:[١] وقد استَهزأ[٢] برسلٍ مِن قبلك قومُهم كما استَهزأ[٣] بك قومُك، يُعَزِّي نبيَّه[٤] لِيَصبر على تكذيبهم. وقال أبو بكر الأصم: **ولقد استهزئ برسل من قبلك**،[٥] مَن تَقدّم مِن الرسل سألهم[٦] قومُهم الآيات والعذاب بالهُزْء. ثم بَيّن بهذا أنّ ما سألوه مِن الآية أرادوا [به] الهُزْء، وهو صلة ما تقدّم مِن قوله: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ.[٧]

وقوله عز وجل: **فأمْلَيْتُ للذين كفروا**، يقول:[٨] أَمهلتهم في كفرهم وهُزءهم. هذا يدل أنّ تأخير العذاب عنهم لا يُؤَمِّنهم.[٩]

وقوله عز وجل: **ثم أخذتهم**، وهم آمِنُون. **فكيف كان عقابِ**، يقول أَحْلَلْتُ بهم[١٠] جزاءَ ما كانوا يَهْزَءون منه.[١١] وقال[١٢] بعضهم: **فكيف كان** عقاب الله، أي شديدُ عقابِه، وهو كقوله: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا،[١٣] الآية. وقيل:[١٤] كيف رأيتَ عذابي لهم، أي أليس[١٥] وجدوه شديدًا؟ والثالث **فكيف كان عقابِ**، أي أليس ما أَوْعَدهم الرسل مِن العذاب كان حقًّا وصدقًا؟[١٦]

---

١ ن – يقول.
٢ ن ع م: ولقد استهزئ.
٣ ع م: استهزئ.
٤ ع: بنية.
٥ ن – قومهم كما استهزأ بك قومك يعزي نبيه ليصبر علي تكذيبهم وقال أبو بكر الأصم ولقد استهزئ برسل من قبلك.
٦ ن: مالهم.
٧ سورة الرعد، ٢٧/١٣.
٨ ع م: فامليت للذين كفولهم يقول.
٩ ن – وقوله عز وجل فامليت للذين كفروا قولهم يقول أمهلتهم في كفرهم وهزءهم هذا يدل أن تأخير العذاب عنهم لا يؤمنهم.
١٠ ك: لهم.
١١ ع: ومنه.
١٢ م: قال.
١٣ ﴿وكَأَيِّنْ مِن قرية أَمْلَيْتُ لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير﴾ (سورة الحج، ٤٨/٢٢).
١٤ ن: قيل.
١٥ ع: أي ليس.
١٦ ن ع م: صدقا.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت**، قال أبو بكر الأصم: يقول: مَن الذي هو **قائمٌ على كل نفس بما كسبت**: الله أم شركاؤكم؟ فالقائم هو المدبّر الحافظ لكل[١] ما فيه الخَلْق. ويشبه أن يكون تأويله: **أفمن هو قائم**، أي حافظ وعالم، **على كل نفس بما كسبت**، أو بالرزق لهم والدفع عنهم كمن هو أعمى عن ذلك؟[٢] ليسا بسواء، كقوله: أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ،[٣] الآية. أو يقول: **أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت** كمن هو غير[٤] قائم عليه؟ ليسا بسواء. وقال مُقاتِل: **أفمن هو قائم على** رزقِهم وطعامِهم.[٥] ثم قال: **وجعلوا لله شركاء**، أي وصفوا لله شركاء وعبدوها، والله أحقُّ أنْ يُعبَد مِن غيره. يقول الله: أنا القائم[٦] على كل نفسٍ أَرزقهم وأُطعِمهم، أفأكون أنا وشركائي الذين لا يفعلون ذلك سواءً؟ والوجه فيه ما وصفنا: **أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت**، أي يرزق ويُبصِر ويَعلم[٧] ما تعمل وتكسب ويحفظها[٨] عن أنواع البلايا، كمن هو أعمى جاهل عاجز عن ذلك كله؟ أي ليس هذا كذاك.[٩] ويُسَفِّهُهم في إشراكهم الأصنام التي عبدوها في الألوهية والعبادة وهي بالوصف الذي ذكر: كَمَنْ هُوَ أَعْمَى، عاجز عن ذلك،[١٠] أي ليسا بسواء.

وقوله: **أفمن هو قائمٌ على كل نفس بما كسبت**، يحتمل **قائمٌ على كل نفس بما كسبت** فيما قَدَر لها وقَوّاها، أو في الجزاء، يجزي على ما تكسب. **وجعلوا لله شركاء**، في العبادة أو في تسميتهم / آلهةً لا يَعلمون ما كُسِب لها ولا يملكون جزاء ما كَسبوا لها أيضًا، [٣٨٠و]

---

[١] جميع النسخ: بكل.

[٢] ع م + من ذلك.

[٣] ﴿أفمَن يَعلم أنّ ما أُنزل إليك من ربك الحق كمَن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٩).

[٤] جميع النسخ: غيره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٣و.

[٥] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢/٣٨١.

[٦] م: أن القائم.

[٧] ع م: ويعمل.

[٨] ك: ويحفظ؛ ن: وتحفظ؛ ع م - ويحفظ.

[٩] م: كذلك.

[١٠] ك: من ذلك.

يُبيّن سَفَهَهم في جَعْلهم هذه الأصنامَ والأوثانَ شركاءَ لله[1] في العبادة وتسميتهم آلهةً مع عِلمهم أنهم لا يَقدرون ولا يَملكون شيئًا مِن ذلك.

وقوله عز وجل: **قل سَمُّوهم**، قال بعض أهل التأويل: قوله: **قل سَمُّوهم**، بذلك الاسم،[2] ولو سَمَّوْهم سَمَّوْهم[3] بكذب وباطل وزُور. وعندنا قوله: **قل سَمُّوهم**، أي لو سمّيتموها آلهة واتخذتموها معبودًا فسَمُّوهم أيضًا بأسماءٍ سمّيتم اللهَ [بها] مِن نحو الخالق والرازق والرحمن والرحيم ونحوه. يقول[4] -والله أعلم- إذ سمّيتم[5] هذه الأصنام آلهةً ومعبودًا سَمُّوهم أيضًا خالقًا ورازقًا ورحمانًا ورحيمًا، وهم يَعلمون أنها ليست كذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أم تُنبّئونه بما لا يعلم في الأرض**، أي أم تُنبّئون الله -وهو عالم بما في السماوات وبما[6] في الأرض وعالم بكل شيء- وهو لا يعلم في الأرض ما تقولون[7] مِن الآلهة وما تَصِفُونه بالشركاء؟ وكذلك يخرج قوله: قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ.[8] **أم تُنبّئونه**،[9] بما ليس في الأرض شيءٌ مما تقولون وتصفون،[10] أي يقول: أتُنبّئون[11] الله بما لا يعلم في السماوات[12] والأرض وهو عالم بكل شيء، أي[13] تُقِرّون[14] أنه[15] عالم بكل شيء وهو لا يعلم ما تقولون وتُسمّونه من الشركاء وغيره. والثاني **أم تُنبّئونه بما لا يعلم**، أي ليس في الأرض.

---

[1] م: الله.

[2] أي باسم من الأسماء، أو بأي اسم فيه وصفهم.

[3] م - سموهم.

[4] ع م - يقول.

[5] م: أو سميتم.

[6] ع م: وما.

[7] م: مما تقولون.

[8] ﴿ويعبدون مِن دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[9] ن - بما لا يعلم في الأرض أي أم تنبئون الله وهو عالم بما في السماوات وبما في الأرض وعالم بكل شيء وهو لا يعلم في الأرض ما تقولون من الآلهة وما تصفونه بالشركاء وكذلك يخرج قوله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض أم تنبئونه.

[10] ع م: وتصفونه؛ جميع النسخ + شيء.

[11] ن: أتنسبون.

[12] ن + ولا في الأرض أم تنسبونه بما ليس في الأرض شيء مما تقولون وتصفون بشيء أي يقول أتنسبون الله بما لا يعلم في السموات.

[13] ن م - أي.

[14] ن: وتقرون.

[15] ك: بأنه.

وقوله عز وجل: **أم بظاهرٍ مِن القول**، قال أهل التأويل: **بظاهرٍ مِن القول**، أي بل بباطلٍ مِن القول وزُور. ويشبه أن يكون **بظاهرٍ مِن القول**، أي بضعيفٍ[١] مِن القول وخفيف، يُسمُّون الشيء الذي لا حقيقة له ولا ثبات[٢] ظاهرًا باديًا، كقوله: إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ،[٣] أي ضعيف الرأي وخفيفه لا حقيقة له ولا قرار. ويحتمل قوله: **أم بظاهرٍ مِن القول**، في الخَلْق والأسلاف،[٤] أي لم يَظهر ما يقولون ويصفون[٥] [مِن] إشراك هذه الأصنام وتسميتها آلهة ومعبودًا؛ فيكون "أم" في موضع حقيقةٍ ويقينٍ على هذا التأويل. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **بل زُيِّن للذين كفروا مكرُهم**، قال بعض أهل التأويل: **مكرهم**، قولهم الذي قالوه مِن الكذب والزور أنها آلهة وأنها[٦] شركاء لله.[٧] لكن يشبه أن يكون قوله: **مكرهم**، أي مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث احتالوا حِيَلًا ليقتلوه لئلا يَظهر هذا الدين في الأرض ويُطفِئوا[٨] هذا النور لِيَدُوم[٩] عِزُّهم وشرفهم في هذه الدنيا، وهو كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا.[١٠] والمكر هو الاحتيال والأخذ مِن حيث الأمن. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وصُدُّوا عن السبيل**، صُدُّوا لما عُلِم[١١] مِن مكرهم واختيارهم ما اختاروا.[١٢] والسبيل المطلق هو سبيل الله، وإلا كان جميع الأديان والمذاهب[١٣] يسمَّى سبيلًا، كقوله: وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ،[١٤]

---

[١] ع: أي تضعيف.

[٢] م: ولا ثابت.

[٣] ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نَراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أَرَاذِلُنا بادِيَ الرأي وما نَرى لكم علينا مِن فضلٍ بل نظنّكم كاذبين﴾ (سورة هود، ١١/٢٧).

[٤] أي في الأمم الماضية.

[٥] ع م: ويضيفون.

[٦] ع - وأنها.

[٧] م: الله.

[٨] جميع النسخ: ويطفئون.

[٩] ن: ليدم.

[١٠] ﴿وإذ يَمْكُرُ بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتلوك أو يُخرجوك ويَمْكُرُون ويَمْكُرُ الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).

[١١] ك: لما علموا.

[١٢] ع: ما اختياروا.

[١٣] م: والمذهب.

[١٤] ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبُل فتَفَرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٣).

لكن كما ذكرنا[1] أن السبيل المطلق هو سبيل[2] الله، والكتاب المطلق كتاب الله، والدين المطلق[3] دين الله.

وقوله عز وجل: **ومَن يُضلِلِ اللهُ فما له مِن هادٍ**، مَن أضلّه[4] الله فلا يملك أحدٌ هدايتَه، ومَن هَداه[5] فلا يملك أحدٌ إضلالَه.[6]

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ وَاقٍ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **لهم عذابٌ في الحياة الدنيا**، العذاب لهم في الحياة الدنيا يحتمل القتل والقتال والخوف والجوع وأنواع البلايا، كقوله: وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ،[7] الآية.

وقوله عز وجل: **ولَعذاب الآخرة أشَقُّ**، أي[8] أشدّ، **وما لهم مِن الله مِن واقٍ**، أي ما لهم مِن عذاب الله **مِن واقٍ**، يَقِيهم مِن عذابه.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **مَثَلُ الجنة التي وُعِدَ المتقون**، يحتمل وَصف **الجنة التي وُعِدَ المتقون**، أو صفة **الجنة التي وُعِدَ المتقون**.[9] ويحتمل[10] أي [أيكون] شبه **الجنة التي وُعِدَ المتقون**،[11] كشبه النار التي وُعِدَ الكافرون؟ أي ليسا بشَبِيهَين[12] ولا مِثْلَين، لا تكون هذه مِثْلَ هذه ولا شَبِيهَها،

---

[1] جميع النسخ: ما ذكرنا.
[2] ع م: المطلق وسبيل.
[3] ن + هو.
[4] ن: ومن أضله.
[5] ع: وهداه؛ م: أو هداه.
[6] ع + والله أعلم.
[7] ﴿وضَرَبَ الله مَثَلاً قريةً كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رَغَدا من كل مكان فكفرت بأَنْعُمِ الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل، ١٦/١١٢).
[8] م + أي.
[9] ن ع – أو صفة الجنة التي وعد المتقون.
[10] ع م + الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الآية يقول والله أعلم.
[11] ع م – أي شبه الجنة التي وعد المتقون.
[12] م: شبيهين.

كقوله: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ،[١] الآية. يقول -والله أعلم-[٢] الذي وَصْفُه كذا مِن النعم الدائمة كالذي يكون عذابه ووَصْفُه كذا؟ أي لا يكون، فعلى ذلك الأول.

وقوله عز وجل: **تجري مِن تحتها الأنهار أُكُلُها دائمٌ**، أي ثمارها[٣] دائمة لا تزول ولا تنقطع، ليس كثمار الدنيا[٤] ونعيمها. ليس مِن ثمرةٍ مِن ثمار الدنيا إلّا وهي تزول وتنقطع في وقتٍ. فأخبر أنّ ثمار الآخرة وما فيها مِن النعيم غيرُ زائلة ولا منقطعة، وكذلك عذابها دائم لا يزول. **وظِلُّها**، أيضًا، أخبر أنّ ظِلَّ الجنة لا يزول ولا ينقطع،[٥] لا يكون فيها شمسٌ يزول ظِلُّها بزوالها، وَصَفَ جميعَ ما فيها بالدوام والمنفعة. الظلّ[٦] شيءٌ لا أذى فيه وفيه منافع، والشمس فيها أذى ومنافع. وكذلك جميع ما يكون مِن الأشياء في الدنيا يكون[٧] فيها منافع ومَضارّ وإنها تزول وتنقطع، فأخبر أنّ ظِلَّ الآخرة وما فيها مِن النعم دائمة باقية غير زائلة ولا منقطعة ولا مَضَرَّةَ فيها، / ليس كنعيم الدنيا وظِلّها. *والله أعلم*. [٣٨٠ظ]

وقوله عز وجل: **تلك عُقْبَى الذين اتَّقَوْا وعُقْبَى الكافرين النار**،[٨] أي جزاء الكافرين النار.[٩] ظاهرُ هذا أنْ يكون الذين اتَّقَوْا[١٠] الشرك؛[١١] لأنه ذكر عُقْبَى الكافرين[١٢] النار[١٣] وعُقْبَى ما ذكرنا، أي تلك الجنة جزاء الذين اتَّقَوا الشرك، **وعُقْبَى الكافرين النار**، أي جزاء[١٤] الكافرين[١٥] النار. أو عُقْبَى هذه للذين اتَّقَوا الجنة، وعُقْبَى أولئك النار. وقال بعضهم: **تلك عُقْبَى الذين اتَّقَوْا**، أي عاقبة أعمالهم وحسناتهم الجنة، وعاقبة أعمال الذين كفروا بتوحيد الله النار.

---

[١] ﴿مَثَلُ الجنة التي وُعِدَ المتقون فيها أنهار من ماء غير آسِن وأنهار من لبن لم يتغير طَعْمُه وأنهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين وأنهار من عسل مُصَفًّى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسُقُوا ماءً حميمًا فقَطَّعَ أمعاءهم﴾ (سورة محمد، ١٥/٤٧).

[٢] جميع النسخ + يقول.

[٣] ك: أي ثمار الجنة.

[٤] ع م + الا وهي تزول.

[٥] ن – ينقطع.

[٦] ن: والظل.

[٧] ع م + من الأشياء.

[٨] ن + الآية.

[٩] ك ن – أي جزاء الكافرين النار.

[١٠] ك ن + تقى.

[١١] ع: لشرك.

[١٢] ع م + اتقوا وعقبى الكافرين.

[١٣] ع م + أي جزاء.

[١٤] م: أي جزاؤه.

[١٥] ع – الكافرين.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **والذين آتيناهم الكتاب يَفرحون بما أُنزل إليك**، يشبه أن تكون[١] الآية صِلَةَ قوله: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ،[٢] فأخبر عز[٣] وجل: **والذين آتيناهم الكتاب يَفرحون بما أُنزل إليك**، بذكر الرحمن. ثم اختُلف في قوله: **والذين آتيناهم الكتاب**، قال بعضهم: أصحاب محمد فرحوا بما[٤] أُنزل إلى رسول الله. وقال بعضهم: **والذين آتيناهم الكتاب**، أهل التوراة، **يَفرحون بما أُنزل إليك**، يَذكُر هاهنا أنهم يَفرحون بما أُنزل إليك[٥] ويَذكُر في موضع آخر: مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ،[٦] وقال[٧] في موضع آخر: اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ،[٨] فمَن تَلَا منهم الكتاب حقَّ تلاوته ولم يُبدله ولم يُغيره فهو يؤمن به ويَفرح بما أُنزل على محمد، ومَن غيَّره وبدّله فهو لم يفرح بما[٩] أُنزل عليه.[١٠] وقوله: **والذين آتيناهم الكتاب يَفرحون بما أُنزل إليك**، تأويله[١١] -والله أعلم- كأنه قال:[١٢] **والذين آتيناهم**، منافع الكتاب أولئك، **يَفرحون بما أُنزل إليك**، وهو ما قال في آية أخرى: اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ؛ لأن أكثرهم لا[١٣] يَفرحون[١٤] بما أُنزل على محمد.

---

[١] ن ع م: أن يكون.
[٢] سورة الرعد، ٣٠/١٣.
[٣] ع: وعز.
[٤] ع - بما.
[٥] ع + بذكر هاهنا أنهم يفرحون بما أنزل إليك.
[٦] ﴿ما يَوَدُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنَزَّلَ عليكم من خير من ربكم والله يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (سورة البقرة، ١٠٥/٢).
[٧] م + بعضهم.
[٨] سورة البقرة، ١٢١/٢.
[٩] ك + لم.
[١٠] ن: إليه.
[١١] ك: تا.
[١٢] ع م - كأنه قال.
[١٣] م - لا.
[١٤] ك: لا يومنون.

وقوله عز وجل: **ومِن الأحزاب مَن يُنكِر بعضَه**، يحتمل أهل الكتاب كانوا يُنكِرون بعضَ ما أُنزل إليه لا يُنكِرون كلَّ ما أُنزل إليه، وإنما يُنكِرون نَعْتَه وصفتَه، لأنهم كَتَمُوا نَعْتَه وصفتَه[١] التي في كُتبهم. ويحتمل قوله: **ومِن الأحزاب مَن يُنكِر بعضَه**، مشركي العرب، وهم أيضًا أنكروا بعضَ ما أُنزل إليه، وهو ما ذكر: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ، وقوله:[٢] أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا،[٣] ونحوه، لم يُنكِروا كلَّه.

وقوله عز وجل: **قل إنما أُمرتُ أن أعبد الله ولا أُشركَ به إليه أَدْعُو**،[٤] كأنّ هذا قاله على إثْرِ قولٍ كان مِنهم، كأنهم دَعَوْه[٥] إلى أن يُشاركهم في عبادة الأصنام أو دَعَوْه أن يكون على ما كان آباؤهم، فقال: **قل إنما أُمرتُ أن أعبد الله**، وأُمرتُ أن لا أشركَ به. ويحتمل قوله: **ولا أُشركَ به**، قال ذلك مِن نفسه، **إليه أدعو**، يقول: إلى توحيد الله أدعو[٦] غيري ثم أخالف وأعبد غيره؟ **وإليه مَآبِ**، أي إليه مرجعي.[٧]

﴿**وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ**﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **وكذلك أنزلناه**، أي كما علّمناك آدابًا وأعطيناك النبوة كذلك أنزلنا عليك، **حكمًا عربيًا**، قيل: حكمة عربية، وكانت العرب لا تفهم الحكمة. أو أنزلنا ما فيه حُكمٌ. وتفسيرُ قولِه: **وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًا**، ما ذكر في[٨] آية أخرى، وهو قوله: الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا،[٩] سَمّى القرآنَ حُكمًا لأنه للحُكم أُنزل.

وقوله عز وجل: **ولئِنِ اتبعتَ أهواءهم بعد ما جاءك مِن العلم**، هذا يدل أنهم كانوا يَدعونه إلى أن يشاركهم في بعض ما هم فيه، **ما لك مِن الله مِن وليٍّ**، يَنصرك ويَمنعك مِن عذاب الله، **ولا واقٍ**، يَقِي[١٠] العذاب.

---

[١] م: وصفه.
[٢] ك: في قوله؛ ع - وقوله.
[٣] سورة ص، ٥/٣٨.
[٤] ك + إليه.
[٥] ك: كأن دعوهم.
[٦] جميع النسخ: أدعوا.
[٧] جميع النسخ: المرجع؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٣ظ.
[٨] ك + قوله.
[٩] سورة يوسف، ١/١٢-٢.
[١٠] ع: بقي.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا رسلاً مِن قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذرية**، قال بعض أهل التأويل: نزل هذا[١] لأنّ[٢] اليهود عَيّروا رسول الله وطعنوا في كثرة النساء والأولاد، وقالوا: لو كان نبيًا على ما يزعم لكان لا يتمتّع بالنساء ولا يطلب الأولاد[٣] كما يفعله غيره، وكانت النبوة تشغله عن ذلك، فأنزل الله: **ولقد أرسلنا**، الآية.[٤] أي الاستمتاع بالنساء واستكثارهم مِنهن[٥] لم يَمنع عن الاختصاص بالنبوة والرسالة على ما لم يَمنع غيرَه مِن الرسل الذين كانوا مِن قبله. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **وما كان لرسولٍ أنْ يأتيَ بآيةٍ إلّا بإذن الله**، أي لا يَملكون إنزالَ الآيات مِن أنفسهم، إنما يَتَوَلَّى الله إنزالها إذا شاء ذلك، وهو كقول[٦] عيسى حيث قال: **وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ**،[٧] الآية، أخبر أنّ ما يأتي [به] مِن الآيات إنما يأتي بها[٨] بإذن الله وبأمره لا مِن نفسه. [هذا] يحتمل أن يكون جوابَ ما ذَكر أهل التأويل [من الطعن بكثرة النكاح][٩] وجوابَ غير ذلك أيضًا، وهو طَعْنُهم الرسل بالأكل والشرب والمشي في الأسواق وسؤالُهم الآيات التي سألوهم، وجوابَ إنكارِهم الرسل مِن البشر. يقول: لست أنت بأول رسولٍ طُعِنْتَ بما طَعَنَكَ[١٠] به قومُك، ولكن كان قبلك رسلٌ طَعَنَهم[١١] قومُهم بما طَعَنَ به قومُك وسألوهم مِن الآيات ما سأل به قومُك، فلم يكن ذلك لهم عذرًا في ردّ ما رَدُّوا وتَرْكِ ما تَرَكُوا، بل نَزَلَ[١٢] بهم العذاب، فعلى ذلك قومُك.

وقوله عز وجل: **لكل أجلٍ كتابٌ**، اختُلف فيه. قال قائلون: لكل كتابٍ أجل، وهي الكتب التي أُنزلت على الرسل، يُعمَل بها إلى وقتٍ ثم تُنسَخ[١٣] أو يُترَك العمل بها. وقال قائلون:

---

[١] جميع النسخ + وذلك.
[٢] جميع النسخ: أن.
[٣] ك – وقالوا لو كان نبيا على ما يزعم لكان لا يتمتع بالنساء ولا يطلب الأولاد.
[٤] ذُكر ذلك عن الكلبي؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٩/٣٢٧؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٣/١٦٨.
[٥] ك – منهن.
[٦] ع م: قول.
[٧] ﴿وأُبْرِئُ الأكمهَ والأبرص وأُحْيِي الموتى بإذن الله﴾ (سورة آل عمران، ٣/٤٩).
[٨] جميع النسخ: يأتيها.
[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤١٣ظ.
[١٠] ك: طعن.
[١١] جميع النسخ: طعن.
[١٢] ن: بل ترك.
[١٣] ك: ثم ينسخ.

هو ما قال: **لكل أجلٍ كتاب**، أي لكل ذي[١] أجلٍ أجلُه إلى وقت انقضائه، ليس يُراد[٢] به الكتابة باليد، ولكن الإثبات، كقوله: أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ،[٣] أي أثبت، ليس أنْ كتب هنالك باليد، فعلى ذلك قوله: **لكل أجلٍ كتاب**، أي إثباتٌ / إلى وقت. ويحتمل [٣٨١و] قوله [أن يكون بمعنى] لكل كتابٍ أجل، أي لكلِّ ما كُتب له الأجلُ وجُعل له الوقتُ مِن العذاب يَنزل بالمعاندين والنصرِ للرسل، فإنه لا يكون قبل ذلك الوقت ولا يتأخر أيضًا عن ذلك الوقت، وهو كقوله: فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً،[٤] الآية.

﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **يَمْحُو الله ما يشاء ويُثبِت**، قال قائلون: قوله: **يَمْحُو الله ما يشاء**، المَحْو هاهنا [بمعنى] أنّ إنشاءه[٥] في الابتداء [كان] مَمْحُوًّا،[٦] ليس على أن كان مُثْبَتًا فمَحَاه،[٧] ولكن أنشأه هكذا مَمْحُوًّا.[٨] وهو كقوله: فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ،[٩] ليس[١٠] أنه كان مُثْبَتًا[١١] كذا ثم مُحِيَ، ولكن أنشأه في الابتداء مَمْحُوًّا،[١٢] وكقوله: رَفَعَ السَّمَاوَاتِ،[١٣] ليس أنها كانت موضوعة ثم رفعها،[١٤] ولكن أنشأها مرتفعة كما هي؛ فعلى ذلك هذا. ثم يحتمل ذلك الأعمالَ التي كانت مَعْفُوّة في الأصل مِن نحو[١٥] أعمال الصبيان والأعمال التي لا جزاء عليها.

---

[١] ن – ذي، صح هـ.

[٢] ك: يرا.

[٣] سورة المجادلة، ٥٨/٢٢.

[٤] ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٣٤).

[٥] م: أن إنشاء.

[٦] ن: محوًّا؛ ع: يمحوا؛ م: بمحو.

[٧] ع م: فمحا.

[٨] ع: يمحو؛ م: بمحو.

[٩] ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتَين فمَحَوْنا آية الليل وجعلنا آية النهار مُبصِرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكلَّ شيء فصّلناه تفصيلا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٢).

[١٠] ع – ليس.

[١١] ك: منشئا.

[١٢] ع: في الآية يمحو؛ م: في الآية بمحو.

[١٣] ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عَمَدٍ تَرونها﴾ (سورة الرعد، ١٣/٢).

[١٤] ك: فرفعها.

[١٥] ع م – نحو.

وقال قائلون: [إنه محمول] على إحداث مَحْو. ثم هو[1] يحتمل وجوها. يحتمل[2] ما يُنسَخ من الأحكام، فهو على مَحْو الحكم به والعمل، ليس على مَحْو نفسه، **ويُثبِت**، وهو ما لا يُنسَخ ولا يُترَك العمل به والحكم. ويحتمل المَحْوُ مَحْوَ الأحوال، وهو ما يَنقل ويحوّل مِن حال إلى حال، مِن حال النطفة إلى حال العَلَقَة ومِن حال العلقة إلى حال المُضْغَة،[3] يحوّله وينقله مِن حال إلى حال أخرى،[4] فذلك هو المَحْو.[5] ويحتمل المَحْو أيضا هو ما يُختَم به العمر [من] السعادة أو الشقاء؛[6] إذا كان كافرا ثم أسلم في آخر عمره مُحِيَت الأعمال التي كانت له في حال كفره فأُبْدِلَت حسنات، وإذا كان مسلما ثم خُتِم بالكفر مُحِيَت أعماله التي كانت له مِن الصالحات فلم ينتفع[7] بها. أو أن يكون ما ذكر مِن المَحْو والإثبات هو ما يَكتب الحَفَظَة مِن الأعمال والأفعال، يُمْحَى عنها ما لا جزاء لها ولا ثواب ويَبْقَى ما له الجزاء والثواب ويُترَك[8] مكتوبًا كما هو. أو يكون[9] للخَلْق مقاصد في أفعالهم والحَفَظَة لا يَطَّلِعون على مقاصدهم فيَكتبون[10] ما هو في الحقيقة حسنةٌ لِقصده سيئةً على ظاهر[11] ما عَمِل، أو [يكتبون] حسنةً في الظاهر وهو في الحقيقة سيئة، فيغيّر[12] ذلك فيجعل ما هو في الحقيقة شرٌّ وفي الظاهر خيرٌ شرًّا بالقصد، وما هو في الحقيقة خيرٌ وفي الظاهر شرٌّ خيرًا.[13] أو يكون[14] في كتابة الحَفَظَة، لكنه من وجه آخر، وهو أنّ الحَفَظَة يَكتبون الأعمال ثم يُعارَض ذلك بما[15] في اللوح المحفوظ فيُمحَى من كتابة الحَفَظَة من الزيادة ويُثبَت فيها ما كان فيه من النقصان. *والله أعلم*.

---

[1] ن ع م – هو.
[2] ع م – يحتمل.
[3] انظر: سورة الحج، ٢٢/٥؛ وسورة المؤمنون، ٢٣/١٤.
[4] ع – أخرى.
[5] ن ع م: المحل.
[6] ع م: أو الشقاوة.
[7] جميع النسخ: ينتفعوا.
[8] ن: وينزل.
[9] ع: أن يكون.
[10] ك + هم؛ ن ع م: فيكتبونهم.
[11] ك: على ظاهره.
[12] ع: فيعفر؛ م: فيغفر.
[13] م: خير.
[14] ك: أو أن يكون.
[15] م – بما.

وقوله عز وجل: **وعنده أم الكتاب**، هذا يحتمل: عنده الذي يعارض به كتب الملائكة. ويحتمل: **وعنده أم الكتاب**، الذي يُستَنسَخ منه الكتب التي أُنزلت على الأنبياء والرسل، وهو في[١] اللوح المحفوظ. وفيه دلالة أنّ اختلاف الألسن لا يوجب تغيير المعنى؛ لأنه لا يُدرَى أنّ تلك الكتب في اللوح بأي لسان هي،[٢] ثم أُنزل منه كل كتاب على لسان الرسول الذي نزل عليه. وكذلك[٣] الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم لا يحتمل أن يكتبوا بلسان الخَلْق؛ لأنه يَظْهَر لو كانوا يكتبون بلسان هؤلاء،[٤] فدل أنهم إنما يكتبون بلسان أنفسهم. فهذا كله يدل أنّ اختلاف اللسان لا يوجب اختلاف[٥] المعنى. *والله أعلم*.

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **وإن ما نُرِيَنّك بعضَ الذي نَعِدُهم أو نَتَوَفَّيَنّك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب**، كأنه صلوات الله عليه طَمِع أو سأله أن يُرِيَه جميع ما وعد له[٦] مِن إنزال العذاب عليهم وأنواع ما وعد، فقال: إن شئنا نُرِيك[٧] بعضَ ما وعدناهم وإن شئنا نتوفاك[٨] و لم نُرِك، **فإنما عليك البلاغ**، أي ليس لك من الأمر شيء، أي ليس إليك هذا، إنما[٩] عليك البلاغ. وهو كقوله: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ،[١٠] الآية،[١١] فيَخرج مَخرج العتاب والتوبيخ ليس مَخرج الوعد والعِدَة؛ إذ قوله ذا أو ذا[١٢] حرفُ[١٣] شكّ، ولا يجوز أن يُضاف إليه ذلك. وقوله: **وإمّا نُرِيَنّك بعضَ الذي نَعِدُهم أو نَتَوَفَّيَنّك**، هذا في الظاهر حرفُ شكّ،[١٤] فهو يخرج على الوعد أو على النهي عن سؤالٍ كان مِن رسول الله.

---

[١] ن ع م – في.
[٢] ع م: هو.
[٣] ع – وكذلك.
[٤] لعل المؤلف يشير إلى ما سيكون يوم القيامة.
[٥] ع – اختلاف.
[٦] ك – له.
[٧] ن ع م: نرينك.
[٨] ن ع م: نتوفينك.
[٩] ع: فإنما.
[١٠] ﴿ليس لك مِن الأمر شيءٌ أو يتوبَ عليهم أو يعذبَهم فإنهم ظالمون﴾ (سورة آل عمران، ١٢٨/٣).
[١١] جميع النسخ + إنما عليك كذا.
[١٢] ك: اذا او اذا.
[١٣] ع: عرف؛ م: بحرف.
[١٤] ع م – ولا يجوز أن يضاف إليه ذلك وقوله وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك هذا في الظاهر حرف شك.

فإن كان على النهي فكأنه نهاه أن يَسأل إنزال العذاب عليهم، يقول: إن شئنا أنزلنا وإن شئنا لم ننزل. وإن كان على الوعد يقول:[1] نُرِيك بعض ما وعدنا ولا نُرِيك كله. وإلّا ظاهرُه حرفُ شكٍّ.

وقوله: **وعلينا الحساب**، يحتمل حساب ما وعد وجزاءه. ويحتمل الحساب المعروف الذي يحاسبهم يوم القيامة. ***والله أعلم***. أي لا يتركهم هَمَلاً سُدًى. أو قوله: **وعلينا الحساب**، أي إلينا الحساب، أو لنا الحساب، وذلك جائز في اللغة.[2]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **أولم يَرَوْا**، قد ذكرنا فيما تقدم أنه إنما هو حرف تعجُّب[3] وتنبيه. فهو يخرج على وجهين. أحدهما على الخبر، أي قد رأوا[4] أنّا فعلنا ما ذكر. والثاني على الأمر، أي رَوْا[5] أنّا فعلنا ما ذكر،[6] وهو ما ذكر من قوله: أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ،[7] **أي قد** ساروا في الأرض، أو سِيرُوا.[8] **أنّا نأتي الأرض نَنْقُصُها مِن أطرافها**، قال بعضهم: **هو ما** جَعل مِن أرض الكَفَرَة للمسلمين بالفتح لهم[9] والنصر على أولئك، والإخراجِ مِن سلطان أولئك الكَفَرَة وأيديهم وإدخالِها في أيدي المسلمين، فذلك النقصان. وهو[10] –والله أعلم– لمّا وعد لرسوله أن يُرِيَه بعض ما وَعد لهم فقال الكفرة عند ذلك: أين **ما** وعد أن **يُرِيَك؟** فقال عند ذلك: **أولم يَرَوْا أنا نأتي الأرض نَنْقُصُها**، أي ألم يَرَوْا أنه جَعل بعض **ما** كان لهم مِن الأَرَضِين للمسلمين، فإذا قَدَرَ على جعل البعض الذي كان لهم لهؤلاء [فإنه] يَقدِر[11] أن يجعل الكل لهم، فهلّا يعتبرون؟[12] هذا –والله أعلم– ما أراد بما ذكر من **النقصان**.

[1] ع: نقول.
[2] ك ع م – أي لا يتركهم هملا سدى أو قوله وعلينا الحساب أي إلينا الحساب أو لنا الحساب وذلك جائز في اللغة.
[3] ن ع م: تعجيب.
[4] ع م: قد رأو.
[5] ك ن: أي رأوا؛ ع م: أي رأو. رَوْا فعل أمر مِن رأى.
[6] ك: ما ذكرنا.
[7] ﴿أوَلم يَسيروا في الأرض فيَنظروا كيف كان عاقبة الذين مِن قبلهم﴾ (سورة الروم، ٩/٣٠).
[8] ع م: أي سيروا.
[9] ك: عليهم.
[10] ع م – وهو.
[11] جميع النسخ: لقادر.
[12] ن: يفترون؛ ع: فلا يعبرون؛ م: فلا يعتبرون.

[٣٨١ظ] وقال قائلون: نقصان الأرض موت فقهائها وعلمائها.[1] ووَجْهُ / هذا[2] أنّ الفقهاء والعلماء هم عُمّار الأرض وأهلِها،[3] وبهم صلاحُ الأرض. فوَصَفَ الأرضَ بالنقصان بذهاب أهلها، وهو كما وَصَفَ الأرضَ بالفساد، وهو قوله: لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ،[4] وقوله: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.[5] فالأرض لا تفسد بنفسها، ولكن وُصِفت بالفساد لفساد أهلها، فعلى ذلك لا تَنقُص هي بنفسها، ولكن وُصِفت بالنقصان لذهاب أهلها وعُمّارِها، وعُمّارُها[6] فقهاؤها وعلماؤها. ثم يحتمل ذهاب العلماء المتقدمين الذين تقدموا رسولَ الله في الأمم السالفة، وهم علماء أهل الكتاب. فيقول:[7] ألا يعتبرون بأولئك الذين قُبِضُوا وتَفَانَوْا[8] مِن علمائهم، فلا بُدّ مِن رسولٍ يُعلّمهم الآداب[9] والعلوم ويجدّد لهم ما دَرَسَ مِن الرسوم وذهب مِن الآثار، فكيف أنكروا رسالته وفي بَعث الرسول[10] حُدوث العلماء، وذلك وقتُ حُدوثِ العلماء وزمانُه. فإن كان أراد العلماء المتأخرين وفقهاءهم فيخرج ذلك مخرج التعزية له، أي تصير الأرض بحالٍ تُوصَف[11] بالنقصان بذهاب العلماء والفقهاء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **والله يَحكُم لا مُعَقِّبَ لحُكمِهِ**، قيل: لا رادّ لحُكمه، وحُكمُه يحتمل العذاب الذي حكم على الكَفَرَة. يقول: لا رادّ للعذاب الذي حكم عليهم، وهو كقوله: رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ،[12] أي احكم بالعذاب الذي حكمت عليهم.[13] ويحتمل قوله: **لا مُعَقِّبَ لحُكمِه**، أي لا يتعقّب أحدٌ حُكمَه ولا يَعْقُبُ أحدٌ سلطانه كما يكون في حكم الخلائق يتعقّب[14] بعض عن بعض،

---

[1] ك + فنايها؛ ن ع م + فناها.
[2] جميع النسخ + وهو.
[3] ع م: وأهلهم.
[4] ﴿ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ بعضَهم ببعض لَفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ (سورة البقرة، ٢/٢٥١).
[5] ﴿ظَهَرَ الفساد في البَرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يَرجعون﴾ (سورة الروم، ٣٠/٤١).
[6] ن ع م – وعمارها.
[7] ع: فنقول.
[8] ن: أو تفانوا.
[9] ع: الأدب.
[10] ن + يعلمهم الآداب والعلوم.
[11] م: يوصف.
[12] ﴿قال ربِّ احكم بالحق وربُّنا الرحمن المستعان على ما تَصِفون﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١١٢).
[13] ك – وهو كقوله رب احكم بالحق أي احكم بالعذاب الذي حكمت عليهم.
[14] م: يتعد.

وكما ذكر في الحَفَظَة: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ،[1] يتعقّب بعض عن بعض في الحفظ وفيما سُلّطوا. *والله أعلم*. **وهو سريع الحساب**، هذا قد ذكرنا في غير موضع.[2]

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلّٰهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وقد مَكَرَ الذين مِن قبلهم**، أي مَكَرَ الذين مِن قبلهم برسلهم كمكر هؤلاء بك، يُصَبِّرُ رسولَه على أذاهم به. ثم يحتمل المكر به وجهين. أحدهما مكروا بنفسه،[3] هَمُّوا بقتله[4] وإهلاكه. والثاني مكروا بدينه الذي دعاهم إليه وأراد إظهاره، هَمُّوا[5] بإطفاء[6] ذلك النور[7] وإبطاله. وكذلك مَكْرُ الذين مِن قبلهم برسلهم يَخرُج على هذا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فللّه المكر جميعا**، هذا أيضا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: فللّه جزاء المكر جميعا، يجزي كلاً بمكره. والثاني أي لله حقيقة المكر، يأخذهم[8] جميعًا بالحق مِن حيث لا يشعرون. وأمّا[9] هم[10] فإنما يأخذون ما يأخذون لا بالحق ولكن بالباطل، ولا يقدرون على الأخذ مِن حيث لا يشعرون[11] إلا قليلاً مِن ذلك، فحقيقة المكر الذي هو مَكْرٌ بالحق في الحقيقة لله لا لهم.[12] ويحتمل قوله: **فللّه المكر جميعا**، أي لله تدبير المكر[13] جميعا، إن شاء أمضاه وإن شاء منعه، إليه ذلك لا إليهم. أو لله حقيقة المكر، يَغلب مكرُه مكرَ أولئك.

وقوله[14] عز وجل: **يعلم ما تكسب كلُّ نفس**، مِن خير أو شر. **وسيعلم الكُفّار لمن عُقْبَى الدار**،

---

[1] ﴿له مُعقِّباتٌ مِن بين يديه ومِن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ (سورة الرعد، ١١/١٣).
[2] انظر مثلا تفسير الآية من سورة البقرة، ٢٠٢/٢.
[3] ع: مكروا وبنفسه.
[4] ك ع م: قتله.
[5] ك ن ع + هم؛ م: هموهم.
[6] جميع النسخ: إطفاء.
[7] ك ع م – النور.
[8] ن: يأخذهم.
[9] ك: فأما.
[10] ع: وأمامهم.
[11] ك: لا يشعر.
[12] ن: بالحق لله في الحقيقة لا لهم.
[13] ك: الأمر.
[14] ن: قوله.

يشبه أن يكون عُقْبَى الدار[١] معروفًا عندهم، وهي الجنة، فيكون صلة قولهم: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى،[٢] فيقول[٣] -والله أعلم- سيعلمون هم[٤] لمن عُقْبَى الدار أهي[٥] لهم أم هي للمؤمنين. أو أن يكون جواب قوله: وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا،[٦] أنهم لمّا رَأَوْهم مُفضَّلين في أمر الدنيا ووُسِّعَ عليهم الدنيا ظَنُّوا أن لهم في الآخرة كذلك، فقال ذلك جوابًا لهم.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **ويقول الذين كفروا**، أي قالوا، **لستَ مُرْسَلاً**، أي لن يبعثك الله رسولاً. وهم كانوا يقولون كذلك له، فأَمَرَه أن يقول لهم: **قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم**، أنّي نبيٌّ [و]رسولُ الله إليكم بالآيات[٧] التي أتى بها. أو كان قال ل[هم هذا[٨] لمّا بالغ في الحِجاج والبراهين في إثبات الرسالة والنبوة فلم يقبلوا ذلك فأَيِسَ مِن تصديقهم، فعند ذلك قال: **كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومَن عنده عِلمُ الكتاب**، أي يَعلم مَن كان عنده **عِلمُ الكتاب**، يعني التوراة، فيَشهَد أيضًا أنّي رسولُ نبيٌّ.[٩] أي يَعلم مَن كان عنده علم الكتاب أنّي على حق وأنّي رسول الله. وهو كقوله: أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً،[١٠] الآية، وقوله: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ.[١١] ومَن قرأ بالخفض: ومِن عندِه علمُ الكتاب،[١٢] فتأويله -والله أعلم- أي مِن عندِ الله جاء علمُ هذا الكتاب الذي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ.[١٣]

---

[١] ع - يشبه أن يكون عقبى الدار.
[٢] ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هُودًا أو نصارى تلك أَمَانِيُّهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ١١١/٢).
[٣] ع - فيقول.
[٤] ع م: سيعلمونهم.
[٥] ع: هي.
[٦] ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رُدِدتُ إلى ربي لأجدنّ خيرا منها مُنقلَبا﴾ (سورة الكهف، ٣٦/١٨).
[٧] ع: بالامات.
[٨] ك: ذلك.
[٩] ن - يعني التوراة فيشهد أيضا أني رسول نبي.
[١٠] ﴿أوَ لم يكُن لهم آيةً أن يَعلمه علماء بني إسرائيل﴾ (سورة الشعراء، ١٩٧/٢٦).
[١١] ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (سورة النحل، ٤٣/١٦).
[١٢] روي ذلك مرفوعا بإسناد ضعيف، وروي عن ابن عباس وعدد من التابعين؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٧٧/١٣-١٧٨؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٦٨/٤. وهي قراءة شاذة لم تتواتر.
[١٣] ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (سورة فصلت، ٤٢/٤١)

وكذلك رُوي في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ: ومِن عنده علمُ الكتاب، بالخفض. وأما القراء جميعا فإنهم يختارون النصب:[١] **ومَن عندَه علمُ الكتاب**. قال أبو عُبَيد: وقرأ بعضهم: ومِن عندِه عُلِمَ الكتابُ، بخفض الميم والدال ورفع العين، وقال: لكن لا أدري[٢] عن مَن هو.[٣] وروي عن عبد الله بن[٤] سلام أنه قال: فيَّ نزل: **قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومَن عندَه علمُ الكتاب**.[٥] هذا يؤيد -إن ثبت- قولَ[٦] أهل التأويل حيث قالوا: **ومَن عندَه علمُ الكتاب**، عبد الله بن سلام وأصحابه.[٧]

---

[١] ع م: بالنصب.

[٢] م: قال لا أدري.

[٣] هذه قراءة شاذة. ونُسبت إلى علي رضي الله عنه والحسن البصري وغيرهما؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٣٦/٩؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٧٦/١٣.

[٤] ن م: ابن.

[٥] *تفسير الطبري*، ١٧٦/١٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٦٦٨/٤.

[٦] م: إن يثبت قوله.

[٧] ك ن ع + والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة إبراهيم

عليه السلام، قيل: مكية. بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الٓرۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [١]

قوله[١] عز وجل: **الر كتاب**، **الر** كناية عن حروف مُقَطَّعَة جَعَلَها بالحكمة كتابًا، **أنزلناه**، أي جمعناها[٢] وجعلناها كتابًا، أعني [جعلنا] تلك الحروف المُقَطَّعَة كتابًا وأنزلناه إليك بعد ما لم تكن[٣] تدري ما الكتاب، / وهو كما قال: مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ[٤] وَلَا الْإِيمَانُ،[٥] وقوله: وَلَا تَخُطُّهُ [٣٨٢و] بِيَمِينِكَ.[٦] **لِتُخرِجَ الناس**، ما[٧] يُضاف [مِن] الإخراج إلى الله فإنه يكون بإعطاء الأسباب وحقيقة ما يكون به الأفعال وهي القدرة، وما يُضاف [مِن] الإخراج إلى الرسل فإنه لا يكون إلا بإعطاء الأسباب؛ لأنه لا يملك أحدٌ سِواه إعطاءَ ما به يكون الفعل. ثم الأسباب تكون[٨] بوجهين. أحدهما الدعاء إلى ذلك. والثاني ما أتاهم به[٩] مِن البيان والحجة على ذلك.[١٠] فهذه[١١] [هي] الأسباب التي يملك[١٢] الرسل إتيانها، وأمّا ما به حقيقة الفعل فإنه لا يملك [ذلك] إلا الله.

---

[١] ن ع: وقوله.
[٢] ك + وأنزلناها.
[٣] ع: لم يكن.
[٤] ع – وهو كما قال ما كنت تدري ما الكتاب.
[٥] ﴿وكذلك أوحينا إليك رُوحا مِن أمرنا ما كنتَ تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ (سورة الشورى، ٥٢/٤٢).
[٦] ﴿وما كنتَ تتلو مِن قبله من كتاب ولا تَخُطُّه بيمينك إذًا لَارتاب المُبْطِلون﴾ (سورة العنكبوت، ٤٨/٢٩).
[٧] جميع النسخ: وما.
[٨] ن ع م: يكون.
[٩] جميع النسخ: ما أتى بهم.
[١٠] ع: فعلى ذلك.
[١١] جميع النسخ: فهو.
[١٢] ك: تملك.

وقوله: **لِتُخرِجَ الناسَ مِن الظُّلُمات إلى النور**، قيل: مِن الكفر إلى الإيمان.[١] سَمّى الكفر ظُلُمات، وهو واحد؛ لأنه يَستر جميعَ مَنَافِذِ الجوارح مِن البصر والسمع واللسان، يُبصِر ما لا يَصلُح ويَسمع ما لا يَصلُح،[٢] وكذلك القول يقول[٣] ما لا يَصلُح، وكذلك جميع الجوارح، والإيمان يَرفع ويَكشِف جميعَ الحُجُب والسُّتُور ويضيء[٤] له كل مستور. والثاني قوله: **مِن الظُّلُمات**، أي مِن الشُّبُهات، **إلى النور**، أي[٥] إلى الإيمان والهدى.

وقوله: **لِتُخرِجَ الناسَ مِن الظُّلُمات إلى النور**، الإخراج المضاف إلى الله والهداية يَخرج[٦] على وجوه أربعة. أحدها يأمر ويدعوهم إلى ما ذكر. والثاني يَكشِف ويبيّن. والثالث يُرَغِّب ويُرَهِّب حتى يَرغبوا في المرغوب ويَحذروا[٧] المرهوب. والرابع تحقيق ما يكون به الهداية، وذلك لا يكون إلا بالله، وهو التوفيق والعصمة. وأمّا الوجوه الثلاثة الأُوَل فإنها تكون برسول الله، يأمر ويدعو ويُرَغِّب ويُرَهِّب ويُبيّن ويَكشِف. ***والله أعلم.***

وقوله: **الر كتابٌ أنزلناه إليك لِتُخرِجَ الناسَ**، كأنه قال: **كتابٌ أنزلناه إليك**، لِتأمر الناس بالخروج مما ذكر إلى ما ذكر. والثاني[٨] أنزلناه لِتُخرِجَ به الناس مما ذكر.

بإذن ربهم، قيل: بأمر[٩] ربهم، أي تدعوهم[١٠] بأمر ربهم. وقال قائلون: بعلم ربهم، أي أنزل هذه الحروف المُقَطَّعَة[١١] بعلمه. والثالث يحتمل بتوفيق ربهم. الإذن مِن الله يحتمل أحد[١٢] هذه الوجوه التي ذكرنا: الأمر والعلم والتوفيق.

وقوله عز وجل: **إلى صراط العزيز الحميد**، **العزيز الحميد**[١٣] هو الله، أي يدعوهم إلى طريق الله الذي مَن سَلَكَه نجا. **العزيز الحميد**، سُمِّيَ عزيزا لأنّ كلَّ عزيزٍ به يَعِزّ.[١٤]

---

[١] ع م + التي يملك الرسل إتيانها.
[٢] ع – ويسمع ما لا يصلح.
[٣] م: بقول.
[٤] ن ع: وقضي.
[٥] ع م – أي.
[٦] ك: تخرج.
[٧] ن: ويحذر.
[٨] ك: الثاني.
[٩] ن: يأمر.
[١٠] ن ع م: يدعوهم.
[١١] ن – المقطعة.
[١٢] ك – أحد.
[١٣] ع م – العزيز الحميد.
[١٤] ع: بعز.

أو يقال: عزيز لأنه عزيز بذاته ليس بغيره كالخلائق. أو **العزيز**، هو الذي لا يُغلَب،[١] و **الحميد**، هو الذي لا يَلحقه الذم في فعله كالحكيم هو الذي لا يَلحقه الخطأ في تدبيره. وقال أهل التأويل: **العزيز**: المنيع، و **الحميد**: الذي[٢] يَقبل اليسير مِن العبادة.[٣]

﴿اَللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **اللهِ الذي له ما في السماوات وما في الأرض**، مَن قرأ بالخفض صَيَّرَه مَوْصُولاً بالأول وجَعَلَه كلامًا واحدًا[٤] وأتبع الخفض بالخفض. ومَن قرأ بالرفع: اللهُ الذي، جَعَلَه مَقْطُوعًا عن الأول على حق الابتداء، فقال: اللهُ الذي **له ما في السماوات وما في الأرض**. ذَكَرَ قولَه: **اللهِ الذي له ما في السماوات وما في الأرض**،[٥] لِيُعلَم أنه بما يأمر الخَلْقَ ويدعوهم إلى دينه ويمتحنهم بأنواع المِحَن لا يفعل ذلك لمنافع نفسه أو لحاجته[٦] في ذلك، بل لحاجة[٧] الممتحَنين ولمنافعهم.

وقوله عز وجل: **وويلٌ للكافرين مِن عذابٍ شديدٍ**، قال[٨] قائلون: الوَيل هو[٩] الشدة. وقيل: الوَيل هو اسم وادٍ في جهنم. وقال الأصم: الوَيل هو نداءُ كلِّ مَكْرُوب ومَلْهُوف مِن شدة البلاء. وقول الحسن كذلك.

﴿اَلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **الذين يَسْتَحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة**، وَصَف أولئك الذين ذكر أنّ فيهم الوَيل مَن هم،[١٠] فقال:[١١] **الذين يَسْتَحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة**، أي آثَرُوا واختاروا الحياة الدنيا على الآخرة،

---

[١] ع م: لا يطلب.
[٢] ع م + هو.
[٣] ن ع م: من العباد.
[٤] ع: واحد.
[٥] ع + ذكر قوله الله الذي له ما في السموات وما في الأرض.
[٦] ك: أو لحاجة.
[٧] ع: بل للحاجة.
[٨] ن: وقال.
[٩] ع م – هو.
[١٠] ع: منهم.
[١١] ن + الذين ذكر أن فيهم الويل من هم فقال.

أي رَضُوا بها واطمأنّوا فيها، كقوله: وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا.[1] اختاروا الحياة الدنيا للدنيا، لم يختاروا للآخرة. فالدنيا أُنْشِئَت لا للدنيا، ولكن إنما[2] أُنْشِئَت للآخرة؛ فمن اختارها لها لا لِيَسلُكَ[3] بها إلى الآخرة ضَلّ وزاغ عن الحق. وقوله: **الذين يَسْتَحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة**،[4] يَسْتَحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة حتى يَلْهُوا[5] عن الآخرة ويَسْهُوا[6] **فيها** ويَغفلوا. وإلّا أهلُ الإسلام ربما يَسْتَحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة، وهو ما ذكرنا أنهم يختارون ذلك للآخرة، وأولئك للدنيا.

وقوله عز وجل: **ويَصُدُّون عن سبيل الله**، يحتمل يَصُدُّون وجهين. أحدهما[7] أعرضوا هم[8] بأنفسهم. والثاني صَرَفُوا الناس عن سبيل الله الذي مَن سَلَكَه نَجَا. لكن إنما يتبيّن[9] ويظهر ذلك بالمصدر: صَدّ يَصُدّ صَدًّا: صَرَفَ غيرَه، وصَدَّ يَصُدّ[10] صُدُودًا: أعرض هو بنفسه.[11] **ويَبْغُونها عِوَجًا**، أي طَعْنًا وعَيْبًا[12] فيه. دل هذا على أن الآية في الرؤساء منهم والقادة الذين كانوا يَصُدُّون الناس عن سبيل الله ويَبْغُون[13] في دين الله الطعن والعيب،[14] فما وجدوا إلى ذلك سبيلاً قط.

وقوله عز وجل: **أولئك في ضلال بعيد**، الضلال يحتمل وجوها. يحتمل الهلاك،[15] أي هلكوا هلاكًا لا نجاةَ فيه[16] قط. ويحتمل الحيرة والتيه، / أي تَحَيَّرُوا فيه وتَاهُوا حتى لا يهتدون أبدًا. [٣٨٢ظ]

---

[1] ﴿إنّ الذين لا يَرجُون لقاءنا ورَضُوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ (سورة يونس، ١٠/٧).
[2] ن - إنما.
[3] م: لا يسلك.
[4] ع م + وهو ما ذكرنا.
[5] ك: يلهو.
[6] ك: ويسهو.
[7] ك: أحدها.
[8] أعرضوهم.
[9] ع: يبين.
[10] ن ع: يصده.
[11] قارن: *لسان العرب* لابن منظور، «صد».
[12] ن: وعينا.
[13] ن ع م: ويبغونها.
[14] ن: والطعن.
[15] جميع النسخ: الضلال.
[16] م - فيه.

ويحتمل الضلال البطلان، أي في بطلان بعيد حتى[١] لا يَصْلُحُوا أبدًا، وهو في قومٍ عَلِمَ الله أنهم لا يهتدون أبدًا ويُخْتَمُون[٢] على الضلالة.[٣]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وما أرسلنا مِن رسول إلا بلسان قومه**، لو كان غيره مِن الكتب أُرْسِلَ[٤] بغير لسان الأُمَم لكان هذا الكتاب يجب أن يكون مبعوثًا بلسان قومه؛ لأنه جُعِل هذا الكتاب نفسُه حجةً وآيةً لرسالته، لأنهم يعجزون عن إتيان مثله وهو كان بلسانهم ليعلموا أنه من الله جاء. إذ لو كان مِن اختراع الرسول لَقَدَرُوا هم[٥] على اختراع مثله؛ لأن لسانهم مثل لسانه، فإذا عجزوا عن إتيان مثله دل أنه منزل من الله تعالى لا من عند الخَلْق. ثم يحتمل قوله: **وما أرسلنا مِن رسول إلا بلسان قومه**، وجوها. قال قائلون: هذا بعد ما اختلفت[٦] الألسن، أرسل هذا وفيه أنباءُ أوائِلهم الذين كان[٧] لسانهم غير لسان هؤلاء وأخبارُهم[٨] لِيَعلموا أنه إنما عرف تلك الأنباء والأخبار التي كانت بغير[٩] لسانهم بالله. وقال بعضهم: أرسل بلسان قومه لئلا يكون لهم مقال، كقوله:[١٠] لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ،[١١] الآية.[١٢] والثالث أنه إذا كان بلسانهم يكون آلَفَ وأقربَ إلى القبول مِن[١٣] إذا كان بغيره؛ إذ كل ذي نوع وجنس يكون بجنسه ونوعه آلَفَ مِن غير نوعه وجوهره، وهو[١٤] كقوله: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا،[١٥]

---

[١] ن: وحتى.
[٢] ك: ويجتمعون.
[٣] ك ن م: على الضلال؛ ك ن + والله أعلم.
[٤] جميع النسخ: أرسلت.
[٥] ع م – هم.
[٦] ن ع م: ما اختلف.
[٧] م: كانوا.
[٨] ن ع م: واختارهم.
[٩] ن: تغير؛ ع م: كان تغير.
[١٠] ن ع م: لقوله.
[١١] ﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياته أ أعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عَمًى أولئك يُنَادَوْنَ من مكان بعيد﴾ (سورة فصلت، ٤١/٤٤).
[١٢] م – الآية.
[١٣] ك: عنده.
[١٤] ع م – وهو.
[١٥] ﴿ولو جعلناه مَلَكًا لجعلناه رجلاً ولَلَبَسْنا عليهم ما يَلْبِسون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٩).

إذ ليس في وُسْع البشر رؤية الملك والنظر إليه على ما هو عليه؛ فعلى ذلك كل ذي **لسان** يكون بلسانه أفهم وأقرب للقبول وآلَف مِن غيره.

وقوله عز وجل: **لِيُبَيِّنَ لهم**، قال قائلون: ليكون أَبْيَن لهم وأفهم. وقال قائلون: **لِيُبَيِّنَ لهم**، فيَفهموا[1] قول رسولهم. وقوله عز وجل: **لِيُبَيِّنَ لهم فيُضِلُّ الله مَن يشاء ويَهدِي مَن يشاء**، أي يُضِلُّ الله مَن آثَرَ سببَ الضلال ويَهدِي[2] مَن آثَرَ سببَ الذي به يَهتدي، يَهدِيه ذلك. وقال **قائلون: فيُضِلُّ الله مَن يشاء ويَهدِي مَن يشاء**، هذا حُكمُ الله أن يُضِلَّ المكذِّبين ويَهدِي المصدِّقين. لكن الوجه فيه ما ذكرنا بَدْءً أنه يُضِلُّ مَن آثَرَ سببَ الضلال ويَهدِي مَن يشاء،[3] أي مَن آثَرَ سببَ الاهتداء. **وهو العزيز الحكيم**، **العزيز**[4] لأنَّ جميع[5] الخلائق مُفتقِرون إليه[6] أَذِلّاء، به يَعِزّ مَن عَزّ. أو أن يكون **العزيز** هو الذي لا يُغلَب. و **الحكيم** هو الذي لا يَلحقه الخطأ في الحكم والتدبير. أو **الحكيم** في بعث الرسل وفي جميع فعله ولم يؤخَذ عليه في فعله خطأ قط، مُصِيبٌ، وَضَعَ[7] كل شيء موضعه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا**، يحتمل آياته حججه وبراهينه التي أرسل بها على وحدانية الله وألوهيته. ويحتمل آياته التي بعثها إلى موسى ليقيمها على رسالته. إن شئت قلت:[8] آياته حججه،[9] وإن شئت سمّيتها أعلاما. والآيات والأعلام والحجج كله واحد. فيكون[10] [المقصود] أعلام وحدانية الله وألوهيته أو أعلام رسالته. وقال قائلون: **بآياتنا**، أي بديننا، أي أرسلنا موسى بديننا[11] ليدعوهم إليه، **أنْ أَخْرِجْ قومَك مِن الظلمات إلى النور**، وعلى ذلك بعث جميع الرسل والأنبياء، بُعِثُوا لِيُخرِجوا قومهم من الظلمات إلى النور. وقد ذكرنا هذا في غير موضع.

---

١ ع م: فيفهمون.
٢ ن ع م + من يشاء.
٣ ع م + هذا حكم الله أن يضل المكذبين ويهدي المصدقين.
٤ ع م – العزيز.
٥ ع: أن جميع.
٦ ن: به.
٧ ع: ضع.
٨ ع: قبلت.
٩ ع: وحججه.
١٠ ك: فتكون.
١١ ع – أي أرسلنا موسى بديننا.

وقوله عز وجل: **وَذَكِّرْهم بأيام الله**، التذكير[١] هو العِظَة، أي عِظْهم **بأيام الله**. قال قائلون: أيام الله نِعَمُه. قال قتادة: أمره[٢] أن يُذكِّرهم بنعم الله التي أنعمها عليهم،[٣] فإنّ لله[٤] عليكم أيامًا مِن النعم كأيام القوم، كم مِن خير قد أعطاه الله لكم وكم مِن سوء قد[٥] صرفه الله عنكم، وكم مِن كرب[٦] نَفَّسَه الله عنكم،[٧] وكم مِن غَمٍّ[٨] قد[٩] فَرَّجَه الله عنكم، فاللهم ربنا لك الحمد. وقال قائلون: أيام الله وقائعه، أي ذَكِّرْهم بوقائع الله في الأمم السالفة كيف أهلكهم لما كذّبوا الرسل. هذا يحتمل: أن[١٠] يُذكّرهم بنعم الله التي كانت على المصدقين بتصديقهم وهو ما أَنجى المصدقين مِن التعذيب والإهلاكِ إهلاك تعذيب،[١١] ويُذكِّر[١٢] المكذّبين[١٣] منهم بالوقائع التي كانت على أولئك بالتكذيب، وهو الإهلاك. ويشبه أن يكون قوله: **بأيام الله**، الأيام المعروفة نفسها، أمره أن يُذكّرهم بها لأن الأيام تأتي بأرزاقهم وتَمضي[١٤] بأعمالهم وأعمارهم،[١٥] إن كان[١٦] خيرًا فخير وإن كان شرًا فشر، وتُفنِي أعمارَهم وآجالَهم. وفيما تأتي[١٧] بأرزاقهم نعمة[١٨] من الله عليهم، وفي ذهاب أعمارهم وآجالهم إظهارُ سلطانِ الله وقدرته. فأمره أن يُذكّرهم بذلك.[١٩] ***والله أعلم***.

---

[١] ع: لتذكير.
[٢] ك ن ع: أمرهم؛ م: أمر.
[٣] *تفسير الطبري*، ١٣/١٨٤. روى الطبري هذا القسم فقط.
[٤] ن ع: فإن الله.
[٥] ك – قد.
[٦] ن + قد.
[٧] ع م – وكم من كرب نفسه الله عنكم.
[٨] ك: من كرب.
[٩] ك م – قد.
[١٠] ع م – أن.
[١١] م: تعذيبا.
[١٢] ك ن م: وذكر؛ ع: أو ذكر.
[١٣] ن: المصدقين.
[١٤] م: ويمضي.
[١٥] ك: بأعمارهم وأعمالهم.
[١٦] ع م: وإن كان.
[١٧] ن م: يأتي.
[١٨] ن ع م: نعم.
[١٩] ع – بذلك.

هذا يشبه أن يكون أُمِرَ موسى أن يُذكّر بني إسرائيل ما كان عليهم من فرعون من أنواع التعذيب ثم الإنجاء مِن بَعد. يقول –والله أعلم– ذَكِّرْهم الأيام الماضية وما يتلوها.[1] وهذا أشبه وأقرب.[2] **والله أعلم.**

وقوله عز وجل: **إن في ذلك لآيات لكل صَبّار شَكُور**، قد ذكرنا[3] أن الصبر هو كفّ النفس عن معاصي الله وعن جميع مناهيه، والشكر هو الرغبة في طاعته. أخبر أنّ فيما ذكر آياتٍ لمن كفّ[4]
[٣٨٣و] نفسه عن المعاصي ورَغِب في طاعته لا لمن تَطاوَل على الرسل وتكبّر عليهم وترك[5] / إجابتهم ولم يرغب فيما دَعَوْهم إليه. ليس لأمثال هؤلاء عبرة وآية، ولكن[6] لمن ذكرنا. ويشبه أن يكون الصَبّار[7] والشَّكُور كناية عن المؤمن؛ لأن كل من[8] آمن بالله ووحّده اعتقد الكفّ عن جميع معاصيه[9] والرغبة في كل طاعته وإن كان يقع أحيانًا في معصيته، فكأنه قال: إن في ذلك لآيات للمؤمنين، على ما ذكر في غيره من الآيات، مِن ذلك[10] قوله: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ،[11] و لِلْمُوقِنِينَ،[12] و لِلْمُتَّقِينَ،[13] ونحوه. **والله أعلم.**

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون**، يشبه[14] أن يكون هذا[15] على الإضمار، وهو ما ذكر في آية أخرى:[16] **اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا،**[17] الآية، واذكروا أيضًا **إذ أنجاكم من آل فرعون يَسُومُونكم**،

---

[1] م: يتلونها.
[2] ع + عليهم من فرعون من أنواع التعذيب ثم الإنجاء من بعد يقول والله أعلم ذكرهم الأيام الماضية وما يتلوها وهذا أشبه وأقرب.
[3] انظر تفسير الآية من سورة الأنفال، ٨/٦٦.
[4] ع م + هو.
[5] ن ع: ونزل.
[6] ع – ولكن؛ م: وآية.
[7] ع + وتكبر عليهم وترك إجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم إليه ليس لأمثال هؤلاء عبرة وآية لمن ذكرنا ويشبه أن الصبار.
[8] ع م: كل مؤمن.
[9] ع م – معاصيه.
[10] ن – طاعته وإن كان يقع أحيانا في معصيته فكأنه قال إن في ذلك لآيات للمؤمنين على ما ذكر في غيره من الآيات من ذلك.
[11] سورة الحجر، ١٥/٧٧؛ سورة العنكبوت، ٢٩/٤٤.
[12] ﴿وفي الأرض آيات للمُوقِنين﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٢٠).
[13] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٣٨).
[14] ن: ويشبه.
[15] ك – هذا.
[16] ك ن ع + أي.
[17] سورة المائدة، ٥/٢٠.

قيل: يعذبونكم،[1] **سوء العذاب**. وقال قائلون: يُكلّفونكم **سوء العذاب ويُذبّحون أبناءكم ويَستحيون نساءكم**، السَّوْم الإذاقة والتعريض، يقال: سَامَني كذا، أي أذاقني وعَرّضَني[2] [لكذا]، ويقال: سُمْتُ الدابة على الحوض، أي عَرَضتها. **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**، هذا أيضًا قد ذكرناه[3] فيما تقدم في سورة البقرة والأعراف.[4] ***والله أعلم***.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وإذ تَأَذَّنَ ربكم**، قال بعضهم: وإذ[5] قال ربكم. وقيل: إذ أعلم ربكم وأخبر. والعرب ربما قالت:[6] أفعلت في معنى تفعّلت، فهذا من ذاك،[7] ومِثلُه في الكلام أَوعدني وتوعّدني، وهو قول الفَرّاء.[8] وحقيقته[9] وَعَد ربكم[10] أو كَفَل ربكم، **لَئِن شكرتم لأزيدنّكم**، لم يقل: لئن شكرتم[11] نعمة كذا، ولا بَيّنَ أيّ نِعَمِه، النعم كلها أو نعمة دون نعمة، ولا قال: شكرتم بماذا.[12] وقال: **لأزيدنّكم**، لم يذكر الزيادة فيما ذا مما ذا[13] ومِن أي شيء هي. فيشبه أن يكون قوله: **لَئِن شكرتم**، بالتوحيد، أي [لئن] وحّدتم الله في الدنيا فيما خلقكم خَلْقًا ورَكّب فيكم ما تتلذّذون[14] وتتنعّمون في الدنيا وفيما قَوّمكم مِن أحسن تقويم، **لأزيدنّكم**، النعم الدائمة في الآخرة. فيَصير على هذا التأويل كأنه قال: لَئِن أتيتم شاكرين في الآخرة **لأزيدنّكم** النعم الدائمة. وإلى هذا يذهب ابن عباس رضي الله عنه أو قريب منه.[15] ألا ترى أنه قال: **ولَئِن كفرتم إنّ عذابي لشديد**، أي **ولَئِن كفرتم**،

---

[1] ع: يعذبكم.
[2] ع: وعرضي.
[3] ع: قد ذكر.
[4] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٤٤٩/٢؛ وسورة الأعراف، ١٤١/٧.
[5] ع: وإذ؛ ع م + تأذن.
[6] ن: قال.
[7] م: من ذلك.
[8] *معاني القرآن* للفراء، ٤/٢.
[9] ع م: حقيقته.
[10] ن: بكم.
[11] ع – لأزيدنكم لم يقل لئن شكرتم.
[12] أي شكرتم بأي شكل من الأشكال من قول أو فعل.
[13] ع م – مما ذا.
[14] ن ع: ما يتلذذون.
[15] ذُكر عن ابن عباس: لئن وحّدتم وأطعتم لأزيدنكم من الثواب؛ انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٤٣/٩؛ و*روح المعاني* للآلوسي، ١٩٠/١٣.

ولم توحّدوه وأشركتم غيره فيه وصَرَفتُم شُكْرَ تلك النعم إلى غيره، **إنّ عذابي لشديد**. ويحتمل[1] أن يكون كل نعمة يَشكرها يَزيد له مِن نوعها في الدنيا ويَدُوم ذلك له.

وفي قوله: **لئِن شكرتم لأَزيدنّكم**، لُطف وفضل؛ لأن الشكر هو المجازاة والمكافأة[2] لما سبق،[3] والله تعالى[4] لا يكافأ فيما أنعم، لأنهم يَستزيدون لأنفسهم الزيادة بالشكر الذي ذكر، فهو ليس بشكر في الحقيقة، لكن هذا منه لُطفٌ[5] ذَكَرَه. وهو كما قال الله تعالى: وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا،[6] الآية، وقال: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ،[7] الآية. فهذه الأنفس والأموال في الحقيقة لله ليست لهم، فهم فيما يُقرِضون يُقرِضون[8] لأنفسهم، وكذلك في الشراء يَشترون لأنفسهم من مولاهم، لكنه ذكر شراءه من أنفسهم[9] لطفًا منه وفضلاً. فعلى ذلك فيما ذكر من الشكر له يطلبون الزيادة لأنفسهم لطفًا منه. وإن كان الشكر في الظاهر موضوعه المكافأة لما سبق[10] فهو فيما بين الرب والعباد ليس بمكافأة،[11] ولكن سبب الزيادة، ولكن سُمِّيَ شكرًا لطفًا[12] منه وفضلاً على ما ذكر التصدُّق[13] قَرْضًا. ***والله أعلم***.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٨]

ألا ترى أنه قال: **وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد**، أي غني بذاته، ليس يأمر ما يأمر لحاجة نفسه ولا لمنفعةٍ[14] له، ولكن ما امتحنكم إنما امتحنكم

---

[1] ع: يحتمل.
[2] ع: المجازات والمكافات.
[3] ع – لما سبق.
[4] ع: والله أعلم.
[5] ك: هذا لطف منه.
[6] ﴿إنّ المُصَّدِّقين والمُصَّدِّقات وأَقْرَضُوا الله قَرْضًا حسنًا يُضاعَفُ لهم ولهم أجر كريم﴾ (سورة الحديد، ١٨/٥٧).
[7] ﴿إنّ الله اشترى مِن المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يُقاتِلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون وَعْدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن ومَن أَوْفَى بعهده مِن الله فاستبشِروا بِبَيعكم الذي بايَعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (سورة التوبة، ١١١/٩).
[8] ن ع م – يقرضون.
[9] ع م – من أنفسهم.
[10] ن + لما سبق.
[11] ع: بمكافات.
[12] ن – لطفا.
[13] ع م: التصديق.
[14] م: لا لمنفعة.

لحاجة أنفسكم ولمنفعة أبدانكم. وقال بعضهم: قوله: **إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد**، أي غني عن عبادة خَلْقِه حميد عند خَلْقِه، وهو ما ذكرنا أنه ليس يأمرهم فيما يأمر لمنفعة نفسه أو لحاجة نفسه، ولكن لمنافع تحصل للخلق ولحوائج[١] تَبْدُو لهم. وكذلك النهي عما يَنهى ليس يَنهى[٢] لخوفِ مضرةٍ تَلحقه ولكن للضرر يَلحقهم ولآفةٍ تتوجه إليهم. يخبر عز وجل عن غِناه عمّا يأمر خَلْقَه في طاعته[٣] وعبادته وتوجيه الشكر إليه. والحميد هو الذي لا يَلحقه الذمّ في فعله. يقول -والله أعلم- إنهم إن يكفروا[٤] وكان عَلِمَ منهم أنهم يكفرون فعِلمُه[٥] بذلك لا يجعله في إنشائهم مذمومًا. *والله أعلم*.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ألم يأتكم نبأ الذين مِن قبلكم قومِ نوح**، الآية، يشبه[٦] أن يكون الخطاب[٧] لأهل الإيمان منهم والرسل. خاطبهم عز وجل تصبيرًا منه لهم[٨] وتنبيهًا على تكذيب الكفرة إياهم وأذاهم واستهزائهم بهم،[٩] فقال: **ألم يأتكم نبأ الذين مِن قبلكم**، أي قد أتاكم [من] نبأ الذين مِن قبلكم ما فيه مَزْجَر لكم[١٠] عن مِثل مُعاملتهم الرسول. وهو ما ذكره: وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ،[١١] أنه ماذا نزل[١٢] بهم بتكذيبهم الرسل والاستهزاء بأتباعهم. يَذكُر[١٣] هذا لهم[١٤] لِيَهُون ذلك عليهم ولِيَخِفّ؛

---

[١] م: والحوائج.
[٢] ن - ليس ينهى؛ ع: نهى.
[٣] ك: من طاعته.
[٤] ن ع م: وإن كفروا.
[٥] ن: فعله.
[٦] ك ع: ويشبه.
[٧] ك - الخطاب.
[٨] ع م - منه لهم. لهم: أي للرسل.
[٩] ك: به.
[١٠] أي لأهل الإيمان.
[١١] سورة القمر، ٥٤/٤.
[١٢] ع م: ما نزل.
[١٣] ك: يذكرهم.
[١٤] أي للرسل.

لأنّ مَن عَلِم أنّ له شركاء فيما بُلِيَ به وامتُحِن كان ذلك عليه أهون[1] وأخفّ مِن أن يكون هو
[٣٨٣ظ] المخصوص به.[2] ويحتمل أن يكون الخطاب[3] / لأهل الكفر[4] منهم، يقول: **ألم يأتكم نبأ الذين مِن قبلكم**، أي قد أتاكم خبر الذين مِن قبلكم أنه[5] ماذا نزل[6] بهم بتكذيبهم الرسل واستهزائهم بأتباعهم، فينزل بكم[7] ما نزل بهم؛ لأن الذي أنزل ذلك[8] عليهم حي قادر على إنزال مثله، فيَخرُج ذلك مَخرج التوقُّع[9] والتوبيخ[10] والتعيير[11] والوعيد لِيَحذروا عن صنيع أولئك. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **لا يَعلمهم إلا الله**، فيه دلالة أنّ تكلُّف معرفة الأنساب[12] وحفظها إلى آدم شُغل وتكلُّف؛ لأنه أخبر أنّ فيهم مَن لا يَعلمه إلا الله. ورُوي في الخبر أنه[13] كان ينسب إلى مُضَر[14] ولا ينسب إلى أكثر من ذلك.[15] قال أبو بكر الأصم: قوله: **لا يَعلمهم إلا الله**، يُكذّب مَن ادّعى معرفة الأنساب المتقدمة؛ لأنه قال: **لا يَعلمهم إلا الله**،[16] وقد أخبر أيضًا أنه لم يَقُصّ[17] عليه خبر الكل بقوله: مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ،[18] فمِن البعيد أن يُتكلَّف تعرُّفُ ما لم يَقصّ على رسوله. ***والله أعلم.***

---

[1] ك: ذلك أهون عليه.
[2] ن ع م: فيه.
[3] ع – الخطاب.
[4] ع: لأهل الخطاب.
[5] ع – أنه.
[6] ك ن م: أنزل.
[7] ك – خبر الذين من قبلكم أنه ماذا أنزل بهم بتكذيبهم الرسل واستهزائهم بأتباعهم فينزل بكم.
[8] ع: إليك.
[9] ن ع م – التوقع.
[10] ن ع م: التوبيخ.
[11] ن ع: والتغيير.
[12] م: الأسباب.
[13] أي النبي صلى الله عليه وسلم.
[14] ن: إلى مضمر.
[15] لم أجده هكذا. لكن مُضَر هو أب للكثير من القبائل العربية، ومنها قريش. وذُكر أنه كان مؤمنا على دين إبراهيم عليه السلام. وهو مُضَر بن نِزَار بن معد بن عدنان، والنسب ما بين عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام مختلف فيه. وأمّا مِن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدنان فمتفق عليه. انظر: *فتح الباري* لابن حجر، ٦/٥٢٨–٥٢٩. وأخرج أبو عُبَيْد وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون. وأخرج أبو عُبَيْد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عروة بن الزبير قال: ما وجدنا أحدا يعرف ما وراء معد بن عدنان. انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ١٠/٥.
[16] ك – يكذب من ادعى معرفة الأنساب المتقدمة لأنه قال لا يعلمهم إلا الله.
[17] ع: لم يقض.
[18] ن + الآية. ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قَصَصْنا عليك ومنهم من لم نَقْصُصْ عليك﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧٨).

وقوله عز وجل: **جاءتهم رسلهم بالبينات**، قيل: البينات بينات على وحدانية الله وألوهيته. ويحتمل الحجج التي أَتَوْا بها الرسل على إثبات الرسالة والنبوة. وقال بعضهم: البينات ما يَتّقون وما يَأتُون وما يَحِلّ عليهم وما يَحْرُم.

وقوله عز وجل: **فرَدُّوا أيديَهم في أفواههم**، يحتمل أن يكون هذا على التمثيل والكناية عن التكذيب وترك الإجابة؛ لأن ردّ الأيدي في أفواههم يمنعهم عن التصديق، كقوله: كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ،[١] الآية، إذا ترك إجابته، وقوله: يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ،[٢] وأمثاله. ويشبه أن يكون على تحقيق جعل الأيدي في أفواههم. ثم يخرج على وجهين. أحدهما رَدُّوا **أيديَهم في أفواههم**، في أفواه[٣] الرسل، فيقولون: إنكم كَذَبَة. ويحتمل ردّ الأيدي في أفواه أنفسهم، يُصَوِّتُون ويستهزءون بهم وبأتباعهم، كقوله: وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ،[٤] الآية. وقد ذكرنا معناه في موضعه. فعلى ذلك هذا يحتمل ذلك.[٥] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وقالوا إنّا كفرنا بما أُرسِلتم به**، الآية[٦] يحتمل قوله: **بما أُرسِلتم به**، التوحيد، لأنهم أُرسِلُوا بالدعاء إلى توحيد الله والعبادة له. يدل على[٧] ذلك قولهم: **وإنّا لَفِي شكّ مما تدعوننا إليه مُرِيب**، وقولُ الرسل: أَفِي اللهِ شَكٌّ،[٨] الآية.[٩] ويحتمل قوله: **إنّا كفرنا بما أُرسِلتم به**، من إثبات الرسالة وإقامة الحجة عليها، **وإنّا لَفِي شكّ مما تدعوننا إليه**، من التصديق بالرسالة والنبوة، **مُرِيب**. هذا يدل أنهم كانوا على شكّ مما يعبدون من الأوثان والأصنام؛ لأنه[١٠] لو كان لهم بيان في ذلك وحجة ودعاء إليه لكانوا لا يقولون: **وإنّا لَفِي شكّ مما تدعوننا إليه مُرِيب**، ولكن كانوا يَقطعون فيه القول، فدل أنهم كانوا على شكّ ورَيْب في عبادتهم الأصنام والأوثان التي عبدوها.

---

[١] ﴿له دعوة الحق والذين يَدْعُون مِن دونه لا يَستجيبون لهم بشيء إلا كباسطِ كَفَّيْه إلى الماء لِيَبْلُغَ فاه وما هو بِبالِغِه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (سورة الرعد، ١٣/١٤).

[٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يَرُدُّوكم على أعقابكم فتَنقَلِبُوا خاسرين﴾ (سورة آل عمران، ٣/١٤٩).

[٣] ع: في أفوه.

[٤] ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكَاءً وتَصْدِيَةً﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٥).

[٥] ع م – هذا يحتمل ذلك.

[٦] ع – الآية؛ ع + وقد ذكرنا معناه.

[٧] ن ع – على.

[٨] الآية التالية.

[٩] م – يحتمل قوله بما أرسلتم به التوحيد لأنهم أرسلوا بالدعاء إلى توحيد الله والعبادة له يدل على ذلك قولهم وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب وقول الرسل أفي الله شك الآية.

[١٠] ك: لأنهم.

ثم الشك والريب قال بعضهم: هما سواء. وقال بعضهم: الشك هو الشك المعروف، والرَّيْب هو النهاية في الشك.[1]

وقال[2] بعض أهل التأويل في قوله تعالى: **فرَدُّوا أيديَهم في أفواههم**، أي عَضُّوا[3] على أصابعهم غَيْظًا على ما دُعُوا. وقال بعضهم: رَدُّوا عليهم قولهم وكذَّبوهم،[4] وهو ما ذكرنا بَدْءً. وقال [بعضهم:] رَدُّوا عليهم بأفواههم.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [١٠]

وقوله عز وجل: **قالت رسلهم أفي الله شك**، أي أفي ألوهية[5] الله شك، أو في[6] عبادة الله شك، أي ليس في ألوهيته ولا في عبادته شك؛ إذ تُقِرّون[7] أنتم أنه إله وأنه معبود، وكذلك أَقَرّ آباؤكم أنه إله وأنه معبود، فليس في ألوهيته ولا في عبادته شك. إنما كان الشك في عبادة[8] مَن تعبدون دونه من الأوثان والأصنام وألوهيتها؛ لأن آباءكم أقروا بألوهية[9] الله وأنه معبود حيث قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[10] وقالوا:[11] هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ،[12] وأَقَرُّوا أنه خالق السماوات والأرض وفاطر[13] جميع ما فيهما بقوله:[14] وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ،[15]

[1] ك + والريب قال بعضهم هما سواء وقال بعضهم الشك هو الشك المعروف والريب هو النهاية في الشك.
[2] ع: قال.
[3] ع م: اعضوا.
[4] ك: أو كذبوهم.
[5] ن م: ألوهيته.
[6] م: شك أفي.
[7] ع م: أو تقرون.
[8] ع: في عبادته.
[9] ع: بألوهيته.
[10] سورة الزمر، ٣/٣٩.
[11] م: قالوا.
[12] سورة يونس، ١٨/١٠.
[13] ع م: فاطر.
[14] ك: بقولهم.
[15] سورة لقمان، ٢٥/٣١.

وأن الأصنام التي عبدوها لم[١] تخلق شيئًا. فليس في الله شك عندكم، إنما الشك فيما تعبدون دونه أو في وحدانية الله. أو يقول: **أفي الله شك**،[٢] أنه معبود، أي ليس في الله شك[٣] أنه لم يَزَلْ معبودًا، إنما الشك في الأصنام التي قالوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى، فأما في الله فلا شك أنه لم يزل معبودًا فاطر السماوات والأرض. يشبه أن يكون على الإضمار، أي **أفي الله شك** وقد تُقِرّون أنه فاطر السماوات والأرض وتَعلمون أنه خالقهما. ويحتمل أن يكون على الاحتجاج، أي **أفي الله شك** وهو فاطر السماوات والأرض، أي تَعلمون أنه فاطر السماوات والأرض وتُقِرّون أنه خالقهما.

وقوله عز وجل: **يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم**، هذا يحتمل وجهين. يحتمل ليغفر لكم ذنوبكم[٤] التي كانت لكم في حال الفترة إذا أسلمتم. وفيه دلالة -والله أعلم- أنَّ المَآثم التي كانت لهم في وقت الفترة مأخوذة[٥] عليهم، ثم وعد لهم المغفرة إذا أسلموا.[٦] والثاني وعد المغفرة[٧] والتجاوز لما كان منهم من الافتراء على الله والقول فيه بما لا يليق به إذا أسلموا وتابوا عن ذلك، أي إنكم وإن افتريتم على الله وقلتم فيه ما قلتم وكذّبتم رسله فإذا أسلمتم وتُبتم وصدّقتم رسله غفر لكم ذلك كله. وفيه ذكر لطفه وحسن معاملته خلقه. ويحتمل أيضًا قوله: **يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخرَكم إلى أجل مسمًّى**، جواب ما قالوا: إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا،[٨] يقول: إذا أسلمتم وتُبتم لا تُتَخطَّفون ولكن تبلغون إلى آجالكم / المسمّاة **ويؤخركم إلى أجل مسمًّى**.[٩] [٣٨٤و]

تعلّق[١٠] المعتزلة بظاهر هذه الآية أنّ لكل إنسان أجلين: أجل في حال إذا كان فَعَلَ فِعلَ كذا، وأجل في حال إذا فَعَل كذا. لكن جَعْل الأجلين إنما يكون بجهلٍ في العواقب ممن يَجهل[١١] العواقب،

---

[١] ع - لم.
[٢] ع م + أنه لم يزل.
[٣] ن - أنه معبود أي ليس في الله شك.
[٤] ن + ذنوبكم.
[٥] م: مأخوة.
[٦] ن: أسلم.
[٧] ك: المغفر.
[٨] ع م + ويحتمل أيضا قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم. سورة القصص، ٥٧/٢٨.
[٩] ن + جواب ما قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا.
[١٠] ن ع م: يتعلق.
[١١] ن ع م: من يجهل.

فأمّا الله[1] سبحانه وتعالى هو[2] عالم بما كان ويكون، فلا يحتمل أن يَجعل له أجلين وهو عالم بما يكون، فإنما جَعَلَ[3] أجلَه بالذي عَلِمَ أنه يكون منه في الوقت الذي جَعَل. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **قالوا إنْ أنتم إلا بشرٌ مِثلُنا تريدون أن تَصُدُّونا عما كان يَعبد آباؤنا،** في قولهم تناقض من وجهين. أحدهما أنهم تركوا طاعة رسلهم واتّباعهم لأنهم بشر مثلهم، ثم أطاعوا آباءهم واتّبعوهم في عبادة الأصنام وهم بشر مثلهم،[4] حيث قالوا: **تريدون أن تَصُدُّونا عما كان يَعبد آباؤنا،** فذلك تناقض في القول. والثاني أنهم لم يَرَوا الرسل متبوعين لأنهم[5] بشر، ثم لا يخلو هم بأنفسهم مِن أن يكونوا متبوعين استَتْبَعوا غيرهم مِن[6] دونهم، أو كانوا أتباعًا لغيرهم، حيث قالوا: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[7] فذلك تناقض في القول.

فأْتُونا بسلطان مبين، سألوا الحجة على ما دُعُوا إليه من ألوهية الله تعالى وربوبيته، أو على ما ادَّعَوْا من الرسالة من الله، وفي كل شيءٍ وَقَعَ عليه بصرُهم دلالةُ وحدانيةِ الله وألوهيتِه. لكنهم سألوا ذلك سؤالَ تعنُّت وعناد. وكذلك [الرسل] قد أقاموا الحجج على ما ادَّعَوْا من الرسالة، لكنهم تعاندوا وكابروا في رد ذلك، فسألوا[8] آية وحجة تَضطرّهم وتَقهرهم على ذلك أو[9] يكون عند إتيانها هلاكهم. فأجابهم الرسل فقالوا: وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ،[10] أي ما كان لنا أن نأتيكم بآية يكون[11] بها هلاككم، إنما ذلك إلى الله إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل.

---

[1] ع م – الله.
[2] ك: فهو.
[3] ك: جعله.
[4] ع م – ثم أطاعوا آبائهم واتبعوهم في عبادة الأصنام وهم بشر مثلهم.
[5] ع م – لأنهم.
[6] ك – من.
[7] سورة الزخرف، ٤٣/٢٣.
[8] جميع النسخ + سؤال.
[9] ع + أن.
[10] الآية التالية.
[11] ع م: تكون.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١١]

وقوله: [**قالت لهم رسلهم**] **إنْ نحن إلا بشر مثلكم**، أي ما نحن إلا بشر مثلكم. فيه دلالة[١] ردّ قول الباطنية؛ لأنهم ينكرون كون الرسالة في جوهر البشرية ويقولون: إنما تكون[٢] الرسالة في جوهر الروحانية. فهم صلوات الله عليهم إنما أجابوا قومهم حيث قالوا لهم: ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا، بقولهم:[٣] **إنْ نحن إلا بشرٌ مثلكم**، لم يَذكروا شيئًا سِوى البشرية، فدل أن قول الباطنية باطل حيث قالوا: **إنْ نحن إلا بشرٌ مثلكم.**

ولكنّ الله يَمُنّ على من يشاء من عباده، فيه دلالة نقض قول المعتزلة؛ لأنهم يقولون: إن الله لا يختص أحدًا بالرسالة إلا من كان منه ما يستحق به الرسالة. وهم صلوات الله عليهم لم يَذكروا سِوى مِنّة الله عليهم. دل أنه يَمُنّ عليهم[٤] ويختصهم لا بشيء من الاستحقاق[٥] يكون منهم من الأعمال ولكن بالمِنّة[٦] والفضل منه عليهم.

وقوله عز وجل: **وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله**، هو ما ذكرنا:[٧] الإذن موضوعه الإباحة، هو مقابل الحَجْر. لكن الإذن المذكور في القرآن ليس كله على وجه واحد، ولكن يتّجه[٨] في كل موضع ويُحمَل[٩] على ما[١٠] يَلِيق به. قال الله تعالى: فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ،[١١] أي بنصر الله، لأن الهزيمة هي موضع النصر، يُحمَل[١٢] عليه. وقال: وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ،[١٣] أي بإنشاء الله، فعلى ذلك الإذن هاهنا، حيث قال: **وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله**،[١٤]

---

[١] ن ع م – فيه دلالة.
[٢] ن ع م: يكون.
[٣] ك ع م: وقولهم؛ ن: وقوله.
[٤] ع – دل أنه يمن عليهم.
[٥] ك ن – من الاستحقاق.
[٦] ك: المنة.
[٧] انظر تفسير الآية من سورة البقرة، ٢١٣/٢؛ وسورة يونس، ١٠٠/١٠؛ وسورة إبراهيم، ١/١٤.
[٨] ع: يجة.
[٩] جميع النسخ: ويحتمل.
[١٠] ن + لا.
[١١] ﴿فهزَمُوهم بإذن الله وقتَلَ داودُ جالوتَ وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء﴾ (سورة البقرة، ٢٥١/٢).
[١٢] ع: يحتمل.
[١٣] سورة آل عمران، ٤٩/٣. وهذا محكي في الآية من كلام عيسى عليه السلام.
[١٤] ك – أي بإنشاء الله فعلى ذلك الإذن هاهنا حيث قال وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله.

أي بإنشاء الله السلطانَ وإجرائِه على أيدينا. ويُحمَل[1] الإذن المذكور في القرآن على ما يَصلُح ويَلِيق بما تقدم ذكره. ويحتمل الإذن هاهنا الأمر، أي[2] بأمر الله نأتي،[3] أي إن أمرنا الله بذلك نأتي به.

وقوله عز وجل: **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، يشبه أن يكون ذكر هذا على إثر وعيد وأذًى كان منهم إليهم، فقالوا: على الله يَتَّكِل ويعتمد المؤمنون في دفع وعيدكم وأذاكم. وقوله: **وعلى الله فليتوكل المؤمنون**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما على الأمر، أي على الله توكّلوا أيها المؤمنون في جميع ما يتوعّدكم[4] أهل الكفر وفي جميع أموركم. ويحتمل على الإخبار عن صنيع المؤمنين أنهم إنما يتوكّلون على الله، وعليه[5] يعتمدون[6] في جميع أمورهم، ومنه يَرَوْن كل خير وبِرّ، لا بالأسباب التي لهم ولا يَرَوْن [حصولها] منها. وأمّا أهل الكفر فإنما يتوكّلون ويعتمدون على الأسباب،[7] ومنها يَرَوْن كل سَعَة وخير. **والله أعلم**.

﴿وَمَا لَنَا أَنْ لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وما لنا أن لا نتوكلَ على الله**، كأنّ هذا يخرج على إثر جواب كان منهم لَمّا قال الرسل: وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ،[8] فأجابوهم بحرف، فعند ذلك قال الرسل: **وما لنا أن لا نتوكلَ على الله**، لكنه لم يذكر ما كان منهم، ولكن ذكر جواب الرسل لهم: **وما لنا أن لا نتوكل على الله**.

وقد هَدانا سبلَنا، قال بعضهم: وقد بيّن لنا سلوك سبلنا. وعندنا قوله: **وقد هَدانا**، أي وَفَّق لنا السلوك في السبل التي علينا أن نَسلكها وأكرم لنا ذلك. أي ما لنا أن[9] لا نتوكل[10] عليه في النصر والظفر عليكم

---

[1] ع م: ويحتمل.
[2] ع – أي.
[3] ن ع: يأتي.
[4] ن ع م: ما يوعدكم.
[5] ن ع م: وبه.
[6] ك: على الله ويعتمدون به.
[7] جميع النسخ: بالأسباب.
[8] الآية السابقة.
[9] ع – أن.
[10] م: ما لنا ألا نتوكل.

وقد وَفّقنا وأكرمنا السلوكَ في السبل التي علينا سلوكها، وذلك أعسر من القيام للأعداء والنصر بهم. وقد أكرمنا ما هو أعسر وأعظم، فأنْ ينصرَنا أولى. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ولنَصبرنَّ على ما آذيتمونا**، يحتمل أن يكون هذا قبل أن يؤمَروا[١] بالقيام / لهم والاستنصار منهم، أُمِروا بالصبر على أذاهم، فقالوا: **ولنَصبرنَّ على ما آذيتمونا**. [٣٨٤ظ]

ويشبه أن يكون قوله: **وما لنا أن لا نتوكلَ على الله**، أنهم قالوا ذلك لما كان أهل الكفر في كثرة وكان أهل الإسلام وأتباع الرسل في قلة، يَستقِلّون أهل الإسلام ويُعاتِبون على ذلك، فقالوا عند ذلك: وما كان لنا أن لا نتوكل على الله بالنصر[٢] على أعدائنا والغَلَبَة عليهم وقد أكرمنا بما ذكر.

وقوله عز وجل: **وعلى الله فليتوكل المتوكلون**، كأنه يخرج على الأمر، أي على الله فتوكلوا لا تتوكلوا على[٣] غيره. ويشبه أن يكون على الخبر، أي لا يتوكل المؤمن إلا على الله، لا يتوكل على غيره، كقول الرسول حيث قال: إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ،[٤] الآية، وهو قول هود وقول المؤمنين: عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا،[٥] الآية، ونحوه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وقال الذين كفروا لرسلهم لَنُخرجنكم من أرضنا**، الإخراج يحتمل وجوها ثلاثة. أحدها على حقيقة الإخراج من البلد إلى غيره من البلدان والأَرَضِين. ويحتمل الإخراج الحبس،[٦] أي لَتَحبسنّكم عن الانتفاع[٧] بالبلد وبأهله وبما فيه. ويحتمل الإخراج القتل، أي لَنَقتلنّكم.[٨] وقد كان أهل الكفر يُوعِدون ويخوّفون الرسل وأتباعهم بهذه الوجوه[٩] الثلاثة،

---

[١] ن ع م: أن يأمروا.
[٢] ن ع + لنا.
[٣] م – على.
[٤] ﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ (سورة هود، ٥٦/١١).
[٥] ﴿على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ (سورة الأعراف، ٨٩/٧).
[٦] ك ن ع + لنخرجنكم؛ ع: الجنس.
[٧] ك + بها.
[٨] ك ع م: نقتلكم؛ ن: نقتلنكم.
[٩] ك ع م – الوجوه.

كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[١] الآية، ونحوه. ثم في وعيدهم الذي أوعدوا الرسل[٢] وجوهٌ[٣] ثلاثة حيث تجاسروا [على] الإقبال[٤] [على] الرسل بمثل هذا الوعيد[٥] ومع الرسل آيات وحُجج. أحدها أنهم رأَوْا أنفسهم مسلَّطين على أولئك قاهرين عليهم وكانوا أهل كبر وتجبُّر.[٦] ألا ترى أنه قال: وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ.[٧] دل هذا أنهم كانوا رأَوْا أنفسهم كما ذكرنا أهل تسليط وتجبُّر.

والثاني قالوا ذلك لهم لِما لم يكن عندهم ما يَدفعون حُجج الرسل وبراهينهم، فهَمُّوا بقتلهم[٨] وإخراجهم لعجزهم[٩] عن دفع ما ألزمهم الرسل. وهكذا الأمر المتعارَف بين الخَلْق أنّ الخصم لا يقصد إهلاك خصمه ما دام له الوصول[١٠] إلى الحِجاج، فإذا عجز عن ذلك فعند ذلك يَهُمّ بقتله ويقصد[١١] إهلاكه.

والثالث جواب الرسل إياهم عند القول السيىء[١٢] بالقول الذي ليس فوقه أحسن منه.

وقوله عز وجل: **أو لَتَعُودُنَّ في ملتنا**، الملة الدين، كقوله: «لا يَتَوَارَثُ أهلُ مِلَّتَين»،[١٣] وقوله: مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا،[١٤] أي دين إبراهيم. وقوله: **لَتَعُودُنَّ**، ليس أنهم كانوا فيها فتركوها،[١٥] ولكن على ابتداء الدخول فيها على ما ذكرنا.[١٦]

وقوله عز وجل: **فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين.**

---

[١] ﴿وإذ يَمْكُرُ بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتلوك أو يُخرِجوك ويَمْكُرُون ويَمْكُرُ الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).

[٢] ن: الرسول.

[٣] جميع النسخ: وجوها.

[٤] جميع النسخ: إقبال.

[٥] وعبارة *الشرح* هكذا: «حيث تجاسروا بمثل هذا الوعيد على المشافهة» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤١٧و).

[٦] ع: وتجبر.

[٧] سورة إبراهيم، ١٤/١٥.

[٨] جميع النسخ: قتلهم.

[٩] ع: بعجزهم.

[١٠] ن - الوصول.

[١١] ع: بهم بقتله وبقصده؛ م: وبقصده.

[١٢] ع: السيئ.

[١٣] جميع النسخ: الملتين. وانظر للحديث: سنن *ابن ماجة*، الفرائض ٦؛ وسنن *أبي داود*، الفرائض ١٠؛ وسنن *الترمذي*، الفرائض ١٦.

[١٤] ﴿وقالوا كُونُوا هُودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيمَ حَنِيفًا وما كان مِن المشركين﴾ (سورة البقرة، ٢/١٣٥).

[١٥] ك: وتركوها.

[١٦] انظر تفسير الآية من سورة الأعراف، ٧/٨٨.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[١٤]

ولَنُسْكِنَنَّكم الأرض مِن بَعدهم، وَعَدَ لهم النصرَ والظفرَ عليهم والتمكينَ في أرضهم مع قلة عدد[١] أتباع الرسل وضَعْفِ أبدانهم ومع[٢] كثرة الأعداء وقوة أبدانهم، لِيَعلموا أنهم إنما قالوا ذلك بوحيٍ مِن الله ووَعْدِه إياهم لا مِن حيث أنفسهم. ***والله أعلم***. فكان على ما أخبروا، فكان ذلك مِن آيات رسالتهم.[٣] وما [كان] يَنبغي لهم أن يَطلبوا[٤] مِن الرسل الآيات والحُجج على ما ادَّعَوْا؛ لأنهم لم يَدعوهم إلى طاعة أنفسهم أو عبادتها،[٥] إنما دَعَوْهم[٦] إلى وحدانية الله تعالى وألوهيته وجَعْلِ الطاعة[٧] والعبادة له دون ما عبدوها مِن الأصنام، وذلك في شهادة خِلْقَتِهم وشهادةِ كلِّ خِلْقَةٍ وإنْ لَطُفَ وصَغُر. فلم يحتاجوا[٨] إلى أن يقيموا[٩] البراهين والحُجج على ما ادَّعَوْا[١٠] ودَعَوْهم إليه؛ لكنهم كانوا قومًا معانِدين مكابِرين لا يَقبلون قولهم ولا يصدّقونهم تعنُّتًا منهم وتكبُّرًا، لم يَنظروا في خَلْق الله لِيُدركوا آثار وحدانية الله[١١] وألوهيته، فكُلِّفُوا إقامةَ الحُجج والآيات لئلا يكون لهم مقال واحتجاج وإن لم يكن لهم الاحتجاج. ***والله أعلم***.

وقوله عز و جل: **ذلك لمن خاف مَقامي**، الآية، قوله تعالى: **ذلك**، يحتمل وجوها؛ لأنه قد سبق خصال ثلاث ما يحتمل رجوع هذا الحرف إلى كل واحد[١٢] مِن ذلك. أحدها قوله: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ،[١٣] فيحتمل قوله: **ذلك**، المَنّ والفضل، **لمن خاف مَقامي وخاف وَعيدِ**. وسبق أيضا قوله: وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ،[١٤] أي[١٥] **ذلك**،

---

[١] م: عددهم.
[٢] م: مع.
[٣] ن: رسلهم.
[٤] ك + لهم.
[٥] ع م: أو عبادتهم.
[٦] ن – إنما دعوهم.
[٧] م: الطاعات.
[٨] جميع النسخ: فلم يحتجوا.
[٩] جميع النسخ: إلى أن يقوموا.
[١٠] ع + هم؛ م: ما ادعوهم.
[١١] ك ن ع: وحدانيته.
[١٢] ع: أحد.
[١٣] سورة إبراهيم، ١١/١٤.
[١٤] سورة إبراهيم، ١٢/١٤.
[١٥] م + على.

الهدى والسُّبل التي هدانا إليها، أي **ذلك**، الهدى والهداية، **لمن خاف مَقامي وخاف وَعيدِ.** وسبق أيضا: فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ،[1] الآية، أي **ذلك**، النصر والظفر بهم والتمكين في الأرض، **لمن خاف مَقامي وخاف وَعيدِ.**

ثم[2] قوله: **ذلك لمن خاف مَقامي وخاف وَعيدِ**، قال بعضهم: **خاف مقامي**، في الدنيا والآخرة. وتأويله –والله أعلم– أي خاف سلطاني ونِقْمَتي وعذابي في الدنيا والآخرة، أمّا في الدنيا لِما نَزَلَ بمكذِّبي رُسلِه وأنبيائه، وخاف وعيده[3] وعذابه في الآخرة حيث وعد أنه يَحُلّ بهم بالتكذيب وتَرْكِ الإجابة. وقال[4] بعضهم: **خاف مَقامي**، في الآخرة، وهو كقوله: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ،[5] يخاف ذلك المَقام، وخاف ما وعد من العذاب في النار.

ثم قوله: **مَقامي**، حيث أضاف إليه ليس في الاشتباه[6] بأقلّ مِن قوله: اِسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ،[7] وأقلّ مِن[8] قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ،[9] وقوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ،[10] الآية، وأمثاله.
[٣٨٥و] فكيف اشتَبَهَ هذا على أهل[11] التشبيه و لم يَشْتَبِهْ قوله: **مقامي**، / حيث سألوا في ذلك و لم يَسألوا[12] في هذا، وهذا إن لم يكن أكثر في الاشتباه فليس بأقلّ. والأصل في هذا وأمثاله مِن قوله: إِلَيْهِ الْمَصِيرُ،[13] وإِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ،[14] وَإِلَيْهِ مَآبِ،[15] وَإِلَيْهِ مَتَابِ،[16] ذكر هذا وإن كان الخلائق جميعًا في الدارَين جميعًا[17] يكون مصيرهم ومرجعهم إليه لأنه جلّ وعلا لم يخلقهم للمُقام في الدنيا والدوام فيها،

---

[1] الآية السابقة.
[2] ع – ثم.
[3] ن ع م: وعيد.
[4] ن: قال.
[5] سورة المطففين، ٦/٨٣.
[6] ن: في الاشباه.
[7] سورة الأعراف، ٥٤/٧؛ وسورة يونس، ٣/١٠، وغيرها.
[8] م – على العرش وأقل من.
[9] ﴿وجاء ربك والملك صفًا صفًا﴾ (سورة الفجر، ٢٢/٨٩).
[10] سورة البقرة، ٢١٠/٢.
[11] ع م – أهل.
[12] م – في ذلك و لم يسألوا.
[13] سورة المؤمن، ٣/٤٠.
[14] سورة الأنعام، ٦٠/٦؛ وسورة يونس، ٤/١٠.
[15] سورة الرعد، ٣٦/١٣.
[16] سورة الرعد، ٣٠/١٣.
[17] م – جميعا في الدارين جميعا.

إنما خلقهم للزوال عنها والفناء والمقام في الآخرة والدوام فيها. لكنْ خَلَقَهم في هذه الدنيا[١] لِيَمتحنهم، ويُبْتَلَوْن فيها ثم يَصيرون إلى دار المقام. فالآخرة هي المقصودة[٢] في خَلْقِهم في الدنيا لا الدنيا. فإذا كان[٣] كذلك أضاف المصير إلى نفسه لما هو المقصود في خَلْقِهم وإن[٤] كانوا في الدنيا والآخرة صائرين[٥] إليه غيرَ غائبين عنه طَرْفَةَ عين ولا فائتين. *وبالله النجاة.*

ذَكَرَ الله[٦] عز وجل أنباء الرسل الماضية وأتباعهم وأنباء أعدائهم، وما عامل بعضُهم بعضًا وما نزل بالأعداء بما عاملوا رسلهم مِن العذاب والاستئصال وأنواع البلايا، وما أكرم رسلَه وأتباعهم وأولياءهم مِن النصر على أعدائهم والظفر بهم والتمكين في الأرض، وجَعَلَ ذلك كلَّه كتابًا بالحكمة يُتلَى لِيُعلَم أنْ كيف[٧] يُعامَل[٨] الأعداء والأولياء ولِيُرغَب[٩] فيما استوْجب الأولياء مِن الكرامات ولِيَحذروا عن مثل صنيع الأعداء،[١٠] ولِيَعلموا أنْ كيف عامل الله رسلَه وأولياءه وكيف عامل الرسل ربَّهم. أضاف الرسلُ جميعَ ما نالوا[١١] مِن الخيرات والكرامات إلى الله كأنْ لا صنعَ لهم في ذلك حيث قالوا: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.[١٢] ذكر قوله: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، لِيُعلَم أنّ الخير ليس يكون بالجوهر، ولكن بفضلٍ[١٣] مِن الله وبرحمته، وقوله عز وجل: وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا،[١٤] وأمثاله، أضافوا[١٥] ذلك إليه كأنهم لا صنعَ لهم في ذلك. وذَكَرَ الله[١٦] عز وجل ما أكرم أولياءه ورسلَه مِن النصر والتمكين والإنزال في الديار كأنهم استوْجبوا ذلك بفعلٍ[١٧] كان منهم،

---

[١] م – في هذه الدنيا.
[٢] ع م: المقصود.
[٣] ك: فإذ لكان.
[٤] م – وإن.
[٥] ع م: صابرين.
[٦] ك – الله.
[٧] ع م – أن كيف.
[٨] م: مقابل.
[٩] ع م: ليرغب.
[١٠] ن – والأولياء وليرغب فيما استوجب الأولياء من الكرامات وليحذروا عن مثل صنيع الأعداء.
[١١] م: ما يأتوا.
[١٢] سورة إبراهيم، ١١/١٤.
[١٣] ن: يفضل.
[١٤] الآية السابقة.
[١٥] ع: وأضافوا.
[١٦] ن – الله.
[١٧] م: بفضل.

وهو قوله: **ذلك**، أي ذلك النصر والتمكين وما ذكرنا مِن الوجوه، **لمن خاف مَقامي وخاف وَعيدِ**، ذَكَرَ كأنهم[١] استَوْجبوا ذلك، لا أنْ كان مِن الله ذلك[٢] بحقّ إفضالٍ وامتنانٍ، لِيَعلموا معاملةَ الله رسلَه وأولياءَه ومعاملةَ الرسل والأولياء سيدَهم ومولاهم. *والله أعلم*.

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **واستَفْتَحوا**، يحتمل وجهين. أحدهما الاستنصار، استَنصروا الله على أعدائهم، كقوله: وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا،[٣] أي يستنصرون. والثاني **واستَفتحوا**، أي تحاكموا إلى الله في النصر للأحق منهم والأقرب إلى الحق، كقوله: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا،[٤] الآية،[٥] وهو التحاكم إليه.

وقوله عز وجل: **وخاب كلُّ جبّار عنيد**، هو ما ذكرنا، تحاكموا إلى الله فنَصَر أولياءه وأهلك أعداءه على ما ذُكر أنّ أبا جهل قال: اللهم دينك القديم وأياديك الحسنة، أيّنا كان أحبّ إليك وأقرب مِن الحق[٦] فانصره. فنَصَر المؤمنين وأهلك الأعداء. وقوله: **وخاب كلُّ جبّار عنيد**، أي [من] تجبّر على رسله وأوليائه. والعَنيد قيل: المُعرِض المُجانِب عن الحق والطاعة. وقال بعضهم: الجبّار القاتل على الغضب، والضارب على الغضب.[٧] وهو ما ذكرنا.[٨]

﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **مِن ورائه جهنمُ**، أي مِن وراء عذاب[٩] الدنيا لهم[١٠] جهنم وعذابه. وقوله:[١١] **مِن ورائه جهنمُ**، الوراء قد يُستعمَل[١٢] في أمام وخلف، أي مِن أمام ما حَلّ بهم جهنم. ويحتمل وراء ما أصابهم ما ذكر.

١ ع م: أنهم..

٢ ك: كان ذلك من الله؛ ع م + من الله.

٣ ﴿ولمّا جاءهم كتاب مِن عند الله مُصَدِّقٌ لِمَا معهم وكانوا مِن قبلُ يَستفتِحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عَرَفُوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين﴾ (سورة البقرة، ٨٩/٢).

٤ ﴿ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ (سورة الأعراف، ٨٩/٧).

٥ ك – الآية.

٦ ك: إلى الحق.

٧ ن – والضارب على الغضب.

٨ انظر تفسير الآية من سورة هود، ٥٩/١١.

٩ ع: العذاب.

١٠ م + عذاب.

١١ ك: قوله.

١٢ ن: قد تستعمل.

وقوله عز وجل: **ويُسقَى مِن ماءٍ صَدِيد،** أي يُسقَى في جهنم صَدِيدًا[1] مكانَ ما يُسقَون في الدنيا الماء،[2] وهو الذي يَسِيل مِن القُروح[3] والجروح.[4] جَعَل الله للكافرين[5] في الآخرة مكانَ ما كان لهم في الدنيا لباسًا وشرابًا وطعامًا ما كانت تَكرهه أنفسهم. جَعَل مكانَ ما يُسقَون في الدنيا من الماء في النار الصَّدِيدَ والغِسْلِين[6] والحَمِيم،[7] ومكانَ الطعام في الدنيا في النار الزَّقُّوم[8] والضَّرِيع،[9] ومكانَ اللباس القَطِرَان[10] ونحوه. ومكانَ القَرين والصديق في الدنيا يجعل قَرِينه الشيطان، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ؛[11] إذ[12] ذلك كلّه كان[13] يمنعهم عن دين الله ويصدّهم عن ذكره[14] لِيكون جزاؤهم مِن نوع ما كان يمنعهم في الدنيا عن طاعته. ثم قال بعضهم: إن الصَّدِيد الذي يُسقَون هو أنّ[15] النار تجرحهم وتَقْرَحهم، فيَسِيل مِن ذلك الصَّدِيد فيُسقَون مِن ذلك. وقال[16] بعضهم: لا، ولكن يجعل شرابهم فيها صَدِيدًا كشراب أهل الجنة وطعامهم مِن غير أصل. وقوله: **ويُسقَى مِن ماءٍ صَدِيد،** يحتمل[17] يُسقَى مِن ماءٍ في ظنّهم ماء وهو في الحقيقة صَدِيد. ويحتمل أن يكون في الحقيقة والظاهر صديدًا،[18] لكن يَشربون رجاءَ أنْ يَدفع عطشَهم.

---

[1] ن ع م: صديد.

[2] ك ع م – الماء.

[3] القروح جمع القَرْح والقُرْح، لغتان بمعنى الجرح الحاصل من السلاح ونحوه مما يَجرَح الجسد، وما يَخرُج بالبدن من الجراحات بسبب الأمراض (*لسان العرب* لابن منظور، «قرح»).

[4] ع م – والجروح.

[5] ك ع م: للكافر.

[6] م: في النار الغسلين والصديد. يقول الله تعالى: ﴿ولا طعامٌ إلا مِن غِسْلِين﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/٣٦).

[7] ﴿فشَارِبُون عليه مِن الحَمِيم﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٥٤).

[8] ﴿إنّ شجرةَ الزَّقُّوم. طعامُ الأَثِيم﴾ (سورة الدخان، ٤٤/٤٣-٤٤).

[9] ﴿ليس لهم طعامٌ إلا مِن ضَرِيع﴾ (سورة الغاشية، ٨٨/٦).

[10] ﴿سَرَابِيلُهم مِن قَطِرانٍ وتَغْشَى وجوهَهم النارُ﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٥٠).

[11] سورة الزخرف، ٤٣/٣٦.

[12] ع م: أنه.

[13] ع م – كان.

[14] م: عن ذكر الله.

[15] ن – أن.

[16] ع م: فقال.

[17] ع م: ويحتمل.

[18] ن ع م: صديد.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **يَتَجَرَّعُه**، قال أبو عَوْسَجَة: التجرُّع ما يَشربه مُكرَهًا عليه، **ولا يَكاد يُسِيغُه**، يقال: أَسَغْته، أي أدخلته في الحَلْق.[١] [و]يقال: أَسَغْته فساغ، أي دخل سهلاً مِن غير أن يؤذيه. وكذلك قيل في قوله: سَائِغٌ شَرَابُهُ،[٢] أي سهل في الحَلْق. وساغ[٣] في حَلْقه،[٤] إذا دخل دخولاً سهلاً لا يؤذيه.

[٣٨٥ظ] وقوله[٥] عز وجل: **ويأتيه الموت مِن كل / مكان**، قال قائلون: يأتيهم الغَمّ والهَمّ مِن كل مكان. وكذلك المتعارَف في الخَلْق إذا اشتدّ بهم الغَمّ والهَمّ والشدة يقال: كأنك ميت أو تموت غَمًّا. وقال بعضهم: **ويأتيه الموت**، أي أسباب الموت ما لو كان مِن قضائه الموت فيها لمَاتوا لشدة ما يَحُلّ بهم، ولكن قضاؤه أنْ لا[٦] يموتون فيها. **وما هو بميّت**، موتَ حقيقةٍ يَستريح مِن العذاب. وقوله: **من كل مكان**، قال بعضهم: من كل ناحية، مِن فوق ومِن تحت ومِن خلف ومِن قدّام، كقوله: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ،[٧] وقال: لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ.[٨] أخبر أنّ النار تأتيهم وتأخذهم مِن كل جانب ومِن كل جهة. ويحتمل **من كل مكان**، أي مِن كل سبب مِن تلك الأسباب التي تأتيهم ما لو كان قضاؤه الموت لمَاتوا بكل سبب مِن تلك الأسباب. وقال بعضهم: أي ليس مِن موضعٍ مِن جسده ومِن سائر جوارحه[٩] إلا الموت يأتيه منها مِن شدّة ما يَحُلّ بهم حتى يجدوا طَعْمَ الموت وكَرْبَه.[١٠]

وقوله: **ومِن ورائه**، أي مِن وراء[١١] ذلك العذاب، **عذابٌ غليظ**، لا ينقطع ولا يَفْتُر. وَصَفَه بالغِلَظ والشدة لِدوامه والإياس عن انقطاعه. ***والله أعلم***.[١٢]

---

[١] ع: في الحق.

[٢] سورة فاطر، ١٢/٣٥.

[٣] ع م – أي دخل سهلا من غير أن يؤذيه وكذلك قيل في قوله سائغ شرابه أي سهل في الحلق وساغ.

[٤] ع: في خلقه.

[٥] ن: قوله.

[٦] ع م: أي لا.

[٧] سورة الزمر، ١٦/٣٩.

[٨] سورة الأعراف، ٤١/٧.

[٩] ع: خوارجه.

[١٠] ك: وكرمه.

[١١] ك: ومن وراء.

[١٢] ن – والله أعلم.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **مَثَلُ الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ**، هو[١] -والله أعلم- على التقديم والتأخير،[٢] أي مَثَلُ أعمالِ[٣] الذين كفروا بربهم **كرمادٍ اشتدّت به الريح**. ثم يحتمل[٤] **أعمالهم**، الأعمال التي كانت لهم في حال إيمانهم ثم كفروا، [و]ما أحدثوا[٥] مِن الكفر أَبْطَلَ[٦] الأعمالَ الصالحة في الإيمان، وهو ما ذكر: وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ.[٧] أو يكون [**أعمالهم**] محاسنهم التي كانت لهم في حال الكفر طَمِعوا أن يَنتفعوا بتلك المحاسن في الآخرة، فما انتفعوا بها،فصارت كالرماد الذي تَذْرُوه الريح[٨] الشديدة، لم يَنتفع صاحب ذلك الرماد به بعد ما عَمِلَت به الريح ما عَمِلَت. فعلى ذلك الأعمال الصالحة التي عَمِلُوها في حال كفرهم أو أعمالهم[٩] الصالحة التي كانت لهم في حال الإيمان ثم أحدثوا الكفر لا ينتفعون بها. وقال في آية أخرى: أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ،[١٠] فيشبه أن يكون هذا في أعمالهم السيئة في أنفسها فرأَوْها صالحة حسنة، كقوله: سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا.[١١] فيُشَبِّه[١٢] ما كان في نفسه سَيِّئًا[١٣] بالسراب[١٤] لأنه لا شيءَ هنالك، إنما يَرَى خيالاً، فعلى ذلك أعمالهم السيئة في أنفسها فرأَوْها حسنة صالحة وما كانت[١٥] [كذلك]. وما شَبَّهه بالرماد فهي أعمال صالحة[١٦] في أنفسها[١٧] لكن الكفر أَبْطَلَها.

---

[١] ك: وهو.
[٢] ن ع م - والتأخير.
[٣] ك: أعمالهم.
[٤] ك: تحتمل.
[٥] ع م: بما أحدثوا.
[٦] جميع النسخ + ذلك؛ ن ع: بطل.
[٧] سورة المائدة، ٥/٥.
[٨] ع: الرياح.
[٩] ك: وأعمالهم.
[١٠] ﴿والذين كفروا أعمالهم كسَرابٍ بِقِيعَةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووَجَدَ اللهَ عنده فوَفّاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (سورة النور، ٣٩/٢٤).
[١١] ﴿أفمَن زُيِّنَ له سُوءُ عمله فرآه حَسَنا فإنّ الله يُضِلّ مَن يشاء ويَهدي مَن يشاء فلا تَذْهَبْ نفسُك عليهم حَسَرات إنّ الله عليم بما يَصنعون﴾ (سورة فاطر، ٨/٣٥).
[١٢] ك: فشبه.
[١٣] ن: شيا؛ م: سببا.
[١٤] ن - بالسراب.
[١٥] جميع النسخ: كان.
[١٦] ع م: الصالحة.
[١٧] ع: في نفسها.

وقوله عز وجل: **في يومٍ عاصف**، اليوم لا يكون عاصفًا، ولكن على الإضمار كأنه قال: في يومٍ فيه ريحٌ عاصف،[1] كقوله: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[2] النهار لا يُبصِر ولكن يُبصَر فيه أو يُبصَر به. والعاصف قيل: هو القاصف الكاسر الذي يكسر الأشياء. أو يكون قوله: **اشتدّت به الريح،**[3] والعاصف[4] حرفين[5] يؤدّيان جميعا معنى واحدا.[6]

وقوله عز وجل: **لا يَقدِرون مما كسبوا على شيء**، كالرماد الذي ذكرنا أنّ صاحبَه لا يَقدِر عليه[7] بعد ما عَمِلَت به الريحُ وذَرَتْه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **ذلك هو الضلال البعيد**، يحتمل **ذلك**، الكفر، **هو الضلال البعيد**، لا نجاة فيه أبدًا. أو **ذلك**،[8] الكفر[9] الذي أتَوْا به بعيد عن الحق. ***والله أعلم***.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **ألم تَرَ أنّ الله خلق السماوات والأرض، ألم تَرَ**، حرف تنبيه عن عجيبٍ بَلَغَه وعَلِمَ به [لكن] غَفَلَ عنه، أو نقول:[10] حرف تنبيه عن عجيب لم يَبلغه بَعدُ ولم يَعلم به. على هذين[11] الوجهين يشبه أن يكون. ***والله أعلم***.

وقوله[12] عز وجل: **خلق السماوات والأرض بالحق**، قال عامة أهل التأويل: **بالحق**، أي للحق. وتأويل قولهم -والله أعلم- للحق، أي للكائن[13] لا محالة، وهي الآخرة؛ لأنه خَلَقَ العالم الأول للعالم الثاني، والمقصود في خَلْق[14] هذا العالم هو العالم[15] الثاني.

---

[1] ك – اليوم لا يكون عاصفا ولكن على الإضمار كأنه قال في يوم فيه ريح عاصف.
[2] ﴿هو الذي جَعَلَ لكم الليلَ لِتَسْكُنُوا فيه والنهارَ مُبصِرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).
[3] م + والقاصف.
[4] ك ن ع + والقاصف؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٨و.
[5] جميع النسخ: حرفان.
[6] ع: واحد.
[7] جميع النسخ: به.
[8] ك: وذلك.
[9] ع م – الكفر.
[10] ك ن: أو يقول؛ ع: أو تقول.
[11] ع م: على هذا.
[12] ن: قوله.
[13] ن ع م: للكافرين.
[14] ك – خلق.
[15] ع – هو العالم.

فكان خَلْقُهما[١] للثاني لا للأول؛ لأنه لو كان للأول[٢] دون الثاني يَحصل خَلْقُهما للفناء، وذلك[٣] خارج عن الحكمة، وهو ما قال: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ.[٤] وقال قائلون: للحق الذي وَجَبَ له عليهم بالامتحان والابتلاء، خَلَقَهما للشهادة له على الممتحَن. أو يقول:[٥] خَلَقَهما **بالحق**، أي بالحكمة.

وقوله: **أن الله خلق السماوات والأرض بالحق**، إن كان الخطاب به لرسول الله فيَصِير كأنه قال: قد[٦] رأيتَ وعلمتَ أنّ الله خالق السماوات والأرض بالحق. وإن كان الخطاب به لغيره من أولئك يقول: اعلموا أنّ الله خلق السماوات والأرض بالحق، لم يَخلقهما[٧] عبثًا باطلاً.

وقوله عز وجل: **إن يَشأْ يُذهِبْكم ويأتِ بخَلْقٍ جديد**، قال بعض أهل التأويل: هذه المخاطبة يخاطِب بها أهلَ مكة، يَذكُر قدرتَه وسلطانَه على بَعثِهم بعد الموت والهلاكِ، [أي] يَقدِر على إذهابكم وإهلاككم ويَقدِر أيضًا أن يأتي بغيركم، فعلى ذلك يَقدِر على بَعثِكم بعد مماتكم.

﴿**وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ**﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **وما ذلك على الله بعزيز**، قال أهل التأويل: أي عليه هَيِّن يَسِير. ولكن عندنا -والله أعلم- **وما ذلك**، أي ذهابكم وفناؤكم[٨] ليس بشديد عليه ولا شاق، ليس كملوك الأرض إذا ذهب[٩] شيء مِن مملكتهم[١٠] يشتدّ ذلك عليهم. فأمّا الله سبحانه وتعالى لا يَزيد الخَلْقُ في سلطانه ولا في ملكه ولا يَنقُص فناؤهم وذهابهم منه شيئا. كقوله: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ،[١١] أي أَشِدَّاء[١٢] عليهم، وهو / ما وصفهم عز وجل: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ،[١٣] [٣٨٦و]

---

[١] م: خلقها.

[٢] ع م - لأنه لو كان للأول.

[٣] ن - وذلك.

[٤] سورة المؤمنون، ١١٥/٢٣.

[٥] ع: أو تقول؛ م: أو نقول.

[٦] م - قد.

[٧] م: لم يخلقها.

[٨] جميع النسخ + عليه.

[٩] ع م - ذهب.

[١٠] م - من مملكتكم.

[١١] ﴿يا أيها الذين آمنوا مَن يَرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أَذِلَّةٍ على المؤمنين أَعِزَّةٍ على الكافرين﴾ (سورة المائدة، ٥٤/٥).

[١٢] جميع النسخ: شديد.

[١٣] ﴿محمد رسول الله والذين معه أَشِدَّاءُ على الكُفَّار رُحَمَاءُ بينهم﴾ (سورة الفتح، ٢٩/٤٨).

ذَكَرَ مكانَ الشدة العزة[1] ومكانَ الذلة هاهنا الرحمة. أو أن يكون قوله: **وما ذلك على الله بعزيز**، أي ما بَعْثُكم وإحياؤكم بعد الممات على الله بشاق ولا شديد.

﴿وَبَرَزُوا لِلهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [٢١]

وقوله عز وجل: **وبَرَزُوا لله جميعا**، قال مُقاتِل: خرجوا إلى الله مِن قبورهم جميعا. وقال: **جميعا**، لأنه لا يُغادر أحدٌ إلا بُعِث.[2] ويحتمل وجوها أُخرَ سِوى ذلك. وهو أنّ قوله: **وبَرَزُوا لله**، أي لأمر الله أو لوعده[3] الذي وعد أنهم يُبعَثون. أو بَرَزُوا لِحُكم[4] الله يَحكُم في بعثهم. **وبَرَزُوا**، أي ظَهَرُوا[5] له[6] ووُجِدُوا، فيكونون له[7] موجودين ظاهرين بعد أن كانوا فائتين ذاهبين غائبين. أي عندهم في الدنيا أنهم كانوا[8] فائتين غائبين عن الله، فيومئذ يَعلمون أنه كان لا يَخفَى عليه شيء مِن أفعالهم وأحوالهم. وهو ما ذكرنا في قوله: لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ،[9] وقوله: حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ،[10] وأمثاله أنْ يَعلمهم[11] مجاهدين صابرين كما عَلِمَهم غيرَ مجاهدين وغيرَ صابرين. وكقوله: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،[12] يَعلمهم[13] شُهُودًا كما عَلِمَهم غَيْبًا. فعلى ذلك قوله: **وبَرَزُوا لله جميعا**، أي يكونون له موجودين ظاهرين.[14] ***والله أعلم***.

---

[1] ك ن: مكان العزة الشدة.
[2] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٢/٤٠٢.
[3] ع م: أي لوعده.
[4] جميع النسخ: أو يريد الحكم؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٨و.
[5] م: أظهروا.
[6] جميع النسخ: به.
[7] ك ن: به؛ ع م - له.
[8] ن ع م - كانوا.
[9] ﴿يا أيها الذين آمنوا لَيَبلُوَنَّكم اللهُ بشيء مِن الصيد تَنالُه أيديكم ورِماحُكم لِيَعلمَ اللهُ مَن يَخافه بالغيب﴾ (سورة المائدة، ٥/٩٤).
[10] ﴿ولَنَبْلُوَنَّكم حتى نَعلمَ المجاهدين منكم والصابرين ونَبْلُوَ أخبارَكم﴾ (سورة محمد، ٤٧/٣١).
[11] ع: أي يعلمهم.
[12] سورة الأنعام، ٦/٧٣؛ وسورة الرعد، ١٣/٩؛ وغيرها.
[13] ع م: ويعلمهم.
[14] ك: له ظاهرين موجودين.

وإضافة البُرُوز إليه في الآخرة وإن كان بُرُوزُهم له في الدارَين جميعا وكذلك مِن المصير إليه[١] والمرجع إليه[٢] والمآب[٣] ونحوه فهو -والله أعلم- لِما لا يُنازِع أحد في البُرُوز في ذلك اليوم وقد يُنازِعونه في الدنيا. أو خصّ ذلك البُرُوز بالإضافة إليه[٤] لِما هو المقصود مِن إنشائه إياهم وخَلْقِهم، ليس المقصود في خَلْقِهم وإنشائهم الأول ولكن الآخر، فخصّ ذلك بالإضافة إليه. *والله أعلم*.

وقوله: **وبَرَزُوا لله جميعا**، أي يومئذ يَعلمون أنه كان لا يَخفَى عليه شيء، وكأنهم لم يكونوا يَعلمون قبل[٥] ذلك.

وقوله عز وجل: **فقال الضعفاء للذين استَكْبَروا إنّا كُنا لكم تَبَعًا فهل أنتم مُغْنُون عنا مِن عذاب الله مِن شيء**، قال قائلون: قوله: **فهل أنتم مُغْنُون عنا**، أي دافعون عنا[٦] عذابَ الله إذ كنّا لكم أتباعًا[٧] وأنتم متبوعين، فادفعوا عنّا ذلك. لكن هذا بعيد أنْ يَطلبوا منهم دَفْعَ العذاب عنهم وقد رأَوْهم[٨] في العذاب، فلو قَدَرُوا على دَفعِ ذلك[٩] عنهم[١٠] لَدَفَعُوا أولًا عن أنفسهم إلا أن يكون فيهم حيرة وعَمًى كما كان في الدنيا، فللحيرة ما قالوا، كقوله: وَمَنْ كَانَ فِي هٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى.[١١] والأشبه أنهم يَطلبون عنهم رفعَ بعضٍ[١٢] العذاب عنهم[١٣] وتَحَمُّلَ بعضٍ؛ لأن مؤنة الأتباع في العُرْف يتحمّلها المتبوع، فيَطلبون منهم رفعَ شيءٍ وتَحَمُّلَ بعضِ ما حَلَّ بهم. وهو ما ذكر في آية أخرى:[١٤] فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ،[١٥] طلبوا منهم تحمُّلَ بعضِ ما حَلَّ بهم.

---

[١] انظر مثلا: سورة المؤمن، ٣/٤٠.
[٢] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٦٠/٦؛ وسورة يونس، ٤/١٠.
[٣] انظر مثلا: سورة الرعد، ٣٦/١٣.
[٤] ع م - إليه.
[٥] م: وقيل.
[٦] م + من.
[٧] م: تبعا.
[٨] ع م: رأوا هم.
[٩] ع م - ذلك.
[١٠] ك: عليهم.
[١١] سورة الإسراء، ٧٢/١٧.
[١٢] م - بعض.
[١٣] م - عنهم.
[١٤] م: في الآية الأخرى.
[١٥] ﴿وإذ يَتَحاجُّون في النار فيَقول الضعفاء للذين استَكْبَروا إنّا كُنّا لكم تَبَعًا فهل أنتم مُغْنُونَ عنا نصيبًا مِن النار﴾ (سورة المؤمن، ٤٧/٤٠).

وقوله عز وجل: **قالوا لو هدانا الله لهَديناكم**، قال بعض أهل العلم: إن الكفرة جميعًا أتباعهم ومتبوعَهم أعلمُ بهداية الله من المعتزلة؛ لأنهم قالوا: **لو هدانا الله لهَديناكم**،[1] عَلِمُوا أنّ الله عز وجل لو هداهم لاهْتَدَوْا ويملك هدايتَهم، والمعتزلة يقولون: قد هَدَى الله جميع الكفرة وجميعَ الخلائق فلم يَهتدوا، وإنه لو أراد أن يَهدي أحدًا لم يملك. والكفرة حيث قالوا: **لو هدانا الله لهَديناكم**، رأَوْا وعَلِمُوا أنّ الله لو هداهم لاهْتَدَوْا؛ لأنهم لو لم يَهتدوا بهدايته إذا هداهم[2] لم يَعتذِروا إلى أتباعهم [بقولهم]: **لهَديناكم**. وكذلك[3] قال[4] إبليس: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي،[5] أضاف الإغواء إليه، وهم[6] يقولون:[7] لا يُغْوِي الله أحدًا، فإبليس أعلم بهذا[8] من المعتزلة.

وقولهم: **لو هدانا الله**، أي لو رزقنا الله الهدى وأكرمنا[9] به، **لهَديناكم**، ولكن لم يرزقنا ذلك ولم يكرمنا. وقال أبو بكر الأصم: تأويل قولهم: **لو هدانا الله لهَديناكم**، لو كان الذي كنّا عليه هُدًى لهَديناكم. فهذا صَرْفُ ظاهرِ[10] الآية عن وجهها بلا دليل، فلو جاز له هذا[11] جاز لِغيره صَرْفُ جميعِ الآيات عن ظاهرها بلا دليل، مع ما[12] أنّ الأتباع قد عَلِمُوا أنّ الذي كانوا عليه لم يكن هُدًى، فلا معنى لهذا.

وقوله عز وجل: **سواءٌ علينا أَجَزِعْنا أم صبرنا ما لنا مِن مَحِيص**، قال أهل التأويل: إنهم قالوا فيما بينهم: تَعالَوْا حتى نَجْزَع لعلّ الله يرحمُنا، فجَزِعُوا حِينًا فلم يُرحَموا، ثم قالوا: تَعالَوْا نَصبِر لعلّ الله يرحمُنا، فلم يُرحَموا، فعند ذلك قالوا: **سواءٌ علينا أَجَزِعْنا أم صبرنا ما لنا مِن مَحِيص**. لكن لا يحتمل أن يقولوا ذلك بعد الامتحان والاختبار،[13] لكن كأنهم قالوا ذلك بالذي سمعوا،

[1] ن – قال بعض أهل العلم إن الكفرة جميعا أتباعهم ومتبوعهم أعلم بهداية الله من المعتزلة لأنهم قالوا لو هدانا الله لهديناكم.
[2] ع: إذ هداهم.
[3] ع م – وكذلك.
[4] ع م: وقال.
[5] ﴿قال ربِّ بما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لهم في الأرض وَلَأُغْوِيَنَّهم أجمعين﴾ (سورة الحجر، ١٥/٣٩).
[6] ك – وهم.
[7] ك: ويقولون.
[8] ك ن: فإبليس بهذا أعلم.
[9] ع: وأكبر منا.
[10] ع م: هذه.
[11] ع + جاز له هذا.
[12] ن ع م + مع.
[13] ع: والاختيار.

وهو قوله: إِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ،[١] لمّا[٢] سمعوا ذلك عند ذلك قالوا: **سواءٌ علينا أَجَزِعْنا أم صبرنا ما لنا مِن مَحِيص**، أي مَنْجًى ومَخْلَص. لا يحتمل أن يقولوا: **سواءٌ علينا أَجَزِعْنا أم صبرنا ما لنا مِن مَحِيص**، في أول أحوالهم وأمورهم، ولكن يحتمل ما ذَكَرَ أهلُ التأويل أنهم يقولون ذلك عند الإياس.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **وقال الشيطان لمّا قُضِيَ الأمرُ**، قال بعضهم: **قُضِيَ الأمرُ**، أي [إذا] أُدخِل أهلُ[٣] الجنة الجنةَ وأهلُ النار النارَ يقوم إبليس خطيبًا في النار فيخطب[٤] كما ذكر. وقال قائلون: **قُضِيَ الأمرُ**، أي [إذا] مُيِّزَ وبُيِّنَ[٥] أهلُ الجنة مِن أهل النار قبل أن يدخل أهلُ[٦] النار النار وأهل الجنة الجنة قام خطيبًا / فخطب لأتباعه كما ذكر. ويحتمل قوله: [٣٨٦ظ] **لمّا قُضِيَ الأمرُ**، أي لمّا فُرِغَ مِن الحساب ومِن أمرهم عند ذلك يخطب ما ذكر، وهو كقوله:[٧] فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ،[٨] أي لمّا فُرِغ مِن السماع، فعلى ذلك هذا. وقال بعضهم: **لمّا قُضِيَ الأمرُ**، أي[٩] لمّا نزل[١٠] بهم العذاب. ويشبه أن يكون قوله: **لمّا قُضِيَ الأمرُ**، هو أنّ الله كان وَعَدَ أن يقوم إبليس خطيبا لهم فقُضِيَ الأمرُ، أي أَنْجَزَ ما وَعَد أنه يخطب. أو أن يكون لأهل الكفر لجَاجَات[١١] ومنازعاتٌ فيما بينهم يوم القيامة،

[١] سورة الطور، ٥٢/١٦.

[٢] ع م: ولما.

[٣] ع - أهل.

[٤] ك ن ع: فخطب؛ م: وخطب.

[٥] ن: وأبين.

[٦] ع - أهل.

[٧] ع: قوله.

[٨] ﴿وإذ صَرَفْنَا إليك نَفَرًا مِن الجِنّ يَستمعون القرآن فلمّا حضروه قالوا أَنصِتُوا فلمّا قُضِيَ وَلَّوْا إلى قومهم مُنذِرين﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٢٩).

[٩] ن ع م + قضي ولو.

[١٠] ك م: لا نزل.

[١١] ع م: لحاجات.

كقوله: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[1] وكقوله: فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ،[2] الآية، يَكذِبون في الآخرة ويكون لهم لَجاجة[3] على ما كان منهم في الدنيا. أو يحتجّون[4] فيقولون: إنّ إبليس هو كان غَلَبَنا وقَهَرَنا لأنه كان يَرانا ونحن لم تكن نَرَاه، فالمغلوب المقهور غير مأخوذ بما كان منه في حُكمِك. يحتجّون بمثل هذه[5] الخرافات واللَّجاجات ويقولون: هو الذي أَضَلَّنا، فيقوم عند ذلك إبليس خطيبا بينهم ويقول:[6] **وما كان لِيَ عليكم مِن سلطان**، حتى أَقْهَرَكم وأَغْلِبَكم إلا الدعاء، **فاستَجَبْتم لي**، طائعين غير مقهورين ولا مُضطَرّين. والله أعلم بذلك.

وقوله عز وجل: **إن الله وَعَدَكم وَعْدَ الحق**، يشبه أن يكون وَعْدُه ما وَعَدَ على أَلْسُنِ الرسل أنّ البعث والجنة والنار والحساب والعذاب كائنٌ لا محالة،[7] أو جميع ما أَوْعَدَ مِن مَوَاعِيده، فذلك كلُّه حقٌّ، أي كائنٌ لا محالة. **ووَعَدْتُكم فأَخْلَفْتُكم**، يحتمل ما ذكر حيث قال: لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ،[8] وأمثاله مِن عِدَاتِه كانت كلُّها أَمَانِيَ وغُرُورًا وكذبًا.

وقوله عز وجل: **وما كان لِيَ عليكم مِن سلطان**، يحتمل السلطان وجهين. أحدهما أي[9] ما كان لي عليكم مِن ملك وقهر وغلبة أَقْهَرُكم وأَغْلِبُ عليكم إلا الدعاء، **فاستَجَبْتم لي**، طَوْعًا. ويحتمل قوله: **مِن سلطان**، مِن حجة وبرهان، أي لم يكن لي حجة وبرهان على ما دَعَوْتُكم إليه، إنما كان لي دعاء ووساوس وكان مع[10] الرسل[11] حُجَج وبراهين، فتركتم[12] إجابتهم،

---

[1] سورة الأنعام، ٦/٢٣.

[2] ﴿يوم يَبعثهم الله جميعا فيَحلِفون له كما يَحلِفون لكم ويحسَبون أنهم على شيء ألَا إنهم هم الكاذبون﴾ (سورة المجادلة، ٥٨/١٨).

[3] ن ع م: لحاجة.

[4] ع م: ويحتجون.

[5] ع: هذا.

[6] جميع النسخ: وقال.

[7] ع: كا محالة.

[8] ﴿وإذ زَيَّنَ لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالبَ لكم اليوم مِن الناس وإني جارٌ لكم فلمّا تَراءَتِ الفِئَتان نَكَصَ على عَقِبَيْه وقال إني بريء منكم إني أَرَى ما لا تَرَوْن إني أخاف الله والله شديد العقاب﴾ (سورة الأنفال، ٨/٤٨).

[9] ك – أي.

[10] ع م – مع.

[11] م: للرسل.

[12] ع: فتركتكم.

فاستَجَبْتم لي، بلا حجة وبرهان،[١] أي لم أَقْهَرْكم ولم أَغْلِبْ عليكم. لكن هذا لا يصح؛ لأنه لو كان له عليهم سلطان القهر والغلبة لكانوا مَعْذُورِين غير مُعَذَّبِين، لأنّ المقهور والمغلوب مُضطَرّ، والمُضطَرّ[٢] معذور، ولكن السلطان هو[٣] الحجة.

وقوله عز وجل: **فلا تَلُومُوني ولُومُوا أنفسكم**، ليس مراده -لعنه الله- أنه لا يُلَام، ولكن مراده أن[٤] ارْجِعوا إلى لائِمَةِ[٥] أنفسكم واشتغِلوا بها، فإنّ[٦] ذلك كان منكم، لم يكن منّا إلا الدعاء.

وقوله عز وجل: **ما أنا بمُصْرِخِكم وما أنتم بمُصْرِخِيّ**، قيل: ما أنا بناصركم وما أنتم بناصري. وقيل: ما أنا بمُغِيثِكم وما[٧] أنتم بمُغِيثِيّ.[٨] وقيل: ما أنا بمانعكم[٩] وما أنتم بمانِعِيّ ما نزل بي. هذا كله واحد. وقوله: **ما أنا بمُصْرِخِكم**، أي ما أنا بمالكِ إغاثتِكم وإنقاذِكم وما أنتم بمالِكِي[١٠] إغاثتي، وإلا لو كان لهم مَلْكُ ذلك لَفَعلوا.

وقوله عز وجل: **إني كفرتُ بما أَشركتمونِ مِن قبلُ**، أي كفرتُ بما أشركتموني في عبادة الله وطاعته، أي كنتُ بذلك كافرًا.[١١] ويحتمل **إني كفرتُ**، أي تَبَرّأْتُ اليوم مما[١٢] أشركتموني مع الله في الطاعة والعبادة مِن قبلُ. أحدُ التأويلين يَرجِع[١٣] إلى أنه يتبرّأ في ذلك اليوم وقتَ ما قام خطيبًا. والثاني أي[١٤] كنت تبرّأتُ مِن ذلك في الدنيا، [وذلك] وقتَ ما[١٥] أشركوه. **إنّ الظالمين لهم عذاب أليم**.

---

[١] م: ولا برهان.
[٢] ك ن ع: فالمضطر.
[٣] م – هو.
[٤] ن ع م – أن.
[٥] ع: إلى الأئمة.
[٦] ع: وإن.
[٧] ك: وأما.
[٨] ك: بمغيثين لي.
[٩] ع: بمنافعكم.
[١٠] م: بمالك.
[١١] ك + ويحتمل إني كفرت بما أشركتموني من قبل أي كفرت بما أشركتموني في عبادة الله وطاعته أي كنت بذل ك كافرا.
[١٢] ن ع م: بما.
[١٣] ن ع م: ترجع.
[١٤] ن ع م: إني.
[١٥] م – ما.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وأُدْخِلَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات [جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار]**، أي أُذِنَ لهم بالدخول في الجنة.[١]

وقوله: **خالدين فيها بإذن ربهم**، الإذن هاهنا كأنه الرحمة، أي خالدين فيها[٢] برحمة ربهم. **تحيتهم فيها سلام**، يحتمل السلام، ويحتمل الثناء، أي يُثْنُون على ربهم، كقوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ،[٣] الآية. وقوله: **تحيتهم فيها سلام**، قال بعضهم: يُسَلِّم بعضهم على بعض ويُحَيِّي بعضهم بعضا بالسلام. وقال بعضهم: السلام هو اسم كل خير ويُمْن وبركة، كما قال: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا.[٤] *والله أعلم.*

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[٢٤] ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٢٥] ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ألم تَرَ**، قد ذكرنا[٥] أنّ كلمة **ألم تَرَ**، حرف تنبيه عن عجيبٍ كان بَلَغَه فغَفَلَ عنه، أو تنبيه عن عجيب[٦] لم يَبْلُغْه. وقال أبو بكر الأصم: هي كلمة يَفْتَتِح[٧] بها العرب عند الحاجة، يقول الرجل لآخر: ألم تر إلى ما فعل فلان، ونحوه. هذا يحتمل في غيره من المواضع، وأمّا في[٨] هذا فإنه غير محتمل.

وقوله عز وجل: **ألم تر كيف ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا**، قيل: بَيَّن الله مَثَلًا وأَظْهَرَ، **كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ**، قال أبو بكر الكيساني: **كلمة طيبة**، هو هذا القرآن، و **كلمة خبيثة**، هي الكتب التي أحدثها الناس. شَبَّهَ القرآنَ بالشجرة الطيبة، وهي النخلة على ما ذُكِر إن ثبت، أو كلُّ شجرةٍ مُثْمِرَة.

---

[١] ك + وقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار؛ ن ع م + قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار.

[٢] ن + فيها.

[٣] ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهَبَ عنا الحَزَن إنّ ربَّنا لَغفور شكور﴾ (سورة فاطر، ٣٤/٣٥).

[٤] سورة مريم، ٦٢/١٩.

[٥] انظر تفسير الآية من سورة إبراهيم، ١٩/١٤.

[٦] ع: عن عجب.

[٧] ن ع م: تفتتح.

[٨] ك + غير.

وشَبّهَ الكتبَ التي أحدثها الناس بالشجرة الخبيثة، وهي التي لا تُثمِر. وقال: إنما شَبّهَ القرآنَ بالشجرة الطيبة لأن الشجرة الطيبة هي باقية إلى آخر الدهر يَنتفع بها الناس بجميع أنواع المنافع لا يَقطعونها، فهي تَدُوم وتبقى دهرًا. فعلى ذلك القرآن / يَنتفع به[1] الناس، وهو دائم أبدًا. [٣٨٧و]

وقوله عز وجل: **أَصْلُها ثابتٌ وفَرْعُها في السماء، أَصْلُها ثابتٌ**، لها قرار. فعلى ذلك القرآن[2] هو ثابت بالحجج والبراهين، والكتب التي أحدثها أولئك هي باطلة فاسدة لا حجة معها ولا برهان، كالشجرة الخبيثة التي هي غير مُثْمِرَة لا بقاء لها ولا قرار ولا ثبات. وقال بعضهم: الكلمة الطيبة هي الإيمان والتوحيد، شَبّهَها بالشجرة الطيبة وهي التي تُثْمِر وتَنْمُو وتَزْكُو،[3] [و]هي على ما وَصَفَها عز وجل في قوله: **تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربها**، فعلى [ذلك] الإيمان والتوحيد لا يَزال يُثْمِر لأهله الخيراتِ والأعمالَ الصالحة كالشجرة التي وصفها أنها تُؤتي أهلَها أُكُلَها في كل حين وكل وقت. **أَصْلُها ثابت**، بالحجج والبراهين، **وفَرْعُها في السماء**، في كل وقت يَرتفع ويَصعد به العمل[4] إلى السماء. والكلمة[5] الخبيثة[6] هي الكفر؛ لأنه لا منفعة لأهلها فيها، إذ لا عاقبة له ولا حجة معها ولا برهان، إنما [هو] شيءٌ أَخَذُوه عن شهوة وأَمَانِيّ، فكان[7] كالشجرة الخبيثة التي لا ثمرة لها[8] ولا منفعة لأحد فيها، فهي لا تَبقى ولا تَدُوم، فذلك قوله: **اجْتُثَّتْ مِن فوق الأرض ما لها مِن قرار**.

ويشبه أن يكون ضَرْبُ المَثَلِ لغير[9] هذا المعنى، وهو أنه ذَكَرَ جواهرَ طيبةً وجواهرَ خبيثةً مما يقع عليها الحواسّ ويقع عليها البصر ليكون كلُّ جوهر مِن هذه الجواهر التي يقع[10] عليها الحواسّ ويقع عليها البصر مِن خبيث أو طيب دليلاً وشاهدًا على ما غاب عن الخَلْق ولا يقع عليها الحواسّ. وهكذا جعل الله تعالى هذه المحسوسات والأشياء الظاهرة دليلاً وشاهدًا لِما غاب عنهم ولا يقع عليه الحسّ، تُدرَك[11] بالعقول التي رَكّبَ فيهم لِيُرَغّب [في] الطيب مما يقع عليه الحسّ والبصر على الموعود الغائب

[1] ع م – بها.
[2] ن – ينتفع به الناس وهو دائم أبدا وقوله عز وجل أصلها ثابت وفرعها في السماء أصلها ثابت لها قرار فعلى ذلك القرآن.
[3] ن: وتزكوا؛ ع م: وتنموا وتركوا.
[4] ك: العلمل.
[5] ك – والكلمة.
[6] ك: والخبيثة.
[7] م: مكان.
[8] ن: بها.
[9] م: بغير.
[10] ك: تقع.
[11] ك: يدرك.

ويُحذَر الخبيثُ المحسوس عما غاب وأوعد. وكذلك هذه الآلام والأمراض والشدائد[1] التي جَعَلَ في هذه الدنيا لِتَزْجُرَهم عن الأفعال التي بها يَستوْجِبون مِثلَها في الآخرة. وكذلك[2] النِعَم التي في الدنيا واللَّذَّات جَعَلَها لِتَدلهم[3] على النعم الدائمة. على هذا يجوز أن يخرج، لا أنه أراد بالشجرة[4] الطيبة الشجرة[5] نفسها، أو بالشجرة الخبيثة الشجرة[6] نفسها، ولكن ما وصفنا. *والله أعلم بذلك*.[7]

وقال قائلون: ضَرَبَ اللهُ مَثَلَ[8] الشجرة الطيبة مَثَلًا للمؤمن، هو في الأرض وعَمَلُه يَصعد في السماء[9] كلَّ يوم، فكما تُؤتي الشجرة أُكُلَها كلَّ حين كذلك المؤمن يَعمل لله[10] في ساعات الليل والنهار.

وقوله عز وجل: **كلَّ حين**، قال قائلون: كلَّ عام؛ لأنها تُثمِر في كل عام مرة. وقال قائلون: ستة أشهر مِن وقت طلوعها[11] إلى وقت إدراكها. وقال قائلون: كل عَشِيّة وغُدْوَة، كقوله: فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ.[12] وقال قائلون: شهرين، وأمثاله. ويشبه أن يكون ما ذكرنا أنه ليس في وقت دون وقت، ولكن الأوقات كلها، في كل وقت وكل ساعة.

فإن قال لنا مُلْحد:[13] إنّ الكلمة التي ضَرَبَ اللهُ مَثَلَها بالشجرة الطيبة هي[14] كلمتُنا، ونحن المراد بذلك، والكلمة الخبيثة التي ضَرَبَ[15] الله مَثَلَها بالشجرة الخبيثة هي كلمتُكم، وأنتم المراد بها لا نحن.

---

[1] ع: والشديد.

[2] ع م: كذلك.

[3] ع: لتذلهم.

[4] ع: بالشجر.

[5] ك – الشجرة.

[6] ن – الشجرة؛ ع م – الخبيثة الشجرة.

[7] ن – بذلك.

[8] ع: مثلا.

[9] ك: إلى السماء.

[10] ع: بعمل الله؛ م: الله.

[11] أي طلوع الشجرة الطيبة. وطلع النخل طلوعا: خرج طَلْعه، وهو ما يبدو من تمرة النخل في أول ظهورها (*لسان العرب* لابن منظور، «طلع»).

[12] سورة الروم، ١٧/٣٠.

[13] ك ن ع: ملحدي.

[14] ع م – هي.

[15] م: ضربها.

قيل: قد سَبَقَ هٰذا المَثَل أمثال ودلائل على أنّ الكلمة الطيبة هي التي لها عاقبة وآخرة، وكلُّ أمرٍ له عاقبةٌ وآخِرة[١] فهو الحق، والذي أنتم عليه لا عاقبة له[٢] ولا آخرة، وفي الحكمة أنّ كل أمر لا عاقبة له فهو باطل، والكفر لا عاقبة له.[٣] والثاني أنّ الإيمان والتوحيد له الحجج والدلائل، والكفر مما لا حجة له ولا دلائل،[٤] إنما هو مأخوذ بالأَمَاني والشهوة مِن تَسْوِيل الشيطان وتَزْيِينه، لذلك[٥] كان ما ذكرنا.

وتحتمل[٦] الكلمة الطيبة أيضا أن تكون[٧] الوحي الذي أوحى الله إلى رسوله، والكلمة الخبيثة ما أوحى الشيطان إليهم، كقوله: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ،[٨] الآية، فوَحْيُ الله هو ثابت دائم يَنتفع به[٩] أهله[١٠] في الدنيا[١١] والعاقبة، ووَحْيُ الشيطان هو باطل مُضْمَحِلّ لا عاقبة له ولا يَنتفع به أهله. *والله أعلم*.[١٢]

وقوله عز وجل: **اجْتُثَّتْ مِن فوق الأرض**، قال بعضهم: اسْتُؤْصِلَت. وقيل: انْتُزِعَتْ. وقال أبو عَوْسَجَة: اقْتُلِعَت مِن أصلها، يُقال: جَثَثْتُ الشجرة[١٣] أَجُثُّها جَثًّا، إذا قَلَعْتُها[١٤] مِن أصلها.

وقوله عز وجل: **ما لها مِن قرار**، هو ما[١٥] ذكرنا. وقال[١٦] بعض أهل التأويل: شَبَّهَ كلمةَ الشرك بحَنْظَلَةٍ قُطِعَت فلا أصل لها في الأرض ولا فرع في السماء، أي لا يَصعد له عمل ولا قول،[١٧] وشَبَّهَ كلمةَ الإيمان في نفعها وفضلها وثباتها[١٨] وقرارها في الأرض بما ذكر من الشجرة.[١٩] *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: له عاقبة والنظر في آخره؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٩و.
[٢] ك: عليه.
[٣] م – له.
[٤] ن: ولا دليل.
[٥] ن – لذلك.
[٦] ن ع م: ويحتمل.
[٧] ن ع م: أن يكون.
[٨] سورة الأنعام، ١٢١/٦.
[٩] ن: بها.
[١٠] ك ن ع: أهلها.
[١١] ع – في الدنيا
[١٢] ك ن + بذلك.
[١٣] ع: الشجر.
[١٤] م: أقلعتها.
[١٥] ع – ما.
[١٦] ن: قال.
[١٧] جميع النسخ: حمل؛ والتصحيح مستفاد من *تفسير الطبري*، ٢١٣/١٣.
[١٨] ن ع: ونباتها.
[١٩] ع: من الشجر.

ثم مِن الناس مَن احتجّ بهذا المَثَل في خَلْق[1] الإيمان والكفر، فقال: لأنه ضَرَبَ مَثَلَه بما هو مَخلوق، وهو الشجرة، فعلى ذلك الإيمان. ولكن عندنا لا يجب أن يُستدَلّ بهذا[2] في خَلْقِه،[3] ولكن لِما ثبت أنّ مُنشِئَهما[4] واحد؛ لأنه لو كان مُنشِؤُهما[5] مختلفًا لكان لا يَضرِب مَثَلَ هذا بهذا ولا هذا بهذا، فإذا ضَرَبَ دلّ أنّ مُنشِئَهما[6] واحد، فإذا ثبت ذلك دلّ على ما وصفنا. ومِن الناس مَن استدل بهذا أنه يزداد ويَنتقِص[7] حيث شبّهه[8] بالشجرة وهي تزداد وتَنتقِص.[9] ونحن نقول: ليس فيه دلالة ما ذكروا؛ لأن الشجرة في نفسها ليست بذي حَدّ، والإيمان ذو حَدّ، / فما يزداد إنما[10] [٣٨٧ظ]
هو في حق التزيين والتحسين، وأمّا الإيمان نفسه فإنه لا يزداد؛[11] كالشجرة إذا تَوَرَّقَت وخرج[12] ثمارها تُوصَف بالزينة والحُسن، فأما نَفْس الشجرة فلا تُوصَف بالزيادة، فعلى ذلك الإيمان.

وقوله عز وجل: **ويَضرِب الله الأمثال للناس**، يحتمل يُبيّن الله الأمثال التي يقع عليها الحسّ[13] ويقع عليها البصر والأشياء الظاهرة لِتَدلهم على ما استتر وغاب عنهم، يُدرِكون بالعقول ما استتر وخَفِيَ بالظاهر والمحسوس، **لعلهم يتذكّرون**، لعلهم يتعظون.

وقوله: **ألم ترَ كيف ضَرَبَ الله مَثَلاً كلمةً طيبةً**، الكلمة الطيبة تحتمل[14] التوحيد، وفُروعها هي الخوف والخشوع والخضوع والرغبة والرهبة،[15] وأُكُلها هو الأعمال الصالحة والخيرات تكون منه،

---

[1] ع: في خلف.
[2] جميع النسخ: لا بهذا يجب أن يستدل؛ والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤١٩ظ.
[3] ك: على خلقه.
[4] ن: أن منشئيهما؛ ع: أن مشيتها؛ م: أن شبهها.
[5] ك ن: منشئيهما؛ ع: مشيتهما؛ م: شبههما.
[6] ع: أن منشئها؛ م: أن شبهها.
[7] ع م: وينقص.
[8] ك ع: شبه.
[9] م: وتنقص.
[10] م – إنما.
[11] وعبارة السمرقندي هكذا: «ونحن نقول: ليس في الآية دلالة ما ذكروا، لأن الشجرة في نفسها ليست بذات حد. بل تزداد حقيقة وتنقص من ذاتها. فأما الإيمان له حد معلوم وهو التصديق فإنه لا يزداد ولا ينتقص، فما يزداد إنما هو في حق التزيين والتحسين. وأمّا الإيمان نفسه فإنه لا يزداد» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤١٩ظ).
[12] ع م: وخرجت.
[13] ع: الحسن.
[14] ع م: يحتمل.
[15] ع م – والرهبة.

والكلمة الخبيثة هي الشرك، وفُروعها ما يكون منه في الشرك مِن القساوة[١] والتمرّد والعناد، وأُكُلها هو الأعمال التي تكون منه في[٢] الشرك. أو أن تكون[٣] الكلمة الطيبة هي الإيمان،[٤] وفُروعها هي الشرائع والأحكام التي تُعمَل، وأُكُلها هو[٥] ما يُثاب عليه في الدنيا والآخرة أبدا. **والله أعلم**.

﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **يُثَبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**، ذَكَرَ مرة بالتثبيت[٦] ومرة بذكر الزيادة بقوله:[٧] لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ،[٨] ومرة بذكر الابتداء والتجديد بقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ،[٩] وقوله: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.[١٠] فالتجديد والابتداء في حادث الوقت، لأن تلك الأفعال تنقضي وتذهب ولا تبقى، وأمّا الزيادة على ما كان بضَمِّ شيءٍ[١١] إلى ما كان، والثبات على ما كان،[١٢] فكله[١٣] واحد في الحقيقة.

وقوله عز وجل: **ويُضِلّ الله الظالمين**، أضاف الإضلال مرة إلى نفسه ومرة إلى الشيطان، ولا شكّ أنّ ما أُضيف إلى الشيطان إنما أُضيف على الذّمّ، فإذا كان ما ذُكر فتكون[١٤] الجهة التي أُضيف إلى الله غيرَ الجهة التي أُضيف إلى الشيطان. الجهة التي أُضيف إلى الله هو أنْ خَلَقَ فِعلَ[١٥] الضلال مِن الكافر، وما أُضيف إلى الشيطان هو على التَّزيِين والتَّسْوِيل، لِتَصِحّ الإضافتان.

---

[١] م: من الفساد.
[٢] م – في.
[٣] ن م: أن يكون.
[٤] ك: الأعمال.
[٥] ك – هو.
[٦] جميع النسخ: بالتثبت.
[٧] ع م: وقوله.
[٨] سورة الفتح، ٤٨/٤.
[٩] سورة النساء، ٤/١٣٦.
[١٠] سورة الفاتحة، ١/٦.
[١١] ك ن: شيئا.
[١٢] ع م – بضم شيء إلى ما كان والثبات على ما كان.
[١٣] ع م: وكله.
[١٤] ن ع م: فيكون.
[١٥] ك – فعل.

ولو كان [الأمر] على التسمية على ما يقوله المعتزلة أن سمّاه ضالا[1] لكان كلُّ مَن سمّى آخرَ ضالاًّ [أو] كافرًا[2] [يكون مضلا له] فجاز[3] أن يُسَمَّى مُضِلاً. فإذا لم يُسَمَّ بتسميته[4] ضالاًّ أو كافرًا مُضِلاً دلّ أنه إنما سمّى الله نفسَه مُضِلاً لتحقيق الفعل له فيه. وهو ما ذكرنا أنْ خَلَقَ فِعلَ الضلال منه. والمعتزلة يقولون: إنّ الله هَدَى الخَلْقَ جميعا، لكنهم لم يَهتدوا وضَلُّوا مِن غير أنْ يكون الله أَضَلَّهم. فهذا صَرْفُ ظاهرِ الآية إلى غيره بلا دليل.

وقوله عز وجل: **ويفعل الله ما يشاء**، وعلى قول المعتزلة لا يَقدِر أنْ يفعل ما يشاء، لأنهم يقولون: إنه[5] شاء إيمانَ جميعِ البشر، لكنهم لم يؤمنوا. وكذلك قال: فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ،[6] وهم يقولون: أراد إيمانهم، لكنه لم يَفعل ما أراد ولا يَملِك، وقد أخبر أنه[7] فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ولما يشاء، وهم يقولون: لم يَملِك أن يفعل ما شاء وأراد، بل العباد يَفعلون ما شاءوا[8] غيرَ ما شاء هو،[9] فتأويلهم خلافُ لظاهر[10] القرآن. *والله أعلم.*

وقوله: **يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**، يشبه أن يكون هذا صلة قوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً،[11] على تأويل مَن يقول: إنّ الكلمة الطيبة هي القرآن يكون القول الثابت هو القرآن. يقول -والله أعلم- **يُثَبِّتُ اللهُ الذين آمنوا... في الحياة الدنيا**، حيث تَلَقَّوْه بالإجابة والقبول[12] والعمل به، **وفي الآخرة**، أي بالآخرة والبعث يُقِرّون به. **ويُضِلّ الله الظالمين**، حيث تركوا الإجابة له[13] وتَلَقَّوْه[14] بالردّ والمكابرة والعناد.

---

[1] «... على ما يقول المعتزلة: إن الإضلال هو تسميته ضالا» (شرح التأويلات، ورقة ٤١٩ظ).
[2] ع: كافر.
[3] جميع النسخ: جاز. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٤١٩ظ.
[4] ن ع: بتسمية.
[5] ك - إنه.
[6] سورة البروج، ١٦/٨٥.
[7] ن ع + أراد.
[8] م: ما شاء.
[9] ن - هو.
[10] ع: الظاهر؛ م: ظاهر.
[11] سورة إبراهيم، ٢٤/١٤.
[12] م: والقول.
[13] م - له.
[14] ع - له وتلقوه.

ومَن يقول: الكلمة الطيبة [هي] التوحيد والإيمان يكون القول الثابت هو الإيمان، **يُثَبِّتُهم في الحياة الدنيا**، باختيارهم، **وفي الآخرة**، قيل: في قبورهم يُثَبِّتُهم[١] لإجابة مُنْكَر ونَكِير ويُمَكِّنُ لهم ذلك، **ويُضِلّ الله الظالمين**، الذين تركوا الإجابة له في الحياة الدنيا وفي القبور حيث تركوا الإجابة في الدنيا. ويحتمل أن يكون قوله: **يُثَبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا**، هو ما ذكر: وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،[٢] يُثَبِّتُ[٣] مَن أجاب الله إلى ما دعا في الدنيا، **وفي الآخرة**، يَهديه الطريق الذي به يُوصَل إلى دار السلام، والكافرُ حيث تَرَكَ إجابتَه إلى ما دعاه يُضِلُّه[٤] في الآخرة طريقَ دار السلام بترك إجابته في الدنيا. ***والله أعلم بذلك.***

وقوله: **ويَفعل الله ما يشاء**، في هدايةِ مَن اختار الإجابةَ والاهتداءَ، وإضلالِ[٥] مَن اختار تَرْكَ الإجابة والغواية.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[٢٨] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **ألم تَرَ إلى الذين بَدَّلُوا نعمةَ الله كُفْرًا**، اختُلِف في نزوله. قال بعضهم: هذه السورة كلُّها نزلت بمكة إلا هذه الآية فإنها نزلت بالمدينة. وقال بعضهم: نزلت بمكة كلُّها.[٦] فمَن يقول: نزلت بالمدينة يقول: قوله: **وأَحَلُّوا قومَهم دارَ البَوار جهنم**، هو بَدْر، أي حَمَلُوهم إلى بَدْر حتى[٧] قُتِلُوا؛ لأنه لم يكن بمكة بَدْر، إنما كان بالمدينة. ومَن يقول: نزلت بمكة يقول: **دارَ البَوَار**، هي[٨] جهنم على ما فسّره ظاهر الكتاب. وهو الأشبه بظاهر الآية؛ لأنه بَيّن تلك الدار، فقال: **جهنم**. وفي الآية دلالة أنّ الآية كانت[٩] في عُظَمائهم وكُبَرائهم حيث قال: **وأَحَلُّوا قومَهم**، الآية.

---

[١] م: ثبتهم.
[٢] سورة يونس، ٢٥/١٠.
[٣] جميع النسخ: ثبت.
[٤] جميع النسخ: ويضله؛ ن + ويضله.
[٥] ع م: والإضلال.
[٦] ن - كلها.
[٧] ع - حتى.
[٨] ع - هي.
[٩] ع م - كانت.

[٣٨٨و] ثم اختُلِف في النعمة التي ذكر أنهم بَدَّلُوها كُفْرًا. فهو يحتمل وجوها. / أحدها أنّ الله عز وجل قد أنعم عليهم في هذه الدنيا ووَسَّعَها[١] عليهم فحَرَّمُوا تلك النعم على أنفسهم فجعلوها للأصنام التي عبدوها وسَيَّبُوها[٢] ولم يَنتفعوا بها مِن نحو البَحِيرة التي ذَكَرَ والسائبة والوَصِيلة والحامِي.[٣] وما جعلوا للأصنام هو ما ذكر: وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا،[٤] فذلك تبديل النعمة كُفْرًا حيث حَرَّمُوا ما أنعم الله[٥] عليهم[٦] وأحلّ لهم. والثاني تلك النعمة محمد أو القرآن أو الإسلام،[٧] وهو نعمة [عظيمة في حقهم][٨] فكذَّبوه[٩] وكفروا به.[١٠] أو أن يكونوا بَدَّلُوا الشكر الذي عليهم بما أنعم عليهم كُفْرًا، جعلوها سببًا للكفر فلم يشكروه بما أنعم عليهم.

وقوله: **بَدَّلُوا نعمةَ الله كُفْرًا**، حقيقته[١١] تخرج[١٢] على وجهين. أحدهما[١٣] بَدَّلُوا وصَرَفُوا ما أنعم الله عليهم –وهو محمد صلى الله عليه وسلم– عن أنفسهم حتى أُخِذ منهم [وأُمِر بالهجرة إلى غيرهم]،[١٤] بَدَّلُوا به كُفْرًا. والثاني بَدَّلُوا به كُفْرَانًا[١٥] بعد ما سألوا ربهم، وَأَقْسَمُوا بِاللهِ،[١٦] الآية، فلم يَشكروا ما أنعم عليهم[١٧] وبَدَّلُوا الشكر كُفْرًا.

وقوله عز وجل: **وأَحَلُّوا قومَهم دارَ البَوَار**، أي أَنْزَلُوا. دل هذا أنّ الآية نزلت في الرؤساء مِن الكفرة والأئمة منهم حيث أخبر أنهم أَحَلُّوا قومَهم دارَ البَوَار. ذكر "أَحَلُّوا" على الماضي

---

[١] ن ع م: وسعها.

[٢] ع م + ولم ينتفعوا.

[٣] ك: والحام. يقول الله تعالى: ﴿ما جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ ولا سائِبَةٍ ولا وَصِيلَةٍ ولا حَامٍ ولكنّ الذين كفروا يَفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ (سورة المائدة، ١٠٣/٥).

[٤] ﴿وجَعَلُوا لله مما ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنعام نصيبًا فقالوا هذا لله بِزَعْمِهِم وهذا لِشُرَكائِنا﴾ (سورة المائدة، ١٣٦/٥).

[٥] ك ن – الله.

[٦] ع م + كفرا.

[٧] م: والإسلام.

[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤١٩ظ.

[٩] جميع النسخ: كذبوهم.

[١٠] ك م: وكفروهم؛ ن + وهم؛ ع – وكفروا بهم.

[١١] م: حقيقة.

[١٢] ن ع م: يخرج.

[١٣] ك: أحدها.

[١٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٤١٩ظ.

[١٥] ك: كفرا.

[١٦] ﴿وأَقْسَمُوا بالله جَهْدَ أَيْمانهم لئِنْ جاءهم نذير لَيَكُونُنّ أَهْدَى مِن إحدى الأُمَم فلمّا جاءهم نذير ما زادهم إلا نُفُورًا﴾ (سورة فاطر، ٤٢/٣٥).

[١٧] جميع النسخ: عليه.

لأنه قد وُجِد منهم الجنايةُ بالإحلال[1] في دار البَوَار. وذكر في دخولهم جهنم على الائتناف بقوله: **جهنمَ يَصْلَوْنَهَا وبئس القرار**، لِما لم يوجد بعدُ، [و]سيُوجَد. ويجوز أن يُستدل بهذا لأصحابنا لمسئلةٍ، وهو أنّ العبد إذا حفر بئرًا ثم أُعْتِق فوقع في البئر إنسان يُنظَر إلى قيمة العبد يومَ حَفَر؛ لأن الحَفْر منه جنايةٌ إلى[2] الواقع فيه يومَ الوقوع لا يومَ الحفر، لأنه لم يوجد بَعدُ يومَ الحفر جناية. أو أن يُقال: أَحَلُّوا أرواحَهم دارَ البَوَار، فتَدخُل أجسادُهم يومئذ، لم تَدخُل بَعدُ.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾[٣٠]

وقوله[3] عز وجل: **وجعلوا لله أَنْدَادًا**، ثم فسّر أنهم لِمَ أَحَلُّوا قومَهم[4] دارَ البَوَار، فقال:[5] **وجعلوا لله أَنْدَادًا**، أَعْدَالاً وأَمْثَالاً، **لِيُضِلُّوا عن سبيله**. يحتمل قوله: **وجعلوا لله أَنْدَادًا**، في العبادة يُعبَدون كما يُعبَد الله، أو في التسمية يُسَمُّونَهَا آلهة كما يُسَمَّى الله، جعلوا له[6] أندادًا في هذين الوجهين. يَذكُر سَفَهَهم حيث جعلوا ما لا يَسمع[7] ولا يُبصر ولا يَنفع ولا يَدفع ولا يَضُرّ أمثالاً وأعْدَالاً[8] لله على عِلمٍ منهم أنّ الله هو الذي خلقهم ورزقهم ويُنعِم عليهم، وهو الذي يَدفع عنهم كلَّ بلاء وشدة. وجائز أن يكون قوله: **وجعلوا لله أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عن سبيله**، هو تفسير ما ذكر مِن تبديل النعمة كفرًا.

وقوله عز وجل: **قل تَمَتَّعُوا**، بهذه النعم التي ذكر أنهم بَدَّلُوها كُفْرًا، **فإنّ مَصِيرَكم إلى النار**، هذا في قومٍ ماتوا على الكفر. أو يقول:[9] **قل تَمَتَّعُوا**، في الدنيا، أو **تَمَتَّعُوا**، بالكفر، **فإنّ مَصِيرَكم إلى النار**، هذا في قومٍ عَلِمَ الله أنهم لا يؤمنون أبدًا. وفيه دلالة إثبات الرسالة.

وقال أبو عَوْسَجَة: البَوَار الهلاك والفناء، يُقال: بار الرجل يَبُور بَوْرًا فهو بائر. وقومٌ بُور، أي[10] هالكون. ويقال: بارَت السوق وبارَت السلعة، إذا كَسَدَت. ويقال: بارَت المرأة تَبُور بَوَارًا،[11]

---

[1] م: بالإهلال.
[2] جميع النسخ: وإلى.
[3] ن: قوله.
[4] م – قومهم.
[5] ع: وفقال.
[6] جميع النسخ: جعلوه.
[7] م: ما لا لا يسمع.
[8] ك: ولا يضر أعدالا وأمثالا.
[9] م: ويقول.
[10] م: بواري.
[11] ن ع م: بورا.

فهي بائرة،[1] إذا كَبِرَت. وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «نعوذ بالله مِن بَوَار الأَيِّم»،[2] قيل: يعني مِن كَسَادِها. والله أعلم.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **قُل لِعبادِيَ الذين آمنوا يُقِيمُوا الصلاة**، يحتمل إقامة الإيمان بها، كقوله: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[3] هو إقامة الإيمان به؛ إذ لا يحتمل الحبس إلى أن يُقِيمُوا إقامة الفعل والوفاء، إذ في ذلك حَبْسُهم أبدًا. ويحتمل إقامة الوفاء بها والفعل؛ لأنه إنما خاطب المؤمنين على إقامتها، وقد سبق[4] منهم الإيمان بها.

فإن قيل: كيف يحتمل الأمر بإقامتها إقامة الإيمان به[5] وقد سبق منهم ما ذكرنا مِن الإيمان بها؟

قيل: هذا جائز،[6] يأمرهم[7] بإقامة الإيمان بها في حادث الوقت؛ إذ للإيمان حكم التجدُّد في كل وقت، وهو كقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ،[8] أي آمِنُوا في حادث الوقت. فعلى ذلك هذا يحتمل[9] الأمر بإقامتها إقامة الإيمان بها. ويحتمل ما ذكر مِن إقامة الصلاة في الآية والإنفاقِ[10] [أن تكون] هي الصلاة المعروفة المعهودة والزكاة المعروفة[11] المفروضة والإدامة لهما واللزوم بهما. ويحتمل القبول والوفاء بهما.

---

[1] ن: بأمره.

[2] «عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك مِن غَلَبَةِ الدَّيْن وغَلَبَةِ العدو ومِن بَوَار الأَيِّم ومِن فتنة الدجال". رواه الطبراني في الصغير والأوسط والكبير، وفيه عباد بن زكريا الصريمي، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح». (*مجمع الزوائد* للهيثمي، ١٠/١٤٣). بارَت السُّوق وبارَت البِيَاعَات إذا كَسَدَتْ. ومِن هذا قيل: نعوذ بالله مِن بَوَار الأَيِّم، أي كسادِها، وهو أن تبقى المرأة في بيتها لا يخطبها خاطب، مِن بارَت السُّوق إذا كَسَدَتْ، والأَيِّم التي لا زوج لها وهي مع ذلك لا يَرغب فيها أحد (*لسان العرب* لابن منظور، «بور»). وللأَيِّم استعمالات أخرى، فالأَيِّم مِن النساء أيضا: التي لا زوج لها بِكرًا كانت أو ثَيِّبًا، ومِن الرجال الذي لا امرأة له. والأَيِّم أيضا: الثَّيِّب من النساء (*لسان العرب* لابن منظور، «أيم»).

[3] سورة التوبة، ٩/٥.

[4] ن - يقيموا إقامة الفعل والوفاء إذ في ذلك حبسهم أبدا ويحتمل إقامة الوفاء بها والفعل لأنه إنما خاطب المؤمنين على إقامتها وقد سبق.

[5] ع م - وقد سبق منهم الإيمان بها فإن قيل كيف يحتمل الأمر بإقامتها إقامة الإيمان به.

[6] ن - جائز.

[7] ع: بأمرهم.

[8] سورة النساء، ٤/١٣٦.

[9] ع: محتمل.

[10] ن - في حادث الوقت فعلى ذلك هذا يحتمل الأمر بإقامتها إقامة الإيمان بها ويحتمل ما ذكر من إقامة الصلوة في الآية والإنفاق.

[11] ع - والزكاة المعروفة؛ م - المعهودة والزكاة المعروفة.

وقوله[١] عز وجل: **وينفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية**، قال الحسن: الأمر بالإنفاق **مما رزقناهم**، الزَّكَوات[٢] المفروضات؛[٣] ألا ترى أنه ذكر الوعيد في آخره،[٤] وقال: **مِن قبل أن يأتيَ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خِلالٌ**، ولا يحتمل الوعيد في صدقات التطوع. وهو ما ذكر أيضًا في آية أخرى: وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ،[٥] ولا يحتمل طلب الرجوع والتأخيرِ إلى أجل في النوافل. دل أنه أراد به الزَّكَوات[٦] المفروضات. وقال بعضهم: **وينفقوا مما رزقناهم سرًا**، هي التطوع، والعلانية الفريضة؛[٧] لأن الفريضة لا بُدَّ مِن أنْ تُظهَر وتُعلَن، وليس في أدائها رياء. ***والله أعلم***.

وقوله[٨] عز وجل: **مِن قبل أن يأتيَ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خِلالٌ**، **يومٌ**[٩] **لا بيعٌ فيه**،[١٠] أي يوم لا يَقدرِ أحد أن يبيع نفسه مِن ربه، وفي الدنيا يَقدِر[١١] أن يبيع نفسه مِن ربه، كقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ،[١٢] وقوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى.[١٣] فقوله:[١٤] **مِن قبل أن يأتيَ يومٌ**، لا يَقدِر أحد بيعَ نفسه مِن ربه. ويحتمل قوله:[١٥] **يومٌ لا بيعٌ فيه**، أي لا يَنفعه بيعُ نفسه منه في ذلك اليوم وإن باع، كقوله: لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ،[١٦] وقوله: / فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا،[١٧] الآية، فعلى ذلك الأول. [٣٨٨ظ]

---

[١] ك - وقوله.

[٢] ع: الزكوة.

[٣] م: الزكوة المفروضة. لم أجده عن الحسن، لكن روي عن ابن عباس؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٢٤.

[٤] م: في الآخره.

[٥] ﴿وأنْفِقُوا مِن ما رزقناكم مِن قبلِ أن يأتِيَ أحدَكم الموتُ فيقولَ ربِّ لولا أخّرتَني إلى أجلٍ قريبٍ فأصّدّقَ وأكُنْ من الصالحين﴾ (سورة المنافقون، ٦٣/١٠).

[٦] م: الزكوة.

[٧] م: الفرائض.

[٨] ك - وقوله.

[٩] ع: أي.

[١٠] م - يوم لا بيع فيه.

[١١] ع: بقدرة.

[١٢] سورة البقرة، ٢/٢٠٧.

[١٣] ﴿إنّ الله اشترى مِن المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأنّ لهم الجنةَ﴾ (سورة التوبة، ٩/١١١).

[١٤] جميع النسخ: وقوله.

[١٥] ع م: نفسه.

[١٦] ﴿يومَ يأتي بعضُ آيات ربك لا يَنفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت مِن قبلُ أو كسبت في إيمانها خيرا قُلِ انتظروا إنّا مُنتظِرون﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٥٨).

[١٧] ﴿فلمّا رَأَوْا بأسَنا قالوا آمنّا بالله وَحْدَه وكفرنا بما كنّا به مشركين. فلم يَكُ يَنفعهم إيمانهُم لمّا رَأَوْا بأسَنا﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥).

وقوله عز وجل: **ولا خِلال**، هو مصدر خالَلْت، وهو مِن الخُلة والصداقة. ثم هو[1] يحتمل وجهين. أحدهما أن لا تَنفعهم الخُلّة التي كانت بينهم في الدنيا؛ لأنّ كلَّ خُلّة كانت في الدنيا مما ليست لله فهي تَصِير عداوةً[2] في الآخرة، كقوله: ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ،[3] الآية، أخبر أنّ الأَخِلّاء الذين كانوا يُخَالُّون في الدنيا للدنيا فهم الأعداء إلا الخُلّة التي كانت لله فهي تَنفع أهلَها. وهو ما ذكر عز وجل: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا،[4] وأمثاله، يخبر أنّ الخُلّة التي[5] كانت بينهم في الدنيا لا لله فهي تَصِير عداوة في الآخرة حتى يتبرّأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضًا.[6] والثاني أن يكون لهم شُفَعاء وأَخِلّاء، ولكن لا يَشفعون، كقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى.[7] أو يُشفَع[8] لهم لكن لا يُقبَل،[9] كقوله: فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.[10]

[٣٨٨ظ س ٣٢] * واستدل بعض المعتزلة بقوله: **قُل لعباديَ الذين آمنوا يُقِيمُوا الصلاة ويُنفِقوا مما رزقناهم سِرًا وعَلانيةً مِن قبل أن يأتيَ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خِلال**، أنّ صاحب الكبيرة يُخَلَّد في النار؛ لأنه أَوْعَدَ بترك الصلاة والزكاة التخليد أبدًا، وتَرْكُ الصلاة والزكاة مِن غير عذر مِن الكبائر، دل أنه ما ذكرنا. فنقول نحن -وبالله التوفيق- إنّ الآية تحتمل[11] الأمر بإقامة الصلاة وما ذَكَرَ مِن الزكاة والصدقة إقامةَ الإيمان بها على ما ذكرنا مِن تأويل بعض المتأوِّلين. فإن كان على هذا على إقامة الإيمان بها فمَن تَرَكَ ذلك فهو يُخَلَّد أبدًا لا شكَّ فيه. أو يكون مَن استَحَلّ تَرْكَها فهو بالاستحلال يَكفُر، فهو يُخَلَّد، أو يَترك لِعُذْر، فهو لا يُخَلَّد على اتفاق القول. فإذا كان ما ذكرنا محتملاً دل أنّ الآية مخصوصة. ثم معرفة تخليد صاحب الكبيرة إنما هي بالدلائل سِوَى هذا؛ إذ ليس في ظاهر الآية دلالة التخليد لما ذكرنا مِن احتمال الخصوص. دل أنه إنما / يُطلَب الدليل مِن وجه آخر. [٣٨٩و]

---

[1] ع - هو.

[2] ك: عدواة.

[3] ﴿الأَخِلّاءُ يومئذ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين﴾ (سورة الزخرف، ٦٧/٤٣).

[4] ﴿وقال إنما اتخذتم مِن دون الله أوثانا مَوَدَّةَ بينِكم في الحياة الدنيا ثم يومَ القيامة يَكفُر بعضُكم ببعضٍ ويَلعنُ بعضُكم بعضًا﴾ (سورة العنكبوت، ٢٥/٢٩).

[5] ع م - التي.

[6] ن ع م: من بعض.

[7] سورة الأنبياء، ٢٨/٢١.

[8] ك: أو تشفع.

[9] ك: لا تقبل.

[10] سورة المدثر، ٤٨/٧٤.

[11] ن ع م: يحتمل.

قال القُتَبِي: **ولا خِلال**، مصدر خالَلْت فلانًا خِلالًا ومُخَالَّةً، والاسم الخُلَّة والمُخَالَّة،[1] وهي[2] الصَّدَاقَة.[3] وقال أبو عَوْسَجَة: **ولا خِلال**، قال: مِن المُخَالَّة، يعني المَوَدَّة.* [٣٨٩و س ٢]

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾[٣٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[٣٣]

وقوله[4] عز وجل: **الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم**، إلى آخر ما ذكر، فيه دلالة أنّ تدبير الله محيط مُتَّسِق[5] بجميع ما في السماوات والأرض،[6] وعلمه محيط بجميع الخلائق[7] حيث ذكر:[8] **وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم**، يعني البشر. إنه[9] جَعَل منافعَ السماء متّصلة بمنافع الأرض مع بُعدِ ما بينهما، دل أنه عن تدبيرٍ فَعَلَ هذا وعِلمٍ، وأنه[10] تدبيرُ واحدٍ عليم قدير. ثم ما ذكر مِن تسخير السماوات والأرض مع شدة السماء وصلابتها وغِلَظ الأرض وكثافتها وتسخير البحر مع أهواله وأمواجه وتسخير الأنهار الجارية وتسخير الشمس والقمر والليل والنهار لهذا البشر، في ذلك كله وجهان. أحدهما يُذكِّرهم نِعمَه التي أنعمها عليهم مِن المنافع التي جَعَلَ لهم في تسخير هذه الأشياء التي ذَكَر لهم على جهل هذه الأشياء أنهن مُسَخَّرات لغيرهن،[11] يَسْتَأْدِي بذلك شُكْرَها. والثاني يَذْكُر سلطانَه وقدرتَه حيث سَخَّرَ هذه الأشياء[12] مع شدتها وصلابتها وغِلَظها وأهوالها،

[1] ك ن ع: والمخلة؛ م – والمخالة؛ والتصحيح من *لسان العرب* لابن منظور، «خلّ».

[2] م: هي.

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٣.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٣٤، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٨٨ظ/سطر ٣٢-٣٨٩و/سطر ٢.

[4] ك – وقوله.

[5] ك – متسق، صح هـ.

[6] ن – إلى آخر ما ذكر فيه دلالة أن تدبير الله محيط متسق بجميع ما في السماوات والأرض.

[7] ن + من.

[8] ك ن + أنه.

[9] ع م – إنه.

[10] ن: أو علم أنه.

[11] ع م: لغيرهم.

[12] ن – التي ذكر لهم على جهل هذه الأشياء أنهن مسخرات لغيرهن يستأدي بذلك شكرها والثاني يذكر سلطانه وقدرته حيث سخر هذه الأشياء.

ومَن قَدَرَ على تسخير[1] ما ذكر قادرٌ على البعث والإحياء بعد الموت. ويحتمل ما ذكر مِن تسخير الأشياء التي ذَكَر أنه أنشأ هذه الأشياء مُسَخَّرَةً مُذَلَّلَةً لنا. والثاني سَخَّر لنا، أي عَلَّمَنا مِن الأسباب والحِيَل التي يتهيأ لنا الانتفاعُ بها والتسخير.

[٣٨٩و س٢] * **دائِبَيْن**، قال:[2] يجريان أبدًا، وهو مِن الدَّوْب، أي مِن[3] التعب.*

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٣٤]

وقوله[4] عز وجل: **وآتاكم مِن كل ما سألتموه**، فيه لغتان وتأويلان. قال بعضهم: وآتاكم مِن كلٍّ، على التنوين،[5] **ما سألتموه**، على الجَحْد، أي آتاكم مِن غيرِ أنْ سألتم الأشياء التي ذَكَر أنه سَخَّرها لكم،[6] أي آتاكم مِن غير سؤال ولا طِلْبَة. والثاني: **وآتاكم مِن كل ما سألتموه**، وما لم تسألوه؛ لأنه أعطانا أشياءَ قبل أن نَعلم أنه يجب أن نَسأل، حيث خَلَقَ هذه الأشياء التي ذَكَرَ مِن قبل أن يخلقنا. وقال الحسن: **مِن كل ما سألتموه**، قال: ما لم تسألوه،[7] وهو ما ذكرنا.[8]

فإن قيل: إنّا نَسأل أشياء لم نُعطَها، فما معنى الآية؟

قيل لوجوه:[9] أحدها ذَكَرَ حرف التبعيض، وهو ما قال: **مِن كل ما سألتموه**. والثاني **وآتاكم**،[10] عِلمَ منافعِ ما سألتموه قبل أن تَسألوا[11] وَجْهَ[12] عِلمِ الانتفاع به. والثالث **وآتاكم مِن كل ما** يَحِق السؤال ويَلِيق به. على هذه الوجوه تخرج[13] الآية. *والله أعلم*.

---

[1] م – على تسخير.
[2] القائل هو أبو عَوْسَجَة.
[3] ك – من.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٨٩و/سطر ٢-٣.
[4] ك – وقوله.
[5] وهي قراءة شاذة. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٢٦/١٣-٢٢٧؛ و*تفسير القرطبي*، ٣٦٧/٩.
[6] جميع النسخ: لنا.
[7] *تفسير القرطبي*، ٣٦٧/٩؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٤٤/٥.
[8] ك: ما ذكرناه.
[9] ع م: بوجوه.
[10] ع: وإياكم.
[11] ع: أن يسألوا.
[12] جميع النسخ: وجهه.
[13] ن ع م: يخرج.

وقوله[١] عز وجل: **وإن تَعُدُّوا نعمة الله لا تُحْصُوها**، قال بعضهم: **لا تُحْصُوها**، أي لا تشكروها، أي لا تَقدِروا شُكْرَها. وقال بعضهم: أي لا تَقدِروا إحصاءها وعدَّها.[٢] وهكذا إنّ أقلَّ الناس نعمةً لو تَكلَّف إحصاءَ ما أعطاه ما قَدَرَ عليه مِن حُسن الجوهر والصورة واستقامة التركيب والبِنْية وسلامة الجوارح وغير ذلك مما لا سبيل له[٣] إلى[٤] ذِكرها وإحصائها إلا بعد طُول التفكُّر والنظر. وقال بعضهم: **وإن تَعُدُّوا نعمة الله**، لا تُحيطوا بكُنْهِها ونهايتها.

وقوله[٥] عز وجل: **إنّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّار**، **لَظَلُوم**،[٦] أي ظَلَمَ نفسَه حيث صَرَفَها إلى غير الجهة التي جُعِلَت وأُمِر، وأَدْخَلَها في المَهَالِك وألقاها في التهلكة، **كَفَّار**، لِنِعَمِه حيث صَرَفَ شُكْرَها إلى غير[٧] الذي جعلها له. ***والله أعلم.****

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[٣٥]

وقوله[٨] عز وجل: **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمِنًا**، أي مَأْمَنًا، سُمِّيَ آمِنا لِما يَأْمَن الخَلْقُ فيه كما سُمِّيَ النهارُ مُبْصِرًا[٩] والنهار لا يُبصِر ولكن يُبصَر فيه، ومثله كثير. ثم يحتمل قوله: **اجعل هذا البلد آمنًا**، قال بعض أهل التأويل: إنما طَلَبَ إبراهيم أن يجعله آمِنا على أهله وولده خاصّة لا على الناس كافّة؛ إذ قد سُفِكَ فيه الدماء وهُتِكَ فيه الحُرَم، دلّ أنه جعله[١٠] آمِنا على أهله وولده خاصة. ولكن لو كان ما ذكروا محتملاً ما يُصنَع بقوله: أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا،[١١] الآية،[١٢] وقوله: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا،[١٣] وغيره من الآيات،

---

[١] ك – وقوله.
[٢] ع م: وعددها.
[٣] ن م – له.
[٤] ع م + ما.
[٥] ك – وقوله؛ ن: قوله.
[٦] ك – لظلوم.
[٧] م: إلى الغير.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣١، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٨٨ظ/سطر ٣٢-٣٨٩و/سطر ٢. ووقع بعد ذلك مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٨٩و/سطر ٢-٣.
[٨] ك – وقوله.
[٩] يقول الله تعالى: ﴿هو الذي جَعَلَ لكم الليلَ لِتَسْكُنُوا فيه والنهارَ مُبْصِرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).
[١٠] م: جعل.
[١١] ﴿أَوَ لم يَرَوْا أنّا جَعلنا حَرَمًا آمِنًا ويُتَخَطَّفُ الناسُ مِن حَوْلِهِم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يَكفُرون﴾ (سورة القصص، ٦٧/٢٨).
[١٢] ن – الآية.
[١٣] سورة البقرة، ١٢٥/٢.

أخبر أنه جَعَلَ تلك البُقْعَةَ مَأْمَنًا للخَلْق يَأمَنون فيها. ثم يحتمل وجهين. أحدهما جَعَلَه آمِنا بحق الابتلاء والامتحان، أَلْزَم الخَلْقَ حِفظَ تلك البقعة عن سَفْك الدماء فيها وهَتْكِ الحُرُم وغير ذلك مِن المعاصي وإن كانوا ضيعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يَصلُح، كالمساجد التي بُنِيَت للعبادة وإقامة الخيرات أَلْزَمَ على[1] أهلها وعلى جميع الخلائق حِفظَها عن إدخال ما لا يَصلُح ولا يَحِلّ، ثم إنّ الناس قد ضيّعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يَلِيق بها ولا يَصلُح، فعلى ذلك الحَرَم الذي أخبر أنه جعله[2] مَأْمَنًا.

والثاني جعله مَأْمَنًا بالخِلْقَة. مِن ذا الوجه يجوز أن يقال: كيف سُفِك فيه الدماء وهُتِك فيه الحُرُم، وهو بالخِلْقَة جعله مَأْمَنًا؟ قيل: يجوز هذا بحق العقوبة وإن كان بالخِلْقَة[3] آمِنًا.[4] ألا ترى[5] أنه قال: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ،[6] الآية. الطيبات[7] بالخِلْقَة حلال، لكنه حَرَّمَ عليهم ذلك بالظلم الذي كان منهم بحق العقوبة والانتقام. فعلى ذلك الحَرَم جعله مَأْمَنًا بالخِلْقَة ثم قُتِل[8] فيه عقوبةً لِما كان منهم مِن المعاصي. *والله أعلم.*

وقوله[9] عز وجل: **واجْنُبْنِي وبَنِيَّ أن نعبد الأصنام،**[10] فإن قيل: كيف دعا وطَلَب منه العصمة وقد عَصَمَه بالنبوة والرسالة واختارها له[11] عن ذلك كله؟ قال بعض أهل التأويل: إنما سأل عصمة ولده وذريته لِما عَلِمَ أنّ ذريته قد يختلفون في دين الله وتوحيده، وما ذَكَرَ نفسَه لِما المعروف أنّ[12] مَن دعا لآخر[13] بَدَأَ بنفسه. قالت المعتزلة: دعاء إبراهيم وطَلَبُه العصمة مما[14] ذكر يدل أنه قد[15] يجوز أن يُدعَى بدعواتٍ عبادةً وإن كان قد أعطاه ذلك أو يَعلم أنه مغفور.

---

[1] ع م – على.
[2] ع: جعل.
[3] ع م – بالخلقة.
[4] م: مأمنا.
[5] ك: ألا يرى.
[6] سورة النساء، ٤/١٦٠.
[7] ك: الطلبات.
[8] ن ع م: ثم قيل.
[9] ك – وقوله.
[10] ع م + الآية.
[11] م – له.
[12] م – أن.
[13] ن ع م: الآخر.
[14] م: لعصمة ما.
[15] ك – قد.

قيل: دعاء إبراهيم وغيرِه مِن الأنبياء عليهم السلام يجوز أن يكون عِصمتُهم كانت مقرونةً بما طلبوه[١] منه وسألوه وتَضَرَّعُوا إليه؛ إذ معلومٌ أنهم لم يستفيدوا تلك العصمة بإهمالهم أنفسَهم وتَرْكِهم إياها سُدًى، بل إنما وَجَبَ[٢] لهم ذلك بما أَجْهَدُوا[٣] أنفسَهم في طاعة الله.

ثم الآية على المعتزلة من وجهين. أحدهما أنّ إبراهيم طَلَب منه العصمة عن عبادة الأصنام، وهو عَلِم أنه يعتصم إذا عَصَمَه عن ذلك ويَهتدِي[٤] إذا هَدَاه. وهم يقولون: الله يَعْصِم ولا يَعتصِم العبد، ويَهدِي ولا يَهتدِي العبد، ويقولون: إذا أَعْطَى أحدًا[٥] ذلك خَرَجَ ذلك مِن يده ولا يَملِك إعطاء ذلك. فعلى قولهم تخرج[٦] دعوات[٧] الرسل على الهُزْء[٨] أو على الكتمان؛ لأنّ مَن سأل مِن آخَرَ شيئًا يَعلم أنه ليس ذلك عنده فهو هُزْء، أو سأل وهو يَعلم أنه قد أعطاه ذلك فهو كِتمان. وكان خوفُ الأنبياء والرسل والكُبَرَاء مِن الخَلْق أشدَّ وأكثرَ على دينهم والزَّيْغِ عما هم عليه لِما خافوا أن يكونوا عند الله على غير ما هو عند أنفسهم، كانوا أبدًا وَجِلين خائفين على سَلْب ما هم عليه. وهكذا الواجب أن يكون الخوف على مَن نِعَمُه عليه أكثر فخَوْفُه أشدّ.

وقال[٩] أبو عَوْسَجَة: **واجْنُبْنِي**، أي باعِدْني وجَنِّبْني أيضًا. وقال القُتَبي: أي جَنِّبْني وإياهم.[١٠]

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣٦]

وقوله[١١] عز وجل: **ربِّ إنهن أَضْلَلْنَ كثيرًا مِن الناس**، نسب الإضلال إلى الأصنام وإن لم يكن لها صُنع في الإضلال لأنهم بها ضَلُّوا وكانت الأصنام سَبَبَ إضلالهم. وقد تُنسَب[١٢] الأشياء إلى الأسباب وإن لم يكن للأسباب صُنعٌ فيها، نحو ما ذكرنا[١٣] مِن قوله:

---

[١] ع م – بما طلبوه.
[٢] ك ن: أوجب.
[٣] ع: اجتهدوا.
[٤] جميع النسخ: واهتدى.
[٥] م: أحد.
[٦] ن ع م: يخرج.
[٧] ع: الدعوات.
[٨] ك: على الاستهزاء.
[٩] ن ع م: فقال.
[١٠] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٣.
[١١] ك – وقوله.
[١٢] ن ع م: ينسب.
[١٣] ع + من نحو ما ذكرنا.

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[1] والسورة لا تزيدهم رِجْسًا، لكن نُسِبَ[2] الرِجْسُ إليها[3] لِما كانت هي سببَ[4] زيادةِ رِجْسِهم. وهو أنها لمّا نزلت يَزداد لهم[5] تكذيب وكُفْرٌ[6] بها، فنُسِبَ[7] ذلك إليها. فعلى ذلك الأول. والثاني يُنسَب إلى الأحوال التي كانت بها ما لو كانت تلك بذَوَاتِ الأرواح لكانت تُضِلّ وتُغْوِي ممن يكون منه الإضلال؛ لأنها تُزَيِّن وتُحَلّى بالأشياء. نحو ما نُسِبَ الغُرورُ إلى الدنيا وإن كانت الدنيا لا تَغُرّ لأنها تكون[8] بحالٍ لو كانت تلك الأحوال مِن ذِي الروح لكان ذلك تَغْرِيرًا. فعلى ذلك نسبة الإضلال إلى الأصنام. **والله أعلم**.[9]

[٣٨٩ظ] وقوله[10] عز وجل: **فَمَن تَبِعَني فإنه مِنّي**، يشبه أن يكون / **مِنّي**، أي مُوافِقِي في الدين أو في الولاية. وحاصله -والله أعلم- مَعِي في الدين وفي أمر الدين. وكذلك معنى ما رُوِي:[11] «مَن غَشَّ فليس مِنّا»،[12] أي ليس بموافقٍ[13] لنا أو ليس معنا أو ليس مِن[14] مِلَّتِنا. وكذلك **قوله: فإنه مِنّي**، أي مِن مِلّتي. وحاصله: **فمَن تَبِعَني**، وأجابني فيما دعوته إليه وأمرته به، **فإنه مِنّي**، أي مما أنا عليه. وكذلك قوله: «مَن غَشَّ فليس مِنّا»، أي ليس مما نحن عليه.

وقوله[15] عز وجل: **ومن عصاني فإنك غفور رحيم**، يشبه قوله: **ومن عصاني**، ليس عصيانَ شرك ولكن عصيانَ ما دون الشرك، **فإنك غفور رحيم**. أو ومَن **عصاني فإنك غفور**، أي ساترٌ عليه الكفرَ إلى وقت معلوم؛ إذ الغُفران هو السَّتر، فيستر[16] عليه إلى أجل، كقوله: **إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ**.[17]

---

[1] سورة التوبة، ٩/١٢٥.
[2] م: ينسب.
[3] ع - إليها.
[4] م: سب.
[5] جميع النسخ + بها.
[6] جميع النسخ: تكذيبا وكفرا.
[7] م: فينسب.
[8] ك: يكون.
[9] ن - والله أعلم.
[10] ك - وقوله.
[11] ع م - معنى ما روي.
[12] صحيح مسلم، الإيمان ١٦٤؛ وسنن أبي داود، البيوع ٥٠؛ وسنن الترمذي، البيوع ٧٤.
[13] ع: موافق.
[14] ع - من.
[15] ك - وقوله.
[16] جميع النسخ: فستر.
[17] ﴿ولا تحسَبَنَّ اللهَ غافلاً عمّا يَعمل الظالمون إنما يؤخِرهم لِيومٍ تَشخَصُ فيه الأبصارُ﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٤٢).

أو يقول: **ومن عصاني فإنك غفور رحيم**، أي تُمَكِّن[1] له مِن[2] التوبة والإسلام فيُسلِم ويتوب فتَغفِر[3] له ما كان منه مِن العصيان وتَرحَمه.[4] وقوله: **ومن عصاني**، فيما دعوتُه إليه وأمرتُه به، **فإنك غفور رحيم**، تُمَكِّنُ له مِن التوبة والرجوع عما كان منه، فتَغفِرُ له وتَرحمُه.[5]

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٣٧]

وقوله[6] عز وجل: **ربَّنا إنّي أَسكَنْتُ مِن ذريتي بِوادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ**، لا يحتمل أن يكون قال هذا أوّلَ ما قَدِمَ تلك البقعة؛ لأنه قال: **عند بيتك المحرَّم**، ولا بيت هنالك، دل أنه إنما دعا بهذه الدعوات: **ربَّنا إنّي أَسكَنْتُ مِن ذريتي**، وما ذكر: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ،[7] إلى آخر ما ذكر، بعد ما رَفَعَ البيت.

وقوله عز وجل: **أَسكَنْتُ مِن ذريتي**، دل أنه إنما أَسْكَنَ بعضَ ذريته، لم يُسْكِن ذريتَه[8] كلَّها، حيث قال: **مِن ذريتي**. قد امتحنه الله بمِحَن ثلاثة، لم يَمتحِن[9] بمثلها أحدًا مِن الأنبياء. إحداها[10] امتحنه بإسكان ولده **بوادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ**، وغيرِ ذِي ماء، مما[11] لا يحتمل قلبُ بشرٍ تَرْكَه في مِثلِ ذلك المكان مِثلَه. دل أنه إنما فَعَلَ بأمرٍ مِن الله تعالى. والثاني[12] امتحنه بذبح ولده حتى إذا أشرف على الهلاك فَدَاه الله بكَبْشٍ. وامتحنه بإلقائه في النار فأُلْقِيَ حتى إذا أشرف على الهلاك جعلها الله تعالى عليه بَرْدًا وسلامًا. ففي ذلك كلِّه دلالةُ رسالتِه. وكان[13] له هجرتان.

---

[1] ع: أي يمكن.
[2] ن – من.
[3] م: فنغفر.
[4] جميع النسخ: وترحم عليه.
[5] ن ع م: فيغفر له ويرحمه.
[6] ك – وقوله.
[7] ﴿وإذ يَرفع إبراهيم القواعدَ مِن البيت وإسماعيلُ ربَّنا تقبَّلْ منّا إنك أنت السميع العليم. ربَّنا واجعلنا مسلمَين لك ومِن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأَرِنا مَناسِكَنا وتُبْ علينا إنك أنت التوّاب الرحيم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٧-١٢٨).
[8] ع – لم يسكن ذريته.
[9] ع – ثلاثة لم يمتحن.
[10] م: أحدها.
[11] ع – مما.
[12] ن + إنما.
[13] ك: وكانت.

إحداهما إلى مكة حيث أسكن فيها ولده. والهجرة الثانية إلى بيت المقدس، وهو ما ذكر: وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا،[1] الآية.

ثم قوله: **ربَّنا إني أسكنتُ مِن ذريتي بوادٍ غيرِ ذِي زرْعٍ**، هو دعاءٌ بتعريض لا بتصريح. والدعاء بالتعريض والسؤال بالكناية أبلغ وأكثر من السؤال بالتصريح، وهو كدعاء[2] آدم وحوّاء:[3] رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا،[4] الآية، فهذا أبلغ في السؤال من قوله: اغفر لنا وارحمنا؛ لأنَّ مِثلَ هذا قد سُئِل مَن دونَه ولا يكون فيه ما ذُكِر فيه من الخسران.[5]

وقوله: **مِن ذريتي**، يحتمل أن تكون[6] كلمة "مِن" صلة، أي أسكنتُ ذريتي. ويحتمل على التبعيض، أي أسكنتُ بعضَ ذريتي، على ما ذُكِر في بعض التأويلات إسماعيل وإسحاق.[7]

وقوله[8] عز وجل: **عند بيتك المحرَّم**، يحتمل قوله: **المحرَّم**، وجهين. أحدهما حرَّمَه أنْ يُسْتَحَلَّ فيه ما لا يَحِلّ ولا يَصلُح. لكنه خصّ تلك البقعة بالذكر وإن كان ذلك لا يَحِلّ في غيرها مِن البقاع لِفَضْلِ الحُرْمَة التي جعلها الله لها، كما خصّ المساجد بأشياء لِفَضْلِها على غيرها مِن الأَمْكِنَة والبقاع.

والثاني قوله: **عند بيتك المحرَّم**، أي الممنوع، يقال: حَرَّم، أي مَنَع، كقوله: وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ،[9] ليس ذلك على التحريم أنْ لا يَحِلُّ له المَرَاضِع، ولكن على المنع، أي مَنَعْنا عنه لِنَرُدَّه إلى أُمّه. فعلى ذلك قوله: **عند بيتك المحرَّم**، أي الممنوع عن الخَلْق لله حتى لم يَقدِر أحد[10] مِن الفَرَاعِنَة والملوك [على] الغَلَبَة عليها وإدخالها[11] في منافع أنفسهم، بل هي ممنوعة عنهم على ما كان. وفيه آية الوحدانية له والألوهية. *والله أعلم*.

---

[1] سورة الأنبياء، ٢١/٧١.

[2] ن: لدعاء.

[3] ع: حوا.

[4] ﴿قالا ربَّنا ظَلَمْنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لَنكونن مِن الخاسرين﴾ (سورة الأعراف، ٧/٢٣).

[5] أي لأن المغفرة والمرحمة قد تُسأَل مِن غير الله، لكن ليس في عدم ذلك الخسران الأبدي، بخلاف الحال مع الله سبحانه وتعالى كما ذكر في الآية: ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لَنكونَنّ مِن الخاسرين﴾.

[6] ن ع م: أن يكون.

[7] والمعروف أنه إسماعيل عليه السلام كما هو في القصة المشهورة حيث أخذ إبراهيم عليه السلام إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة وتركهما هناك بأمر الله. ولم يَذكر المفسرون إسحاق عليه السلام؛ انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٣٣؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥/٤٧؛ *وتفسير القرطبي*، ٩/٣٧١؛ *وروح المعاني* للآلوسي، ١٣/٢٣٦.

[8] ك - وقوله.

[9] سورة القصص، ٢٨/١٢.

[10] م: واحد.

[11] ن + وإدخالها.

وقوله[١] عز وجل: **ربَّنا لِيُقِيمُوا الصلاة**، قال بعض[٢] أهل التأويل:[٣] فيه تقديم وتأخير،[٤] يقول: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[٥] **لِيُقِيمُوا الصلاة**، لك[٦] عند بيتك. ويحتمل أيضًا غير هذا، وهو أنْ يقال: **أَسْكَنْتُ مِن ذريتي بوادٍ غيرِ ذِي زَرْعٍ**، أي ليس فيه ما يَشغَلهم عن الصلاة؛ لأنَ الزرع وغيره مِن التعيم يمنع الناس عن إقامة الصلاة والعبادة له، أي **أَسْكَنْتُ مِن ذريتي بوادٍ**، ليس فيه زَرْعٌ يَشغَلهم عن إقامة الصلاة.[٧] ثم يحتمل الصلاة الصلاة المعروفة. ويحتمل الصلاة الدعاء والأذكار وغيرها من الدعوات. ويحتمل قوله: **ربَّنا لِيُقِيمُوا الصلاة**، الصلاة[٨] نفسها وغيرها من الطاعات. وكذلك قوله: رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي.[٩]

وقوله[١٠] عز وجل: **فاجعل أفئدةً مِن الناس تَهْوِي إليهم**، يحتمل سؤالُه ربّه أن يَجعل أفئدة الناس **تَهْوِي إليهم** وجهين. أحدهما لما أَسْكَنَ ذريتَه في مكانٍ لا بناء فيه ولا نبات ولا زرع ففي مِثل هذا المكان يُستوحَش المُقامُ فيه، فسأل ربَّه أن يَجعل أفئدةَ الناس **تَهْوِي إليهم**، لِيَأْتُوا ذلك المكان فتَذهَب[١١] عنهم تلك الوحشة فيَستأنِسوا[١٢] بهم. أو سأله أن يَجعل أفئدة الناس **تَهْوِي إليهم**، لِيَتعَيَّشوا بما يُنقَل إليهم مِن الزاد والأطعمة؛ إذ أَسْكَنَهم[١٣] في مكانٍ لا زَرْعَ فيه ولا ما[١٤] يَتعيَّشون فيه[١٥] به. وقد جعل الله بنية هذا البشر أنْ لا قِوَامَ لهم إلا بالأغذية والأطعمة، فسأل ربَّه لِيَتعيَّشوا بما يُحمَل إليهم. وقال أهل التأويل: / **فاجعل أفئدةً مِن الناس تَهْوِي إليهم**، للحَجّ، وقالوا: [٣٩٠و]
لو قال: فاجعل أفئدة الناس تَهْوِي إليهم، ولم يَقُل: "مِن" لَحَجَّهُ[١٦] الخَلْقُ جميعًا الكافر والمؤمن.

---

[١] ك – وقوله.
[٢] ن: بعضهم.
[٣] ن – أهل التأويل.
[٤] ك ع م – وتأخير.
[٥] سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.
[٦] ك – لك.
[٧] ع م – والعبادة له أي أسكنت من ذريتي بواد ليس فيه زرع يشغلهم عن إقامة الصلاة.
[٨] ك – الصلاة.
[٩] سورة إبراهيم، ٤٠/١٤.
[١٠] ك – وقوله.
[١١] ن ع م: فيذهب.
[١٢] جميع النسخ: فيستأنس.
[١٣] ع: أو أسكنهم.
[١٤] ع م – ما.
[١٥] ن ع – فيه.
[١٦] ع م: حجه.

*ويحتمل قوله: **إنك تَعلم ما نُخفِي وما نُعلِن،** [أنه] كانت له حاجاتٌ أَخفَاها، طَلَبَ [٣٩٠و س٣٨
قضاءَها فقال:[1] تَعلم حاجاتي[2] أَخفَيتُها أو[3] أَعلَنتُها، فاقْضِها لي. أو أن يكون قومُه طَعَنُوا في شيء،
فقال[4] ذلك على التَّبَرِّي مِن ذلك: إنه يَعلم[5] / ما نُخفي وما نُعلن، و لم يَعلم ذلك الذين يَطعنون [٣٩٠ظ]
فِيَّ مِنِّي -والله أعلم- كقول[6] عيسى: تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي.[7] أو أن يكون قال ذلك لأنَّ أهلَ الأديان
جميعًا كانوا يُوَالُون إبراهيم ويَدَّعُون أنه على دينهم، ولذلك[8] قال: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا
وَلَا نَصْرَانِيًّا،[9] الآية، بَرَّأَه[10] الله مما ادَّعَى[11] كلُّ فريق. ثم منهم مَن كان مِن هذه الفِرَق يَدَّعُون
الإسرارَ عن الله والإخفاءَ عنه، فقال هذا لِيُعَلِّمَ الناسَ توحيدَه [و]أنه لا يَخفَى عليه شيءٌ أُخفِيَ[12]
أو أُعلِنَ لِيَعرفوا توحيدَه [و]أنه ليس شيءٌ يَخفَى عليه. *والله أعلم.** ٣٩٠ظ س٥]

﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[٣٩]

وقوله[13] عز وجل: **الحمد لله الذي وَهَبَ لي على الكِبَرِ إسماعيل وإسحاق،** قال أهل التأويل: إنه وهب له الولد[14] وهو ابن كذا وامرأته ابنة[15] كذا.[16] لكن لا نَعلم ذلك سِوَى ما ذكر أنه وهب له الولد على الكِبَرِ في وقت الإياس عن الولد، حيث بُشِّرَ بالولد فقال:

---

[1] ع: وقال.

[2] ن: حاجتي.

[3] ع م + إن.

[4] ع: وقال.

[5] ع: ولأنه نعلم.

[6] ع: وقوله؛ م: كقوله.

[7] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابنَ مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهَيْن مِن دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إنْ كنتُ قلتُه فقد عَلِمْتَه تَعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ (سورة النساء، ٤/١١٦).

[8] ن ع م: وكذلك.

[9] ﴿ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حَنِيفًا مُسلِمًا وما كان مِن المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٦٧).

[10] ع: فراه.

[11] ع: الدعا.

[12] ع: أحقى.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٤١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٠و/سطر ٣٨-٣٩٠ظ/سطر ٥.

[13] ك - وقوله.

[14] ع م: والولد.

[15] ن: ابنت؛ ع م: بنت.

[16] «قيل: إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة وإبراهيم ابن مئة سنة، وقد ذَكرتُ الرواية فيما رُوِي في ذلك عن مجاهد قَبلُ. وأما ابن إسحاق فإنه... قال: كانت سارة يومَ بُشِّرَتْ بإسحاق فيما ذُكر لي بعضُ أهل العلم ابنة تسعين سنة وإبراهيم ابن عشرين ومئة سنة» (*تفسير الطبري*، ١٢/٧٦).

*ويحتمل قوله: **إنك تَعلم ما نُخفِي وما نُعلِن،** [أنه] كانت له حاجاتٌ أَخفَاها، طَلَبَ قضاءَها فقال:[1] تَعلم حاجاتي[2] أَخفَيتُها أو[3] أَعلَنتُها، فاقْضِها لي. أو أن يكون قومُه طَعَنُوا في شيء، فقال[4] ذلك على التَّبَرِّي مِن ذلك: إنه يَعلم[5] / ما نُخفي وما نُعلن، ولم يَعلم ذلك الذين يَطعنون فِيَّ مِنِّي -والله أعلم- كقول[6] عيسى: تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي.[7] أو أن يكون قال ذلك لأنَّ أهلَ الأديان جميعًا كانوا يُوَالُون إبراهيم ويَدَّعُون أنه على دينهم، ولذلك[8] قال: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا،[9] الآية، بَرَّأه[10] الله مما ادَّعَى[11] كلُّ فريق. ثم منهم مَن كان مِن هذه الفِرَق يَدَّعُون الإسرارَ عن الله والإخفاءَ عنه، فقال هذا لِيُعَلِّمَ الناسَ توحيدَه [و]أنه لا يَخفَى عليه شيءٌ أُخفِيَ[12] أو أُعلِنَ لِيَعرفوا توحيدَه [و]أنه ليس شيءٌ يَخفَى عليه. *والله أعلم*.* [٣٩٠و س٣٨] [٣٩٠ظ] [٣٩٠ظ س٥]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَاءِ﴾[٣٩]

وقوله[13] عز وجل: **الحمد لله الذي وَهَبَ لي على الكِبَرِ إسماعيل وإسحاق،** قال أهل التأويل: إنه وهب له الولد[14] وهو ابن كذا وامرأته ابنة[15] كذا.[16] لكن لا نَعلم ذلك سِوَى ما ذكر أنه وهب له الولد على الكِبَرِ في وقت الإياس عن الولد، حيث بُشِّرَ بالولد فقال:

---

[1] ع: وقال.
[2] ن: حاجتي.
[3] ع م + إن.
[4] ع: وقال.
[5] ع: ولأنه نعلم.
[6] ع: وقوله؛ م: كقوله.
[7] ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابنَ مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأميَ إلهَيْن مِن دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إنْ كنتُ قلتُه فقد عَلِمْتَه تَعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ (سورة النساء، ٤/١١٦).
[8] ن ع م: وكذلك.
[9] ﴿ما كان إبراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حَنِيفًا مُسلِمًا وما كان مِن المشركين﴾ (سورة آل عمران، ٣/٦٧).
[10] ع: فراه.
[11] ع: الدعا.
[12] ع: أحقى.
* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية الآتية برقم ٤١، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٠و/سطر ٣٨-٣٩٠ظ/سطر ٥.
[13] ك - وقوله.
[14] ع م: والولد.
[15] ن: ابنت؛ ع م: بنت.
[16] «قيل: إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة وإبراهيم ابن مئة سنة، وقد ذَكرتُ الرواية فيما رُوِي في ذلك عن مجاهد قبلُ. وأما ابن إسحاق فإنه... قال: كانت سارة يومَ بُشِّرَتْ بإسحاق فيما ذُكر لي بعضُ أهل العلم ابنة تسعين سنة وإبراهيم ابن عشرين ومئة سنة» (*تفسير الطبري*، ١٢/٧٦).

أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ،[1] وحيث قالت امرأته لمّا بُشِّرت بالولد: أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخًا.[2] فعُلِم[3] أنه وهب له الولد وهما كانا كبيرين في وقت الإياس عن الولد.

وقوله: **الحمد لله الذي وَهَبَ لي على الكِبَرِ إسماعيل وإسحاق**، يكون حمده على الأمرين جميعًا، على الهبة وعلى الولادة في حال الكِبَر، وهو حال الإياس؛ إذ كلُّ واحدٍ مما[4] يوجب الحمدَ عليه والثناءَ.

وقوله[5] عز وجل: **إنّ ربي لَسميع الدعاء**، قيل: لمَجيب الدعاء.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[٤٠]

وقوله[6] عز وجل: **ربِّ اجعلني مُقيمَ الصلاة ومِن ذريتي**، قد سبق مِن الله الأمرُ بإقامة[7] الصلاة، وهو مقيمٌ[8] لها، فدلّ الدعاء منه والسؤال على أن يجعله مقيمَ الصلاة أنّ عند الله لُطفًا[9] سِوَى الأمر لم يُعطِه، فسأله[10] ذلك، وهو[11] التوفيق. و[هو يدل] على [فساد] قول المعتزلة لقولهم: إنه قد أَعطى كلَّ شيءٍ حتى لم يَبْقَ عنده ما يُعطيه.

وقوله[12] عز وجل: **ربَّنا وتَقَبَّلْ دعاءِ**، قال بعضهم: تَقَبَّلْ دعائي، [أي] في إقامة الصلاة لنفسه وذريته. لكن لا يجب أن يُخَصَّ دعاءٌ مِن الدعوات التي سأل ربه، وقد دعا ربَّه بدعوات كثيرة، نحو ما قال: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[13] وقوله: رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ،[14] وقال: رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ،[15] وغير ذلك من الدعوات.

---

[1] سورة الحجر، ١٥/٥٤.
[2] سورة هود، ١١/٧٢.
[3] ن ع م: يعلم.
[4] ع + مما.
[5] ك - وقوله.
[6] ك - وقوله.
[7] ع م: بإقامته.
[8] جميع النسخ: المقيم.
[9] جميع النسخ: لطف.
[10] ك: لم يعطه فسأل.
[11] ع م: هو.
[12] ك - وقوله.
[13] سورة إبراهيم، ١٤/٣٥.
[14] سورة إبراهيم، ١٤/٣٧.
[15] ﴿ربنا واجعلنا مُسلِمَين لكَ ومِن ذريتنا أمةً مسلمةً لكَ وأَرِنا مَناسِكَنا وتُبْ علينا إنكَ أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يَتلو عليهم آياتك ويُعلِّمهم الكتاب والحكمة ويُزكِّيهم إنكَ أنت العزيز الحكيم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٢٨-١٢٩).

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[٤١]

وقوله[١] عز و جل: **ربَّنا اغفر لي ولوالدَيَّ**، طلب مِن ربه المغفرة لوالدَيْه.[٢] قال الحسن: إنّ أمه كانت مسلمة، وأمّا أبوه فكان[٣] كافرًا؛ لأنه قال: وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ،[٤] خصَّ[٥] والدَه بالضلال، دلَّ أنّ أمه كانت مسلمة.[٦] لكنّا لا نَعلم ما حال[٧] أمه[٨] [أن] كانت مسلمة أو كافرة، وأمّا[٩] أبوه فهو لا شكّ أنه كان كافرًا. ثم يحتمل دعاؤه لوالديه وهما كافران -إن كانت[١٠] أمه كافرة-[١١] على إضمار الإسلام، أي اغفر لهما إن أسلما. أو أن يكون سؤال المغفرة لهما سؤالَ الإسلام نفسه. أو أن[١٢] يكون طَلَبَ منه الستر[١٣] عليهما في الدنيا وأن لا يَفضَحهما[١٤] ولا يُخزِيَهما.[١٥] لكنه سأل المغفرة يوم يقوم الحساب، ولا[١٦] يحتمل طَلَبُ الستر إلا أنْ يُفصَل[١٧] بين قوله: **ربنا اغفر لي ولوالدَيّ**، وبين قوله: **وللمؤمنين**، يُبتَدَأ بالمؤمنين يوم يقوم الحساب. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١٨] ودعاء إبراهيم وسؤاله[١٩] المغفرةَ لوالديه يكون سؤالَ السبب الذي يَستحقّان به المغفرة مِن ربهما ويكونان أهلاً لها،[٢٠] وهو التوحيد ومعرفة المولى.

---

١ ك - وقوله.
٢ ع: لوالدي.
٣ ك ن: كان.
٤ سورة الشعراء، ٨٦/٢٦.
٥ م: خص.
٦ ذكره الآلوسي مختصرا. انظر: *روح المعاني* للآلوسي، ٢٤٣/١٣. ونسب القرطبي هذا القول إلى القشيري. انظر: *تفسير القرطبي*، ٣٧٥/٩.
٧ جميع النسخ + الأم.
٨ ك: أم.
٩ ع: فأما.
١٠ ك: إن كان.
١١ جميع النسخ + إلا.
١٢ ك - أن.
١٣ ع: ستر.
١٤ ع: لا يحفحهما.
١٥ ك: يخزايما.
١٦ ع: فلا.
١٧ ع: أن يحصل.
١٨ انظر تفسير الآية من سورة التوبة، ١١٤/٩.
١٩ ع: فسؤاله.
٢٠ ع: أهل الذهما؛ م: لهما.

وهو ما ذكرنا[1] في أَمْر نوحٍ قومَه الاستغفارَ له،[2] وكذلك قول[3] هود حيث قال: وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ،[4] الآية.

وقوله[5] عز وجل: **يوم يقوم الحساب**، يحتمل قوله: **يقوم الحساب**، بالعدل. يقول الرجل لآخر: أَقِمْ حسابي، أي اعْدِلْ فيه. وإقامةُ الحساب العَدْلُ فيه على ما توجبه[6] الحكمة لا يُزاد ولا يُنقَص، كقوله: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ.[7] وقال بعضهم: **يوم يقوم الحساب**، يوم يُحاسَبون، [أي] قيامُ الحساب[8] هو المحاسبةُ نفسُها.[9] *والله أعلم*.*

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[٤٢] ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[٤٣]

وقوله[10] عز وجل: **ولا تَحسَبَنَّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون**، قال بعضهم: المخاطبة بهذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة على عِلمٍ مِنه أنّ رسول الله كان لا يظن أنّ الله يَغفل عما يعمل الظالمون، لكنه خاطب به كما خاطبه[11] في قوله: وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ،[12] وقوله: وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،[13] وأمثاله، نَهاه مع العلم أنه لا يفعل[14] ذلك. والأصل[15] في هذا أنّ العصمة لا تَرفع المحنة، وليس المحنة إلا الأمر والنهي؛ إذ لو رَفعت العصمةَ المحنةُ

[1] ع: ما ذكر.
[2] ﴿فقلت استغفِروا ربّكم إنه كان غفارا﴾ (سورة نوح، ٧١/١٠).
[3] ع: قوله.
[4] سورة هود، ١١/٥٢.
[5] ك - وقوله.
[6] ن ع م: ما يوجبه.
[7] ﴿ونَضَعُ الموازينَ القِسطَ ليوم القيامة فلا تُظلَمُ نفسٌ شيئًا وإنْ كان مثقالَ حبةٍ مِن خردَلٍ أتينا بها وكَفَى بنا حاسبين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٤٧).
[8] م - قيام الحساب.
[9] جميع النسخ: نفسه.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة برقم ٣٨، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٩٠و/سطر ٣٨-٣٩٠ظ/سطر ٥.
[10] ك - وقوله.
[11] جميع النسخ: كما خاطب به.
[12] سورة القصص، ٢٨/٨٨.
[13] سورة الأنعام، ٦/١٤؛ وسورة يونس، ١٠/١٠٥؛ وسورة القصص، ٢٨/٨٧.
[14] م: لا يغفل.
[15] جميع النسخ: وأصله.

والأمرُ والنهيُ لَذهبت فائدة العصمة ولا حاجةَ تَقَعُ إليها، فدلّ أنّ العصمة تَزيد في المحنة ومع المحنة يُحتاج إليها[١] ويُنتفَع بها. ويحتمل أن يكون الخطاب بالآية لغيره[٢] [أي] كلّ[٣] ظانٍّ يَظن بالله الغفلةَ عن ظُلم الظالم، وهو كما خاطب بقوله: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ،[٤] إنما خاطب به كلّ مغرور[٥] بربه الكريم لا كلّ إنسان، فعلى ذلك خاطب بقوله: **ولا تَحسَبَنَّ الله غافلاً عمّا يَعمل الظالمون**، كلَّ ظانٍّ بالله الغفلةَ عن ظُلم الظالم. ثم إنّ الذي حَمَلَهم على الظنّ بالله الغفلةَ عن ظُلم الظالم حِلْمُه وتأخيرُه العذاب عنهم عن وقتِ ظُلمِهم وتَرْكُ أَخْذِهم بذلك. فمِنهم مَن ادَّعَى الغفلةَ عن ذلك لِمَا رَأَوْا مِن عادةِ مُلُوكِ الأرض أنّ مَن ظَلَمَ[٦] أحدًا[٧] مِنهم انْتَقَمَ مِنه في أَعْجَلِ وقتٍ يَقدر على الانتقام مِنه، فحَمَلَ تأخيرَ الله[٨] العذابَ منهم والانتقامَ منهم على القول بالغفلة.[٩] ومنهم مَن ادَّعَى الرضاءَ بما اختاروا هم مِن الشرك والكفر بالله وادَّعَوْا الأمرَ بذلك لِمَا لم يَأخذهم ولم يَستأصِلْهم بصنيعهم، فاستدلّوا بذلك [على] رِضاه بفعلهم[١٠] وأمْرِه إياهم بذلك. فأَخبر رسولَه أنّ تأخيرَه[١١] العذابَ عنهم وإمهالَه إياهم ليس عن غفلةٍ عنه ولا عن سهوٍ ولا لِرضاه به وأَمْرٍ،[١٢] ولكن إنّما يُؤخِّره ليومٍ.

[٣٩٠ظ س٢٧ *وقوله: **ولا تَحسَبَنَّ الله غافلاً عمّا يَعمل الظالمون**، يخرج على وجهين. أحدهما يقول: **ولا تَحسَبَنَّ الله غافلاً عمّا يَعمل الظالمون**،[١٣] وَقْتَ خَلْقِه الخَلْقَ وأنشأهم، عمّا يكون منهم مِن الظلم، أي لا عن غفلةٍ وسهوٍ عن ظُلم الظالمين أنشأهم وخَلَقهم،

---

[١] ن – إليها.
[٢] جميع النسخ: غيره.
[٣] ع: وكل.
[٤] سورة الانفطار، ٦/٨٢.
[٥] جميع النسخ: كل غار.
[٦] ع م: من أظلم.
[٧] ك – أحدا.
[٨] ع + لله.
[٩] ع: الغفلة.
[١٠] ع م: بفعله.
[١١] ع م: أن تأخير.
[١٢] ع: عن سهو والرضا وأمر.
[١٣] ك – يخرج على وجهين أحدهما يقول ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون.

ولكن على علمٍ بما يكون منهم أنشأهم وخلَقَهم[١] لأنّ مَنافعَ ما يكون[٢] منهم وضررَه يَرجع إليهم، فلم يَخرُج إنشاؤه إياهم[٣] على علمٍ منه بذلك[٤] عن الحكمة.

والثاني ما ذكرنا أنّ تأخيرَه العذابَ عنهم ليس لِغفلةٍ منه بذلك، ولكن لِمَا في أَخذِهم بالعذاب

٣٩٠ظ س٣١] وَقتَ صَنيعهم زوالُ المحنة؛[٥] لأنه يَصيرُ العذاب والثواب مشاهدةً.[٦]*

ثم وَصَفَ ذلك اليوم لِشدة هَوْلِه وفَزَعِه[٧] فقال: **لِيومٍ تَشْخَصُ فيه الأَبصارُ مُهْطِعِين مُقْنِعِي رُءوسِهم لا يَرتدُّ إليهم طَرْفُهم**، قال بعضهم: هذا كلُّه يَرجع إلى الطَّرْف والبصر. يقولون: شاخصة أبصارهم، **مُهْطِعِين**، ناظرين إليه، أي إلى الداعي، **مُقْنِعِي رُءوسِهم**، رافِعِي رُءوسِهم، **لا يَرتدُّ إليهم طَرْفُهم**،[٨] لِهَوْلِ ذلك اليوم. هذا كلّه يَصرفونه[٩] إلى الأبصار دون النفس؛ لأنّ الإهْطاع والإقناع هو للنظر ولِشُخُوص[١٠] الأبصار. ومنهم مَن صَرَفَ قولَه: تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ،[١١] و **لا يَرتدُّ إليهم طَرْفُهم**، إلى البصر، وصَرَفَ قولَه: **مُهْطِعِين مُقْنِعِي رُءوسِهم**، إلى الأنفُس، وهو ما ذكر في موضع آخر: مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ،[١٢] أي مُسرِعين إليه بالإجابة[١٣] رجاءَ التخلُّص والنجاة عما حَلّ بهم بترك الإجابة. والإهطاع قيل: هو النظر الدائم، والإقناع هو الرفع، رَفْعُ الرءوس، **مُهْطِعِين**، أي مُدِيمِي النظر، **مُقْنِعِي رُءوسِهم**، أي[١٤] رافِعِيها.

[١] ك + لكن أنشأهم على علم منه بذلك؛ ن + ولكن أنشاهم على علم منه بذلك؛ ع م + لكن أنشاهم.
[٢] ن: ذلك.
[٣] ع م – لأن منافع ما يكون منهم وضرره يرجع إليهم فلم يخرج إنشاؤه إياهم.
[٤] جميع النسخ: ذلك.
[٥] ك: المحنة.
[٦] ك ن + والله أعلم.
* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه في تفسير الآية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩٠ظ/سطر ٢٧-٣١.
[٧] ع: وقرعه.
[٨] ن – قال بعضهم هذا كله يرجع إلى الطرف والبصر يقولون شاخصة أبصارهم مهطعين ناظرين إليه أي إلى الداعي مقنعي رؤسهم رافعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم.
[٩] جميع النسخ: يصرفون.
[١٠] ع م: هو النظر والشخوص.
[١١] الآية السابقة.
[١٢] ﴿خُشَّعًا أبصارُهم يَخرجون من الأَجْداث كأنهم جرادٌ مُنتشِر. مُهْطِعِين إلى الداعِ يقول الكافرون هذا يومٌ عَسِر﴾ (سورة القمر، ٥٤/٧-٨).
[١٣] جميع النسخ: الإجابة.
[١٤] ن ع م – أي.

وعلى تأويل بعضهم: مُسرِعين، على ما ذكرنا. وقال بعضهم: **مُقْنِعِي رُءوسِهِم**، أي رافِعِيها[1] مُلْتَزِقَةً إلى أعناقهم.*

وقوله[2] عز وجل: **وأفئدتهم هَوَاء**، قيل:[3] خالية لِهَوْل ذلك اليوم، أي خالية عن التدبير؛ لأنّ في الشاهد أنّ[4] مَن بُلِيَ بِبَلايا وشَدائدَ يتدبّر ويتفكّر في دفع ذلك، فيُخبر[5] أنّ أفئدتهم هَوَاءٌ يومئذ، أي خالية عن التدبير، إذ أفئدتهم لا تكون[6] معهم لِشدة أهواله. وقال بعضهم: **وأفئدتهم هَوَاء**، أي لا شيء فيها ما يَنتفعون بها، وهكذا الهَواء، هَواءُ كلِّ شيءٍ يُوصَف بالخَلاء[7] عن كل شيء. *والله أعلم.*

[٣٩١و س٧ *وقال بعضهم في قوله: **وأفئدتهم هَوَاءٌ**، أي تُنْزَع قلوبهم حتى صارت في حَناجِرهم، فلا تَخْرُج مِن أفواههم ولا تعود إلى أماكنها لِشدة هَوْلِ ذلك اليوم وفَزَعِهم عليه. وهو على التمثيل والكناية كقولهم: إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ،[8] الآية، لِشدة خوفِهم، وهو على التمثيل؛ إذ لا يحتمل بلوغ القلوب[9] الحناجر في الدنيا حقيقة، إذ لو بلغت ذلك لخَرجت فماتوا، إذ الدنيا يحتمل[10] الموت فيها، فدل أنّ ذلك على التمثيل لشدة خوفهم.* ٣٩١و س١١]

﴿**وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ**﴾[٤٤]

وقوله[11] عز وجل: **وأَنْذِرِ الناسَ يومَ يَأتيهمُ العذابُ فيَقولُ الذين ظَلَموا ربَّنا أَخِّرنا إلى أجلٍ قريبٍ**، يحتمل قوله: **وأَنْذِرِ الناسَ يومَ يَأتيهمُ العذابُ**، قولَهم الذي يقولون يومئذ: **ربنا أخرنا إلى أجل قريب**.

---

[1] ع: أي رافعها.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية متأخرا عن موضعه، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٩٠ظ/سطر ٢٧-٣١.

[2] ك - وقوله.

[3] ع م - قيل.

[4] ع: في المشاهدتان.

[5] ن: فيخبر.

[6] جميع النسخ: لا يكون.

[7] ع م: بالخلاص.

[8] ﴿إذ جاءوكم مِن فوقِكم ومِن أسفلَ مِنكم وإذ زاغتِ الأبصارُ وبَلَغَتِ القلوبُ الحناجرَ وتظنون بالله الظُّنُونا﴾ (سورة الأحزاب، ٣٣/١٠).

[9] ك: القلب.

[10] ن ع: تحتمل.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩١و/سطر ٧-١١.

[11] ك - وقوله.

ويحتمل **وأنذرِ الناسَ يومَ يأتيهمُ العذابُ**، الذي يَحِلُّ بهم، ثم أخبر عما يقولون إذا حَلَّ بهم العذاب: **ربَّنا أَخِّرْنا إلى أجلٍ قريبٍ**، قال بعضهم: إلى الدنيا، والدنيا أجلُها قريب. لكن هذا لا يحتمل؛ لأن الدنيا أُولى والآخرة آخرة، فلو جاز هذا[1] تكون[2] الآخرة أُولى، فذلك بعيد. لكن طَلَبوا -والله أعلم- الردَّ إلى حال الأَمْن لِيُجِيبُوا داعِيَه؛ إذ لم تَنفعهم[3] إجابتُهم في حال الخوف والهَوْل، وما حَلَّ بهم / إنما حَلَّ بتَركِهم الإجابةَ[4] في حال الأَمْن، فطَلَبوا الردَّ إلى الأَمْن لِيُجِيبُوا[5] داعِيَه[6] لِتَنفعهم إجابتُهم، حيث قالوا: **نُجِبْ دعوتَك ونَتَّبِعِ الرسل**. [٣٩١و]

وقوله[7] عز وجل: **أَوَلم تكونوا أَقسمتم مِن قبلُ ما لكم مِن زوال**، لم يبيّن بما أَقسموا في هذه الآية، وهو ما بيّن في آية أخرى: وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ.[8]

ثم قوله: **ما لكم مِن زوال**، قال قائلون: **ما لكم مِن زوال**، مِن الدنيا، أي كنتم تقولون أنْ: ليس إلا الدنيا، لا زوالَ[9] لنا عنها أحياءً ومَوْتَى، كقولهم: إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا،[10] الآية، على ما ذكر مِن قَسَمِهم أنهم لا يُبْعَثون. وقال قائلون: قوله: **ما لكم مِن زوال**، جوابٌ لسؤالهم: **ربَّنا أَخِّرْنا إلى أجلٍ قريبٍ**، على الاستئناف قال: **ما لكم مِن زوال**، عمّا أنتم فيه مِن العذاب إلى ما تَسألون[11] مِن المدة والتأخير، أي ما لكم إلى ذلك[12] سبيل.*

---

[1] ك – هذا.
[2] جميع النسخ: لتكون.
[3] ع م: لم ينفعهم.
[4] ع م – الإجابة.
[5] ك: ليجيئوا.
[6] ن – إذ لم تنفعهم إجابتهم في حال الخوف والهول وما حل بهم إنما حل بتركهم الإجابة في حال الأمن فطلبوا الرد إلى الأمن ليجيبوا داعيه.
[7] ك – وقوله.
[8] سورة النحل، ٣٨/١٦.
[9] ع: إلى زوال.
[10] ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ (سورة المؤمنون، ٣٧/٢٣).
[11] م: ما يتسائلون.
[12] ن + من.
* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٩١و/سطر ٧-١١.

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾[٤٥]

وقوله[١] عز وجل: **وسَكَنتم في مَساكن الذين ظلموا أنفسهم**، بتكذيبهم الرسل. تأويله[٢] -والله أعلم- أنهم كانوا يَطلبون مِن ربهم الردَّ إلى حال الأَمْن لِيُجيبوا، بقولهم: رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ،[٣] فقال: **وسَكَنتم في مَساكن الذين ظلموا أنفسهم**، بتكذيبهم الرسل،[٤] أي سَكَنتم في الدنيا في مِثل مَنازلِهم ومَساكنِهم فرأيتم ما نَزَلَ بأولئك الذين صَنَعُوا مِثلَ صَنيعِكم، وذلك قوله[٥] عز وجل: **وتَبَيَّنَ لكم كيف فعلنا بهم**، مِن التعذيب والاستئصال، ثم لم تَتَّعِظُوا[٦] بما حَلَّ بهم. فعلى ذلك إذا رُدِدْتم إلى حال الأَمْن لا تَتَّعِظُون[٧] بما حَلَّ بكم في هذه الحال، وهو ما قال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ،[٨] فيما يقولون: إنهم يجيبون دعوته. هذا -والله أعلم- تأويلُه. وقال بعض أهل التأويل: **وسَكَنتم في مَساكنِ الذين ظلموا أنفسهم**، أي عَمِلتم[٩] مِثلَ أعمالِهِم،[١٠] **وتَبَيَّنَ لكم كيف فعلنا بهم**، مِن الاستئصال بالتكذيب بتكذيبِهم الرسل،[١١] فلم تَتَّعِظُوا بذلك، فلا تَتَّعِظُون[١٢] بهذا أيضًا إذا رُدِدْتم. ***والله أعلم.***

وفي قوله:[١٣] **وسَكَنتم في مَساكنِ الذين ظلموا أنفسهم**، إلى آخر ما ذكر، دلالةُ لزومِ النظر والاستدلال ولزومِ القياس. ودلالةُ لزومِ العقوبة -وإن كان لم يَعلموا به- بعد أنْ مُكِّنُوا مِن العلم به. أمّا دلالةُ النظر والاستدلال هو قوله: **وسَكَنتم في مَساكنِ الذين ظلموا أنفسهم**،

---

[١] ك - وقوله.
[٢] ع م: وتأويله.
[٣] ع م + والله أعلم. وانظر: الآية السابقة.
[٤] ك - تأويله والله أعلم أنهم كانوا يطلبون من ربهم الرد إلى حال الأمن ليجيبوا بقولهم ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فقال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بتكذيبهم الرسل.
[٥] ن ع: وقوله؛ م: ذلك وقوله.
[٦] ن ع م: لم يتعظوا.
[٧] ك: لا تقبطون.
[٨] سورة الأنعام، ٢٨/٦.
[٩] ع م: أي علمتم.
[١٠] ع: أعمالكم.
[١١] ن - بتكذيبهم الرسل.
[١٢] ع: فلا يتعظون.
[١٣] ن: وقوله.

فهلّا نَظرتم [في] ما حَلَّ بهم مِن تكذيبهم الرسل واتَّعَظْتم[1] به. ودلالةُ القياس هو ما خَوَّفَهم أنْ يَنزلَ بهم ما نَزَلَ بأولئك؛ لأنهم اشتركوا في المعنى الذي نَزَلَ بأولئك ما نَزَل، وهو[2] تكذيبهم الرسل وسوءُ معاملتِهم إياهم.

وقوله[3] عز وجل: **وضَرَبْنا لكم الأَمثال**، أي ضَرَبْنا لكم[4] مِن الأمثال ما لو تفكّرتم فيها ونَظرتم لَكان ذلك لكم موعظةً وزجرًا عن مِثل صَنيعكم. أو يقول: **وضَرَبْنا لكم الأَمثال**، أي قد بَيَّنّا لكم الأَمثال والأَشباه[5] وما[6] يُعَرِّفُكم لو تأمَّلْتم أنّ أولئك لكم أشباهٌ وأمثالٌ وصَنيعَهم لِصَنيعكم أشباهٌ وأمثالٌ، فيَنزل بكم ما نَزَلَ بهم. *والله أعلم*.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[٤٦]

وقوله[7] عز وجل: **وقد مَكَرُوا مَكْرَهم**، مَكَرُوا[8] واحتالوا على إهلاك الرسل وقتلِهم، كقوله: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا،[9] الآية، وكَيْدِهم الذي ذكر في غير آيٍ مِن القرآن برسل الله حتى قال الرسل: فَكِيدُونِي جَمِيعًا.[10] ومَكروا أيضًا بدين الله الذي أتت به الرسل، مَكَرُوا واحتالوا على إطفاء ذلك النور، فأَبَى الله ذلك عليهم وأَظْهَرَ دينَه وأَبْقَى نورَه إلى يوم القيامة، كقوله: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ.[11] كأنّ مَكْرَهم وحِيَلَهم يَرجع في أحد[12] التأويلين إلى أنفُس الرسل حين هَمُّوا وقصدوا[13] إهلاكهم.[14] والثاني يَرجع إلى إطفاء الدين الذي أتى به الرسل والنور الذي دَعَوْا إليه.

---

[1] ع: واتعظم.
[2] ع م: هو.
[3] ك – وقوله.
[4] م – لكم.
[5] ع: والأشبا.
[6] ن م: ما.
[7] ك – وقوله.
[8] ك – مكروا.
[9] ﴿وإذ يَمكُر بك الذين كفروا لِيُثْبِتُوك أو يَقتُلوك أو يُخرِجوك ويَمكُرون ويَمكُر الله والله خير الماكرين﴾ (سورة الأنفال، ٨/٣٠).
[10] سورة هود، ١١/٥٥. وهو من قول هود عليه السلام.
[11] ﴿يريدون أن يُطفِئوا نورَ الله بأفواههم ويَأبَى اللهُ إلا أن يُتِمّ نورَه ولو كَرِهَ الكافرون﴾ (سورة التوبة، ٩/٣٢).
[12] ن: إلى أحد.
[13] ع م: وبعدوا؛ وفي ك ن الكلمة غير واضحة وغير منقوطة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٤٢٢ظ.
[14] ك: هلاكهم.

وقوله[١] عز وجل: **وعند الله مَكْرُهم**، يحتمل عند الله جزاءُ[٢] مَكْرِهم الذي مَكَرُوا برسل الله وبدينه. أو[٣] **وعند الله مَكْرُهم**، أي عند الله العلمُ[٤] بمَكْرِهم محفوظٌ ذلك عنده لا يَفُوت ولا يَذهب عنه شيء، فيَجزِيهم بذلك في الآخرة. أو **وعند الله مَكْرُهم**، أي عند الله الأسبابُ التي بها مَكَرُوا، مِن عند الله استفادوا [ذلك]، وهو النعيم الذي[٥] أعطاهم والأموال التي مَلَّكَهم[٦] والعقول التي رَكَّبَ فيهم بما قَدَرُوا على المَكْر والاحتيال، عند الله ذلك كلُّه.[٧] *والله أعلم*.

وقوله[٨] عز وجل: **وإنْ كان مَكْرُهم لِتَزُولَ مِنه الجبال**، اختُلف في تلاوته وقراءته وتأويله. قرأ بعضهم: وإن كاد مَكْرُهم، بالدال، وهو حرف عمر وابن[٩] مسعود وأُبَيّ وابن[١٠] عباس رضي الله عنهم.[١١] وقرأ بعضهم: **وإنْ كان مَكْرُهم**، بالنون. ثم اختُلف في قوله: **وإنْ كان**. قال الحسن وغيره: **وإنْ** بمعنى[١٢] "ما"، أي ما كان مَكْرُهم لِتَزُولَ منه الجبال، قال: كان مَكْرُهم أَوْهَنَ وأَضْعَفَ مِن أنْ تَزول[١٣] مِنه الجبال.[١٤] / و"إنْ" بمعنى "ما" كثير في القرآن، كقوله: [٣٩١ظ] لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ،[١٥] أي ما كنا فاعلين، وكقوله: إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ،[١٦] أي ما نحن إلا بشر مثلكم. وقد يستعمل[١٧] "إنْ" في موضع "قد"، كقوله: إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا،[١٨] أي قد كان وَعْدُ ربِّنا لمَفعولاً. فمَن حَمَلَه على "ما" فقد استهان بمكرهم واستَخَفَّ به،

---

[١] ك – وقوله.
[٢] ك – جزاء، صح هـ.
[٣] ن م – أو.
[٤] ك: العمل.
[٥] ك: النعم التي.
[٦] م: ملكتهم.
[٧] ع م – ذلك كله.
[٨] ك – وقوله.
[٩] ع م: بن.
[١٠] ع: ابن.
[١١] وهي من الشاذ لمخالفتها لرسم المصحف. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٤٦-٢٤٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٥٣، ٥٤.
[١٢] ع: معنى.
[١٣] ك ن ع: أن يزول.
[١٤] ع م + قال كان مكرهم. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٤٧؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٥٣.
[١٥] ﴿لو أردنا أن نتخذ لَهْوًا لاتخذناه مِن لَدُنَّا إنْ كنا فاعلين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/١٧).
[١٦] ﴿قالت لهم رُسلهم إنْ نحن إلا بشر مِثلكم﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/١١).
[١٧] ك: تستعمل.
[١٨] ﴿ويقولون سبحانَ ربِّنا إنْ كان وَعْدُ ربِّنا لمَفعولا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/١٠٨).

فقال: إنّ[1] مكرهم أوهن وأضعف مِن أنْ تزول[2] منه الجبال، والجبال أَوْهَن وأسرع زوالاً مِن رسالة الرسل ودين الله، بل رسالة الرسل ودين الله أَثْبَتُ مِن الجبال، لأنّ دينَ الله[3] ورسلَه معهما حُجَجُ الله وبراهينُه، فإذا لم يَعمل مكرُهم في إزالة الجبال لا يَعمل في إزالة دين الله[4] ورسالة الرسل ومعهما الحُجج والبراهين. ومَن قال: **وإنْ كان**، [أي] قد كان،[5] حَمَلَه على الاستِعْظام[6] لمكرهم،[7] وعلى ذلك مَن قرأ: كاد،[8] بالدال، على الاستعظام لمكرهم،[9] كقوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا،[10] مِن عظيم[11] ما قالوا في الله كادت السماوات أن تَنْشَق، فعلى ذلك مكرُهم. [ثم لا يحتمل مكرهم الوصف بالوجهين] جميعًا[12] أن يُستَهان مرة ويُستعظَم [أخرى][13] إلا أن يقال: إنّ كلمتهم مِن حيث الشرك والكفر عظيمة،[14] ومِن حيث احتيالهم ومكرهم في إزالة ذلك النور وإطفائه ضعيفة.[15] *والله أعلم*.

[٣٩١ظ س١٦] *وأمّا ما[16] قال أهل التأويل في قوله:[17] **وقد مَكَرُوا مَكْرَهم وعند الله مكرُهم وإن كان مكرُهم لِتَزولَ منه الجبال**، إنه نزل في شأن[18] نُمْرُود، وإنه اتّخذ تابوتًا ورَبَطَ نُسُورًا على قَوائِمِه،

---

[1] ن – إن كان وعد ربنا لمفعولا أي قد كان وعد ربنا لمفعولا فمن حمله على ما فقد استهان بمكرهم واستخف به فقال إن.
[2] ن ع: أن يزول.
[3] ع م – أثبت من الجبال لأن دين الله.
[4] م + ورسله معهما حجج الله وبراهينه فإذا لم يعمل مكرهم في إزالة الجبال لا يعمل في إزالة دين الله.
[5] ك – كان.
[6] ك: على الاستفهام.
[7] جميع النسخ: بمكرهم.
[8] ك – كاد.
[9] جميع النسخ: بمكرهم.
[10] سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١.
[11] ن: من عظم.
[12] جميع النسخ + الوجهين.
[13] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٤٢٢ظ.
[14] ك: عظيم.
[15] جميع النسخ: ضعيف.
[16] ع – ما.
[17] ك ن – في قوله.
[18] ك ن ع + فلان.

وما ذكروا إلى آخره،[١] فلا علم لنا إلى ذلك، وأظنه أنه كله خيال، فلا نقول إلا القَدْر الذي ذكر في الآية. و "لَتَزُولُ" بنصب اللام الأولى وبرفع الآخرة على معنى التوكيد،[٢] و "لِتَزُولَ" بكسر الأولى[٣] ونصب الآخرة على[٤] الجحد، أي ما كانت الجبال لِتَزُولَ مِن مكرهم. وهو ما ذكرنا. **والله أعلم**.* [٣٩١ظ س٢٠]

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[٤٧]

وقوله[٥] عز وجل: **فلا تَحْسَبَنَّ اللّٰه مُخْلِفَ وَعْدِهِ رسلَه**، الخطاب به يحتمل ما ذكرنا، أي لا تَحسَبَنَّ أنّ ما تأخر مِن نزول ما وَعد أنه يُخلِف وعدَه الذي وعد رسله، كما لم يكن[٦] تأخير العذاب عنهم مِن وقتِ ظُلمِهم عن غفلة وسهو، ولكن كان وَعدُه إلى ذلك الوقت. وخُلْفُ الوعد في الشاهد مِن الخَلْق إنما يكون لوجهين. أحدهما لِما لا يَملِك إنجازَ ما وعد. والثاني لِمَا يضرّه الإنجاز. فالله يَتعالى عن ذلك كله.

وقوله[٧] عز وجل: **إن الله عزيز ذو انتقام**، قال بعضهم:[٨] **عزيز**، لا يُعجِزه شيء. وقيل: **عزيز**، قاهر يَقهَر ويُذِلّ، فالخلائق[٩] كلهم أَذِلّاءُ دونَه. وقوله: **عزيز**، أي غالبٌ قاهر، **ذو انتقام**، لأوليائه مِن أعدائهم، أي غالب الأعداء وقاهرهم[١٠] وناصر الأولياء.*

---

[١] روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿وإنْ كان مَكْرُهم لِتزولَ منه الجبالُ﴾، ثم فسّرها فقال: إن جبارا من الجبابرة قال: لا أنتهي حتى أنظر إلى ما في السماء. فأمر بفِراخ النُّسور تُعلَف اللحم حتى شَبَّتْ وغَلُظَتْ. وأمر بتابوت فنُجِر يَسَعُ رَجُلَين. ثم جعل في وسطه خشبة. ثم ربط أرجلهن بأوتاد. ثم جَوَّعَهن، ثم جعل على رأس الخشبة لحما. ثم دخل هو وصاحبه في التابوت. ثم ربطهن إلى قوائم التابوت ثم خَلَّى عنهن يُرِدْن اللحم، فذَهَبْنَ به ما شاء الله تعالى. ثم قال لصاحبه: افتح فانظر ماذا ترى؟ ففتح فقال: أنظر إلى الجبال كأنها الذباب. قال: أغلق، فأغلق. فطِرْنَ به ما شاء الله، ثم قال: افتح، ففتح. فقال: انظر ماذا ترى؟ فقال: ما أرى إلا السماء، وما أراها تزداد إلا بُعدا. قال: صَوِّبِ الخشبة، فصَوَّبَها. فانْقَضَّتْ تريد اللحم، فسَمِعَ الجبالُ هَدَّتَها، فكادت تزول عن مَراتبها. وهناك روايات أخرى نحو ذلك. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٤٤-٢٤٦؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٥/٥٤-٥٦.

[٢] وهي قراءة متواترة قرأ بها الكسائي. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٣٠٠.

[٣] ع م: اللام.

[٤] ع: وعلى.

* وقع ما بين النجمتين في تفسير الآية التالية، فقدمناه إلى هنا؛ انظر: ورقة ٣٩١ظ/سطر ١٦-٢٠.

[٥] ك - وقوله.

[٦] ع: كما لير يكن؛ م: كما لين يكن.

[٧] ك - وقوله.

[٨] ع - بعضهم.

[٩] ن: فالخلق.

[١٠] ن: أو قاهرهم.

* وقع هنا مقطع من تفسير الآية السابقة، فقدمناه إلى هنالك؛ انظر: ورقة ٣٩١ظ/سطر ١٦-٢٠.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٤٨]

وقوله[١] عز وجل: **يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماواتُ**، قال الحسن: تُفْنَى هذه[٢] الأرضُ ثم تُعاد مِن ساعته مُستويةً لا شجرَ فيها ولا جبالَ[٣] ولا آكامَ،[٤] قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.[٥] وقال بعضهم: تُبَدَّلُ هذه الأرضُ أرضًا غيرَ هذه بيضاءَ نَقِيَّةً لم يُسفَك عليها دمٌ و لم يُعمَل عليها بالمعاصي، وكذلك السماوات. ومنهم مَن يقول: لا تُبَدَّلُ عينُها ولكن تَتغيّرَ[٦] صِفتُها وزينتُها، كما يقول الرجل لآخر: تَبَدَّلْتَ يا فلان، لا يريد تَبَدُّلَ أصلِه وعينِه ولكن تَغَيُّرَ الأخلاق والدين، فعلى ذلك[٧] ما ذكر مِن تبديل الأرض والسماوات. والأشبه أن يكون على اختلاف الأحوال؛ لأنه ذكر في آية: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا،[٨] وقال: وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ،[٩] وقال: يَوْمَ تَشَقَّقُ،[١٠] و إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ،[١١] و إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ،[١٢] وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ،[١٣] وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ،[١٤] وقال: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ، وقال: فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا.[١٥] ذكر مرةً [أنه] تُمَدُّ[١٦] الأرض، وذكر مرة[١٧] أنها تُخبِر وتُحَدِّث عمّا عُمِل عليها، وذكر في السماء التشقُّق[١٨] والانفطار، وفي الجبال السَّيْر[١٩] والمرور مرَّةً ومرَّةً الرَّفع،[٢٠]

---

[١] ك – وقوله.
[٢] م: هذا.
[٣] ن ع م: جبل.
[٤] الآكام جمع أَكَمَة، وهي التَّل الذي يكون ارتفاعه دون الجبل (*لسان العرب* لابن منظور، «أكم»).
[٥] ﴿ويَسألونك عن الجبال فقُل يَنسِفُها ربي نَسْفًا. فيَذَرُها قاعًا صَفصَفًا. لا ترَى فيها عِوَجًا ولا أمْتًا﴾(سورة الكهف، ١٠٥/٢٠-١٠٧).
[٦] ن ع م: يتغير.
[٧] ن ع م – ذلك.
[٨] سورة الزلزلة، ٤/٩٩.
[٩] سورة الانشقاق، ٣/٨٤.
[١٠] ﴿يومَ تَشَقَّقُ الأرضُ عنهم سِرَاعًا ذلك حَشْرٌ علينا يَسِيرٌ﴾ (سورة ق، ٤٤/٥٠).
[١١] سورة الانشقاق، ١/٨٤.
[١٢] سورة الانفطار، ١/٨٢.
[١٣] ﴿وتَرَى الجبالَ تَحسَبُها جامدةً وهي تَمُرُّ مَرَّ السحاب﴾ (سورة النمل، ٨٨/٢٧).
[١٤] ﴿ويومَ نُسَيِّرُ الجبالَ وتَرَى الأرضَ بارزةً وحَشرناهم فلم نُغادِر منهم أحدا﴾ (سورة الكهف، ٤٧/١٨).
[١٥] ﴿وبُسَّتِ الجبالُ بَسًّا. فكانت هَبَاءً مُنبَثًّا﴾ (سورة الواقعة، ٥/٥٦-٦).
[١٦] ن: بمد.
[١٧] ع – تمد الأرض وذكر مرة.
[١٨] جميع النسخ: بالتشقق.
[١٩] جميع النسخ: بالسير.
[٢٠] جميع النسخ: بالرفع.

ومرة أخبر أنه جعلها[١] هباءً منثورًا، وأمثاله. فيُشبِه أن يكون هذا كلُّه على اختلاف الأحوال والأوقات؛ إذ يوم القيامة يوم ممتدّ، فيكون كلُّ ما ذكر على ما قال: يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ،[٢] وقال[٣] في آية: وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ،[٤] وقال: وَلَا يَتَسَاءَلُونَ،[٥] وقوله: يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،[٦] فهو -والله أعلم-[٧] على اختلاف الأحوال والأوقات، فعلى ذلك الأول. **والله أعلم بذلك.**

وتَبديل[٨] الأرض والسماوات يحتمل وجهين. أحدهما تبديلُ[٩] أهلِها على ما يُذكَر الأرضُ والقريةُ والمرادُ منها الأهل، كقوله: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا،[١٠] وقوله: قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً[١١] الآية، ونحوه كثير. والثاني تبديلُ نفسِ الأرض. ثم يحتمل كلُّ واحدٍ مِن الوجهين وجهين. أمّا تبديلُ أهلِها هو أن يكونوا[١٢] مُستسلمين خاضعين له في ذلك ولم يكونوا في الدنيا كذلك.[١٣] والثاني تَبديلُ[١٤] أهلِها هو أن يكون الأولياءُ في النعم الدائمة واللذة الباقية والأعداءُ في عذاب وألم وشدة، وكانوا في هذه الدنيا جميعًا مُشتركين -الأولياءُ والأعداءُ- في اللّذات والآلام. فإن كان تبديل نفس الأرض فهو يخرج على وجهين أيضًا.[١٥] أحدهما تغييرُ[١٦] زينتِها وصفتِها. والثاني تبديلُ عينِها وجوهرِها، وهو ما ذكر أنّ أرضَ الجنة تكون مِن مِسْك وزعفران، ونحو ما روي في الخبر.[١٧] **والله أعلم.**

---

[١] ن ع: جعلناها؛ م: جعلناه.

[٢] ﴿فعَمِيَتْ عليهمُ الأنباءُ يومئذٍ فهم لا يَتساءلون﴾ (سورة النمل، ٢٧/٦٦).

[٣] ع م: قال.

[٤] سورة الصافات، ٣٧/٢٧.

[٥] ﴿فإذا نُفِخَ في الصُّور فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يَتساءلون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/١٠١).

[٦] ﴿يَسألُه مَن في السماوات والأرض كلَّ يومٍ هو في شأن﴾ (سورة الرحمن، ٥٥/٢٩).

[٧] ن ع م + ذلك.

[٨] ن ع م: وتبدل.

[٩] م: تبدل.

[١٠] سورة يوسف، ١٢/٨٢.

[١١] ﴿وضَرَبَ اللهُ مثلاً قريةً كانت آمِنَةً مُطمئنةً يأتيها رزقُها رَغَدًا مِن كلِّ مكانٍ فكَفَرَتْ بأَنْعُمِ الله فأذاقها اللهُ لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يَصنعون﴾ (سورة النحل، ١٦/١١٢).

[١٢] ع: أن يكون.

[١٣] ع م - كذلك.

[١٤] جميع النسخ: تبدل.

[١٥] ع م - أيضا.

[١٦] ك: تبديل.

[١٧] انظر لمختلف الروايات في ذلك: *تفسير الطبري*، ٣/٢٤٩-٢٥٤؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٥/٥٦-٥٨.

[٣٩٢و] كأنّ قولَه: **يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض**، / صِلةُ قولِه: فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ،[١] الآية،[٢] فقالوا: متى يكون ذلك؟ فقال: **يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض**، يَخرُج[٣] جوابًا لسؤالهم.[٤] *والله أعلم.*

وقوله[٥] عز وجل: **وبَرَزُوا لله الواحد القهّار**، قد ذكرنا[٦] تخصيصَ بُرُوزِهم لله يومَ القيامة أنه –والله أعلم– أنشأ هذا العالم الأول للعالم الثاني، فالعالم الثاني[٧] هو المقصود في إنشاء هذا[٨] العالم، فخَصّ بُرُوزَهم يومئذ له لِما هو المقصود في إنشائهم. وقال قائلون: تخصيص البُرُوز له يومئذ لأنهم يخرجون مِن قبورهم للحساب لا لغيره، فهو يُحاسِبُهم، فأضاف البُرُوزَ إليه لِما لا يخرجون[٩] إلا له، وأمّا في الدنيا فإنما يخرجون لحوائج أنفسهم، لذلك خرج التخصيص له والإضافة.

وقوله: **وبَرَزُوا لله**، يحتمل وجهين. أحدهما بَرَزُوا له مُستسلِمين خاضعين قابلين[١٠] طائعين ولم يكونوا في الدنيا كذلك. والثاني يَبْرُزُون له، [أي] لِما وُعِدوا وأُوعِدُوا، بارِزُون لِوَعْدِه ولِوَعِيدِه ولِما دُعُوا إليه ورُغِّبُوا فيه. وقيل:[١١] يَبْرُزُون له، [أي] لِما لا يَملِكون إخفاءَ[١٢] أنفسِهم وسَتْرَها، بل [يكونون] ظاهِرين له.

وقوله عز وجل: **لله الواحد القهّار، الواحد**،[١٣] الذي لا شريك له، و **القهّار**، يَقهَر الخلائق كلَّهم ويَغلِب[١٤] الجبابرة والفراعنة. أو يَبْرُزُون له لِيَجزِيَهم على ما ذكر تعالى: لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ.[١٥] *والله أعلم.*

---

[١] سورة إبراهيم، ٤٧/١٤.
[٢] ك – الآية.
[٣] ع: تخرج.
[٤] ع: بالسؤالهم؛ م: لسؤال.
[٥] ك – وقوله.
[٦] انظر تفسير الآية من سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[٧] ن – فالعالم الثاني.
[٨] ع: هذه.
[٩] ع م: لا لما يخرجون.
[١٠] ع م: قائلين.
[١١] جميع النسخ: والثالث.
[١٢] ك: خفاء.
[١٣] ع م – الواحد.
[١٤] جميع النسخ: ويغلبهم.
[١٥] سورة إبراهيم، ٥١/١٤.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾[٤٩] ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[٥٠]

وقوله[١] عز وجل: **وتَرَى المجرمين يومئذ مُقَرَّنِين في الأَصْفَاد سَرابِيلُهم مِن قَطِرانٍ**، وذَكَرَ: **مِن قَطِرانٍ**، قيل: القِطْر هو النُّحاس،[٢] والآنِي الذي قد انتهى حَرُّه، كقوله: حَمِيمٍ آنٍ.[٣] وقيل: الصُّفْر. وقال بعضهم: **مِن قَطِرَانٍ**، أي مِن نُحَاسٍ أُنِيَ لهم أنْ[٤] يُعَذَّبوا به.[٥] وقال بعضهم: هو مِن القَطْرَان المعروف الذي يُطْلَى به[٦] الإبلُ، ذكر هذا لأنه أشد احتراقًا[٧] واشتعالاً.

وقوله: **وتَرَى المجرمين يومئذ مُقَرَّنِين في الأَصْفَاد**، إلى آخِر ما ذكر، جَعَلَ الله عذاب الكفرة في الآخرة بالأسباب والأشياء التي كانوا يَفتخِرون بها في الدنيا مِن اللباس والشراب والأصحاب وغيره، وهو كان سببَ مَنْعِهم عن إجابة الرسل فيما دَعَوْهم إليه، فجَعَلَ تعذيبَهم في الآخرة بذلك النوع مِن النار. فقال: **وتَرَى المجرمين يومئذ مُقَرَّنِين في الأَصْفَاد**، يُقرَن[٨] ويُقَيَّضُ بعضُهم ببعض، كقوله: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا،[٩] الآية؛ لأنه كان يَتبعه ويَأْتَمِر بأمره، وكقوله: اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا،[١٠] الآية، وكذلك الرؤساء منهم والمتبوعون. وقوله: **سَرابِيلُهم مِن قَطِرانٍ**، لِما كانوا يَفتخِرون في الدنيا بلباسهم، وكذلك كلُّ نوعٍ كانوا[١١] يَفتخِرون به في الدنيا ويمنعهم[١٢] عن الإجابةِ إجابةِ الرسل. وقد ذكرنا هذا فيما تقدم.[١٣] والأَصْفَاد قيل: الأَغْلال، أي قد قُرِنَ بعضهم[١٤] إلى بعض في الأَغلال، واحِدُها صَفَد، وهو قول القُتَبي.[١٥]

---

[١] ك – وقوله.

[٢] ذكر أن هناك من قرأ هذه الكلمة هكذا: قِطْرٍ آنٍ. انظر: *تفسير الطبري*، ١٣/٢٥٦-٢٥٧؛ و*لسان العرب* لابن منظور، «قطر».

[٣] ﴿يَطوفون بينها وبين حَميمٍ آنٍ﴾ (سورة الرحمن، ٥٥/٤٤).

[٤] أي لأن.

[٥] م –به.

[٦] ك: بها.

[٧] م: إحراقا.

[٨] ن: يقترن.

[٩] ﴿ومَن يَعْشُ عن ذِكر الرحمن نُقَيِّضْ له شيطانًا فهو له قَرِين﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٦).

[١٠] ﴿اُحْشُرُوا الذين ظَلَمُوا وأزواجهم وما كانوا يَعبدون. مِن دون الله فَاهْدُوهم إلى صراطِ الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٢٢-٢٣).

[١١] ع م – كانوا.

[١٢] ك: ومنعهم.

[١٣] انظر مثلا تفسير الآية من سورة التوبة، ٩/٣٥.

[١٤] جميع النسخ: بعضه.

[١٥] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٤.

وكذلك قولُ أبي عَوْسَجة[1] في الأَصْفَاد، إلا أنه قال: واحِدُها صِفَاد، والصَّفَد العَطِيَّة، **سَرَابِيلُهم:** قَمِيصُهم، واحِدُها سِرْبال، **مِن قَطِرانٍ**، القَطِر ما ذكرنا النُّحَاس والآنِي الذي قد[2] اشتدَّ حَرُّه، وهو قول القُتَبي[3] وأبي عوسجة. ذَكَرَ هذه المَوَاعِيد والشدائد وأنواعَ ما يُعَذَّبون به في الآخرة ونعيمَها على أَلْسُن مَن قد ظَهَرَ صِدقُهم بالآيات والحُجَج لِيَحذروا ما أُوْعَدُوا ويَرغبوا فيما رَغَّبُوا لئلا يكونَ لهم الاحتجاج يومئذ، كقوله: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ،[4] وقوله: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ،[5] الآية،[6] ونحوه. *والله أعلم*.

وقوله[7] عز وجل: **وتَغشَى وُجوهَهم النارُ**، لأنَّ أيديَهم مَغلولةٌ إلى أعناقهم فلا يَقدِرون أن يَتَّقُوا النار بأيديهم. ذكر هذا لأنّ في الشاهد مَن أصاب[8] وجهَه[9] أذى يَتَّقِي عنه بيده، فيخبر أنهم إنما يَتَّقُون ذلك بوجوههم. *والله أعلم*.

﴿لِيَجزيَ اللهُ كُلَّ نَفسٍ مَا كَسَبَتْ إنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٥١]

لِيَجْزِيَ اللهُ كلَّ نفسٍ ما كَسَبَت، لما ذكرنا[10] يَبْرُزُون لله لِيَجزِيَهم [على أعمالهم] مِن خير وشر. وقوله:[11] **إن الله سريع الحساب**، قال بعضهم: كأنْ قد جاء حسابه.[12] والثاني ذَكَرَ هذا لأنّ الحساب إنما يُبطِئ لِما[13] لا يَتذكّر مَن له الحساب لمن يحاسبه في الشاهد فيما يحاسبه فيَطُول الحساب، أو للاشتغال[14] بشيءٍ يَشغَلُه[15] عنه، أو للجهل[16] بالحساب،

---

[1] ع + ذكر هذه المواعيد.

[2] ك – قد.

[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٢٣٤.

[4] ﴿رُسلاً مُبشِّرين ومُنذِرين لئلا يكونَ للناس على الله حجةٌ بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ (سورة النساء، ١٦٥/٤).

[5] ﴿إذ أنتم بالعُدْوَة الدُّنيا وهم بالعُدْوَة القُصْوَى والرَّكْبُ أسفلَ مِنكم ولو تَوَاعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن لِيَقضيَ الله أمرًا كان مفعولاً لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عن بينة ويَحيا مَن حَيَّ عن بينة وإن الله لَسميع عليم﴾ (سورة الأنفال، ٤٢/٨).

[6] ن – الآية.

[7] ك – وقوله.

[8] ك: من أصابه.

[9] ك – وجهه.

[10] انظر تفسير الآية من سورة إبراهيم، ٤٨/١٤.

[11] ك – وقوله.

[12] وعبارة الشارح هكذا: «قال بعضهم: أي إذا حاسب فحسابه سريع» (شرح *التأويلات*، ورقة ٤٢٣و).

[13] ع م – لما.

[14] جميع النسخ: أو الاشتغال.

[15] ع م – يشغله.

[16] ك: أو يجهل؛ ن: أو لجهل؛ ع م: أو الجهل.

فأمّا الله سبحانه وتعالى لا يَخفَى عليه شيءٌ ولا يَشغَلُه شيءٌ عن شيء، كلُّه محفوظ عنده، فهو **سريع الحساب**. *والله أعلم*. أو نقول: إنما يَطُول الحساب في الشاهد ويمتدّ[1] لِما يحتاج إلى التفكُّر والنظر[2] والتذكُّر في ذلك، فالله سبحانه مُتعالٍ عن التفكُّر والنظر، بل كلُّ شيءٍ محفوظٌ عنده. *والله أعلم*.

﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٥٢]

وقوله: **هذا بلاغٌ للناس ولِيُنذَروا به**، يحتمل قوله: **هذا بلاغ**، القرآن هو بلاغٌ للناس على ما ذكر في صدر السورة: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ،[3] الآية،[4] هو بلاغٌ على ما ذكر.[5] *والله أعلم*. **ولِيُنذَروا به**، أي بالقرآن أيضًا على ما ذكر: وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا.[6] ويحتمل[7] قوله: **هذا بلاغ**،[8] ما ذكر مِن المَواعِيد، وهو قوله: وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ،[9] إلى آخِر ما ذكر، أي **هذا**، الذي ذكر، **بلاغٌ**، يَبْلُغُهم لا محالة، **ولِيُنذَروا**، بما ذكر، **ولِيَعلموا أنما هو إله واحد**، لا شريك له بالآيات التي أقامها على وحدانية الله وألوهيته، **ولِيَذَّكَّر أُولُو الألباب**، أي ذَوُو[10] العقول.[11] *والله أعلم*.[12]

---

[1] ن ع م: وتمتد.

[2] م - والنظر.

[3] ﴿الر كتابٌ أنزلناه إليك لِتُخرجَ الناسَ مِن الظُّلُمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراطِ العزيز الحميد﴾ (سورة إبراهيم، ١/١٤).

[4] م - الآية.

[5] ع + الآية.

[6] سورة الأنعام، ٩٢/٦.

[7] ع: يحتمل.

[8] م - هو بلاغ على ما ذكر والله أعلم وليندروا به أي بالقرآن أيضا على ما ذكر وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها ويحتمل قوله هذا بلاغ، صح هـ.

[9] سورة إبراهيم، ٤٩/١٤.

[10] ك م: أي ذووا؛ ن ع: أي ذو.

[11] ن: العدل.

[12] م - أي ذووا العقول والله أعلم.

الفهارس

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*؛
تأليف أبي السعود محمد بن محمد بن محي الدين العمادي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

- *الإصابة*
في تمييز الصحابة؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- *بدائع الصنائع*
في ترتيب الشرائع؛ تأليف أبي بكر علاء الدين بن مسعود بن أحمد الكاساني، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- *تذكرة الحفاظ*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

- *تفسير الطبري*
... المسمى *جامع البيان في تأويل آي القرآن*؛ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، بيروت ١٤٠٥هـ.

- *تفسير عبد الرزاق*
... المسمى *تفسير القرآن*؛ تأليف أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، الرياض ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

- *تفسير غريب القرآن*؛
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- *تفسير القرطبي*
... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، القاهرة ١٣٧٢هـ.

- *تفسير مقاتل*
... المسمى *تفسير مقاتل بن سليمان*؛ تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، القاهرة ١٩٧٩م.

- *تقريب التهذيب*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، حلب ١٤٠٦هـ.

– *تهذيب التهذيب*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

– *الدر المنثور*
في التفسير بالمأثور؛ تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٩٩٣م.

– *روح المعاني*
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).

– *سنن الترمذي*؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *سنن الدارمي*؛
تصنيف أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *سنن أبي داود*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *سنن ابن ماجة*؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *سير أعلام النبلاء*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط – محمد نعيم العرقسوسي، بيروت ١٤١٣هـ.

– *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة بايزيد، قسم ولي الدين، رقم ٤٢٦ [Beyazıt ktp., Veliyyüddin nr. 426].

– *شعب الإيمان*؛
تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت ١٤١٠هـ.

– *صحيح البخاري*؛
الجامع الصحيح، تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعفي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

– *صحيح مسلم*؛
تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***فتح الباري***
بشرح *صحيح البخاري*؛ تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - محب الدين الخطيب، بيروت ١٣٧٩هـ.

- ***القاموس المحيط***؛
تأليف أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاهرة ١٣٣٠هـ.

- ***الكاشف***
في معرفة من له رواية في الكتب الستة؛ تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي، تحقيق محمد عوامة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***كتاب التوحيد***؛
تأليف أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق بكر طوبال أوغلي - محمد آروتشي، أنقرة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

- ***كشف الخفاء***
ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس؛ تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، بيروت ١٤٠٥هـ.

- ***لسان العرب***؛
تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، بيروت ١٤١٤هـ.

- ***مجاز القرآن***؛
تأليف أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق فؤاد سزكين، بيروت ١٩٨١م.

- ***مجمع الزوائد ومنبع الفوائد***؛
تأليف نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، القاهرة – بيروت ١٤٠٧هـ.

- ***مسند أحمد بن حنبل***؛
تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ***مصنف ابن أبي شيبة***
... *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*؛ تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض ١٤٠٩هـ.

- ***معاني القرآن***؛
تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- ***معجم البلدان***؛
تأليف أبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي المعروف بياقوت الحموي، بيروت بدون تاريخ (دار الفكر).

- ***معجم لغة الفقهاء***؛
تأليف محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

– *النشر في القراءات العشر*؛
تأليف أبي الخير شمس الدين محمد بن محمد المعروف بابن الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
– *الهداية*
شرح *بداية المبتدي*؛ تأليف أبي الحسين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني، بيروت بدون تاريخ (المكتبة الإسلامية).

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ